

# الْبَهْلِيَّةُ فِي التَّفْسِيرِ

تَصْنِيفُ

الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامته البيهقي الجبشعي

توفي سنة ٤١٤ هـ بمصر

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

تَقْرِيقُ

عبد الرحمن بن سليمان السالمي

دار الكتاب اللبناني

بيروت

دار الكتاب المصري

القاهرة



التهذيب في التفسير



# الْبَهْلِيَّةُ فِي التَّفْسِيرِ

تَصْنِيفٌ

الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامته البيهقي الجشعي  
توفي سنة ٤٩٤ هـ  
رحمهُ الله تعالى

تحقيقه

عبد الرحمن بن سليمان السالمي

المجلد التاسع

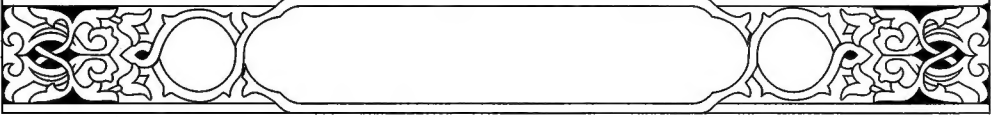
سُورَةُ فَصَّلَاتٍ - سُورَةُ الصِّفَاتِ

دار الكتاب اللبناني  
بيروت

دار الكتاب المصري  
القاهرة







سورة (حم السجدة) مكية، وهي اثنتان<sup>(١)</sup> وخمسون آية.

وعن النبي ﷺ: «من قرأ حم السجدة أعطي من الأجر بعدد كل حرف منها عشر حسنات».

ولما ختم (حم المؤمن) بذكر المنكرين<sup>(٢)</sup> لآيات الله، وذكر الدلائل افتتح هذه السورة بمثل ذلك، فذكر الآيات وإعراضهم.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢﴿ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ءَايَاتُهُمْ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِي ءَاذَانِنَا وَقَدْ مِّنَ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا أَنَّا عَمِلُونَ ٥﴾ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٦﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨﴿

(١) اثنتان: اثنان، ك.

(٢) المنكرين: المتذكرين، ت.

## اللغة

التنزيل: مصدر نَزَلَهُ تنزيلاً، فالقرآن مُنَزَّلٌ<sup>(١)</sup>، أي: ينزله؛ لأن جبريل قرأه من اللوح<sup>(٢)</sup>، وأنزله على النبي ﷺ.

والتفصيل: التبيين، فَصَّلْتُ الشيء تفصيلاً، أي: بيَّنتُه شيئاً فشيئاً. والكِنُّ: الغطاء، كَنَنْتُ الشيء في كِنِّه إذا صُنِّتُه، وأكننته: أي<sup>(٣)</sup> أخفيتُه، ومنه: الكنانة.

والوَقْرُ: الثقل في الأذن، وَقَرْتُ أُذُنُهُ تَوَقَّرُ وَقَرًا، وَوَقَرْتُ تُوقِرُ، فهي موقورة، قاله الكسائي، وأصل الباب: الثقل، ومنه: الوقر الحمل، ونخلة<sup>(٤)</sup> مُوقِرٌ ومُوقِرَةٌ إذا كانت ذات حمل كبير يثقل عليها<sup>(٥)</sup>، ومنه: الوقار، ورجل ذو قِرَّة إذا كان وقورًا، وَقَرَّ الرجل وقارًا، ويقال: وَقَرْتُ أَقِرُّ وَقَرًا، جَلَسْتُ، قال الأحمر: ومنه: ﴿وَقَرْنَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وليس من الوقار، وقال أبو عبيد: هو من الوقار.

والاستقامة: الاستمرار على طريقة واحدة على ما تدعو إليه الحكمة، استقام استقامة.

والَمَنُّ: القطع، يقال: [مأخوذ] من مننت الحبل إذا قطعته<sup>(٦)</sup>، رجل مَنِينٌ مقطوع.

## الإعراب

نصب «قُرْآنًا» قيل: على التفسير؛ لأنه مِيزَه<sup>(٧)</sup> من بين<sup>(٨)</sup> سائر الكتب، وقيل:

- (١) منَزَّل: ينزله، ت، د، ك.
- (٢) اللوح: الوح، ت.
- (٣) أي: -، ت، ك.
- (٤) ونخلة: وحمله، ت، ك.
- (٥) عليها: -، ت، ك.
- (٦) من مننت الحبل إذا قطعته: منه السيف الجب قطعه، ت، د، ك.
- (٧) ميزه: منزّه، ت، ك.
- (٨) بين: +، ت، ك.



نصب على المدح، وقيل: نصب على الحال، عن الزجاج، وقيل: نصب بإضمـارِ فعلٍ، أي: أنزلنا، وقيل: بإعادة الفعل، تقديره: فصلنا، وقيل: نصب على القطع. ونصب ﴿عَرِيبًا﴾؛ لأنه نعت للقرآن. ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ صفتان للقرآن، وقيل: نصب على المدح، وقيل: على التمييز، وقيل: على الحال، وقيل: عطفًا على ما تقدم. و(ما) في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ ما الكافة، تقطع عمل (إن)، فيصير ما بعده ابتداء وخبرًا.

### ✽ النزول

قيل: نزلت الآية في أبي جهل وعتبة وشيبة ومشركي مكة لما أعرضوا عن القرآن. وقيل: نزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في المرضى والزمنى والهزمى إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون فيه.

### ✽ المعنى

﴿حَمْدٌ﴾ قد تقدم القول فيه في (حم المؤمن)، وبيئًا من قبل أن أحسن ما قيل فيه قول الحسن: إنه اسم السورة، وقول ابن عباس: إنه افتتاح أسماء الله تعالى، وقول أبي مسلم: إنه إشارة إلى أن هذا القرآن من هذه الحروف، وأنتم<sup>(١)</sup> تتكلمون بها، ولا تقدرون على مثل القرآن، فاعلموا أنه معجزة، وأنه كلام رب العزة «تَنْزِيلٌ» يعني هذه السورة تنزيل «مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

ثم فسر، فقال: «كِتَابٌ» إلى المكلفين، وسمي كتابًا؛ لأنه يُكْتَبُ «فُصِّلَتْ آيَاتُهُ» أي: بُيِّنَتْ آياته بيانًا تامًا، ففصل بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، والمواعظ والأمثال، وقيل: المفصل المنظوم على أحسن النظام، وأوضح البيان، ففصل بعضها من بعض، حتى يستدل بكل واحد منها على ما يدل عليه من معالم دينه، عن أبي علي. «عَرِيبًا» أي: بلغة العرب «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ». بَشِيرًا وَنَذِيرًا» أي: يبشر المؤمن بما فيه من الوعد، وينذر الكافر بما فيه من الوعيد، والله - تعالى - يبشر بما في

(١) في ت: وإنهم.

القرآن، ولكن لما كان البشارة فيه أضافه إليه توسعاً «فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ» عن القرآن، فلم يفهموه، ولم ينتفعوا به، «فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ». وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ أَي: في أغشية، عن مجاهد، والسدي. «مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ» فلا نفقه ما تقول «وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ» أَي: صمم، فلا تسمع ما تقول، وإنما قالوه لِيُؤَيِّسُوهُ عن قبول ما أتى به «وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ» أَي: خلاف في الدين، فجعل<sup>(١)</sup> خلافهم ذلك ساتراً وحاجزاً لا يرى بعضهم بعضاً لأجله، وقيل: ليس بيننا مقارنة بوجه، بمنزلة مَنْ بينهما حجاب «فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ» قيل: اعمل بما يقتضيه دينك، «إِنَّا عَامِلُونَ» أَي: إنا نعمل بما يقتضيه ديننا، وقيل: اعمل ما شئت، فإنا نعمل ما نحن عليه، وهذا غاية العناد والتعصب، وقيل: اعمل في إساءتنا ما تقدر عليه، فإنا لا نجيبك؛ بل نعمل ما نحن عليه، فاقطع الطمع في إجابتنا «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» قيل: أراد بذلك استعطافهم بأنه من جنسهم لا يدعي درجة لا يستحقها إلا أنه يوحى إليه، قال الحسن: علمه الله تعالى التواضع، فقال له تواضعاً، وقيل: أراد أنه وإن كان بشراً<sup>(٢)</sup> فهو رسول يوحى إليه، فالكفر به كُفْرٌ بالله، وقيل: هو جواب لقولهم: اعمل؛ أَي: ليس ذلك إلّاي، وإنما أنا بشر، وقيل: أراد أنه لم يخالفهم في البشرية، وإنما خالفهم في الدين لأنه أوحى إليه، وقيل: أخبر أنه بشر مثلهم يؤمر كما يؤمرون، ويُنهى كما ينهون، وقيل: أراد أن كفرهم لو كان به وحده لكان يخف ويسهل لأنه بشر مثلهم لا يقدر على تعذيبهم؛ لكن كفرهم به كُفْرٌ بالله الذي هو خالقهم، ويقدر على عقابهم، عن أبي مسلم. «يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ» قيل: اعدلوا عن عبادة غيره، واجعلوا قصدكم إليه، كقولك: استقم على الطريق، ولا تذهب يميناً وشمالاً، وقيل: (إليه) بمعنى (له) أَي: استقيموا له في المستقبل، يعني على طاعته، وقيل: استقيموا على<sup>(٣)</sup> ما سنّه لكم «وَاسْتَغْفِرُوهُ» بأن اطلبوا منه<sup>(٤)</sup> المغفرة من ذنوبكم؛

(١) فجعلنا: د، ك: .

(٢) بشراً: بشيراً، ت.

(٣) على: إلى؛ د، ت، ك.

(٤) منه: -، ت، ك.

لأن الاستقامة في المستقبل إنما تنفع متى أقبل على التوبة مما تقدم «وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ» (وَيْلٌ) كلمة وعيد «الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» قيل<sup>(١)</sup>: لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، عن أبي علي، وقيل: لا يؤتون الزكاة، ولا يدينون بها، عن الحسن، وقتادة، وقيل: لا يأتون ما يكونون به أذكاء من الدخول في دين الله، وقيل: لا ينفقون في الطاعة، ولا يتصدقون، عن الضحاك، ومقاتل، وكان يقال: الزكاة قنطرة<sup>(٢)</sup> الإسلام من قطعها [نجا]، ومن تخلف عنها هلك، ولذلك قاتل أبو بكر أهل الردة بمنعهم<sup>(٣)</sup> الزكاة، وقيل: لا يزكون أعمالهم، عن مجاهد، والربيع، قال الفراء: هو<sup>(٤)</sup> أن قريشاً كانت تطعم الحاج، فَحَرَّمُوا ذلك على من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله، وقيل: جمع بين الاستقامة والزكاة؛ لأن الزكاة عبادة مالية، والاستقامة عبادة بدنية، فجمع بينهما وبين كل العبادات «وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ».

ثم عقبه بوعد المؤمنين، فقال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» قيل: ثواب غير مقطوع، عن ابن عباس، وقيل: غير منقوص، عن مقاتل، وقيل: لا يلحقهم تنغيص ومن<sup>(٥)</sup>، عن الحسن<sup>(٦)</sup>، وأبي علي، وأبي مسلم.

### ❁ الأحكام

تدل أول<sup>(٧)</sup> الآيات على حدوث القرآن من حيث وصفه بأنه فصلت بالآيات<sup>(٨)</sup>، وبالقرآن بأنه عربي، وأنه بشير ونذير، وكل ذلك دلالة على حدوثه. وتدل على أنه ليس في القرآن غير لغة العرب، خلاف قول الحشوية.

(١) قيل: وقيل؛ ت، د، ك.

(٢) قنطرة: فطرة، د.

(٣) بمنعهم: لمنعهم، ت.

(٤) هو: -، ت.

(٥) ومن: -، ت. وفي ك: ومن الحر.

(٦) الحسن: -، ت، ك.

(٧) بالآيات: وبالآيات؛ ت، د، ك.

(٨) أول: +، ت، ك.



وتدل على أن العَالَمَ باللغة محجوج به، ولو كان للظاهر باطن<sup>(١)</sup> لا يدل عليه الظاهر لم يكن كذلك، فيبطل قول الباطنية.

ويدل قوله: «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» أن التفسير لمن عرف اللغة جائز، ولا يحتاج إلى سماع معناه من غيره، بخلاف من يقول: لا بد فيه من سماع، وذكر نحوه<sup>(٢)</sup> شيخنا أبو حامد رحمه الله.

وتدل على أنه يستقل بنفسه في باب الدلالة.

وتدل على وجوب التفكير فيه، وذم المعرض عنه.

ويدل قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ على شدة إعراضهم عن القرآن، وأنه لا منع على ما تقوله المجبرة؛ لذلك ذمهم ووبّخهم على هذا القول.

وتدل على كون القرآن حجة، ووجوب العلم والعمل به.

ويدل قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> أن الرسول يجري على طريقة التواضع دائماً.

﴿قُلْ أَتُحِبُّونَ لِكُفْرَانِكُمْ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَتَعَلَّوْنَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِينَ (١٠) ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢).

(١) باطن: باطنا، ت، ك.

(٢) في د: ونحوه ذكر. وفي ك كتب فوق لفظة: (وذكر). لفظة: (ونحوه). وما أثبتناه عن ت.

(٣) مثلكم: +، ك.

## ❁ القراءة

قرأ أبو جعفر: «سَوَاءً» بالرفع، وقرأ يعقوب «سَوَاءٍ» بالكسر، وهي قراءة الحسن، وقرأ القراء السبعة بالنصب.

فأما النصب، فقليل: على المصدر، أي: اسْتَوَتْ استواء، وقيل: على الحال.

وأما <sup>(١)</sup> الكسر فعلى <sup>(٢)</sup> صفة الأيام.

وأما الرفع فعلى الاستئناف والابتداء، أي: هي سواء.

## ❁ اللغة

النُّدُّ: المثل، وهو التَّيْدِيدُ، وجمعه: أُنْدَاد، وهي الأمثال.

والرواسي: الجبال الثوابت، رسا يرسو: إذا ثبت، ومنه: أرسى السفينة.

والاستواء إلى الشيء: القصد إليه، وكل من فرغ من أمر وقصد غيره، فقد

استوى له، وحكي الفراء <sup>(٣)</sup> عن العرب: استوى إليّ يخاصمني، أي: أَقْبَلَ عَلَيَّ،

وأصل الاستواء: الاستقامة، والقصد: التدبير المستقيم.

والأقوات: جمع قوت <sup>(٤)</sup>.

والقضاء: الفراغ من الشيء على التمام، ومنه: قضى القاضي، قال الشاعر:

وعليهما مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا      دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ <sup>(٥)</sup> تُبَّعُ

والمصاييح: جمع مصباح.

(١) وأما: فأما، ت، ك.

(٢) في ت، ك: على.

(٣) في ت: القراء.

(٤) قوت: -، ت، ك.

(٥) في ت: الصوابغ، البيت قائله أبو ذؤيب الهذلي. أنظر: لسان العرب (قضى)، الصحاح (قضى)،

القاموس المحيط (قضى).

## الإعراب

«أئنكم» ألف استفهام دخلت على الاسم، ومحلها الفعل، وتقديره: إنكم لتكفرون.

«وحفظاً» قيل: نصب على تقدير: جعلناها زينة وحفظاً، وقيل: على المصدر، أي: حفظها حفظاً، وقيل: الواو محذوف، أي: زينها بالنجوم حفظاً، وقيل: قال: «طائعين» على كناية ما يعقل؛ لأنه لما أضاف القول إليهما أجراه مجرى مَنْ<sup>(١)</sup> يعقل ووكل<sup>(٢)</sup> على لفظ الجمع بعد قوله: «قالتا» على تقدير: أتينا نحن طائعين، فقيل: قالتا، ثم قال: «طائعين»، فمرة للثنائية لأن صنف السماء والأرض ثنيان، ومرة للفظ الجمع.

## المعنى

ثم بيّن تعالى أدلة التوحيد، فقال سبحانه: «قُلْ يا محمد لهؤلاء الكفار «أئنكم لتكفرون» وهذا تعجب<sup>(٣)</sup>، أي: كيف تستجيزون أن تكفروا بمن هو خالق كل شيء ورب كل حي، «بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ» يعني في مقدار يومين «وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا» أمثالاً وأشباهاً تعبدونهم، لا يقدرُونَ على شيء «ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ» يعني الذي خلق الأرض هو خالق العالمين دون الأنداد «وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا» أي: الجبال الثوابت فوق الأرض «وَبَارَكَ فِيهَا» أي: في الأرض، قيل: بما خلق فيها من المنافع، التي لا تحصى، وقيل: أنبت أشجارها، عن السدي. «وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا» قيل: أرزاقها، عن الحسن، والسدي، وابن زيد، وقيل: قدر فيها أقواتها ما فيه صلاحها، فخلق البر، والبحر، والأنهار، والأشجار، والدواب، وسائر النعم، وقيل: هو المطر، عن مجاهد، وقيل: قدر لكل ناحية ما يكفي أهلها، عن أبي علي، وقيل:

(١) من: ما، ت، د، ك.

(٢) ووكل: +، ت، ك.

(٣) تعجب: تعجيب؛ ت.



قدر في كل بلدة منها ما لم<sup>(١)</sup> يجعله في غيرها؛ ليعيشوا بالتجارات، عن عكرمة، والضحاك، وقيل: الحنطة لأهل قُطْرٍ، والشعير لأهل قطر، والتمر لأهل قطر، والسّمك لأهل قطر، والذُّرة لأهل قطر، عن الكلبي. «فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ» مع اليومين اللذين<sup>(٢)</sup> تقدم ذكرهما، كما يقال: من بغداد إلى الكوفة ثلاثون فرسخًا، وإلى القادسية خمسة وثلاثون فرسخًا، ويراد مع الأولى «سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ» قيل: مستوية كاملة، ليس فيها نقصان، وقيل: على سواء من الوقت، (خلق الأرض) يعني خلق الأرض في يومين، وخلق الأقوات في يومين «سواء» فكل واحد منهما في يومين<sup>(٣)</sup> للسائلين قيل: وكل ذلك بيانًا لما خلق للسائلين، عن الحسن، وقتادة، والسدي، وعن<sup>(٤)</sup> أبي علي، وقيل: للسائلين الله فيها قضاء<sup>(٥)</sup> حوائجهم، أي: لمن يسأل الرزق من السائلين، وقيل: سواء للسائلين وغير السائلين، فإنه خلق الأرض وما فيها لمن سأل، ولمن لم يسأل، وقيل: قَدَّرَ ذلك على قدر مسائلهم؛ لأنه لم يَنْوِ سائلهم إلا وهو عالم به قبل كونه، عن ابن زيد. «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» أي: قصد إلى خلق السماء «وَهِيَ دُخَانٌ» قيل: بخار الماء، وقيل: كان بخار الأرض، عن ابن عباس، وقيل: استوى أمره إلى السماء، عن الحسن. «فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» أراد به أنه كونهما كما أراد، فكان من غير تعذر وامتناع، ولم يكن هناك خطاب منه لهما، ولا جواب منهما؛ لأنهما كانا معدومين أو جمادين، ومثل ذلك كثير في كلام العرب، كقول الحكيم: سَلَّ الْأَرْضَ مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ، وغرس أشجارك، وأينع ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارًا<sup>(٦)</sup> أجابتك اعتبارًا، ولم يرد حقيقة السؤال، وقال الشاعر:

(١) ما لم: لما لم، د.

(٢) اللذين: الذين؛ ت، د، ك.

(٣) سواء فكل واحد منهما في يومين: +، ت، ك.

(٤) عن: +، ت، ك.

(٥) +، ت: قضاء: +، ت.

(٦) حوارًا: جوابًا، ت؛ حوارًا؛ د، ك.

امْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلًا<sup>(١)</sup> رُوَيْدًا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، وقال

الشاعر:

فَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَدَّرْنَا كَالدُّرِّ لَمَّا يُثْقَبُ<sup>(٣)</sup>

وقال آخر:

شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السَّرَى صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكِلَانَا مُبْتَلَى<sup>(٤)</sup>

وقال آخر:

أَلَا أُنْعِمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّسْمُ وَانْطِقِ وَحَدِّثْ حَدِيثَ الْحَيِّ إِنْ شِئْتَ وَاصْذُقِ<sup>(٥)</sup>

وقال آخر:

سَلِ الرَّبْعَ أَنِّي<sup>(٦)</sup> يَمَمْتُ أُمَّ سَالِمٍ<sup>(٧)</sup> وَهَلْ عَادَةٌ لِلرَّبْعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ<sup>(٨)</sup>

وأمثال تلك كثيرة في أمثال العرب، وإنما قيل ذلك<sup>(٩)</sup>؛ لأنه أبلغ في الإفهام

(١) في ت، ك: سبيلاً.

(٢) البيت لم ينسب وفي رواية: سلاً رويداً قد ملأت بطني.

انظر تاج العروس (قطط، قول)، لسان العرب (قول).

(٣) انظر تاج العروس (قول)، لسان العرب (قول).

(٤) البيت للملبد بن حرملة؛ أنظر لسان العرب (شكا) وفي رواية اللسان: صبرا جميلاً فكلانا مبتلى

وفي ت، د، ك: صبراً جميلاً.

(٥) كلمة ناقصة من البيت، ت، د، ك: واصدق.

البيت قائله امرؤ القيس وورد في عدة روايات:

ألا أنعم صباحاً أيها الربع وانطق

أنظر ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت ٢٠١٠.

(٦) أنى: أنا، ت، ك.

(٧) في تفسير القرطبي ٢١٥/٥: أم طارق.

(٨) البيت قائله حميد بن ثور الهلالي العامري.

انظر ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق محمد شفيق البيطار، أبو ظبي، ٢٠١٠.

(٩) في ت، ك: ذلك.

والتعظيم، وأفصح في اللفظ، وأحسن في النظم، «فَقَضَاهُنَّ» أي: تممهن «سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ» وفي خبر مرفوع: «إن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والعمران والخراب» قيل: أربعة أيام: «خلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة والجن» وقيل: إنما سميت الجمعة لاجتماع خلق السماء والأرض وما فيهما في ذلك الوقت، عن السدي.

ومتى قيل: إذا قدر أن يخلقها [في] طرفة عين، فَلِمَ خلقها<sup>(١)</sup> في هذه المدة؟ قلنا: ليعتبر بها الملائكة، فإنه أبلغ في الدلالة، وقيل: بل لاعتبار العباد في الإخبار بذلك، وقيل: أراد أن يعلم الملائكة كيفية الترتيب والجمع والتفريق، وقيل: ليعلم عباده أن الأناة خير من العجلة.

ومتى قيل: فما معنى إتيانهم؟

قيل: أتت السماء بما فيها من النجوم، وأتت الأرض بما فيها من الأشجار والأنهار والثمار، عن ابن عباس.

«وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» قيل: إلى أهل كل سماء من الملائكة، «أمرها»<sup>(٢)</sup>: ما تعبدهم به من أمره ونهيه، وقيل: خلق في السماء الشمس والقمر والنجوم والملائكة، عن قتادة، والسدي، وكان الوحي تكوين هذه الأشياء «وَوَيْتْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ» قيل: بالنجوم «وَحِفْظًا» لها من استراق السمع من الشياطين «ذَلِكَ» أي: ما تقدم ذكره «تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ» أي<sup>(٣)</sup> القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، فيفعل ما يشاء «الْعَلِيمِ» بجميع الأشياء يخلق بحسب المصلحة، وعلى أحسن نظام وترتيب.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ أنه تعالى لم يخلق فيهم الكفر؛ إذ لو خلقه لم

(١) خلقها: خلقهما، ت.

(٢) كل سماء من الملائكة أمرها: كل سماء أمرها من الملائكة، ت، د، ك.

(٣) أي: +، ت، ك.



يكن للتعجب<sup>(١)</sup> معنًى، ولقالوا: أنت الذي خلقت فينا الكفر، ومنعتنا عن الإيمان، ولولا ذلك لكنا مؤمنين.

وتدل على أنه تعالى إنما يُعَرَفُ بأفعاله، وأن هذه الأفعال دالة عليه، وعلى صفاته، إما بنفسه ككونه<sup>(٢)</sup> قادرًا عالمًا، أو بواسطة، ككونه حيًا سميعًا بصيرًا. وتدل على أن العبادة تستحق بهذه النعم؛ لذلك ذم مَنْ عَبَدَ شيئًا لا يقدر على شيء منها.

ويدل قوله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾ أن<sup>(٣)</sup>: خالق هذه الأشياء خالق العالمين.

ومتى قيل: لِمَ أشار بقوله: «ذلك»، وهم ينكرونه؟

قلنا: كانوا يقرون بالخالق، وقيل: ظهور هذه النعم والدلائل شاهدة على أنه المدبر، وقيل: هو على تقدير الحجة، تقديره: ذلكم الذي خلق هذه هو رب العالمين.

ويدل قوله: ﴿وَبَرَكٌ فِيهَا﴾ أن البركات في الأرض، وهي أنواع الثمار والأشجار، وأنواع الجواهر المودعة فيها، وأنواع النعم مما لا يحصى كثرة.

وتدل أنه قدر أقوات العباد حثًا على الرضى، وتقليل الحرص؛ لأن الحرص لا يزيده إلا كدًا وتعبًا.

وتدل أنه خلق السماء والنجوم من دخان، فتدل على عظيم قدرته وعلمه.

وتدل أن في كل سماء جماعة من المكلفين، وذلك يدل على ما نقوله أن الجماد لا يخلو من مكلف<sup>(٤)</sup>.

وتدل أن السماء الدنيا مختصة بالنجوم دون الأفلاك، خلاف ما يقوله المنجمون.

(١) للتعجب: للتعجب، د.

(٢) في ت: لكونه.

(٣) أن: أي، ت، د، ك.

(٤) وتدل أن في كل.... مكلف: +، ت، ك.

ويدل قوله: «وحفظاً» أنه يحفظ السماء من الشياطين إذا أرادوا استراق السمع؛ لأنه أبعد عن إلقاء الشبه، وذلك يبطل قول المجبرة: إنه <sup>(١)</sup> هو الملقى للشبه. وتدل على أنه عند الخلق للملائكة <sup>(٢)</sup> خلق الجن، وأن خلق آدمي تأخر. وتدل أن السماء سبع مرات <sup>(٣)</sup>، قال الحسن: الأرضون سبع، بين كل أرض مسيرة خمسمائة عام.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ لَهُمْ وَهُمْ لَا يُصْرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾﴾

### القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: «نَحْسَاتٍ» بكسر الحاء، وقرأ الباقون ساكنة الحاء، وهما لغتان، يقال: يوم نَحْس ونَحْس بكسر الحاء وسكونها. قراءة العامة: «ثُمُود» بالرفع غير محرك <sup>(٤)</sup>، وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب: «ثُمُود» بالرفع والتنوين كل القرآن إلا قوله: ﴿وَأَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ﴾ [الإسراء: ٥٩]، فإنما

(١) في د: وأنه.

(٢) فالخلق للملائكة: خلق الملائكة، ت، ك.

(٣) مرات: +، ك.

(٤) في د: مجرى.

لا يحركانه<sup>(١)</sup>؛ لأنه مكتوب في المصحف بغير ألف، وقرأ ابن أبي إسحاق: «ثمود» منصوبًا غير منون؛ لأنه أخف الحركات.

### اللغة

الإنذار: التخويف.

الصاعقة: الوقع الشديد من الرعد، وكذلك الصَّعَاقُ، وقيل: هو صوت الرعد الذي يصعق منه الإنسان، والصاعقة: العذاب على أي حال كان، وأصله: الصوت مع النار، يقال: صاعقة وصَعَقَةٌ، قال الفراء: وتميم تقول: صعقة في معنى صاعقة، ويقال: صعقتهم الصاعقة، وأصعقتهم: إذا أصابتهم، والصاعقة مصدر جاء على فاعلة، كالرَّاعِيَّة: للإبل<sup>(٢)</sup>، والثَّاعِيَّة: للشَّاء<sup>(٣)</sup>، والصَّاهِلَةُ<sup>(٤)</sup>: للخيل<sup>(٥)</sup>.

والصرصر: الشديد الصوت، من الصرير، وريح صرصر: شديد الهبوب، ونظيره في التكرير صل اللجام، فإذا كرر قيل: صلصل، وسمي نهر صرصر بصوت الماء الجاري فيه.

والتَّحْسُ: سبب الشر، كما أن السعد سبب الخير، قال الراجز:

يَوْمِينَ غَيْمَيْنِ وَيَوْمًا شَمْسًا

نَجْمِينَ بِالسَّعْدِ وَنَجْمًا نَحْسًا

والخزي: الهوان التي يستحيا من مثلها بفضيحة أهلها، خَزِي يَخْزِي خِزْيًا، وأخزاه الله إخزاءً، وهو مَخْزِيٌّ.

والهون: الهوان.

(١) في د: لا يجريانه.

(٢) للإبل: الإبل؛ د، ت، ك.

(٣) للشَّاء: الشَّاء؛ د، ت، ك.

(٤) في د: وربما هله وفي ت: والماهله. وما أثبتناه من تاج العروس ٦٤٢/١.

(٥) في ت: الخيل.

## الإعراب

ترك إجراء «ثمود»؛ لأنه اسم قبيلة معرفة، ورفع لأجل (أما).

## النزول

عن جابر بن عبد الله قال: قال الملاء من قريش: قد التبس علينا أمر محمد، فإن التمستم رجلاً عالمًا بالشعر والسحر والكهانة، فأتاه وكلمه، [ثم أتانا]<sup>(١)</sup> ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيعة: لقد عَلِمْتُ ذلك وما يخفى عليَّ شيء، فأتاه فقال: يا محمد لِمَ تشتم آلهتنا، وتضلل آباءنا؟ فإن كان ذلك لرئاسة عقدنا لك، فكنت رأسًا لنا ما بقيت، وإن كان لامرأة زوجناك، وإن كان لمال جمعنا لك ما تستغني به، ورسول الله ﷺ ساكت، فلما فرغ قال: «اسمع»، وتلا هذه السورة، فلما بلغ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ الآية، أمسك عتبة على فيه، وناشده بالرحم، ورجع إلى قومه وأهله، ولم يخرج إلى قريش، فقال أبو جهل: قد صبا عتبة، فقال: لا، ولكن سمعت كلامًا ليس هو بشعر، ولا كهانة، ولا سحر، فقرأ السورة إلى قوله: ﴿صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، فأمسكت على فيه، وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب.

## المعنى

ثم عقب دلائل التوحيد بذكر الوعد والوعيد، فقال سبحانه: «فَإِنْ أَعْرَضُوا» يعني أعرض هؤلاء عنك وعما جئت به، ولم يؤمنوا «فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ» خوفتكم<sup>(٢)</sup> «لصَاعِقَةٍ» أي: عقوبة<sup>(٣)</sup> «مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ».

ومتى قيل: كيف خوفهم به، ولم ينزل في أمته؟

قلنا: الإنذار بشرط الإصرار، ولم يصروا.

(١) +، الثعلبي، الكشف والبيان، ٩/١٢، الألوسي، روح المعاني، ١٧٦/١٨.

(٢) خوفتكم: -، ت.

(٣) أي عقوبة؛ في ت: خوفتكم عقوبة.

وقيل: الصاعقة أمر يعظم محله يحل بهم، وقد نزل بهم يوم بدر.

وقيل: التخويف بما لا يقع يجوز.

«إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ» يعني عادًا وثمود<sup>(١)</sup> «مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ» قيل: من قَبْلِهِمْ ومن بعدهم، ونقلت أخبارهم إليكم، وقيل: إمام بلدهم<sup>(٢)</sup> في أمة، ومن خلفهم في أمة أخرى، أخبر عن إحاطة الرسل بهم، وعلى هذا الهاء والميم في (قبل) و(خلف) كناية عن القوم. وقيل: قبل زمانهم وبلغهم خبره، وبعد زمانهم في سائر الأزمنة، وقيل: الهاء والميم في (أيديهم) كناية عن القوم، ومن خلفهم كناية عن الرسل، تقديره: جاءت الرسل من بين أيدي القوم، وهو ما بعث في أيامهم، ومن خلف الرسل أرسلنا رسلاً آخر «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا» يعني الكفار للرسل «لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً» رسلاً إلينا، فأما أنتم فلستم برسول؛ ولكن بشر مثلنا «فَلِإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» «فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» أي: ترفعوا عن قبول الحق، وأنفوا عن اتباع الرسل، وذلك لوجوه:

أحدها: ترك النظر.

وثانيها: اتباع الآباء.

وثالثها: الإلف والعادة.

ورابعها<sup>(٣)</sup>: حب الرئاسة.

والخامس: إلقاء شبه المبتدعين.

«وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً» يعني نحن أقوى الخلق، فنغالب الرسل، وكانوا ذوي أجسام طوال وقوة عظيمة، فقال سبحانه: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً» يأخذهم متى شاء؛ لأنهم قادرون بقدرة متناهية على مقدورات متناهية في

(١) ثمود: ثمودًا، د.

(٢) إمام بلدهم: أما بلدهم، د؛ من بين أيديهم؛ ت، ك.

(٣) ورابعها: والرابع، ك.

كل وقت، وهو تعالى قادر على ما يشاء، وعلى ما لا يتناهى من الأعداد، وسائر الأجناس لذاته «وَكَاثُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ» أي: يكذبون<sup>(١)</sup> «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا» أي: باردة شديدة الهبوب والصوت، عن السدي. وقيل: باردة، عن قتادة. وقيل: شديدة السموم، عن مجاهد. «فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ» قيل: مشؤومات<sup>(٢)</sup>، عن مجاهد، وقاتدة، والسدي، وأبي علي. وقيل: نحسات باردات، عن أبي مسلم. وقيل: نحسات ذات غبار وتراب، حتى لا يكاد يبصر الناس أحدًا، عن أبي علي. قيل: وأمسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين، ودامت الرياح من غير مطر، عن الضحاك. «لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أي: عذاب الفضيحة<sup>(٣)</sup> والذل «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى» أشد في الفضيحة «وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ» أي: لا يلحقهم غوث<sup>(٤)</sup> ونصرة من أحد «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ» أي: دللناهم وبيّنا لهم الحق، عن ابن عباس، وقاتدة، وابن زيد، والسدي. «فَاسْتَجَبُوا أَعْمَى عَلَى الْهُدَى» يعني اختاروا الكفر على الإيمان «فَأَخَذْنَاهُمْ صَاعِقَةً» مهلكة «الْعَذَابِ الْهُونِ» أي: ذي الهوان، يعني نُمِيتُهُمْ بذلك «بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أي: لم نَبْتِدِئُهُمْ بالعذاب؛ بل فعل بهم ذلك بعد الاستحقاق.

ومتى قيل: إذا عم المكلفين بالهدى، فما معنى تخصيص ثمود؟ قلنا: قيل: خصهم لأجل الناقة التي أتتهم على الوجه الذي التمسوه. «وَنَجَّيْنَا» خلصنا من العذاب «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ».

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ على وجوب النظر في الأدلة، فلذلك ذمهم على

الإعراض.

(١) أي يكذبون: +، ت.

(٢) مشؤومات: مسمومات، ت.

(٣) في ت، ك: القيامة.

(٤) في ت: عون.

ويدل قوله: ﴿ثُمَّودُ فَهَدَيْتَهُمْ﴾ أن الهدى هو الدلالة والبيان.  
وتدل على أن المعارف مكتسبة؛ لذلك قال: ﴿فَاسْتَحَبُّوا آلَ عِصَى﴾.  
وتدل على أن العبد يفعل لولا ذلك لَمَا صح أن يختار شيئاً على شيء.  
وتدل على أنه يقدر على الضدين؛ لذلك صح وصفه بأنه مختار فِعْلٍ على فعل.

﴿وَبِئْسَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ جُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾.

### ❁ القراءة

قرأ نافع ويعقوب: «نَحْشَرُ» بالنون «أَعْدَاءُ» بالنصب، أضاف الحشر إلى نفسه، وقرأ الباقون: «يُحْشَرُ» بالياء وضمها، «أَعْدَاءُ» بالرفع على ما لم يسم فاعله؛ لأن ذلك أفخم.  
وقراءة العامة: «يُسْتَعْتَبُوا» بفتح الياء والتاء الأولى، وكسر التاء الثانية، أي: يطلبوا العتبي، ويسترضوا «فما هم من الْمُعْتَبِينَ» بفتح التاء، وقرأ عمرو بن عبيد: «وإن يُسْتَعْتَبُوا» بضم الياء وفتح التاء الأولى والثانية على ما لم يسم فاعله<sup>(١)</sup> «فما هم من الْمُعْتَبِينَ» بكسر التاء، يعني إن سئلوا أن يعملوا ما يرضون به ربهم<sup>(٢)</sup> فما هم من الْمُعْتَبِينَ أي: من القادرين على إرضائه؛ لأنهم فارقوا دار التكليف.

(١) في د: فاعله ما يرضون به ربهم.

(٢) ما يرضون به ربهم: +، ت، ك.



اللغة

الحشر: الجمع، ومنه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧].

والإيزاع: المنع عن التفرق إلى جهة اليمين والشمال، وأصل الباب: المنع، وَرَعَ يَزْعُ، وعن الحسن: لا بد للناس من وَرَعَةٍ، وهم الذين يزعون الناس بعضهم من بعض، والواحد<sup>(١)</sup>: وازع، ومنه: «ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن».

والجلد<sup>(٢)</sup>: غشاء البدن الذي جعل يحجز منه لتقوية البدن، وأصله: التقوية، ومنه: فلان يتجلد على الضرب، وهو جَلَدٌ على أمره.

والاستتار: الاختفاء، وأصله من الستر، سترت الشيء سَتْرًا، والسترة: ما استترت به، وكذلك الستارة، فإذا أسقطت الهاء فهو الستار.

والردى: الهلاك له<sup>(٣)</sup>، أَرَدَاهُ: أهلكه، وَرَدِي يَرْدِي رَدًى إذا هلك، قال الأعشى:

أَفِي الطَّوْفِ خِفْتُ عَلَيَّ الرَّدَى      وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ لَمْ يَرِمِ<sup>(٤)</sup>

الاستعتاب: طلب الرضا، عتب عليه: سخط، وأعتب: أرضى، واستعتب: استرضى، وأصل العتاب عند العرب: استصلاح الجلد بإعادته في الدباغ، ثم استعمل فيما يستعطف به بعضهم<sup>(٥)</sup> بعضًا، ويعيدون ما كان من الألفة<sup>(٦)</sup>، وعاتب إليه: شكا إليه.

(١) في ت: والواعد.

(٢) في ت، د: جلدًا.

(٣) له: +، ت، ك.

(٤) أنظر ديوان الأعشى في قصيدة مطلعها:

أنهجر غائبة أم تلم أم الحبل وإو بها منجرم

والبيت في رواية أخرى: وكم من هالك أهله لم يحرم.

(٥) بعضهم: البعض؛ ت، د، ك.

(٦) في ت: الألفة.

## الإعراب

﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾ قيل: موضعه نصب بإسقاط (من)، أي: ما كنتم تستترون من أن تشهد عليكم.

والواو في «ويوم عطف» على ما تقدم من العذاب في الدنيا، تقديره: فتلك حالهم فيما عذبناهم في الدنيا، ويوم يحشرون نفعل بهم كذا.

## النزول

عن ابن مسعود: إني لمستتر بأستار الكعبة إذ جاء ثلاثة نفر، وتحدثوا، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول، فقال الآخر: إذا رفعنا أصواتنا يسمع، وإذا خفضنا<sup>(١)</sup> لم يسمع، فقال الآخر: إن كان يسمع إذا رفعنا يسمع إذا خفضنا<sup>(٢)</sup>، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت الآية.

## المعنى

ثم بيّن حال الكفار يوم القيامة، فقال سبحانه: «وَيَوْمَ يُحْشَرُ» أي: يجمع من قبورهم ومن سائر البقاع «أَعْدَاءُ اللَّهِ» وهم الكفار والعصاة «إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ» قيل: يحبسون أولهم على آخرهم، أي: يتلاحقون، عن قتادة، والسدي، وقيل: يسحبون من ورائهم، ويجمعون من بين أيديهم، ويمنعون من التفرق، عن أبي علي، وقيل: يطردون، ويساقون معجلاً بهم إلى النار، عن أبي مسلم، وقيل: ملائكة تسوقهم سوقاً عنيفاً، وملائكة أخرى يحبسونهم في موضع الحساب، فإذا جاءوا عرصة القيامة وموضع الحساب استشهدوا عليهم جوارحهم، قال الله تعالى: «حَتَّى إِذَا مَا<sup>(٣)</sup> جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ» بما سمع ورأى، فتنتطق جلودهم، قيل: أراد الفروج فكُنِّي، وقيل: أراد الجلود المعروفة تشهد بما باشرت.

(١) خفضنا: خفطنا، ت، ك..

(٢) خفضنا: خفطنا، ت، ك.

(٣) ما: -، ت، ك.

ومتى قيل: كيف تشهد الجوارح؟

قلنا: يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أن تبنى بنية الحيوان، وتعطى آلة النطق، وتلجأ إلى الشهادة.

والثاني: أن يخلق فيها الشهادة، وتضاف إليها مجازاً، والأول أقرب.

ومتى قيل: وما الفائدة في شهادة الجوارح؟

قلنا: زيادة في فضيحتهم، وقيل: إظهاراً للعدل، وقيل: لقرب جوارحه إليه

فتكون أعظم، كشهادة القريب على قريبه.

«وَقَالُوا» يعني الكفار «لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا» يعني الجوارح، وأجرى

الكناية مجرى كناية من <sup>(١)</sup> يعقل؛ لأجل النطق «أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ»

أي: أعطانا آلة النطق والقدرة على النطق «وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» أي: كما قدر على

خلق جميع الأشياء قدر على إنطاق الجوارح «وَالْيَهِ تُرْجَعُونَ» قيل: إلى حكمه

وجزائه بعدما شهدوا عليه، وقيل: معناه هذا أوان رجوعكم إليه «وَمَا كُنْتُمْ

تَسْتَتِرُونَ» قيل: تستحيون، عن السدي، وجماعة، وقيل: ما كنتم تستترون

معاصيكم عن أنفسكم، كما كنتم تستترون عن الخلق، لأن الإنسان لا يمكنه أن

يستر عن نفسه كما يستر عن غيره، وقيل: تستترون: تتقون، عن مجاهد، وقيل:

تظنون، عن قتادة. «أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ

ظَنُّكُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ» <sup>(٢)</sup> أي: بجهلكم <sup>(٣)</sup> بالتوحيد ظننتم أن

أعمالكم تخفى على الله «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ» أي: هذا الظن منكم بالله «أَزْدَاكُمْ» أي:

أهلككم «فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» بذلك يوم القيامة، وقيل: ظنكم <sup>(٤)</sup> أن القيامة لا

(١) +، من: ما، د؛ مالا، ت، ك..

(٢) مما تعملون: مما كنتم تعملون، ت.

(٣) بجهلكم: لجهلكم، ت.

(٤) ظنكم: ظنهم، ت، د، ك..

تقوم، وأن الجوارح لا تشهد عليكم «فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ» يعني إن أمسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه فلا يلحقهم ذلك، ويكون في النار مقامهم، عن أبي مسلم، وقيل: فيه محذوف، يعني إن يصبروا أو لا يصبروا فالنار مَثْوًى لهم «وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا» أي: يطلبوا أن يرضى الله عنهم «فَمَا هُمْ» بمرضي عنهم، والمعتب الذي قُبِلَ عتابه، وأجيب إلى ما سأل.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على أن الجوارح تشهد وتنطق، ولا معنى للعدول<sup>(١)</sup> عن الظاهر، مع أنه لا مانع منه.

وتدل<sup>(٢)</sup> على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم، لتصح الشهادة عليهم.  
وتدل<sup>(٣)</sup> أن القوم كانوا جاهلين بالله وصفاته، لولا ذلك لما ظنوا به هذا الظن، فتدل على أن المعارف مكتسبة.

وتدل<sup>(٤)</sup> على أن الظن مذموم في باب التوحيد وأصول الدين.

ومتى قيل: أليس روي في حسن الظن بالله؟

قلنا: ذلك يبتني على العلم، فإن من علمه رحيماً كريماً ظن لعلمه أنه يرحمه<sup>(٥)</sup>.

وقيل: أراد بالظن العلم<sup>(٦)</sup> بما يقتضي حسن الظن، كما روي عن الحسن أن قوماً ألهمهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا، وليست لهم حسنة، يقول أحدهم: أُحْسِنُ الظن بالله. كَذَبَ، لو أحسن الظن به لأَحْسَنَ العمل.

(١) للعدول: لعدول، ت.

(٢) وتدل: ويدل، ت.

(٣) وتدل: ويدل، ت.

(٤) وتدل: ويدل، ت.

(٥) لعلمه أنه يرحمه: لعلمه يرحمه، ت، ك.

(٦) العلم: -، ت.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ إِمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ .

### ﴿القراءة﴾

قراءة العامة: «والغوا» بفتح الغين من لغى يُلغى، نحو: طغى يَطغى، وقرأ عيسى بن عمر بضم الغين، لغا يلغو مثل: دعا يدعو.

قراءة العامة: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ وعن ابن عباس: «جزاء أعداء الله النار دار الخلد» ترجم بالدار عن النار، وهو تقدير الآية، وهذا محمول على أنه قدر الآية به، لا أنه قراءة.

قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «أَرْنَا» بسكون الراء، الباقر بكسرهما، إلا أن أبا عمرو يختلس<sup>(١)</sup> ولا يشيع.

### ﴿السخة﴾

الْقَيْضُ: أصله البذل، قايضت كذا بكذا، أي: بادلته وعاضته، ومنه: المقايضة في البيع شبه المبادلة، ومنه: هذا قَيْضٌ لكذا<sup>(٢)</sup>، وقِيَاضٌ، أي: مساو،

(١) يختلس: يخس، ت، ل؛ يخلص، د.

(٢) قَيْضٌ لكذا: يقِيض بكذا، ت.

و﴿نَقِضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ [الزخرف: ٣٦] أي: جعلناه مساويًا له<sup>(١)</sup> بالتخلية، ومنه: القِيض التمثيل.

واللغو: ما لا معنى تحته من الكلام. واللغو: الطرح.  
والغلبة: العلو على الخصم وقهره، غَلَبَهُ يَغْلِبُهُ غَلَبًا.

### ❁ الإعراب

(جَزَاءً) نصب<sup>(٢)</sup> على المصدر، أي: جزاهم الله بذلك جزاء.  
(والنار) رفع بمحذوف، أي: هو النار، وقيل: هو بدل من الجزاء الأول، وهو مرفوع.

### ❁ النزول

قيل: كان بعض المشركين يوصي بعضهم فيقول: إذا رأيتم محمدًا يقرأ فعارضوه بالرجز والأشعار، فنزلت الآية، عن ابن عباس.

### ❁ المعنى

ثم بَيَّنَّ حالهم، فقال سبحانه: «وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ» بالتخلية والتمكين، يعني لما كفروا، واستبدلوا بالأنبياء والمؤمنين شياطين الإنس والجن صاروا<sup>(٣)</sup> قرناء لهم، وأضافه إلى نفسه؛ لأنه كان عند تخليته، وهذا كمن ترك العلم واشتغل بالسرقة مع اللصوص، فيصير<sup>(٤)</sup> اللصوص بدلًا من العلماء له قرناء، وتقديره: خلينا بينهم وبين قرناء السوء امتحانًا فتبعوهم، قال الحسن: خلينا بينهم وبين الشياطين بما استوجبوا من الخذلان، وقيل: التقييض: إحواج البعض إلى<sup>(٥)</sup> البعض ليصير بعضهم قرين

(١) مساويًا له: متناولًا له، ت.

(٢) جزاء: وجب نصب جزاء، د.

(٣) صاروا: وصاروا، ت، د، ك.

(٤) فيصير: فيصّر، ت.

(٥) إلى: من، ت، د، ك.

بعض، كما أحوج الغني إلى الفقير في أعماله، والفقير إلى الغني في ماله ونحو ذلك، فأحوج كل واحد إلى غيره ليتعاونوا على طاعته، فتركوا أمره، وتعاونوا على معصيته «قُرْءَاءَ» نظراء «فَرِيتُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ»، قيل: «ما بين أيديهم» من أمر الدنيا زينوه لهم حتى آثروه وعملوا لها «وَمَا خَلْفَهُمْ» من أمر الآخرة دعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث، عن الحسن، والسدي، وقيل: رغبوهم في الدنيا وزهدوهم في الآخرة، وقيل: زينوا لهم، وقيل أهل<sup>(١)</sup> الفساد الذي في زمانهم، وفعل من كان قبلهم، وقيل: ما بين أيديهم: ما عملوا، «وما خلفهم»: ما عرفوا أن يعملوه، وقيل: زينوا لهم ما ارتكبوا من المعاصي، وما خلفهم من أمر المعاد فكذبوا، عن أبي مسلم. وقيل: زينوا لهم إنكار البعث في الآخرة، وإنكار النبوة في الدنيا، وقيل: ما قدموا من أفعالهم السيئة حتى ارتكبوها، وما أسسوه<sup>(٢)</sup> لغيرهم من بعدهم، وقيل: أرادوا<sup>(٣)</sup> النعيم، أي: لم يدعوا وجهًا من المعاصي إلا صيرها<sup>(٤)</sup> إليهم «وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» أي: وجب عليهم وعيده بالعذاب الذي أخبر أنه يعذب به من عصاه، وقيل: «حق» بمعنى المستحق للوعيد، عن أبي مسلم، كما حق على أمم مضوا، وقيل: «في أمم» مع أمم، وقيل: صاروا في أمم أمثالهم كذبوا كتكذبيهم «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ»<sup>(٥)</sup> أي: مضوا قبل هؤلاء، وانقرضوا «مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ» خسروا الجنة ونعيمها، واستحقوا العقاب «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» هذا عطف على ما تقدم من ذكر الكفار، يعني أولئك قالوا ما تقدم، وهؤلاء قالوا هذا القول «لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ» لما عجزوا عن معارضته عدلوا إلى التواصي بترك استماعه، والإلغاء فيه عند قراءته «وَالْعَوَا فِيهِ» قيل: التخليط في القول، والمُكَاء والصفير، عن مجاهد، وقيل: الرجز والشعر، عن ابن عباس، وقيل: الضجيج والصياح، وقيل: أكثروا الكلام؛ لتخلطوا عليه ما يقرأ، عن الضحاك، وقيل: صيحوا في وجهه، عن السدي، وقيل: ارفعوا

(١) +، وقيل أهل: ت، ك.

(٢) وما أسسوه: وما نسبوه، ك.

(٣) أرادوا: أراد، ت، د، ك.

(٤) إلا صيرها: إلا جبوها، ت، ك.

(٥) وقيل في أمم... قبلهم: +، ت، ك.



أصواتكم بالشعر والكلام؛ حتى تلبسوا عليهم ليسكتوا<sup>(١)</sup>، عن مقاتل، وقيل: عيبوه والغوا فيه، عن أبي العالية. «لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ» قيل: لتغلبوا محمداً على قراءته، وقيل: لا تُعلم<sup>(٢)</sup> قراءته فتكونوا أنتم الغالبين عليه «فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ» أي: لنكافئهم «أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» قيل: نجازيهم على أعمالهم السيئة، وهي المعاصي، عن أبي علي، وقيل: نجازيهم بأسوأ من ذلك، وسماه أسوأ على المقابلة، كقوله: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وقيل: لأنه يسوء صاحبه «ذَلِكَ» يعني العقاب المتقدم ذكره «جَزَاءُ أَغْدَاءِ اللَّهِ» وهم العصاة «النَّارُ» يعني ذلك الجزاء «لَهُمْ فِيهَا»<sup>(٣)</sup> دَارُ الْخُلْدِ أي: في النار يدوم ذلك عليهم «جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ».

«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ» يعني إذا أخذهم العذاب وعلم الأتباع أن البلاء حل بهم بسبب المتبوعين<sup>(٤)</sup> الذين أضلوهم، فقالوا هذا القول، وتمنوا أن يريهم، وقيل: «الذين أضلانا»، قيل: أراد إبليس من الجن، وقابيل الذي قتل أخاه من الإنس؛ لأنهما أساس الفساد، وقيل: أراد الدعاة إلى الضلال وأئمة الكفر والبدع «نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَامِنَا» في النار «لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ» أي: في الدرك الأسفل فيكون عذابهما أشد.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: «فزينوا» أن القرناء زينوا المعاصي لهم، وذلك يبطل قول المجبرة: إن الله هو الذي زين.

وتدل على التحذير من قرناء السوء.

ويدل قوله: ﴿سَمِعُوا﴾ أن النبي ﷺ كان يحتج عليهم بالقرآن، ويتحداهم به؛ لذلك منعوا من استماعه.

(١) ليسكتوا: فيسكتوا، ت، ك.

(٢) -، لا تُعلم: يعلم به، د، ك؛ يعلم، ت.

(٣) -، لهم فيها: لهم فيها النار، د، ك.

(٤) بسبب المتبوعين: بسببه، ت.

وتدل على قبح مقابلة الحجة بالسفه، واللهو صنيع المجبرة والمشبهة مع أهل العدل.

وتدل على أن الجن يموتون كالإنس؛ لذلك قال: «خلت». ويدل قوله: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ﴾ أن العقاب يَسْتَحَقُّ على الأعمال. ويدل قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ أن الإضلال من الإنس والجن، خلاف ما تقوله المجبرة. وتدل على <sup>(١)</sup> أنه تعالى لم يخلق فيهم الكفر والضلال؛ إذ لو كان <sup>(٢)</sup> خلق ذلك لما كان لإضلالهم تأثير.

وتدل على وجوب اتباع الدليل دون الرؤساء. وتدل آخر الآية أن عذاب أهل النار يتفاضل على قدر الاستحقاق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

### اللغة

الاستقامة: الاستمرار على الطريقة المستقيمة، يقال: أقام واستقام، كما يقال: أجب واستجاب.

(١) على: -، ت.  
(٢) كان: -، ت، ك.

والولي: القريب النصرة لغيره، ومنه: ولي المرأة.  
والحميم: القريب الذي يحمي صاحبه، حمى يحمي، وَحَمَى اللهُ مَحَارِمَهُ.  
والتُّزُل: الرِّيعُ والنيل، والنزل: ما يقيمه لضيافته إكراماً له، والنزل: الذي يتقرب إليه<sup>(١)</sup> به من الطعام، يقال: أقمت للقوم نُزُلَهُمْ، أي: هيأت ما يصلح<sup>(٢)</sup> أن ينزلوا عليه من القَرَى.  
تَدْعُون: «افتعال» من دعوت «ادَّعى»، يَدَّعي ادِّعاءً، وأصله ادتعاء، قلبت التاء دالاً فصار ادِّعاء<sup>(٣)</sup>، ثم أدغم أحد الدالين في<sup>(٤)</sup> الأخرى فصار ادَّعى.  
وفي تكرير (لا) في قوله: ﴿وَلَا أَلْسِنَةٌ﴾ قولان:  
أحدهما: صلة وتأکید، كقول الشاعر:  
مَا كَانَ يُرْضِي رَسُولُ اللَّهِ فِعْلَهُمْ وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ<sup>(٥)</sup>  
الثاني: لتحقيق عدم المساواة، كأنه قيل: لا يساوي ذلك هذا ولا ذاك<sup>(٦)</sup>، فهو ينفي المساواة.  
والتلقي: أخذ الحديث من غيره، تلقيت الحديث منه: أخذته، قال المؤرج<sup>(٧)</sup>:  
تلقي: قَبِلَ.

### ❁ الإعراب

«نزلاً» نصب على المصدر، وقيل: على تقدير: جعل ذلك نزلاً<sup>(٨)</sup>، وقيل:  
أنزلكم ربكم فيما تشتهون نزلاً.

- 
- (١) إليه: +، ت.  
(٢) ما يصلح: ما يصلحوا، ت.  
(٣) اددعا: أدعى، ت، ك.  
(٤) في: مع، ت، ك.  
(٥) البيت قائله جرير، انظر الديوان.  
(٦) ولا ذاك: -، ت.  
(٧) المؤرج: المزوج، د؛ المروح، ك؛ المورخ، ت.  
(٨) نزلاً: نزولاً، ك.

والهاء في قوله: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾ كناية عن الخصلة، أي: ما يلقي الخصلة المذكورة، أو السيرة المتقدمة، وقيل: كناية عن الأعمال الصالحة.

### ✽ النزول

روى ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال لما نزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ﴾ الآية: «هم<sup>(١)</sup> أمتي<sup>(٢)</sup> ورب الكعبة».

وعن مقاتل أن قوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ نزلت في أبي سفيان بن حرب كان يؤذي رسول الله، ثم صار له ولياً وصهرًا، تزوج بابنته رملة<sup>(٣)</sup> أم حبيبة، وليس في الظاهر ما يدل عليه، وأبو سفيان لم يكن ولياً قط، وقد قال يوم عثمان: إني لأرجو أن يعود ديننا كما عاد الملك إلينا، وقال يوم السقيفة لعلي ما قال، يحثه على محاربة أبي بكر حتى زجره علي، وعلم غشه له وللإسلام<sup>(٤)</sup>.

### ✽ المعنى

لما تقدم وعيد الكفار عقبه بوعد المؤمنين على عادته في الجمع بين الوعد والوعيد، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ اختلف المفسرون فيه على أقوال، قيل: استمروا على أنه دينهم، أي: على الدين، وثبتوا على اعتقاد التوحيد والعدل، وعلى طاعته، واجتناب معصيته، عن الحسن، وقتادة، وابن زيد، وأبي علي، وقيل: استقاموا على ما توجه الربوبية من عبادته، عن أبي مسلم، وعن عمر قال في خطبته: استقاموا على الطريقة والله بطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعلب، وقيل: لم يشركوا به، عن أبي بكر الصديق. ومعنى هذا أن يستقيم على الدين ولا ينقص أصله بفرع، فإذا قالوا: لا شبه له، لم يثبتوا له مكانًا ولا<sup>(٥)</sup> جهة،

(١) هم: +، تفسير القرطبي ٣١١/١٥.

(٢) في د، ك: امس. وفي ت: أنس. وما أثبتناه من تفسير القرطبي ٣١١/١٥.

(٣) رملة: وبه، ت، د.

(٤) وللإسلام: +، ت، ك.

(٥) ولا: +، ت.

ولم يصفوه<sup>(١)</sup> بالأعضاء الخمسة، وإذا قالوا: إنه واحد، لم يثبتوا معه قديماً آخر، وإذا قالوا: إنه عدل حكيم، لا يضيفوا<sup>(٢)</sup> إليه القبائح، وإذا قال: إنه صادق، لا يجوز عليه الخلف في الوعد والوعيد، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود قالوا: ربنا الله، ثم لم يستقيموا، قالوا: عزيز ابن الله، ولعن الله النصارى، قالوا: ربنا الله، ثم لم يستقيموا، قالوا: المسيح ابن الله، ولعن الله المشركين قالوا: ربنا الله، ثم لم يستقيموا، قالوا: الملائكة بنات الله، ورحم الله أمتي، قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا ولم يشركوا به» وقيل: استقاموا على أداء فريضته، عن ابن عباس، [وعن عثمان: اخلصوا العمل لله]<sup>(٣)</sup> وعن<sup>(٤)</sup> سفيان تولوا على وفاق ما قالوا، وقيل: استقاموا على شهادة أن لا<sup>(٥)</sup> إله إلا الله حتى لحقوا بالله، عن مجاهد، وعكرمة. وقيل: أعرضوا عما سوى الله، عن الربيع، وقيل: استقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً، وقيل: استقاموا إسراءاً كما استقاموا إقراراً.

وروي أن النبي ﷺ قرأ القرآن وبكى، فقيل له: أتخاف ممن بعثك؟ فقال: «نعم، إني قد بعثت على طريق مثل حد السيف، إن استقمت نجوت، وإن زعُتُ هلكت».

«تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» عند الموت، عن مجاهد، والسدي، وقيل: إذا خرجوا من قبورهم تستقبلهم الملائكة بهذا القول، عن الحسن، وقتادة، وقيل: في القيامة، عن أبي علي و<sup>(٦)</sup> أبي مسلم، وقيل: البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث، عن وكيع بن الجراح. «أَلَّا<sup>(٧)</sup> تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا» قيل: الخوف يتناول المستقبل، والحزن يتناول الماضي، وهذا نهاية المطلوب، ألا<sup>(٨)</sup>

(١) ولم يصفوه: ولا يصفوه؛ ت، د، ك.

(٢) يضيفوا: يضيف، ت، د، ك.

(٣) أثبتناه من روح المعاني ١٢٠/٢٤، القرطبي ٣١١/١٥، وفي ت، د، ك؛ وعثمان.

(٤) وعن: عن، ت، د، ك.

(٥) أن لا: في د، ك: ألا.

(٦) أبي علي و: +، ت، ك.

(٧) ألا: أن لا، ت، ك.

(٨) ألا: أن لا، ت، ك.

تحزنوا على ما مضى، ولا تخافوا فيما يستقبل، وقيل: لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم<sup>(١)</sup> في دنياكم من أهل وولد، فإننا نخلفكم في ذلك، عن مجاهد. وقيل: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإنني أغفرها لكم، عن عطاء بن أبي رباح، وقيل: لا تخافوا فسعيكم مشكور، ولا تحزنوا فذنوبكم مغفورة «وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» على السنة الرسل وفي الكتب، وهذه<sup>(٢)</sup> البشرية تتضمن غاية الأمانى «نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ» أي: وتقول الملائكة لهم، قيل: هم الحفظة، عن السدي، وقيل: ملائكة البشارة «نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» قيل: كنا معكم في الدنيا، ولا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة، عن مجاهد، وقيل: كنا تتولى حفظكم في الدنيا بأنواع المعونة، وفي الآخرة بأنواع الإكرام «وَلَكُمْ فِيهَا فِي الْجَنَّةِ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ» من أنواع النعم «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ» تسألون وتريدون، وقيل: معناه: ما تَدْعُونَ أنه لكم فهو لكم بحكم ربكم «نُزْلًا» أي: رزقًا «مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ» من الله الذي يغفر الذنوب، ويرحم بإدخال الجنة، وقيل: رحيم يقبل توبتكم ويترك معاصيكم، قال الحسن: أرادوا أن ذلك من الله ليس منا. «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ» أي: لا قول أحسن من قول من دعا إلى الله، إلى توحيد الله وعدله ببيان الأدلة وحل الشُّبُه، وقيل: إلى طاعته، وقيل: هذا الداعي هو النبي ﷺ، عن ابن زيد، والسدي، وقيل: جميع الأئمة والدعاة إلى الحق، عن مقاتل، وجماعة من المفسرين، وقيل: هم المؤذنون، عن عائشة، وعكرمة. والصحيح أنه على العموم، وإنما كان أحسن الأقوال؛ لما فيه من منفعة المدعو.

ومتى قيل: فَلِمَ لَمْ يشترط قبول المدعو؟

قلنا: لأن قبوله فعله، فإذا لم يقبل فالداعي قد فعل ما عليه.

«وَعَمِلَ صَالِحًا» صلى ركعتين بين الأذان والإقامة، عن أبي أمامة الباهلي، والأول الوجه؛ لأنه عام «وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» قيل: من المتقادين يقول: أنا على دين محمد، وملة إبراهيم فيما أدعوكم إليه، ولست ممن يأمرون الناس بالبر وينسون

(١) ما خلفتم: ما خلفكم، ت.

(٢) وهذه: وهذي، ت؛ وهذا، ك.

أنفسهم، وقيل: ذلك إخبار عما مضى، وقيل: بل إخبار عن الحال، «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ» قيل: التأنيث مصروف إلى المعنى، يعني لا تستوي الملة الحسنة التي هي الإسلام، والملة السيئة التي هي الكفر، وقيل: لا يستوي قول الداعي إلى الحق، وقول الداعي إلى الضلال، وقيل: لا تستوي الأعمال الحسنة ولا القبيحة، وقيل: أراد الدعاء على أحسن الوجوه، فإنه أقرب إلى القبول.

ثم بيّن ما يلزم الداعي في<sup>(١)</sup> الدعاء من الفرق بالمدعو، فقال - سبحانه -: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»<sup>(٢)</sup> يعني ادفع بحسن القول كيدهم وأذاهم، وقيل: الحسنة: المداراة، والسيئة: الغلظة، يعني لا تقابلهم بمثل فعلهم، فإذا فعلت ذلك «فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» يعني بعدما كانوا أعداءك يصيرون أولياءك، «ولي» صديق، «حميم» قريب، وقيل: ولي من أقاربك، أو قريب من أقربائك، وقيل: كأنه ولي في الدين حميم في النسب «وَمَا يُلْقَاهَا» أي: ما يُراها ويعطاها، وقيل: لا يوفق لاحتمال الأذى من المخالفين إلا مَنْ له الصبر، وقيل: لا يوفق لهذه الخصلة إلا من له الصبر في الدين «وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» قيل: حظ عظيم أي: نصيب من الثواب، وقيل: ذو حظ عظيم في الحزم والرأي، وقيل: في العلم وحسن الخلق، وقيل: متين على أذى الأعداء وطاعة الله فيما أمر من دفع السيئة بالحسنة، فالأول تكليف بالصبر، والثاني مدح وتعظيم.

### ❁ الأحكام

يدل أول الآية أن المؤمن لا بد له من الاستقامة ليصل إلى الثواب<sup>(٤)</sup>، وأن مجرد القول لا يكفي.

وتدل على أن المؤمن مبشر بكل نعمة، وأنه لا يخاف، ولا يحزن في القيامة، خلاف ما يقوله بعضهم.

- 
- (١) في: منه، ت، ك.  
 (٢) هي أحسن: أحسن السيئة، ت.  
 (٣) وما: ولا، د، ك.  
 (٤) ليصل إلى الثواب: ليصله الثواب، ت، ك.

وتدل على عظم حال الملائكة حتى كان لهم محل الشفاعة .  
 وتدل أنهم يحفظون أعمالنا .  
 ويدل قوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا ﴾ أن الدعاء إلى الدين من أعظم الطاعات . وتدل على وجوبه .  
 وتدل على أن الداعي يجب أن يكون عاملاً ، فيكون الناس إلى القبول منه أقرب .  
 وتدل على أن القول لا ينفع ما لم يقترن به العمل على ما نقوله .  
 وتدل على أن اسم الإسلام يتضمن المدح والتعظيم .  
 وتدل على أنه يجوز أن يقول : أنا مسلم ، من غير استثناء .  
 وتدل على وجوب دفع السيئة بالحسنة ، وأنه من أعظم الخصال ، فينبغي للداعي إلى الحق أن يدعو بالرفق وطريق التواضع ولطف القول .

قوله تعالى:

﴿وَمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦) وَمَنْ  
 ءَايَتِهِ آيَلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا  
 لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ تُعْبُدُونَهُ (٣٧) فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ  
 رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ  
 خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ  
 شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ  
 مَنْ يَأْتِيَ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) ﴿

### اللمعة

النزغ والهمز: الوسوسة، وقيل: النزغ: الإغراء، وقيل: الإفساد، يقال: نزغ  
 بيننا أي: أفسد، نَزَغٌ نَزْغٌ فهو نازغ.



والاستعاذة: طلب الاستعصام من الشر. والسَّأْمُ والسَّامةُ: المَلَلُ<sup>(١)</sup>.  
والخشوع: السكون والتذلل، ونظيره: الخضوع.  
والرَّيْبُ<sup>(٢)</sup>: المكان المرتفع، وأصله من الزيادة، ربا يَرْبُو: إذا زاد على غيره.

### الإعراب

«خلقهن» إنما ذكر بالتأنيث؛ لأنه أجري على طريق التكسير، ولم يَجْرِ على طريق التغليب<sup>(٣)</sup> للمذكر على المؤنث؛ لأنه فيما لا يعقل، وقيل: الهاء تنصرف إلى الآيات، عن الزجاج.

### النزول

قيل: نزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ في أبي جهل بن هشام.  
وقوله: ﴿أَمْ مِّنْ يَّأْتِي ءَامِنًا﴾<sup>(٤)</sup> في عثمان بن عفان، عن مقاتل، وقيل: في عمار.  
﴿أَمْنَ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ نزل في أبي جهل.

### المعنى

لما تقدم الأمر بحسن الدعاء، عقبه بالاستعاذة من وسوسة الشيطان في خلافه، فقال سبحانه: «وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ» أي: وسوسة وقول فاسد يبعثك<sup>(٥)</sup> على الغضب وسوء الاحتمال عند سماع أذاهم وسوء مقاتلهم «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» أي: اعتصم به؛ ليكفيك كيده ومكره ووسوسته، قيل: الخطاب له [و] واجب عليه الاستعاذة مع جلالته<sup>(٦)</sup> فمن<sup>(٧)</sup> دونه أولى بغيره من مفهوم الآية. وقيل: الخطاب للكافة وإن كان

- (١) الملل: المذل، ت، ك.
- (٢) في ك: والريب.
- (٣) التغليب: -، ت.
- (٤) ءامنا: أمن، ت، د، ك.
- (٥) يبعثك: ليعينك، ت.
- (٦) جلالته: دلالة، د.
- (٧) فمن: فهو، ت، د، ك.

الظاهر أنه<sup>(١)</sup> له صلى الله عليه وسلم «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» بوسوسته واستعاذتك «الْعَلِيمُ» بما في ضمير كل واحد «وَمِنْ آيَاتِهِ» أي: حججه الدالة على وحدانيته وربوبيته «اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ» أصلهما ومقدارهما<sup>(٢)</sup>، والزيادة والنقصان فيهما «وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» إعادتهما وحركاتهما وسيرهما، وزيادة القمر ونقصانه، وأنها تكون مرة صاعدة، ومرة هابطة، ومرة طالعة، ومرة غاربة، وجميع ذلك من الدلالة على حدثها، وأن لها محدثاً مدبراً «لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ»<sup>(٣)</sup> قيل<sup>(٤)</sup>: كان قوم من العرب يسجدون لهما فهو عن ذلك، وقيل: هم المجوس والصابئون «لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» قيل: إن كنتم تتقربون إلى الله بالسجود للشمس<sup>(٥)</sup> والقمر، فلا تسجدوا لهما، واسجدوا لمن خلقهما، وقيل: أراد إن كنتم تريدون عبادة من يستحق العبادة<sup>(٦)</sup>، فهو تنبيه على صرف العبادة إلى الله تعالى، كأنه قيل: إن كنتم تطلبون المعبود، وقيل: العبادة شكر المنعم، فيجب أن تكون للمنعم دون من لا يملك ضراً ولا نفعاً، وقيل: إن كنتم تقرون به، وترغبون في عبادته، عن أبي علي. «فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا» يعني تكبروا وأنفوا عن قبول الحق والسجود له تعالى «فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ» يعني الملائكة، والمراد بقوله: «عِنْدَ رَبِّكَ» بالكرامة والمنزلة، يعني أنهم مع عظم حالهم لا يستكبرون عن عبادته، فهؤلاء لماذا تكبروا لولا<sup>(٧)</sup> جهلهم؟ «يُسَبِّحُونَ لَهُ» أي: ينزهونه عما لا يليق به «بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» يعني على الدوام، ولا يدعون عبادته<sup>(٨)</sup>، «وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ» منها «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً» قيل: أراد أنها يابسة

(١) أنه: هو، ت، د، ك.

(٢) أصلها، ومقدارهما: أصلها ومقدارها، ك.

(٣) واسجدوا لله . . . تعبدون: -، ت، ك.

(٤) قيل: قال، د، ك.

(٥) بالسجود للشمس: بسجود الشمس، د، ك.

(٦) العبادة: عبادة، ت.

(٧) لولا: -، ت، ك.

(٨) عبادته: عادته، ك.

متهشمة<sup>(١)</sup> لا نبات فيها، عن قتادة، والسدي، وقيل: شبه الأرض بخلوها<sup>(٢)</sup> عن النبات بالرجل العاري لفقره يكون ذليلاً خاشعاً، ثم يحييها بالمطر، ويزيل خشوعها بالنبات، وهذا من فصيح الكنايات «فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ» يعني بالماء المطر، «اهتزت» أي: تحركت الأرض بالنبات، وقيل: فيه تقديم وتأخير في ربّت واهتزت، «وربت» قيل: انتفخت، عن السدي، وأبي علي، إن الطين إذا أصابه الماء حصل فيه انتفاخ، وقيل: زادت يعني<sup>(٣)</sup> أخرجت<sup>(٤)</sup> النبات، ونمت واهتزت، والاهتزاز: التحرك للنشاط «إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ» يعني مَنْ قَدَرَ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِإِخْرَاجِ النَّبَاتِ قَدَرَ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوَاتِ وَإِعَادَةِ الْخَلْقِ «إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» يعني قادر، إلا أن في قدير مبالغة؛ لأنه قادر، أراد أنه لا يجوز عليه العجز «إِنَّ الَّذِي يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا» أي: يميلون عن الحق في حججنا، وفيه قولان:

الأول: آيات القرآن، ثم اختلفوا في الإلحاد<sup>(٥)</sup> فيه، ف قيل: تبديل الكلام من موضعه في غير موضع، عن ابن عباس.

وقيل: بالمكاء، واللغو، والتصدية، عن مجاهد.

وقيل: بالكذب، عن قتادة، وابن زيد، والسدي.

وقيل: ترك محكمها، والتعلق بمتشابهها، وتأويلها بخلاف الحق.

والثاني: المراد آيات التوحيد والعدل انصرفوا عنها، ولا يستدلون بها.

وقيل: الإلحاد فيها: الميل عنها إلى القول بالطبائع وقدم العالم ونحوها.

«لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا» يعني نعلمهم ونعلم أحوالهم فنجازيهم «أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ» هذا تهديد، أي: بينا الحق فَمَنْ عَمِلَ بِالْخَيْرِ نَجَا، وَمَنْ عَمِلَ بِالشَّرِّ هَلَكَ «إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» عالم، فيجازيكم بما تستحقون.

(١) متهشمة: منهشمة، ت.

(٢) بخلوها: لخلوها، ت، ك.

(٣) يعني: ت.

(٤) أخرجت: خرجت، د.

(٥) الإلحاد: بالإلحاد، ت، ك.

## الأحكام

الآية تدل على أن الشيطان يوسوس ويضل، وأن الواجب على العبد الاستعاذة بالله من شره.

وتدل على أن للشيطان فعلاً، وللعبد فعلاً، وأنه يستعين بالله تعالى، ولو كان الجميع خلقاً له تعالى لما كان للكلام معنى.

وتدل (١) الآيات على توحيد الله، وأنه الصانع المدبر، وأن العالم محدث.

وتدل (٢) على صحة الحجاج في الدين.

وتدل (٣) على أن الملائكة مكلفون.

وتدل (٤) على أن المؤمن يكون آمناً يوم القيامة، خلاف ما يقوله بعضهم.

ويدل قوله: «اعملوا» على زجر عظيم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاِبَةٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَبِي وَعَرَفِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾

(١) وتدلل: ويدل، ت.

(٢) وتدلل: ويدل، ت.

(٣) وتدلل: ويدل، ت.

(٤) وتدلل: ويدل، ت.

## ❁ القراءة

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «أَعْجَمِيَّ» بهمزتين على الاستفهام، وقرأ الباقون بهمزة واحدة على أصلهم في أمثاله، كقوله: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] وأمثالها<sup>(١)</sup> على الاستفهام، وعن الحسن بهمزة واحدة على الخبر، وروي نحوه عن ابن عامر، ووجه ذلك: أنهم زعموا هَلَّا<sup>(٢)</sup> أنزل القرآن عريئاً وعجمياً، والوجه<sup>(٣)</sup> الأول أنه على الاستفهام.

وقراءة العامة: «عَمَى»<sup>(٤)</sup> بفتح العين والميم على المصدر، وعن ابن عباس بكسر الميم، فعلى الأول محله رفع؛ لأنه خبر، وعلى الثاني هو نعت لاسم محذوف<sup>(٥)</sup>، أي: عليهم شيء عم.

## ❁ اللغة

الذكر: يكون بالقلب، ويكون باللسان، وسمي الكتاب ذكراً؛ لأنه يذكر فيه الدلائل والأحكام والمواعظ.

والأعجمي: الذي لا يفصح، يقال: رجل أعجمي وإن كان عربياً في النسب، ورجل عجمي<sup>(٦)</sup>، إذا كان عجمي<sup>(٧)</sup> النسبة، وإن كان فصيحاً بالعربية. والوَقْرُ: الثقل في الأذن.

## ❁ الإعراب

يقال: أين جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؟

- 
- (١) وأمثالها: ونحوها، ت، ك.
  - (٢) هلا: أن لا، ت.
  - (٣) والوجه: والواجب، د.
  - (٤) عمى: عجمي، ت.
  - (٥) محذوف: المحذوف، ت.
  - (٦) عجمي: أعجم، ت، د، ك؛ لسان العرب (٣٨٥/١٢)، تاج العروس (٨١٠/١)، جمهرة اللغة (٢٤١/١).
  - (٧) عجمي: أعجمي، ت، د، ك.

قيل : محذوف، وتقديره : لما جاءهم كفروا.

ويحكى أن عيسى بن عمر سأل عمرو بن عبيد «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» أين خبره؟ فقال<sup>(١)</sup> : معناه : في التفسير لما جاءهم كفروا به، فقال : أصبت يا أبا عثمان .

وقيل : مذكور، وهو قوله : ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ .

وقيل : جوابه في قوله : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ تقديره<sup>(٢)</sup> : إن الذي<sup>(٣)</sup> جاءهم كتاب عزيز .

وقيل : تقديره خابوا<sup>(٤)</sup> وهلكوا، فحذف .

### النزول

قيل : إن المشركين قالوا : إنما يعلمه لسان أبو فكيهة<sup>(٥)</sup>، غلام ابن الحضرمي، وكان يهوديًا أعجميًا، فمر به ابن الحضرمي، وقال : إنك تعلم محمدًا؟ فقال : بل هو يعلمني، فأنزل الله تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا﴾، عن مقاتل .

وقيل : قال المشركون : هلاً أنزل القرآن بعضه عربيًا، وبعضه عجميًا، فنزلت<sup>(٦)</sup> الآية، عن سعيد بن جبير .

### المعنى

ثم رد عليهم إلحادهم في آيات الله تعالى، فقال سبحانه : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ» قيل : بالقرآن أشار إلى أنه نعمة عليهم؛ لما فيه من معالم دينهم ثم كفروا به «لَمَّا جَاءَهُمْ» أي : حين جاءهم «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ» قيل : كريم على الله، عن

(١) فقال : قال، ت، ك.

(٢) تقديره : يقدر به، ت.

(٣) الذي : الذين؛ ت، د، ك.

(٤) خابوا : خاضوا، ك.

(٥) أبو فكيهة : أبو فيكة، ت.

(٦) فنزلت : ونزلت، ت، د، ك.

ابن عباس . «عَزِيزٌ» بإعزاز الله من إكرامه وحفظه من النقص، وقيل: «عَزِيزٌ» أي: منيع<sup>(١)</sup> لا يقدر أحد من العباد أن يأتي بمثله، وهو حجة لا يبلغه أحد «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» قيل: الباطل الشيطان أي لا يقدر الشيطان<sup>(٢)</sup> أن ينقص منه حقاً، أو يزيد فيه باطلاً، عن قتادة، والسدي، وقيل: لا يأتي بشيء يوجب بطلانه بما وجد قبله أو معه، ولا يوجد بعده كتاب يبطله بنسخه<sup>(٣)</sup>، عن الكلبي، وقيل: ليس فيه باطل من أول تنزيله إلى آخره، عن الحسن، وقيل: لا باطل في إخباره عما تقدم ولا عما تأخر، وقيل: لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات، فلا نقص في آياته، ولا كذب في أخباره، ولا تنسخ أحكامه<sup>(٤)</sup>، ولا تبطل ولا تعارض، ولا يزداد فيه، ولا يغير؛ بل هو محفوظ ثابت، حجة<sup>(٥)</sup> إلى يوم القيامة «تَنْزِيلٌ» أي: إنما كان كذلك؛ لأنه تنزيل، أي: حجة منزل «مِنْ» جهة «حَكِيمٍ» محكم أفعاله، فلا<sup>(٦)</sup> يكون فيها عبث وباطل، وهو «حَمِيدٌ» في جميع أفعاله، وقيل: حميد بإنزاله، والحميد المحمود. «مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ» قيل: ما يقال لك فيما يوحى إليك إلا ما قد قيل للرسول من قبلك من الدعاء إلى الحق، وعبادة الله تعالى، ولزوم طاعته، فليمتعجبون؟ وقيل: ما يقال لك في هذا القرآن من التوحيد إلا ما قد قيل للرسول من قبلك في كتبهم، وقيل: معناه ما حكى من بعده<sup>(٧)</sup> «إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ» فيكون على جهة الوعد والوعيد، وقيل: هو تعزية وتسلية للنبي صلى الله عليه، أي: ما يقول هؤلاء الكفار لك إلا كما قد قيل للأنبياء قبلك، عن السدي، وقاتدة، وأبي علي، وقيل: لا يشتغلون بالحجج وإنما يشتغلون بالشبه<sup>(٨)</sup> والتكذيب مثل الأمم الماضية،

(١) أي منيع: أي ممتنع، ت.

(٢) أي لا يقدر الشيطان: +، ت، ك.

(٣) بنسخه: ينسخه، ت.

(٤) أحكامه: الحكاية، ت، ك.

(٥) حجة: به حجة، ت، د، ك.

(٦) فلا: ولا، ك.

(٧) من: +، ت، د، ك.

(٨) بالشبه: والسيئة، ت.

وقيل: ما يقال لك ساحر أو مفترى إلا وقد قيل للأنبياء قبلك «إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ» لمن أطاعه وأناب إليه «وَذُو عِقَابٍ» لمن عصاه، وقيل: ذو مغفرة لك ولمن تبعك، وذو عقاب لمن لم يتبعك «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ» أي: جعلنا<sup>(١)</sup> القرآن «أَعْجَمِيًّا» يعني بلغة العجم «لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ» أي: هلا بينت «آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ» وقيل: معناه أنه ادعى بأنه مبعوث إلى العرب والعجم، قالوا: هلا كان القرآن مشتملاً على العربي والعجمي؛ ليكون حجة على الفريقين، هذا إذا لم يكن استفهاماً ولكن حكاية من جهتهم. وأما إذا حمل على الاستفهام اختلفوا في معناه، فقيل: القرآن أعجمي ومحمد عربي، عن سعيد بن جبير، وقيل: لقالوا قرآن عجمي ونحن عرب هلا كان بلغتنا لنفهمه، فيكون حجة لهم، عن السدي، وأبي علي، وقيل: تم الكلام عند قوله: «آيَاتُهُ» ثم استأنف فقال: «أعجمي وعربي» أي: كيف [يكون] الرجل عربياً والقرآن أعجمياً، وفيه تعجب، أي: لو كان أعجمياً لكان لهم الحجة، وقيل: إنا أنزلنا القرآن عربياً معجزاً ليكون حجة له<sup>(٢)</sup>، ولو كان عجمياً لاعتلوا بأننا لا نعرفه، فقطع هذا العذر «قُلْ» يا محمد «هُوَ» أي: القرآن «لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى» دلالة على الحق وطريق الجنة والنجاة، يهتدون بها «وَشِفَاءٌ» من كل شك وريب وشبهة نزول به «وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى» الوقر الثقل، أي: يثقل عليهم سماعه، ولا ينظرون فيه، ولا يسمعون، فهو بمنزلة من به صمم<sup>(٣)</sup> وعمى، وإنما أضاف الصمم<sup>(٤)</sup> والعمى إلى القرآن، وإن كان لا يوجب القرآن ذلك؛ لأنه وقع عنده، كقوله: «رَبِّ إِيَّاهُ أَصْلَحَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ» [إبراهيم: ٣٦]، «أَوَّلَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» أي: كالذين ينادون من مكان بعيد يسمع صوتاً، ولا يفهم معنى ما يخاطبون به، عن أبي علي، وقيل: ينادى الرجل بأشنع أسمائه<sup>(٥)</sup>، عن الضحاك. فيكون في القيامة جزاء لهم

(١) جعلنا: جعلناه، ت.

(٢) له: -، ت.

(٣) صمم: صم، ت.

(٤) الصمم: الصم، ت.

(٥) أسمائه: اسمه، ت، د، ك.



«وَلَقَدْ آتَيْنَا» أعطينا «مُوسَى الْكِتَابَ» يعني التوراة «فَاخْتُلِفَ»<sup>(١)</sup> فيه أي : كما صنع قومك من التكذيب كذلك فعل قوم موسى «وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ» أي : لولا وعد الله سبقهم<sup>(٢)</sup> إلى أجل مضروب لأهلكهم، وقيل : لولا كلمة سبقت في تأخير العذاب لفرغ من عذابهم وهلاكهم، وقيل : لولا ما أوجب الله على نفسه من الرحمة بأمهالهم ليتوبوا لأهلكهم، وقيل : الكلمة السابقة قوله تعالى : ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر : ٤٦] أي : لولا أنه وعد تأخير جزائهم إلى يوم القيامة لعجل لهم العذاب «وَأِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ» أي : هم في شك وتهمة، والريب شك مع تهمة.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على حَدَثِ القرآن لقوله : ﴿تَنَزَّلُ﴾ ولقوله : ﴿جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا﴾ وكلاهما لا يليق بصفة القديم.

ويدل قوله : ﴿حَكِيمٌ﴾ أنه لا يفعل القبيح، ولا يخلق الكفر والقبائح. وتدل على أن القرآن كله عربي ليس فيه غير لغة العرب، خلاف ما يقوله بعضهم.

ويدل قوله : ﴿هُدًى﴾ أنه يعرف به الأحكام. وتدل أنه إنما جعل القرآن عربياً لقطع عذرهم إنما يتخذ [فيقولوا بأننا عرب]<sup>(٣)</sup> فلا نعرف لغة العجم، فإذا كان الله تعالى قطع هذا العذر فكيف يخلق فيهم الكفر، ويمنعهم من الإيمان؟

وتدل على<sup>(٤)</sup> أن القرآن حجة.

ويدل قوله : ﴿لَفِي شَكٍّ﴾ أن المعارف مكتسبة.

(١) فاختلف : واختلف، ك.

(٢) سبقهم : لسبقهم، د، ك.

(٣) +، من فتح القدير ٦/ ٣٦٠.

(٤) على : -، ت، ك.

قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامٍهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْتُهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ .

### ❁ القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر، ونافع وحفص عن عاصم: «مِنْ ثَمَرَاتٍ» بالالف على الجمع، وقرأ الباقر: «مِنْ ثَمَرَةٍ» بغير ألف على واحده.  
قراءة العامة: ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾، وعن ابن مسعود: «من دعاء بالخير».

### ❁ اللفظة

الظَّلَامُ: الفاعل لأفحش الظلم، والظالم: الفاعل للظلم، وفي «ظلام» مبالغة.  
والأكمام: جمع كُمَّة، وهو الطوق<sup>(١)</sup> المحيط بالشيء المغطي له، وكل شجرة تخرج ثمرًا مكمًا فهي ذات أكمام، وأكمام النخلة ما غطي جُمَارَهَا من السعف والليف<sup>(٢)</sup>، وكُمُّ الطَّلَع: مُسْتَرهَا ومنه: كم القميص؛ لأنه يغطي اليد، ومنه قيل للقلنسوة: كمة؛ لأنها تغطي الرأس، فكل ما وارى شيئًا فهم كُمٌ، وكَمَامٌ وبَدَلُهُ [كَمَهُ

(١) في د، ك: الظرف.

(٢) والليف: واليد؛ ت، د، ك.

مفرد جمعه أكمة وهو ما يوضع على الفم<sup>(١)</sup>، وتكمكم<sup>(٢)</sup> الرجل في ثوبه: إذا تلفف به.

والأذان: الإعلام.

والمَحِيصُ: المعدل والمنجى، حاص حَيْصًا وحياصًا: إذا مال ملجأ<sup>(٣)</sup>، وحاص عنه: تنحى.

وسَيْمٌ يَسْأُمُ سَأْمًا وسَامة: إذا ملَّ.

### ❁ الإعراب

«من ثمرة» قيل: (من) صلة.

### ❁ النزول

قيل: إن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه: إن كنت نبيًا فأخبرنا عن الساعة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

### ❁ المعنى

ثم أكد الحجة، فقال سبحانه: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا» يعني النفع والضرر فيما يفعله كل واحد لا يعود إلى غيره؛ بل يكون جزاؤه له، فإن أجبتكم فنفعه يعود عليكم، وإن<sup>(٤)</sup> أبيتم فضره كذلك، وهذا كلام لمن يقبل وعظه، ووعيد لمن لا يقبل «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» لا يبخس المحسن من ثوابه، ولا يزيد المسيء على ما استحق<sup>(٥)</sup>.

ومتى قيل: لِم قال «ظلام» على المبالغة، وهو لا يظلم مثقال ذرة؟

(١) انظر الصحاح ٢٠٢٤/٥.

(٢) وتكمكم: وبكم، ت.

(٣) ملجأ: ملجأ؛ ت، د، ك.

(٤) وإن: وإذا، ك.

(٥) استحق: المستحق، ت.

قلنا: فيه أقوال:

أولها: أنه لو فعل الظلم وإن قل<sup>(١)</sup> وهو غني عنه عالم به وبغناه، لكان ظلامًا.  
وثانيها: أنه على طريق الجواب لمن زعم أنه يفعل كل ظلم، فقال: ما هو بهذه  
الصفة التي يتوهمها الجاهل، فيأخذ أحدًا بذنب غيره.

ثم بيّن أن وقت القيامة الذي هو يوم الجزاء هو العالم بها القادر عليها، فقال  
- سبحانه -: «إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ» يعني لا يعلمها غيره، فعلمه مردود عليه،  
والساعة: القيامة<sup>(٢)</sup> التي يقع فيها الجزاء، وكذلك علم الثمار «وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ  
مِنْ أَكْمَامِهَا» من أوعيتها «وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» يعني يعلم قدر الثمار  
وكيفيتها، وأجزائها<sup>(٣)</sup> وطعومها، وروائحها، وكيف يخرجها، ويعلم الحبالى وما في  
بطونها، وكيفية انتقالها حتى يصير بشرًا سويًا «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ» قيل: يناديهم الله تعالى ذمًا  
وتوبيخًا، وقيل: يناديهم مناد «أَيْنَ شُرَكَائِي» الذين كنتم تعبدونها، وتدعون أنها  
آلهة<sup>(٤)</sup>، لا ينفعونكم اليوم «قَالُوا آذْنَاكَ» أي: أعلمناك، عن ابن عباس، ولا يجوز  
أعلمناك على أنهم أعلموا<sup>(٥)</sup> الله تعالى؛ لأنهم يضطرون أنه<sup>(٦)</sup> تعالى عالم لذاته،  
وبكل<sup>(٧)</sup> معلوم، فالمراد به الذلة والخضوع، أي: تعلم أنا تبرأنا منه، وقيل:  
أسمعناك، وقيل: أقررنا لك، عن أبي علي. «مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ» يشهد أن لك شريكًا،  
وقيل: هذا قول الأصنام يحييهم الله، فيقولون ذلك ردًا عليهم<sup>(٨)</sup>، بأننا لا نقول ما قال  
أولئك فينا، وقيل: هو قول المشركين على وجه الذلة والاعتراف على أنفسهم،  
والبراءة من شركهم، أي: ما منا من شهيد يشهد بأنها آلهة، عن أبي علي، وقيل:

(١) والظلم وإن قل و: -، ت؛ والنقل: ك.

(٢) القيامة: القائمة، ت.

(٣) وأجزائها: ولجزاها، ت.

(٤) آلهة: الله، د.

(٥) أعلموا: علموا، ت، ك.

(٦) +، أنه: أنه في ت، ك.

(٧) وبكل: بكل، د.

(٨) في ردًا عليهم: على عابديهم، ت، ك.

يجوز أن يقول ذلك العابد والمعبود «وَضَلَّ عَنْهُمْ» بطل<sup>(١)</sup> عنهم، قيل: بطل ما أملوه من أصنامهم، وقيل: هلك وذهب عنهم ذلك «وَوَظَّنُوا» أيقنوا، عن السدي وجماعة. «مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ» أي: مهرب وملجأ، وقيل: غلب على ظنهم من كثرة الأمارات، وليس ذلك بصحيح؛ لأنهم يضطرون إلى معرفة ذلك.

ثم بيّن طريقته في الدنيا، فقال - سبحانه - : «لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ» أي: لا يَمَلُّ، عن ابن زيد، يعني بحرصه يداوم على دعاء الخير وما يليه، ولا يشبع «مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ» أي: من دعائه بالخير، وهو المال وصحة الجسم وملاذ الدنيا «وَلِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ» نالته شدائد الدنيا «فَيَتُوسَّ قُنُوطٌ» يعني يقل صبره، ويستشعر اليأس والقنوط، ذلك لجهلهم، ولو علموا المصالح وأنه تعالى يفعل الأصلاح، لما كانت عادتهم هذه، والقنوط أبلغ من<sup>(٢)</sup> اليأس «وَلَيْنِ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا» أي: نعمة وعافية «مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتُهُ» أي: بعد شدة نالته في ماله أو نفسه وأولاده، وهو<sup>(٣)</sup> قنط من ذلك، فإذا أتاه النعمة جهل فَضَّلَ الله، ولم يشكر نعمه؛ بل يعتقد أنه مِنْ عِلْمِهِ وتدبيره، فيقول: «هَذَا لِي» أنا أحق به؛ لأنه بفضل علمي حصل «وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» على ما وعدّها الأنبياء «وَلَيْنِ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي» بناء على التقدير لا على التحقيق، يعني لا تقوم الساعة، ولئن قامت ورجعت إلى الله على ما تزعمون ف«إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى» قيل: بشفاعة الأصنام، وقيل: لأنه أعطانا النعم في الدنيا، وذلك لمنزلة لنا عنده، فيعطينا كذلك في الآخرة، وهذا غاية جهلهم، فإن نعم الدنيا قسمة استصلاح وعطاء وفضل، وثواب الآخرة يحصل باستحقاق، وقيل: بل يقولونها هوى وتكديبا، وعن الحسن بن محمد ابن الحنفية: الكافر بين أمنيّتين: أما في الدنيا فيقول: «وَلَيْنِ رُجِعْتُ إِلَيَّ رَحِمَةً» إِنَّ لِي عِنْدُكَ لِلْحُسْنَى، وفي الآخرة يقول: «يَلَيَّنِي كُتُّ رَبِّكَ» [النبأ: ٤٠]، «فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» قيل: نخبرهم بأن نجازيهم عليها «وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ» قيل: شديد، وقيل: دائم، وقيل: متراكم أنواع العذاب.

(١) بطل: وبطل، د.

(٢) من: +، ت، ك.

(٣) وهو: وقد، ت، ك.

## الأحكام

يدل قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ أن للمكلف فعلاً، وأنه مختار يقدر على الشر والخير.

ويدل قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أنه لا يعذب أحداً بذنب غيره، ولا يخلق الكفر، ولا يمنع من الإيمان؛ إذ لا ظلم أعظم من أن يخلق الكفر فيه، ويمنعه من الإيمان ولا يعطيه قدرة للإيمان<sup>(١)</sup> ثم يعذبه على ذلك أبداً. وتدل الآية أن وقت القيامة من معلومه.

ويدل قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ على بطلان قول أصحاب الإلهام<sup>(٢)</sup> والمعارف.

وتدل على أن اليأس والقنوط عادة الكفار والجاهل بالله تعالى.

وتدل الآية على<sup>(٣)</sup> أن الواجب على العبد عند النعمة الشكر وإضافتها إلى<sup>(٤)</sup> الله تعالى، وعند المحنة انتظار الفرج، وفيه تحذير من القنوط، وفي الخبر عن النبي: «انتظار الفرج عبادة».

ويدل قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ﴾ أن الجاهل في الدين لا يُعَذَّرُ<sup>(٥)</sup>.

وتدل على أن أحوال النعم في الدنيا والمحن لا يعتبر به أحوال الآخرة، فكم من ملك ذي نعم يومئذ معذب، وكم من مُمْتَحَنٍ وفقير يومئذ مثاب مُنْعَمٍ.

(١) للإيمان: الإيمان، ت، ك.

(٢) الإيهام: الإيهام، ت، ك.

(٣) على: -، ت.

(٤) وإضافتها إلى: ورضا فيها، ت، ك.

(٥) لا يعذر: لا يقدر، ت، ك.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۝٥١ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝٥٢ سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ۝٥٤﴾.

### اللغة

الإعراض والتولي والإدبار نظائر، أعرض عنه إعراضاً.

والتأني بالجانب: التباعد على طريق الاستكبار عما يُدعى إليه ويؤمر به، وأصل النأي: البعد، ونأى ينأى نأياً: إذا تباعد.

والشقاق: هو الميل إلى شق العداوة، ومفارقة أهل الحق، وأصله: المباعدة، ومنه: بيني وبينه شقة نازحة، قال بشر:

وَلَا فَاغْلُمُوا أَنَا وَأَنْتُمْ مُعَاوِيَ مَا حَيَيْنَا فِي شِقَاقٍ<sup>(١)</sup>  
أي: مباعدة عداوة، ومنه: ﴿بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ﴾ [التوبة: ٤٢].

### المعنى

ثم عطف عادات الإنسان على ما تقدم منها، فقال - سبحانه - : «وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ» عن شكره «وَنَسَى بِجَانِبِهِ» تباعد عن الحق كبراً، وقيل: نأى بجانبه: أعرض عن شكره والقيام بحقه «وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ» أي: إذا نالتهم

(١) معاوى: معاو، ت، د، ك.

البيت قائله بشر بن أبي خازم الأسدي في قصيدة مطلعها:

أهمت منك سلمى بانطلاق وليس وصال غانية بباقي

أنظر ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق عزة حسن. ص ١٧٧ - ١٨١، دار الشرق العربي.

مصيبة ضجروا، وإذا نالتهم نعمة بطروا، والدعاء العريض: الكبير، عن السدي، وذكر العَرَضُ فيه<sup>(١)</sup> مبالغة؛ لأن العَرَضَ يدل على الطول، والطول لا يدل على العرض؛ إذ يصح طول بغير عرض ولا يصح عرض لا طول له «قُلْ» يا محمد لهؤلاء «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ هَٰذَا الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»، وقيل: إن كان هذا الإنعام من عند الله، وقيل: أنما توعدون من البعث والجزاء<sup>(٢)</sup> من قوله<sup>(٣)</sup> ووعدته «ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ» وكذبتم، وهذا احتجاج عليهم في شكهم فيما في القرآن من الوعد والوعيد، وبنعمه عليهم<sup>(٤)</sup>، ولم يقوموا بحقه «مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» أي: عصيان ومفارقة عن الحق، أي: من أضل منكم، ومن أشد معصية «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ» البلايا والأمراض، عن ابن عباس، وقيل: ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ الفتح لمحمد صلى الله عليه وأمه ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فتح مكة، عن السدي، وقيل: ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ وقائع الله في الأمم، ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يوم بدر، عن قتادة، وقيل: ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ أقطار الأرض والسماء من الشمس والقمر، والنجوم، والنبات، والأشجار، والأنهار، والبحار، والجبال، وما فيها من الأمطار ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصنعة، وبديع الحكمة، وتركيب آلات الغذاء، والأعضاء، والجوارح، ومجاري الدم، والحواس، وآلات النطق<sup>(٥)</sup>، عن عطاء، وابن زيد، وقيل: ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ ما يظهر من أنواع العبر، وتغيير الأحوال، ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ تغير الأحوال من لدن كونه نطفة إلى أن يصير شيخاً، وقيل: ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ ما كان النبي يخبرهم به<sup>(٦)</sup> من الحوادث، فيرون مصداق ذلك، ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ما كان بمكة من انشقاق القمر. «حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» أي: يظهر لهم أنه الحق، قيل: التوحيد حق، وقيل: إخبارك حق، وقيل: الإسلام حق، وقيل: محمد حق، وقيل: القرآن حق «أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» قيل: هو وعد

(١) فيه: +، ت.

(٢) والجزاء: من الجزاء، ت، ك.

(٣) من قوله: يقوله، ت.

(٤) عليهم: عليكم، ت.

(٥) وآلات النطق: والآلات والنطق، د.

(٦) به: +، ت.



للمؤمنين، ووعد للكافرين، يعني ألم<sup>(١)</sup> يكف شهادة الله أعمالهم فيجازي كل أحد بعمله، ويتنصف للمظلوم من ظالمه، وقيل: هو وعيد للمؤمنين بالنصر، وقيل: أولم يَكْفِ بربك شاهدًا أن هذا القرآن هو الذي أنزله، وأنه حق، وقيل: أولم يكف بربك مجازيًا لهؤلاء «أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ» قيل: في شك من لقاء جزائه وثوابه وعقابه، فذكر نفسه وأراد الجزاء تفخيماً، كما جعل مجيء أحوال القيامة مجيئاً له، وقيل: في شك من لقاء ربهم إياهم، وما يعملون، ولا يجوز حمل اللقاء على الرؤية؛ لأن اللقاء عبارة عن استقبالك الشيء، وهذا لا يجوز على الله تعالى «أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ» عالم بها قادر عليها، وقيل: عالم<sup>(٢)</sup> بأعمالهم، قادر على جزائهم.

### ❁ الأحكام

يدل أول الآيات على أن لله تعالى على الكفار نعمة يجب شكرها، خلاف قول المجبرة.

وتدل على وجوب شكر النعمة والعمل بمقتضاها.

وتدل على أن الإعراض والدعاء فِعْلُ العبد؛ لذلك أضافه إليه، ووبخه عليه.

ويدل قوله: ﴿سَأْتِيهِمْ﴾ على وجوب التفكير في آيات الله، وأنه طريق معرفته ومعرفة صفاته وأفعاله.

(١) ألم: إذا لم، ت.

(٢) عالم: قادر، د.

## سُورَةُ الشُّورَى

سورة (حم عسق)، وتسمى سورة (الشورى) أيضًا، وهي مكية، وآياتها ثلاث وخمسون.

وروي عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (حم عسق) كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون».

ولما ختم (حم السجدة) بذكر القرآن، وأنه وحي من الله وتنزيله، وذكر إعراضهم عنه؛ افتتح هذه السورة بذكر القرآن، وذكر أنه كما أوحى إليه أوحى إلى مَنْ قبله، فلا وجه لإعراضهم.

ويقال: لم خصت هذه السورة بـ «عسق» من بين سائر الحواميم؟ قلنا: فيه قولان:

أحدهما: لأن جميعها استفتح بالكتاب صريحًا إلا<sup>(١)</sup> هذه، فإنه دل عليه تضمينًا بذكر الوحي، فدل على الكتاب بهذه الصفة.

الثاني: لأن فيه ذكر الوحي إلى الأنبياء، فخصت بهذه التسمية.

ويقال: لم فصل بين (حم عسق)، ولم يفصل [في] (كهيعص)؟

---

(١) إلا: إلى، ت.

قلنا: قيل: لكونها سورة بين سور أوائلها (حم)، فجرت مجرى نظائرها،  
ف(حم) ابتداء، و(عسق) خبره، عن علي بن عيسى.  
وقيل: لاتفاق المفسرين أن (كهيعص) حروف، واختلافهم في (حم)، فجعلها  
بعضهم فعلاً معناه (حُم) أي: قُضِيَ فُفصل<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿حَمْدٌ (١) عَسَقَ (٢) كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)  
لَمْ يَلَمْ يَلَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ  
فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)﴾

## ❁ القراءة

قرأ ابن كثير: «كذلك يُوحَى» بفتح الحاء<sup>(٢)</sup>، وهي رواية عياش عن أبي عمرو  
على ما لم يسم فاعله، فيكون على هذه «الله»<sup>(٣)</sup> ابتداء، وكذلك على ما روي عن  
بعضهم «يُوحَى» بالنون، وقيل: بل هو على البيان تقديره: يوحى إليك، [فكانه] قيل:  
مَنْ الذي يوحى؟ قال: الله، وقرأ الباقون بكسر الحاء، بتقدير: يوحى إليك الله.

وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: «تكاد» بالتاء، «يتفطرن» بالياء والنون،  
وقرأ أبو جعفر وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة: «تكاد» بالتاء «يتفطرن»  
بالياء والتاء، وقرأ نافع والكسائي: «يكاد» بالياء «يتفطرن» بياء وتاء<sup>(٤)</sup>.<sup>(٥)</sup>

(١) ففصل: مفصل، ت، ك.

(٢) حجة القراءات ٦٣٩.

(٣) الله: الدلالة، ت، ك.

(٤) بياء وتاء: بناء وياء، ت، ك.

(٥) حجة القراءات ٦٤٠.

### اللغة

الوحي: إلقاء المعنى إلى النفس على سبيل الخفية، ومنه سمي الإلهام وحيًا في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رُبُّكَ إِلَى النَّفْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أَوْحَىٰ إِيحَاءَ.

والفَطْرُ: الشق، ومنه: فَطَرَ ناب البعير.

تكاد: كلمة تقارب ولا تحقق، كاد يفعل كذا، أي: قرب<sup>(١)</sup> أن يفعل<sup>(٢)</sup> ولم<sup>(٣)</sup> يفعل.

### الإعراب

«كذلك» الكاف للتشبيه، فشبّه ما أوحى إليه من القرآن بالكتب التي أوحى بها إلى الأنبياء، وقيل: كما أوحى إلى الأنبياء أوحى إليك هذه السورة، وأوحى<sup>(٤)</sup> سائر القرآن.

### المعنى

﴿حَمْدٌ (١) عَسَقَ﴾ قيل: اسم للسورة<sup>(٥)</sup>، عن الحسن، وقتادة، وأبي علي، وقيل: إشارة إلى أن القرآن مؤلف من هذه الحروف، ثم عجزتم عن الإتيان بمثلها، فاعلموا أنه كلام الله تعالى، وأنه معجز لنبيه ﷺ، عن أبي مسلم، وقيل: إشارة إلى أن القرآن مؤلف من هذه الحروف فيكون مُحَدَّثًا، عن أبي بكر الزبيري، وقيل: قَسَمَ، أقسم الله تعالى بهذه الأسماء، وقيل: أقسم الله بها لا يعذب من دعا إليه بلا إله إلا الله، وقيل: (ح) من الرحمن، (ميم) من مجيد، (ع) من عالم، (سين) من قدوس، (ق) من قاهر، عن سعيد بن جبير، وجعفر بن محمد، وقيل: (ع) من العزيز، (سين) من السلام، (القاف) من القادر، عن السدي. «كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ»

(١) أي قرب: وأقرب، ت، ك.

(٢) يفعل: يقل، ت، ك.

(٣) ولم: -، ت.

(٤) وأوحى: أوحى، ت، ك.

(٥) سورة: السورة، ت، ك.

قيل: كما أوحى إليك أوحى إلى مَنْ قبلك، وقيل: ما من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحى إليه (حم عسق)؛ فلذلك قال: «كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ»، عن ابن عباس، وقيل: كل وحي نزل على نبي وإنما أنزل من جهة الله الذي يحق له العبادة «الْعَزِيزُ» القادر «الْحَكِيمُ» العالم المحكم لأفعاله «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» خلقًا وملكًا «وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» العلي في صفاته لا يشاركه فيها أحد «العظيم» في أفعاله، فلا قبيح في فعله «تَكَادُ» تقرب «السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ» يتشققن، وقيل: كادت القيامة تقوم، وتَفَطَّرَ السموات، اختلفوا من أي شيء؟ قيل: من عظمة الله وجلاله، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وقيل: استعظامًا للكفر بالله والعصيان له مع حقوقه على عباده، وقيل: من عظيم<sup>(١)</sup> قول المشركين: ﴿أَتُخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤]، عن ابن عباس، والحسن، وهذا على طريق التمثيل، أي: لو كانت السموات يتفطرن لشيء<sup>(٢)</sup> لانفطرن لهذا، «مِنْ فَوْقِهِنَّ» قيل: السموات يتفطر بعضها فوق بعض، وكل واحد فوق الذي يليه، عن ابن عباس، وقيل: فوق الأرضين، وقيل: «من فوقهن»، أي: من حيث هن<sup>(٣)</sup>؛ لأن<sup>(٤)</sup> مكانهن أعلى من مكان الأرض، «وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ» أي: هم مع جلالتهم ينزهون الله عن وصفه بما لا يليق به، وقيل: الملائكة الذين اتخذهم الكفار آلهة ينزهون الله عن مقالتهم، ويتبرأون من<sup>(٥)</sup> شركهم، وقيل: هم ينزهونه عما يلزمكم تنزيهه عنه، وتسييحهم «بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أي: بإضافة النعم إليه، والثناء الحسن، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من المؤمنين الذين يطابقونهم على تنزيهه، وقيل: للتائبين<sup>(٦)</sup>، كقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ ثم قال: ﴿لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ [غافر: ٧] وقيل: يسألون تأخير العذاب عن الكافرين لعلهم يتوبون<sup>(٧)</sup> «أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ» لذنوبهم بالتوبة «الرَّحِيمُ» لا يعاجلهم بالعقوبة.

- (١) عظيم: عظم، ت.
- (٢) لشيء: بشيء، ت، ك.
- (٣) حيث هن: جهتهن، ت.
- (٤) لأن: لئن، د.
- (٥) من: عن، د.
- (٦) للتائبين: التائبين، ت، ك.
- (٧) يتوبون: يتوبوا، ت، ك.

## الأحكام

يدل قوله: «تكاد» على عظم<sup>(١)</sup> معاصيه، وفيه حث على طاعته.  
 ويدل قوله: «والملائكة» على أنهم مكلفون، وعلى وجوب تنزيهه عن كل ما لا يليق به.  
 «ويستغفرون» يدل على عظم محل الملائكة حتى استغفروا، وذلك يحل محل<sup>(٢)</sup> الشفاعة.

قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَكِيلٍ ۖ (٦)  
 وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ  
 فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ  
 يَدْخُلُ مِنْ يَشَاءَ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) أَرِ اتَّخَذُوا مِنْ  
 دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا أَخْلَفْتُمْ  
 فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۖ (١٠)﴾.

## اللمعة

الولي: القريب النصرة عند الحاجة، ونقيضه: العدو، ومنه: الولي: العَمُّ،  
 والولي: الناصر، والولي: الأخ والصاحب، قال أبو مسلم: وولي<sup>(٣)</sup> الشيء: مالِكُهُ  
 وصاحبه.

والحفيظ<sup>(٤)</sup>: الحافظ، وهو المانع من هلاك الشيء.

والإنذار: الإعلام بموضع المخافة.

والإنابة: الرجوع، أناب إنابة.

(١) عظم: عظيم، د، ك.

(٢) وذلك يحل محل: في د: وكل ذلك محل. وفي ك: فعل ذلك محل.

(٣) وولي: ولي، ت، د.

(٤) والحفيظ: والحفظ، ك.

## المعنى

ثم بيّن تعالى من رحمته إمهالهم بعد الإنذار، وتأخير الجزاء إلى يوم القيامة، فقال - سبحانه -: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» أي: اتخذوا الأوثان آلهة لتتولى أمورهم، وتحوطهم، وتدفع عنهم «اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ» أي: يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها «وَمَا أَنْتَ» يا محمد «عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» أي: تحفظ<sup>(١)</sup> أعمالهم لتمنعهم منها، إنما عليك البلاغ، وفيه تسلية له، وقيل: لَسْتُ بمطالب بجناياتهم «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا» أي: كما أوحينا إلى الرسل أوحينا «إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» أي: بلغة العرب «لِتُنْذِرَ» لتخوف «أُمَّ الْقُرَى» يعني مكة، وسميت بذلك، قيل<sup>(٢)</sup>: لأنها أفضل القرى؛ لأن فيها البيت وهي حَرَمٌ، وكل قرية دونها، عن أبي مسلم، وقيل: لأنها أول<sup>(٣)</sup> بيت وضع، وأُمُّ كل شيء: أصله، فكانت مكة أُمًّا لجميع القرى «وَمَنْ حَوْلَهَا» أي: لتنذر من حول مكة، قيل: المراد به العرب؛ ليكونوا أنصارًا له على سائر الأمم، عن أبي مسلم، وقيل: المراد به سائر الناس، عن أبي علي. «وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ» أي: بيوم يجمع فيه الخلائق، وهو يوم القيامة، ولم يبين ما خوف به؛ ليذهب قلب المكلف إلى كل مذهب من أنواع الخوف، وقيل: الإنذار بيوم الجمع إنذار بالفضيحة التي تظهر «لَا رَيْبَ فِيهِ» أي: لا شك «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» وهو النار، ففي الجنة الأنبياء والمؤمنون، وفي النار الكفار والفساقون، وهذه أحوال المكلفين، لا يخلو مكلف من أحد هذين، وأحدهما غاية الأمنية؛ لأنها نعيم دائم يستحق على سبيل التعظيم، لا يشوبها ما ينقصها، وثانيهما غاية الهموم؛ لأنها آلام عظيمة تستحق<sup>(٤)</sup> على سبيل الاستحقاق والإهانة، لا يشوبها رَوْحٌ «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» قيل: لو شاء أن يحملهم على دين واحد - وهو الإسلام؛ بأن يلجئهم إليه - لَفَعَلَ، وإنما لم يفعل؛ لأنه يزيل التكليف، وإنما يثبت التكليف والثواب والعقاب مع الاختيار، ولو فعل ذلك لبطل الغرض، عن أبي علي، وقيل: لو شاء أن يجعل

(١) في ت، ك: بحفيظ.

(٢) قيل: +، ت، ك.

(٣) أول: أفضل، ت.

(٤) تستحق: -، ت، ك.

الفريقين فرقة واحدة - بأن يخلقهم في الجنة - لفعل، ولكن اختار لهم أعلى الدرجتين، وهو استحقاق الثواب، وقيل: لو شاء أن يدخل الجميع الجنة لا يمتنع عليه «وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ» وهم المؤمنون «وَالظَّالِمُونَ» وهم<sup>(١)</sup> العصاة «مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ» يتولى حفظهم، ولا ناصر ينصرهم، حتى ينجوا من عذاب الله، عن أبي مسلم، وقيل: لم يلجئهم<sup>(٢)</sup> إلى الدين؛ لكن كلفهم ليطيعوا، فيستحقوا الثواب، فإدخالهم في رحمته إدخال في التكليف الذي [يؤدي] إلى الدين؛ لكن كلفهم ليطيعوه، وهو سبب الرحمة، «وَالظَّالِمُونَ» من المكلفين ليس لهم من ولي «وَلَا نَصِيرٍ»، عن أبي علي. «أَمْ اتَّخَذُوا» تعجيب من الله لعباده في اتخاذهم غيره إلهاً مع أنه الولي، فقال - سبحانه - : «هُوَ الْوَلِيُّ» قيل: يتولى منافع العباد ودفع المضار عنهم، وقيل: نصير: قريب منهم نُصِرْتُهُ<sup>(٣)</sup>.

ومتى قيل: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا﴾ يقتضي بناء على ما<sup>(٤)</sup> تقدم؟

قلنا: بلى، وتقديره: قد أعلمناهم أنهم إن اتخذوا من دونه آلهة، أولياء لم يملك أحد دفع العذاب عنهم، فهل صدقوا في هذا أم اتخذوا من دونه آلهة<sup>(٥)</sup>؟ وقد فعلوه والله تعالى مالك الأولياء، عن أبي مسلم.

وقيل: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا﴾ استفهام، والمراد الإنكار أي: لا تتخذوا من دونه أولياء، والله هو الولي، عن أبي علي.

وقيل: تقديره: أفيؤمن هؤلاء بالقرآن وبما جئت أم اتخذوا من دونه آلهة؟ فإن اتخذوا من دونه أولياء، فاتخذ الله أنت يا محمد ولياً، فإنه الولي الذي يملك النفع والضرر، كما يملك إحياء الموتى «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ» من أمر الدين والكتاب والرسول، فصدق بعضكم

(١) هم: -، ت.

(٢) يلجئهم: يحلهم، ت.

(٣) نصير قريب منهم نصرته: -، د، ت.

(٤) ما: أمر، ت، ك.

(٥) أولياء لم يملك... آلهة: +، ت، ك.



وكذب بعضكم، فالخطاب للأمة، وقيل: الخطاب للنبي صلى الله عليه، أي: إذا وقع بينكم وبين الكفار خلاف «فَحُكِّمُهُ إِلَى اللَّهِ» قيل: بيان الصواب إليه، بنصب الأدلة، وقيل: يحكم للمحق بالثواب والمدح، وللمبطل بالعقاب والذم، وقيل: يحكم يوم القيامة، ويجازي كل أحد بما يستحقه، وقيل: أراد ما يستحق على ذلك من ثواب وعقاب «ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» يعني الذي ينفذ حكمه هو الله، وقيل: حَاكِمُهُمْ إلى الله أي: إلى (١) حُكْمِهِ، وقيل: هو ربي عليه توكلت، قيل: هذا وعيد لهم، يعني متى كذبوك فحاكمهم إلى الله، فإنه ينصف (٢) لك منهم «وَالَيْهِ أُنِيبُ» إلى حكمه المرجع، والإنابة: الرجوع.

### ❖ الأحكام

يدل قوله: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ على أن جميع القرآن بلغة العرب، خلاف ما قاله بعض الحشوية (٣).

وتدل على حدوثه؛ لأن (٤) ما كان عربياً لا يكون قديماً.

ويدل قوله: ﴿لِنُنْذِرَ﴾ أن الغرض بالقرآن الإنذار.

وتدل على وجوب التدبر فيه.

وتدل على أنه يمكن معرفة المراد بظاهره أو بقرينة؛ ليصح أن يقع به الإنذار.

ويدل قوله: ﴿فَرِيقٌ﴾ على أن المكلفين على فريقين لا ثالث لهما.

ويدل قوله: ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ [على أنه] لا يكون لهم ناصر.

وتدل أنه لا شفاعة لهم، وأنهم لا يدخلون الجنة، خلاف ما يقوله بعضهم.

ويدل قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ﴾ أن الاختلاف في الديانات يصح، فيوجب كون المعارف مكتسبة.

(١) إلى الله أي إلى: بالله إلى، د.

(٢) ينصف: يدعوهم، د، ك.

(٣) بعض الحشوية: الحشوية، ت.

(٤) لأن: لأنه، ت، ك.

وتدل على أنه عند الاختلاف يطلب التمييز بين الحق والباطل من جهته تعالى، وذلك يبطل التقليد، ويوجب الاعتماد على الأدلة الصادرة من جهته عقلاً وسمعاً. وتدل على أن حال الاختلاف مفارق لحال الاجتماع<sup>(١)</sup>، فتدل على أن للإجماع حجة<sup>(٢)</sup>. وتدل أن الاختلاف فعلهم، فيصح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عِلِيمٌ ۝ (١٢) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۝ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۝ (١٤) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ (١٥)﴾.

### اللغة

الْفَطَرُ: أصله<sup>(٣)</sup> الشق، فاطر السموات: مبتدئ خلقها.

الذَّرءُ: إظهار الخلق بإيجاده، وذراً الله الشيء أي: خلق، وذراً أصله الظهور، ومنه: الذرية لظهورها ممن تأتي منه.

(١) الاجتماع: الإجماع، د.

(٢) فتدل على أن للإجماع حجة: -، ت، ك.

(٣) أصله: -، ت.

والشَّرْعَةُ والشريعة سواء، وهو: الظاهر المستقيم من المذاهب، يقال: شرع الله هذا، أي: جعله مذهباً ظاهراً، وشرع فلان في كذا: أَخَذَ فيه، وَشَرَعَ: بَيَّن وأظهر، ومنه: المَشْرَعَةُ والشريعة؛ لأنهما في مكان معلوم ظاهر من البحار والأنهار.

والاجتباء والاصطفاء والاختيار نظائر.

### ❁ الإعراب

الكاف في قوله: «كمثله» قيل: زائدة، أي: ليس مثله شيء، وقيل: بل (مثل) زائد للتأكيد، قال أوس بن حجر:

وَقَتْلَى<sup>(١)</sup> كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلِ      تَغْشَاهُمْ مُسْبِلٌ<sup>(٢)</sup> مُنْهَمِرٌ<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

سعد بن زيد إذا أَبْصَرَتْ فَعَلَهُمْ      ما إن كمثلهم في الناس من أحد<sup>(٤)</sup>  
وقال آخر:

ليس كمثل الفتى زهير      خلق يوازنه في الفضائل<sup>(٥)</sup>  
و﴿أَقِيمُوا آلِدِينَ﴾ يجوز في موضعه ثلاثة أوجه:

الأول: نصب على البدل من (ما) في قوله: «ما وصى».

الثاني: الجر على البدل من الهاء في قوله: «به»<sup>(٦)</sup>.

(١) وقتلى: ومثلي، ت، د، ك.

(٢) مسبل: سيل، ت، د، ك.

(٣) انظر ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، ١٩٧٩.

(٤) ورد البيت برواية: سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم.

(٥) البيت ينسب إلى أوس بن حجر انظر ديوان أوس بن حجر.

(٦) به: في، ك، ظ.

الثالث: الرفع على<sup>(١)</sup> الاستئناف.

«فاطر» رفع على تقدير: هو فاطر.

﴿وَلَا تَنْفَرُوا﴾ تم الكلام، ثم استأنف فقال: «كَبُرَ» إلا أن «كَبُرَ» فعل ماضٍ، فهو لا يرتفع.

«بغياً» نصب على الحال، أي: في حال بغيتهم<sup>(٢)</sup>؛ لأن<sup>(٣)</sup> البغي مصدر، وقد يوضع المصدر موضع الحال، كقولهم: جاءني فلان مشياً، فالمشي مصدر، وهو حال.

### المعنى

ثم وصف نفسه بما يوجب ألا يُعبدَ غيره، فقال - سبحانه -: «فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي: خالقهما ومبتدئهما «جَعَلَ لَكُم» أي: خلق لكم «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» قيل: من جنسكم «أَزْوَاجًا» أي: حلائل، فلكل أحد زوج من جنسه، وقيل: المراد حواء خلقت<sup>(٤)</sup> من ضلع آدم «وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا» ذكر<sup>(٥)</sup> وأنثى «يَذَرُوكُمْ فِيهِ» أي: يخلقكم فيه، قيل: في الرحم، وقيل: في البطن، وقيل: في هذا الوجه من الخلقة والصورة، وقيل: تقديره: يذروكم<sup>(٦)</sup> في الشيء الذي ذكر، وهو الأزواج<sup>(٧)</sup>، والعرب تقول ذلك، قال ذو الرمة:

وَمِثْلُ<sup>(٨)</sup> أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ خَدًّا<sup>(٩)</sup>      وَسَالِفَةٌ<sup>(١٠)</sup> وَأَحْسَنُهُ قَدَالًا<sup>(١١)</sup>

(١) الرفع على: على الرفع على، ت.

(٢) بغيتهم: نعتهم، ت.

(٣) لأن: لئن، د.

(٤) خلقت: خلق، ت، د، ك.

(٥) ذكر: كذكر، ت.

(٦) يذروكم: لله اوكم، ت.

(٧) الأزواج: الانعراج، د.

(٨) ومية: وفيه، ت.

(٩) خدًا: جيدًا.

(١٠) سالفة: قبالة، ت؛ فسالة، ك.

(١١) اللسان (ثقل)، أنظر ديوان ذو الرمة، دار صادر.

أي: أحسن من ذكرت، يعني الثقلين، عن أبي مسلم، وقيل: (في) بمعنى الباء، أي: يذروكم به، قال ابن كيسان: يكسوكم، وقيل: (فيه) أي: في الزوج؛ لأن الذكر والأنثى إذا (اجتمعا)<sup>(١)</sup> وقع الخبر بلفظ التذكير، وقيل: يخلقكم فيما خلق الله لكم<sup>(٢)</sup> من الأرض.

«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» أي: ليس مثله شيء، فأدخل الكاف والمثل تأكيداً لنفي التشبيه على التحقيق والتقدير «وَهُوَ السَّمِيعُ» لجميع<sup>(٣)</sup> المسموعات «البَصِيرُ» لجميع<sup>(٤)</sup> المبصرات.

ومتى قيل: كيف يتصل قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ بما قبله؟

قلنا: لما نفى كون مثل له؛ يَبَيِّنُ أنه مع ذلك سميع بصير؛ لئلا يتوهم نفي هذه الصفة له على الحقيقة.

«لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» قيل: خزائنها، عن السدي، واحداً: إقليد، وقيل: مفاتيحها، عن مجاهد، وإنما هو مفاتيح الرزق وأسبابها، فتمطر السماء بأمره، وتنبت الأرض بإذنه «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» أي: يوسع على من يشاء «إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» يفعل ذلك بحسب المصالح<sup>(٥)</sup> «شَرَعَ لَكُمْ» قيل: فرض «مِنَ الدِّينِ»، عن الحسن، وقيل: يَبَيِّنُ لكم ونهج، عن أبي علي. «مَا وَصَّى بِهِ» أي: أَمَرَ الأنبياء به، وقيل: شرع لعباده من الدين ما تَعَبَّدَ به أنبياءه، واختلفوا في المراد بالدين، قيل: التوحيد والعدل، فإن ذلك لا يختلف بالشرائع، وقيل: أراد به الشرائع، وأن شرائع الأنبياء مع اختلافها سواء في كونها مصلحة، والأول أوجه، وقيل: أراد تحريم الحلال<sup>(٦)</sup> وتحليل الحرام<sup>(٧)</sup>، عن قتادة، وقيل: تحريم الأمهات والأخوات والبنات،

(١) اجتماعاً: اجتمع، ت، د، ك.

(٢) لكم: -، ك.

(٣) لجميع: بجميع، د، ك.

(٤) لجميع: بجميع، ت، ك.

(٥) المصالح: المصلحة، ت.

(٦) الحلال: الحرام، ت، ك.

(٧) الحرام: الحلال، ت، ك.

وقيل: هو الإقرار بالله، والطاعة له، والقيام بعبادته وشكره على نعمه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: هو قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾، فبعث الأنبياء بإقامة الدين، والتمسك بالجماعة، وترك المفارقة والمخالفة ﴿مَا وَصَّى﴾ أي: بالغ في الوصية في حفظه والتمسك به «نُوحًا» ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قيل: تقديره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا، وشرع ما أوحينا إليك، وقيل: تقديره: ما وصى به نوحًا وبالذي أوحينا إليك، ثم فسر ذلك فقال: «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ» وإقامته: اعتقاده والعمل به «وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» قيل<sup>(١)</sup>: لا يُكْفَرُ بعضكم بعضًا ولا يضل، ولكن عليكم بالألفة والجماعة، والتمسك بالأدلة المؤدية إلى الحق.

ومتى قيل: كيف يجتمعون على الحق، ولا<sup>(٢)</sup> يجري بينهم التكفير والتضليل؟

قلنا: بالنظر في الأدلة، وترك التقليد والهوى واتباع الشبه.

وقيل: لا تتفرقوا في الدين فتعتقد<sup>(٣)</sup> كل طائفة شيئًا، فإن الحق في واحد.

«كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» أي: عظم عليهم ما دعوتهم إليه من توحيد الله، وخلع الأنداد، وقيل: شق عليهم مفارقة الكفر؛ لإلغائهم دين آبائهم، وقيل: عظم عليهم ذلك؛ لما فيه من زوال رئاستهم، وقيل: شق عليهم اتباعك فيما تأمرهم به من الدين، وهذا هو الوجه. «اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ» أي: ليس إليهم<sup>(٤)</sup> الاختيار؛ لأن الله يجتبي لرسالته من يشاء، فاجتباك كما اجتبي موسى ومن قبله ومن<sup>(٥)</sup> بعده من الأنبياء، وقيل: إلى<sup>(٦)</sup> بمعنى اللام، أي: يجتبي لرسالته من يشاء، وقيل: يتقبل ممن يشاء، عن أبي مسلم. «وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» قيل: يلطف به، وقيل: يرفع درجته في الدنيا بالرسالة ويهديه، وقيل<sup>(٧)</sup>: يهدي إلى دينه وطريق الحق، وهم المكلفون،

(١) قيل: قل، ت.

(٢) ولا: لا، د.

(٣) فتعتقد: تعتقد، ت، د، ك.

(٤) إليهم: لهم، ت.

(٥) من: +، ت.

(٦) إلى: الباء، ت، د، ك.

(٧) وقيل: قيل، ت.

وقيل: يهديه إلى طريق الجنة والثواب، و«ينيب» قيل<sup>(١)</sup>: يرجع إلى ربه في إخلاص دينه «وَمَا تَفَرَّقُوا» في الدين، قيل: أهل الأديان المختلفة، وقيل: أراد أهل الكتاب، عن ابن عباس. «إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» قيل: العلم ببعثة محمد وصفته، فعملوا وعاندوا، والمراد به العلماء، ويجوز على مثلهم العناد، عن أبي علي، وقيل: أراد بالعلم طريق العلم لا نفس العلم، يعني ما تفرقوا إلا من<sup>(٢)</sup> بعد قيام الحجة، وأتوا في كفرهم من قبل أنفسهم، والأول أقرب إلى الحقيقة، والثاني أقرب إلى اللفظ للعموم. «بَغْيًا» أي: طلبًا للدنيا، واتباعًا للهوى والحسد والعداوة «وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» أي: لولا وعد الله وإخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم، وتأخير العذاب عنهم في الحال، وقيل: لولا وعد الله بتأخيرهم إلى يوم القيامة، وهو الأجل المسمى «لَفُضِّيَ بَيْنَهُمْ» بهلاك المبطل، وإثابة المحق «وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ» يعني اليهود والنصارى الذين أورثهم الله الكتب من الأنبياء، التوراة والإنجيل وغيرهما، عن السدي. «مِنْ بَعْدِهِمْ» أي: من بعد الأمم الخالية، وقيل: من بعد اليهود والنصارى، وهم مشركو مكة والعرب، أورثهم القرآن من بعد الكتب الماضية «لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ» يعني كفرهم بجهالتهم لا للعناد<sup>(٣)</sup> كعلماء اليهود والنصارى، وقيل: هم في شك من نبوتك، وقيل: في نفس الكتاب الذي أورثوه<sup>(٤)</sup> «فَلِذَلِكَ فَادْعُ» قيل: اللام للتعليل<sup>(٥)</sup>، أي: لأجل الشك والذي هم فيه أذعهم إلى الحق؛ حتى تزيل الشك، وقيل: اللام بمعنى إلى؛ أي: إلى<sup>(٦)</sup> الذي شرعه الله ورضي به فادع، عن أبي مسلم، وقيل: فَلِتَفَرِّقِ الْأُمَمَ قَبْلَكَ وبغيهم بعد العلم سلك قومك مذاهبهم شاكين في القرآن، ثم ابتدأ فقال سبحانه<sup>(٧)</sup> «فَادْعُ» إلى سبيل ربك «وَاسْتَقِمْ» قيل<sup>(٨)</sup>: بما آتاك

(١) قيل: +، ت.

(٢) من: +، ت.

(٣) للعناد: للعباد، ت، د، ك.

(٤) أورثوه: ورثوه، ك.

(٥) للتعليل: للتقليل، ت، د، ك.

(٦) إلى أي إلى: الباء أي، ت؛ الباء أي إلى، ك.

(٧) سبحانه: +، ت.

(٨) قيل: وقيل، ت، د، ك.

من النبوة والكتاب ادع إلى الإسلام ودُّم عليه، عن أبي علي، وقيل: استقم في الرسالة وإبلاغها، أي: دم عليه وامض فيها، وفيه تقوية لقلبه صلى الله عليه وسلم «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ» يعني أهواء المشركين؛ بل اتبع الوحي «وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ» أي: بكل كتاب منزل «وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ» أي: كي أعدل بينكم، وقيل: أسوي بينكم في الدين والدعاء إلى الحق ولا أحابي أحداً، فيكون القريب والبعيد فيه سواء، وقيل: لأسوي بيني وبينكم، فأمركم بما أفعله وأعتقده، وقيل: لأعدل بينكم في جميع الأشياء، فلا أحيف لأحد على أحد، وقيل: «ثَلَاثَ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ»<sup>(١)</sup> فاز: العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والخشية في السر والعلانية، وثلاث من كن فيه هلك: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب<sup>(٢)</sup> المرء بنفسه. وأربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكراً، وقلب شاكر، وبدن صابر، وزوجة مرضية. «اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ» قيل: قل: الله ربنا وربكم، أي: خالق الجميع والمنعم عليهم، وكان أهل الكتاب والمشركون يعترفون بذلك «لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» أي: جزاء أعمالنا [لنا]، وجزاء أعمالكم لكم.

«لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ» قيل: لا خصومة، عن مجاهد، وابن زيد، أي: قد ظهر الحق فسقط الجدل، فالحجة لنا عليكم لظهورها، وليس بيننا اشتباه والتباس، وقيل: قد اعترفتم بالله، فلا نحتاج إلى إقامة الحجة مع ارتفاع المنازعة، فينبغي أن تعملوا<sup>(٣)</sup> بحسب اعترافكم، وقيل: إن أبيتم إلا العناد فلا حجة بيننا وبينكم؛ لظهور أمركم على سبيل البغي والعناد وإقامة الحجة عليكم<sup>(٤)</sup>، عن أبي علي. «وَقُلْ ءَامَنْتُ» بجميع الكتب «وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ» ولا حجة بعدها، إنما كانت الحجة لكم لو كان ما أدعوكم إليه من التوحيد والعدل مخالفاً لما في الكتب المنزلة على الأنبياء أو أفعال<sup>(٥)</sup> ما لا يجوز، فأما إذا دعوتكم إلى حكم الكتب التي آمنتم بها فلا موضع للمحاجة،

(١) فقد: -، ت، ك.

(٢) إعجاب: وعجب، ت، ك.

(٣) تعملوا: تعلموا، ت، د، ك.

(٤) عليكم: +، ت، ك.

(٥) أو أفعال: وأفعال، د.



عن أبي مسلم، وقيل: قد ظهرت الحجة، فإذا لم تقبلوا فلا سبيل إلى المحاكمة إلى الله تعالى. «اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا» يوم القيامة لفصل القضاء «وَالِإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» إلى حكمه المرجع، وقيل: إلى الموضوع الذي لا حكم فيه إلا له.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات الأولى أنه فاطر السموات والأرض، فيبطل قول المفوضة. وتدل على أنه لا مثل له، فيبطل قول المشبهة والمجسمة، ومن يُثَبِّت له جهة ومكانًا.

ويدل قوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَكَاتِ﴾ أنه المنعم بالأرزاق وجميع النعم، وأنه قادر على جميع الأشياء..

ويدل قوله: «[شرع] على أن الأنبياء كلهم بعثوا للدعاء إلى الدين؛ لأن قوله: «أَقِيمُوا الدِّينَ» كالتفسير له، وهذا لا يليق إلا بالتوحيد والعدل دون الشرائع التي تختلف.

واستدل بعضهم بالآية على أنه ﷺ كان مُتَعَبِّدًا بشرائع مَنْ تقدم، وهو (١) بعيد؛ لأنه إذا حمل الآية على ما قدمنا فلا حجة لهم فيه، وأيضًا فقول (٢) فَقَدْ الشرائع لا يدل على (٣) ما قالوا؛ لأن كل واحد إنما يجيء بوحي محدد، فهو شرع مبتدأ فلا يكون بعضهم تبعًا لبعض.

ويدل قوله: ﴿اللَّهُ يُجَبِّئُ﴾ أن الرسالة ليست بمستحقة و[لا] جزاء، وإنما يبعث مَنْ يصلح.

ويدل قوله: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ أنه يثيب المؤمنين دون غيرهم، وقد

(١) وهو: وهذا، ت، ك.

(٢) فقول: فمول، ت، د، ك.

(٣) على: لا، ك.

استدل بعضهم بقوله: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ﴾ أن المعارف ضرورية، وقد بينا ما قيل فيه؛ فلا تعلق للقوم بها.

ويدل قوله: ﴿لَفِي شَكٍّ﴾ أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ أن الغرض بالبعثة الدعاء.

وتدل على عظيم محل<sup>(١)</sup> الدعاء إلى الدين.

وتدل<sup>(٢)</sup> على<sup>(٣)</sup> أن الدعاء فعله.

ويدل قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ على تحريم التقليد؛ لأنه اتباع الهوى.

ويدل قوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ﴾ على وجوب الإيمان بسائر الكتب المنزلة.

وتدل على وجوب إظهار الإيمان لذلك قال: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ﴾<sup>(٤)</sup>.

ويدل قوله: ﴿لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ أنه كما أوتي النبوة أوتي الحكم وفصل

الخصومات، وكان كثير من الأنبياء بخلافه.

ويدل<sup>(٥)</sup> قوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا﴾ أن الحجة متى ظهرت<sup>(٦)</sup> وعاند المبطل

فالواجب المحاكمة إلى الله تعالى، وقد قال بعضهم: نسختها آية السيف، وليس بشيء، وقد بيّنا معناه.

(١) محل: حال، د.

(٢) +، ويدل قوله فلذلك فادع أن الغرض بالبعثة، ت.

(٣) على: +، ت، ك.

(٤) قل: فقل، ك.

(٥) ويدل: وقيل، د، ك.

(٦) ظهرت: ظهرت، ت، د، ك.

قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جَحَنُّهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ .

#### اللغة

المُحَاجَّةُ: مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْحُجَّةِ، ومعناها المجادلة التي تكون بين الخصمين .  
والدَّخْضُ (١): الزَّلَقُ، يقال (٢): مكان (٣) دَخَضَ زَلَقٌ (٤)، ومنه: ﴿جَحَنُّهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ .

والشَّفَقُ: الخوف، ومنه: ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

والمماراة والمرء واحد، وهي: الجدال والمخاصمة، ويجوز أن يكون المرء من المرية، وهي الشك، وبناءؤه من الفعل فَعَالٌ الذي هو في معنى المفاعلة، كأن بعضهم يشكك بعضًا .

والميزان: آلة العدل، والموازنة والمعارضة والمقابلة والمقايضة نظائر في اللغة .

(١) في ت، ك: الدخض .

(٢) يقال: -، ت، ك .

(٣) مكان: +، ت، ك .

(٤) زلق: مزلة، ت .

### الإعراب

قوله: ﴿لَمَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: قريبة؛ لأن تأنيثها غير حقيقي<sup>(١)</sup>، فجاز فيه التذكير<sup>(٢)</sup> والتأنيث، وقيل: تقديره: إتيانها قريب، عن الكسائي.  
وقيل: القرية على ضربين، قرية قرابة، وقرية مسافة<sup>(٣)</sup>، فقرية القرابة تؤنث، وقرية المسافة<sup>(٤)</sup> يجوز تذكيرها وتأنيثها، قال الشاعر:  
عَشِيَّةَ لَا عَفْرَاءَ<sup>(٥)</sup> مِنْكَ قَرِيبَةً فَتَدْنُو وَلَا عَفْرَاءَ<sup>(٦)</sup> مِنْكَ بَعِيدَةً<sup>(٧)</sup>  
فجمع بين اللغتين.

ونصب (الميزان) عطفًا على الكتاب، أي: وأنزل الميزان.  
«حجتهم» ابتداء، و«داحضة» خبره، وقد تم الكلام عند قوله: ﴿أَسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾.

### النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ﴾ في اليهود والنصارى، قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم، وأولى بالحق، عن مجاهد.  
وقيل: نزلت في المشركين، وقيل: إنهم قالوا: إن مات هو رجع هؤلاء عن دينهم، فنزلت الآية.

(١) حقيقي: حقيقة؛ ت، د، ك.

(٢) التذكير: للتذكير، ت.

(٣) مسافة: مشافة، ت، ك.

(٤) المسافة: مشافة، ت، ك.

(٥) ولا عفرا: ولا عفوا، ت، ك.

(٦) ولا عفرا: ولا عفوا، ت، ك.

(٧) البيت قائله عروة لن حزام؛ انظر ديوان عروة بن حزام:

وورد البيت برواية أخرى:

عشية لا عفراء مني قريبة

## المعنى

لما تقدم ظهور الحجة وانقطاع المحاجة، عقبه بذكر من يحاج بالباطل، فقال - سبحانه -: «وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ» أي: يجادلون ويخاصمون «فِي اللَّهِ» قيل: في دينه، وقيل: في توحيده «مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ» قيل: من بعد ما استجاب له الناس، ودخلوا في دينه؛ لظهور المعجزة، وقيام الحجة؛ لأنهم بعد ذلك في حكم المعاند، عن الحسن، وقيل: من بعد ما استجيب دعاؤه، لمحمد ﷺ في إظهار المعجزات التي أجاب الله دعاءه في إظهارها، ووجوب الانقياد له، وقيل: أراد بالاستجابة ظهور الحجة عليه من طريق الدلالة، فإن الخلق كلهم مستجيبون له طوعاً أو كرهاً، فمن عرف الحق أجاب طوعاً، ومن عاند أو جهل كانت نفسه كالمجيب إلى أنه عَبْدٌ مربوب، فإذا جحد فهو كالمكذب نفسه، عن أبي مسلم، وقيل: من بعد ما رأى الكفار إجابة الله دعاءه ودعاء المستضعفين، فنجوا من أذى المشركين، عن أبي علي، وقيل: المراد اليهود والنصارى، كفروا بمحمد بعد أن كانوا مؤمنين، فلما بعث جحدوا. «حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً» قيل: باطلة زائلة «عِنْدَ رَبِّهِمْ» وإنما سماها حجة وهي في الحقيقة شبهة؛ لاعتقادهم أنها حجة، ولما قال: «مُجِّنَّهُمْ دَاحِضَةً» أزال الشبهة أنها ليست بحجة «وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ» يعني إرادة عذاب من الله «وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ». الله الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ» يعني القرآن «بِالْحَقِّ» قيل: ما فيه حق لا خلف فيه ولا كذب، وقيل: أراد بإنزاله بالحق، وهو العمل بما فيه، والاعتقاد لصحته، ولم يرد الباطل به، عن أبي علي، وقيل: أنزله للحق؛ لأن يقام به الحق، وقيل: أنزله بالإخبار عما كان ويكون بالحق والصدق «وَالْمِيزَانَ» قيل: هو ما أمر به من العدل، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبي مسلم، وجماعة، وقيل: أنزل نفس الميزان الذي يوزن به، عن أبي علي، وجماعة؛ ليتوصل الناس إلى الإيفاء والاستيفاء بالحق، ثم اختلفوا فقيل: أنزله من السماء، عن أبي علي، وقيل: إنزاله: خَلْقُهُ، كقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥] وقيل: الواو للصفة تقديره: وأنزلنا الكتاب الميزان، وقيل: الميزان محمد ﷺ يقضي بينهم بالكتاب، عن علقمة، وهذا تشبيه وتوسع، وقيل:

هو جميع أحكام الشرع، «وَمَا يُذَرِّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ»<sup>(١)</sup> أي: لست تدري متى تقوم الساعة، فإذا أنت لا تعلمه مع الوحي والكتاب فكيف يعلمه غيرك «يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا» يعني من لا يؤمن بها يستعجل إنكارًا وتكذيبًا «وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا» أي: يخافون قيامها، وهم غير متأهبين لها «وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ» أي: مجيئها وكونها «أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ» قيل: يخاصمون فيها، وقيل: يوقع بعضهم بعضًا في التهمة «لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ» عن طريق الحق؛ وذلك لأن في إهمال المكلفين وترك الجزاء سفها وعبثًا<sup>(٢)</sup>، فمن أنكر القيامة والجزاء فقد أضاف السفه إليه تعالى، وهو كفر، ولأنه ينكر قدرة الله تعالى على إعادة الخلق والإحياء بعد الإماتة، ولا ضلال أعظم من ذلك «اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ» قيل: بارٌّ بهم خفيٌّ، عن ابن عباس، وعكرمة، وقيل: رفيق، عن السدي، وقيل: لطيف بالبر والفاجر في الإنعام، عن مقاتل، وقيل: لطيف بهم في العرض والمحاسبة<sup>(٣)</sup>، عن القرظي، وقيل: اللطيف فاعل اللطف، وهو إيصال المنافع إلى العباد على وجه يدق على<sup>(٤)</sup> كل فاعل إدراكه، وقيل: الفاعل اللطف بهم كي يصلحوا، وقيل: لطيف: مريد الإحسان إلى خلقه لمنافع الدنيا والدين<sup>(٥)</sup>، وقيل: بصير بهم وبسرايرهم، وقيل: لطيف بهم في الرزق من وجهين:

أحدهما: أنه جعل رزقهم من الطيبات.

والثاني: أنه لم يدفعه إليهم مرة واحدة، عن الصادق.

وقيل: لطيف بهم بإنزال القرآن عليهم وبتيسيره<sup>(٦)</sup> لهم، وقيل: اللطيف الذي يقبل القليل ويعطي الجزيل. «وَهُوَ الْقَوِيُّ» أي: القادر «الْعَزِيزُ» لا يمتنع عليه شيء

(١) قريب: قرب، ت.

(٢) سفها وعبثًا: سفه وعبثه، ت، د، ك.

(٣) والمحاسبة: والمجالسة، د.

(٤) على: عن، د.

(٥) الدنيا والدين: الدين والدنيا، ت، ك.

(٦) وبتيسيره: وتيسيره، ت.

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ» يعني من أراد بعمله الدار الآخرة ووجه الله، وقيل: من أراد عذاب الدنيا وثواب الآخرة بعمله<sup>(١)</sup>، وقيل: أراد بجهاذه رضى الله عز وجل، عن أبي علي. «نَزِدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ» قيل: في جزائه كقوله: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الشورى: ٢٦] وقيل: نَزِدَ لَهُ فِي عَمَلِهِ بالتوفيق واللفظ؛ ليثبت عليه، ويزيد العمل، ويستوجب الحظ الأوفى، وأراد بالحرث العمل، وذكر الحرث توسعاً، فشبّه الأعمال بالبذر، والجزاء بالزرع، فكما لا يحصل الزرع إلا بعد إلقاء البذر، كذلك لا يحصل الثواب إلا بعد الأعمال الصالحة، وكما يتضاعف الزرع كذلك يتضاعف الأجر «وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا» أي: من يريد بعمله الدنيا نعطه رزقه<sup>(٢)</sup> [الذي] قسم له، وقيل: من جاهد مع المؤمنين وطلب الغنائم، يعطى من الغنائم، ولا نَصِيبَ له في الثواب، عن أبي علي، وقيل: أراد بذلك المنافقين الذين كانوا مع رسول الله ﷺ وكان مرادهم الغنائم، ولم يكن لهم رغبة في الآخرة، عن أبي علي، وقيل: أراد الجهاد وسائر العبادات، وقيل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أي: عمل الآخرة نال الدنيا والآخرة، ومن عمل للدنيا فلا نصيب له في الآخرة؛ لأن الأعلى لا يجعل تبعاً للأدون، عن الحسن. «وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» أي: لا حظ لهم في ثواب الآخرة ونعيمها.

### ❁ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى أنزل الكتاب، فتدل على حدوثة. وتدل<sup>(٣)</sup> أن الغرض بإنزاله القيام بالحق؛ ليعملوا به<sup>(٤)</sup>، خلاف قول المجبرة القدرية.

ويدل قوله: ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أنه أراد العدل في الدين والدنيا، فأنزل الكتاب للذين سلكوا طريقة الحق، وأنزل الميزان آلة العدل في الدنيا.

- 
- (١) بعمله: لعلمه، د.  
(٢) رزقه: رزقاً، ت.  
(٣) وتدُل: ويدل، ت.  
(٤) به: ليعلموا أنه، ت.

ويدل قوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾ أن المعارف مكتسبة؛ لذلك خص المؤمنين بأنهم يعلمون أنها الحق، ووصف غيرهم بالشك.

ويدل قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ على أنه يُلطف للمؤمنين<sup>(١)</sup>.

وتدل أن هذه<sup>(٢)</sup> التي جرت في الدنيا من الحرث وغيره أُلطف في التكليف؛ ليتدبر العبد فيه لعمل الآخرة، ويعلم أنه إذا لم تحصل منافع الدنيا مع قتلها وانقطاعها إلا بعد العمل والجهد؛ فلأن يعمل للجنة مع عظم نعيمها ودوامها بالجهد أولى.

قوله تعالى:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاتُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُسْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقِعُ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

### ❁ القراءة

قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «ويعلم ما تفعلون» بالتاء على الخطاب، الباقون بالياء، والكناية ترجع إلى قوله: «عباده»<sup>(٣)</sup>.

(١) في ت: للمؤمن.

(٢) هذه: +، ت.

(٣) حجة القراءات ٦٤١.



## اللغة

(أم) كلمة يعطف بها آخر الكلام على أوله، وأكثر ما تكون<sup>(١)</sup> في جواب الاستفهام عن أمرين لا شك في [ثبوت] أحدهما، كقولك: أزيد في الدار أم عمرو، وقد علم كون أحدهما فيها، ولا<sup>(٢)</sup> يدري أيهما هو.

الإشفاق: الخوف من جهة الرقة على المخوف عليه من وقوع مكروه، وأصله الرقة، ومنه: ثوب شَفَقَ أي: رداء رقيق.

والأذان: الإعلام.

والروضة: الموضع الخضر الحسن النبات.

قال الشاعر:

مَا رَوْضَةٌ<sup>(٣)</sup> مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ<sup>(٤)</sup> مُعْشِبَةٌ خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلٌ<sup>(٥)</sup>  
وكلهم يسمون الروضات ما أنبتت الرياحان والبقل والعشب<sup>(٦)</sup>.

والجنة: الأرض تَجُنُّها الأشجار، وأصله من الستر، ومنه: الْجَنَّةُ والجنون والاقتراف: اكتساب الدنيا، فَقَرَفَ واقترف بمعنى.

[و] يَمْحُ الله: المحو: إذهاب الأثر.

## الإعراب

«يمح» رفع إلا أنه حذف منه الواو في المصحف، كما حذف من ﴿سَنَعُ الزَّيْنَةَ﴾ [العلق: ١٨] على اللفظ في ذهابها لالتقاء الساكنين، وليس بعطف على ﴿يَحْتَمِرُ﴾، ولأنه واقع، ويوضحه: ﴿وَيُحْيِي الْحَقَّ﴾.

(١) تكون: يكون؛ د، ت.

(٢) ولا: فلا، ت، ك.

(٣) ما روضة: ما موضع، ت.

(٤) الحزن: الحز، ت، ك.

(٥) البيت قائله الأعشى في معلقته ومطلعها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

انظر ديوان الأعشى، دار صادر بيروت، ١٩٦٦.

(٦) والعشب: د.

والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ﴾ قيل: منقطع، وقيل: [أجدي] المودة [في القريب]، كأنه أجر<sup>(١)</sup> فكان الاستثناء حقيقة.

### النزول

قيل: لما قدم النبي ﷺ المدينة، فكان ينوبه نواب، وليس في يده سعة، فأتت الأنصار إليه بمال جمعه<sup>(٢)</sup>، وقالوا: إنك ابن أخينا، وقد هدانا الله تعالى على يدك، وتنوبك<sup>(٣)</sup> نواب، وقد أتيناك بمال تستعين به<sup>(٤)</sup> على نوابك، فنزلت الآية، عن ابن عباس.

وقيل: اجتمع المشركون، وقالوا: أترون محمداً سأل على ما يتعاطاه أجراً؟ فنزلت الآية، عن قتادة. وقيل: هذا أشبه؛ لأن السورة مكية.

وقيل: تفاخرت الأنصار، وقالوا: فعلنا وفعلنا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم، وقال: «ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي؟» قالوا: بلى، قال: «أفلم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي؟» قالوا: بلى، ثم قال: «أولا تجيبوني؟» قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: ألم يخرجك قومك فآويناك، وكذبوك فصدقناك، وخذلوك فنصرناك»، فما زال يقول حتى [جثوا على الركب و] قالوا: ما لنا [وما في أيدينا] لله ورسوله، فنزلت الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ عن ابن عباس.

وقيل: لما نزلت ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، قال قوم: يخشى على مودة أقاربه من بعده، فنزل جبريل بالآية، وقال: اتهموك، فقالوا: نشهد إنك لرسول الله، فنزل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾.

(١) أجر: أخبر، ت، ك.

(٢) جمعه: جمعوها، د، ك.

(٣) وتنوبك: وينوبك، ت، ك.

(٤) به: بها، د، ك.

## النظم

يقال: بم يتصل قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ﴾؟

قلنا: فيه وجوه:

قيل: لما تقدم أنه شرع له ولأمته الدين، وهو التوحيد والعدل، عقبه بتوبيخهم<sup>(١)</sup> على ما هم عليه، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ يعني هل لهؤلاء آلهة شرعوا لهم دينًا مخالفًا لهذا الدين الذي شرعه الله لكم.

وقيل: تقديره: هل يقبلون منك ما شرع<sup>(٢)</sup> الله لك أم لهم شركاء يشرعون لهم.

وقيل: لما تقدم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ الآية، قال: إذا كان هذا هكذا وهو دينك المشروع، أفهكذا<sup>(٣)</sup> عندهم أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين غير هذا؟ عن أبي مسلم.

## المعنى

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾<sup>(٤)</sup> أي: هل<sup>(٥)</sup> لهم آلهة، يعني الأصنام، وقيل: أراد علماء السوء، أي: هم شركاء الله في الحكم، وقيل: هو استفهام والمراد به<sup>(٦)</sup> الإنكار<sup>(٧)</sup>، يعني لم يشرعوا دينًا، فكيف تخالفون ما شرع الله تعالى لكم «شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ» بينوا ونهجو وأظهروا «مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» قيل: لم يَعْلَمَهُ الله، يعني أنه مجهول لا دلالة عليه؛ إذ لو كان لَعَلِمَهُ تعالى، وقيل: لم يأمر الله به<sup>(٨)</sup> «وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ» قيل: لولا وَغَدُ الله القضاء بتبقيتهم إلى مدة «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» بعذاب يعاجلهم، استحقوه بكفرهم،

(١) بتوبيخهم: -، ت، ك.

(٢) ما شرع: ما شرعه، ت.

(٣) أفهكذا: فهكذا، ت.

(٤) أم: -، ت، ك.

(٥) هل: +، ت، ك.

(٦) به: -، ك.

(٧) الإنكار: إنكار، ك.

(٨) يأمر الله به: يأمر به الله، ت.

وينجي المؤمنين، وقيل: لولا أنه أخبر أنه لا يعذب هذه الأمة بالاستئصال، ويؤخرهم إلى يوم القيامة، لسلكت بهم سبيل الأمم الماضية، وتلك الكلمة قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦]، «وَأِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» مؤلم موجه «تَرَى الظَّالِمِينَ» قيل: أراد الكفار، وقيل: أراد كل ظالم باعتماد أو معصية «مُشْفِقِينَ» خائفين «مِمَّا كَسَبُوا» أي: من سوء صنيعهم، يخافون جزاءه، وذلك الخوف لا يغيثهم «وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ» يعني ما استحقوا من العذاب نازل بهم يوم القيامة لا محالة، وإنما عظم خوفهم لعلمهم بعظم ما أتوا وعظم جزائه «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» يعني وترى هؤلاء «فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ» قيل: في الجنان ما يكون أبهى منظراً، وأحسن وأطيب، وقيل: الجنة اسم الجميع، والرياض اسم لمواضع مخصوصة، وقيل: هو صفة لجميعها «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» يعني لا يحتاجون إلى كذا<sup>(١)</sup> وتعب، فما<sup>(٢)</sup> يشاءون مُعَدُّ لهم عند الله لا يحتاجون إلى غيره، وإنما أضاف إلى مشيئتهم؛ لأنهم لا يشاءون إلا الحَسَنَ، وقيل: المؤمن يترك بعض شهواته لله، فيعطيه الله جميع شهواته «وَذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» قيل: ذلك الثواب فضل عظيم من الله على المؤمن؛ لأنه<sup>(٣)</sup> عرضه لذلك وكلفه<sup>(٤)</sup>، وأعطى على قليل الطاعة كثير الجزاء والثواب، وقيل: ذلك فضل عظيم بين الكافر والمؤمن؛ لأن أحدهما في الجنة والآخر في النار، و«ذَلِكَ» يعني ما ذكرت من نعيم الجنة، وقيل: الفضل الكبير «الَّذِي يُبَشِّرُ اللهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»، فإنهم المستحقون له<sup>(٥)</sup>، فيبشرون<sup>(٦)</sup> به، «قُلْ» يا محمد «لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ» أي: على ما أَدْعُوكم إليه، وأُبَلِّغُ من الرسالة، وأُبَيِّنُ من الشرائع «أَجْرًا» أي: جزاء «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قيل<sup>(٧)</sup>: إلا أن تودوا لله، وتتقربوا إليه بطاعته، روى

(١) كد: كل، ت.

(٢) فما: فيما، ت.

(٣) لأنه: ولأنه، ت.

(٤) وكلفه: وأكلفه، د.

(٥) له: لهم، ت.

(٦) فيبشرون: فبشرون، ت.

(٧) قيل: وقيل، ت، د، ك.

ابن عباس عن النبي ﷺ «هو قول الحسن، وأبي علي، وأبي مسلم، قالوا: هو التقرب إلى الله، والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح، ومعنى الكلام: لا تتقربوا إليّ بالأجرة؛ لكن تقربوا إلى الله بالطاعة<sup>(١)</sup> والعمل<sup>(٢)</sup> الصالح، فعلى هذا الخطاب للمؤمنين، وقيل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ إلا أن تودوني لقرايتي منكم، وصلة الرحم، وكل قريش كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه قرابة، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والسدي، والضحاك، وابن زيد، وعطاء بن دينار، وأبي مالك، وعلى هذا الخطاب للكفار، يعني إن لم تودوني للرسالة فلا تتركوا مودتي لحق القرابة التي بيني وبينكم. وقيل: إلا أن تودوا قرايتي وعترتي، وتحفظوني، عن علي بن الحسين، وسعيد بن جبير، وعمرو بن شعيب، وجماعة. ثم اختلف هؤلاء في هذه القرابة، فروى ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما»، وقد روي ما<sup>(٣)</sup> يؤكد هذا، فروى أبو هريرة أن النبي ﷺ نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال: «أنا حرب لمن حاربتهم، سلم لمن سالمتم». وعن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليهم السلام<sup>(٤)</sup>: «شكوت إلى النبي ﷺ حسد الناس لي، فقال: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت، والحسن والحسين، أزواجنا عن أيماننا وشمائنا، وذرياتنا<sup>(٥)</sup> خلف أزواجنا، وشيعتنا من ورثتنا». وقيل: هم ولد عبدالمطلب، وقيل: هم الذين تحرم عليهم الصدقة، ويقسم بينهم الخمس.

ثم اختلفوا فيمن تحرم عليهم الصدقة، قيل: بنو هاشم وبنو عبدالمطلب، الذين لم يفارقوه في جاهلية ولا إسلام، وهو مذهب الشافعي. وقيل: هم خمس بطون: آل عباس، وآل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وولد الحارث بن عبدالمطلب، عن

(١) بالطاعة: -، ت، ك.

(٢) والعمل: بالعمل، ت، ك.

(٣) ما: لما، ت، د، ك.

(٤) عليهم السلام: +، ت.

(٥) وذرياتنا: وذرايينا، ت.

الهادي ﷺ<sup>(١)</sup>، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، وهم ولد عبد المطلب إلا أولاد أبي لهب، وهم من ذكرنا، وقيل: إن هذا كان بمكة، أمرهم بمودته، فلما هاجروا<sup>(٢)</sup>، وقوي أمرهم، قال: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ فنسخ ذلك بهذه الآية، عن الضحاك، وهذا لا يصح؛ لأن شيئاً مما تقدم لا يجوز نسخه، وقيل: يجوز أن يكون الله أطلع نبيه على أنهم يقتلون أولاده، فقال: لا أسألكم على الرسالة أجراً، ولكن صلوا رحمي، واحفظوني في أولادي.

ومتى قيل: أي الأقوال أصح؟

قلنا: قول الحسن، وأبي علي لوجه:

منها: أن الخطاب للكفار؛ لأن المؤمنين كانوا يعلمون أنه لا يسألهم أجراً، فكأنه وصاهم بطاعته لئلا يسيئوا<sup>(٣)</sup> إليه.

ومنها: أنه قال عقيه: «وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا» وأن المراد بالقربى الأمور المقربة إلى الله سبحانه<sup>(٤)</sup>.

ومنها: أن من كان من قرباته<sup>(٥)</sup> مؤمناً فولايته واجبة كسائر المؤمنين، ومن كان كافراً أو فاسقاً فمعاداته واجبة، ولذلك نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾<sup>(٦)</sup> [المسد: ١] في عمه، فلا معنى لتخصيصهم بذلك.

ومنها: أن مودتهم لا تجوز أن تُجعل<sup>(٧)</sup> أجراً له.

ومنها: أنه قال في موضع آخر: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الشورى: ٢٣] كما حكى عن سائر الأنبياء، ذكر ذلك جميعه<sup>(٨)</sup> أبو مسلم، وطَوَّلَ الكلام فيه.

(١) عليه السلام؛ +، ت.

(٢) هاجرو: هاجر، د.

(٣) لئلا يسيئوا: ليأنسوا، ت، ك.

(٤) سبحانه: -، ت، ك.

(٥) قرباته: أقرباته، ك.

(٦) وتب: -، ت، ك.

(٧) تجعل: يحصل، ت.

(٨) ذكر ذلك جميعه: ذكر جميع ذلك، ت، ك.

ويجوز أن يقال: إن الأولى أن المراد به قرابة الرسول إذا كانوا مؤمنين، وذلك أن في الجملة قد وجب<sup>(١)</sup> لهم حق وحرمة، بما أسدى إلينا رسول الله ﷺ من نعمة<sup>(٢)</sup>، ولأهل بيته ضرب من التعظيم ليس لغيرهم، فخصهم بالذكر، وقد ورد أخبار جمعة في فضل أهل البيت ﷺ<sup>(٣)</sup> يذهب جميع فوائدها على ما يفسره أبو مسلم.

«وَمَنْ يَفْتَرِ حَسَنَةً» أي: يعمل طاعة «نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا» قيل: يشبهه<sup>(٤)</sup>، ويزيده من فضله ﴿إِنَّ [اللَّهَ] عَفْوٌ شَكُورٌ﴾ للذنوب لمن تاب<sup>(٥)</sup> ﴿شَكُورٌ﴾ لمن أطاعه، يقبل القليل، ويشيب<sup>(٦)</sup> عليه بالجزيل، وقيل: صفته بأنه شكور مجاز وتوسع؛ لأن الشكر يقابل النعم، ويتعالى الله عن ذلك، إلا أنه لما أعطى الثواب على الطاعات وصف بأنه شكور. «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى» قيل: أيؤمن هؤلاء الكفار بما أخبرهم<sup>(٧)</sup>، أم يكفرون ويقولون: «افْتَرَى» محمد «عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» فيما يقول أنه أرسله وأوحى إليه «فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ» قيل: فيه محذوف وتقديره: أم يقولون افتري، فإن أراد أن يفترى ختم على قلبه، واختلفوا في معناه، قيل: يربط على قلبك حتى لا يشق عليك أذاهم، عن مجاهد، وابن الأنباري، وعلى هذا لا يحتاج إلى إضمام محذوف<sup>(٨)</sup>، وقيل: يطبع على قلبك فينسيك القرآن، عن قتادة، يعني لو افتري على الله كذبًا لفعل ذلك، وقيل: إن حدثت نفسك أن تفترى على الله<sup>(٩)</sup> كذبًا لطبعت على قلبك بشيء، وقيل: نجعل على قلبك سمة الأعداء<sup>(١٠)</sup>، وهو زجر للنبي ﷺ، وبيان للكفار أنه لم يفعل ما

(١) وجب: وجبت، ت، ك.

(٢) نعمة: أنعمه، د.

(٣) عليهم السلام: +، ت.

(٤) يشبه: نثبه، ت، د، ك.

(٥) لمن تاب: +، ت.

(٦) ويشيب: ويجازي، ت.

(٧) أخبرهم: أخبرتهم، ك.

(٨) محذوف: ومحذوف، ت، ك.

(٩) الله: -، ت، ك.

(١٠) الأعداء: للأعداء، د؛ الاعتداء:، ت.

يقولونه، عن أبي علي، وقيل: «يَخْتِمُ<sup>(١)</sup> عَلَى قَلْبِكَ» أي: يمسك، عن أبي مسلم. «وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ» قال الكسائي: وتقديره: والله يمحو الباطل، ولا حاجة إلى التقديم والتأخير، ومعنى يمحو: يزيله ويبطله «وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ» أي: يحققه ويبينه ويقويه، وكلماته: جميع ما أمر به في الكتب، وقيل: لو كذب على الله لبعث نبياً آخر؛ ليبين الباطل، ويحق الحق على يده «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» مِنْ حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» لما تقدم الوعيد عقبه بذكر التوبة المزیلة للقنوط، ومعناه: أنه يقبل التوبة من كل أحد من كل ذنب، «وَيَغْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ» المعاصي إذا تاب «وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» من الطاعات والمعاصي، فيجزى<sup>(٢)</sup> بها.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ الآية أن عذاب الظلمة واقع لا محالة، وأن عقابهم لا يزول بالعفو والشفاعة، فيبطل قول المرجئة.

ويدل قوله<sup>(٣)</sup>: ﴿رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ أن بقاع الجنان مختلف.

ويدل قوله: ﴿يُنَبِّئُ﴾ أن البشارة لا تقع إلا بمجموع أمرين: الإيمان، والعمل الصالح، وذلك يدل على ما نقوله في الوعيد.

ويدل قوله: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أنه منزّه عن طلب منفعة على أداء الرسالة، وإنما سألهم أن يودوه مودة<sup>(٤)</sup> للذي بينهم من القرابة.

ويدل قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَا﴾ أن دعوة النبي لو كانت باطلة [لما بعثه<sup>(٥)</sup>] الله تعالى وليّنه، ولما ظهر هذا الظهور، ولا يقال: إن كثيراً من الأشياء<sup>(٦)</sup> لم يتبين

(١) يختم: أيختم، د.

(٢) فيجزى: فيجازي، ت، د، ك.

(٣) قوله: +، ت.

(٤) مودة: +، ت، ك.

(٥) لما بعثه: لبعثه، ت، د، ك.

(٦) من الأشياء: من ينسى، ت، ك.



بطلانها<sup>(١)</sup>؛ لأنه تعالى نصب الأدلة على ذلك، وللمكلف طريق إلى إبطال<sup>(٢)</sup> أمره، والعلم بالفرق بين المعجز والشعبذة على ما بين في الكتب.

ويدل قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ على أشياء:

منها: الترغيب في التوبة، والتحذير من الإصرار.

ومنها: أنه لا يعفو عن المصير، وإنما العفو للتائب.

ومنها: أن التوبة من جميع الذنوب تصح، فيبطل قول من يقول: لا توبة للقاتل.

ويدل قوله: ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ أن السيئات والتوبة<sup>(٣)</sup> فعل العبد؛ ليصح الأمر

والنهي، والذم والمدح<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى:

﴿وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۖ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۗ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۖ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۖ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۖ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۖ ﴿٣١﴾﴾.

### ❖ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «ما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم»<sup>(٥)</sup>،

(١) بطلانها: بطلانها، ت، د، ك.

(٢) إبطال: بطلان، ت، ك.

(٣) والتوبة: أن التوبة، ت، ك.

(٤) والذم والمدح: والمدح والذم، ت.

(٥) حجة القراءات ٦٤١.

وكذلك هي في مصاحف الشام والمدينة، والباقون بالفاء، وكذلك في مصاحفهم.  
وتقدير الأول: والذي أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم، والثاني جزاء.

### اللغة

الاستجابة: موافقة<sup>(١)</sup> عمل العامل<sup>(٢)</sup> فيما يدعو إليه الداعي من أجل دعائه، يقال: استجاب وأجاب<sup>(٣)</sup> بمعنى، وفي الحديث: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أيّ الليل أجوب دعوة؟ قال: «جوف الليل الغابر أجوب» أي: أسرع إجابة، وأصل الباب: القطع، ومنه: جُبْتُ الفلاة أجوبها: إذا قطعتها، ومنه: جاب الصخر، فكأن المدعو يقطع الأمر الذي دُعِيَ إليه، وأصله: جاب يجوب، مثل: طاع يطوع.

والبغي: طلب الزيادة، وأصله من الطلب.

والقنوط: اليأس، قنط يقنط بفتح النون وكسرهما في الماضي والمضارع، يقول: قَنِطَ يَقْنُطُ، نحو: علم يعلم، وقَنِطَ يَقْنِطُ مثل: ضَرَبَ يَضْرِبُ.

والنَّشْرُ: ضد الطي، وجاء القوم نَشْرًا: متفرقين، و﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ﴾ [الكهف: ١٦] أي: ينشر رزقكم، وفي حديث عائشة تصف أباه: فَرَدَّ نَشْرَ الإسلام على غَرِّهِ<sup>(٤)</sup>؛ أي: على طيِّهِ وكَسَرِهِ أي: رد ما انتشر منه إلى حالته<sup>(٥)</sup> التي كان عليها على عهد رسول الله صلى الله عليه يعني أيام<sup>(٦)</sup> الردة، وكفاية أبي بكر إياه.

### الإعراب

«الذين آمنوا» محله رفع على أنه فاعل تقديره: ويجب المؤمنين الله فيما دعاهم إليه، وقيل: محله نصب، و(الله) مضمرة فيه، تقديره: ويستجيب الله

(١) موافقة: موافقته، ت.

(٢) العامل: العامي، ت..

(٣) استجاب وأجاب: استجاب واستجاب، ت.

(٤) عزة: غيرة، ت.

(٥) حالته: حاله، د، ك.

(٦) أيام: أمر، ت، ك.

للمؤمنين<sup>(١)</sup>، وقيل: هذا أولى؛ لأن الخبر فيما قبل وبعد عنه، يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، ويزيدهم من فضله.

﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ ابتداء. و﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ خبره.

﴿حَئِيرٌ﴾ رفع؛ لأنه خبر (إن)، واسمها<sup>(٢)</sup> الهاء في ﴿إِنَّهُ﴾.

﴿خَلَقَ﴾ رفع لأنه خبر لصفة تقديره: خلق السموات من آياته.

«وما بثَّ» محله رفع، تقديره: وبث الدواب من آياته.

### النزول

قيل: قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ﴾ الآية نزلت في قوم من أهل الصُّفَّة، تمنوا الغنى وسعة الدنيا.

وعن خباب بن الأرت: نزلت فينا<sup>(٣)</sup> هذه الآية، وذلك أنا نظرنا في أموال قريظة والنضير وبني قينقاع، فتمنيناها، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

### المعنى

لما تقدم وعيد أهل العصيان عقبه بوعد المؤمنين على عادته تعالى بالجمع بين الوعد والوعيد ترغيباً وترهيباً، فقال - سبحانه - : «وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» فيه قولان:

أولهما: أن الفعل لله تعالى، ثم اختلف هؤلاء، فقليل: معناه يجيب الله دعاء المؤمنين، ويزيدهم من فضله، ولا يجيب دعاء الكافرين؛ لأن<sup>(٤)</sup> إجابة الدعاء ثواب، عن أبي علي. وقال أبو بكر: يجوز أن يجيب دعاءه استصلاحاً، وقيل: يجيب الله الذين آمنوا في دعاء بعضهم لبعض، عن معاذ بن جبل، وقيل: يستجيب أي: يقبل الله

(١) للمؤمنين: المؤمنين، ت.

(٢) واسمها: واسمه، ت، ك.

(٣) نزلت فينا: فينا نزلت، ت، ك.

(٤) لأن: لئن، د.

طاعتهم، ويعطيهم ما يستحقون في الآخرة «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» قيل<sup>(١)</sup>: يشفعهم في إخوانهم، عن ابن عباس.

والثاني: أن الفعل للذين آمنوا، ثم اختلفوا، فقليل<sup>(٢)</sup>: ويجب المؤمنين ربهم فيما دعاهم إليه، وقيل: يطيعونه فيما أمرهم به، عن ابن عباس، فالاستجابة الطاعة «وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» أي: دائم عظيم.

ولما بين أنه يجب دعاءهم بين أنه إنما يجب إذا كان لمصلحة، فقال - سبحانه -: «وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ» قيل: لو وسع عليهم برهم وفاجرهم، وقيل: لو بسط بحسب ما يطلبونه ويتمنونه، «لَبَغَّوْا فِي الْأَرْضِ» أي: يرتفع كل أحد من درجته فيبغى بعضهم على بعض بفضل سعته وقوته؛ ولكنه يعلم الصلاح وينزل بقدر الصلاح، وقيل: لعصوا الله، وقيل<sup>(٣)</sup>: بغيهم: طلبهم منزلة بعد منزلة، ودابة بعد دابة، ومركباً بعد مركب، وملبساً بعد ملابس، عن ابن عباس، وقيل: لو رزق العباد من غير كسب، وتفرغوا عن الكسب والمعاش لطغوا، وسعوا في الأرض فساداً، ولكن شغلهم بالكسب رحمة منه وإنعاماً، عن شقيق. «وَلَكِنْ يُنْزَلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ» قيل: بقدر منهم، عن قتادة، يقال: خير الرزق ما لا يطغيك<sup>(٤)</sup> ولا يلهيك<sup>(٥)</sup>، بقدر كفايتهم، قيل: بقدر صلاحهم، وقيل: يجعل واحداً غنياً وواحداً فقيراً، بحسب المصلحة.

ومتى قيل: كيف تكون المصلحة في الحرمان؟

قلنا: إذا علم من حالة الفقير أنه إذا استغنى بطر وكفر، فصلاحه في التضييق، وكانت العرب إذا أخصبوا شنوا المغازي<sup>(٦)</sup> وقاتلوا؛ ولهذا ترى الظلم من الأغنياء والملوك أكثر منه في الفقراء. وقد روى أنس عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله في حديث طويل: «إن من عبادي من لا يصلحه إلا السقم، ولو صححته لأفسده، وإن

(١) قيل: وقيل، ك.

(٢) قليل: وقيل، ت، ك.

(٣) قيل: -، ت.

(٤) ما لا يطغيك: يطغيك، ت، ك.

(٥) ولا يلهيك: يلهيك، ت، ك.

(٦) المغازي: الغازي، ت، ك.

من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده، ذلك أني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم<sup>(١)</sup>.

ومتى قيل: فنحن نرى موسعاً عليه يشكر، ومضيقاً عليه يكفر؟

قلنا: لعل المضيق عليه يستوي حاله، أو كان يزيد كفره لو أغناه الله<sup>(٢)</sup>، والله أعلم بتفاصيل ذلك، وإنما نعلم أنه يُغني ويفقر بحسب المصلحة على ما يقتضي<sup>(٣)</sup> علمه.

ويقال: من المراد بقوله: «لعباده»<sup>(٤)</sup>؟

قلنا: المكلفون؛ لأن البغي منهم يصح، وفيهم يصح اللطف.

ومتى قيل: أليس كثيراً<sup>(٥)</sup> ممن وسع عليه بغي؟

قلنا: لعل حالهم يستوي في البغي، وسع أو لم يسع، أو كان لو لم يسع كانوا أسوأ حالاً فلذلك وسع، وقيل: هو<sup>(٦)</sup> قدر من السعة لا كل السعة، فلا أحد إلا ويعلم - سبحانه - حاله، ويدبر أمره بحسب مصالحه<sup>(٧)</sup>، وقيل: أراد قدرًا من السعة لو فعل بجميعهم لبغوا في الأرض؛ لأنه تعالى أضاف إلى جميعهم.

ومتى قيل: فما وجه الفساد في سعة المال؟

قلنا: الله أعلم بتفاصيل ذلك، وقد يغلب على ظننا أنه عند البسطة وفراغ القلب وسعة الحال يبطر ويظلم، وقد ينفق في المعاصي، وقد يحرص على الزيادة كما روي: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب».

(١) بعلمي بقلوبهم: لعلمي بعواقبهم، ت.

(٢) الله: +، ت.

(٣) يقتضي: يقضي، ت، د، ك.

(٤) لعباده: بعباده، ت، ك.

(٥) كثيراً: كثير، د.

(٦) هو: وهو، ت.

(٧) مصلحة: المصلحة، ت.

ومتى قيل: أليس وسع على سليمان وكثير من الأنبياء، ولم يوجد منهم بغي؟

قلنا: علم من حالهم أن البسط أصلح لهم، وفي الآية لو فعل بجميعهم لبغوا، وليس فيه ذكر آحادهم، فالله أعلم بحال آحادهم؛ بل يرزقهم بحسب مصالحهم<sup>(١)</sup>، وقد روي أن سليمان كان يعيش من نسج الزُّنْبِيل مع عظم محله.

ومتى قيل: فأهل الآخرة يجب أن يكونوا كذلك؟

قلنا: هم ملجؤون<sup>(٢)</sup> إلى ترك القبيح، ولأنهم أعطوا جميع ما تمنوا، وما مُنِعُوا لا يتمنونه<sup>(٣)</sup>، فلا يوجد منهم بغي.

«إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ» أي: عالم بأحوالهم، ويعطيهم بحسب مصالحهم.

ثم بيّن أن المنع ليس لِخُلْ، وذلك لحسن نظره لهم، فقال - سبحانه -: «وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا» أي: ينزل المطر بعد يأسهم «وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ» أي: يبسطها لجميع خلقه، وهو بسط الرزق عليهم أجمع «وَهُوَ الْوَلِيُّ» قيل: الذي يتولى تدبير عباده، وتقدير أمورهم، وما يصلحهم، وقيل: الولي المالك للعباد، وقيل: الولي الناصر، أي: ناصر المؤمنين «الْحَمِيدُ» المحمود في جميع أفعاله؛ لأن<sup>(٤)</sup> جميع ذلك حسن [وهو] لا يفعل القبيح. «وَمِنْ آيَاتِهِ» أي: حججه الدالة على توحيده «خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» إحداثهما مقدراً كما شاء<sup>(٥)</sup> «وَمَا بَثَّ» فرق «فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ» وهو ما يدب من الحيوانات «وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ» يوم الحشر متى شاء<sup>(٦)</sup> قدير، وقيل: قال: «جمعهم»<sup>(٧)</sup> ولم يقل: جمعها؛ لأنه أراد العقلاء، وقيل: غلب لفظ الذكور على لفظ الإناث عند الاجتماع «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» من الإجماع،

(١) مصالحهم: المصلحة، ت.

(٢) ملجؤون: ملجأون: ت، د، ك.

(٣) لا يتمنونه: -، ت.

(٤) لأن: أن؛ ت، د، ك.

(٥) شاء: يشاء، ت.

(٦) شاء: يشاء، ت.

(٧) جمعهم: جميعهم، ت.

واختلفوا في هذه المصائب، فقليل<sup>(١)</sup>: القحط والمرض وما أشبهه، وقيل: ما يصيب<sup>(٢)</sup> الكفار من الحروب من المسلمين، وقيل: العقوبات، وقيل<sup>(٣)</sup>: الحروب، عن الحسن، وقيل: هو عام في كل المصائب، عن قتادة، وشريح، وابن سيرين، قالوا: ما يصيب من مصيبة إلا بذنب، وعن عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها، ودرجة لم يكن ليبلغها إلا بها، وهذا على ما ذكرنا أنها<sup>(٤)</sup> كفارات. وقيل: المصائب يجوز أن تكون عقوبة الدنيا كالحدود، وقيل: بل هي محنة؛ ولذلك امتحن الأنبياء بالمصائب ولم تكن عقوبة.

ومتى قيل: فلماذا علقها بفعل العبد؟

قلنا: يجوز أن يكون تأديباً وامتحاناً للأنبياء بالمصائب، ولم تكن عقوبة كإخراج آدم من الجنة، وكقوله: ﴿فِطْرٍ مِّنَ الذِّكْرِ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، ويجوز أن تكون المصلحة<sup>(٥)</sup> في فعله عقيب إجرامهم.

ومتى قيل: أليس روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يصيب ابن آدم خدش<sup>(٦)</sup> عود [ولا اختلاق عرق، ولا نكبة حجر ولا عشرة قدم] ولا غير ذلك إلا بذنب؟» قلنا: إن صح الخبر فالمراد به يمتحنه عند ذلك، ويكون تكفيراً لا أنه عقوبة.

ومتى قيل: فما الفائدة في هذه المصائب؟

قلنا: فيه لطف من وجوه:

منها: التنبيه<sup>(٧)</sup> على العقوبة؛ لأنه إذا عجز عن تحمل هذه المشقة فكيف يتحمل عقوبتها.

ومنها: أنه يدعو إلى التوبة والإنابة.

(١) قليل: قيل، ت، ك.

(٢) ما نصب: ما نصيب، ت، ك.

(٣) وقيل: قيل، ت.

(٤) أنها: أنه، ت، ك.

(٥) المصلحة: -، ت، ك.

(٦) خدش: خرش، ت.

(٧) التنبيه: التنبه، ت.

ومنها: ما يتذكر من أحوال القيامة والآلام التي تحل بأهل النار.  
ومنها: ما يحصل له على الصبر عليه من الثواب.  
ومنها: ما فيه من العوض الموفي على ذلك<sup>(١)</sup> الضرر.  
ومنها: تذكر الصحة والعافية والدعاء إلى الشكر.  
ومنها: ما يتصور من<sup>(٢)</sup> حال أهل الجنة في الأمن من المصائب، فتدعو إلى العمل لها.  
ولإنما ذكر اليد تأكيداً للإضافة إليهم على عادة العرب في مخاطبتهم، فيقولون:  
هذا مما جنت يداك.

«وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» أي: لا يؤاخذهم بكثير من أفعالهم؛ بل يعفو عنها، وقيل: لولا العفو لهلك العالم؛ لأن الذنب موجب، ولكن الله تعالى<sup>(٣)</sup> يعفو إما بالتوبة، أو بطاعات أعظم منها، وقيل: يعفو عن كثير، أي: يسهل على كثير منهم إذا كان ذلك أصلح «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» أي: ليس العفو<sup>(٤)</sup> والغفران<sup>(٥)</sup> لأنكم أعجزتم الله أو هو توبة<sup>(٦)</sup> لعلمكم<sup>(٧)</sup> من يتولى نصركم؛ بل فضل منه ورحمة، وقيل: معجزين هرباً «وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ» يتولى أمركم «وَلَا نَصِيرٍ» ناصر ينجيكم من عذابه، وفائدة ذلك: إذا لم يكن للنجاة وجه إلا من جهته، فالواجب التمسك بطاعته، والتجنب من عصيانه.

### ❁ الأحكام

يدل قوله - سبحانه - : «ويستجيب» على أحد التأويلين أنه تعالى يجيب دعاء عباده<sup>(٨)</sup> المؤمنين دون غيرهم، لولا ذلك لما خص المؤمن، ولأن إجابة الدعاء تجري

(١) ذلك: -، ت، ك.

(٢) من: +، ت، ك.

(٣) تعالى: +، ت.

(٤) العفو: للغفران، د.

(٥) والغفران: بالعفو، ت، ك.

(٦) أو هو توبة: أو تقولونه، ت؛ أو تفوتونه؛ ك.

(٧) في ت، ك: لعلمكم.

(٨) عباده: -، ت، ك.



مجري الثواب؛ ولذلك يقال: فلان مستجاب الدعوة، فيمدح به، هذا قول أبي علي، وقال أبو بكر أحمد بن علي: يجوز إجابة دعاء غير المؤمنين<sup>(١)</sup> استصلاحًا.

ومتى قيل: فكثير من المؤمنين لا يجاب دعاؤهم؟

قلنا: قد يتأخر لمصلحة، وقد يكون مفسدة فلا يجاب، وإنما يجاب بشرط المصلحة؛ ولذلك يجب أن يسأل بشرط المصلحة.

ومتى قيل: إذا كانت مصلحة، فلا بد أن يفعلها<sup>(٢)</sup>، فما معنى الدعاء؟

قلنا: قد يكون فعله مصلحة عقيب الدعاء، ولولا الدعاء لكانت مفسدة. ويدل قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ﴾ الآية على قولنا في اللطف والمخلوق والاستطاعة والإرادة.

أما<sup>(٣)</sup> دلالة على اللطف فظاهر<sup>(٤)</sup>؛ لأنه لم يُعْطِ لكيلا يبغوا، ولو بسط لبغوا، وإنما رزقهم قدرًا<sup>(٥)</sup> مخصوصًا ليكونوا أقرب إلى الاستقامة؛ ولذلك عقبه بقوله: ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾. منها أنه يفعل من ذلك ما هو أصلح في التكليف، ونبه أن المنع ليس لعجز أو بخل؛ لكن لما يعود إلى نفع العبيد وصلاحهم.

وأما دلالة على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم أنه تعالى وسع وضيق لطفًا؛ كي يكونوا أقرب إلى الطاعة، وأبعد من المعصية، فلو كان الجميع خلقًا له - تعالى - لم يكن لهذا الكلام معنى؛ لأنه سواء وسّع أو ضيّق، إنما يؤخذ فيه بما يخلقه فيه.

فأما دلالة على الاستطاعة فمن وجهين:

أحدهما: أن القدرة لو<sup>(٦)</sup> كانت موجبة لوقف وجود البغي وعدمه عليها، لا على سعة الرزق وضيقه، فتبطل فائدة الكلام.

(١) المؤمنين: المؤمن، ت.

(٢) يفعلها: يفعله، ت.

(٣) في ت: وأما.

(٤) فظاهر: -، ت، ك.

(٥) رزقهم قدرًا مخصوصًا: رزقهم قدرًا، وأما دلالة على اللطف قدر مخصوصًا، ت، ك.

(٦) لو: +، ت، ك.

وثانيهما: أن اللطف إنما يصح إذا قدر العبد على الفعلين، فأما إذا لم يقدر إلا على شيء بعينه، فما معنى اللطف وسعة الرزق وضيقه<sup>(١)</sup>؟.

وأما دلالة على الإرادة، فيدل أنه لم يُرَدِّ البغي ممن المعلوم منه البغي؛ إذ لو أراد ذلك - كقول المجبرة - لما جاز أن يقول: لم أبسط الرزق لكيلا يفعل البغي. وتدل على أنه لا يفعل البغي؛ لأنه تنزهه على فعل ما يقع عنده البغي، فَلَا يُنْزَهُه عن فعل البغي أولى.

وتدل<sup>(٢)</sup> على أن بسط الرزق<sup>(٣)</sup> يكون مفسدة.

ويدل قوله: ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ على عموم رحمته وكمال قدرته؛ حيث هيأ لكل أحد<sup>(٤)</sup> ما يصلحه في<sup>(٥)</sup> كل بلد، وذلك من لطيف تدبيره الذي لا يقدر عليه سواه.

ويدل قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ على توحيده وصفاته، وقد بيَّنَّا ما يدل<sup>(٦)</sup> من السموات من خلقها، ثم تزيينها، ثم تسكينها<sup>(٧)</sup>، ثم إمساكها على غير عرش، وفي الأرض من خلقها والجبال والنبات والثمار والأنهار وغير ذلك، ومنها: أن فعله<sup>(٨)</sup> يدل على صفاته إما بنفسه ككونه قادراً، أو بواسطة ككونه حياً سمياً بصيراً.

ويدل قوله: ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾ على حدوث المشيئة لدخول علامة الاستقبال، فيبطل قول من قال: إنها صفة ذات، والمشيئة ترجع إلى الجميع، فتدل أنه المختص بالقدرة على الإعادة.

ويدل قوله: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أن في السماء دواب، فإما أن يحمل على أصل اللغة على ما يدب، أو على ما يعرف، ولا مانع منه أيضاً.

(١) وضيقه: +، ت.

(٢) ما يدل: ويدل، ت.

(٣) بسط الرزق: -، ت، ك.

(٤) أحد: واحد، ت.

(٥) وفي: ت، ك.

(٦) ما يدل: ما نزل، ت.

(٧) تسكينها: سكنها، ت.

(٨) فعله: أفعاله، ت.

ويدل قوله: ﴿وَمَا<sup>(١)</sup> أَصَبَكُمْ﴾ أن العبد قد يصيبه بسبب ذنبه مضائب؛ إلا أن أبا علي يقول: إن الأمراض في العصاة تكون<sup>(٢)</sup> عقاباً، وأما أبو هاشم فيقول: إن الأمراض وأكثر المضائب محنة له، والحدود يجوز أن تكون عقوبة، وقد بينّا الوجه فيه.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ<sup>(٣٢)</sup>﴾ إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنَ الرِّيحَ فَيَظْلَلَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ<sup>(٣٣)</sup>﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ<sup>(٣٤)</sup>﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ<sup>(٣٥)</sup>﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَنُدْعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ<sup>(٣٦)</sup>﴾.

#### ❁ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو: «الجواري»<sup>(٣)</sup> بياء في<sup>(٤)</sup> الوصل دون الوقف، وقرأ ابن كثير بياء<sup>(٥)</sup> في الوصل والوقف، وقرأ الباقر بحذف الياء في الوصل والوقف، أما إثباته فعلى<sup>(٦)</sup> الأصل، وحذفه للتخفيف ودلالة الكلام عليه.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «ويعلم» بالرفع على الاستئناف<sup>(٧)</sup>، كقوله في (براءة): ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: ١٥] وقرأ الباقر بالنصب على الصرف، كقوله: ﴿وَيَعْلَمُ الصَّادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] صرف من حال الجزم إلى النصب، كراهة لتوالي الجزم، قال الشاعر:

(١) وما: ما؛ ت، د، ك.

(٢) تكون: -، ت.

(٣) حجة القراءات ٦٤٢.

(٤) في: -، ت، ك.

(٥) في ت، ك، بالياء.

(٦) في ت، ك، على.

(٧) حجة القراءات ٦٤٣.

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>  
 فنصب (تأتي)؛ لأنه مصروف عن لا تَأْتِ<sup>(٢)</sup>، وقيل: نصب بإضمار أَنْ  
 الخفيفة<sup>(٣)</sup>، وهو معطوف على معنى الكلام بتقدير<sup>(٤)</sup>: وَأَنْ يَعْلَمَ.

### اللغة

الأعلام: الجبال، واحدها: عَلَمٌ، قالت الخنساء:  
 كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارٌ<sup>(٥)</sup>  
 والراكد: الدائم السكون الذي لا يجري، يقال: رَكَدَ الماء ركودًا، وركدت  
 الريح: سكنت، وركد الميزان: استوى، والرواكد جمع راكدة.  
 وَبَقَّ الرجل يَبْقُ: هلك نحو: ضرب يضرب، وَبِقَ يَوْبُقُ، مثل: علم يعلم،  
 وأوبقه الله: أهلكه، والموبق: المهلك.  
 والمَحِيصُ: المَعْدِل<sup>(٦)</sup> والملجأ<sup>(٧)</sup>، حاص يحيص حَيْصًا<sup>(٨)</sup> وحِيَاصًا: إذا مال  
 ملتجئًا، ومنه: ﴿وَلَا يَحْدُونُ عَنْهَا حَيْصًا﴾ [النساء: ١٢١] أي: مهربًا، ومنه حديث  
 مطرف: هو الموت: نُحَايَصُهُ ولا بد منه.  
 والإمتاع: الانتفاع بما يتعجل سروره، والمتاع على وجهين:  
 أحدهما: الإمتاع، والثاني: ما يُتَمَتَّعُ به، وأصل الباب: المتعة.

(١) البيت قائله أبو الأسود الدؤلي. انظر الديوان، صنفه أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق محمد حسن آل ياسين.

(٢) تأت: الآيات، ت.

(٣) الخفيفة: الحقيقة، ت.

(٤) بتقدير: شديد، ت.

(٥) البيت قائله الخنساء في رثاء أخيها صخر وتكملة البيت:

وإن صخرًا لتأتّم الهداة به كأنه علم في رأسه ناز.

(٦) المعدل: العدل، ت.

(٧) والملجأ: +، ت.

(٨) حَيْصًا: حيص، ت.

## الإعراب

«يظللن» جزم إلا أن نون جماعة النساء مفتوحة أبداً؛ ولذلك قال: «وَيَغْفُ» فجزم، وعلامة الجزم ذهاب الواو.

## المعنى

ثم بَيَّنْ أدلة أخرى، فقال - سبحانه -: «وَمِنْ آيَاتِهِ» أي: حججه الدالة على كمال قدرته وتوحيده، «الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ» يعني السفن، عن مجاهد، والسدي وغيرهما، ووجه الحجة فيها جَعْلُ الماء بحيث تجري فيه السفن، وجعل الريح على وجه تجريه، وجعل السفينة بحيث تجري ولا ترسب، وكل ذلك لا يقدر عليه غيره «كَالْأَعْلَامِ» قيل: كالجبال، يجريها بالرياح، عن مجاهد، والسدي. «إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ»<sup>(١)</sup> قيل: فيه حذف، وتقديره: إِنْ يَشَأْ يُسْكِنُ الرِّيحَ يُسْكِنُ<sup>(٢)</sup> الرِّيحَ، وقيل: إِنْ يَشَأْ أَنْ يُسْكِنَ الرِّيحَ سَكَنَتْ، عن أبي علي. «فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ» يعني السفن وقوفاً، عن ابن عباس. «عَلَى ظَهْرِهِ» قيل: أراد في البحر، وذكر الظهر توسعاً، فيؤدي إلى هلاكهم، وقيل: على ظهر الماء «إِنَّ فِي ذَلِكَ» مما<sup>(٣)</sup> ذكر من أمر البحر والسفينة «لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» والصبار: كثير الصبر، والشكور: كثير الشكر، وقيل: يصبر على ركوبها، ويشكر الله على جريها، والنجاة من البحر، وقيل: صبار على طاعة الله وعن معاصيه، شكور لله على نعمه، وقيل: الصبار: من كان عادته الصبر، والشكور: من كان عادته الشكر، عن أبي مسلم. «أَوْ يُوبِقْهُمْ» يهلكهم يعني السفن بالغرق، عن ابن عباس، ومجاهد، والسدي، يعني إما أن يحبس الريح فلا<sup>(٤)</sup> تجري السفن وتبقى وقوفاً، أو<sup>(٥)</sup> يهلكها بالغرق «بِمَا كَسَبُوا» أي: بما عملوا من المعاصي فيهلكهم عقوبة لهم «وَيَغْفُ عَنْ كَثِيرٍ» من معاصيهم فلا يهلكهم إمهالاً ورحمة.

(١) الريح: -، ت.

(٢) يسكن: لتسكين، ت.

(٣) مما: فيما، ت، ك.

(٤) فلا: +، ت، ك.

(٥) أو: أي، ت، ك.

ومتى قيل: فالغرق محنة لغيرهم قلنا: [حذف المضاف أو من نسبة ما للحال للمحل أو ما للمسبب للسبب لأن إهلاكها أي إغراقها سبب لإغراقهم على المجاز العقلي، أو سمى أهلها باسمها وهو هُنَّ على المجاز المرسل] <sup>(١)</sup> «وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا» أي: ولأن يعلم الذين يخاصمون بالباطل في رد آيات الله «مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ» أي: ملجأ؛ لأن البر والبحر كلها ملك لله، فينبغي أن يعتصم به، وقيل: إنما يفعل الإهلاك والعفو لكي يعلم من يجادل أنبياءه أنه <sup>(٢)</sup> لا مهرب من الله، فيتوكل عليه ويؤمن به، وقيل: إذا سكن الريح وركدت السفن علم المجادل أنه لا محيص، عن أبي مسلم، قيل: يعلم الله أن لا محيص <sup>(٣)</sup> للمجادل عن عذاب الله، أي: يظهر المعلوم، والأول: الوجه؛ لأنه الظاهر ويستقيم المعنى، فلا وجه لهذا التكلف.

«فَمَا <sup>(٤)</sup> أُوتِيتُمْ» أعطيتكم «مِنْ شَيْءٍ» من نعم الدنيا، تنتفعون بها عاجلاً «فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أي: منافع الدنيا يتمتع به أياماً ولا يبقى؛ بل ينقطع «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ» يعني ثوابه، وما أعد للمؤمنين جزاءً على طاعته «خَيْرٌ وَأَبْقَى» من ملاذ الدنيا؛ لأنها باقية، وهذه فانية، وقيل: فاعملوا لله فهو عنده محفوظ لهم يجازيهم بها، وهو خير لهم ممن يُعمل للدنيا، وما أوتي الكفار من نعم الدنيا «لِلَّذِينَ آمَنُوا» بالله ورسوله «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» يفوضون أمرهم <sup>(٥)</sup> إليه، معتقدين أنها تجري من جهته إلى آخر الدهر.

### ❁ الأحكام

تدل الآية على كمال قدرته وتوحيده.

ويدل قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ أنه قد يفعل بالسبب على ما يقوله أبو هاشم،

(١) كأن هناك سقطاً من النص وتم إتمامه من تيسير التفنين، القطب أطفيش ٤٩/١٣.

(٢) أنه: لأنه؛ ت، د، ك.

(٣) لا محيص: لا مخلص، د.

(٤) فما: وما، ت، ك.

(٥) أمرهم: أمورهم، ت.

خلاف قول أبي علي؛ لأنه باعتمادات الريح تجري السفن، ولا يقال: إن السبب يؤذن بالحاجة؛ لأن الحاجة للفعل لا للفاعل، فهو كالمحل للأعراض، ولأنه يقدر أن يفعل بغير سبب أمثال ما يفعله بسبب، وإنما يفعل بسبب<sup>(١)</sup> لضرب من المصلحة.

ويدل آخر الآيات على الترغيب في الآخرة، والتزهيد<sup>(٢)</sup> في الدنيا.

قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (٣٧) وَالَّذِينَ إِذَا اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٣٩) وَحَزَنُوا سِنَةً سِنَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٢) وَلَمَنِ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٤٣).

### القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «كَبِيرَ الْإِثْمِ» بغير ألف وكسر الباء على واحد<sup>(٣)</sup>، وحملوه على الشرك، وفي سورة (النجم) مثله، وقرأ الباقون: «كَبَائِرَ» بالالف والهمز والمد على الجمع في السورتين، حملوا على جميع الكبائر، وقيل في الأول: إن المراد به الجنس.

### اللغة

الاجتناب عن الشيء: التباعد منه، ومنه: الجنبابة.

والباغي: المتطاول على غيره بالظلم، ومنه: البغاة، وأصل الباغي: الطلب، ومنه قول علي: (إخواننا بغوا علينا).

(١) بسبب: لسبب، د، ك.

(٢) والتزهيد: والترهيب، د، ك.

(٣) حجة القراءات ٦٤٣.

والعزم: ما<sup>(١)</sup> عقد قلبك من أمر أنك فاعله، يقال: عزمت عليك، أي: أمرتك أمراً جداً، والعزائم: الفرائض، ومنه حديث ابن مسعود: «إن الله يحب أن تؤتى رخصته، كما يحب أن تؤتى عزائمه» يعني فرائضه، والعزم من جنس الإرادة، وليس بجنس على حدة، إلا أن الإرادة إنما تسمى<sup>(٢)</sup> عزمًا متى تقدمت المراد ووقعت<sup>(٣)</sup> على وجه، ولهذا لا يجوز على الله تعالى.

والشورى: رد الرأي مع غيره «فُعْلَى» من شُرْتُ الدَّابَّةَ أَشَوْرُهَا، إذا رددتها للعرض على البيع<sup>(٤)</sup>، وقيل: من شَوَّرِ العسل.

### الإعراب

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ جواب القسم الذي دل عليه ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ كما قال تعالى: ﴿لَيْنَ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ [الحشر: ١٢] وقيل: بل هي في موضع الخبر؛ لأنه قيل: إن ذلك منه لَمِنْ عزم الأمور، وحسن ذلك مع طول الكلام.

﴿سَيِّئٌ﴾ رفع؛ لأنه خبر: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئٍ﴾.

### النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ وما بعده في أبي بكر - رضي الله عنه - حين لاموه على إنفاق كُلِّ مَالِهِ، وَشَتَمَ فَحَلَمَ.

وعن علي عليه السلام: (اجتمع لأبي بكر مال فتصدق<sup>(٥)</sup> بجميعه<sup>(٦)</sup>)، فلامه المسلمون، وخطأه الكافرون، فأنزل الله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٧)</sup> إلى قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) ما: بما، ت، د، ك.

(٢) تسمى: سمي، ت.

(٣) ووقعت: وقع، د، ك.

(٤) للعرض على البيع: للغرض، د.

(٥) فتصدق: فصدق، ك.

(٦) بجميعه: بجميعها، ت.

(٧) في، ت، ك: وما.

(٨) وخطأه الكافرون... ينفقون: +، ت، ك.



## المعنى

لما تقدم ذكر المؤمنين وما أعد لهم، عقبه بذكر صفاتهم، فقال تعالى: «وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ» أي: يتباعدون ولا يفعلون<sup>(١)</sup> «كَبَائِرَ الْإِثْمِ» أي: عظام الذنوب، وقيل: هو كل ما فيه وعيد، وليس بصحيح؛ لأن الوعيد يتناول الصغير والكبير، وبعض الكبائر معلومة دون كلها<sup>(٢)</sup>، فأما بعضها وكل<sup>(٣)</sup> الصغائر، فلا<sup>(٤)</sup> تعلم بعينها، وإنما يعلم أن ذنوب الأنبياء صغائر بعد<sup>(٥)</sup> وجودها، وقد بيّنّا من قبل ما قيل في الصغائر والكبائر، وأن الذي يقوله شیوخنا: أن كل ذنب كان عقابه أقل من ثواب فاعله فهو صغير، وكلما كان عقابه أكثر من ثواب فاعله فهو كبير؛ ولهذا قلنا: يجوز أن يكون ذنباً<sup>(٦)</sup> صغيراً من واحد، كبيراً من غيره، وإنما نقطع في ذنوب الأنبياء أنها صغائر لما دل الدليل أن الكبائر لا تجوز عليهم.

ومن مشايخنا من يقول: الصغير ما وقع سهواً ونسياناً.

ومتى قيل: لم أضاف الكبائر إلى الإثم؟

قلنا: لوجهين:

أحدهما: لأن<sup>(٧)</sup> في الإثم صغيراً وكبيراً<sup>(٨)</sup>، عن أبي علي.

وثانيهما<sup>(٩)</sup>: ما يكون الإثم كله<sup>(١٠)</sup> كبائر، فيكون بمنزلة إضافة الصفة إلى

(١) أي يتباعدون ولا يفعلون: +، ت، ك.

(٢) دون كلها: +، ت.

(٣) بعضها وكل: -، ت.

(٤) فلا: -، ت.

(٥) بعد: عند، ت.

(٦) ذنباً: ذنب، د.

(٧) لأن: لئن، د.

(٨) صغيراً وكبيراً: صغير وكبير، ت.

(٩) وثانيهما: وثانيها، ت، ك.

(١٠) الإثم كله: الأثام كلها، ت، د، ك.

الموصوف، «وَالْفَوَاحِش» قيل<sup>(١)</sup>: كل قبيح، وقيل: هو الزنا، عن السدي. وقيل: موجبات الحدود، عن مقاتل. والأول أوجه؛ لأن ما قالاً يدخل فيه.

«وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» أي: يتجاوزون، وهذا فيما كان للعباد بعضهم على بعض، يسقط بإسقاطه، فأما في<sup>(٢)</sup> حقوق الله تعالى فليس للإمام، ولا لأحد أن يغفو عنه «وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ» أي: أجابوا فيما دعاهم إليه من الدين «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» أقاموها في أوقاتها بشرائطها «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ» أي: لا يعملون إلا بمشاورة أهل الدين «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» مما أعطيناهم في وجوه البر «وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ» الظلم لا يستسلمون؛ بل يتناصرون، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وقيل: «ينتصرون» أي: ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا، عن السدي، وقيل: يتناصرون، معنى بحق يختصمون ويتخاصمون<sup>(٣)</sup>، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: أليس وصفوا في الآية الأولى بأنهم يغفرون؟

قلنا: قيل: ذلك في حقوق لا قصاص فيهما<sup>(٤)</sup>، وهذا فيما فيه قصاص، قال مقاتل: هذا في الجروح يقتصر، وقيل: ذلك في حقوق نفسه؛ كالأموال والحقوق، وهذا في حقوق الله تعالى، يفعله على سبيل الأمر بالمعروف، والكف على يد الظالم، وقيل: إذا غضب لدينه انتصر، وإذا غضب لدنياه وفي حقوق نفسه غفر «وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» ذكر في الآية الأولى ما يجب على الكافة من التناصر في دفع الظلم وإزالته، وذكر في هذه الآية ما هو حق المُنسأ إليه من المقاصد، والسيئة الأولى: الفعل القبيح، والظلم الذي يسوء غيره، والثاني: جزاؤه، وسمي<sup>(٥)</sup> الجزاء على الشيء، باسم الشيء، وإن كان الثاني حسناً كقول الشاعر:

(١) قيل: +، ت، ك.

(٢) في: +، ت.

(٣) يختصمون ويتخاصمون: يتخاصمون ويختصمون، ت.

(٤) فيهما: +، ت، ك.

(٥) وسمي: سمي، د، ك.

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ<sup>(١)</sup>  
 أي: نجازيه على جهله، وقيل: هو أن يقابل قوله غير مُتَعَدٍّ، فإذا قيل له<sup>(٢)</sup>:  
 أخزاه الله يقول: أخزاه الله، عن السدي، وابن أبي<sup>(٣)</sup> نجيح، وقيل: هو ما فيه  
 المقاصة واللعن والبراءة، عن أبي علي. «فَمَنْ عَفَا» ولم ينتقم ولم يقتصر، قال  
 ابن عباس: عفا<sup>(٤)</sup> ترك القصاص «وَأَصْلَحَ» قيل: هو العفو؛ لأنه من الأعمال  
 الصالحة، عن مقاتل، وقيل: أصلح بين العشيرتين بالعفو «فَأَجْرُهُ» أي: ثوابه وجزاؤه  
 «عَلَى اللَّهِ» وهو ضامن لله و(على) كلمة لزوم<sup>(٥)</sup> «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» أي: لا يريد  
 إعزاز من يتدئ الناس بالظلم، عن ابن عباس، وكما رغب في العفو زجر عن الخيانة  
 «وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ» أي: انتقم من ظالمه بعد أن ظلمه، فأضاف الظلم إلى  
 المظلوم والانتقام بالقصاص، عن قتادة، وأبي علي. «فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ»  
 أي: إثم، وقيل: مكروه في الدنيا والآخرة، وقيل: لم يروا حجة، عن أبي مسلم.  
 «إِنَّمَا السَّبِيلُ» أي: الإثم والعقاب «عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ» ابتداء «وَيَبْغُونَ فِي  
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» أي: يظلمون بغير حق.

ومتى قيل: لِمَ قرن البغي<sup>(٦)</sup> بغير الحق، والبغي لا يكون بِحَقٍّ أبدًا؟  
 قلنا: البغي أصله الطلب، فكأنه<sup>(٧)</sup> قيل: يطلبون ما ليس لهم بحق.  
 ومتى قيل: أليس الباغي ظالمًا، فلم كرر<sup>(٨)</sup>؟  
 قلنا: لأن البغي أعم.

(١) لسان العرب: (خدع)، و(رشد) والبيت قائله عمرو بن كلثوم في معلقته.

(٢) له: -، د.

(٣) أبي: +، ت.

(٤) عفا: عفا حق، ت.

(٥) وعلى كلمة لزوم: +، ت، ك.

(٦) البغي: بالبغي، ت، ك.

(٧) فكأنه: وكأنه، ت، ك.

(٨) كرر: يجوز، ت، ك.

«أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» موجه «وَلَمَنْ صَبَرَ» أي: تحمل المشقة في رضا الله «وَعَفَرَ» لأخيه ف«إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» أي: من ثابت الأمور التي أمر الله تعالى<sup>(١)</sup> بها، ولم تنسخ، وقيل: أخذ بالحزم، أي: بأعلى درجات الفضل.

### ✽ الأحكام

يدل أول الآية أن في الذنوب صغيرًا وكبيرًا<sup>(٢)</sup>.  
وتدل على أن الثواب إنما يستحقه من<sup>(٣)</sup> اجتنب الكبائر، فيبطل قول المرجئة.  
ويدل ﴿مَا عَصَيْتُمْ﴾ أن العفو في الجنايات تمدح به. والعفو على ضروب:  
أحدها: حق له، فإسقاطه إليه كالأموال وغيرها.  
وثانيها: استيفاؤها إلى الإمام وطلبه<sup>(٤)</sup> شرط، فعفوه<sup>(٥)</sup> بالألّا يُطْلَبَ كحد القذف.  
وثالثها: ما ليس إليه شيء من استيفاء، أو إسقاط، أو طلب، فليس إليه ذلك.  
ويدل قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى﴾ أن المشاورة في الأمور مما يمدح به.  
وتدل أن التمسك في الأمور بالجماعة واجب والفرق مذموم.  
ويدل قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾<sup>(٦)</sup> أن الحرام لا يكون رزقًا.  
ويدل قوله: ﴿يَنْصَرُونَ﴾ على وجوب دفع المضار إذا أمكن، والأولى بالمرء ألاّ يحتمل الذلة مع التمكن من العزة.  
ويدل ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ على حسن العفو؛ لأنه ينقل حقه من عوض الجناية إلى الثواب المستحق.

ومتى قيل: هل يحسن العفو على كل حال؟  
قلنا: في التائب نعم بالاتفاق، وفي المصيرّ يحسن عند مشايخنا؛ لأنه إسقاط حقه.  
وقال أبو القاسم: لا يحسن؛ لأنه إغراء، ولو كان حسنًا لكان الله تعالى أولى به.

(١) تعالى: +، ت.

(٢) صغيرًا وكبيرًا: صغير وكبير، ت، ك.

(٣) يستحقه من: يستحق لمن، ت.

(٤) وطلبه: فصلبه، ت.

(٥) فعفوه: بعفوه، ت، ك.

(٦) ينفقون: +، ت.

قلنا: مع قيام الوعيد لا يكون إغراء، وتجويز<sup>(١)</sup> الإسقاط بالعفو كتجويزه<sup>(٢)</sup> بالتوبة، ويجوز أن يعفو الله تعالى عن المصير، وإنما منعنا منه سمعاً. ويدل قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أنه لا يريد الظلم، خلاف قول المجبرة. ويدل على ورود الوعيد في أهل القبلة. ويدل قوله: ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ﴾ أن له استيفاء مثل حقه من ظالمه، كما له أن يعفو، وإنما الممنوع منه التعدي وطلب الزيادة<sup>(٣)</sup>. ويدل قوله: ﴿وَلَمَنِ صَبَرَ وَعَفَرَ﴾ على حسن الصبر والعفو، وما فيهما من المشقة، وما يستحق عليهما من الثواب. وتدل الآيات على أن أفعال العباد حادثة<sup>(٤)</sup> من جهتهم لا من جهته؛ لأنه أضاف ذلك إليهم، والأمر والنهي والوعد والوعيد فيه، كقوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾ [النجم: ٣٢] ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا﴾، واستجابوا - وأقاموا - ويبغون - وينتصرون - وعفا وأصلح، ولا يحب الظالمين - ولمن انتصر<sup>(٥)</sup> - ويظلمون - ويبغون - وصبر - وغفر، كل ذلك يدل على قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوا هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ۚ﴾ (٤٤) ﴿وَتَرْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ۚ﴾ (٤٥) ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ۚ﴾ (٤٦) ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكَيرٍ ۚ﴾ (٤٧).

(١) وتجويزاً: ويجوز، د.

(٢) كتجويزه: لتجويزه، ت.

(٣) ويدل قوله ولمن انتصر... الزيادة: +، ت، ك.

(٤) أفعال العباد حادثة: فعل العبيد حادث: د.

(٥) ولمن انتصر: وانتصر: د، ك.

### اللغة

الذُّلُّ: نقيض العز، ونظيره: الهوان، ذلٌّ فهو ذليل.  
والمُلَجَأُ: ما يُلتَجَأُ إليه.

### الإعراب

«خاشعين» نصب على الحال، أي: في حال الخشوع.  
«أهليهم» نصب بـ ﴿خَسِرُوا﴾، إلا أن هذه الياء لا يدخلها الفتح.  
﴿مِنْ طَرَفٍ﴾ قيل: (مِنْ) بمعنى الباء أي: بطرف خفي، عن يونس، وقال الأخفش: الطرف: العين، أي: من عين.  
﴿الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ الذين<sup>(١)</sup> في موضع رفع، على تقدير: هم الذين خسروا، وقيل: خبر (إن).

### المعنى

لما تقدم ذكر العذاب بيّن أنه لا ملجأ منه يومئذ، فقال - سبحانه -: «وَمَنْ يُضْلِلِ الله» قيل: يعذبه ويهلكه يوم القيامة لاستحقاقه ذلك، وقيل: يضله عن رحمته وجنته، عن أبي علي. «فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ» ناصر يمنع العذاب منه «مِنْ بَغْيِهِ» أي: سوى الله «وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ» أي: هل إلى رجعة إلى الدنيا طريق؛ لتتلافى ما فرطنا بالأعمال الصالحة «وَتَرَاهُمْ» يا محمد، وقيل: أيها السامع، أو أيها الإنسان «يُعْرَضُونَ» يعني الظالمين<sup>(٢)</sup> يعرضون<sup>(٣)</sup> «عَلَيْهَا» أي: على النار «خَاشِعِينَ» أي: خاضعين متواضعين نادمين «مِنَ الذُّلِّ» والهوان «يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ»<sup>(٤)</sup> من عين «خَفِيٍّ» قيل: ذليل، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: يسارقون النظر، عن الحسن، وقتادة، والسدي، والقرظي، وقيل: من عين لا تُفْتَحُ كلها،

(١) الذين: +، ت، ك.

(٢) يعني الظالمين: +، ت، ك.

(٣) يعرضون: +، ك.

(٤) من طرف خفي: طرف خفي، ت.

وإنما ينظر ببعضها إلى النار لعظم<sup>(١)</sup> ما فيها من العذاب والأهوال، وقيل: ينظرون إلى النار بقلوبهم؛ لأنهم يحشرون عميًّا، والنظر بالقلب خفي، وقيل: إذا برزت النار غضوا أبصارهم خوفاً منها «وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا» لما رأوا عظيم ما نزل بالظالمين «إِنَّ الْخَاسِرِينَ» في الحقيقة؛ لأن رأس المال هو النفس، فإذا أوبقها فلا خسران أعظم منه «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» بأن فوتوها الانتفاع ونعيم الجنة، وأهلكوها بالعذاب، «وَأَهْلِيهِمْ» قيل: أزواجه، وأولاده، وأقاربه، لا ينتفع بهم، وقيل: أهله من الحور العين، وقيل: أهليهم من الجنة لو آمنوا لكان<sup>(٢)</sup> ذلك لهم «أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ» دائم، وقيل: هذا تمام كلام المؤمنين، وقيل: بل هو خبر مبتدأ من الله تعالى في عذاب الظلمة، «وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أي: لا ولي لهم، ولا ناصر يتولى تخليصهم من العذاب «وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ» قيل: هذا جواب قولهم: ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ يعني من أهلكه الله فما له من طريق إلى النجاة، وقيل: من أبعد الله من الجنة ما يرشده أحد إليها، وقيل: ما له من سبيل، أي: انسدت عليه طريق الخير.

ولما آيسهم من طرق النجاة في الآخرة بيّن أن<sup>(٣)</sup> لهم طريقاً إلى النجاة ليسلكوها<sup>(٤)</sup>، فقال سبحانه: «اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ» أي: أجبوا فيما يدعوكم إليه من الإيمان «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ» يعني بادروا إلى الطاعة قبل فوت سبب الخلاص، وقيل: هو يوم القيامة، عن أبي علي، وأبي مسلم، وقيل: يوم الموت يجيء لا يرد ولا يؤخر عن وقته، عن أبي مسلم، «لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ» أي: لا يقدر أحد على رده، عن أبي علي، وقيل: لا يرجع فيه بعد ما حكم به، عن الحسن. «مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ» قيل: معقل يعصمهم من العذاب، وقيل: لا يجد من يخلصه «وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ» قيل: من ناصر ينكر<sup>(٥)</sup> ما يحل بكم، وقيل: من مخلص لما نزل بهم.

(١) لعظم: لعظيم، ت، ك.

(٢) لكان: كان، د، ك.

(٣) أن: -، ت.

(٤) ليسلكوها: ليسكونها، ت.

(٥) ينكر: +، ت، ك.

## الأحكام

يدل قوله: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾<sup>(١)</sup> أنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا وقت معاناة العذاب؛ ليطيعوا، ولو كانت<sup>(٢)</sup> أفعال العباد خلق الله تعالى لما صح هذا التمني، وكذلك لو لم يقدروا عليه، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة.

ويدل قوله: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ أن الظالم لا يخرج من النار، وأن الرسول ﷺ لا يشفع لهم، فيبطل قول المرجئة، ولا يقال: إن المراد به الكفار؛ لأنه خلاف الظاهر، وكذلك يدل قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِّنَ أُولِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ﴾ وأي نصرة أعظم من الشفاعة المؤدية إلى النجاة.

ويدل قوله: «استجيبوا» على وجوب الإجابة، وأنها الطريق إلى النجاة<sup>(٣)</sup>، وأن<sup>(٤)</sup> الإجابة فعلهم.

وتدل أن سبب الخلاص إنما هو في الدنيا دون الآخرة.

قوله تعالى:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبًا وَإِنْ تُضِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَّمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (٤٨) **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ** (٤٩) **أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُمْ عَلِيمٌ فَدِيرٌ** (٥٠) **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ** (٥١) **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** (٥٢) **صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** (٥٣).

(١) سبيل: -، ت، ك.

(٢) كانت: كان، ت، ك.

(٣) ويدل قوله استجيبوا... النجاة: +، ت، ك.

(٤) وأن: -، ت، ك.



## ❁ القراءة

قرأ نافع: «أو يُرسلُ رسولا» برفع اللام<sup>(١)</sup>، و«فَيُوحِي»<sup>(٢)</sup> بسكون الياء، ومحلّه رفع على تقدير: وهو يرسل ويوحى، وقيل: محله نصب على تقدير: أو موحياً أو مرسلًا، وقرأ الباقون بالنصب على تأويل المصدر، كأنه قيل: إلا أن يوحى أو يرسل، فيعطفه على محل الوحي، وعلى القراءتين صح عطف «أو يرسل» على «يوحي»؛ لأن قوله: «أو يرسل» فعل، وقوله: «إلا وحيًا» اسم، وعطف الفعل على الاسم ممتنع، وقد قيل فيه وجهان: قيل: تقديره: أو إرسالًا<sup>(٣)</sup>، فيرسل على تأويل المصدر على ما بيّنّا، وقيل: تقديره: إلا أن يوحى<sup>(٤)</sup> في تقدير الفعل.

## ❁ اللغة

الإعراض: التولي عن الشيء والانصراف عنه، أعرض إعراضًا.

والبلاغ: إيصال المعنى إلى النفس بالذكر الذي هو البيان، وأصله الوصول.

والعُقْمُ: بضم العين وسكون القاف، والعَقِيمُ بفتحها في النساء التي لا تلد، ومنه: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩]، ومنه: «سوداء وَلَوْدٌ خير من حسناء عقيم» لا تلد له، وريح عقيم، لا تأتي بسحاب ولا مطر، ويقال: عَقِمَتِ المرأة، وعُقِمَت بفتح العين وضمها فهي معقومة، فإذا كان سيئ الخلق قيل: عَقَمَ بضم القاف، فهي عَقَامٌ، وعقيم، وأصل الباب: المنع، فكأن العقيم عَقِمَ فرجها عن الولادة، أي: مُنِعَ، ومنه قيل: للحاجز بين التبن والحب إذا ذري الطعام مُعَقِم.

والوحي: إعلام في إخفاء، وكل أمر سريع فهو وحي، ومنه: الْوَحَى الْوَحَى، ويسمى الرسالة والكتاب والإشارة وحيًا، وَأَوْحَى وَوَحَى لغتان، والإلهام يسمى وحيًا.

(١) حجة القراءات ٦٤١.

(٢) وفيوحي: فيوحي، ت، ك.

(٣) إرسالًا: -، د.

(٤) يوحى: يوحى يوحى، ت، ك.

## الإعراب

«أو» في قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ قيل: بمعنى العطف، فيكون إرسال الرسول أحد أقسام الكلام، تقديره: إلا وحياً، أو إرساله، وقيل: (أو) بمعنى (إلا)، كقولك: لَأَلْزَمْتُكَ أَوْ تُعْطِيَنِي<sup>(١)</sup> حقي، فلا يكون الإرسال في هذا الوجه من أقسامه، وحياً: تقديره: إلا أن يوحى وحياً، وقيل: ما كان يكلمه إلا في حال الإيحاء.

﴿صَرَّطَ اللَّهُ﴾ جر؛ لأنه بدل من قوله: ﴿إِلَى صَرَّطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ كقولك: مررت برجل عبد الله.

## النزول

قيل: نزل قوله: «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ» في الأنبياء «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا» لوط<sup>(٢)</sup>، لم يولد له ذكرٌ «وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ» إبراهيم، لم يولد له ابنة «أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا» النبي ﷺ ولد له بنون وبنات «وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا» يحيى وعيسى ﷺ، وقيل: بل هو عام، وهو أوجه.

وقيل: نزل قوله<sup>(٣)</sup> «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ . . .» الآية في اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله ننظر إليه<sup>(٤)</sup> إن كنت نبياً، كما كلم موسى ونظر إليه، فإننا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال ﷺ: «لم ينظر موسى إلى الله» فتزلت.

## المعنى

ثم بَيَّنَّ من أَعْرَضَ عن طريق النجاة، فقال - سبحانه -: «فَإِنْ أَعْرَضُوا» عما دعوتهم إليه «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا» قيل: يحفظهم عن اعتقاد خلاف الحق، وقيل: حفيظاً إلى الخير كرهاً «إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ» يعني إبلاغ الرسالة ليس عليك غير

(١) أو تعطني: +، ت، ك.

(٢) لوطاً: ولوط، ت.

(٣) نزل قوله: +، ت، ك.

(٤) إليه: إليك، ت.

ذلك «وَأِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً» أي: نعمة، وسماها ذوقاً؛ لأنه قليل بالإضافة إلى مقدورات الله تعالى «فَرِحَ بِهَا» عجباً وبطراً<sup>(١)</sup>، ولم يشكر المنعم، «وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ» أي: ما يسوؤهم من مرض أو فقر «فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ» بعد المصيبة، ويحمد النعمة، فحاله بخلاف حال المؤمن إذا أصابته نعمة شكر، أو محنة صبر. وعلم أن جميع<sup>(٢)</sup> ذلك من مصالحه.

ثم بيّن تعالى أن النعم كلها منه، فقال تعالى: «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي: القادر على إحداثهما وإمساكهما، وتسكينهما «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» من أنواع الجواهر والأعراض والجنين في الأرحام والبيض «يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً» فلا يولد له ذكر، «وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ» البنين، «أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً» أي: يولد[له] الابن والابنة، وقيل: يجعل<sup>(٣)</sup> حمل المرأة مرة ابناً ومرة ابنة، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، والسدي، وقيل: يجتمع في الرحم الذكر والأنثى، فيكونان توأمين، عن محمد بن الحنفية، وقيل: مقترنين زوجين. «وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ» من الرجال والنساء «عَقِيمًا» لا يلد ولا يولد له «إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ» قيل: عليم بما في الأرحام، قادر على جعله فيها كما يشاء، وقيل: عليم بالمصالح يهب لكل أحد ما هو أصح له، وهو قادر على ذلك، وقيل: عالم بالأشياء قبل كونها وبعد كونها، قادر على تكوينها وإفنائها كما شاء.

ثم بيّن أن من أنواع ذلك: الوحي، فقال - سبحانه -: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ» فكلام الله تعالى لعباده على ثلاثة أوجه:

الأول: الوحي، وإن كان جميعاً وحياً، وقيل: أراد بالوحي الإلهام، وقيل: هو إلقاء الخواطر وإقامة الأدلة، وشرع الاستدلال، كما فعل إبراهيم في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]، عن أبي مسلم، وقيل: الإلهام من

(١) عجباً وبطراً: عجب وبطر، ت، ك.

(٢) جميع: -، ت، ك.

(٣) يجعل: عمل، ت، ك؛ يحمل: د.

جنس الاعتقادات لا من جنس الكلام فيبعد<sup>(١)</sup> أن يكون الإلهام وحياً، وقيل: الخاطر وما يراه في المنام، عن أبي علي.

الثاني: من وراء حجاب قيل: يكلمه بكلام يسمعه ولا يرى المتكلم بمنزلة ما يسمع من وراء الحجاب؛ لأنه تعالى لا يجوز عليه الحجاب، ولا يكون كلامه ككلام من يرى ويدرك، عن أبي مسلم، وقيل: يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه، إلا ممن يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى ﷺ في المرة الأولى، بخلاف كلامه في المرة الثانية؛ لأنه سمع ذلك معه السبعون، عن أبي علي، وقيل: يحصل الكلام من وراء حجاب أي: مكانه الذي خلق فيه، فالحجاب راجع إلى مكان الكلام، ولا يقال: إن المتكلم من وراء حجاب؛ لما بيّن أن الحجاب لا يجوز عليه؛ لأنه من صفة الأجسام، وما يسمعه<sup>(٢)</sup> الملك من هذا القبيل؛ لأنه يسمع الكلام من غير رؤية محله والمتكلم به، ويعلم أن كلامه بمعجزة، أو ما يجري مجرى المعجزة.

في الحجاب ثلاثة أوجه:

الأول: حجاب عن إدراك الكلام إلا المُكَلَّم به.

والثاني: حجاب لمحل الكلام.

والثالث: بمنزلة ما يُسمَع من رواء حجاب.

والثالث: أو يرسل رسولاً من الملائكة<sup>(٣)</sup>، فيأتي به إلى النبي ﷺ فيسمعه منه فيؤديه إلى الخلق.

«بإذنه» قيل: بعلمه، وقيل: بأمره، وهو الوجه «ما يشاء» يعني يوحى كما يشاء الله بحسب ما يعلم من مصالح الخلق «إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» في فعل الأصلح، «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» أي: كما أوحينا إلى سائر الأنبياء أوحينا إليك «رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» قيل: نبوة، وقيل: وحياً، عن السدي، وقيل: كتاباً، عن الكلبي، وقيل: جبريل، عن الربيع،

(١) فيبعد: -، د.

(٢) -، وما يسمعه: وما سمعه، ت، ك.

(٣) الملائكة: الملك، د، ك.

وقيل: هذا القرآن، عن مالك بن دينار، وأبي علي، وأبي مسلم، وسمي روحًا؛ لأن به حياة الدين، كما أن النفس تحيا بالروح، عن أبي علي، وقيل: لأنه كلام، والكلام تأليف الحروف من الأصوات، وهي تقطيع الهواء وحركته، وحركة الهواء هي الروح، والريح والروح سواء، عن أبي مسلم، والأول أولى؛ لأنه لو كان كما قال لما اختص به القرآن «من أمرنا» قيل: معناه أمرناه أن يكون فكان، وهو<sup>(١)</sup> تَوَسَّعٌ؛ يعني كَوَّنَهُ كما شئنا، وقيل: مِنْ فَعَلْنَا، وقيل: الوحي إليك كان بأمرنا «مَا كُنْتُ تَذَرِي» يا محمد «مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» قيل: ما كنت تعلم أن الكتاب يأتيك، وما كنت تعلم الإيمان بالكتاب، فَعَدَّ نَعْمَهُ عليه، وقيل: ما كنت تدري<sup>(٢)</sup> [ما الكتاب] قبل البعثة، ولا الإيمان قبل البلوغ، قيل: ولا تجد الإيمان يعني شرائع الإيمان ومعالمه، وقيل: الدعوة إلى الإيمان، عن أبي العالية، وقيل: أهل الإيمان من يؤمن ومن لا يؤمن، وقيل: أراد بالإيمان الصلاة، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، «وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا» قيل: جعلنا القرآن نورًا، عن السدي؛ لأن فيه معالم الدين، وقيل: جعلنا الإيمان، عن ابن عباس؛ لأنه طريق النجاة، «نورًا»: سمي الكتاب والإيمان نورًا توسعًا؛ لأن الإنسان به يصل إلى الخيرات، كما يصل بالأنوار إلى أموره «نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» قيل: نرشده إلى الجنة بأن آمن<sup>(٣)</sup> به، وقيل: نهدي به من نشاء، وهم المكلفون<sup>(٤)</sup>؛ لأن من ليس بمكلف لا يهتدي «وَأِنَّكَ لَتَهْدِي» أي: لترشد فتدعو «إِلَى صِرَاطٍ» طريق «مُسْتَقِيمٍ» قيل: هو القرآن، وقيل: الإسلام، والمستقيم الذي تستمر صحته ولا يتناقض «صِرَاطِ اللَّهِ» قيل: دين الله، وقيل: طريق ثوابه وجنته «الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» يعني الذي يجوز أن يأمر ويكلف من له ما في السموات والأرض «أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ» أي<sup>(٥)</sup> إلى حكمه، فيقدر فيها كما يشاء.

(١) في ت: هو.

(٢) تدري: -، ت.

(٣) آمن: أمر، د، ك.

(٤) المكلفون: المكلف، ك.

(٥) أي: +، ت، ك.

## ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ الآية أن المعرض جانٍ على نفسه، وأُتِيَ من قِبَلِهِ لا من قِبَلِ الله ورسوله، فيبطل قول المجبرة.

ويدل قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ أن كلامه مع عباده لا يخلو من هذه الأوجه الثلاثة.

وتدل على حدث كلامه؛ لأنه قرن به أمانة الاستقبال، فقال: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ﴾.

وتدل أنه لا يُرى في الجنة؛ إذ لو رُئِيَ<sup>(١)</sup> وكلمهم<sup>(٢)</sup> لخرج<sup>(٣)</sup> من الوجوه الثلاثة إلى المشافهة.

ويدل قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ أن الهداية: الدلالة والبيان، وأن الرسول يهدي، خلاف قول المجبرة في الوجهين.

ويدل قوله: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ﴾ على زجر ووعيد، وحث على الطاعة، وأن الجزاء عنده.

(١) رئي: رأى، ت، د.

(٢) وكلمهم: لكلمهم، ت؛ كلمهم، ك.

(٣) لخرج: فخرج، ت.



## سُورَةُ الزُّخْرُفِ

سورة (حم) (الزخرف)، تسع وثمانون آية، قال القاضي: وهي مكية فيما روي عن الحسن وغيره.

وروى أبى بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة (حم الزخرف) (٢) كان ممن يقال له يوم القيامة: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، ادخلوا الجنة بغير حساب».

ولما ختم سورة (حم عسق) بذكر القرآن والوحي؛ افتتح هذه السورة بذلك أيضًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَنْبَاءِ لَكُنْزٌ ۝٤ أَنْفَضَرِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧ فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾

(١) حم: +، ت، ك.

(٢) الزخرف: زخرف، ت، د، ك.



## ❁ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي: «إِنْ كُنْتُمْ» بكسر الألف على الاستقبال، تقديره: إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ لَا نُضْرِبُ<sup>(١)</sup> عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا، وقيل: (إِنْ) بمعنى (إِذَا) كقوله: ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الْإِبْرَاءِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] وقرأ الباقر بفتح الألف على التعليل، أي لِأَنَّ كُنْتُمْ مُسْرِفِينَ.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: «مَهْدًا» بغير ألف وفتح الميم. الباقر بالألف وكسر الميم، وهما لغتان يقال للأرض<sup>(٢)</sup>: مَهْدٌ وَمِهَادٌ أي: بساط، يقال: مَهَّدْتُ لِنَفْسِي، وَمَهَّدْتُ بِالتَّشْدِيدِ والتخفيف، جعلت مكانًا وطينًا سهلًا.

## ❁ اللغة

البيان: هو الدلالة التي<sup>(٣)</sup> يظهر بها المعنى للنفس، وأصله من القطع، يقال: بان: فارق، وأبان: فصل بين الشيء وغيره، وبان لك الشيء وأبان واستبان، وَبَيَّنَّ وَتَبَيَّنَّ<sup>(٤)</sup> بمعنى، واختلفوا في البيان، قيل: هو الدلالة التي بها يتبين<sup>(٥)</sup> الحق، عن أبي علي، وأبي هاشم، وقيل: هو العِلْمُ الحادث، عن أبي عبد الله، والأول الوجه، وقيل: هو ما يخرج الشيء عن حد الإشكال إلى حد التجلي.

والصفحة: الإعراض، صفحت عنه: أعرضت، والأصل فيه أن من أعرض عن صاحبه ولاه صفحة عنقه، وصرف عنه وجهه، يقال: صفح عني بوجهه، والصفوح<sup>(٦)</sup> من أسماء الله تعالى: العفو عن الذنب، كأنه أعرض عن مجازاته تفضلاً، والصفوح من نعت النساء التي تترك أحد<sup>(٧)</sup> جانبي وجهها، صدًا وإعراضًا.

والإسراف: مجاوزة الحد في العصيان، والسرف: ضد القصد.

(١) نضرب: نصرف، ت، د، ك.

(٢) في ت، الأرض.

(٣) التي: +، ت، ك.

(٤) وتبين: وبين، ت.

(٥) يتبين: بين، د.

(٦) والصفوح: وبالصفوح، د.

(٧) أحد: إحدى، ت، د، ك. وكتب في كلمة: صوابه أحد.

والبطش: الأخذ بشدة.

### الإعراب

«والكتاب» أي: وربّ الكتاب، فكسر لأجل الإضافة، وقيل: للقسم، والواو فيه واو القسم.

«كم» كلمة تكثير، و«صفحا» مصدر أقيم مقام الفاعل، ونصب على الحال تقديره: أفنضرب عنكم بذكر آبائكم صافحين.

«جعلناه» الكناية ترجع إلى الكتاب، ومحله نصب بـ(جعلنا)<sup>(١)</sup>، وكذلك «قُرْءَانَا عَرَبِيًّا».

ويقال: أين جواب القسم في قوله: «والكتاب»؟

قلنا<sup>(٢)</sup>: قيل: قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>، عن الأخفش، وقيل: بل هو كلام مبتدأ، والجواب مضمّر.

### المعنى

﴿حَم﴾ قيل: قسم أقسم الله بالقرآن، وقيل: اسم للسورة<sup>(٤)</sup>، عن الحسن، وأبي علي، وقيل: إشارة إلى أنه مؤلف من هذه الحروف، فيكون محدثاً، عن أبي بكر الزبيري، وقيل: الحاء من حلیم، والميم من ملك «وَالْكِتَابِ» يعني القرآن، سمي به؛ لأنه يُكْتَبُ، «الْمُبِينِ» قيل: مبین الحق من الباطل، أي: فاصل بينهما مُظْهِر، وقيل: ما بان خيرُه وبركته، أي: ظهر، وقيل: أبان طريق الهدى والضلالة، وأبان كل ما يُحتاج إليه من أمور الدين «إِنَّا جَعَلْنَاهُ» أي: أحدثناه<sup>(٥)</sup> وأنزلناه «قُرْءَانًا عَرَبِيًّا» أي: بلغة العرب، وقيل: سميناه ووصفناه بأنه عربي، والأول الوجه؛ لأنه

(١) جعلنا: جعلت، ت، ك.

(٢) قلنا: +، ت.

(٣) ويقال أين جواب... عربيا: +، ت، ك.

(٤) للسورة: السورة، ت.

(٥) أحدثناه: أحدثنا، د.

حقيقة، وهذا تَوْشُّعٌ ومجاز، ولأنه لو لم يسمه عربياً لما خرج من كونه عربياً «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أي: لتعلموا ذلك، وقيل: يتلوه النبي ﷺ رجاء استماع وقبول منكم، عن أبي مسلم «وَلِإِنَّهُ» يعني القرآن «فِي أُمِّ الْكِتَابِ» في اللوح المحفوظ، وإنما سمي أُمًّا؛ لأن سائر الكتب تنسخ منه، وقيل: لأنه أصل الكتاب وجملته، عن قتادة، وقيل: أم الكتاب: الآيات المحكمة، والمراد به (١) نفس الكتاب، إنه محكم منزل بالحكمة، عن أبي مسلم، وقيل: الكتاب: الإيجاب، يعني حين أوجب إنزال الكتب على الأنبياء أوجب أن يكون هذا الكتاب علياً، عن أبي مسلم. «لَدَيْنَا» عندنا، يحتمل أن يريد اللوح المحفوظ، ويحتمل القرآن، والإضافة (٢) للتشريف والتخصيص «لِعَلِّيَّ» يعني القرآن علا، قيل: يعلو كُلُّ كتاب؛ بما خصه من كونه معجزاً، وآخر الكتب، ووجوب إدامة العمل به، وما فيه من أنواع الفوائد، وقيل: عَلِيٍّ، أي: عظيم الشأن، رفيع الدرجة، تعظمه الملائكة والمؤمنون «حَكِيمٌ» دلالة على كل حق وصواب، فهو بمنزلة الحكيم الذي لا ينطق إلا بالحق، والصفتان في القرآن (٣) توسع؛ لأن حقيقة العلي الفاهر الغالب، وحقيقة الحكيم العالم، وكلاهما من صفة الحي «أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذَّكَرَ صَفْحًا» اختلفوا في معناه، قيل: معناه أنعرض (٤) عنكم، ولا ندعوكم؛ لإسرافكم وترككم القبول، فَلَفْظُهُ للاستفهام (٥) والمراد به الخبر، أي: لم يكن إسرافكم موجباً أن نضرب عن تذكيركم صفحاً، ولا ننزل القرآن ونترككم من أجل كفركم؛ بل لرحمته يتابع الحجج، فيتابع البيان، ولا يخليهم عن الإنذار حجة عليهم، عن قتادة، وابن زيد، وأبي مسلم، وقيل: هو وعيد، يعني إسرافكم لا يمنع من مؤاخذتكم إذا أعرضتم عن الذكر الذي هو القرآن، وتقديره: أنعرض عنكم وترككم، فلا نعاقبكم؟ فالألف استفهام، والمراد الإنكار، عن مجاهد، والسدي، قال

(١) به: +، ت، ك.

(٢) الإضافة: +، ت، ك.

(٣) في القرآن +، ت، ك.

(٤) أنعرض: العرض، ت، ك.

(٥) للاستفهام: الاستفهام، ت، ك.

ابن عباس : معناه : أفحسبتم أن نصفح عنكم ، ولم تفعلوا ما أمرتم؟ وقيل : أترككم ما نأمركم ولا ننهاكم؟ عن الكلبي ، وقيل : أنطوي عنكم الذكر طيًّا ، فلا تدعون ، ولا توعظون؟ عن الكسائي . وهذا من فصيح الكلام ، ولم يفصلوا .

قال شيخنا أبو علي رحمه الله : هذا الكلام يحتمل معنيين :

الأول : الرحمة ، يعني : لا نترككم وسوء اختياركم ، ولا نقابل بالإعراض<sup>(١)</sup> إعراضًا ؛ بل نذكركم ونعظكم ، وندعوكم ، لا ننظر إلى إسرافكم ؛ لكن رحمة منا فعلنا ذلك .

والثاني : المبالغة في التغليظ ، يعني : أتظنون إن<sup>(٢)</sup> كنتم سادة ورؤساء تُشركون وما تفعلون؟ كلا ، بل نلزمكم العمل ، وندعوكم إلى الدين ، ونؤاخذكم متى أخللتم بالواجب ، أو أقدمتم<sup>(٣)</sup> على القبيح .

«أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ» قيل : مجاوزين الحد<sup>(٤)</sup> في المعصية ، وقيل : مشركين ، والأول أوجه ؛ لعموم اللفظ .

ثم أكد الوعيد ، فقال - سبحانه - : «وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ» يعني الأمم الماضية ، «وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ» برسولهم «يَسْتَهْزِئُونَ» استهزاء قَوْمِكَ بك ، وقيل : لما استهزؤوا أخذوا بعذاب الاستئصال ، كذلك أنتم تؤخذون إن فعلتم مثل ذلك ، وقيل : مع استهزائهم لم تضرب عنهم صفحًا ؛ بل كررنا الوعظ ، وأعدنا الرسل ، «فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا» قيل : أشد قوة من قومك ، عن الحسن ، يعني أهلكنا من أولئك الأمم بأنواع العذاب مَنْ كان أشد من هؤلاء قوة ومنعة «وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ» قيل : صفتهم ، وقيل : خبرهم ، وقيل : أنفسهم وما نالهم من العذاب صار مثلاً لمن بعدهم ، وتقدير الكلام - وهو مثل لهؤلاء الباقين - إن لم<sup>(٥)</sup> يؤمنوا لكان

(١) بالإعراض : الإعراض ، ت ، د ، ك .

(٢) إن : وإن ، ت ، د ، ك .

(٣) في د : وأقدمتم .

(٤) في ت : للحد .

(٥) في ك : إن لو لم .

حالهم كحال من تقدم «وَلَيْتَن سَأَلْتَهُمْ» يا محمد «مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» أي: ابتدأها، وأنشأها، والكناية إلى من ترجع؟ اختلفوا فيه، قيل: لئن سألت الأنبياء الماضين أو لقيتهم، أو سألت من يدين بدينهم، أو تمسك بطريقتهم، أو سألت عن كتبهم، وقيل: لو سألت كفار قريش، عن ابن عباس؛ لأنهم كانوا يقرون بالله، وأنه خالق السموات والأرض، وعبدوا مع ذلك الأوثان متوسطة بينهم وبينه، «لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ مَقْدُورٍ، «الْعَلِيمُ» بكل معلوم، يعني إذا أقرأوا بهذا لزمهم ألا يعبدوا سواه «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا»<sup>(١)</sup> أي: فراشًا تستقرون عليها «وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا» في الأرض «سُبُلًا» أي: طرقًا إلى مقاصدكم «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» قيل: لتهتدوا في أسفاركم إلى مقاصدكم، وقيل: لتهتدوا إلى الحق في الدين بالاعتبار الذي جعل لكم.

### الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ على أشياء:

منها: أن القرآن محدث؛ ليصح وصفه بالجعل.

ومنها: أن كلامه دليل على مراده، ولا يحتاج فيه إلى الإمام<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن المعارف مكتسبة.

ومنها: أنه شاء أن يتفكر فيه.

ومنها: أن مراده به<sup>(٣)</sup> أن يعقل معانيه<sup>(٤)</sup>، خلاف قول المجبرة: إن مراده من بعضهم ألا<sup>(٥)</sup> يفعل<sup>(٦)</sup> ويكفر<sup>(٧)</sup> به.

(١) في د: مهادا.

(٢) في ت: إمام.

(٣) به: +، ت، ك.

(٤) أن يعقل معانيه: أن لا يفصل معاصيه، ك؛ أن يفعل ما فيه، د.

(٥) ألا: أن لا؛ د، ت، ك.

(٦) يفعل: يؤمن، ت.

(٧) يكفر: يكفره، ت، ك.

ويدل قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ أن القرآن مؤلف في اللوح، وأنه أنزله حالاً بعد حال، على حسب المصلحة.

ويدل قوله: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا﴾ أن أكثر الأمم سلكوا مع أنبيائهم طريقة الاستهزاء والتكذيب<sup>(١)</sup>، وفيه تسلية للنبي ﷺ، ووعيد للكفار.

ويدل قوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ﴾ أن القوم كانوا مُقَرِّرين بالخالق، ثم عدَّ<sup>(٢)</sup> نعمه، وما يدل على توحيده؛ حثاً على عبادته.

ويدل قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أنه أراد من الجميع الاهتداء.

ويدل أن الاهتداء فعلهم، فيصح قولنا في المخلوق والإرادة.

قوله تعالى:

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾  
وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِّتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا  
إِنِ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾.

### القراءة

قرأ أبو جعفر: «بلدة مَيِّتة» بالتشديد كل القرآن<sup>(٣)</sup>. قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس: ٣١] وكذلك «إلى بلد ميت»<sup>(٤)</sup> ونظائرها مشددة في (آل عمران)، و(الأنعام) و(الأعراف)،

(١) في ت، ك: التكذيب والاستهزاء.

(٢) ثم عد: في د، ك: فعد. وما أثبتناه من ت ومن هامش ك ظ.

(٣) السبعة في القراءات ٢٠٣.

(٤) إلى بلد ميت: من بلد ميت، ت، د، ك.

و(يونس)، و(الروم)، و(فاطر)، وزاد نافع: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] و﴿لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]، و﴿الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [يس: ٣٣] فشدها كلها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر، وعاصم<sup>(١)</sup> كل ذلك بالتخفيف، وهما<sup>(٢)</sup> لغتان، وقرأ أبو جعفر: «جُزًا» مشددة بغير همز كل القرآن، وقرأ عاصم<sup>(٣)</sup> في رواية أبي بكر: «جُزءًا» بضم الزاي مهموزًا كل القرآن، والباقون ساكنة الزاي مهموزًا كل القرآن، وكلها لغات صحيحة.

### اللغة

النشر: ضد الطي، ومنه: نشر الله الموتى، أي: أحياهم بعد إماتتهم، كأنه كان مطويًا بالموت من النماء والتصرف، وأنشر الموتى فنشروا<sup>(٤)</sup> أحياهم فحيوا. استوى: اعتدل، واستوى إليه: قصد وأقبل، واستوى: استقر، واستوى: استولى وقدر.

والمُقرن للشيء: المطبق له، أَقْرَنَ يُقْرَنُ إقرانًا إذا أطاق وقوي عليه، ومنه: فلان قِرْنُ فلان: إذا كان له من القوة مثل ما له، وقد قيل: في قوله ﷺ<sup>(٥)</sup>: «الشمس تطلع من قرني الشيطان» أي: تطلع من قوة الشيطان، أي حين<sup>(٦)</sup> يتحرك ويتسلط، منهى عن الصلاة في ذلك الوقت، لما يلحقه من الوسوسة والأذى.

### الإعراب

«ظهوره» أضاف الظهور إلى الواحد؛ لأنه في معنى الجمع لا الجنس، والرهط، ونحوها من أسماء الجنس، وقيل: أراد الإبل؛ إذ لا يقال للسفينة ظهر، وقيل: الآية<sup>(٧)</sup> كناية عن بعض الأنعام؛ لأن كلها لا تركب، وقيل: تقديره: لتستووا على

(١) عن عاصم: +، د، ك.

(٢) وهما: وهم: ت، د، ك.

(٣) وعاصم كل ذلك... عاصم: +، ت، ك.

(٤) أحياهم بعد... فنشروا: -، ت.

(٥) قوله: قول، ت.

(٦) حين: حتى، د، ك.

(٧) الآية: لأنه، ت، ك.

ظهور<sup>(١)</sup> ما<sup>(٢)</sup> ذكرنا، وقيل: كناية عن المركوب، أي: استووا على المركوب، وقيل: لأنه ذكر الظهور بلفظ الجمع، فاكفَى به عن جمع الآخر.  
ويقال: لِم قال: «ظهوره» فَذَكَّرَ، والأنعام<sup>(٣)</sup> جمع<sup>(٤)</sup>؟  
قلنا: على بعض ما ذكرنا لا سؤال، وإن حمل على الأنعام، فإنه يُذَكَّر ويؤنث، وقيل: ردها إلى (ما) في قوله: ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾.  
«تذكروا» نصب؛ لأن المعنى لتستووا<sup>(٥)</sup> ثم لتذكروا، وعلامة النصب ذهاب النون.  
«وتقولوا» معناه: ولتقولوا: سبحان.

### المعنى

ثم بَيَّنَّ أدلة أخرى مؤكدة لما تقدم، فقال - سبحانه -: «وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ» قيل: من جهة السماء، وإنما هو من السحاب، وقيل: كل ما علاك فهو سماء، وأصله من السمو، قالوا: [كل ما] أنزل من السحاب فهو من السماء، وقيل: من السماء نفسه ينزله إلى الغيم، ثم إلى الأرض، ولا مانع من هذا، وهو الظاهر، فلا معنى لقطع الكلام عن حقيقته «ماء» يعني المطر «بقدر» يعني مقدار ما يحتاج إليه حتى لو نقص لأخل، ولو زاد لأفسد، فتجري الأنهار على هذا التدبير؛ ليعلم أنه من مدبر حكيم «فَأَنْشَرْنَا بِهِ» أي: أحيينا بالمطر، وإخراج النبات «بَلَدَةً مَيْتًا» يابسة لم يكن عليها النبات.

ثم بَيَّنَّ وجه الدلالة على الإعادة، فقال: «كَذَلِكَ<sup>(٦)</sup> تُخْرَجُونَ» يعني كما أحيانا البلدة الميتة بإخراج النبات يحييكم، ويخرجكم من قبوركم؛ لأن كل واحد منهما متعذر إلا على قادر للذات لا يمتنع عليه شيء؛ لأن الإعادة إنما تجوز على أفعاله

(١) ظهور: ظهوره، ك.

(٢) ما: -، ت، ك.

(٣) فذكروا والأنعام: فذكروا الأنعام، ت.

(٤) يعني أن جمع غير العاقل يعود الضمير عليه مؤنثا، مثل: الأشجار غرستها.

(٥) لتستووا: استووا، ت، ك.

(٦) وكذلك: كذلك، د.



الباقية دون أفعال غيره، كما أنه يقدر على إخراج النبات، وهي جواهر وأعراض لا يقدر عليها غيره «وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا» يعني أزواج الحيوان ذكراً وأنثى، وقيل: الأصناف من الحيوانات. وقيل: الأزواج: الشتاء والصيف، والحر والبرد، والليل والنهار، والشمس والقمر، والسماء والأرض، والجنة والنار، عن الحسن، وقيل: أراد الأشياء المتشاكلة، «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ» أي: السفن «وَالْأَنْعَامِ» الإبل «مَا تَرْكَبُونَ» فجعل الفلك مركباً في البحر، والأنعام مركباً في البر.

ثم بين الغرض فيه، فقال - سبحانه -: «لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ» أي: لتركبوها، والاستواء إشارة إلى أنه خلق ذلك وذلك؛ ليستوي الراكب على ظهره، ويتنفع بها في البر والبحر، «ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ» عليكم في خلقه وغير ذلك «إِذَا اسْتَوَيْتُمْ» استقررت «وَتَقُولُوا» شاكرين لنعمه «سُبْحَانَ» منزّه عن شبه المخلوقين، وفعله عن كل قبيح «الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا» أي: ذلل لنا حتى ركبناه مع عظمه وقوته، «وَمَا كُنَّا لَهُ» لولا فضله بتذليله «مُقْرِنِينَ» أي: مطيقين مقاومين في القوة، رابطين له قاهرين، فالفيل مع قوته مُذَلَّلٌ للصبي، وكذلك البعير والبقر «وَأَنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» هذا من تمام التنزيه أي: من عدله وفضله إعادة الخلق للجزاء، فنحن إليه نصير في المعاد، فسخر لنا هذا لمصالحنا ومنافعنا، ثم يعوضه في الآخرة ما يوفي على ما يلحقه من التعب في الدنيا، وأمرنا بالشكر لنستحق الثواب، لولا ذلك لما جاز التكليف والتسخير؛ لأن جميع ذلك تبع للتكليف، والتكليف إنما حسن؛ لأنه تعريض لمنزلة لا يصح استحقاقها إلا بالعمل، وهو الثواب لمقارنة التعظيم له.

ومتى قيل: ليس فيه ذكر للأنعام<sup>(١)</sup>؟

قلنا: قوله: «وَأَنَّا» إشارة إلى الراكب والمركوب، فلا بد من إعادة الكل.

ثم ذكر كفرهم مع هذه<sup>(٢)</sup> الأدلة الظاهرة، فقال - سبحانه -: «وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا» قيل: نصيباً وبعضاً، وقيل: عدلاً، عن قتادة، ومقاتل، وقيل: زعموا أن الملائكة بنات الله، فيكونون بَعْضُهُ، كما أن الابن بَعْضُ الأب، عن الحسن، وقيل:

(١) للأنعام: الأنعام، ت، ك.

(٢) هذه: +، ت، ك.

جزءاً من عباده، والكل عبيده، وقيل: الجزء اسم للبنات، يقال: لفلان جزء من العباد، أي: بنات، وأَجْزَأْتُ المرأة: ولدت البنات<sup>(١)</sup>، قال الشاعر:

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْمًا فَلَا عَجَبٌ      قَدْ تُجْزِي الحُرَّةُ المَذْكَارَ أَحْيَانًا<sup>(٢)</sup>

يعني إن ولدت أنثى، وليس هذا بالظاهر فلا<sup>(٣)</sup> يحمل عليه كلامه تعالى، «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ» أي: جحود لنعمه، اعتاد<sup>(٤)</sup> ذلك «مُبِينٌ» أي: ظاهر الكفران.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على<sup>(٥)</sup> أنه تعالى ينبت النبات عند إنزال المطر، وذلك مما أجرى الله<sup>(٦)</sup> به العادة، وإلا فهو قادر على إنباته من غير مطر.

وتدل على أنه كما قدر على الإنبات يقدر على إخراج الأموات أحياء، فشبه به هذا، وقد بَيَّنَّا أن كل واحد منهما مقدور له خاصة، وقيل: وَجْهُ الشبه، كما يخرج النبات من الأرض يخرج الأموات من القبور، وقيل: كما يخرج الولد بسبب النطفة، والنبات بسبب<sup>(٧)</sup> المطر، كذلك يعيد الخلق.

وتدل على وجوب شكر المنعم بما هيا لنا من المراكب في البر والبحر وتسخيرها مع عظم قوتها، ولولا تسخيرها لما أطعناه<sup>(٨)</sup>، فيعلم عند ذلك أن مُسَخَّرًا سَخَّرَهُ، يجب علينا<sup>(٩)</sup> شكره.

(١) البنات: بناتاً، ت، ك.  
(٢) البيت لم ينسب قائله، وذكر الزمخشري في الكشاف أن تفسير الجزء بالبنات من بدع التفسير، وصرح بأنه مكذوب على العرب ومنحول أنظر الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٣٤. وعجزه في الكشاف: زوجتها من بنات الأوس مجزئة

(٣) فلا: ولا، ت.  
(٤) اعتاد: أعاد، ت، ك.  
(٥) على: +، ت.  
(٦) الله: -، ت، ك.  
(٧) بسبب: لسبب، د.  
(٨) أطعناه: أطقناه، د، ك.  
(٩) علينا: عليه، د، ك.

وتدل على تعليم كيفية الشكر، وروي عن <sup>(١)</sup> علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، وكبر ثلاثاً، وهلل ثلاثاً»، وقال قتادة في هذه الآية: كيف تقولون إذا ركبتكم في الفلك؟ قال <sup>(٢)</sup> تقولون: «بسم الله مجراها ومرساها» <sup>(٣)</sup>، فإذا ركبتكم الإبل قلت: «سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُقَرَّنِينَ ﴿الآية﴾، وإذا نزلتم من الفلك والأنعام قلت: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً.

ويدل قوله: ﴿لَكَفُورٌ﴾ أن الكفر فعله.

قوله تعالى:

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَ كُ بِالْبَيْنِ ۖ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۖ أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۖ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنَّبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۖ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۖ أَمْ أَنَيْنَّاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۖ﴾

### القراءة

قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «يُنَشِّئُ» بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، على ما لم يسم فاعله، أي: يربى، وقرأ الباقر بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، أي: يَنْبُتُ ويكبر.

وقرأ أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: «عند الرحمن»

(١) عن: +، ت.

(٢) قال: +، ت.

(٣) مجراها ومرساها: مجريها ومرسيها، ك.

بالنون، وهو اختيار أبي حاتم، قال: لأن هذا مدح لهم، والخلق كلهم عباده، ولأنه يوافق قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقرأ أبو عمرو وعاصم، حمزة والكسائي: «عباد الرحمن» بالباء والألف جمع عبد، وقيل: جمع عابد، كقائم وقيام، وصائم وصيام<sup>(١)</sup>، ونائم ونيام، عن أبي مسلم، وجوز وجه الأول أيضًا، وهي قراءة ابن عباس، واختيار أبي عبيد؛ لأنه تعالى رد عليهم قولهم: [إنهم] بنات الله، وأخبر أنهم عبيده، قال سعيد بن جبیر: قلت لابن عباس: إن في مصحفی<sup>(٢)</sup>: «عند الرحمن»<sup>(٣)</sup> فقال<sup>(٤)</sup>: امحها، واكتبها: «عباد الرحمن»، ويؤيد هذه القراءة قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

قرأ أبو جعفر ونافع «أشهدوا» بهمزة ممدودة والشين ساكنة، وروي عن نافع غير ممدودة على ما لم يُسمَّ فاعله، أي: أحضروا خلقهم حين خلقوا من أشهدت. وقرأ الباقون: «أشهدوا» بفتح الألف والشين من «شهدت»، يعني: أحضروا، أضاف<sup>(٥)</sup> الفعل إليهم.

### اللغة

الكظم: إمساك على غيظ، يقال: كظم ومكظوم، أي: مملوء غيظًا وكرهًا. وأصل النشوء: الإحداث، الواحد ناشئ، ومنه: نشأ الله الخلق، أي: ابتدأهم، ومنه: أنشأ الشاعر، و﴿أَوْمَنُ يَنْشُؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ تَرَبَّى وَتَرَشَّحَ، وأصله: من «نشأ» إذا ارتفع. والخصام: يكون جمعًا، ويكون مصدرًا، وأصله من الخصومة، ويقال: للواحد وللثنتين وللجماعة وللذكر<sup>(٦)</sup> والأنثى: خصم، ونظيره<sup>(٧)</sup>: عدل. والخصم مبالغة فيه، كالخطيب ونحوه.

(١) وصيام: -، ت.

(٢) مصحفی: مصحف، ت، د، ك.

(٣) انظر الطبري تفسير الآية ١١٢/١١٤.

(٤) فقال: قال، د.

(٥) أضاف: وأضاف، د، ك.

(٦) وللجماعة وللذكر: وللجماعة والذكر، د، ك.

(٧) ونظيره: نظيره، ت.

والخَرْصُ: الكذب، خرص، واخترص، وتخرص: إذا افتري الكذب، ومنه: ﴿الْخَرْصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠] الكذابون، وكُلُّ مَنْ قَالَ بِالظَّنِّ فَهُوَ خَارِصٌ. والاستمسك بالشئ: التمسك به، يقال: مسك بالشئ وأمسك وتمسك<sup>(١)</sup> واستمسك، قال زهير:

بِأَيِّ حَبْلِ جَوَارٍ كُنْتُ أَمْتَسِكُ<sup>(٢)</sup>

### الإعراب

قوله: ﴿يُنشَأُ﴾ قيل: في محل من ثلاثة أوجه:

أولها: رفع على الابتداء، كأنه قيل: (مَنْ) ينشأ فأولئك ولده على ما قالوا.

الثاني: النصب على الإضمار، تقديره: أومَنْ ينشأ يجعلونه ربًّا.

الثالث: الكسر على قوله: ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ وقوله: ﴿بِمَا ضَرَبَ﴾.

### المعنى

ثم زاد في توبيخهم بسوء اعتقادهم، فقال - سبحانه -: «أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ» أي: كيف خصكم بالبنيين واتخذ لنفسه البنات، وليس بحكيم من اختار لنفسه الأدون ولغيره الأعلى، فلو جاز عليه الولد لما اختار البنات على ما تزعمونه، فقد غلطوا من وجهين:

أحدهما: جواز اتخاذ الولد في الأصل.

والثاني<sup>(٣)</sup>: في<sup>(٤)</sup> اتخاذ البنات، مع أنهم يكرهون ذلك لأنفسهم.

«وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا» يعني البنات التي أضافوها إليه «ظَلَّ»<sup>(٥)</sup>

(١) وتمسك: وأتمسك، ت.

(٢) في ت، د، ك، خيل؛ أيمسك.

البيت قائله زهير بن أبي سلمى وصدر البيت:

هَلَا سَأَلْتُ بَنِي الصَّيْدَاءِ كُلَّهُمْ بِأَيِّ حَبْلِ جَوَارٍ كُنْتُ أَمْتَسِكُ

أنظر ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق علي حسن فاعور، ص ٨١، بيروت، ١٩٨٨.

(٣) والثاني: الثاني، د.

(٤) في: +، ت.

(٥) ضل: وضل، ت.

وَجْهَهُ مُسَوِّدًا» في ذلك<sup>(١)</sup> مبالغة في الكراهة، وهذا تَوْسُّعٌ، والمراد به يسوؤه<sup>(٢)</sup> ما يسمع حتى تتغير سَوَاتُهُ<sup>(٣)</sup> ولونه، بخلاف ما بشر، فتَهْلِل وجهه «وَهُوَ كَظِيمٌ» مملوء كربًا وغيظًا.

ثم بَيَّن قصور حال النساء، فقال - سبحانه -: «أَوَمَنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ» في زينة النساء «وَهُوَ فِي الْخِصَامِ» في المنازعات والخصومات في أمور الدين والدنيا «غَيْرُ مُبِينٍ» أي: لا يبين ولا يظهر الحجة لضعفهن<sup>(٤)</sup>، وذكر أنه في مصحف ابن مسعود: (وفي الكلام غير مبين) ويحمل على أنه فسر به.

واختلفوا في المراد به، فقليل<sup>(٥)</sup>: أراد به النساء، عن قتادة، وأبي مسلم، وأبي علي، وقيل: أراد الأوثان كانوا يعبدونها وهي لا تتكلم، وقيل: تماثيلهم المضروبة من ذهب وفضة، عن ابن زيد. «وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا» أي<sup>(٦)</sup>: الملائكة بنات الله «أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ» أي: أَحْضَرُوا خَلَقَ الملائكة حتى شهدوا أنهم بنات؟ وقيل: شهدوا صورتهم وخلقهم فعلموا أنهم إناث عن أبي مسلم. «سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ» فيما زعموا «وَيُسْأَلُونَ» عنها يوم القيامة، وهو سؤال توبيخ، وقيل: تعجيز عن إيراد حجة على ما فعلوه.

وكما بَيَّنَّ تعالى خطأهم في التوحيد بَيَّنَّ خطأهم في العدل، فقال - سبحانه -: «وَقَالُوا» يعني الكفار «لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ» أي: لو شاء ألا<sup>(٧)</sup> نعبدهم ما عبدناهم بمشيئته، واختلفوا قليل: عبدناهم يعني الملائكة، عن قتادة، ومقاتل، والكلبي، وأبي مسلم، وقيل: الأوثان، عن مجاهد. «مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ» أي: لم يقولوا ذلك عن حجة وعلم، أشار أن ذلك باطل لما لم يقدر<sup>(٨)</sup> على دليل وعلم.

(١) ذلك: وذلك، ت، ك.

(٢) يسوؤه: يسوؤه؛ ت، د، ك.

(٣) سواته: سوته؛ ت، د، ك.

(٤) لضعفهن: لضعفين، ك.

(٥) قليل: قيل، ت.

(٦) أي: أن، ك.

(٧) ألا: أن لا؛ ت، د، ك.

(٨) يقدر: يقدر، ت.

ثم كذبهم في ذلك، فقال: «إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ»<sup>(١)</sup> أي: يكذبون، ثم أكد ذلك فقال - سبحانه -: «أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ» أي: من قبل القرآن «فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ»، وهذا<sup>(٢)</sup> استفهام والمراد الإنكار<sup>(٣)</sup>، أي: ما أنزلنا كتابًا، وآتيناهم أعطيناهم كتابًا يتمسكون به، ويرجعون فيما يدينون به إليه. وقيل: هذا يتصل بقوله: ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ يعني قولهم: الملائكة إناء: غلط منهم؛ لأنهم لم يشهدوا خلقهم، ولا نص عليه<sup>(٤)</sup> في كتاب ولا دليل في العقل. وقيل: بل يتصل بقوله: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ يعني إضافة الكفر إلى مشيئة الله لا حجة<sup>(٥)</sup> عليه عقلاً، ولا نص عليه في كتاب، وإنما هو كذب اخترصوه.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على أنهم أخطأوا<sup>(٦)</sup> في الدين من وجوه:

منها: إضافة الولد إلى الله، وذلك لا يجوز؛ لأنه من صفة الأجسام.

ومنها: أنهم أضافوا البنات إليه، وإنما اختار لنفسه الأدون، وهذا ينافي الحكمة.

ومنها: أنهم أضافوا إلى ربهم ما لو أضيف إليهم لكرهوه، فتدل على<sup>(٧)</sup> أنه لا يجوز إضافة القبائح إلى خَلْقِهِ وإرادته.

ومنها: أن الخصام في الدين وبيانه مَدْحٌ، فإذا لم تكن هذه صفة البنات كيف أضافوها إليه؟

ومنها: أنهم جعلوا الملائكة إناءً.

ومنها: أنهم زعموا جميع ذلك بلا حجة ومشاهدة، أو خبر أو دليل<sup>(٨)</sup>.

(١) إن هم إلا يخرصون: إن أنتم إلا تخرصون، ت، ك.

(٢) وهذا: فهذا، ت.

(٣) الإنكار: للإنكار، ت.

(٤) عليه: +، ت، ك.

(٥) لا حجة: لا حجة أنه، ت.

(٦) أخطأوا: أخطأوا؛ ت، د، ك.

(٧) على: -، ت.

(٨) أو خبر أو دليل: أو خبرًا ودليلاً، ت.

ومنها: أنهم أضافوا الكفر إلى مشيئته.

ومنها: أنهم قالوا ذلك بغير علم وحجة، وكلُّ قولٍ هذا سبيلُهُ فهو باطل.

ومنها: إقدامهم على الكذب في الدين، وكان شيخنا أبو حامد - رحمه الله - يقول: إنما أنكر الله تعالى عليهم وكفرهم؛ لأنهم أنكروا التوحيد والعدل، ففارقوا التوحيد بإضافة الولد إليه، وفارقوا العدل بإضافتهم الكفر إلى مشيئته.

وقيل: إن قوله: ﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحَيَاةِ﴾ يدل على جواز التحلي للنساء بالذهب وغيره، عن أبي العالية، وقتادة.

قوله تعالى:

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولُو جِنَّتِكُمْ يَهْدِي مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

### ❁ القراءة

قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم: «قال أولو جنتكم» بالألف على الخبر، وقرأ الباقون: «قُلْ<sup>(١)</sup> على الأمر».

وقرأ أبو جعفر: «أُولُو جِنَّتِكُمْ» بالنون والألف، وقرأ الباقون: «جنتكم» بالتاء بغير ألف، فالأول حكاية عن الجماعة، والثاني واحد، يعني الرسول قال لهم.

قراءة العامة: «أمة» مضموم<sup>(٢)</sup> الألف وهي الملة والدين، وعن مجاهد وعمر بن عبد العزيز: «إمة» بكسر الألف، قيل: هي الطريقة التي تقصد من قولهم: أَمَمْتُ، وقيل: هما لغتان.

(١) قل: قيل، ت.

(٢) مضموم: بضم، ت، ك.



## ❁ اللغة

الأمة: الجماعة على طريقة واحدة، كأنهم أموا جهة واحدة، وأصله: القصد.  
والمترف: الذي أثر طلب الترفه<sup>(١)</sup> على طلب الحجة، وكذلك<sup>(٢)</sup> النظر، وأصل  
الإِرْفَاهُ<sup>(٣)</sup>: التمتع والدعة.

## ❁ المعنى

ثم بيّن تعالى أن مبني<sup>(٤)</sup> أمرهم على التقليد، فقال - سبحانه -: «بَلْ قَالُوا» يعني  
المشركين، وهو جواب الاستفهام، وردًا لمقالتهم، يعني لم يشهدوا خلقهم، ولا  
رجعوا إلى كتاب؛ بل قالوا: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ» قيل: ملة، عن ابن عباس،  
ومجاهد، وقتادة، وأبي مسلم، والسدي. وقيل: الأمة الجماعة، أي: كانوا مجتمعين  
موافقين على هذا الذي نحن عليه، عن أبي علي. «وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» فلا  
نخالفهم «وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ» أي: نبي «إِلَّا قَالَ  
مُتْرَفُوهَا» أي<sup>(٥)</sup>: رؤساؤها ومنعموها، وإنما خصهم بالذكر وإن كانت العامة موافقة  
لهم؛ لأن الخطاب يتوجه إليهم، ولأن العامة تبع لهم «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ»  
على<sup>(٦)</sup> طريقة، وقيل: وجدناهم مجتمعين على هذا «وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» نقتدي  
بهم، فلا نخالفهم «قُلْ» يا محمد: أتتبعون آباءكم وإن «جِئْتَكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ  
آبَاءَكُمْ» يعني أصوب وأولى لما عليه من الدليل ف«قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ»  
فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ» قيل: عذبناهم بكفرهم كالمنتقم، وقيل: انتقمنا للمؤمنين<sup>(٧)</sup> منهم ومن  
إيذائهم «فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ».

(١) الترفه: الرقية، ت، ك.

(٢) كذلك: +، ت، ك.

(٣) الإرفاه: الإرقاه، ك.

(٤) مبني: بياض في ت.

(٥) أي: أو، ت.

(٦) على: -، ت، ك.

(٧) للمؤمنين: للمؤمن، ت، ك.

## الأحكام

تدل الآيات على ذم التقليد وبطلانه، وأن الواجب اتباع الدليل؛ لأن التقليد لا يميز الحق من الباطل.

وتدل على أن الواجب التفكير؛ ليعلم الهدى فيتبعه.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على أنه يعذب العصاة، وأنه كالانتقام منهم.

وتدل على أن التكذيب فعلهم.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۖ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۚ﴾ (٢٧) ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ۖ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨) ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٩) ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٠) ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ۖ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۚ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣٢).

## القراءة

قراءة العامة: «براء» بالالف وفتح الباء على الواحد، وعن ابن مسعود: «بريء» بالياء، قيل: هما بمعنى، وقيل: براء مصدر أقيم مقام الاسم، وبريء اسم. قراءة العامة: «معيشتهم» بغير ألف، وعن ابن عباس: «معاشهم» بالالف<sup>(١)</sup> على الجمع. قراءة العامة: «سُخْرِيًّا» بالضم، وعن ابن محيصن بالكسر، قيل: ما كان بالهزة<sup>(٢)</sup> فهو

(١) بالالف: +، ت، ك.

(٢) بالهزة: بالضم، ت، د، ك.

بالكسر، وما كان من جهة السُّخْرَةِ<sup>(١)</sup> فهو بالضم، وهو الصحيح من القراءة؛ لأن عليه عامة القراء، ولأن<sup>(٢)</sup> معنى الكلام عليه.

### ❁ اللغة

براء: مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، تقول: برئت براءة وبراء، وتقول: أنا منك براء، ونحن منك براء.

والتسخير: التذليل.

### ❁ الإعراب

يقال: ما العامل في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ؟﴾

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: محذوف [أي] واذكر إذ قال.

والثاني: مذكور بتقدير: فانظر كيف كان عاقبة أولئك إذ قال إبراهيم.

ويقال: ما الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي؟﴾

قلنا: قيل: تقديره: إني براء مما تعبدون من شيء إلا الذي فطرني.

وقيل: من كل معبود إلا الذي فطرني.

### ❁ النظم

يقال: كيف تتصل قصة إبراهيم بما قبلها؟

قلنا: لما ذم التقليد، وأوجب اتباع الدليل، عقبه يذكرهم بإبراهيم<sup>(٣)</sup> حيث خالف أباه، واتبع الحجة، وأنكر ذلك أبوه وأهل بلده.

(١) السخرة: الكسر، ت، د، ك.

(٢) ولأن: لأن، ت، ك.

(٣) إبراهيم: إبراهيم، د، ت، ك.

وقيل : لما أمر بمناظرتهم بقوله : ﴿ قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءُكُمْ ﴾ وهو ما دل عليه الدليل ، فإن أبوا إلا التقليد فتقليد إبراهيم أولى ؛ لأنهم من أولاده يعظمونه ، ويدعون أنهم على طريقته .

ويقال : كيف يتصل قوله : ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ ﴾ بما قبله ؟

قلنا : لما عولوا على تقليد الآباء ، ولم يتفكروا في الحجة ، اغتروا بطول الإمهال ، وإمتاع الله إياهم بنعيم الدنيا ، فأعرضوا عن الحق .

وقيل : لما ذكر إعراضهم بَيَّنَّ أنهم أُنُوا من جهتهم ، وأنه أزاح العلة ، وأمهل ، ومنع ، وأمر ونهى كي يتفكروا ويؤمنوا .

### ❁ المعنى

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ» أزر «وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ» يعني الأوثان لا أعبدها ، والنجوم<sup>(١)</sup> ، فإن قومه كانوا يعبدون النجوم «إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي» خلقتني ابتداء ، وهو الله تعالى ، عن قتادة ، قال : كانوا يقولون : الله ربنا مع عبادتهم الأوثان «فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ» إلى الحق بما نصب لي من الأدلة ، وفيه بيان ثقته بالله ، ودعاء لقومه<sup>(٢)</sup> ، بطلب الهداية من ربه ، وقيل : سيهدين إلى جنته وثوابه ، وقيل : سينجينني من عذابه «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ» يعني إبراهيم جعل هذه الكلمة باقية في ذريته لم يزل منهم من يقولها . واختلفوا ، فقيل : الله تعالى جعلها باقية ، يعني بأمره ولطفه ، وقيل : إبراهيم جعلها باقية بأن يوصي بها ، وأكد الأمر بالتكرير .

واختلفوا في الكلمة ، قيل : كلمة التوحيد : لا إله إلا الله ، عن مجاهد ، و قتادة<sup>(٣)</sup> ، والسدي ، وقد جرى ذكره في قوله : ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي وقيل : براءته من الشرك ، عن أبي علي . والكلمة قوله : ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا

(١) والنجوم : أو النجوم ، ت ، ك .

(٢) ودعاء لقومه : ولدعاء أموره ، ت ، د ، ك .

(٣) مجاهد و قتادة : قتادة ومجاهد ، ت ، ك .

تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ وقيل: وصيته التي أوصى بنيه على ما ذكره في سورة (البقرة)، عن محمد بن كعب القرظي، وقيل: هو قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، عن ابن زيد<sup>(١)</sup>، وأبي مسلم، وقيل: هو تسميته إياهم بالمسلمين.

واختلفوا في عقبه، قيل: من خلفه، عن ابن عباس. وقيل: ذريته وولده، عن مجاهد. وقال الحسن: عقبه وولده إلى يوم القيامة، وقيل: في آل محمد، عن السدي.

«لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» قيل: لعلهم يتوبون ويتذكرون، عن قتادة. وقيل: عما هم عليه من الظن إلى عبادة الله، وقيل: لعلهم يرجعون<sup>(٢)</sup> إلى دين إبراهيم، عن الفراء، والحسن. ومعنى (لعل) قيل: ليرجعوا، قيل: وصاهم أن يرجعوا. «بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ» أي: أنعمت عليهم بالنعم ولم أعاجلهم بالعقوبة فتمتعوا بها<sup>(٣)</sup> حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ قيل: القرآن، عن السدي. وقيل: الإسلام، عن الضحاك. وقيل: التوحيد، وقيل: الآيات الدالة على صدقه «وَرَسُولٌ مُبِينٌ» يبين<sup>(٤)</sup> الحق، وهو محمد ﷺ، «وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ» القرآن «قَالُوا هَذَا سِحْرٌ» أي: تمويه «وَأَنَّا بِهِ كَاِفِرُونَ».

«وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» اتفقوا أن القريتين مكة والطائف، واختلفوا في الرجلين، قيل: الوليد بن المغيرة من مكة، وحبيب بن عمرو في الطائف، عن ابن عباس. وقيل: عتبة بن ربيعة من مكة، وأبو عبد الله الثقفي من الطائف، عن مجاهد. وقيل: الوليد بن المغيرة من مكة، وأبو مسعود الثقفي من الطائف، عن قتادة، وأبي علي. وقيل: الوليد<sup>(٥)</sup> بن المغيرة من مكة، وكنانة بن عبد<sup>(٦)</sup> بن عمرو من الطائف، عن السدي. «عَظِيمٍ» أي: عظيم الشأن في الدنيا بالمال والجاه، فغلطوا من وجوه:

(١) ابن: أبي، د.

(٢) قيل لعلكم يتوبون... يرجعون: +، ت، ك.

(٣) بها: +، ت، ك.

(٤) في د: بين.

(٥) الوليد: وليد؛ ت، د، ك.

(٦) عبد: عد، د.

أحدها: جعلوا العظم بالمال والجاه.

والثاني: جعلوا إليهم الاختيار في المبعوث.

والثالث: لم يعرفوا الغرض بالبعثة، وأنه للاستصلاح، فيبعث من يصلح له.

«أَهُمْ يَقْسِمُونَ» استفهام والمراد الإنكار، أي: ليس إليهم قسمة الرحمة حتى يجعلوا النبوة لمن شاءوا «رَحْمَةً رَبِّكَ» أي: رزقه ونعمته بين عباده دينًا ودنيا «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»؛ يعني لم نرض قسمتهم أسباب الدنيا؛ لأنهم لا يصلحون لها، ومن لا يصلح لقسمة دنياه كيف يصلح لقسمة النبوة؟ فنحن قسمنا ذلك بينهم بحسب ما علمناه من مصالحهم، فبعضهم غني، وبعضهم فقير، وبعضهم مالك، وبعضهم مملوك «وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ» في المال والقوة والحرية<sup>(١)</sup> «لِيَتَّخِذَ<sup>(٢)</sup> بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا» قيل: ليعلم<sup>(٣)</sup> بعضهم بعضًا، وقيل: هو تسخير الفقير للغني بماله، وأرباب الحاجات لأصحاب الصناعات بصناعاتهم، يستعملونهم<sup>(٤)</sup> بأموالهم ويستخدمونهم<sup>(٥)</sup> فيكون سببًا لمعاش هذا بماله، ونفع هذا بأعماله، وكل واحد يحتاج إلى صاحبه من وجه، عن السدي، وابن زيد. وقيل: ليملك<sup>(٦)</sup> بعضهم بعضًا، ويتخذهم عبيدًا، عن قتادة، والضحاك. «وَرَحْمَةً رَبِّكَ» قيل: ثواب الآخرة، وقيل: الجنة «خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» من أموال الدنيا؛ لأنها باقية<sup>(٧)</sup> وهذا فان، وقيل: رحمة الله بالنبي لما أعطاه من<sup>(٨)</sup> النبوة «خَيْرٌ» من أموالهم التي جمعوها، عن أبي مسلم.

(١) والحرية: والحر، ت، ك.

(٢) ليتخذ: وليتخذ، ت، ك.

(٣) ليعلم: يتعلم، ت، د، ك.

(٤) يستعملونهم: ليستعملهم، د؛ يستعملهم، ت، ك.

(٥) يستخدمونهم: ليستخدمونهم، د.

(٦) ليملك: يملك، ت، ك.

(٧) باقية: باق، د، ك.

(٨) من: -، ت، ك.

## ❁ الأحكام

تدل الآية أن أبا<sup>(١)</sup> إبراهيم كان كافرًا، وهو آزر، ولا مانع منه، فلا يصح<sup>(٢)</sup> العدول عنه إلى أنه كان عمه، وقد نطق القرآن بذكر الأب في مواضع، ولا يحمل على المجاز إلا بدليل.

وتدل على أنه تعالى قسم الأرزاق بحسب المصلحة، وأنه قسم النبوة على ما هو الأصلح لعباده.

وتدل على أنه دبر العالم على أن يحتاج بعضهم إلى بعض؛ ليستدلوا بذلك على أن لها صانعًا لا يجوز عليه الحاجة.

وتدل أن طلب الآخرة خير من جمع الدنيا.

قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

## ❁ القراءة

قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو: «سَقْفًا» بفتح السين وسكون القاف على واحد، وأراد الجنس، ولقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ [النحل: ٢٦]، [وقرأ] الباقر «سَقْفًا» بضم السين والقاف على الجمع، واختلفوا فيه، فقل: هو جمع سَقْفٍ كَرَهْنٍ وَرُهْنٍ، قال أبو عبيد: ولا ثالث لهما، وقيل: السقف جمع سقوف، كرهن ورهون، وزبر وزبور، فهو جمع الجمع.

وقرأ عاصم وحزمة: «لما متاع» بتشديد (لَمَّا)، على معنى «وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا»، فتكون (إن) الابتداء و(ما) صلة.

(١) أبا: أب، ت، ك.

(٢) فلا يصح: فلا يصلح، د، ك.

القراءة الظاهرة: «ومعارج»، وعن أبي رجاء العطاردي: «معاريج»، وهما لغتان نحو مفاتيح<sup>(١)</sup> ومفاتيح.

### اللغة

المعارج<sup>(٢)</sup>: الدَّرَج<sup>(٣)</sup>، واحدها مَعْرَجٌ، وأصله: الصعود، عَرَجَ يَعْرِجُ عروجًا: إذا صعد على وزن: نَصَرَ يَنْصُرُ<sup>(٤)</sup>، وَعَرَجَ يَعْرِجُ صار أعرج، على وزن: حمد يحمد، ويقال: ظهر عليه: علا وصعد، قال الشاعر:

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا<sup>(٥)</sup> وَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا<sup>(٦)</sup>

وظهر على الشيء: غلبه<sup>(٧)</sup>، كأنه علاه، ومنه: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤] أي: غالبين.

وَالسُّرُرُ: جمع سرير، ويجمع: أَسِرَّةٌ أَيْضًا، وما كان على «بناء فَعِيلٍ» فجمعه على «أفعلة»، أو فُعِلَ كسرير وسُرُرٌ وَأَسِرَّةٌ، ونظيره: حَصِيرٌ وَخُصْرٌ، وقلِبٌ وَقُلْبٌ، وسوار وأَسْوَرَةٌ، وبناء وأبنية، وغطاء وأعطية، وقد يجمع على البناءين، وقد يجمع على أحدهما.

والزخرف: كل ما<sup>(٨)</sup> حَسَّنَ الشيء<sup>(٩)</sup>، ومنه قيل: للذهب زخرف، ويقال: زخرفته زَخْرَفَةً أي: حسنته، ومنه قيل للنقوش والتصاوير: زخرف على ما جاء في

(١) مفاتيح: مفاتيح، ت.

(٢) المعارج: المعاريح، ت.

(٣) الدرج: -، ت.

(٤) ينصر: ينصره، ت.

(٥) وسناؤنا: وفعالنا، ت، د، ك.

(٦) البيت قائله النابغة الجعدي وورد صدر البيت بعدة روايات نحو:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا      بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا.

أنظر لسان العرب، «ظهر»؛ تاج العروس «ظهر».

(٧) غلبة: عليه، ت.

(٨) كل ما: كلما، د.

(٩) الشيء: للشيء، د.



الحديث «أنه لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحي»، وقيل: نقوش وتصاوير تزين<sup>(١)</sup> بها الكعبة، وكانت بالذهب.

### الإعراب

في نصب (زخرف) قولان:

قيل: لجعلنا، أي: لجعلنا لبيوتهم سقفاً، ولجعلنا لهم زخرفاً.

وقيل: من فضة وزخرف، فلما نزلت<sup>(٢)</sup> الخافضة انتصب.

واللام في قوله: ﴿لِمَنْ يَكْفُرُ﴾ قيل: صلة، وفي الآية تقديم وتأخير، تقديره:

لجعلنا لبيوت من يكفر، وقيل: اللام بمعنى (على)، أي: على بيوت من يكفر، وقيل: هي لام الإضافة.

و(ما) في قوله: ﴿لَمَّا مَتَّعْ﴾ صلة كقوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

### المعنى

ثم نبّه بأنه ليس للدنيا عند الله تعالى<sup>(٣)</sup> من الخطر ما عظموه حتى جعلوا أهلها بمحل<sup>(٤)</sup> النبوة، فقال - سبحانه - : «وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» أي: جماعة واحدة، قيل: كلهم<sup>(٥)</sup> على الكفر، عن ابن عباس، ، والحسن، وقتادة، والسدي. وقيل: على طلب الدنيا، واختيارها على العقبى، عن ابن زيد. وإنما لم يفعل ذلك لكونه مفسدة «لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ» قيل: درجاً وسلالم<sup>(٦)</sup>، عن ابن عباس، وقتادة. وهي المراقي، «عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» يصعدون

(١) تزين: زين، ت، ك.

(٢) نزلت: نزع، د.

(٣) تعالى: +، ت، ك.

(٤) بمحل: محل، ت، ك.

(٥) كلهم: فكلهم، ت.

(٦) سلالم: سلالم؛ د، ت، ك.

«وَلْيُبَيِّنْ لَهُمُ أَثْوَابُهَا» من فضة «وَسُرُّرَآ» من فضة «عَلَيْهَا يَتَكَثَّرُونَ». وَزُخْرُفًا» قيل: هو الذهب، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك. وقيل: الفرش ومتاع البيت، عن ابن زيد. وقيل: الزخرف: النقوش<sup>(١)</sup>، عن الحسن. «وَلِإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أي: لو جعل جميع ذلك لكان متاع الحياة الدنيا يتمتع بها قليلاً ثم يزول ويفنى، ولا يدوم نعيمها.

ثم بين ما أعدّه لأوليائه، فقال تعالى: «وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ» أي: الثواب والجنة التي هي دائمة باقية لمن اتقى معاصي الله.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات أن الدنيا لا تُنال بالاستحقاق، وإنما هي قسمة على حسب الصلاح. وتدل على قولنا في اللطف؛ لأنه يبين أنه قصد<sup>(٢)</sup> بما قسم الاستصلاح. وتدل أنه لا يفعل المفسدة، وما يدعو إلى الكفر، فإذا لم يفعل ما يؤدي إلى الكفر، دلّ على أنه لا يفعل الكفر ولا يريده.

وتدل على أن ثواب الآخرة معد للمتقين دون الفاسقين، فيبطل قول المرجئة. ومتى قيل: إذا قلت: إنه لا يفعل ما عنده يَكْفُرُ لأنه مفسدة، أوليس قد أعطى القدرة والآلة التي عندها يكفرون؟

قلنا: ذاك تمكين، به يتمكن من الإيمان أيضاً، وليس بمفسدة.

ومتى قيل: فهلا فعل اللطف ليؤمنوا؟

قلنا: لأنه لا لُطْفَ لهم.

ومتى قيل: أليس هو تعالى قادر على كل شيء، فكيف لا يلفظ؟

قلنا: بلى، ولكن هذا الكافر لا لطف له، ولو كان له لطف في المعلوم لفعل.

(١) النقوش: والنقوش، ت.

(٢) قصد: أراد، ت.

ومتى قيل: أليس أصحاب اللطف يزعمون ذلك؟

قلنا: بيّنا بطلان قولهم أنه لو كان لطفاً لهم ولم يفعله لقبح منه، ولكان<sup>(١)</sup> نقضاً للغرض، ولكان بمنزلة منع التمكين والآلات.

قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۖ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ۖ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسَ الْقَرِينُ ۖ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۖ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ ﴿٤٠﴾﴾.

### القراءة

قراءة العامة: «يَعِشُ» بضم الشين، يعني يُعْرِضُ، وعن ابن عباس بفتح الشين، يعني يعمى، يقال: عَشَى يَعْشَى إذا عمى، ورجل أعشى، وامرأة عشواء.

وقرأ عاصم في بعض الروايات: «يُقَيِّضُ» بالياء، رجع بالكناية<sup>(٢)</sup> إلى اسم الرحمن. الباقون بالنون.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «حتى إذا جاءنا» بالألف بعد الهمزة على الاثنين؛ يعني الكافر وقرينه، وقرأ الباقون: «جاءنا» على واحد، يعني الكافر، واختاره أبو عبيد؛ لأن الكلام في ذكره.

### اللغة

العشو: أصله النظر ببصر ضعيف، كذا قاله الخليل، يقال: شَى يَعْشُو عَشْوًا: إذا

(١) ولكان: ولكأ، ت.

(٢) بالكناية: الكناية، ت، ك.

ضعف بصره، وأظلمت عينه، ونظر نظرًا ضعيفًا، كأن عليها غشاوة، فإذا ذهب بصره، قيل: <sup>(١)</sup> عَشَى يَعْشَى عَشًا <sup>(٢)</sup> مثل عَمِيَ يَعْمَى عَمًّا، قال الحطيئة:

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مُوقَدٍ <sup>(٣)</sup>

قال أبو الهيثم: يقال: عشى إلى النار: قصد، وعشى عنها: أعرض، ونظيره: مال عنه، ومال إليه، وأنكر الفتحي عشوت عن الشيء: أعرضت، قال: وإنما الصواب تعاشيت، والصحيح الأول؛ لإجماع أهل اللغة والتفسير.

والقيض: المثل، وهما قيصان، أي: كل واحد منهما عوض عن الآخر، ومنه: المقايضة في البيع، وقيض الله الشيء: أتاحه وسببه، يقال: هذا قَيْضٌ لهذا، وقِيَاضٌ أي: مُسَاوٍ، وقوله تعالى: ﴿نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا﴾ منه، كأنه جعل الشيطان له عوضًا مما تركه من ذكر الله.

### المعنى

لما تقدم ما أعد للمتقين وعدًا لهم <sup>(٤)</sup>، عقبه بذكر الوعيد والعقاب، فقال - سبحانه -: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ» يعرض، عن قتادة، والسدي. وقيل: يَعْمَ، عن ابن زيد، وأبي علي، قال أبو علي: هذا تَوَسُّعٌ، شبههم بالأعمى لما لم يبصروا الحق، وقيل: العشو السير في الظلمة <sup>(٥)</sup>، فلما كان الذهاب عن ذكر الله يتردد في الضلالة خرج الكلام في ذهابه على السائر في الظلمة عن ذكر الله تعالى، عن أبي مسلم. واختلفوا في الذُّكْرِ، قيل: الآيات <sup>(٦)</sup> والأدلة، وقيل: القرآن «نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» قيل: من أعرض عن ذكر الله تعالى يخلو بينه وبين الشيطان،

(١) عشى يعشو... بصره قيل: -، ت.

(٢) عشا: عشيًا، ت.

(٣) البيت قائله النابغة الذبياني وينسب كذلك إلى الحطيئة.

انظر لسان العرب (عشا)، وانظر ديوان النابغة الذبياني، ديوان الحطيئة.

(٤) لهم: له، ت.

(٥) الظلمة: الظلم، ت، ك.

(٦) الآيات: الإيمان، د.

فيصير قرينه عوضاً عن ذكر الله، عن الحسن، وأبي مسلم. وإنما جاز التخلية لما علم أنه لا يفلح، وإن لم يكن الشيطان له قريباً، وقيل: يقرنه<sup>(١)</sup> في الآخرة؛ ليذهب به إلى النار، عن قتادة. كما أن المؤمن يصير قرينه ملكاً<sup>(٢)</sup> يذهب به إلى الجنة، وقيل: يقرنه في النار حتى يكون قرينه، عن أبي علي. وقيل: هو قرين له في الدنيا، يوسوس له، ويزين له سوء عمله، ويُقرن به في الآخرة، ويبعث بهما إلى النار، وقيل: أراد شياطين الإنس نحو علماء السوء، ورؤساء الضلالة يصدون عن سبيل الله، ويمتنعون عن اتباع الحق «وَلِإِنَّهُمْ» يعني الشياطين «لَيَصُدُّونَهُمْ» أي: يصرفون هؤلاء الكفار «عَنِ السَّبِيلِ» أي: طريق الحق<sup>(٣)</sup> «وَيَخْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ» يعني يحسب الكافر أنه مُهْتَدٍ؛ لحسن ظنه واغتراره بمن يدعوه إلى الضلال «حَتَّى إِذَا جَاءَنَا» يعني جاء عرصة القيامة التي لا حكم إلا لله<sup>(٤)</sup> فيها «قَالَ» يعني الكافر الذي هو تابع للشيطان المتبوع «يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ» قيل: بُعْدَ المشرق والمغرب، فغلب أحدهما على الآخر، كما يقال للشمس والقمر: قمران، ولأبي بكر وعمر: العُمران، والحسن والحسين: حَسَنَان، قال الشاعر:

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ      لَنَا قَمَرَاهَا وَالتُّجُومُ الطَّوَالِعُ<sup>(٥)</sup>  
وقال آخر:

وَبَصْرَةُ الْأَزْدِ<sup>(٦)</sup> مِنَّا وَالْعِرَاقُ لَنَا      وَالْمَوْصِلَانِ وَمِنَّا الْمِصْرُ وَالْحَرَمُ<sup>(٧)</sup>  
يعني الموصل والجزيرة، وقيل: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، والأول

(١) يقرنه: يقويه، ت، ك.

(٢) ملكا: ملك؛ د، ت، ك.

(٣) في ت: الجنة.

(٤) إلا الله: الله، ت.

(٥) البيت قائله الفرزدق في قصيدة مطلعها:

منا الذي اختير الرجال سماحة      وخيراً إذا هب الرياح الزعازع

أنظر لسان العرب (عنا)، ديوان الفرزدق.

(٦) الأزْد: للأزد؛ ت، د، ك.

(٧) انظر لسان العرب (وصل)، تاج العروس (وصل)؛ المصر: مصر، ت، د، ك.

أوجه، والمعنى: ليت كان بيني وبينك من البُعد ما بين المشرق والمغرب، وهي كلمة دالة<sup>(١)</sup> على الندم والحسرة، وقيل: جاءنا في سلسلة<sup>(٢)</sup> واحدة، عن ابن عباس. «فَبَشِّرِ الْقَرِينَ» قيل: في الدنيا حيث أضللتني، وقيل: في النار، وقيل: فيهما «وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ» عصيتم ربكم «أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ» قيل: إن اشتراككم في العذاب لا يوجب التسلي، ولا ينفع كما كان في الدنيا؛ لأنه يرى بنفسه ما يرى من شدة العذاب، ولكل واحد نصيب وافر، وهذا محكي عن شيخنا أبي الهذيل، وهو قول أبي علي، وقيل: لن ينفعكم كون قرنائكم معكم في العذاب؛ إذ لا يَنْقُصُ لكونهم في النار من عذابكم شيء، عن أبي مسلم. وقيل: لا<sup>(٣)</sup> ينفعكم الاعتذار<sup>(٤)</sup>؛ لأنكم وقرنائكم مشتركون في العذاب اليوم كما كنتم مشتركين في الكفر في الدنيا «أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ» يعني من لا يبصر الحق بمنزلة الأعمى والأصم، فكما يتعذر إدراك الأعمى واستماع<sup>(٥)</sup> الأصم، كذلك يتعذر عليك هدى<sup>(٦)</sup> هؤلاء؛ لأنهم لا يتفكرون، ولا ينظرون، ولا يسمعون، ويتعمى ويتصامم عن الحق فيبعد عن الاهتداء «وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» بَيِّن ظاهر أنه لا يهتدي، ولا يقبل.

### الأحكام

الآية تدل على أن العصاة يقرن بهم الشيطان، وقد بَيَّنَّا ما قيل فيه، وروي عن النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من مقارنة الشيطان».

ويدل قوله: «ويحسبون» أن المعارف مكتسبة.

(١) دالة: حالة، د.

(٢) سلسلة: سلسه، ت.

(٣) لا: +، ت.

(٤) الاعتذار: للاعتذار، د.

(٥) واستماع: وإسماع، ت.

(٦) هدى: أهذا، ك.

وتدل على أن أهل النار لا يجدون خفة بكثرة<sup>(١)</sup> أهلها وعذابهم، وإن كان كل واحد مشغولاً<sup>(٢)</sup> بحاله، بخلاف حال الدنيا؛ لأن الاشتراك في البلاء يوجب التسلي، وفيه تحذير عن المعصية.

وتدل على أن حال من لا يبصر الحق، ولا يسمعه بمنزلة الأعمى والأصم، وذلك توبيخ لهم.

ويدل قوله: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup> أن الضلال فعلهم.

ومتى قيل: قوله: ﴿وَلَا تَنْتَهُم لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الْآسِيلِ﴾ يدل على أن القرين في الدنيا؟ قلنا: هكذا قال بعضهم، غير أن شيخنا أبا علي يختار أن يكون في الآخرة، وإليه ذهب القاضي، والكلام يحتمل، ويجوز<sup>(٤)</sup> أن يكون بعضه خبراً عما ينالهم في الآخرة، وبعضه عن أحوال الدنيا.

قوله تعالى:

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾<sup>(٤١)</sup> أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

### اللغة

الذهاب: ضد المجيء، وهو لازم ومتعد<sup>(٥)</sup>، بالباء والهمزة، يقال: ذهب به، وأذهبته.

(١) بكثرة: لكثرة، ت.

(٢) مشغول: مشغول، ت، ك.

(٣) مبين: +، ت.

(٤) ويجوز: يجوز، ك.

(٥) ومتعد: ومتعدي؛ ت، د، ك.

والانتقام: المعاقبة على شيء تقدم منه وكرهه، وأصله من النعمة، وهو العقاب، ونقمت الأمر: أنكرته.

والاقتدار: القدرة على الشيء، غير أن في الاقتدار مبالغة، اقتدر اقتداراً فهو مقتدر، والقدرة: التمكن من فعل الشيء، وهي عرض تحل محلاً فيه حياة يخلقها<sup>(١)</sup> الله تعالى لا يقدر عليها غيره، والأقدار<sup>(٢)</sup> كلها مختلفة لا تماثل فيها، ولا متضاد، ومقدوراتها محصورة في الجنس، وفي كل وقت واحد في محل واحد من جنس واحد، والله تعالى قادر لذاته، لا تنحصر مقدوراته بوجه، ورجل ذو قدرة ومقدرة، أي: قادر.

### الإعراب

النون في قوله: «نذهب» نون التأكيد.

﴿أَوْ نُزَيِّنَكَ﴾ عطف على قوله: ﴿فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ﴾، وهو جزم، إلا أن الجزم لا يظهر<sup>(٣)</sup> فيه لأجل النون الثقيلة حركت ما قبلها لسكونها، ولثلاثا يلتقي ساكنان. «آلهة» جمع إله.

### النزل

عن ابن عباس: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل لينصروه، فإذا قالوا لمن الملك بعدك؟ أمسك؛ لأنه لم يوح إليه حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّمَا لِدُكُّرُ لَكَ﴾ فكان بعد ذلك إذا قيل له: لمن الملك بعدك؟ قال: «لقريش»، فلا<sup>(٤)</sup> يجيبونه، وقبلته الأنصار على ذلك.

### المعنى

ثم زاد في توبيخهم الوعيد، فقال - سبحانه - : «فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ» بأن نميتك «فَإِنَّمَا

(١) يخلقها: يخلقها، ت، د، ك.

(٢) الأقدار: والقدرة؛ ت، ك، د.

(٣) يظهر: يطمئن، ت، ك.

(٤) فلا: ولا، د، ك.



مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» أي: نعاقبهم على فعلهم «أَوْ تُرِيَّتَكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ» أو نبقيتك<sup>(١)</sup> حتى ترى ما نفعل بهم من العذاب الذي وعدناهم، قيل: أراد المشركين والاستعلاء<sup>(٢)</sup> عليهم، وقيل: هو القتل والأسر يوم بدر، فإنهم مع كثرتهم ووفور عددهم، والنبي ﷺ<sup>(٣)</sup> في قلة، قَتَلَهُمْ وَأَسْرَهُمْ، وظهر مصداقاً للموعود<sup>(٤)</sup>. وقيل: أراد به أهل الإسلام، وقد كان بعد نبي الله نقمة شديدة فأكرم الله نبيه<sup>(٥)</sup> بأن يزيد في أمته، ولم يُره في أمته إلا ما قر به عينه، عن الحسن، وقتادة، «فإنا» على هلاكهم وتبقيتهم «مُقْتَدِرُونَ» قادرون «فَأَسْتَمْسِكُ» أي: تمسك «بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ» من القرآن والشرائع علماً وعملاً «إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» طريق واضح «وَأِنَّهُ» يعني القرآن «لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ» قيل: شرف لك<sup>(٦)</sup>، عن ابن عباس، والسدي، وقيل: في التمسك به والعمل بمقتضاه شرف لك ولمن عمل مثل عملك، وقيل: ذكر لك تذكر به أمر دينك، وقيل: أمر ووعظ ذكرهم به، عن أبي مسلم، «ولقومك» قيل: لجميع أمتك، عن الحسن، حيث عرضهم به للشرف، وذكرهم بالمواعظ، وقيل: لقومك من قريش حيث كنت منهم، وأنزل بلغتهم، وقيل: للمؤمنين حيث تمسكوا به، فشرفوا في الدارين «وَسَوْفَ<sup>(٧)</sup> تُسْأَلُونَ» عما تفعلون من قبوله، والعمل به، وعن<sup>(٨)</sup> الإعراض عنه والرد، وقيل: وسوف تسألون عن<sup>(٩)</sup> هذه النعمة، وقيل: عما لزمكم من القيام بحقه والعمل به، وقيل: تسألون عن أعمالكم وتجازون، عن أبي علي. «وَأَسْأَلُ<sup>(١٠)</sup>» اختلفوا في المخاطب به، قيل: النبي ﷺ وكان في ابتداء النبوة، وقيل: النبي ولكن المراد إقامة الحجة على غيره، وقيل: المخاطب به المشركون المنكرون للتوحيد،

(١) نبقيتك: نتوفيك؛ ت، د، ك؛ والتصحيح من هامش د.

(٢) والاستعلاء: والاستعال، ت.

(٣) صلى الله عليه وآله: عليه السلام، د، ك.

(٤) للموعود: الموعود، د.

(٥) نبيه: بدينه، د، ك.

(٦) لك: بك، د.

(٧) وسوف: فسوف، ت.

(٨) وعن: ومن، د.

(٩) عن: من.

(١٠) وأسأل: وستل، ت، ك.

واختلفوا في المسؤول<sup>(١)</sup>، قيل: هم مؤمنوا أهل الكتابين، عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، وعطاء، ومقاتل، قالوا: وفي قراءة ابن مسعود: «واسأل<sup>(٢)</sup> الذين أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا»، وتقديره: سل أمم من أرسلنا من قبلك، وقيل: المسئول هم أهل الكتاب أمم الأنبياء، وإن كانوا كفارًا؛ لأن تواتر خبرهم تقوم به الحجة، عن أبي علي، وأراد أن يخبروا المشركين بأن الأنبياء دعوا إلى التوحيد، فكيف ينكرون ذلك، وقيل: المسئول الأنبياء أنفسهم، وجميعوا له ليلة<sup>(٣)</sup> أسري به إلى بيت المقدس، عن سعيد بن جبير، وابن زيد، وقيل: أراد: سل عمن أرسلنا، وعن كتبهم، وآثارهم، كقوله: ﴿إِنَّ أَلْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] أي: مسؤولاً عنه، عن أبي مسلم، أي: ارجع إلى أخبار الأنبياء وكتبهم وآثارهم، هل<sup>(٤)</sup> كان فيه عبادة الأصنام، وقيل: المسئول جبريل، أي: سل من أرسلناه، وأقيم مقام (إلى)، وقيل: المراد بالسؤال المطالبة بالحجة، يقال: سألت فلاناً حقي؛ أي: طالبت به، أي: طالبهم بالحجة على<sup>(٥)</sup> تصحيح قولهم، وقيل: ليس المراد السؤال، وإنما أراد تقرير التوحيد في النفوس بذكر اجتماع الرسل على التوحيد «مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» أي: أأمرنا بعبادة غيره؟ هو استفهام، والمراد الإنكار، أي: لم يبعث نبياً إلا ودعا إلى التوحيد، ونهى عن خلافه.

### الأحكام

يدل قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ أن المعلوم قد يكون مطلقاً، وقد يتعلق بشرط، فأعلم تعالى أنه لو فعل بهم في حياته كيف يكون؛ وأعلم أنه لو لم يفعل كيف كان يكون؛ لأنه بين أنه منتقم منهم في حياته، فإن لم ينتقم فبعد وفاته. ويدل قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ أن القرآن تعرف به الأحكام.

(١) المسئول: المسؤولين، ت، ك؛ المسئول، د.

(٢) واسأل: وسل، ت، ك.

(٣) ليلة: -، ت.

(٤) هل: قيل، ت.

(٥) على: عن، د.

ويدل على حدث الكلام؛ لأن السؤال كلام.

ويدل قوله: ﴿وَسَلَّ﴾ على جواز الرجوع إلى قول الغير للاحتجاج على الخصم.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْتَوِمُ إِلَيْ مَلِكٍ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا فَنَاقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

### ❖ القراءة

قرأ الحسن ويعقوب وأبو حاتم، وحفص عن عاصم: «أَسْوِرَةٌ» بغير ألف وسكون السين، على جمع السوار، وعن ابن مسعود: «أساوير»، وعن أبي بن كعب: «أساور» وقراءة القراءة: «أساور» بالألف وفتح السين وبالهاء، وهي جمع للأسورة<sup>(١)</sup>، وأسورة جمع سوار، فهو جمع الجمع، قال أبو عمرو: واحد الأساور والأساور<sup>(٢)</sup> أسوار، وهي لغة في السوار.

(١) في ت، ك: الأسورة.

(٢) والأساور: والإسوار؛ ت، د، ك.

قرأ حمزة والكسائي والأعمش ويحيى: «سُلْفًا» بضم السين واللام، قال الفراء: هو جمع سليف، قال أبو حاتم: سَلَفٌ وسُلْفٌ، نحو خَشَبٌ وخُشْبٌ، وعن القاسم بن معن<sup>(١)</sup>: تقول العرب: مضى سليف من الناس، وعن ابن مسعود «سُلْفًا» بضم السين وفتح اللام، وهي جمع سُلْفَةٍ، نحو<sup>(٢)</sup>: طرفه وطُرْفٍ، وغرفة وغرف، وقرأ أهل الحجاز والشام والبصرة وعاصم بفتح السين واللام جمع سالف، مثل: حارس وحرَسٍ، وراصد ورَصَدٍ.

وفَتَحَ الياء من «تَخْتِي» نافع وابن كثير وأبو عمرو، ولم يفتح ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي.

### ❁ اللغة

النكث بفتح النون، والنقض واحد، وهو مصدر: نكث نَكْثًا، والنكث والنقض بكسر النون: الاسم، وهو ما نكث من نسائج الصوف، والجمع: أنكاث، ومنه: ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثُ﴾ [النحل: ٩٢].

استخف قومه: حملهم على الخفة والجهل، يقال: استخفه عن<sup>(٣)</sup> رأيه، إذا حملة على الجهل، وأزاله عما كان عليه من الصواب، واستخفه وأخفه: أزال حلمه، وحمله على الخفة.

والأسف<sup>(٤)</sup>: الغضب، والأسف: الحزن، يقال: أَسِفَ [عليه] يَأْسِفُ أَسْفًا، أي: أغضبه فغضب، وأحزنه فحزن.

والسَلَفُ: نقيض الخَلْفِ، وهو المتقدم على غيره قبل مجيء وقته، ومنه السلف في البيع.

(١) معن: معني، ت، ك؛ معين، د.

(٢) نحو: مثل، ت، ك.

(٣) عن: من، ت، د، ك.

(٤) والأسف: الأسف، ت.

## الإعراب

(أم) بمعنى (بل)، وليس بعطف عند الأكثر، وعن<sup>(١)</sup> الفراء وجماعة الوقف على قوله: «أم» على تقدير: أتبصرون أم لا تبصرون، وتمام الكلام عنده، ثم ابتداء فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾<sup>(٢)</sup> على الإخبار، وقيل: (أم) بمعنى الاستفهام، وفيه محذوف، أي: أنا خير أم موسى؟ وقيل: (أم) عطف على المعنى تقديره: لي<sup>(٣)</sup> ملك مصر، وهذه الأنهار، فبهذا تعرفون فضلي، وأنا خير من هذا، عن أبي مسلم.

﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ﴾ أي<sup>(٤)</sup> هلاً.

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أي: في حال الاقتران.

## النظم

يقال: كيف تتصل قصة موسى بما قبلها؟

قلنا: قيل: لما تقدم السؤال عن أحوال الرسل وما جاؤوا به؛ اتصل به حديث موسى وعيسى؛ لأن أهل الكتابين إليهما ينسبون، وكتاباهما<sup>(٥)</sup> أظهر وأشهر.

وقيل: لما تقدم ذكر تكذيب قومه له، ذكر حديث موسى تسليية له، أي: حالك مع قومك كحال موسى مع قومه، وآل الأمر إلى ظهوره، كذلك أمرك.

وقيل: تقديره: ليست بأمر مكذوب<sup>(٦)</sup>، وقد كُذِّبَ موسى والأنبياء قبلك.

## المعنى

ثم ذكر حديث موسى ﷺ، فقال - سبحانه -: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا» أي:

(١) وعن: عن، ت.

(٢) خير: نا، ت.

(٣) لي: إني، ت.

(٤) أي: +، ت، ك.

(٥) كتاباهما: كتابيهما، د.

(٦) مكذوب: مكذب، ت.

بالحجج والمعجزات «إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ» أي: الجماعة من قومه، وقيل: ليس بعقوبة «فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا» أي: أظهر معجزاته، وهو اليد والعصى «إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ» استهزاء واستخفافاً، وهذا فعلوه بعد غيبة موسى تلبيساً على العوام، وإلا ففي حال ما رأوا لحقهم من الخوف والدهش ما لم يمكنهم معه الاستهزاء «وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ» معجزة «إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا» قرينتها وصاحبته، قيل: الحس عند الإدراك لها لما يقول من أمره، فإن الأولى ماضية، والثانية<sup>(١)</sup> حاضرة، وقيل: أهول في صدورهم، وأعجب في أبصارهم من التي مضت<sup>(٢)</sup> قبلها «وَأَخَذْنَا هُمْ بِالْعَذَابِ» قيل<sup>(٣)</sup>: بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أي: يرجعون<sup>(٤)</sup> إلى الحق عن الباطل «وَقَالُوا» يعني قوم فرعون حين رأوا العذاب شملهم، وأيقنوا أن فرعون لا يقدر على كشفها؛ رجعوا إلى موسى متضرعين «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ» قيل: كان الساحر عندهم العالم، ولم يكن صفة ذم، عن أبي علي، وقيل: قالوا له ذلك لجهلهم بصفته، وقيل: قالوه استهزاء كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، عن الحسن، وقيل: بل جرى على ألسنتهم على عادتهم فيه، عن الزجاج، وقيل: أرادوا تعظيمه؛ لأن السحر كان عندهم علماً عظيماً، فكانهم قالوا: أيها الكامل في علمه، الحاذق في عمله، مدحاً له وتوقيراً؛ لأنه وقت حاجتهم، وقيل: معناه يا أيها الذي غلبنا سحره، كقول العرب: خاصمته فَخَصَمْتُهُ، أي: غلبته، وحاججته فحججته، وقيل: بل قالوه خطأ منهم، قلنا: فنبههم<sup>(٥)</sup> موسى رجاء<sup>(٦)</sup> أن يؤمنوا، وقيل: كانوا ينسبونه إلى السحر في كل معجزة أتى بها، فصار ذلك اسماً يعرف به<sup>(٧)</sup>، والأصح أنهم أرادوا به تعظيمه؛ لأنهم

(١) والثانية: والثاني، د، ك.

(٢) مضت: مضى، ت، د، ك.

(٣) قيل: وقيل، د، ك.

(٤) يرجعون: يرجعوا، ت.

(٥) فنبههم: فيهم، ت، ك؛ فنبههم، د.

(٦) رجاء: رجال، ت.

(٧) اسماً يعرف به: اسم تعريف له، ت، ك.

جاؤوه متضرعين، فكان لا يليق بتلك الحال الاستهزاء والخطيئة<sup>(١)</sup> والمخالفة «اذْعُ لَنَا» أي: لأجلنا «رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ» أي: أخبرك إذا آمنا كشف عنا العذاب، عن مجاهد، فَسَلُّهُ يَكْشِفُ عَنَا الْعَذَابَ «إِنَّا»<sup>(٢)</sup> لَمْهُتَدُونَ» نؤمن بما تدعو إليه، ونهتدي بهداك «فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ» عهددهم مُصِرِّينَ على الكفر، وفيه حذف، وهو أن موسى سأل الله تعالى ذلك، فكشف، فلما كشف نكثوا، «وَنَادَى»<sup>(٣)</sup> فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ» لما رأى أمر موسى، وأنه يظهر ويعلو خاف على مملكته، فقصد الخداع، فخطب الناس بعدما اجتمعوا، وأظهر التفاضل بينه وبين موسى فيما يتعلق بأسباب الدنيا، جهلاً منه ومنهم، فقال: «أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ» وأراد البسطة في المال والملك، ولم يتفكروا أنه كان لغيره فانتقل إليه، وأنه سينتقل إلى غيره، وأنه لا يدل على فضل «وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» قيل: أنهار النيل، ومعظمها نهر الملك، ونهر دمياط<sup>(٤)</sup>، ونهر طولون «تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» قيل: في جناني وبساتيني، وقيل: حولي، عن ابن عباس، وقيل: في قبضتي وملكلي، وقيل: بأمرلي، وقيل: كان النيل يجري تحت قصره، بين يديه وسريره، ولم يعلم الجاهل أن تلك النعم خلقها الله تعالى، ومكن منها، فهو المستحق للعبادة دونه «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» قيل: أنتم بصراء تعلمون حالي وحاله «أَمْ أَنَا خَيْرٌ» يعني أنا خير من موسى، وهو مهين، قيل: معناه: بل أنا خير، وقيل: أنا خير أم هو، وهو مهين، قيل: ضعيف حقير، عن قتادة، والسدي. ليس له قوم ولا مال، ولا ملك، وقيل: مهين فقير يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج إليه، ليس له من يكفيه أمره «وَلَا يَكَادُ يُبِينُ» يفصح بكلامه وحججه، قيل: لِلثُّغَةِ<sup>(٥)</sup> في لسانه، عن الزجاج، وقيل: كان في لسانه ثقل، فنسبه لما كان عليه أولاً، عن الحسن، وقيل: كان في لسانه لثغة فرفعها<sup>(٦)</sup> الله تعالى، وبقي ثقل في لسانه، عن

(١) والخطيئة: والخطأ، ت، ك.

(٢) إِنَّا، ت، ك.

(٣) ونادى: فنادى، ت، د، ك.

(٤) هكذا في جميع النسخ المتوفرة لدينا وبدون نقط. وفي تفسير القرطبي ٨٥/١٦، والكشاف ١/١١٧٢، وتفسير أبي السعود ٨/ ٥٠: معظمها أربعة أنهر: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تنيس.

(٥) للثغة: اللثغة، ت.

(٦) فرفعها: نفها، ت؛ ففتقها، ك.

أبي علي، وقيل: بل كذب عليه تلبيساً على العوام، وقيل: قال ذلك استثقلاً<sup>(١)</sup> لكلامه، كقولهم: لا أدري ما تقول، وقيل: كان في لسانه آفة، عن قتادة، والسدي. وقيل: سماه مهيناً وغير مبین استخفافاً لا حقيقة، وإلا فهو كان من أكابر بني إسرائيل، ويدعي النبوة، ويظهر المعجزة، وقد أفصح وَبَيَّنَّ، والعجب أن موسى ﷺ دعاهم إلى عبادة الله تعالى، وأظهر الحجب، وهو أورد حديث موسى، وذكر ما ينفرهم عن اتباعه لفقره، وأعجب عنه يريهم الفضل بأسباب الدنيا، وموسى يريهم الفضل بأسباب الدين، ولو عقلوا لقالوا: هذا الذي تذكر وتعد لا يوجب كونك محققاً، ولكن لبس عليهم فضلوا «فَلَوْلَا أَلْقِي عَلَيْهِ أُسُورَةٌ» يعني هَلَّا إِنْ كَانَ صَادِقًا أَلْقِي عَلَيْهِ أُسُورَةٌ «مِنْ ذَهَبٍ» قيل: كانوا إذا سَوَّدُوا<sup>(٢)</sup> رجلاً سَوَّرُوهُ<sup>(٣)</sup> بسوار من ذهب وطُوقَ بطوق من ذهب يكون دلالة لسيادته؛ فلذلك قال هذا، عن مجاهد، والسوار الزينة التي تلبس في اليد، «أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ» قيل: إنما ذكر أمر الملائكة لما كان يسمع من موسى من ذكرهم تكذيباً له، عن أبي مسلم. «مُقْتَرِنِينَ» قيل: متتابعين، عن قتادة، وقيل: يعاون<sup>(٤)</sup> بعضهم بعضاً، عن السدي، وقيل: مجتمعين يمشون معه، عن مجاهد، يعني يشهدون له بالرسالة، ويؤدون معه، وهذا من اقتراح الجهال، فإن الملك إن كان لا يُرَى فلا فائدة فيه، وإن كان يُرَى فلا بد من معجز يعلم أنه ملك، فيكفي المعجز في معرفة الرسول عن الملك «فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ» يعني القبط وأتباعه، وقيل: حملهم على الخفة والجهل، وقيل: وجدهم جهالاً خفيفي العقول، ولولا ذلك ما أطاعوه، وقيل: استخفهم أي: خفوا في طاعته «فَأَطَاعُوهُ» وقيل: كانوا يخافون منه اتباع موسى فأطاعوه، وقيل: قبلوا منه مخاريقه، ولم يقبلوا من موسى حقائقه، وهكذا حال العوام الجهال في كل زمان، «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» خارجين عن طاعة الله تعالى إلى الكفر «فَلَمَّا آسَفُونَا» قيل: أغضبونا، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والله تعالى يغضب على العصاة، ويرضى عن المطيعين، وقيل: آسفوا

(١) استثقلاً: استقللاً، د، ك.

(٢) سودوا: سوروا، ت.

(٣) سوروه: سوره، ت.

(٤) يعاون: يقارب، ت.



رسلنا، وأضافهم إلى نفسه تعظيماً لشأنهم، والأسف: الحزن، والتأسف لا يجوز على الله تعالى، وقيل: الأسف غضب بعد طول الحلم والإمهال، ففيه زيادة صفة على الغضب؛ ولذلك قال تعالى في قصة<sup>(١)</sup> موسى: ﴿غَضَبْنَا أَسَفًا﴾ [طه: ٨٦] وقيل: خالفونا، عن الحسن بن الفضل، وليس بالظاهر في اللغة، إلا أن يحمل على أنهم خالفوا أمرنا، وفعلوا ما يوجب الأسف، وفي هذا تعسف «انتقمنا منهم» أي: عاقبناهم بسوء فعلهم جزاءً، وقيل: انتقمنا لأوليائنا منهم «فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ» لم ينج منهم أحد «فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا» قيل: سلفاً للأمم؛ لأنهم تقدموهم وقد ماتوا على الكفر فهم سلف لهؤلاء، عن أبي مسلم. وقيل: سلفاً لكفار هذه الأمة إلى النار، و[مثلاً] لمن [يجيء بعدهم من] هؤلاء [يكون] مثل حالهم يتقدمون إليها، وقيل: سلفاً يعتبر بهم «وَمَثَلًا» وعبرة وعظة<sup>(٢)</sup>، عن قتادة، والسدي. «لِلْآخِرِينَ» قيل: لمن جاء بعدهم، وقيل: لأمة محمد ﷺ يتعظون به.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أنه أراد من الجميع الرجوع إلى الحق، فيبطل قول المجبرة في الإرادة والمخلوق؛ لأنه لو خلق فيهم الكفر وأراده لم يكن لبعثة الأنبياء وإظهار المعجزات فائدة؛ بل كان عبثاً، فتعالى الله عن ذلك.

ويدل قوله: ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ أنهم يقدرّون على الاهتداء.

ويدل قوله: ﴿يَنْكُتُونَ﴾ أن النكت فعلهم.

ويدل قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ﴾ أن القوم كانوا جهالاً اعتقدوا الفضل بزيينة الدنيا، ولم يعلموا أنها قسمة وليست باستحقاق، وعن أبي الدرداء: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى منها فرعون شربة».

ويدل قوله: ﴿سَلَفًا وَمَثَلًا﴾ على وجوب التفكير في أحوالهم والاتعاظ بهم؛ لئلا يسلك طريقته، فينال ما نالهم.

(١) قصة: -، ت، ك.

(٢) وعظة: وموعظة، ت، د، ك.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءِالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّكُمْ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ .

### ❁ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يَصُدُّونَ» بضم الصاد، وهي قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام، ومعناه: يعرض، صَدَّ يَصُدُّ: أعرض يعرض، كقوله: «رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا» [النساء: ٦١]، وقرأ الباقر بكسر الصاد، وهي قراءة ابن عباس، واختيار أبي حاتم، وأبي عبيد، واختلفوا، فقال الكسائي: هما بمعنى نحو: يعرُشون ويعرِشون، ويعكفون ويعكِفون، وقيل: بالضم: الإعراض، وبالكسر: الضجة.

وأثبت أبو جعفر وأبو عمرو وإسماعيل عن نافع الياء في: «وَاتَّبِعُونِي» وحذفها الآخرون.

قراءة العامة: «لَعَلَّمُ لِّلسَّاعَةِ» بكسر العين من العلم، وسكون اللام، أي: به تُعَلِّمُ الساعة.

وقرأ ابن عباس وأبوهريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك: «وَإِنَّهُ لَعَلَّمُ» بفتح العين واللام، أي: أماره وعلامة.

## اللغة

الجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمناظرة: دفع الحجة بنظيرها، وقيل: الجدل: اللَّدْدُ في الخصام، رجل جَدِلٌّ، وأصله: من جَدَلَ الحَبْلُ، وهو شدة قتله، ومنه سمي الحبل الذي يجعل في رأس البعير جَدِيلٌ، ورجل مجدول الخلق: شديد، وقيل: أصله من الجَدَالَةِ، وهي الأرض، [و] الْمُجَدَّلُ: الْمُتَلَقِّي بِالْجَدَالَةِ، فكأن كل واحد من الخصمين يروم إلقاء صاحبه على الجدالة.

والخصم: الذي من شأنه المخاصمة، والخصم مصدر خصمته خصمًا؛ فلذلك لا يشئ ولا يجمع ولا يؤنث، وكان معناه: «ذا»<sup>(١)</sup> خصم.

والامتراء: افتعال من المرية، وهي الشك في تهمة، اِمْتَرَى وتمارى: شك، والمرء والممارة: الجدل، والمرء أيضًا الشك، وأصل الباب من مَرَى يَمْرَى: إذا مسح الضرع ليُدْرَ، فكأن المجادل يستخرج بالمناظرة الكلام والمعاني.

والأحزاب: جمع حزب وهم الجماعة اجتمعوا من كل أَوْبٍ، يقال: تحزب القوم: اجتمعوا. والبغاة: الفجأة.

والساعة: القيامة، سميت بذلك لقرب أمرها، كأنها تكون ساعة، ثم يحصل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقيل: لأنها ابتداء<sup>(٢)</sup> أوقات الآخرة، فهي ابتداء تجديد الساعات.

## المعنى

ثم عطف قصة عيسى على حديث موسى ﷺ<sup>(٣)</sup>، فقال - سبحانه -: «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا» يعني عيسى، واختلفوا في [مَنْ] ضُرِبَ المثل، فقيل: ضرب الله مثل عيسى بأنه خلقه من غير أب.

(١) ذا: ذوا، د، ك؛ ذو، ت.

(٢) ابتداء: أشد، ت.

(٣) عليه السلام: +، ت.

وقيل: ضرب النبي ﷺ والمسلمون.

وقيل: ضرب الكفار مثل عيسى بأنه يعبد، فهل جاز لنا أن نعبد الأوثان أو الملائكة، عن أبي علي.

واختلفوا في المضروب، قيل: خَلَقَهُ من غير أب شبهه بآدم حيث خلقه من غير أب وأم، وقيل: في جوابه: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

وقيل: لما نزل قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] قالوا: فقد رضيينا<sup>(٢)</sup> أن تكون آلهتنا مع المسيح.

وقيل: لما مدح النبي ﷺ عيسى وأمه، وأنه تعالى خلقه من غير أب، قالوا: إن محمداً يريد أن نعبد كما عبد النصارى عيسى، عن قتادة.

وقيل: أراد مناظرة<sup>(٣)</sup> عبد الله بن الزبيري مع النبي ﷺ<sup>(٤)</sup> عند نزول قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٩٨] قال ابن الزبيري: المسيح<sup>(٥)</sup> يكون في النار، عن ابن عباس.

«إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» يعني قريشاً يعرضون ويضجون<sup>(٦)</sup> على اختلاف القراءة على ما بينا من الفرق بينهما، وهو قول ابن عباس، وقاتدة، والضحاك، وقيل: هما<sup>(٧)</sup> بمعنى، عن الكسائي، وقيل: ضجوا سروراً أنهم عبدوا الأوثان، كما عبد النصارى عيسى، عن أبي علي، وقيل: أعرضوا لما قيل: خُلِقَ مِنْ غير أب تكذيباً، وقيل: قالوا: الملائكة أعظم، فإذا جاز عبادة المسيح جاز عبادة الملائكة، فكان ذلك جدالهم. وقيل: ضجوا ليوهموا أنهم غلبوا كفعل العوام، وقيل: صفقوا أيديهم

(١) في جوابه إني عبد الله: في جواب أن نعبد غير الله؛ ت، د، ك.

(٢) فقد رضيينا: فرضينا، ت، د، ك.

(٣) مناظره: يناظره، ت.

(٤) النبي: للنبي، ت.

(٥) المسيح: فالمسيح، ت، ك.

(٦) ويضجون: ويضحكون، ت.

(٧) هما: +، ت، ك.

وضجوا تعجبياً «وَقَالُوا» يعني المشركين «أَلِلْهُنَّا» قيل: الأوثان، وقيل: الملائكة، وكانوا يعبدونها، عن أبي مسلم. «خَيْرٌ» أفضل «أَمْ هُوَ» قيل: هو كناية عن محمد ﷺ، يعني آلهتنا خير من محمد، وهو يأمرنا بأن نعبد كما عبد النصارى المسيح، ونطيعه ونترك آلهتنا، عن قتادة، وقيل: الكناية عن عيسى، يعني آلهتنا خير أم المسيح؟ يعني آلهتنا خير من المسيح، فإذا عُبدَ هو جاز أن تُعبدَ آلهتنا، عن أبي علي. وقيل: إذا كان هو في النار رضىنا أن تكون آلهتنا معه، عن السدي، وابن زيد. «مَا ضَرَبُوهُ لَكَ» يعني هذا المثل «إِلَّا جَدَلًا» خصومة بالباطل لا طلباً للحق «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» من عادتهم الاشتغال بالخصومة بالباطل.

ثم بيّن حال عيسى، فقال - سبحانه - : «إِنْ هُوَ» يعني عيسى «إِلَّا عَبْدٌ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِ» بالخلق من غير أب، وبالنبوة<sup>(١)</sup>، أشار إلى أنه إذا كان عبداً منعماً عليه فلا وجه لأن يُعبدَ «وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ» أي: عظة وحجة من حيث خلقه من غير أب، وأكمل عقله حتى تكلم<sup>(٢)</sup> في المهدي، ودعا إلى الله، وأقر أنه عبده ورسوله، وأتى بالمعجزات، كإحياء الموتى<sup>(٣)</sup> وإبراء<sup>(٤)</sup> الأكمة، والأبرص، فأنعم عليه، وعلى بني إسرائيل به؛ فلذلك خصهم بالذكر.

ثم قال دالاً على قدرته، وأنه يفعل الأصلاح: «وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ» قيل: نخلفهم بدلاً منكم، عن قتادة، ومجاهد، والسدي، يعني كما قدر أن يخلق فيها ملائكة من غير أب وأم جاز أن يخلق عيسى من غير أب، وقيل: يخالف بعضهم بعضاً، وقيل: يكونون خلقاً من بني آدم، يعني أهلكناكم وجعلنا الملائكة سكان الأرض يعمرونها ويعبدون الله، ولكن أمهلكم؛ لتؤمنوا وتعبدوا الله، عن أبي علي، وقوله: «منكم» يعني من سكان الأرض وعمارها، وقيل: من الجنس الذي خلقكم، وهو الماء والتراب، وقيل: معناه: لجعلنا ملائكة بدلاً منكم في

(١) وبالنبوة: بالنبوة، ك.

(٢) تكلم: كلم، ك.

(٣) كإحياء الموتى: +، ت، ك.

(٤) وإبراء: كإبراء، د.

الأرض، وقيل: لجعل منكم ملائكة أي: على صور الملائكة «وَأِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ»  
 قيل: الضمير يعود إلى عيسى، يعني بنزوله تُعَلِّمُ السَّاعَةَ، عن ابن عباس، وقتادة،  
 ومجاهد، والضحاك، وابن زيد، والسدي. وقيل: الضمير يعود إلى القرآن، أي:  
 يُعَلِّمُكُمْ بقيامها، ويخبركم<sup>(١)</sup> عنها وعن أهوالها، عن الحسن، وقيل: القرآن دليل  
 القيامة؛ لأنه آخر الكتب أنزل على آخر الأنبياء، عن أبي مسلم، وقيل: إذا نزل  
 المسيح رفع التكليف؛ لأنه لا<sup>(٢)</sup> يكون مرسلًا إلى أهل ذلك الزمان، وقيل: إنه يقتل  
 الدجال، ويقتل النصاري والخنازير، ويخرب البيع والكنائس «فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا» أي: لا  
 تَشْكُوا فيها «وَاتَّبِعُونِ» في عبادة الله وحده «هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» طريق واضح قيم «وَلَا  
 يَصُدَّنَّكُمْ» أي: لا يصرفنكم «الشَّيْطَانُ» بوساوسه عن دين الله «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» بين  
 العداوة ظاهر، يدعوكم إلى الضلالة التي هي سبب هلاككم، وقيل: لا يصدنكم عن  
 هذا الطريق المستقيم الذي دعوتكم إليه، عن أبي علي. «وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ»  
 قيل: الإنجيل، عن قتادة، وقيل: المعجزات الدالة على نبوته، وقيل: أدلة التوحيد  
 «قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ» قيل: بالنبوة، وقيل: بالعلم بالتوحيد والعدل والشرائع  
 «وَلَا بُيِّنَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ» أي: أظهر الحق من الباطل؛ لأن الخلاف ظاهر  
 لا يحتاج إلى بيان، وإنما ذكر البعض؛ لأنه بين الخلاف المتعلق بالديانات والشرائع،  
 وقيل: البعض ههنا بمعنى الكل، وقيل: معناه: يختلفون فيه من أحكام التوراة،  
 وكانوا حرفوها وصاروا<sup>(٣)</sup> متفرقين، عن مجاهد. «فَاتَّقُوا اللَّهَ» أي: معاصيه  
 «وَأَطِيعُوا» فيما أوحى إلي<sup>(٤)</sup>، وأمركم به «إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ» ولا  
 تعبدوا غيره «هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» أي: طريق واضح مستمر على السداد «فَاخْتَلَفَ  
 الْأَحْزَابُ» أي: الجماعة «مِنْ بَيْنِهِمْ» قيل: اختلف اليهود والنصارى في أمر عيسى،  
 فزعمت النصارى أنه إله، وزعمت اليهود أنه من غير رَشْدَةٍ، عن السدي، وقيل: هو

(١) ويخبركم: ويخبرهم، ت، ك.

(٢) لئلا: لأنه لا، ت؛ لأن لا، ك.

(٣) وصاروا: فصاروا، ت.

(٤) إلى: إليكم، ت.

(٥) هو: -، ت، ك.

اختلاف النصارى، بعضهم قالوا: إله، وبعضهم قالوا: ابنه<sup>(١)</sup>، وبعضهم قالوا: ثالث ثلاثة، وقيل: الفرق الذين تفرقوا<sup>(٢)</sup> عن عيسى ومخالفته، عن قتادة، وأبي علي. «قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» بمخالفته من هؤلاء الأحزاب «مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ» وجيع «هَلْ يَنْظُرُونَ» أي: هؤلاء الكفار ما ينظرون بعد ورود الرسل والقرآن «إِلَّا السَّاعَةَ» أي: القيامة «أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» فجأة «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» قيل: لا يعلمون وقت قيامها، وقيل: ما ينتظر بهم، وقيل: لم يرد النظر بالرؤية، وإنما أوجب التحرز والتلافي<sup>(٣)</sup> لما<sup>(٤)</sup> أفسدوا، فحث<sup>(٥)</sup> على التوبة، كأنه قيل: ما منتهى أمرهم إلا ورود الساعة، فينبغي أن يتأهبوا لها.

### ✽ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ على بطلان تعلقهم بعبادة النصارى المسيح، وتنبيه أنه لا يجوز أن يُعبد غير الله تعالى.

ويدل قوله: ﴿لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً﴾ أن الملائكة من سكان السماء، وينزلون إلى الأرض تعبداً.

ويدل قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَعَلَّمُ السَّاعَةَ﴾ أن عيسى ينزل عند انقطاع التكليف؛ لأنه نقض للعادة كالدابة وطلوع الشمس من المغرب.

ويدل قوله: ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ أن الصَّادَّ هو الشيطان، خلاف قول المجبرة: إن الله تعالى يَصُدُّ<sup>(٦)</sup>.

ويدل قوله: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ على طول العذاب لكل ظالم، خلاف قول المرجئة.

(١) قالوا ابنه: ابن الله، ت. وفي هامش ك: قالوا إنه ابن الله. ظ.

(٢) تفرقوا: تحزبوا، ت، ك.

(٣) التحرز والتلافي: التحرز من التلافي، د.

(٤) لما: بما، د.

(٥) فحث: يحث، ود؛ والحث، ت.

(٦) يصد: يعد، ك.

وحذر بقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ عن الإصرار على المعصية، والتسوية بالتوبة أن الساعة تجيء بغتة، ولا يمكن التلافي. ويدل قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أن الظلم واقع من جهتهم، وليس من خلق الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧) يَبْعَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَايَيْنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣).

### القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم: «تشتيه الأنفس» بزيادة<sup>(١)</sup> هاء في آخره، وكذلك هو في مصاحفهم، الباقون: «تشتهي» بحذف<sup>(٢)</sup> الهاء، وكذلك في مصاحفهم.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر «يا عِبَادِي» بإثبات الياء في الوصل وسكون الياء، وقرأ ابن كثير وحمة والكسائي وحفص عن عاصم بحذف الياء، وقرأ أبو عمرو بإثباتها<sup>(٣)</sup> في الوصل دون الوقف، وقرأ أبو بكر عن عاصم بفتح الياء، ولم يفتح غيره.

### اللغة

الأخلاء: جمع خليل، والفعل منه الخِلَالُ والمُخَالَّةُ، والخَلَّةُ، والمخاللة والخلال

(١) بزيادة: زيادة، ت، ك.

(٢) بحذف: بحرف، ك.

(٣) بإثباتها: بإثباته، د، ك.



على بناء<sup>(١)</sup> مُفَاعَلَةٍ وَفَعَالٍ، يكون بين اثنين نحو: القتال والمقاتلة، والحوار والمحاورة، وفي التنزيل: ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] [و] فيه ﴿وَلَا خُلُلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١] وقيل: أصل الخليل من الاختصاص، وقيل: من الفقر، كأنه يفتقر إليه دون غيره، وقيل: من الخلل كأن كل واحد وصل نفسه بصاحبه، وخلط جسمه بجسمه، عن أبي مسلم.

والْحَبْرَةُ: النعمة، والْحَبْرَةُ والحبور: السرور، وسمي بذلك لأنه يبين في وجه صاحبه الأثر، والْحَبْرُ والْحَبَار: الأثر، ومنه الحديث: «يخرج رجل من أهل النار قد<sup>(٢)</sup> ذهب حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ» أي: جماله وهيئته، وقيل: الْحَبْرُ وَالسَّبْرُ بالفتح فيهما، ورجل حَبْرٌ وَحَبْرٌ: إذا كان عالماً.

والصحاف: جمع صفحة، وهي الْجَامَاتُ التي تؤكل فيها الأطعمة.  
والكوب: إناء على صورة الإبريق، لا أُذُنَ له ولا خرطوم، وجمعه: أكواب، وقيل: إنه كالكأس للشراب، قال الأعشى:  
صَلِيفِيَّةٌ طَيِّبًا<sup>(٣)</sup> طَعْمُهَا      لَهَا زَبْدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنْ<sup>(٤)</sup>

### الإعراب

يقال: لِمَ جاز حذف الياء من «يا عبادي»؟  
قلنا: لدلالة الكسر، وجاز إثباته على الأصل.  
و«المتقين»<sup>(٥)</sup> نصب على الاستثناء.

- (١) بناء: +، ت، ك.  
(٢) قد: وقد، د.  
(٣) صليفيه طيبا: صريفيه طيب؛ ت، د، ك.  
(٤) البيت قائلة الأعشى في قصيدة مطلعها:  
لعمرك ما طول هذا الزمن      على المرء إلا عناء معن  
أنظر ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، بيروت.  
(٥) والمتقين: المتقين، ك.

## المعنى

لما تقدم ذكر الأحزاب بيّن أخلاء الطاعة وأخلاء المعصية، فقال - سبحانه -: «الْأَخْلَاءُ» يعني المتواصلين في الدنيا<sup>(١)</sup> في معصية الله «يَوْمَئِذٍ» يعني يوم القيامة «بَغْضَهُمْ لِبَغْضِ عَدُوٍّ» قيل: إنما آلت الموافقة إلى العداوة؛ لأنها كانت موافقة على شيء يورث سوء العاقبة، وقيل: العداوة من أجل أن صاحبه سبب البلية فيما يظهر له يوم القيامة «إِلَّا الْمُتَّقِينَ» المتحابين في الله وفي طاعته، فإن الخلّة يومئذ بينهم باقية والموافقة قائمة لما رأوا<sup>(٢)</sup> من حسن العاقبة، ولما جمعهم من الطاعة<sup>(٣)</sup>، وقيل: إذا مات المؤمن يبشر بالجنة، فيذكر صاحبه، فيجمع بينهما في الجنة، وإذا مات الكافر جمع بينه وبين قرينه في النار، عن أبي علي. «يا عبادي» أي: ويقال لهم: «يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» آمنوا العذاب، وأفوض عليهم الثواب.

ثم بيّن صفة أولئك فقال: «الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ» متقادين لله مطيعين له «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ» قيل: أزواجهم: نساؤهم التي كانت لهم في الدنيا، عن أبي مسلم، وقيل: من الحور العين، عن أبي علي، والقاضي، وقيل: أزواجهم: قرناؤهم في طاعة الله، كما قال: (٤) ﴿اٰخْزُرُوا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا وَاَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]. «تُخْبَرُونَ» قيل: تنعمون، عن قتادة، وابن زيد، والسدي، وقيل: تكرمون، وقيل: تسرون من الحبور.

ثم بيّن أن حالهم كحال الملوك، فقال - سبحانه -: «يُطَافُ عَلَيْهِمْ» يعني الوصائف والوصفاء، والحور العين تطوف عليهم بذلك، «بِصِحَافٍ» قيل: قِصَاف، عن السدي. «مِنْ ذَهَبٍ» ذكر ذلك؛ لأنه أعظم أموالهم عندهم «وَأَكْوَابٍ» وأباريق فاكتفى بذكر الصحف والأكواب عن الطعام والشراب «وَفِيهَا» أي: في الجنة «مَا تَشْتَهِيهِ»<sup>(٥)</sup> الأنفس من أنواع

(١) في الدنيا: +، ت، ك.

(٢) رأوا: روا، ت.

(٣) فإن الخلّة يومئذ... الطاعة: +، ت، ك.

(٤) كما قال: كما تعالى قال، ت.

(٥) تشتهي: تشتهي، د، ك.

النعم «وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ» وهو ما يستحسن من المرثيات، ولا يقال: إنه رؤية الله تعالى؛ لأن الشهوة واللذة لا تتعلق به، تعالى عن ذلك؛ ولأنه ثبت<sup>(١)</sup> بالدليل أن ذاته غير مرئية «وَأَنْتُمْ فِيهَا» في الجنة<sup>(٢)</sup> «خَالِدُونَ» دائمون لا ينقطع نعيمهم «وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا» أي<sup>(٣)</sup> أعطيتموها، وقيل: وَرَّثَ اللهُ مَنْزِلَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَقَبِلُوا أَمْرَهُ، عن الحسن. «بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أي: جزاء على أعمالكم «لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ» فجمع لهم بين الطعام والشراب والفواكه، وبين دوامه، وذلك غاية الأمانة.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات أن المودة في معصية الله تنقلب يوم القيامة عداوة؛ حتى يتبرأ بعضهم من بعض، ويلعن بعضهم بعضاً.

وتدل أن مودة المتقين باقية في الجنة، ففيه حث على التواد في الطاعة، وزجر عن التواد في المعصية.

ويدل قوله: ﴿لَا خَوْفٌ﴾<sup>(٤)</sup> أن المؤمن لا يلحقه يوم القيامة خوف، خلاف<sup>(٥)</sup> ما قاله بعضهم.

ويدل قوله: ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ على تمام السرور؛ لما<sup>(٦)</sup> يجمع بينه وبين زوجته، والصحيح أنه الحور العين؛ لأنه أعم<sup>(٧)</sup>.

ويدل قوله: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ﴾<sup>(٨)</sup> الْأَنْفُسُ على<sup>(٩)</sup> أن نعيمهم<sup>(١٠)</sup> يزيد على حسب<sup>(١١)</sup> شهواتهم.

- 
- (١) ثبت: يثبت، ت.  
 (٢) في الجنة: +، ت، ك.  
 (٣) أي: +، ت، ك.  
 (٤) لا خوف: أنتم لا خوف، ت.  
 (٥) خلاف: خلا، ت.  
 (٦) لما: بما، ت، ك.  
 (٧) أعم: عم، ت، ك.  
 (٨) تشتهيه: تشتهي، ت، د، ك.  
 (٩) على: -، ت.  
 (١٠) نعيمهم: نعمهم، ت، ك.  
 (١١) حسب: حين، ت، ك.

ويدل قوله: ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أن ذلك جزاء على أعمالهم، وأنها حادثة من جهتهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا بِمَلَائِكَةٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)﴾.

### اللغة

الفتور: الضعف، أَفْتَرَ الرجل إذا ضَعُفْتُ<sup>(١)</sup> جفونه فانكسر طرفه، ومنه الحديث: «نهى عن كل<sup>(٢)</sup> مسكر ومُفْتَرٍ»، فالمُفْتَرُ الذي يُفْتَرُ الجسد إذا شرب، أي: يضعفه.

والإبلاس: الإيأس من الرحمة والخير، ومنه سمي إبليس؛ لأنه يش من الرحمة والخير<sup>(٣)</sup>، ومن انقطع حجته وتحير وسكت فقد أَبْلَسَ، قال الشاعر:

يا صَاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا<sup>(٤)</sup> مُكْرِسًا      قَالَ: نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسًا<sup>(٥)</sup>

والإبرام: الإحكام<sup>(٦)</sup>.

والنجوى: المناجاة بين الاثنين، وهو: الإسرار في الحديث، يقال: قوم نجوى،

(١) ضعفت: ضعف، ت، ك.

(٢) كل: -، ت.

(٣) والخير: وتحير، ت؛ وتحسر، ك.

(٤) رسمًا: ربيعًا، ت.

(٥) البيت قائله العجاج عبدالله بن ربيعة السعدي. أنظر لسان العرب (مجلس)، (كرس) تاج العروس (كرس).

(٦) الإحكام: والإحكام، ت.

وَنَجِيٍّ جَمْعُهُ<sup>(١)</sup> أَنْجِيَّةٌ، والنجوى: اسم يقوم مقام المصدر، وقيل: نَجِيٌّ جمع ناجٍ، مثل نادٍ ونَدِيٍّ لأهل المجلس، ونجوت: خلصت.

### ❁ المعنى

لما تقدم ذكر ما وعد المتقين عقبه بوعيد المجرمين على عادته تعالى في الجمع بين الوعد والوعيد، فقال - سبحانه -: «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ» قيل: المشركين، وقيل: كل مذنب ومجرم «فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ» دائمون «لَا يُفْتَرُونَ عَنْهُمْ» أي: لا يخفف عنهم العذاب «وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» أي: في العذاب آيسون من<sup>(٢)</sup> الفرج، متحiron في العذاب «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ» أي: ما عاقبناهم بغير ذنب فيكون ظلماً «وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ» لأنفسهم حين عصوا الله فاستحقوا العقاب<sup>(٣)</sup> «وَنَادَوْا» يعني المجرمين الذين هم أهل النار «يَا مَالِكُ» هو خازن النار، والموكل بعذاب أهلها مع أعوانه من الملائكة<sup>(٤)</sup> «لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ» أي: ليحكم علينا بالموت لنستريح من العذاب، وهذا منهم على وجه التمني والاستغاثة، وإلا فهم علموا ضرورة أنه تعالى لا يجيبهم إلى ذلك، فـ"قَالَ": يعني مالك: «إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ» أي: مقيمون في العذاب، وقيل: أجابهم بعد ألف سنة، عن ابن عباس، والسدي، والأعمش، وقيل: بعد أربعين عاماً، عن عبد الله ابن عمر، وقيل: بعد مائة عام، عن نوف. «لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ» أي: أتيناكم بالحق، قيل: هذا حكاية من كلام مالك، عن أبي علي، وإنما أضاف الآية إلى نفسه؛ لأنه من جملة الملائكة الذين يأتون بالوحي، وقيل: بل هو كلام الله تعالى ابتداء لهذه<sup>(٥)</sup> الأمة يرجع إليهم في الخطاب، عن أبي مسلم. «بِالْحَقِّ» أي: بالدين الحق، والكتب المنزل، والأدلة الظاهرة «وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ» قيل: ألفوا الباطل وكرهوا

(١) جمعه: جمع، ت، د، ك.

(٢) من: عن، د، ك.

(٣) العقاب: العذاب، ت.

(٤) بعذاب أهلها مع أعوانه من الملائكة: بعذابها مع أهلها من الملائكة، د؛ بعذابها مع أهلها من الملائكة، ت، ك.

(٥) لهذه: المدة، د.

(٦) أكثرهم: أكثرهم، ت، د.

مفارقته، وقيل: تركوا النظر، وقلدوا كبراءهم، وكرهوا الحق «أَمْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرَمُونَ» قيل: أجمعوا على التكذيب فإنما مجمعون على الجزاء بالتكذيب، عن قتادة، وقيل: أم أحكموا أمرًا في المخالفة فإنما محكمون أمرًا في الجزاء، وقيل: أم أبرموا في الكيد برسول الله - صلى الله عليه وآله - في الفتك به، فإنما مبرمون<sup>(١)</sup> أمرًا على حفظه وعصمته، ومنعهم منهم، وتعذيبهم، وفعل ذلك بهم يوم بدر، عن ابن الأنباري، وقيل: أم أحكموا حجة فيما ذهبوا إليه من الكفر وعبادة غير الله، يعني لم يُحْكَمُوا، ولا حجة<sup>(٢)</sup> لهم، فإنما محكمون ما ندعو إليه، ونقويه بالأدلة، والله تعالى لا يدعو إلى شيء إلا أحكمه وأبرمه، عن أبي علي، وقيل: أم أحكموا أمرًا ليخلصوا به من العذاب، فإنما أحكمنا الأمر في عقابهم، يعني لا شيء يتخلصون به من العذاب، وقيل: أم أحكموا أمرًا في تقوية باطلهم، فإنما أحكمنا الأمر في توهين كفرهم، وتعذيبهم، وقيل: هو عطف على قوله: ﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ أي: رأي رأوه<sup>(٣)</sup>، وعرضوا عليه، فإن فعلوا ذلك فإنما مبرمون ما نقابل به فعالهم، عن أبي مسلم. «أَمْ يَحْسِبُونَ» أي: يظنون، وقد<sup>(٤)</sup> أبرموا الأمر عند أنفسهم «أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ» مناجاتهم في مكائد المسلمين، «بَلَى» نسمع ذلك ونعلمه «وَرُسُلُنَا» يعني الحفظة، عن قتادة، والسدي. «لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ» أي: عندهم يكتبون عليهم أعمالهم من خير وشر.

### الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ أن كل مجرم في عذاب جهنم، والفساق مجرم. وتدل أن الفساق يكونون في النار. ومتى قيل: أراد به الكفار لذلك قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> لِلْحَقِّ كَذِبُونَ، وقال: ﴿أَمْ أَمْرًا﴾.

(١) مبرمون: محكمون، ت، ك.

(٢) ولا حجة: أو لا حجة، د.

(٣) رأوه: يروه، د.

(٤) وقد: فقد، ت.

(٥) أكثرهم: أكثرهم، ت، د، ك.

قلنا: اللفظ عام، والفاسق يكره الحق عند الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والفاسق يكد المؤمنين أيضًا، فلا مانع من حمل الآية على عمومها.

ويدل: ﴿لَا يُفْتَرُ﴾ على اتصال العذاب.

ويدل قوله: ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ الآية على أشياء:

منها: أن العقاب مستحق على أفعالهم.

ومنها: أن الكفر والظلم فعلهم، ليس بخلق الله ولا بإرادته<sup>(١)</sup>.

ومنها: أنهم قادرون على تركه؛ إذ لو عاقبهم على ما لا يقدر على تركه لكان ظالماً.

ومنها: أنه قادر على الظلم؛ لأنه تمدح بأنه لا يظلم، وما لا يقدر عليه لا يصح التمدح بتركه، وكل ذلك يبطل مذهب المجبرة في المخلوق والاستطاعة والإرادة.

ويدل قوله: «ورسلنا» أن علينا حفظة يكتبون الأعمال، فحذر بذلك من ارتكاب المعاصي، وكذلك قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ؟﴾؛ لأنه<sup>(٣)</sup> من الوعيد العظيم.

قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ (٨١) ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٨٢) ﴿فَذَرَهُمْ يَخْضِبُونَ وَيُلْعَبُونَ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٨٣) ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٤) ﴿وَبَارِكُ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٥).

(١) بإرادته: إرادته، ت، ك.

(٢) قوله: بقوله، د، ك.

(٣) لأنه: الآية، ت.

## القراءة

قرأ ابن كثير وحمة والكسائي: «وإليه يرجعون» بالياء، الباقون بالتاء على الخطاب، والأول على الكناية اعتباراً بقوله: ﴿فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا﴾.

## اللغة

العابد: قيل: هو مَنْ عَبْد يَعْبُدُ فهو عابد، على وزن: نصر ينصر، وقيل: من عَبْد يَعْبُد، نحو: حَمِدَ يَحْمَدُ، إِذَا أَنْفَ فهو عَبْدٌ، نحو عدد، وَعَبِدَ يَعْبُدُ عَبْدًا إِذَا غَضِبَ، قال ابن عرفة: وقلما يقال: فهذا عابد، والعَبْدُ: الأنف، والعَبْدُ: خلاف الحر، وأصله: الخضوع والذل، يقال: طريق مُعَبَّدٌ، ولا يشتق من العبد فعل، إنما هو العابد، وعن أمير المؤمنين: «عَبَدْتُ فَصَمْتُ» أي: أَنْفَتُ فَسَكْتُ، قال الفرزدق:

ولكنَّ نصفًا لو سببتُ وسبني      بنو عبد شمس من قريش وهاشم  
أولئك قومي إن هجوني هجوتهم      وأعبد أن أهجو كليبًا بدارم<sup>(١)</sup>  
والنصف: الإنصاف.

تبارك: قيل من البركة، وهو الثبوت، والله الثابت لم يزل ولا يزال، وقيل: هو من البركة، أي: كل البركات منه، وقيل: كل الذي عمت بركته ذكره.

## الإعراب

﴿يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ جزم؛ لأنه جواب الجزاء، ولأن معناه: إن تذرهم يخوضوا ويلعبوا.  
﴿يَلْقُوا﴾<sup>(٢)</sup>، نصب بـ ﴿حَتَّى﴾، وعلامة النصب ذهاب النون.

(١) البيت قائله الفرزدق وورد البيت برواية أخرى:

ولكن نصفًا لو سببت وسبني      بنو عبد شمس من مناف وهاشم

انظر: لسان العرب (نصف)، تاج العروس (نصف)، الصحاح (نصف) انظر ديوان الفرزدق، دار صادر ١٩٦٦.

(٢) يلاقوا: ملاقوا، ت.



## ✽ النزول

قيل: إن النضر بن الحارث قال: الملائكة بنات الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقال النضر: قد أثبت الله لنفسه الولد بهذه الآية، فقال عمر رضي الله عنه: ليس كذلك؛ بل معناه: ما كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين، أي أعبد<sup>(١)</sup> ربا لا ولد له.

## ✽ المعنى

ثم أمر الله تعالى<sup>(٢)</sup> نبيه يرد عليهم في إثبات الولد، فقال - سبحانه -: «قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ» فيه قولان:

أولهما: من الأنفين، ثم اختلفوا، فقيل: أنا أول الأنفين من اتخاذ رب له ولد، وقيل: أنا أول الأنفين من عبادة الرحمن إن كان له ولد؛ لاستحالة أن يكون له ولد، وقيل: أول الأنفين من هذا القول المنكرين<sup>(٣)</sup> له، عن أبي علي.

وثانيهما: أنه من العبادة أي: من العابدين. ثم اختلفوا، فقيل: إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله تعالى، الموحدين له المنكرين لقولكم، عن مجاهد، وقيل: إن كان للرحمن ولد فأنا أول الشاهدين له بذلك، العابدين له المقربين له، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، فعلى هذا «إِنْ» بمعنى «ما»، وهو للنفي، وقوله: «فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ» ابتداء كلام، وقيل: لو كان له ولد لكنت أول من يعبد؛ لأن له ولداً، ولكن لا ولد له، عن السدي، وأبي مسلم، وهذا كما يقال: لو ثبت إله غيره لعبده، ولكن لا إله غيره، فهذا تحقيق لنفي الولد، وتبعيد له، كقوله: ﴿حَقٌّ يَلِجُ الْجَمَلُ فِي سَرِّ الْخِيَابِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

ثم نزه نفسه، فقال - سبحانه -: «سُبْحَانَ» أي: براءة له وتنزيها عما يقوله المشركون مما<sup>(٤)</sup> لا يليق به «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ» أي: خالق هذه الأشياء ومالكها

(١) أي أعبد: فأعبد، ت، ك.

(٢) تعالى: +، ت، ك.

(٣) المنكرين: المكذبين، ت، ك.

(٤) مما: بما، ت، ك.

«عَمَّا يَصِفُونَ» به كذباً عليه «فَذَرَهُمْ يَخْضُوا» في باطلهم «وَيَلْعَبُوا» في دنياهم «حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» يعني يوم القيامة، وهذا وعيد لهم، وليس بإباحة.

ومتى قيل: أي دليل في كونه رب السموات والأرض على نفي الولد؟

قلنا: إن خلق الأجسام وإمساكها مع عظمها على غير شيء، والتمييز بين السموات والأرض لا يصح إلا من القادر للذات، وكل<sup>(١)</sup> صفة تنافي ذلك لا تجوز عليه، واتخاذ الولد من صفات الجسم ودلالة الحدث.

«وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ» أي: تعبد الملائكة في السموات وفي الأرض والمؤمنون.

ومتى قيل: لم كرر<sup>(٢)</sup> «إله»؟

قلنا: فيه قولان: تأكيداً، وقيل: لاختلافهما<sup>(٣)</sup>؛ لأن العبادة في السماء تجب على الملائكة، وفي الأرض على البشر، فأعاد ذكرهما<sup>(٤)</sup>.

«وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ» الحكيم<sup>(٥)</sup> فيما خلق ودبر، العليم بمصالح العباد يفعل بحسب مصالحهم «وَتَبَارَكَ» أي: الثابت الباقي، لم يزل ولا يزال «الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» أي: علم وقتها، وهو القيامة «وَالِيهِ تُرْجَعُونَ» أي: إلى حكمه والموضع الذي يختص بالأمر والحكم.

### ❁ الأحكام

تدل الآية على تنزيه الله تعالى عن<sup>(٦)</sup> الولد، وإبطال قول النصاري ومشركي العرب.

(١) وكل: فكل، ت.

(٢) كرر: ذكر، د.

(٣) لاختلافهما: لأخلافها، ك.

(٤) ذكرهما: ذكرها، ت، ك.

(٥) الحكيم: -، ت.

(٦) عن: من، ت، ك.

وتدل<sup>(١)</sup> على أنه إله في السماء والأرض، فتدل على نفي المكان.  
وتدل<sup>(٢)</sup> على أن أحدًا لا يعلم وقت القيامة إلا هو.

قوله تعالى:

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٨٦)</sup>  
وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ<sup>(٨٧)</sup> وَقِيلَ لَهُ يَنْزِبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا  
يُؤْمِنُونَ<sup>(٨٨)</sup> فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ<sup>(٨٩)</sup> ﴿٨٩﴾

### ❁ القراءة

قرأ عاصم وحمزة: «وقِيلَ» بكسر اللام، والباقون بفتحها.

أما الكسر فعلى تقدير: وعنده علم الساعة، وعلم قيله شاكيًا من قومه.  
وأما النصب فاختلفوا فيه، قيل: هو عطف على قوله: ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ تقديره:  
أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، ولا نسمع قيله وشكواه منهم<sup>(٣)</sup> أنهم قوم لا  
يؤمنون.

وقيل: وقال قيله أن هؤلاء قوم لا يؤمنون، فنصب بمحذوف.

وقيل: هو معطوف على قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ تقديره: شهد بالحق وقال  
قيله، عن أبي مسلم، وقيل: إلا من شهد بالحق وقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾،  
وأراد به تسليته وتَصْبِرُهُ، عن أبي علي.

وقيل: محله رفع، وأراد به الفعل أن يقول فصرف عن وجهه فنصب، كما قال  
كعب ابن زهير:

(١) وتدل: ويدل، ت.

(٢) وتدل: ويدل، ت.

(٣) وشكواه منهم: وشكواهم منه، ت، ك.

تَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَابَيْهَا<sup>(١)</sup> وَقِيلَهُمْ بِأَنَّكَ يَابْنَ أَبِي سَلَمَى لَمَقْتُولٌ  
يعني يقولون<sup>(٢)</sup>.

وقرأ الأعرج: «وقيلهُ» برفع اللام على الابتداء، وجوابه: «إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ» وقيل: تقديره: وعنده علم الساعة ويعلم<sup>(٣)</sup> قيله.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «فسوف تعلمون» بالتاء على الخطاب، والباقون  
بالياء كناية عن ﴿قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

### اللغة

الشفاعة: مسألة الطالب الحاجة لغيره، وهو على وجهين: عفو عن ذنب، وتبليغ  
منزلة أجل من منزلته، والنبى ﷺ يشفع لأمته على هذين في التائب، والمؤمن،  
وأصحاب الصغائر، وأصل الباب الضم، ومنه: الشفع خلاف الوتر.

والصفح: العفو عن الذنب، وأصله: الإعراض، يقال: صفحت عنه: أعرضت،  
ومنه: الصَّفْوَحُ، اسم من أسماء الله تعالى.

### الإعراب

اختلفوا في محل (مَنْ) في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ قيل: محله خفض<sup>(٤)</sup>؛  
لأن المراد به عيسى وعزير، تقديره: لا يشفعون<sup>(٥)</sup> إلا لمن شهد بالحق<sup>(٦)</sup> وقيل:  
محله رفع، وتقديره: ولا يملك الذين يدعون، وهم الأوثان من دونه الشفاعة كما  
زعموا إلا من شهد بالحق، وهم عيسى وعزير والملائكة.

(١) كتب في هامش د: ويروى بجنتيها. وفي ت، ك: جنابها. البيت لكعب بن زهير من (قصيدة البردة).

(٢) يقولون: قولهم: د، ت، ك.

(٣) ويعلم: ولعلم، د.

(٤) خفض: بالخفض، ت، ك.

(٥) لا يشفعون: لا يشهدون، د.

(٦) ولم يقل ولدًا: +، ت، د، ك.

(٧) للأوثان: الأوثان، ت.

﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ أي: هو سلام.

### المعنى

ثم رد عليهم إثبات الشفاعة للأوثان<sup>(١)</sup>، فقال - سبحانه -: «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ» قيل: لا تملك الأوثان الشفاعة لكن من<sup>(٢)</sup> شهد بالحق يملكه، وهو عيسى وعزير والملائكة، عن قتادة، وقيل: لا يملك أحد ممن<sup>(٣)</sup> عُبد من دون الله كالملائكة وعيسى وعزير الشفاعة إلا لمن<sup>(٤)</sup> شهد بالحق ويعلم الحق، عن مجاهد، والمراد بقوله: «وَلَا<sup>(٥)</sup> يَمْلِكُ» بأنه لا يفعل، وليس له ذلك. «وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» قيل: لئن سألت المشركين<sup>(٦)</sup> من خلقهم؟ اعترفوا بأن الله خلقهم، فكيف صرفوا عن عبادته وهو خالقهم إلى عبادة غيره، فأشار إلى أنهم نقضوا الجملة بالتفصيل، وهكذا حال كل مبطل ومبتدع «وَقِيلِهِ» قيل: معناه<sup>(٧)</sup> وقيل محمد، أي: قوله شاكياً إلى ربه من قومه «إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ»، وقيل: قيله منكرًا عليهم «إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ» وقيل: قيله، يعني قيل عيسى أي: اذكر قيل عيسى وشكايته عن قومه أنهم لا يؤمنون، عن أبي علي «فَاضْفَحْ عَنْهُمْ» أي: أعرض عنهم ولا تجازيهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ [آل عمران: ٢٠] وهذا وعيد، عن أبي علي، وأبي مسلم<sup>(٨)</sup>، وقيل: هذا منسوخ بآية السيف «وَقُلْ سَلَامٌ» أي: ما تسلم به من شرهم وأذاهم «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» أي: لا يعلمون في الحال ما عليهم من أمرهم، لكن سيعلمون غداً عاقبة ما هم عليه، وهذا وعيد، وقيل: فسوف يعلمون نصحك لهم وصدقك فيما أخبرتهم به.

(١) من: ممن، د.

(٢) ممن: من، ت، ك.

(٣) إلا لمن: إلا من، ت.

(٤) ولا: لا، ت، د، ك.

(٥) المشركين: الملائكة، ت، ك.

(٦) معناه: -، ت.

(٧) عن أبي علي وأبي مسلم: عن أبي مسلم وأبي علي، ت.

(٨) فإن: بأن، ت، ك.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على بطلان قول الكفار في إثبات الشفاعة للأوثان.  
وتدل أن الشفاعة إنما تكون لمن شهد بالحق.  
ويدل قوله: ﴿فَأَصْفَحْ﴾ على تأديب منه لرسوله في الكف عن مجازاتهم على  
تكذيبهم، فإن<sup>(١)</sup> الله تعالى يجازيهم به.

---

(١) هي: -، ك.



## سُورَةُ الدُّخَانِ

سورة (حم الدخان)، وهي <sup>(١)</sup> تسع وخمسون آية، وهي مكية.  
 وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك».  
 وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «من قرأ حم <sup>(٢)</sup> ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة».  
 ولما ختم (حم الزخرف) بالوعيد افتتح هذه السورة بذلك والإنذار بالقيامة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿حَمِّ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٨)﴾.

(١) حم: +، أظنه حم الدخان.

(٢) حجة القراءات ٦٥٦.



## ❁ القراءة

قرأ حمزة وعاصم والكسائي: «رَبِّ السَّمَوَاتِ» بكسر الباء من (رب)<sup>(١)</sup> ردًا على قوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ تقديره: رحمة من ربك رب السموات، وقرأ الباقون بالرفع ردًا على قوله: ﴿إِنَّهُ<sup>(٢)</sup> هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وقيل: على الابتداء.

## ❁ اللغة

البركة: نماء الخير، ونقيضه: الشؤم: نماء الشر.  
والإنذار: الإعلام بمواضع<sup>(٣)</sup> الخوف لتتقى، وبموضع الأمن ليجتبي. أُنذِرَ فهو مُنذِرٌ، والله تعالى أُنذر عباده بآتم الإنذار.  
والفرق: الفصل بين الشيئين، ومنه: الفرقان، ومنه: طلع الفرقان، أي: الصبح، يفرق بين الليل والنهار.  
واليقين: سكون النفس إلى الشيء، ومثله العلم، ونقيضه: الشك والجهل.

## ❁ الإعراب

«حم» محله كَسْرٌ للقسم.  
«أمرًا» قيل: نصب على المصدر، وقيل: على المدح، عن أبي مسلم، وقيل: نصب على معنى: يفرق كل أمر فرقًا وأمراً، فوضع «أمرًا» موضع «فرقًا» فهو نصب على المصدر، عن الفراء<sup>(٤)</sup>، وقيل: نصب على الحال.  
«رحمة» نصب على تقدير: رحم رحمة، وهو مصدر وُضِعَ موضع الحال.

## ❁ المعنى

«حَم» قد بَيَّنَّا ما قيل فيه، وأنه اسم للسورة<sup>(٥)</sup>، أو إشارة إلى أنه معجز حيث ألف

(١) إنه: -، ت، ك.

(٢) بمواضع: بموضع، ت.

(٣) الفراء: القراء، ت.

(٤) للسورة: السورة، د.

(٥) القرآن: -، ت، ك.

القرآن<sup>(١)</sup> من الحروف التي يتكلمون بها، وعجزوا عن مثلها، أو إشارة إلى حدث القرآن، أو مفاتيح أسماء الله تعالى «وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ» قيل: أقسم بالكتاب وهو القرآن، وسورة (حم)، وقيل: برب الكتاب ومنزله، عن أبي علي، ثم وصف الكتاب فقال: «المبين» الذي يبين الأحكام، والمبين هو الله تعالى، إلا أنه لما بين في الكتاب أضاف إليه<sup>(٢)</sup> توسعاً، وقيل: بَيَّنَّ مصالح المخلوق وما يحتاج إليه في الدين «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» يعني القرآن «فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ»<sup>(٣)</sup> قيل: ليلة القدر، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وأبي علي، وأبي مسلم، وقيل: ليلة النصف من شعبان، عن عكرمة، والأول أوجه.

واختلفوا فقليل: أنزل<sup>(٤)</sup> إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل نجوماً على النبي ﷺ، وقيل: ابتدأ بإنزاله في ليلة القدر «مباركة»؛ لأن فيها يقسم الله تعالى<sup>(٥)</sup> نعمه بين عباده من السنة إلى السنة، وقيل: يعفو ويقسم الرزق، عن ابن عباس.

«إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» مخوفين لهم؛ أي نقضي لهم بالعقاب، وقيل: مخوفين بما بيَّنَّا في الكتاب من تعذيب العصاة، عن أبي علي، وقيل: أنزلنا الكتاب إنذاراً به، عن أبي مسلم. «فِيهَا» أي: في هذه الليلة «يُفْرَقُ» يقضى ويفصل «كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» قيل: يبرم<sup>(٦)</sup> في ليلة القدر من شهر رمضان كُلُّ أَجَلٍ وعمل ورزق، وما يكون في تلك السنة، عن الحسن، وقتادة، ومجاهد، وقيل: يفعل ذلك ليلة النصف من شعبان، عن عكرمة. «أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا» يعني الفصل يكون بأمرنا، وقيل: بفعلنا<sup>(٧)</sup>، والأمر يكون بمعنى الفعل، وقيل: أمراً أردنا بإرسال الرسل، عن أبي مسلم. «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» قيل: مرسلين بذلك إلى رسول الله ﷺ، عن أبي علي. وقيل: مرسلين الأنبياء إلى الخلق على حسب المصلحة، وقيل: مرسلين الملائكة إلى الأنبياء، وقيل: مرسلين<sup>(٨)</sup>

(١) إليه: الله، ت.

(٢) مباركة: -، ت، ك.

(٣) أنزل: نزل، ك.

(٤) تعالى: +، ت.

(٥) يبرم: مبرم، د، ك.

(٦) بفعلنا: لفعلنا، ت.

(٧) مرسلين: المرسلين، د.

(٨) بأن: أن، ت، ك.

محمدًا إلى الخلق «رَحْمَةً» قيل: أنزلناه رحمة، وقيل: أرسلناه رحمة، وقيل: فعلنا ذلك في هذه الليلة رحمة، وقيل: الرحمة: النعمة العظيمة.

ومتى قيل: إذا قال مباركة ورحمة، فكان يجب بأن<sup>(١)</sup> تكون كلها خيرا، فَلِمَ قال: «منذرين»؟

قلنا: لأن فيها كما تقسم الأرزاق والنعمة، تقسم الآجال والموت، فحذر بذلك؛ لئلا يأتيه بغتة ليتأهب له، وذلك أيضًا رحمة منه.

«إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» لما يقوله المحقق والمبطل عند إرسال الرسل «الْعَلِيمُ» بالخلق يرسل مَنْ يصلح «رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا» يعني خالقهما ومالكهما «إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ» قيل: أَيْقِنُوا أَنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَهُ، والقرآن تنزيله، وقيل: معناه إن كنتم تطلبون اليقين وتريدونه، وإنما أراد إيجاب العلم والمعرفة، كقولهم: فلان مُنْجِدٌ ومُتَّهِمٌ، يريد نجداً وتهامه، عن أبي مسلم. «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَيِّ وَيُمِيتُ» أي: هو المختص بالقدرة على الموت والحياة «رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» أي: خالق الجميع.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ على حدوث القرآن.

ويدل قوله: ﴿فِي لَيْلَةٍ﴾ أنه اختص إنزاله بتلك الليلة.

ويدل قوله: ﴿فِيهَا يُفَرِّقُ﴾ على اختصاص تلك الليلة بتدبير الله أمر عباده، وقسمة الآجال، وما يكون في تلك السنة من الحوادث، وإنما فعل ذلك مصلحة للملائكة، وفي الخبر عنه مصلحة لنا.

ويدل قوله: ﴿مُوقِنِينَ﴾ أن فيهم من لا يوقن، وذلك يبطل قول أصحاب المعارف.

(١) لا يحصل: لا يجعل، ت.

قوله تعالى:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى  
النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَفَنُكْفِيهِمْ  
الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو  
الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ .

### القراءة

قرأ أبو جعفر: «نَبْطِشُ» بضم الطاء، والباقون بكسرهما، وهما لغتان، وهو أَخَذُ  
بشدة، بطش يبطش بطشاً فهو باطش، وبطش يبطش مثل: عرش يعرّش ويعرّش.

### اللغة

الارتقاب: الانتظار، ومنه الرُقْبَى بين اثنين؛ لأن كل واحد منهما ينتظر موت  
صاحبه، والارتقاب: الحفظ أيضاً من ذلك، ومنه: الرقيب: الحافظ، وسواء قولك:  
يرقب ويرتقب.

والغشى: اللباس، ومنه: الغشيان، وغاشية السرج.

والألَم: عرض يدرك لا يحصل<sup>(١)</sup> من فعلنا إلا متولداً من الوهن<sup>(٢)</sup> ومن فعل الله  
تعالى يحصل مبتدأ ومتولداً، فأما الذي يحصل عند تناول الأشياء المرة والكريهة<sup>(٣)</sup>  
فليس بمعنى عندنا، وإنما هو إدراك ما ينفر عنه طبعه، أَلَمُهُ يُولِمُهُ إيلاماً، وَأَلَمَ يَأْلَمُ  
أَلَمًا.

### الإعراب

«كاشفوا» معناه: كاشفون، فحذف النون.

(١) الوهن: الوهي، د، ك.

(٢) والكريهة: الكريهة، ت.

(٣) إنا مؤمنون: إنا موقنون، ت.

## المعنى

لما تقدم ذكر القرآن، وأحوال المؤمنين عقبه بذكر أحوال الكفار، فقال - سبحانه -: «بَلْ هُمْ» يعني الكفار «فِي شَكٍّ» من القرآن والنبوة «يَلْعَبُونَ» قيل: يشتغلون ويترددون في أحوال الدنيا، وقيل: يستهزئون بك وبالقرآن إذا قرئ عليهم، ويلعبون، عن أبي علي، والمراد أنهم أهملوا أنفسهم ولم ينظروا، وسلكوا طريق الشك في أمر الآخرة، وأقبلوا على اللعب «فَارْتَقَبَ» انتظر بهؤلاء ومجازاتهم «يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ» يغشاهم يقولون: يا رب «هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» فأكشفه عنا «إِنَّا مُؤْمِنُونَ»<sup>(١)</sup> وقيل: الارتقاب بمعنى الحفظ، والمراد استشهاد النبي ﷺ في عذاب أنزله بهم، فاستكشفوه بإظهار الإيمان يقول: فاحفظ، أي: اشهد أيها النبي عليهم واحفظ قولهم، فإننا سنكشف عنهم العذاب مدة، ثم يعودون إلى كفرهم، عن أبي مسلم، وذكر الوجه الأول أيضًا. وقيل: الدخان الظلمة التي كانت تغطي أبصار<sup>(٢)</sup> المشركين لشدة<sup>(٣)</sup> الجوع حين دعا عليهم النبي ﷺ وقال: «اللهم سنين كسني يوسف»، عن ابن مسعود، والضحاك. وقيل: كانوا يرون شبه دخان ينزل من السماء، وقيل: كان ذلك قبل بدر، وقيل: الدخان من أشراط الساعة يدخل في مسامع الكفار والمنافقين، وهو لم يأت بعد، وسيأتي، عن ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وزيد بن علي، وأبي علي. وقيل: يصيب المؤمن كهيئة الزكام، وعن النبي ﷺ: «أول الآيات الدخان ونزول عيسى». وقيل: يوم يأتي الدخان يملأ بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يومًا وليلة، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام، وأما الكافر بمنزلة السكران يخرج من منخره وأذنيه ودبره. وقيل: إن هذا الدخان يكون يوم القيامة، عن أبي مسلم، والأوجه أن يكون يوم القيامة، أو يكون من علامات الساعة؛ لأنه تعالى أخبر أن دخانًا يأتيهم، وهو عذاب، وفي سنين القحط ما كان هناك دخان في الحقيقة،

(١) أبصار: أبصاء، ك.

(٢) لشدة: بشدة، د، ك.

(٣) مؤمنون: موقنون، ت، ك.

ولا غشيهم دخان، [ولكن] لبيوسة الهواء يترأى لهم الغبار دخاناً لشدة الجوع، ويدل عليه قوله: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> واليقين يحصل يوم القيامة لا في الدنيا «يَغْشَى النَّاسَ» أي: يعمهم ويستترهم «هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ» يعني ويقولون<sup>(٢)</sup>: ربنا اكشف «عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ»<sup>(٣)</sup>، وقيل: إن أبا سفيان تضرع إلى النبي ﷺ حتى دعا، فكشف الله ذلك. «أَنَّى لَهُمُ الذُّكْرَى» قيل: كيف لهم الذكرى والاتعاظ، عن ابن عباس، وقيل: لا تنفعهم التوبة في الآخرة بعد زوال التكليف، عن الحسن، هذا إن حمل الدخان على أنه يكون بعد زوال التكليف، وإن حمل على الدنيا، فمعناه لا يتذكرون، ولا يتعظون «ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ» أي: أعرضوا عن محمد ﷺ «وَقَالُوا» هو «مُعَلَّمٌ» يعلمه بشر، وليس بمنزل «مَجْنُونٍ» أي: تعترضه الجن بما يزول به عقله، واعتقدوا في الجن ما يعتقده العوام، عن أبي علي، فقال - سبحانه - : «إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ» قيل: في العذاب، عن قتادة، وقيل: في الضلال، عن أبي علي وجماعة. فمن ذهب إلى أن الدخان في القيامة قال: عائدون في الضلال. العذاب، ومن ذهب إلى أنه في الدنيا مع بقاء التكليف قال: عائدون في الضلال. «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى» أي: نأخذ الأخذ الأعظم، قيل: هو في يوم بدر، عن ابن مسعود، ومجاهد، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي بن كعب، والضحاك، وابن زيد، وقيل: هو يوم القيامة، عن ابن عباس، والحسن، وأبي علي، وأبي مسلم، وهو الأوجه؛ لأن البطش الشديد يكون فيه «إِنَّا مُتَّقِمُونَ» أي: نعذبهم جزاء أعمالهم.

### الأحكام

يدل قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ على بطلان قول أصحاب المعارف.  
ويدل قوله: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ على وعد المؤمنين، ووعيد الكفار.  
وتدل الآية أن من أشرط الساعة الدخان.

(١) يعني ويقولون: -، ت.

(٢) مؤمنون: موقنون، ك؛ موقنون يعني ويقولون، ت.

(٣) في: عليها.

ويدل قوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ أن الإيمان عند زوال التكليف لا ينفع.

ويدل قوله: ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ أنه يعذبهم بأعمالهم.

ويدل قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو﴾ أنه لو كشف عنهم العذاب في الدنيا لعادوا إلى الضلال، فيعودون إلى العذاب.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِعْ بَعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

#### القراءة

«إني آتيكم» فتح نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر الباء، ولم يفتحها الآخرون.

وأثبت الباء في قوله: «ترجمون» و«اعتزلون» ورش عن نافع، ويعقوب، وحذف الباقون الباء تخفيفاً مع دلالة الكسرة عليه<sup>(١)</sup>.

«وإن لم تؤمنوا لي» فتح ورش عن نافع الباء، ولم يفتحها<sup>(٢)</sup> غيره.

#### اللغة

الفتنة: الامتحان والاختبار، ولا يجوز عليه تعالى الامتحان؛ لأنه عالم بجميع الأشياء لم يزل، وإنما يعامل معاملة المختبر، فيجازي ليظهروا<sup>(٣)</sup> ما يعلم.

(١) يفتحها: يفتح، د، ك.

(٢) ليظهروا: ليظهرون، ت، ك.

(٣) سريت: سريت، ت.

والكريم: الحقيق بأن يكرم، وكل شيء يكرم عليك، فهو كريمك.  
والرجم: الرمي بالحجارة، والرمي بالشتم، يقال: رجمه: إذا رماه، ومنه: رجم الزنا.  
والاعتزال: الانقطاع عن الشرك، وترك ملابسته، ومنه: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ﴾ [مريم: ٤٩]، ومنه سميت المعتزلة.  
والسرى: سير الليل، سَرَيْتُ أنا، وأسريت غيري، وأسريت به، قال الله تعالى:  
﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، قال الشاعر:  
أَتَى سَرَبَتٍ<sup>(١)</sup> وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ      وتقرب الأحلام غير قريب<sup>(٢)</sup>  
والرَّهْوُ: الساكن، وقيل: المفتوح المنكشف، عن أبي مسلم، يقال: عَيْشٌ رَاهٍ:  
ساكن، وأزوه<sup>(٣)</sup> على نَفْسِكَ أي: ارفق بها.

### الإعراب

«عِبَادَ اللَّهِ» نصب «عباد» بـ «أدوا»، نظيره: ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧]، وقيل: على النداء، أي: يا عباد الله أدوا ما أمركم الله به، عن الفراء.  
﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي﴾ تدغم الذال في التاء لقرب المخرج فتصير تاء.

### المعنى

لما تقدم تكذيب قومه عقبه بقصة موسى وتكذيب فرعون؛ تسلية له وبشارة بالفرج، ووعداً لهم، فقال - سبحانه -: «وَلَقَدْ فَتَنَّا» أي: شددنا التكليف<sup>(٤)</sup> عليهم، وتفسيره: عاملناهم معاملة المختبر، وقيل: عذبناهم، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: فأني تشديد يفيد في بعثة موسى؟

قلنا: أمرهم بطاعته وتعظيمه مع عظم حالهم وضعف حاله في الدنيا.

(١) البيت قائله قيس بن الخطيم الصحاح (سرب) لسان العرب (سرب)، تاج العروس (سرب)؛ قريب: بعيد، ت، د، ك.

(٢) وأره: وأراه، ت.

(٣) التكليف: بالتكليف، ت.

(٤) أي: +، ت، ك.



وقيل: بمفارقة دينهم.

وقيل: لكونهم أتباعاً بعد كونهم متبوعين، فتلحقهم مشقة عظيمة.

وقيل: لترك ملكهم، ويحمل على الجميع.

«قَبْلَهُمْ» أي: قبل قوم النبي ﷺ «قَوْمٌ فِرْعَوْنٌ» وهم القبطية «وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ» يعني موسى «كَرِيمٌ» قيل: شريف وسيط في قومه من بني إسرائيل، وقيل: كريم عند الله بما استحق بطاعته من الإكرام والإجلال «أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ» أي: قال لهم موسى: أدوا إليّ، أي<sup>(١)</sup> ادفعوا إليّ «عِبَادَ اللَّهِ» وهم بنو إسرائيل ولا تعذبهم، عن الحسن. وقيل: أدوا إليّ عباد الله ما أمركم به؛ أي: أسلموا، عن الفراء. «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» أنصحكم، وقيل: أمين على وحي الله أوّديه<sup>(٢)</sup> إليكم «وَأَنْ لَا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ» قيل: لا تعلوا على الله باقتراء الكذب عليه، عن ابن عباس، وقيل: لا تبغوا عليه بكفر نعمه، عن قتادة، وقيل: لا تكبروا على الله بترك طاعته، واتباع أمره، عن الحسن، وقيل: لا تعلوا على أولياء الله بالبغي عليهم، فذكر نفسه وأراد أولياءه تفخيماً، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقيل: لا تعلوا على أمره فتردوه<sup>(٣)</sup> ولا تقبلوه، وقيل: لا تنكروا عليّ، ولا تسمعوا كلام ربي ورسالته «إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ» بحجة «مُبِينٍ» قيل: ظاهر، وهو العصا واليد، وقيل: بيّن صحة نبوتي، وصدق مقالتي، وتوعده بالقتل والرمي بالحجارة، فقال: «وَإِنِّي<sup>(٤)</sup> عَذْتُ بِرَبِّي» أي: اعتصمت بربي «وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ» قيل: بالحجارة، عن قتادة، وقيل: أراد بالشتم بالقول، فقالوا: ساحر كذاب، عن ابن عباس، وقيل: تقتلون «وَأِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَرِلُونِ» يعني جئتكم برسالة من ربكم، فإن لم تصدقوني فاعتزلوني بصرف أذاكم عني، ولا تقتلوني ولا تشتموني «فاغترلوني» خلوا سبيلي غير مقتول ولا مسبوب «فَدَعَا رَبَّهُ» يعني موسى لما أيس منهم دعا ربه، وقال: «أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ» فانتقم منهم، وكان أُمِرَ

(١) أوّديه: أوّديه؛ ت، د، ك.

(٢) فتردوه: فترددوه، ت، ك.

(٣) وأنّي: إني، ت، د، ك.

(٤) فينادوني: فتباروني، د.

بالدعاء، ومعنى مجرمون: مصرون على كفرهم، وقيل: مجرمون إلي فينادوني<sup>(١)</sup> بالمكروه، فأجيب وأوحى<sup>(٢)</sup> الله تعالى إليه: «فَأَسْرِ بِعِبَادِي» أي: بالمؤمنين إلى الموضع المأمور به من ناحية النهر على خفية من قوم<sup>(٣)</sup> فرعون، عن أبي علي، وقيل: أراد بعبادي بني إسرائيل ومن آمن معهم بموسى «لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ» يتبعكم فرعون وقومه «وَأَنْتُمْ الْبَحْرَ رَهَوًا» إذا قطعتة أنت وأصحابك، قيل: ساكنًا كما كان، وكان ضَرْبَ بالعصا فانفلق لبني إسرائيل، فأمره أن يترك كما هو ليغرق فرعون وقومه، عن ابن عباس، ومجاهد، وأبي علي، وقيل: منفتحًا منكشفًا حتى يطمع فرعون في اتباعه، عن أبي مسلم، وقيل: طريقًا يابسًا، عن قتادة، وقيل: رهوًا واسعًا ما بين الطاقات، وقيل: دَمِيًا، وهو السهل الذي ليس برمل ولا حزن، عن الضحاك، وقيل: قوله: «رهوًا» يحتمل أن يكون من نعت البحر، ثم معناه ما ذكرنا مما قيل فيه، ويحتمل أن يكون من نعت موسى، أي: على هيئتك، عن أبي علي<sup>(٤)</sup>.

ومتى قيل: ما الفائدة في قوله: ﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًا﴾ والله تعالى يسكنه ويحركه، وموسى لا يقدر على شيء من ذلك؟ قلنا: هو إشارة إلى أَمْنِهِ، كما يقال<sup>(٥)</sup> لمن يخاف دخول دار: ادخل الدار آمنًا، واترك الباب مفتوحًا كما هو، أي<sup>(٦)</sup>: لا تخف.

وقيل: لأن موسى كان إذا أظهر معجزة ضرب بالعصا، فإذا أراد عوده<sup>(٧)</sup> إلى حالته الأولى ضربه ضربة ثانية، فأمر الله تعالى ألا يضرب البحر، ويترك كما هو، وقيل: إن قومه سألوه ألا يترك البحر مفتوحًا؛ لئلا يدخله فرعون، فأمره تعالى أن يترك<sup>(٨)</sup> كما هو.

(١) وأوحى: فأوحى، ت.

(٢) قوم: -، ت.

(٣) عن أبي علي: +، ت، ك.

(٤) كما يقال: يقال يقال، ت.

(٥) أي: -، ت.

(٦) عوده: رجوعه، ت، ك.

(٧) يترك: بتركه، ت، ك.

(٨) هو: فهو، ت، ك.

«إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ» هو<sup>(١)</sup> إخبار عن العاقبة، وقيل: مغرقون في سابق قضائي، فبقي البحر كما كان، ودخل فرعون وقومه، فغرقوا جميعاً.

### ❖ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنِّي أَنَا إِلَهُكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أن الطاعة إنما تجب عند بيان المعجز.  
ويدل قوله: ﴿وَأَنِّي عَذْتُ﴾ أن الواجب على العبد عند الخوف أن يعتصم بالله - تعالى - .  
ويدل قوله: ﴿فَدَعَا﴾ أن موسى دعا بإذن الله، وأجيب.

قوله تعالى:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۖ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ۖ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ۖ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۖ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۖ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَالًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ۖ (٣١) وَلَقَدْ أَخْرَنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۖ (٣٢) وَأَنَّا إِنَّمَا مَنَّ الْآلِينَ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ۖ (٣٣)﴾.

### ❖ القراءة

قرأ أبو جعفر: «فكاهين» بغير ألف<sup>(٢)</sup>، يعني أشيرين بطيرين، [وقرأ] الآخرون بالألف: «فاكاهين» ناعمين متنعمين، يقال: فكه يفكه فكهاً فهو فاكه.

### ❖ اللغة

الجنة: البستان، وجمعه: جنات، وأصله من الستر، ولا يسمى جنة حتى يكون فيه من الأشجار ما يستتره، ومنه: الجنُّ والجنون والجنين والمجنُّ، ونحوها.

(١) القرطبي ١٦ / ١٢٠.

(٢) كثيرة: كثيراً، د.

والتَّعْمَةُ بفتح النون: التَّعْمُ والتلذذ، والتَّعْمَةُ بكسر النون: هي المنفعة التي يستحق بها الشكر.

والمسرف: المجاوز للحد، والسَّرَف ضد القصد.

والاصطفاء والاجتباء والاختيار نظائر.

والبلاء: النعمة، والبلاء: الشدة، وهو من الأضداد.

### ❁ المعنى

ثم بيَّن تعالى حال قوم موسى وقوم فرعون بعد هلاك فرعون، فقال - سبحانه -: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ» إشارة إلى التكبر، يعني لما أهلكنا آل فرعون تركوا بساتين كثيرة<sup>(١)</sup>، وأموالاً جمّة «وَعُيُونٍ» جارية «وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ» قيل: مجلس شريف، وقيل: مقام الملوك والأمراء، وقيل: المنازل الحسنة، عن قتادة، وقيل: المنابر ومجالس الملوك، عن مجاهد، وسعيد بن جبير، والمقام موضع الإقامة، وإنما يستعمل في الغالب في مقام الجمال والهيئة، وقيل: المقام المزخرف بالزينة المأهولة بكثرة الحشم والخدم «وَتَعْمَةٍ» أي: غبطة وسرور وعيش كما «كَانُوا فِيهَا فَكِيهِينَ» قيل: لاعبين ناعمين، وقيل: ضاحكين مستبشرين «كَذَلِكَ» قيل: كذلك كان الأمر فيهم، وقيل: كذلك فعلنا بهم ونفعل بأمثالهم، وقيل: كذلك كان المال والجاه فيهم، وقيل: كذلك نفعل بمن نهلكه ونتقم منه، عن أبي علي، وقيل: كذلك يكون حال الكفرة والظلمة، يجمعون<sup>(٢)</sup> من غير حِلٍّ، وينفقون في معصية الله، ثم يتركونها لمن لا يمدحهم «وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ» أي: أعطيناها بني إسرائيل، عن قتادة، فلما قاموا مقامهم سماه إرثاً، قال الحسن: رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون، وحازوا أموالهم «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ» فيه عشرة أقوال:

أولها: قيل: أهل السماء والأرض؛ لأنهم لما عصوا الله، وغضب عليهم صاروا

(١) يجمعون: يجتمعون، ت.

(٢) ظهور: بظهور، د.

في موضع جزاء لا في موضع ترحم فيبكي عليهم، قال الحسن وأبو علي: ما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون؛ بل كانوا بهلاكهم فرحين مسرورين.

وثانيها: لو كانت السماء والأرض ممن يبكي على أحد لم تَبْكِ على هؤلاء؛ لأنهم ليسوا ممن يُحْزَنُ عليهم؛ بل يفرح بهلاكهم.

وثالثها: أنه لم يَبْكِ عليهم ما يبكي على المؤمن إذا مات من مُصَلَّاهُ وَمُضَعَّدِ عَمَلِهِ، عن ابن عباس، وسعيد بن جبیر. يعني لم يك موضع طاعة يظهر حاله عند موته، والمراد ظهور<sup>(١)</sup> الحال؛ لأن الجماد لا يبكي.

ورابعها: كان أمرهم أهون من أن يبكي عليهم باكٍ، يعني لم يكن هلاكهم حزناً على أحد، عن أبي مسلم، فهو مَثَلٌ في تحقير المصيبة، وتَوْشُّعٌ في الكلام.

وخامسها: أنه كان يدعي الإلهية، فلما هلك لم يترك سماء ولا أرضاً، كما يقال: مات فلان ولم يترك ولدًا يبكي عليه، يعني لم يترك ولدًا أصلاً.

وسادسها: لم تمطر عليهم سحابة، ولا نبت لهم نبات، ولا جرت العيون في بساينهم؛ بل صارت كلها لغيرهم، وهم همود تحت التراب، فالبكاء عبارة عن المطر والنبات.

وسابعها: ما بكت عليهم؛ يعني ما لحقهم رحمة، والعرب تدعو للميت، تقول: سقته الغواذي، وسقاه المزن، ويريدون به الرحمة.

وثامنها: قال عطاء: بكاء السماء والأرض حُمْرَةً أطرافها، قال السدي: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام<sup>(٢)</sup>، بكت عليه السماء، وبكاؤها حمرتها، وعن ابن سيرين: أن الحمررة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين.

وتاسعها: أي: لم ينتصر لهم، ولا طلب بثأرهم، كما يفعل قوم من العرب في

(١) عليهما السلام: عليه السلام، ت، ك.

(٢) لم تذكر النسخ القول العاشر كما أشار المؤلف مسبقاً.

البكاء على القتل، يبيّنه بعد قتل قاتله أو من يساويه، ولا يبيّن قبل طلب الثأر، عن أبي مسلم<sup>(١)</sup>.

وأوضح الوجوه ما قاله الحسن وأبو علي؛ لأنه حمل البكاء على حقيقته.

«وَلَقَدْ نَجَّيْنَا» خلصنا «بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ» وهو ما ينالهم من فرعون من الأعمال الشاقة والإهانة «مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا» قيل: متكبرًا، وقيل: مستعليًا على العباد، يريد أن يجعلوه إلهاً، عن أبي علي. «مِنَ الْمُشْرِكِينَ» يعني مجاوز للحد، ولا إسراف أعظم من ادعاء الربوبية، وقتل النفس بغير حق، وظلم المؤمن بالمال والنفس «وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ» أي: اجتبتناهم «عَلَى عِلْمٍ» أي: وأنا عالم بحالهم وأنهم أهل للاصطفاء<sup>(٢)</sup> «عَلَى الْعَالَمِينَ» قيل: عالمي زمانهم، عن الحسن، وقتادة، ومجاهد، بدليل قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقيل: اخترناهم على جميع العالمين بكثرة الرسل، وقيل: أراد به الرسل، فهو عام، والمراد به الخصوص، يعني اخترناهم بالأنبياء<sup>(٣)</sup>؛ ولذلك قال: «وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ» وذلك لا يليق إلا بالأنبياء «وَأَتَيْنَاهُمْ» أعطيناهم «مِنَ الْآيَاتِ» من الحجج «مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ» أي: نعمة ظاهرة، قيل: البلاء النعمة، عن الحسن وجماعة، وقال قتادة: هو ما فعل بهم من المن والسلوى والغمام وخلق البحر ونحوه، وقيل: البلاء العذاب، عن الفراء، وقيل: الابتلاء الشدة والرخاء، عن ابن زيد، وقيل: الآيات المعجزات، وفيه نعمة على الأنبياء وعلى قومهم.

### ❁ الأحكام

تدل الآية على التحذير مِنْ مِثْلِ حالهم إذا جمعوا الأموال، وتركوها، وصاروا إلى العذاب.

(١) للاصطفاء: الاصطفاء، ت، ك.

(٢) بالأنبياء: الأنبياء؛ د، ك.

(٣) تعالى: +، ت.

وتدل على أنهم لما استمروا على الضلال فأهلكوا لم يحزن [أحد] بهلاكهم، ولم يترحم، وفيه تحذير عن المعصية.

ويدل قوله: ﴿أَخَّرْنَاهُمْ﴾ على أنه خصهم بالإرسال والمعجزات.

ويدل قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أن العلو والسرف كان فعله ليس بخلق الله تعالى حتى نجى الله تعالى <sup>(١)</sup> عباده منه، ولو كان خلقه <sup>(٢)</sup> لما كان <sup>(٣)</sup> ينجيهم من فعل نفسه.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتَوْا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

### اللسغة

النشر: ضد الطي، والنشور: بعث بعد الموت، ومنه يقال: نشر الله الميت وأنشَر، ومنه: نَشَرَتِ الْأَرْضُ: أصابها الربيع، فأنبَت، وهي ناشرة، والنبات هو النَّشْرُ.

وتُبِعَ: مَلِكٌ من ملوك اليمن، والجمع: تَبَاعَةٌ، وقيل: سمي تبعاً؛ لأنه يتبع من قبله من الملوك، وقيل: لأنه إذا مات واحد منهم تبعه الآخر، فكان بدلاً منه <sup>(٤)</sup>، يقال: أتبعه بالتخفيف، وأتبعه بالتشديد: حذا حذوه، يقال: ما زلت أتبعه حتى اتبعته، أي <sup>(٥)</sup> لحقته.

(١) خلقه: خلقهم، ت.

(٢) لما كان: -، ت؛ لكان، ك.

(٣) بدلاً منه: بدلاً، ت.

(٤) أي: حتى، د، ك.

(٥) بآبائنا: +، ت، ك.

## الإعراب

«لاعبين» نصب على الحال، أي: لم يخلقهما في حال اللعب.

## المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر النبي ﷺ، فقال - سبحانه -: «إِنَّ هَؤُلَاءِ» يعني قوم النبي ﷺ وهم مشركو العرب ومكة «لَيَقُولُونَ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى» يعني نموت أولاً ثم لا بعث، ولا نشور، ولا دار سوى الدنيا. «وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ» أي: بمبعوثين «فَأْتُوا بِآبَائِنَا»<sup>(١)</sup> الأول أحياء «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أنا نبعث أحياء بعد الموت، يعني إن صح النشور<sup>(٢)</sup> في الآخرة صح النشور في الدنيا، فاحيوا آباءنا، وهذا جهل من وجوه:

أحدها: أن النشور للمجازاة، وهي في الآخرة دون الدنيا، ولا تجتمع المجازاة والتكليف.

ومنها: أن الإحياء في دار الدنيا إنما يكون للمصلحة، فربما يكون مفسدة، فذلك غير موقوف على اقتراحهم<sup>(٣)</sup>.

ومنها: أنه يجوز ذلك في الدنيا، إلا أنه لا يفعله<sup>(٤)</sup>.

ومنها: بأي معنى جمعوا بين الأولى والأخرى، فهذا من أضعف الشبه.

فلما تركوا الحجة، وعدلوا إلى الشبهة<sup>(٥)</sup> جهلاً عدل الكلام إلى الوعيد والوعظ، فقال - سبحانه -: «أَهُمْ» يعني مشركي مكة «خَيْرٌ» أعز وأمنع وأكثر مالاً وعدداً «أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ» قيل: هو تُبَّعُ الحميري ساق الجيوش، وهدم سمرقند وبنائها، عن قتادة، وقيل: ذم الله قومه ولم يذمه، عن كعب، وقيل: لا تسبوا تُبَّعاً، فإنه رجل صالح، عن

(١) النشور: -، ت، ك.

(٢) اقتراحهم: اقترافهم، ت.

(٣) لا يفعله: لا يفعلها، ك.

(٤) الشبهة: الشبه، ك.

(٥) فإنه: -، ت، ك.



عائشة، وقيل: هو الذي كسا البيت، عن سعيد بن جبير، وعن النبي ﷺ: «لا تسبوا تبعاً فإنه»<sup>(١)</sup> «قد كان أسلم»، وإنما ذكر تبعاً؛ لأنهم عرفوا أخباره لانتشاره، وقرب زمانه، ومكانه منهم، وكان أتى مكة والمدينة والطائف، وأجرى أنهاراً، وأثر آثاراً، وفتح بلاداً. «وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الأمم الماضية<sup>(٢)</sup> «أَهْلَكْنَاهُمْ» لما كفروا و«كَانُوا مُجْرِمِينَ» مذنبين كافرين، فليحذروا أن ينالهم مثل ما نال أولئك، وقيل: لولا أن أكثر أهل مكة آمنوا لكان يحل بهم ما حل بقوم تبع.

ثم بيّن الدلالة على صحة البعث ووجوبه، فقال: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ» عابثين، يعني لو لم يكن الجزاء مع التخلية في الدنيا لكان جميع ذلك عبثاً، وإنما خرج من كونه لعباً؛ لأنه خلقهم للتكليف، وبيعهم للجزاء، وقيل: «مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» قيل: إلا بداعي<sup>(٣)</sup> الحكمة، وقيل: إلا على الحق الذي يستحق به الحمد دون الباطل الذي يستحق به الذم، وقيل: للحق الذي صار إليك في دار الجزاء أي: الحسن، وقيل: إلا لغرض صحيح، وهو<sup>(٤)</sup> أن يطيعوه، فيستحقوا الثواب «وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» الحق لتركهم النظر، وقيل: لا يعلمون الغرض الذي له خلقنا الأشياء.

### الأحكام

تدل الآيات على جهل القوم في إنكار البعث، ولو تفكروا لعلموا أن من يقدر على ابتداء الأجسام يقدر على إعادتها.

وتدل أن ما خُلِقَ إنما خلق بالحكمة، وأن الباطل ليس مِنْ خَلْقِهِ، ولا يكون كذلك إلا وفيه غرض صحيح.

(١) الماضية: الخالية، ت، ك.

(٢) بداعي: لداعي، ت، ك.

(٣) وهو: فهو، ت، ك.

(٤) حجة القراءات ٦٥٧.

وتدل على نفي البعث .

وتدل أنه ليس من خلقه .

ويدل قوله : ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن المعارف مكتسبة .

قوله تعالى:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٣) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٤) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٥) إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُورِ (٤٦) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٧) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٨) كَغَلِي الْحَمِيمِ (٤٩) خَذُوهُ (٥٠) فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥١) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٥٢) ذُقْ (٥٣) إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٥٤) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٥) .

#### ❁ القراءة

قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم، ويعقوب: «يَغْلِي» بالياء<sup>(١)</sup>، والباقون بالتاء، والأول على تذكير المُهْل، والثاني على تأنيث الشجرة.

وقرأ أبو جعفر وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي: «فَاعْتَلُوهُ» بكسر التاء، الباقر بضمها، وهما لغتان.

قرأ الكسائي وحمزة: «أَنْكَ» بفتح الهمزة على معنى لأنك، الباقر بكسرها على الابتداء<sup>(٢)</sup>.

#### ❁ اللغة

الفصل بين الشيئين: الفرق بينهما، ومنه الفصل الحاكم؛ لأنه يفصل الأمور،

(١) حجة القراءات ٦٥٧.

(٢) لأنها: لأنه، ت، د، ك.

والفصيل: ولد الناقة؛ لأنه انفصل عن أمه، والمفاصل: مفاصل العظام، ومنه: ﴿وَفَقَصِلَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١] أي: بيانه، والفرق بينه وبين غيره، ويوم الفصل: يوم القيامة يفصل بين المحق والمبطل.

والوقت: الزمان، والموقوت: الشيء المحدود، والميقات: مصير الوقت، وسميت القيامة ميقاتاً؛ لأنها<sup>(١)</sup> وقت للجزاء<sup>(٢)</sup>.

والمولى: الصاحب والصديق، والمولى: ابن العم، والمولى: المعتق المنعم عليه، والمولى: الولي، والمولى: الأولى من ذلك.

والمُهْل: شيء يذاب بالنار حتى يشتد حره كالذهب والفضة والرصاص ونحوها، وهو مهل؛ لأنه يمهل في النار<sup>(٣)</sup> حتى يذوب. والحميم: الحار.

والعُتْلُ: الذهاب بشدة وعنف، ومنه: العُتْلُ: الجافي الغليظ، عَتْلُهُ يَعْتِلُهُ عِتْلًا، وقيل: هي أن تأخذ بِتَلْبِيبٍ<sup>(٤)</sup> الرجل، فتجره إليك، وقيل: العُتْلُ: السريع إلى الشيء.

### الإعراب

اختلفوا في محل قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ﴾ قيل: محله رفع بدلاً من الاسم المضمر في ﴿يُنْصَرُونَ﴾، وإن شئت جعلته ابتداءً، وأضمرت خبره، تقديره: إلا من رحم الله، فيغني، وقيل: محله نصب على الاستثناء والانقطاع عن أول الكلام. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى﴾ الأول والثاني كسر، وأصله مَوْلًى<sup>(٥)</sup>؛ لأن الياء لما تحركت وقبلها حرف مفتوح قلبتها ألفاً ساكنة.

(١) للجزاء: الجزاء، ت، ك.

(٢) حتى يشتد حره... النار: +، ت، ك.

(٣) بتلييب: لباب، د.

(٤) وأصله مولي: وصله ولياً، ت، ك.

(٥) الكريم: -، ت، ك.

## النزول

قيل: نزل قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ (٤٣) طَعَامُ الْآثِمِ ﴿﴾ في أبي جهل، وكان يقول: ما بين جبلَيْها أعز وأكرم مني، عن قتادة. فيقال له يوم القيامة توبيخًا: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (١) كما زعمت، ولما سمع هذه (٢) الآية جاء بتمر وزبد (٣) قال: نحن [نتزقم] (٤) هذا أي: ملاقو (٥) هذا فلا يضرنا، وروي أنه قال: إن كان محمد يوعدنا بالزقوم فتزقموا، فإننا لا نعرف ذلك إلا هذا.

وروي أن النبي ﷺ أخذ بيد أبي جهل وهذه، وقال: «أولى لك، ثم أولى لك فأولى» فقال: تهددني يا محمد، والله يا محمد ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئًا، إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه، فنزلت فيه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.

## المعنى

ثم عقب الوعيد بذكر القيامة، فقال تعالى: «إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ» يعني يوم القيامة، وفيه يفصل الله بين الخلق أمورهم «مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ» يعني وقتهم الذي أمهلهم إليه.

ثم وصف ذلك اليوم، فقال تعالى: «يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا» أي: لا يدفع صديق عن صديق، ولا ابن عم عن ابن عمه، ولا ولي (٦) عن (٧) وليه شيئًا من العذاب الذي نزل به «وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» أي: لا ينصره أحد عن ذلك، «إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ» الاستثناء (٨) من النفي إثبات يعني مَنْ رَحِمَهُ اللهُ من المؤمنين، أي: أنعم عليهم وأنه يغني ويشفع، والرحمة: النعمة على المحتاج، وقيل: لا يشفع أحد لأحد إلا من

(١) بهذه: ت، ك.

(٢) وزيد: وزيت، ت.

(٣) نتزقم: تنوهم، ت، د، ك.

(٤) ملاقوا: تلاقوا، ت، ك.

(٥) ولا ولي: ولا مولى، ت.

(٦) عن: من، ك.

(٧) الاستثناء: والاستثناء، ت.

(٨) الغالب والقادر: القادر الغالب، ت، ك.

رحم الله، فأذن له في الشفاعة، «إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ» الغالب القادر<sup>(١)</sup> الذي لا يمتنع عليه شيء، وهو مع ذلك رحيم، رحم عباده، وينيل بعضهم نفع بعض<sup>(٢)</sup> في الشفاعة.

ولما كان الفصل للقضاء بين المحق والمبطل، بَيَّنَّ ما لكل واحد منهما، فذكر ما أعدَّ لأهل جهنم، فقال - سبحانه -: «إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ» وهي شجرة طلعها يأخذ بحلقوقهم، ويحرق أجوافهم، وقد تقدم ذلك «طَعَامُ الْأَثِيمِ» أي: طعام الفاجر العاصي.

ثم وصف الشجرة<sup>(٣)</sup> فقال: «كَالْمُهْلِ» قيل: ما أذيب بالنار كالفضة، عن ابن عباس، وابن مسعود، وقيل: المهل دُرْدِيُّ الزيت، عن ابن عباس بخلاف «يَغْلِي فِي الْبُطُونِ. كَغَلْيِ الْحَمِيمِ» الماء الحار المنتهي في الحرارة «خُذُوهُ» أي: ويقال: خذوا الأثيم «فَاغْتَلَوْهُ» قيل: بشدة وعنف وجروه إلى الجحيم، وقيل: ادفعوه بسوقه إلى النار «إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ» أي: وسط النار، عن قتادة. «ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ» الماء الحار، ثم يقال له: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ<sup>(٤)</sup> الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» قيل: هو تهجين<sup>(٥)</sup>، أي: أنت الذي ادعيت بالعز<sup>(٦)</sup> والكرم، وما كنت كذلك، وقيل: أنت العزيز في قومك، الكريم عليهم، فاليوم أنت في هذا الهوان، لا ينصرك منهم أحد، وقيل: هو على النقيض، كأنه قيل: أنت الذليل المهان، إلا أنه قيل ذلك<sup>(٧)</sup> على وجه التبعيد منه، استخفافاً به، وقيل: أنت الذي كنت تطلب العز في قومك، والكرم بمعصية الله تعالى، «إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ» أي: تَشْكُونَ ولا تَوْمَنُونَ به، فقد رأيتموه عياناً.

(١) بعض: لبعض، ت.

(٢) الشجرة: الشجر، ت، ك.

(٣) أنت: -، ت.

(٤) تهجين: بتهجين، ت.

(٥) ادعيت بالعز: دعيت بالعزيز، ت، ك.

(٦) ذلك: -، ت، ك.

(٧) مستحق: يستحق، ت.

## الأحكام

يدل قوله ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أن أهل النار لا ناصر لهم، ولو كان يشفع النبي ﷺ لكان ذلك أعظم نصرة، فيبطل قول المرجئة في الشفاعة لأهل الكبائر.

ويدل قوله: ﴿تَمَتُّونَ﴾ أن الشك في الدين مذموم، والشاك مستحق<sup>(١)</sup> للعقاب<sup>(٢)</sup>.

وتدل<sup>(٣)</sup> على بطلان قول من يقول: إن المعارف ضرورية.

وتدل على أن الشك فعلهم؛ لذلك وبخهم وعاقبهم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِبِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

## القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «في مُقَامٍ بضم الميم»<sup>(٤)</sup>، [و] الباقون بفتحها، قيل: هما بمعنى واحد، وهو اسم لموضع<sup>(٥)</sup> الإقامة، وقيل: الضم هو المصدر، أي: في إقامة، وبالفتح موضع الإقامة، يقال: أقام بالمكان إقامة ومقامًا ومقامة.

(١) للعقاب: العقاب، ت، ك.

(٢) وتدل: فتدل، د.

(٣) حجة القراءات ٦٥٧.

(٤) لموضع: بموضع، ت.

(٥) والتقي: والذي، د.

## اللغة

الانقاء أصله: الاجتناب عن الشيء، والتقي: الخائف يجتنب موضع المخافة، اتقى اتقاء، ومنه التقوى، وهو في الشرع اسم مدح، كاسم المؤمن، والتقي<sup>(١)</sup> هو اسم لمن اجتنب ما نهى عنه، وهو على ضربين: اجتناب عن ترك الواجبات، واجتناب عن فعل القبائح، يقال: رجل تقي، ورجل متق<sup>(٢)</sup>.

والإستبرق: الديباج، قيل له الإستبرق لشدة بريقه، وقيل: اسم مُعَرَّبٌ، ولا يقال: إنه فارسي؛ لأنه ليس في القرآن غير العربي، ولأنه ليس في لغة الفرس إستبرق.

والحُورُ: جمع حوراء، وهو شدة البياض، ومنه الحُورِيُّ: لشدة بياضه، وحَوْرَتُهُ: بَيَضَتُهُ.

والعيناء: واسعة العين، الحسنة.

والوقاية: حفظ الشيء، وقاه الله وقاية.

والارتقاب: الانتظار.

## الإعراب

«فضلاً» نصب على المصدر، أي: فضل الله فضلاً، وقيل: بنزع حرف الصفة، أي: ذلك الفضل منه، وقيل: نصب على الحال.

## المعنى

ثم عقب الوعيد بذكر ما أعد للمتقين، فقال - سبحانه - : «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» الذين يتقون معاصي الله «فِي مَقَامٍ» في<sup>(٣)</sup> موضع إقامة «أَمِينٍ» قيل: أمنوا العذاب، وقيل:

(١) متق: متقي؛ ت، د، ك.

(٢) أي: ت، ك.

(٣) بذكر: -، ت.

أمنوا زوال النعمة، وقيل: أمنوا كل ما يُخاف ويُخشى خلاف حال الدنيا «فِي جَنّاتٍ» أي: بساتين فيها أشجار «وَعُيُونٍ» أنهار جارية فيها «يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ» قيل: نوعان من الحرير، وقيل: السندس الحرير، والإسْتَبْرَق الديباج الغليظ، عن الحسن، وقتادة، وقيل: إنما خاطب العرب بذكر<sup>(١)</sup> الثياب لما<sup>(٢)</sup> عظم عندهم واشتهت أنفسهم «مُتَقَابِلِينَ» أي: يقابل بعضهم بعضاً، ويقبل بعضهم على بعض، وهم متقابلون بالمحبة، لا متدابرون بالبغضة، وقيل: متقابلين حال الزيادة وإن تفاوتوا في الدرجات، «كَذَلِكَ» قيل: كذلك فعلنا بهم، وقيل: كما أكرمناهم بالجنان، أكرمناهم بأن زوجناهم، وقيل: كذلك على تلك الحالة، وقيل: كذلك الأمر في الفريقين<sup>(٣)</sup>، وقيل: كذلك نفعل بكل واحد منهم «وَزَوْجَانَهُمْ»<sup>(٤)</sup> بِحُورٍ عِينٍ وهنّ<sup>(٥)</sup> النساء الثَّقِيَّاتُ البياض، وقيل: الحور البيضاء، والعِينُ: واسعة العين<sup>(٦)</sup>، وقيل: العيناء: الشديدة سواد العين، الشديدة<sup>(٧)</sup> بياضها، عن الحسن، وقيل: حار فيهن الطرف لبياضهن، وصفاء لونهن، عن قتادة. «يَدْعُونَ فِيهَا» في الجنة «بِكُلِّ فَاكِهَةٍ» يشتهون «آمِنِينَ» من نفادها وعدمها ومضرتها، وقيل: آمنين من الموت والأوصاب، «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى» قيل: (إلا) بمعنى (سوى)، وقيل: بمعنى (لكن)، كأنه قيل: لكن الموتة قد ذاقوها، وقيل: بعد الموتة الأولى، وإنما استثنى؛ لأنه أخبر بذلك في الدنيا، فيصح الاستثناء فيها عن القاضي.

ومتى قيل: لِمَ كان هذا نعمة عليهم مع مشاركة غيرهم من الحيوانات؟ قلنا: لأن فيه بشارة بدوام النعم، فالحياة هنية في الجنة، وأهل النار معاقبون، فيزيدهم بذلك غمًا.

- 
- (١) لما: بما، ت.  
 (٢) الفريقين: فريقين، د، ك.  
 (٣) وزوجناهم: فزوجناهم، ك.  
 (٤) وهن: وهي؛ ت، د، ك.  
 (٥) العين: العيون، ت.  
 (٦) الشديدة: لشدة، ت.  
 (٧) جزى: جازى؛ ت، د، ك.



«وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ» أي: خلصهم عنها «فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ» أي: ذلك فضل من الله.

ومتى قيل: إذا كان مستحقًا فكيف يكون فضلًا؟

قلنا: سبب الاستحقاق هو التكليف والتمكين، وهو فضل منه.

وقيل: لأنه خَلَقَ وأنعم، فاستحق أن يُعَبَّدَ وَيُشْكَرَ، فإذا جَزَى<sup>(١)</sup> على الفعل كان فضلًا.

وقيل: لأنه أعطى المستحق وزاد، وأعطى<sup>(٢)</sup> على القليل كثيرًا.

وقيل: إن هذه الأفعال لا منفعة فيها للقديم - سبحانه -، فإذا أثاب عليها ثوابًا مؤبدًا كان فضلًا.

«ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» الظفر العظيم الشأن «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ» أي: سهلناه، يعني القرآن كناية عن غير مذكور، وقيل: كناية عن الكتاب، وقد تقدم ذكره في أول السورة، ومعنى «يسرناه» أي: جعلناه بالعربية ليسهل عليك «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أي: ليتذكروا ما فيه من الأمر والنهي، والوعد والوعيد «فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ» أي: ارتقب المجازاة فإنهم مرتقبون، يعني في حكم المرتقب، من حيث يأتيه في عاقبة أمره، فالمحسن يرتقب عاقبة<sup>(٣)</sup> الإحسان، والمسيء عاقبة<sup>(٤)</sup> الإساءة، وقيل: انتظر بهم عذاب الله فإنهم ينتظرون بك الدوائر، وقيل: انتظر النصر والقهر، فإنهم ينتظرون - بزعمهم - قهرك.

### ❁ الأحكام ❁

تدل الآية أن غير المتقي لا يكون في الجنة.

(١) وأعطى: أعطى، د.

(٢) عاقبة: عاقبته، ت، ك.

(٣) عاقبة: عاقبته، ت، ك.

(٤) على: -، ت، ك.

ويدل قوله: ﴿وَوَقَّعْنَهُمْ﴾ أن أصحاب الجنة قط لا يدخلون النار، خلاف قول المرجئة.

ويدل قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ أنه يقدر على قراءة القرآن.  
ويدل على<sup>(١)</sup> أنه تعالى قادر على أن يجعله بلسان آخر، دل أنه مقدوره ومجعلوه<sup>(٢)</sup>، خلاف من يقول: إنه قديم، ولأنه عربي، والقديم لا يكون عَرَبِيًّا.  
ويدل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أنه أراد من الجميع أن يتذكروا، خلاف قول المجبرة.

ويدل قوله: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ على وعد له ووعيد لهم.  
وتدل أن التذكير فعلهم.

---

(١) ومجعلوه: ومجعلوله، ت.

(٢) وما ييث: وما ييث فيها، ت.



## سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

سورة (حم الجاثية)، سبع وثلاثون آية، وهي مكية.  
وعن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (حم الجاثية) ستر الله عورته،  
وسكن روعته عند الحساب».  
ولما ختم (حم الدخان) بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره أيضًا.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ  
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَخَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ  
اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

### ❁ القراءة

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: «وما يبت<sup>(١)</sup> من دابة آياتٍ»، «وتصريف الرياح  
آياتٍ» بالكسر فيهما، وقرأ الباقون بالرفع فيهما<sup>(٢)</sup>.  
أما الكسر فرد على قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) حجة القراءات ٦٥٧.

(٢) للمؤمنين: للموقنين، ت، ك.

(٣) على تقدير إن لا: -، ت.

وأما الرفع فعلى الابتداء، وخبره في حرف الصفة.  
قال علي بن عيسى: الكسر على تقدير: (إِنَّ)، لا<sup>(١)</sup> على وجه العطف على الآيات الأول؛ لأنه لا يجوز العطف على عاملين.  
فأما ما روي في قراءة أبي بن كعب: «وما يبث من دابة لآيات» بالرفع وإدخال اللام فلا يجيزها<sup>(٢)</sup> الكسائي، كما لا يجيز: في الدار لَزِيدٌ<sup>(٣)</sup>.

### اللغة

التنزيل: مصدر نَزَلَ تنزيلاً، ووضع هذا موضع مُنْزَل.  
والبث: التفريق، بَثَّ يَبِثُّ بَثًّا.  
والدابة في الأصل: ما يدب، وفي العرف: اسم لنوع من الحيوان، وقد ورد القرآن بها على الأصل.  
والرزق: العطاء الجاري، وحُدِّه في الشرع ما له أن ينتفع به، وليس لأحد منعه.

### الإعراب

«واختلاف» كسر بتقدير: وفي اختلاف، وكذلك في: (تصريف الرياح).

### المعنى

«حم» قد بَيَّنَّا ما قيل فيه، وأن بعضهم قال: اسم السورة، وبعضهم قال: إشارة إلى أن القرآن معجز، وبعضهم قال: إشارة إلى حدث<sup>(٤)</sup> القرآن، وبعضهم قال: هي مفاتيح أسماء الله تعالى. «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» أي: أنزله الله في كتابه «مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» أي: إنزاله من الله تعالى بأمره، و«الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» قيل: من صفات الله

(١) يجيزها: ولا يجيزه: ت؛ ولا يجزه، ك.

(٢) لزيد: لزيذاً، ت، ك.

(٣) حدث: حدوث، د.

(٤) ولا: لا، ت.

تعالى، والعزیز: القادر [الذي] لا یمتنع علیه شيء، وهو الحکیم العالم، یفعل الأشياء للحکمة، وقیل: هو من صفة الکتاب، أي: کتاب عزیز ممتنع، ولا<sup>(١)</sup> یصل إلیه بتحریف وتبديل<sup>(٢)</sup> ومعارضة أحد، وهو حکیم یشتمل علی الحکمة «إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ» أي: فی خلقهما وإساکهما وتسکینهما، وانتظام حالهما وترتیبهما<sup>(٣)</sup> بما فیهما دلیل علی مدبر صانع قادر عالم لیس بجسم، ولا یشبهه شيء<sup>(٤)</sup>، قال الحسن: مسافة کل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما<sup>(٥)</sup> بین کل أرضین مسيرة خمسمائة عام، وكثافة کل أرض مسيرة خمسمائة عام، وبین کل أرضین خمسمائة عام<sup>(٦)</sup> [«للمؤمنین»] خصهم بالذكر؛ لأنهم یتدبرون فیها وینتفعون، وإلا فهو حجة علی<sup>(٧)</sup> الجميع «وَفِي خَلْقِكُمْ» أي: فی خلق البشر من كونه نقطة فی الرحم الصورة العجیبة، وإحیائها، وتركيب الحواس والأعضاء، وتنقلها من حال إلی حال «وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ» أي: ما فرّق من الحيوانات فی الأرض من أنواع مختلفة، وصور متفرقة «آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ»<sup>(٨)</sup>، واختلاف الليل والنهار» أي: فی اختلافهما، قیل: أحدهما یجیء خلف الآخر، وقیل: اختلافهما: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وقیل: اختلاف حالهما من زیادة ونقصان «وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ» أي: سبب<sup>(٩)</sup> الرزق هو المطر «فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أي: أحیایا بالنبات بعد أن كانت بیضاء جُرُزًا لا نبات فیها، فشبّهما<sup>(١٠)</sup> بالحياة والموت توسعًا «وَتَضْرِيفِ الرِّيَّاحِ» جعلها مرة شمالًا، ومرة صبا، ومرة جنوبًا، ومرة دُبُورًا، عن الحسن، وقیل: یجعلها مرة عذابًا،

(١) بتحریف وتبديل: تحریف ولا تبديل ومعناه، ت.

(٢) وترتیبهما: وبینهما، د.

(٣) ولا یشبهه شيء: ولا یشبه شيئًا.

(٤) ما: +، ت، ك.

(٥) وبین کل أرضین خمسمائة عام: +، ت، ك.

(٦) علی: +، ت، ك.

(٧) یوقنون: یؤمنون، ت، ك.

(٨) سبب: لسبب، ت.

(٩) فشبّهما: شبّهما، ت.

(١٠) تنزیل: ینزل، ك.

ومرة رحمة، عن قتادة، وقيل: رخاؤها، وعُصُوفُها، وحرارتها، وبرودتها «آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ذلك، ويتدبرون فيه.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿تَنْزِيلُ<sup>(١)</sup> الْكِتَابِ﴾ على حدوث القرآن؛ لأن ما كان قديماً يستحيل عليه الإنزال.

ويدل جميع ما ذكر على صانع حكيم، ووجه الدلالة من وجهين: أحدهما: ما يختلف من الأحوال ويتجدد، ولا يقدر عليها الواحد منا، فلا بد من صانع حكيم.

والثاني: أن هذه الأشياء محدثة؛ لأنها لا تخلو من المحدثات، ولا تتقدمها، وإذا كانت محدثة<sup>(٢)</sup> فلا بد لها من مُحدثٍ، قادر عالم، حي، سميع بصير، قديم، ليس بجسم، ولا عرض، ولا يشبهه شيء، ولا يجوز عليه ما<sup>(٣)</sup> يختص الجسم كالجوارح والأعضاء، ولا يُدْرِكُ بشيء من الحواس، وأنه واحد ليس معه قديم، وأنه حكيم لا يفعل إلا الحسن، ولا يفعل القبيح، فيعلم أن القبيح فعل غيره، وإذا كَلَّفَ فلا بد أن يجازي، وإذا علم أن الشريعة لطف فلا بد أن يبين بأفعاله كما<sup>(٤)</sup> ذكر ما<sup>(٥)</sup> يدل على جميع صفاته، إما بنفسه، أو بواسطة، وتفصيل ذلك يطول، وهو مذكور في كتب المشايخ.

وتدل على أن المعارف مكتسبة؛ إذ لو كانت ضرورية<sup>(٦)</sup> لكان نصب الدليل عبثاً.

(١) كانت محدثة: كان محدثاً، ت، ك.

(٢) ما: -، ك.

(٣) كما: بما، ك.

(٤) ذكر ما: +، ت.

(٥) لو كانت ضرورية: لو كان ضرورياً، ت، ك.

(٦) يؤمنون بالياء: تؤمنون بالتاء، ت؛ حجة القراءات ٦٥٩.

قوله تعالى:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآيِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَلَٰذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُ رَبَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ .

### القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم: «يؤمنون» بالياء<sup>(١)</sup> على الحكاية، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وإحدى الروايات عن عاصم: «تؤمنون» بالتاء<sup>(٢)</sup> على الخطاب. وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم: «من رَجَزٍ أَلِيمٍ»<sup>(٣)</sup> بالرفع، الباقلون بالكسر، وهما لغتان.

### اللغة

التلاوة: القراءة، وأصله: إثبات الشيء في أثر الأول، ومنه: فلان يتلو فلاناً أي: يأتي بعده. وَيْلٌ: كلمة وعيد.  
والأَفَّاكُ: الكذاب، وهو المبالغة في التعظيم لكذبه، وذلك على وجهين:  
أولهما: بكثرة خبره بخلاف الحق.  
وثانيهما<sup>(٤)</sup>: بعظم<sup>(٥)</sup> كذبه في نفسه في خصلة وخصلتين ككذب مسيلمة في ادعاء النبوة، ونقيض كذاب: صِدِّيقٌ؛ لأنه صفة مبالغة في الصدق.

(١) تؤمنون بالتاء: يؤمنون بالياء، ت.

(٢) أليم: +، ت، ك.

(٣) التعظيم لكذبة... وثانيهما: -، ت.

(٤) بعظم: تعظيم، ت، عظم، ك.

(٥) لأنه: إلا به، ت.



والأثيم: فاعل الإثم، وهو فعيل بمعنى فاعل، تقول: آثم وأثيم، كقولك: عالم وعليم.

والإصرار: الإقامة على الذنب، والإصرار ينافي التوبة، وهو من صَرَّ الصُّرَّةَ إذا شدها، فكأنه شد الأمر، فلا فرق عليه، أصر فهو مُصِرٌّ.

والاستكبار: التكبر، وهو الترفع عن قبول الحق، استكبر استكبارًا، وتَكَبَّرَ تَكَبُّرًا، أي: تعظم.

وراء: نقيض قدام، ويستعمل بمعنى قدام.

والهدى: الدلالة والبيان.

### ❁ الإعراب

«هدى» موضعه رفع، لأنه<sup>(١)</sup> خبر الابتداء، تقديره: هذا القرآن هدى.

و«أليم» متى رفع كان نعتًا للعذاب<sup>(٢)</sup>، وإذا كسر كان نعتًا للرجز<sup>(٣)</sup>.

### ❁ المعنى

لما تقدم ذكر الأدلة عقبه بوعيد مَنْ أعرض عنها ولم يتدبر فيها، فقال - سبحانه -: «تِلْكَ» يعني ما تقدم ذكره من «آيَاتِ اللَّهِ» حججه وبياناته على توحيده وعدله «تَتْلُوهَا» نقرؤها «عَلَيْكَ بِالْحَقِّ» أي: بالصدق، وقيل: لغرض صحيح، وهو أن يقبل منه ويعمل به «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ» أي: بعد حديث الله، وهو القرآن «وَأَيَّاتِهِ يُؤْمِنُونَ» أي: من لم يؤمن بحديث الله وآياته<sup>(٤)</sup> مع أنه أصدق القائلين، فبأي حديث يؤمن؟ أشار إلى أن المعاند<sup>(٥)</sup> لا حيلة فيه، والفرق بين الحديث الذي هو القرآن وبين

(١) للعذاب: للاعراب، ت.

(٢) وإذا كسر كان نعتًا للرجز: وإذا كسر نعتًا للعذاب، ت؛ وإذا كسره كان نعتًا للرجز، ك.

(٣) بحديث الله وآياته: بآيات الله وحديثه، ت، ك.

(٤) المعاند: المعارف، ت.

(٥) كذاب: -، ك.

الآيات أن الحديث قصص وأخبار يبين الحق من الباطل، والآيات أدلة تبين الصحيح من الفاسد «وَيَلَّ» قيل: كلمة وعيد، وقيل: واد سائل من صديد جهنم «لِكُلِّ أَفَّاكٍ» كذاب<sup>(١)</sup> «أَلِيمٌ» مذنب «يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ» يعني القرآن «تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا» يعني لا يؤمن به؛ بل يقيم على كفره، ويصر على تكبره، ويعرض عن القرآن أَنفَةً، «كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» وجيع «وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا» أي: مع<sup>(٢)</sup> أنه لا يقبل الآيات، يستهزئ بها فيزداد ضلالاً «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ».

ثم فسر العذاب، فقال - سبحانه - : «مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ» عبر بلفظ الجمع؛ لأنه أراد جميع الكفار، وقيل: ذكر مرة بلفظ الجمع<sup>(٣)</sup> ومرة بلفظ الواحد؛ لأنه أراد الجنس، والمعنى، قيل: بين أيديهم جهنم، يصيرون إليها، وجاز ذلك؛ لأنه يكون في مستقبل أوقاتهم فيصلح فيه الوجهان، «وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ» لا يكفي في المنع من عظيم ما نالهم من العذاب «مَا كَسَبُوا» من أموالهم وأسباب الدنيا، أي: جمعوها «وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ» قيل<sup>(٤)</sup>: الأوثان التي<sup>(٥)</sup> اتخذوها آلهة، وقيل: الرؤساء وعلماء السوء، يثسوا أن ينالهم من جهتهم ما ينتفعون به «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«هَذَا هُدًى» أي: هذا القرآن دلالة على الدين، به يُعَلَّمُ معالم الإسلام، وبه ينجو من العذاب، وبه ينال الثواب، وقيل: هدى أهله<sup>(٦)</sup> إلى طريق الجنة، عن أبي مسلم. «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ» بحججه، وقيل: القرآن، «لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ» قيل: الرجز: أشد العذاب، وقيل: الرجز: المهل والزقوم المستقذر من طعام أهل النار وشرابهم، يعذبون بها، عن أبي علي، والأليم: الموجه.

(١) مع: +، ت، ك.

(٢) لأنه أراد جميع... الجمع: +، ت، ك.

(٣) قيل: قيل قيل، ك.

(٤) التي: الذي، ت، ك.

(٥) أهله: أطله، د.

(٦) وقرأ: قرأ، د.

## ❁ الأحكام

يدل قوله: «نتلوها...» الآية أنه أراد من الجميع التدبر فيها والإيمان.

ويدل وصفه بأنه حديث على حدثه.

ويدل قوله: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ آفَاقٍ﴾ على وعيد كل كذاب، فيدخل فيه كل مبتدع

وفاسق.

ويدل قوله: ﴿يَسْمَعْ [ءَايَاتِ اللَّهِ]﴾ الآية أن مجرد السماع لا يكفي، حتى يتدبر

ويعلم ويفصل، فيستحق الثواب.

ويدل قوله: ﴿هَذَا هُدًى﴾ أن القرآن دلالة، وأن الهدى ليس خلق الإيمان، وأنه

بمعنى الدلالة، وأن المعرض ههنا يستحق العقاب.

وتدل أن الكفر فعل العبد، ليس يخلق الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلْيَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾.

## ❁ القراءة

قرأ أبو جعفر: «لِيُجْزَى» بضم الياء وفتح الزاي على ما لم يسم فاعله، قال

أبو عمرو: وهو لحن ظاهر، وقال الكسائي: معناه لِيُجْزَى الجزاء قوماً.

وقرأ<sup>(١)</sup> ابن عامر وحمزة والكسائي<sup>(٢)</sup>: «لَتَجْزِي قوماً» بالنون وكسر الزاي، على

(١) حجة القراءات ٦٦٠.

(٢) وفتح الياء: +، ت، ك.

أن الجزاء مضاف إلى الله - تعالى -، وفتحوا الياء، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم: «لِيَجْزِيَ» بالياء مفتوحة وكسر الزاي وفتح الياء<sup>(١)</sup> الأخير، ترجع الكناية إلى اسم الله تعالى، وقد تقدم.

وأجمع القراء على كسر الميم في قوله: «جميعاً»<sup>(٢)</sup> مِنْهُ أي: من جهته وخلقته، وعن بعضهم: «مَنْهُ» بفتح الميم ورفع النون مشددة، والهاء مضمومة يعني جميع ذلك نِعْمُهُ، ولا تجوز<sup>(٣)</sup> القراءة به، ولعله فسر به.

### اللغة

التسخير: تذليل الشيء، فتسخير<sup>(٤)</sup> البحر: جَعَلُهُ على وجه تجري فيه السفن، وتسخير السموات وما فيها من النجوم لتجري على ما قدره الله تعالى لمنافع عباده، وتسخير السحاب: بأن يثبتها حيث يشاء، وتثبيتها حتى تمطر، وتسخير الأرض: جعلها قراراً، وإخراج النبات منها أقواتاً، كل ذلك من مدبر حكيم.

والتفكر والنظر: طلب المعنى بالقلب، وهو النظر في الأدلة ليعرف الحق. والأيام: جمع يوم، وهو اسم لساعات<sup>(٥)</sup> النهار، ثم يستعمل في الأوقات، يقال: أيام النَّعَمِ، وأيام المحن، وأيام بني العباس.

### الإعراب

«يغفروا» جواب أمر محذوف دل عليه الكلام، تقديره: قل لهم اغفروا يغفروا، [و] قوله: (قل لهم) يغني عنه.

(١) جميعاً: -، ت.

(٢) ولا تجوز: فلا تجوز، ت.

(٣) فتسخير: -، ت، ك.

(٤) لساعات: لناحر. بدون نقاط، ت، د، ك.

(٥) يؤمروا: يأمر، د.

## النزول

قال ابن عباس ومقاتل: نزل قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في عمر بن الخطاب، وذلك أن رجلاً من بني عفان شتمه، فَهَمَّ عمر أن يبطش به، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر بالعفو عنه.

وعن ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص: احتاج رب محمد، فسمع عمر ذلك، فأخذ سيفه وخرج في طلبه، فنزل جبريل عليه السلام بقوله: «قل للذين ءامنوا»، فدعا عمر وأمره بالعفو.

قال القرظي، والسدي: نزلت في ناس من أصحاب النبي ﷺ من أهل مكة، كانوا في أذى كبير من المشركين قبل أن يؤمروا<sup>(١)</sup> بالقتال، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية، ثُمَّ نسختها آية القتال.

## المعنى

عاد الكلام إلى ذكر الأدلة عطفًا على ما تقدم، فقال - سبحانه -: «اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ» أي: خلقه مسخرًا<sup>(٢)</sup> «لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» تركبونه<sup>(٣)</sup> في أسفاركم «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أي: اشكروا هذه النعم «وَسَخَّرَ لَكُم» أي: لمصالحكم ومنافعكم «مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ» أي: جميع ذلك من خلقه، فلا تدعوا له ندًا فيه «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» في الأدلة فيعلمون<sup>(٤)</sup> الحق، وحضهم به<sup>(٥)</sup>؛ لأنهم ينتفعون بها «قُلْ» يا محمد «لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ» يعني بترك مجازاتهم على الأذى لهم، وقيل: هو وعيد لهم،

(١) خلقه مسخرًا: خلقها تسخيرًا، ت، ك.

(٢) تركبونه: لركوبه، ت؛ بركوبه، ك.

(٣) فيعلمون: فيعلموا، ت، ك.

(٤) به: +، ت، ك.

(٥) ولعلكم: لعلكم، ت، ك.

كما يقال: دعني وفلاناً، عن أبي مسلم. «لَا يَزُجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» قيل: لا يرجون نعمة الله وثوابه في الآخرة، عن أبي علي، وقيل: لا يخافون عقابه ونقمته بالعصاة، وقيل: لا يرجون في الدنيا نصرته، ولا في الآخرة جنته، عن أبي مسلم. «لِيَجْزِيَ قَوْمًا» أي: ليكافئهم؛ فإن الله يجازيهم بما يستحقونه «بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أي: بما يعملون «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ» أي: منافعه تعود عليه «وَمَنْ أَسَاءَ» أي: بمعصيته «فَعَلَيْهَا» أي: وبالها عليه «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» أي: إلى الموضع الذي يحكم فيه بين عباده لا حكم لأحد سواه، فيجازي كل أحد بعمله.

### ✽ الأحكام

تدل الآيات على أنه سخر البحر وما في السموات والأرض لمنافع خلقه، وذلك هو الغرض فيه، بخلاف قول المجبرة.

ومتى قيل: كيف التسخير، وكيف الانتفاع، ومن المقصود؟

قلنا: تسخيره خلقه على وجه أراد ذلك، ويتعلق به منافع عباده، والانتفاع قد يقع للدين والدنيا، والمقصود المكلفون، وما عداهم تبع لهم، خلق لأجلهم.

ويدل قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ<sup>(١)</sup> تَشْكُرُونَ﴾ أنه أراد من الجميع الشكر، خلاف قولهم.

ويدل قوله: ﴿يَنْفَكُّوْنَ﴾ على وجوب التفكير في الأدلة.

ويدل قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا﴾ أنه تعالى أمر بالرفق معهم.

ثم اختلفوا، قيل: إنه منسوخ، عن ابن عباس، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، ومنهم من قال: ليس بمنسوخ؛ لأن مع وجوب القتال يصح<sup>(٢)</sup> أن يؤمر بالرفق، وحسن المقال، ويجوز أن ينهى عن القتال في حال، ويكل المجازاة إلى الله - تعالى -، ولأنه لما بين الآيتين فلا معنى لدعوى<sup>(٣)</sup> النسخ.

ويدل قوله: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾<sup>(٤)</sup> أن العقاب جزاء مستحق على الأعمال، ثم أكد

(١) يصح: نسخ، د.

(٢) لدعوى: بدعوى، ت.

(٣) ليجزي قوما: جزاء قوما، ت، د، ك.

(٤) حجة القراءات ٦٦١.

ذلك بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ الآية، وكل ذلك ترغيب في الطاعة، وتحذير من المعصية.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَعَآدَيْنَاهُمْ بَيْنَنَّا مِنَ الْأَمْرِ بَيْنَنَّا فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

### ❁ القراءة

قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «سواء محياهم» بالنصب<sup>(١)</sup>، الباقون بالرفع، أما النصب فعلى تقدير: نجعلهم سواء، ومن رفع فعلى الابتداء والخبر. القراءة الظاهرة: «مَمَاتُهُمْ» بالرفع، وعن الأعمش بنصب التاء على الظرف، أي: في محياهم<sup>(٢)</sup> ومماتهم.

### ❁ اللغة

الحكم: فصل الأمر على موجب الحكمة والحق، حكم يحكم حكماً، وحكَّمهُ تحكيمياً، وأَحْكَمَ العمل إحكاماً، واستحكم الشيء بينهم استحكاماً، وحاكمته إلى الحاكم محاكمة.

(١) في محياهم: ومحياهم، ت.

(٢) الوقت والتوظيف: توقيت وتوظيف، ت، ك.

والرزق: العطاء الجاري على الوقت والتوظيف<sup>(١)</sup>.  
والبغي<sup>(٢)</sup>: طلب الرفعة بما لا يسوغ في الحكمة، وأصله من الطلب.  
والشريعة: العلامة المؤدية إلى المقصود من الخير<sup>(٣)</sup>، والشريعة: الطريقة.

### الإعراب

﴿بَغْيًا﴾ قيل: نصب على الحال. ﴿سَوَاءٌ مَخِيَّهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ﴾ على الابتداء والخبر.

### النزول

قيل: نزل قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآية في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: إن كان ما تقولون حقًا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا.  
وقيل: نزلت في شعبة وعتبة<sup>(٤)</sup> والوليد. قالوا يوم بدر للذين<sup>(٥)</sup> [آمنوا علي وحمة وعبيدة بن الحارث حين برزوا إليهم فقتلوهم].

### المعنى

لما تقدم ذكر نعمه ومقابلتهم ذلك بالكفران، بيّن ما كان من بني إسرائيل من مقابلة النعم بالكفران، فقال - سبحانه - : «وَلَقَدْ آتَيْنَا أَيَّ<sup>(٦)</sup> أَعْطَيْنَا «بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ» يعني التوراة، وقيل: كتب الأنبياء في بني إسرائيل، عن أبي علي، وقيل: ما كتبه الله عليهم من الفرائض والأحكام، عن أبي مسلم. «وَالْحُكْمَ» قيل: العلم بالدين، وقيل: الْحُكْمُ: الفصل في الأمور<sup>(٧)</sup> بين الناس «وَالنُّبُوَّةَ» فبعث منهم أنبياء «وَرَزَقْنَاهُمْ

- (١) والبغي: البغي، د.
- (٢) والشريعة العلامة المؤدية إلى المقصود من الخير: -، ت، ك.
- (٣) شعبة وعتبة: عتبة وشيبة، ت.
- (٤) قالو يوم بدر للذين: -، ت.
- (٥) أي: +، ت، ك.
- (٦) الأمور: الأمر، ت.
- (٧) العلم: الحق، ت.



مِنَ الطَّيِّبَاتِ» أي: أعطيناهم من أنواع الطيبات، وقيل: المراد به المن والسلوى في التَّيِّه «وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» قيل: عالمي زمانهم، عن الحسن، وقيل: على جميع العالمين بكثرة النبين فيهم، وفضل أمة محمد بكثرة العلماء فيهم، والعالمين بالحق منهم «وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ» وهو أحكام التوراة «فَمَا اخْتَلَفُوا» في أمر دينهم «إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ»<sup>(١)</sup> لم يختلفوا في شرائع رسلهم لقصور في البيان، إنهم اختلفوا بعد<sup>(٢)</sup> ما جاءتهم البينات لكن «بَغْيًا بَيْنَهُمْ» أي: طلبًا للرياسة، وتركًا لبيان<sup>(٣)</sup> الله - تعالى - «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ» أي: يحكم ويفصل «يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» فيقضي بين المحق والمبطل، فيثيب المؤمن، ويعاقب الكفار، وينتصف للمظلوم من الظالم «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ» أي: طريقة وَسُتَّةٍ «مِّنَ الْأَمْرِ» من الدين، وهو الإسلام «فَاتَّبِعَهَا» أي: اتبع الشريعة، بأن تعمل بها «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» أي: لا تتبع الجاهال، قيل: إنما قال ذلك لما دعي إلى دين آبائه «إِنَّهُمْ» يعني الذين لا يعلمون، وهم الكفار «لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» أي: لا يدفعون عذابًا إن نزل<sup>(٤)</sup> بك «وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» يعني الظالمين ينصر بعضهم بعضًا، ويوالي بعضهم بعضًا «وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ» أي: ناصرهم «هَذَا» يعني القرآن «بَصَائِرُ لِلنَّاسِ» أي: معالم في الدين، يبصرون بها أمور دينهم «وَهُدًى» بيان<sup>(٥)</sup> ودلالة «وَرَحْمَةٌ» أي: نعمة «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» خصهم لانقاعهم به «أَمْ حَسِبَ» (أم ههنا استفهام، معطوف على معنى مضمرة<sup>(٦)</sup>)، تقديره: هذا القرآن بصائر تؤدي إلى الجنة أفعلموا<sup>(٧)</sup> ذلك، أم حسبوا أن نجعل المؤمن والمجرم سواء، عن أبي مسلم، ومعنى «أَمْ حَسِبَ» أي: أم ظن «الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ» عملوا بالمعاصي «أَنْ نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أي: يظنون

(١) بعد: -، ت، ك.

(٢) دون ترك البيان من: وتركوا لبيان، ت، ك.

(٣) نزل: ينزل، ت، د، ك.

(٤) بيان: بيانا، ت، ك.

(٥) مضمرة: بضم، ت، ك.

(٦) أفعلموا: فاعلموا، ت، د، ك.

(٧) بش: تبين، د، ك.

استواء حال المطيع والعاصي في الثواب، بشس<sup>(١)</sup> الحكم ذلك؛ لأن المؤمن ممدوح في الدنيا، مثاب مُعَظَّم في الآخرة، والعاصي مذموم في الدنيا، معاقب في الآخرة، قال قتادة: تفرقوا في الدين، وتفرقوا عند الموت، وتباينوا عند المصير.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على بطلان قول<sup>(٢)</sup> المجبرة من وجوه:

منها: أنه لا اختلاف بعد مجيء العلم احتجاجاً عليهم أن عند العلم لا ينبغي أن يختلفوا، فلو كان الخلاف هو الذي خلقه فيهم لم يكن للذم والاحتجاج معنى، ولا لكونه<sup>(٣)</sup> بعد العلم أو قبله فرق<sup>(٤)</sup>.

ومنها: قوله: «لِلنَّاسِ» أن اختلافهم للبغي، وعندهم يخلق الاختلاف فيهم. ومنها: قوله: ﴿يَقْضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ولو كان جميع أفعالهم خلقاً له<sup>(٥)</sup> لكان يحكم لنفسه على نفسه.

ومنها: قوله<sup>(٦)</sup>: ﴿فَاتَّبِعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ﴾ ولو كان خلقاً له لم يكن للأمر والنهي معنى؛ لأن الأمر موقوف على خلقه.

ويدل قوله: ﴿وَأَنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ على أن لا ناصر للظالمين، فيدل<sup>(٧)</sup> أنه لا شفيع لهم.

ويدل قوله: ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ﴾ أن القرآن حجة يجب تدبره.

ويدل قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ أنه لا يستوي المطيع والعاصي، وإن قال: هما سواء فحكمه<sup>(٨)</sup> بشس الحكم، فدل على قولنا في الوعيد والمنزلة بين المنزلتين.

(١) بطلان قول: -، ت، ك.

(٢) لكونه: ولا بكونه، ت.

(٣) فرق: فرقاً، ت، ك.

(٤) له: -، ت.

(٥) ومنها قوله: -، ت.

(٦) فيدل: بل، ت، ك.

(٧) فحكمه: يحكمه، ت.

(٨) حجة القراءات ٦٦١.

قوله تعالى:

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَنَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٢) أفرءيت من اتخذ إلهه هونه وأضله الله على علمٍ وختم على سمعه وقليه وجعل على بصره غشوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴿٢٣﴾ وقالوا ما هي إلا حيانا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يطننون ﴿٢٤﴾ وإذا نزلنا عليهم آياتنا بينت ما كان حجتهم إلا أن قالوا آتوا بآياتنا إن كنتم صديقين ﴿٢٥﴾ .

### القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «غَشْوَةٌ» بفتح الغين وسكون الشين بغير ألف على معنى وقعة<sup>(١)</sup>، وقرأ الباقون بالألف وكسر الغين وفتح الشين، والمعنى واحد، وهو الغطاء، يقال: غشيت الشيء غطيته، ومنه: الغاشية للسرّج.

### اللغة

الهوى: هوى النفس مقصور، والهواء: الجو ممدود، وهوى النفس: هو الميل إلى مَنْ تُحِبُّهُ، وهو مذموم على الإطلاق، ويقال فيما<sup>(٢)</sup> يضاف إلى ما لا<sup>(٣)</sup> يذم، فيقال: هواي مع صاحب الحق، أي: ميلي، وهوت الناقة تَهْوِي هُويًا: إذا جرت<sup>(٤)</sup> شديداً، والهواء: الجو، أصله من الجو.

والدهر: الزمان. وروي في حديث ابن مسعود: «وما يهلكنا إلا دهر يمر» وهذا محمول على التفسير، وفي الحديث: «لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر»، فمعناه: أن العرب كانت تقول عند النوازل: أصابنا الدهر، فقليل<sup>(٥)</sup> لهم: لا تسبوا

(١) فيما: +، ت، ك.

(٢) لا: -، ت.

(٣) جرت: عدت، ت، ك.

(٤) فقليل: وقيل، ت.

(٥) وأما: فأما، ت، ك.

فاعل ذلك، فإن الله فاعله، ويقال: دَهَرُ دَهِيرٌ، ودهرهم أمر: نزل بهم، وأما<sup>(١)</sup> قول سطيح:

الدَّهْرُ أَطْوَارُ دَهَارِيرٍ<sup>(٢)</sup>

فالدهارير: جمع دهور، وهو الدهر، أراد أن الدهر ذو<sup>(٣)</sup> حالين: بؤس ونعيم.

### الإعراب

﴿إِنَّا إِنَّا يَنْتَ﴾ (آياتنا) قام مقام الفاعل، و(بينات) مقام المفعول، فوقع ذلك اسم ما لم يسم فاعله، لإسناد الفعل إليه.

﴿حُجَّتْهُمْ﴾ نصب لأنه خبر (كان).

﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ الاسم، تقديره: ما كان حجتهم إلا قولهم.

### النزول

عن سعيد بن جبير، كانت العرب تعبد عزي، وهو حجر أبيض حَسَنٌ، وكانوا يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من الأول رموه أو كسروه أو ألغوه في بئر، وعبدوا الثانية، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ الآية.

وعن<sup>(٤)</sup> مقاتل: نزلت الآية في الحرث بن قيس السهمي أحد المستهزئين، كان يعبد ما تهواه نفسه<sup>(٥)</sup>.

(١) اللسان (طور)، البيت ينسب لسطيح الكاهن وتكملة البيت:

إن يمس مُلكُ بني ساسان أفرطهم فإن ذا الدهر أطوار دهاريرُ

(٢) ذو: ذوا، ك.

(٣) وعن: عن، ت، ك.

(٤) ما تهواه نفسه: ما يهواه لنفسه، ت.

(٥) عقاب: -، ت، ك.

## المعنى

لما بَيَّنَّ تعالى أنه لا يستوي المحق والمبطل أكد ذلك، فقال - سبحانه -: «وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» قيل: الحق هو الجزاء، وقيل: لغرض صحيح حق، لو لم يكن جزاء ما كان ذلك حقًا، فاعلموا أنه للجزاء «وَلِتُحْزَى كُلُّ نَفْسٍ يُكَافَأُ كُلُّ أَحَدٍ بِمَا كَسَبَتْ» عملت «وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» ببخس ثواب مستحق، أو زيادة عقاب<sup>(١)</sup> غير مستحق «أَفَرَأَيْتَ» يا محمد «مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» قيل: اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئًا إلا ركه؛ لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يبيني أمر دينه على حجة، فاتبع هواه في أموره لا بحجة تقوى، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وقيل: مَنْ اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما يهوى دون ما دلت الدلالة على أن العبادة تحق له، وهواه معناه ما يهواه، وروي عن الحسن هواه إلهه [ابن الفضل: في هذه الآية تقديم وتأخير مجازه أفرأيت من]<sup>(٢)</sup>: اتخذ هواه إلهه<sup>(٣)</sup>، وعن الشعبي: إنما سمي الهوى؛ لأنه يهوى بصاحبه في النار. «وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ» قيل: وجده الله ضالاً على علم أنه يضل قبل ظهور الضلال منه، ونظيره: قول عمرو بن معدي كرب: (قاتلناهم فما أجبناهم، وسألناهم فما أبخلناهم، وقاولناهم فما أفحمناهم)، أي: ما وجدناهم كذلك، وقيل: حكم بضلاله على علم منه، أي: هو عالم بأنه ضال، وقيل: أضله عن ثوابه وجنته، وهو عالم بأنه لا يستحق ذلك، عن أبي علي. «وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ» قيل: وسم عليها سمة الأعداء علامة للملائكة لتلعنه، وقيل: خذله وخلاه وما اختاره، حتى استحكم عادة السوء في قلبه، فلم يكن<sup>(٤)</sup> يسمع الحق ولا يفهمه، إعراضاً واستثقالاً<sup>(٥)</sup>، كمن لا يسمع ولا يفهم حقيقة، وإذا<sup>(٦)</sup> ألف الفسق والدرع لم ينجع فيه الحق، فكأنه مختوم على قلبه وعينه «وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً» أي: غطاء، يعني

(١) تفسير القرطبي: ١٤٤/١٦.

(٢) هواه إلهه: إلهه هواه، ت، د، ك. والتصحيح تفسير القرطبي ١٤٤/١٦.

(٣) يكن: +، ت.

(٤) واستثقالاً: استقللاً، ت.

(٥) وإذا: فإذا، ت، ك.

(٦) يصير: يصر، ك.

يصير<sup>(١)</sup> كأنه كذلك من حيث لا يبصر الحق<sup>(٢)</sup> تشبيهاً، عن أبي علي. «فَمَنْ يَهْدِيهِ» إن لم يهتد بهدي الله فمن يهديه سواه؟ وقيل: إذا لم يهده الله إلى الجنة فمن يهديه، عن أبي علي. «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»<sup>(٣)</sup> يعني أفلا تتفكرون في هذا حتى تفهموه «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا» أي: لا دار سوى هذه الدار «نَمُوتُ وَنَحْيَا» أي: نموت فيها ونحيا نحن من غير صانع، واختلفوا، فقيل: هو على التقديم والتأخير، أي: نحيا ونموت من غير إعادة، وقيل: نموت ويحيا أولادنا، وقيل: يموت بعضنا ويحيا بعضنا، كقوله: ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] أي: بعضكم بعضاً «وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ» أي: ما يقتلنا إلا مرور الزمان، وطول العمر؛ إنكاراً منهم للصانع «وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ» أي: ما يقولونه ليس ذلك عن حجة وعلم؛ بل ظناً وتقليداً «إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ».

«وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا» حججنا «بَيِّنَاتٍ» واضحات «مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ» على رسلنا «إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»<sup>(٤)</sup> يعني آباءنا الذين ماتوا أحياء حتى نصدقكم، إن كنتم صادقين في دعواكم.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: «ولتجزى» على أن الثواب والعقاب جزاء على الأعمال.

ويدل أن أفعالهم حادثة من جهتهم؛ ليصح الجزاء.

ويدل قوله: ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ أنه لا يعذب أحداً بغير ذنب، وكل ذلك يبطل قول المجبرة.

ويدل قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أن الواجب اتباع الدليل دون الهوى والتقليد.

ويدل قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أن المعارف مكتسبة، وكذلك قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

ويدل على أن الظن مذموم في أصول الدين.

(١) الحق: الخير، ت، ك.

(٢) أفلا تذكرون: أفلا تتفكرون، ت.

(٣) إن كنتم صادقين: الأولين. ت، ك.

(٤) اتبوا: فاتوا، ت، د، ك.

ويدل قوله: ﴿أَتْتُوا<sup>(١)</sup> بِتَابِئَاتٍ﴾ على جهل القوم من وجوه:  
منها: أنهم لم يعلموا أن الجزاء في الآخرة، وأنه لا بعث في دار<sup>(٢)</sup> الدنيا.

قوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُ يُحِبُّكُمْ ثُمَّ يُبَيِّنْكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾.

#### ❁ القراءة

قرأ يعقوب: «جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ» بالنصب<sup>(٣)</sup>، لقوله<sup>(٤)</sup> «وترى»، وهو مروي عن الأعرج، والقراءة السبعة على الرفع على الابتداء.

#### ❁ اللغة

الخسران: ذهب رأس المال. والجثي: مصدر جَثَا يَجْثُو جُثُوًا وَجُثِيًا، وقوم جُثِيٍّ، وهو جاثٍ. والاستنساخ: الاستكتاب، وقال الزجاج: لا يكون إلا من أصل كتاب إلى كتاب، والنسخ: إزالة الشيء وإقامة غيره مقامه، وفي الحديث: «لم تكن نبوة إلا [تناسخت]» يعني حولت من حال إلى حال، أي: أمر الأمة.

(١) دار: +، ت، ك.

(٢) القرطبي ١٦/١٥٠.

(٣) لقوله: بقوله، ت.

(٤) ابتداء: -، ت.

## المعنى

ثم رد الله تعالى عليهم قولهم، واحتج لصحة البعث، فقال - سبحانه -: «قُلْ يا محمد لهم «اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ» في الدنيا «ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ» فيها، يعني من أحياكم ابتداء<sup>(١)</sup> وأماتكم هو الذي يحييكم ثانيًا<sup>(٢)</sup>، فليس الثاني أعجب من الأول. «ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» لفصل القضاء وإيفاء الجزاء «لَا رَيْبَ فِيهِ» أي: لا شك «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» قيل: لا يعلمون الله حق معرفته، حتى يعلموا صحة البعث، وقيل: لا يعلمون الحق من الباطل، وقيل: لا يعملون أن من شرط<sup>(٣)</sup> حسن التكليف الإعادة<sup>(٤)</sup> والجزاء «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ» أي: القيامة «يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ» وهو القائل بالباطل<sup>(٥)</sup>، والمعتقد له، والعامل<sup>(٦)</sup> به، وإنما كان خاسرًا؛ لأنه يدخل النار فهلك نفسه، قيل: المبطل خاسر في الأحوال كلها، ولكن يظهر الخسران يوم القيامة «وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً» أي: جماعة، قيل: الملل المختلفة، عن ابن عباس، وقيل: أرباب الملل الباطلة والعصاة، عن الحسن، وأبي علي، وهو الوجه، وقيل: بل كل الأمم المؤمن والكافر يجثو على ركبتيه للخصومة، فالمؤمن يفعل ذلك ليخاصم الظلمة، فيظهر المحق من المبطل، فيزداد سرورًا، والظالم يزداد غمًا «جَاثِيَةً» باركة على ركبها، عن مجاهد، والضحاك، وابن زيد. «كُلُّ أُمَّةٍ» من أمم الأنبياء «تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا» قيل: الكتب التي فيها أعمالهم، كتبها الحفظة ليجازي<sup>(٧)</sup> عليها، عن الحسن، وقيل: كتابها المنزل على رسولها؛ ليسألوا عما عملوا به «الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ

(١) ثانيًا: بآياتنا، ت.

(٢) من شرط: +، ت.

(٣) الإعادة: -، ت؛ عادة، ك.

(٤) له: +، ت.

(٥) والعامل: والقائل، ت.

(٦) ليجازي: ليجازوا، ت.

(٧) قيل: -، ت.



تَعْمَلُونَ» من الخير والشر «هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ» قيل<sup>(١)</sup>: ديوان الحفظة المعقود عليهم، وفيه شهادة الملائكة، وأضاف النطق إلى الكتاب توسعاً من حيث يفهم منه كما يفهم بالحي من النطق، وعن علي عليه السلام<sup>(٢)</sup>: «تخرج<sup>(٣)</sup> لله ملائكة ينزلون في كل يوم يكتبون أعمال بني آدم»، عن ابن عباس، وقيل: تثبت، عن الضحاك، وقيل: تكتب، عن السدي، وقيل: تحفظ، عن الحسن، يعني تثبت منه، ثم يعارض ما كتبه ما في اللوح المحفوظ، فما كان مباحاً أمر بمحوها، وما كان طاعة أو معصية أثبتوها «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ» أي: نعمته<sup>(٤)</sup>، وهي الجنة «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ» الظفر «الْمُبِينُ» الظاهر.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن المحق في كل زمان هم الأقل، والأكثر مقلدة مبطله.

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ على أن الثواب والعقاب جزاء على الأعمال، وأن تلك الأعمال فعل العبد ليس بخلق الله تعالى.

ويدل قوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ أن أعمالهم مكتوبة محفوظة، وأنهم يشهدون عليهم، وفيه لطف للمكلف<sup>(٥)</sup>؛ لأن علمه بذلك يدعوه إلى التحرز عن المعاصي.

(١) عليه السلام: +، ت.

(٢) تخرج: إن؛ ت، ك.

(٣) نعمته: نعمه، ت، ك.

(٤) للمكلف: المكلف، ت.

(٥) حجة القراءات ٦٦٢.

قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ عَلَيْنِي تَنْتَلِي عَلَيْكُمْ فَأَسْتَكَبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا فَلْتُمْ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِنُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّصِيرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ أَخَذْتُمْ عَائِدَتِ اللَّهِ هُزُورًا وَغَرَقْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ .

### القراءة

قرأ حمزة: «والساعة» بالنصب عطفاً على قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>، وروي نحوه عن يعقوب وأبي رجاء العطاردي، وقرأ الباقون: «والساعة» بالرفع على الابتداء، وخبره فيما بعده، يؤيده قوله: ﴿إِنَّكَ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾ [الأعراف: ١٢٨] بالرفع لا غير.

وقرأ حمزة والكسائي: «يُخْرَجُونَ» بفتح الياء، أضاف الخروج إليهم<sup>(٢)</sup>، الباقون بضمها على ما لم يسم فاعله.

قراءة العامة: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بالكسر على أنه نعت لله، وعن ابن محيصن: بالرفع على تقدير: هو رب السموات.

### اللغة

الاستكبار: استدعاء التعظيم، ونظيره: التكبر، وهو الإعراض عن الحق أنفة<sup>(٣)</sup> وتعظماً.

(١) حجة القراءات ٦٦٢.

(٢) أنفة: أبية، د.

(٣) فيه قيل: +، ت، ك.

والجَرْمُ: القطع، والإجرام: الانقطاع إلى الفساد.  
وأيقن واستيقن وعلم بمعنى، وهو أن تسكن النفس إلى أن معتقده على ما اعتقده عليه.

والبُدُّو: الظهور، بدا يَبْدُو بُدُوًا.  
والحيقُّ: ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله، حاق به الأمر يحيق: إذا لزمه ووجب عليه.

والاستعتاب: الإقالة، استعتبه: إذا استقال فأقاله، وعتب عليه: إذا وجد عليه، فإذا فاوضه فأعتب عليه فيه، قيل<sup>(١)</sup>: عاتبه، فإذا رجع إلى مسرتك فقد أعتب، والاسم العتبي.

### ❁ الإعراب

يقال: ما جواب (أما) في قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.  
قيل: في قوله: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ إلا أن الألف تقدمتها؛ لأن لها صدر الكلام، وهو أَلَف استفهام<sup>(٢)</sup> والمراد التقرير.  
وقيل: جوابه محذوف، والفاء في قوله: ﴿أَفَلَمْ﴾ دليل عليها، تقديره: يقال<sup>(٣)</sup> لهم «ألم»، عن الزجاج.  
فأما قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] فجوابه محذوف، وتقديره: يقال لهم: أكفرتم.

### ❁ المعنى

لما تقدم الوعد عقبه بالوعيد، فقال - سبحانه -: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ﴾ أي: يقال لهم توبيخًا وتهجينًا: إذا عاينوا العذاب «أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي» حججي في التوحيد والعدل، وقيل: القرآن وسائر الأحكام «تُتْلَى عَلَيْكُمْ» أي: تقرأ «فَاسْتَكْبَرْتُمْ» أي:

(١) الاستفهام: ت؛ وهو أَلَف استفهام: -، د.

(٢) يقال: -، د.

(٣) ندرى: لا تدري، ك.

ترفعتم عن استماعها، وأنفتم عن قبولها، وأعرضتم عن النظر فيها «وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ» مصرين على الآثام، «وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» بالجزاء «حَقٌّ» وصدق «وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا» أي: لا شك في كونها «قُلْتُمْ» أيها الكافرون «مَا نَذِرِي مَا السَّاعَةُ» أي: لا ندرى<sup>(١)</sup> حديث القيامة أنه حق «إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا» يعني من كثرة ما يردد على السنة الرسل والمؤمنين<sup>(٢)</sup> نظنه ولا نعلمه<sup>(٣)</sup> «وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ» يعني لا نعلم يقيناً أنها كائنة «وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا» قيل: ظهر<sup>(٤)</sup> أعمالهم القبيحة فكانوا يظنونها حسنة، وقيل: ظهر جزاء أعمالهم السيئة، وكانوا يعدونها طاعة «وَحَاقَ بِهِمْ»<sup>(٥)</sup> قيل: حل بهم، وقيل: وجب «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» من العذاب، وقيل: وبال استهزائهم «وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ» قيل: نترككم في العذاب، عن ابن عباس، والنسيان لا يجوز عليه تعالى؛ لأنه عالم لذاته، ولكن تركناكم في العذاب كما تركتم الإيمان بيومكم هذا، وقيل: كما لم تحفظوا ما أنذرتهم من لقاء هذا اليوم، كذلك لا تحفظون اليوم وتطرحون، والنسيان ضد الحفظ، والحفظ مراعاة الشيء، عن أبي مسلم، وقيل: نترككم في العذاب بمنزلة المنسي، عن أبي علي. «وَمَا أَوَّاكُمُ النَّارُ» أي: منزلكم ومقامكم فيها «وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» ينجونكم<sup>(٦)</sup> من العذاب «ذَلِكُمُ» يعني هذا العذاب الذي أنزل بكم، «بِأَنكُمُ»<sup>(٧)</sup> اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ أي: كتبه وحججه «هُزُوءًا» أي: استهزاء ولعباً «وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» أي: ملاذها وزينتها، وأضاف الغرور إليها توسعاً؛ لأنها سبب الغرور «فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا» أي: من العذاب «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أي: لا تقبل منهم العتبي، وهو إعطاء الرضا؛ لأنهم في حال إلجاء، وقيل: لا يسترضون بأن يطلب منهم الخروج<sup>(٨)</sup> مما وجب عليهم العتب لأجله، وهو التوبة، أي: لا يطلبون

(١) والمؤمنين: المؤمنين، ت.

(٢) يعني من كثرة... ولا نعلمه: +، ت، ك.

(٣) ظهر: -، د.

(٤) وحاق بهم: -، ك.

(٥) ينجونكم: -، ت.

(٦) بأنكم: لأنكم، ت، د، ك.

(٧) منهم الخروج: أن يخرجوا، ت، ك.

(٨) إنعامه: أفعاله، ت.

بالتوبة، عن أبي مسلم، وقيل: لا يراجعون إلى مكالمتهم «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ» أي: الشكر في إنعامه<sup>(١)</sup> بالجزاء والإنصاف، والانتصاف، وتمييز المحسن من المسيء «رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ» أي: العظمة والعلو والرفعة، وقيل: أراد عظيم نعمته على أهل السموات والأرض «وَهُوَ الْعَزِيزُ» أي: القادر على ما يشاء لا يمتنع عليه شيء «الْحَكِيمُ» قيل: العالم، وقيل: المحكم لأفعاله، فلا يعاب<sup>(٢)</sup> في شيء منه، ولا يفعل إلا الحسن الجميل.

### ❖ الأحكام ❖

يدل قوله: ﴿فَاسْتَكَبَرْتُمْ﴾ أن المانع<sup>(٣)</sup> من جهتهم، وهو التكبر والأنفة، خلاف قول المجبرة: إن الله منعهم.

ويدل قوله: ﴿إِنْ نَظُنُّ﴾ أن المعارف ليست ضرورية.

ويدل قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ أن الكفار لا شفاعة لهم، وأجمع المسلمون على ذلك.

ويدل قوله: ﴿وَعَزَّكُمُ﴾<sup>(٤)</sup> أن الواجب على العاقل ألا يغتر بالدنيا؛ بل يتفكر في العاقبة.

ويدل قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ أنه لا يفعل القبيح؛ إذ لو كان كل قبيح منه لما استحق الحمد.

(١) فلا يعاب: فلا يعان، ت.

(٢) المانع: المنافع، ت، ك.

(٣) وعزكم: عزتكم، ت، د، ك.

(٤) رمل: رجل، د.

## سُورَةُ الْأَحْقَافِ

سورة (الأحقاف) مكية، وهي خمس وثلاثون آية.

وعن أبي بن كعب أن النبي - صلى الله عليه قال: «من قرأ سورة (الأحقاف) أعطي من الأجر بعدد كل رمل<sup>(١)</sup> في الدنيا عشر حسنات، ومُجِي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات».

ولما ختم سورة<sup>(٢)</sup> (الجاثية)<sup>(٣)</sup> بذكر التوحيد، وذم أهل الشرك ووعيدهم، افتتح هذه السورة بمثل تلك، وبما<sup>(٤)</sup> يلزمهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿حَمْدٌ تَنَزَّلُ الْكُتُبُ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُتَوْنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

(١) سورة: السورة، ت، ك.

(٢) الجاثية: -، ت، ك.

(٣) وبما: وما، ت.

(٤) القرطبي ١٥٤/١٦.

## ❁ القراءة

قراءة العامة: «قل أَرَأَيْتُمْ» وهي كذلك في مصاحف الأمصار، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: «قل أَرَأَيْتَكُمْ».

قراءة العامة: «أو أثاره» بالألف، وعن علي بن أبي طالب عليه السلام: «أو أثاره» بفتح الهمزة<sup>(١)</sup>. والثاني على ما يؤثر، وقيل: فصل من أثر يؤثر إثارة، وعن عكرمة: أو ميراث من علم.

## ❁ اللغة

التنزيل: مصدر نَزَّلَهُ تنزيلاً؛ لأنه منزل، فوضع المصدر موضع الاسم.  
والأجل: الوقت.

والأثارة: أصلها من الأثر، وهو الرواية، يقال<sup>(٢)</sup>: أَثَرْتُ الحديث أَثَرُهُ أَثَرَةً وَأَثَارَةً، كالشجاعة والجلادة والصلابة، وقيل: الخبر أثر من ذلك، والاسم أثر، قال الأعشى:

إِنَّ الَّذِي فِيهِ تَمَارِيثُ مَا بُيِّنَ لِلْسَّامِعِ وَالْأَثَرِ<sup>(٣)</sup>  
والأثارة، والأثر: البقية أيضاً، يقال<sup>(٤)</sup>: بهذه<sup>(٥)</sup> الناقة أثارة من سمن، أي: بقية من سمن، قال الراعي<sup>(٦)</sup>:

وَذَاتِ أَثَارَةٍ أَكَلَتْ عَلَيْهَا<sup>(٧)</sup>

(١) يقال: فقال، ت.

(٢) البيت قائله الأعشى أنظر: تاج العروس (أثر)، وانظر ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩.

الصاحح (أثر)، واللسان (أثر).

(٣) يقال: فقال، ت.

(٤) بهذه: لهذه، د.

(٥) الراعي: الداعي، ت.

(٦) ذات: والبيت قائله الشماخ ونسب كذلك للراعي النعميري وتكملته: وذات أثارة أكلت عليها نباتاً في أكمته فقاراً، انظر: لسان العرب (أثر)، تاج العروس (أثر)، خزانة الأدب ج ٤، ص ٢٥١.

(٧) تنزيل يعني... من الله: -، ك.

وأصل الباب: ما بقي من اسم الشيء، ويقال: ما ثم عين ولا أثر.

والغفلة: ذهاب المعنى عن نفس العاقل، ونقيضه: اليقظة حضور المعنى للنفس.

### ✽ المعنى

﴿حَمَّ﴾ قد بينا ما قيل فيه، وأن بعضهم قال: اسم للسورة، وبتعضهم ذكر أنه إشارة إلى إعجاز القرآن، وبعضهم ذهب إلى أنه إشارة إلى حدوثه، وبعضهم قال: إنه مفاتيح أسماء الله «تَنْزِيلُ» يعني هذه السورة، أو القرآن «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» يعني منزلة «مِنْ اللَّهِ»<sup>(١)</sup> الْعَزِيزِ القادر على كل مقدور «الْحَكِيمِ» في أفعاله، العالم بكل شيء «مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» يعني أنه لم ينزل القرآن إلا ليتعبد عباده، وأنه ما خلق العالم إلا ليتعبد المكلفين؛ إذ لا بد في خلقه من غرض، وهو تعريض المكلف لدرجة لا تجوز إلا مستحقة<sup>(٢)</sup>، وليعلموا صانعهم وليشكروه<sup>(٣)</sup>، فلما خلق لهذا الغرض أنزل الكتاب ليدعوهم إلى ذلك، «وَأَجَلٍ مُّسَمًّى» أي: إلى وقت معلوم، يعني لسعيهما إلى وقت معلوم<sup>(٤)</sup>، قيل: آخر التكليف، وقيل: إلى وقت قيام الساعة «وَالَّذِينَ كَفَرُوا [عَمَّا أَنْذَرُوا] خُوفُوا بِالْجَزَاءِ وَالْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عن ابن عباس. «مُغْرَضُونَ» لقلة تفكيرهم فيها، وقيل: مع ظهور البيان وكثرة الأدلة أعرضوا، عن الحسن. «قُلْ» يا محمد «أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أي: تدعونه إلهًا «أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» كما أن الله خلق جميع الأرض وأبدعها «أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ» يعني ليس لهم شرك في خلقها ولا إمساكها، فإن ادعوا أحد الأمرين إما الانفراد بخلق الأشياء أو الشراكة<sup>(٥)</sup> في الإلهية، وهي استحقاق العبادة فقل<sup>(٦)</sup> «إِثْنُونِي

(١) مستحقة: مستحقًا، ت، د، ك.

(٢) وليشكروه: ويشكروه، ت، ك.

(٣) يعني لسعيها إلى وقت معلوم: +، ت، ك.

(٤) أو الشراكة: والشركة، د.

(٥) فقل: قل، د.

(٦) مسلمة: أسلمة، د.



بِكِتَابٍ» فيه حجة لكم «مِنْ قَبْلِ هَذَا» أي: من قبل القرآن فيه بيان ما تقولون «أَوْ أَثَارَةً مِنْ عِلْمٍ» قيل: خبر عن الأنبياء، عن عكرمة، ومقاتل، وأبي علي، وقيل: بكتاب منزل من السماء، أو أثارة من علم من تقدم من الأمم والأنبياء، ينسبون إليه ذلك، عن أبي بكر بن عياش، وأبي مسلم، وقيل: خاصة من علم أوثرتم به، عن سلمة<sup>(١)</sup> ابن عبد الرحمن، وقتادة، وميمون بن مهران، وقيل: إسناد يذكرونه، عن القرظي. «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما ترعمونه، فهاتوا إحدى هذه الثلاث:

أولها: دليل<sup>(٢)</sup> العقل، كتعلق<sup>(٣)</sup> الفعل بالفاعل، فهل لهم خلق يدل عليهم.

الثاني: الكتاب، قيل: كتاب منزل يدل على ما قلتم.

والثالث: الأخبار المتواترة، فهل معكم ذلك، فإذا لم يكن من ذلك شيء فهو باطل.

«وَمَنْ أَضَلُّ» أي: لا أحد أضل عن طريق الرشd «مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ» أي: لا يجيبه<sup>(٤)</sup> إذا دعاه؛ لأنه جماد، وهي الأوثان «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» قيل: لا يجيبهم في الدنيا إلى يوم القيامة، ويوم القيامة يجيبهم فينطقهم الله، فيظهرون البراءة من أولئك «وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ» لا يسمعون ولا يفهمون، لأنها ليست بحياة، فأخرجها وهي جماد مخرج<sup>(٥)</sup> ذكور بني آدم؛ لأن عبادتها مثلتها<sup>(٦)</sup> بالملوك التي تُخَدَم.

## الأحكام

يدل قوله: «تنزيل» على حدوث القرآن من وجهين:

- (١) دليل: دلل، ك.
- (٢) كتعلق: لتعلق، ت.
- (٣) لا يجيبه: لا يجبه، ت.
- (٤) مخرج: يخرج، ت؛ فخرج، ك.
- (٥) مثلتها: مثلها، ت.
- (٦) للأحكام: الأحكام، ك.

أحدهما: أن الإنزال على القديم لا يجوز.

والثاني: أن قوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يقتضي الفعلية، كقوله: الإحسان والنعم منه.

ويدل قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أنه جعله معجزة، وأنزله بحسب المصالح والحكمة؛ لأن قوله: ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي يمتنع مثله على العباد، والحكيم المُحْكَمُ المُبَيَّنُّ للأحكام<sup>(١)</sup>.

ويدل قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أن ما ليس بحق ليس هو من عنده؛ ليصح هذا الإطلاق.

ويدل قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ الآية على وجوب التفكير في الأدلة وذم المعرض.

وتدل على أن الإعراض فعلهم، ليس بخلق الله تعالى.

ويدل قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ على أشياء:

منها: أن العبادة تستحق بأصول النعم، كخلق<sup>(٢)</sup> الأشياء؛ لذلك جعل علة قبح عبادة غيره نفي المشاركة في خلقها.

ومنها: صحة الحجاج في الدين.

ومنها: جواز مطالبة المبطل بالحجة فيما يذهب إليه.

ومنها: أن الحجة ثلاث: عقل، وكتاب، وسنة<sup>(٣)</sup>، فلذلك طالبهم بهذه الثلاثة.

ومنها: قبح عبادة من لا ينفع ولا يضر.

ومتى قيل: كيف يوصف الجماد بالغفلة؟

قلنا: لما وصفوهم بصفة الأحياء أطلق عليها هذه الصفة.

(١) كخلق: فخلق، ك.

(٢) عقل وكتاب وسنة: كتاب وعقل وسنة، د.

(٣) حشار: حاشر، ت.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِتَنَزُّلٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ فُلًا أَنْ أَفَرَّغْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْعٌ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

### اللغة

الحشر: الجمع بالسوق إلى موضع الاجتماع، ومنه: المحشر، ومنه: الحاشر، وجمعه: حُشَار<sup>(١)</sup>، وهم الذين يجمعون الناس إلى ديوان الخراج. والآية: العلامة والحجة، سميت آية؛ لأنها علامة على المدلول، وجمعها: آيات.

والإفاضة: أصلها<sup>(٢)</sup> الدفع، ومنه: أفاضوا في الحديث، وحديث مفاض ومستفاض ومستفيض، أي: جارٍ بينهم شائع، ومنه: أفاض من المكان أي<sup>(٣)</sup> اندفع<sup>(٤)</sup> منه، والإفاضة: سرعة الركض.

والبدع والبديع بمعنى، وهو بدع [من] قوم أبداع<sup>(٥)</sup>، ومنه: أبداع الشيء لا عن مثال، ومنه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ﴾ [البقرة: ١١٧]، والمبتدع لا يكاد يستعمل إلا في الذم.

(١) أصلها: أصله، ت، د، ك.

(٢) أي: +، ت، ك.

(٣) اندفع: الدفع، ك.

(٤) أبداع: أبداع، ت.

(٥) ومن: فمن، ت، د، ك.

### الإعراب

يقال: أين جواب قوله: ﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾  
 قلنا: فيه قولان:  
 قيل: محذوف بتقدير: فآمن أتؤمنون؟ عن الزجاج.  
 وقيل: قوله: ﴿فَتَأْمَنَ وَأَسْكَبَتْ﴾ أفما تهلكون؟  
 وقيل: جوابه ﴿وَمَنْ﴾<sup>(١)</sup> أضلُّ ممن، عن الحسن.  
 يقال<sup>(٢)</sup>: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ عطف على ماذا؟  
 قلنا: تقديره: يقول هؤلاء الكفار: هذا سحر<sup>(٣)</sup> أم يقولون: افتراه محمد.

### النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في عبد الله بن سلام، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والحسن، وقتادة، وابن زيد.  
 وقيل: هو موسى عليه السلام، عن مسروق، وقال: نزلت السورة بمكة.  
 وقيل: السورة مكية إلا هذه الآيات، فإنها مدنية، عن الكلبي.  
 وقيل: لما أسلم عبد الله بن سلام، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن اليهود قوم بُهْتٌ، فادعهم وسلهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فدعاهم رسول الله ﷺ وسألهم عنه، فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، فخرج عبد الله وأظهر الإسلام، فكذبوه ورموه بالقبيح.

### المعنى

ثم أكد تعالى ما تقدم من الاحتجاج، فقال - سبحانه - : «وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ» أي: جُمِعوا ليوم القيامة «كَانُوا» يعني الأوثان وكل معبود سوى الله «لَهُمْ» أي: لِمَنْ عبده

(١) يقال: فقال، د.

(٢) سحر: حق، ت، د، ك.

(٣) ذلك: وذلك، د.

«أَعْدَاءُ» ولا حسرة أعظم من أن يعبد شيئاً ويتخذها إلهاً، وإذا احتاج إليه صار عدوًّا، وقيل: الكفار يكونون أعداء للأوثان لما عاينوا العذاب وعلموا أنه ينالهم ذلك<sup>(١)</sup> بسببها، «وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ» قيل: الأصنام<sup>(٢)</sup> يجحدون أن تكون دعت الكفار إلى عبادتها، أو شعرت<sup>(٣)</sup> بذلك، وذلك حين أنطقها الله، ونظيره قوله - سبحانه -: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَجْبُودُونَ﴾ [القصص: ٦٣]، «وَإِذَا<sup>(٤)</sup> تُنْأَى» تقرأ «عَلَيْهِمْ» على الكفار «آيَاتُنَا»، عن أبي علي، وقيل: آيات القرآن، عن أبي مسلم. «بَيِّنَاتٍ» واضحات ظاهرات «قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ» وسائر الحجج «لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» أي: تمويه ظاهر، وقيل: خداع بَيِّنٌ «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» اختلقه من عنده كذبًا، وزعم أنه منزل عليه، فإن قالوا ذلك، ف «قُلْ» لهم: إن كنت افتريته<sup>(٥)</sup> يعني كذبت في هذا القرآن أنه منزل «فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» أي: لا تقدرُونَ على دفع ما يريد الله بي إن كنت كذبت عليه جزاء افترائي<sup>(٦)</sup> على الله<sup>(٧)</sup> «هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ» أي: تتحاورونه بينكم، وتخوضون فيه «كَفَى<sup>(٨)</sup> بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ» لذنوب التائبين «الرَّحِيمُ» بعباده يعطيهم على قليل العمل جزيل الثواب، قيل<sup>(٩)</sup>: يخوضون في أمر محمد صلى الله عليه وتكذيبه، ونفي معجزاته، وقيل: في القرآن، وقيل: غفور لم يعاجلهم بل أنظرهم، رحيم يقبل توبتهم، عن أبي مسلم. و«قُلْ» يا محمد «مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ» أي: ما أنا بأول رسول بعث، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، يعني إذا لم أكن أول رسول، وقد خلت من قبلي الرسل فليَمَّ

(١) الأصنام: للأصنام، د.

(٢) أو شعرت: أو أشعرت، د.

(٣) وإذا: فإذا، ت، ك.

(٤) افتريته: افتريت، ت، د، ك.

(٥) افترائي: افتري، ت.

(٦) على الله: -، ت، ك.

(٧) كفى: فيكفي، ت.

(٨) قيل: وقيل، ت.

(٩) وما: ولا، ت، د، ك.

تنكرونني؟ «وَمَا<sup>(١)</sup> أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ» اختلف المفسرون فيه، فقيل: ما<sup>(٢)</sup> أدري ما يفعل بي ولا بكم في القيامة، فعند نزولها فرح الكفار، فقالوا: ما أمره وأمرنا إلا واحد، فنزل: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وقالوا: هنيئًا لك<sup>(٣)</sup> يا رسول الله فما يفعل بنا، فنزل: ﴿لِيَدْخُلَ<sup>(٤)</sup> الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [الفتح: ٥]، عن أنس، وقتادة، وعكرمة، وهذا<sup>(٥)</sup> لا يصح؛ لأنه ﷺ كان يعلم حاله وحال أوليائه وحال أعدائه، ولذلك كان يدعوهم إلى الإيمان، وينهاهم عن الكفر، ووعد وأوعد، وبشر وأنذر.

ومتى قيل: هل يمكن حمله على وجه؟

قلنا: إن حمل على أنني لا أدري ما يفعل بي، فأعطى الشفاعة أم لا، ولا أدري ما يفعل بكم؛ لأنني لا أعلم تفصيل عواقبكم<sup>(٦)</sup>.

وقيل: لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى فيما يرى النائم، - وهذا بمكة - أنه خرج إلى أرض ذات نخل وشجر، فقال ﷺ لأصحابه: «رأيت كذا فلا أدري أيكون ذلك أم لا» فنزلت الآية، عن ابن عباس.

وقيل: معناه في أمر الهجرة، لا أدري أترك ههنا<sup>(٧)</sup> أم أومر بالهجرة إلى موضع آخر، أو أومر إلى أي موضع.

وقيل: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، فيما<sup>(٨)</sup> يأمرني به من حرب أو سلم، ومن تعجيل عقابكم أو تأخيرها، عن الحسن، والسدي.

(١) ما: لا، ت، ك.

(٢) لك: -، ت.

(٣) ليدخل: ليدخل الله، ت، د، ك.

(٤) وهذا: فهذا، ت.

(٥) عواقبكم: عواقبكم صح، د، ك.

(٦) ههنا: هاهنا؛ د، ك.

(٧) فيما: مما، ت، ك.

(٨) وليس: وليست، ت، ك.

وقيل: فيما تأمرون به، وتنهون عنه، إنما أتبع الوحي، عن الضحاك.

وقيل: لست بأول رسول أدعي، وليس<sup>(١)</sup> لي غير الرسالة، وإنما<sup>(٢)</sup> أنا بشر يوحى إليّ، لا أدعي غير الرسالة، ولا أدعي علم الغيب، ولا معرفة ما يفعله من الإحياء والإماتة والمنافع والمضار، إلا أن يوحى إليّ، عن أبي مسلم.

وقيل: ما يفعل بي ولا بكم في آخر الأمر من قتل أو موت<sup>(٣)</sup>.

وقيل: في الناسخ والمنسوخ.

وقيل: في عذاب الاستئصال، هل ينزل بكم أم لا؟ وهل أترك فيكم، أو أخرج<sup>(٤)</sup> من بين أظهركم؟

وقيل: لا أدري فيما لم<sup>(٥)</sup> يوح إليّ فأعلم، إن اتبع إلا ما يوحى إليّ، وما أنا إلا نذير مبين<sup>(٦)</sup> مُخَوِّفٌ ظاهر مبين<sup>(٧)</sup> للأمر<sup>(٨)</sup>.

«قُلْ يا محمد لهم «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» قيل: القرآن، وقيل: الرسول، يعني إن كان هذا القرآن كلامه، وهذا الرسول نبيه ثم كفرتم أنتم بذلك «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» يعني يشهد بصحة هذا القرآن، وأنه من عند الله، ويشهد للرسول أنه حق، قيل: هو عبد الله بن سلام آمن بمحمد، وقيل: هو موسى عليه السلام، وقيل: نبي من أنبياء بني إسرائيل «عَلَى مِثْلِهِ» قيل: على مثل شهادتي، وقيل: «على مثله» على التوراة، عن مسروق، وقيل: فيه محذوف أي: شهد من المحق ومن المبطل «فَأَمَّنْ

(١) وإنما: إنما، ت، ك.

(٢) موت: أموت، ت.

(٣) أخرج: خرج، ت.

(٤) لم: -، ت، ك.

(٥) مبين: -، ت، ك.

(٦) مخوف ظاهر مبين: مخوف مبين ظاهر، ت.

(٧) للأمر: الأمر، ت، ك.

(٨) أحوالكم: حالكم، ت.

وَاسْتَكْبَرْتُمْ» أي: أنفتم عن الإيمان به وقبوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» قيل: لا يهديهم إلى الجنة وثوابه، وقيل: إلى زيادة الهدى والألطاف، وقيل: لا يهدي هداه، «الظالمين» قيل: الجاحدين لدينه، وقيل: الظالمين بالمعاصي، وقيل: فيه حذف، أي: فبماذا يعملون ولم يتفكروا فيه، ظلمتم أنفسكم، فأقل أحوالكم<sup>(١)</sup> أن تحتاطوا وتنظروا.

### ❁ الأحكام

تدل الآية على أن كل معبود عدو لعابده، يتبرأ منه يوم القيامة، وكل من يتولى غير الله لا<sup>(٢)</sup> في رضاه يصير عدوًّا له، فينبغي للإنسان أن يتخذ الله تعالى معبودًا ووليًّا.

وتدل أنه ﷺ ليس بأول رسول.

وتدل على أنه لا يعلم الغيب، فالإمام أولى بذلك، فتدل على أنه اتبع الوحي في جميع ما يفعل، فتدل على عصمته.

وتدل على جواز النسخ والتبادل في أول من الشرع.

ويدل قوله: «وشهد...» الآية على عظم محل العلم لذلك نزه بذلك هذا العالم.

وتدل على أنه حاجهم بالكتب المتقدمة.

وتدل على عظم حال الظالم والظلم؛ لذلك أوعد بهذا الوعيد.

(١) لا: +، ت، ك.

(٢) حجة القراءات ٦٦٣.



قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَبِقُولُونَ هَذَا إِنْكَ فَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

### ❖ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب: «لِتُنْذِرَ» بالتاء على الخطاب للنبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، وقرأ الباقرن بالياء كناية عن النبي، وقيل: عن القرآن.

وقرأ عاصم وحزمة والكسائي: «بوالديه إحسانًا» بالالف وسكون الحاء وفتح السين، وهي قراءة ابن عباس. الباقرن: «حُسْنًا» بضم الحاء وسكون السين وحذف الألف<sup>(٢)</sup>.

وقرأ الحسن ويعقوب: «وَفَضْلُهُ» بغير ألف<sup>(٣)</sup>، والقراء على «فِصَالُهُ» بالالف وكسر الفاء.

قرأ عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي ويعقوب: «كُرْهًا» بضم الكاف، الباقرن بفتحها، وهما لغتان<sup>(٤)</sup>.

(١) حجة القراءات ٦٦٣.

(٢) الطبري ١١/٢٦٣.

(٣) حجة القراءات ٦٦٣.

(٤) فهو: هو، ت، ك.

اللغة

الخير: نقيض الشر، والخير: فهو<sup>(١)</sup> النفع الحسن الذي يظهر تأثيره<sup>(٢)</sup> على الغير.

والسبق: التقدم إلى الشيء قبل غيره، سَبَقَ فهو سابق.  
والإفك: الكذب.

والقديم: ما تقادم وجوده، واختلفوا، فقليل: هو الموجود لم يَزَلْ، عن أبي علي، وقيل: هو المتقادم وجوده، عن أبي هاشم.

والفصال<sup>(٣)</sup>: الفطام، وأصله: إبانة الشيء من الشيء، وقطعه عنه، ومنه: فَصَلَ الحاكمُ الأمر.

والأشدُّ: جمع شِدَّةٍ، نحو نعمة وأنعم، وهو القوة والجلادة في البدن، والفعل شَدَدْتُ الشيءَ أَشَدُّهُ: إذا أوثقتَه.

والإيزاع: أصله المنع، وأَوْزَعْنِي: امنعني عن الانصراف عن ذلك باللطف، ومنه قول الحسن: لا بد للناس من وَزَعَةٍ، ومنه: «ما يزع السلطان»<sup>(٤)</sup> أكثر مما يزع القرآن، وقال أبو مسلم: الإيزاع<sup>(٥)</sup> اتصال الشيء إلى القلب، وقيل: الإبلاغ بالشيء، وقول النابغة:

.....وَالشَّيْبُ وَازِعٌ<sup>(٦)</sup>

أي: مانع.

(١) تأثيره: أثره، ت؛ بأثره، ك.

(٢) والفصال: والفصل، ت.

(٣) السلطان: الشيطان، ت.

(٤) الإيزاع: الإزاع، ت.

(٥) اللسان (وزع) تاج العروس (وزع)، وتمام البيت:

على حين عاتبْتُ المشيبَ على الصبا

وقلتُ: أَلَمَّا أَصَحُّ، والشيبُ وازِعٌ

(٦) يدعون: يدعو، د.

## الإعراب

﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ نصب على الحال، عن الكسائي، وقال أبو عبيدة: فيه إضمار أي: أنزلناه أو جعلناه إمامًا ورحمة، وقال الأخفش: نصب على القطع؛ لأن قوله: ﴿كَتَبَ مُوسَى﴾ معرفة بالإضافة. وقوله: ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ نعت للسان، ويجوز أن يكون نصب (لسانا)؛ لأنه مفعول به.

وفي ﴿وَبَشَّرِ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وجهان من الإعراب: الرفع على العطف، على (الكتاب)، تقديره: وهذا كتاب مصدق وبشري. والنصب على معنى: لينذر ويبشر، فلما جعل مكان و«يبشر» بشري وبشارة نَصَبَ، كما يقال: أتيتك لأزورك كرامةً لك وقضاء حَقِّكَ، المعنى: لأزورك وأكرمك، وأقضي حقك، فنصب الكرامة بفعل مضمر.

## النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في اليهود، قالوا: لو كان في دين محمد خير ما سبقونا إليه، يعني عبد الله بن سلام وأصحابه، عن أكثر أهل التفسير. وقيل: نزلت في ناس من مشركي قريش قالوا: لو كان ما يدعوننا<sup>(١)</sup> إليه محمد خيرًا ما سبقنا<sup>(٢)</sup> إليه فلان وفلان، عن قتادة. وقيل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أسد وغطفان، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني جهينة ومزينة، عن الكلبي. وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ قيل: نزل في سعد بن أبي وقاص، وقيل: في أبي بكر بن أبي قحافة، عن علي، وأجاب الله دعاءه، ولم يكن في أبويه وأولاده أحد إلا مؤمن.

(١) ما سبقنا: -، ت، ك.

(٢) ووالداه: ووالده، ت.

وقيل: لم يكن أحد من أصحابه أسلم هو ووالداه<sup>(١)</sup> وبنوه وبناته غير أبي بكر.

### المعنى

ثم بيّن تعالى ما قاله كل فريق في القرآن وحالهم، فقال - سبحانه -: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ» قيل: هم اليهود قالوا: لو كان دين محمد خيرًا ما سبقنا<sup>(٢)</sup> إليه عبد الله بن سلام، وقيل: قوم من المشركين من قريش، قالوا: لو كان ما يدعوننا إليه محمد خيرًا ما سبقنا إليه فلان وفلان، عن قتادة، وقيل: أسد وغطفان، عن الكلبي على ما ذكرنا في النزول، وقيل: هم رؤساء الضلال، قالوا: لو كان هذا خيرًا ما سَبَقْنَا إِلَيْهِ غيرنا لاستجماع<sup>(٣)</sup> الكمال لنا في المال والجاه والعقل، عن أبي مسلم، فرد الله عليهم، فقال - سبحانه -: «وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ» أي: أعرضوا عن القرآن ولم يفكروا فيه حتى لم يهتدوا به كما اهتدى المؤمنون «فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ» أي: كَذِبٌ «قَدِيمٌ» متقدم، قيل: أرادوا به المسيح كان اليهود كذبوه، فقالوا: هذا كذاب مثل ذلك، ونظيره: ﴿أَسْطِطِرُّ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

ثم بيّن تعالى أنه كما أنزل هذا الكتاب أنزل قبله الكتاب، فقال - سبحانه -: «وَمِنْ قَبْلِهِ» أي: من قبل القرآن ونزوله «كِتَابُ مُوسَى» أنزله الله «إِمَامًا» يؤتم<sup>(٤)</sup> به في أمر الدين، ودلالة يهتدى بها<sup>(٥)</sup> «وَرَحْمَةً» أي: نعمة على العباد؛ لأنه<sup>(٦)</sup> يؤديهم إلى نعيم الأبد إن آمنوا به «وَهَذَا» يعني القرآن «كِتَابٌ مُصَدِّقٌ» يصدق الآيات والكتب، وقيل: لأنه ورد موافقًا لما فيها، وقيل: لأنه مخبر بأنها حق، وقيل: موافق لما فيه معنى وإن خالفه لفظًا، «لِسَانًا عَرَبِيًّا» أي: بلغة العرب «لِيُنْذِرَ» ليخوف «الَّذِينَ ظَلَمُوا» بالعذاب «وَبُشِّرَى لِلْمُحْسِنِينَ».

(١) ما سبقنا: ما سبقونا، د.

(٢) لاستجماع: لاجتماع، ت.

(٣) يؤتم: يأتهم، د، ك.

(٤) بها: به، د، ك.

(٥) لأنه: لأنهم، ت.

(٦) المؤمنين: المؤمن، د، ك.

ثم بيّن حال المؤمنين<sup>(١)</sup>، فقال - سبحانه - : «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ» أي : خالقنا ومالكنا الله تعالى «ثُمَّ اسْتَقَامُوا» يعني قاموا بما لزمهم عقلاً وشرعاً «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» في الآخرة «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا» دائمين بما كانوا يعملون<sup>(٢)</sup> «وَوَضَّيْنَا لِلْإِنْسَانِ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا» أي : أمرناه بالإحسان إليهما مراعاة لحقهما.

ثم بين ما لهما من الحق، فقال - سبحانه - : «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ» في بطنها «وَفَصَالُهُ» فطامه، وإنما ذكر مدة الحمل ستة أشهر، ورضاعه أربعة وعشرون شهرًا، عن جماعة من المفسرين منهم ابن عباس، وقيل : حملة تسعة أشهر، وفصاله من اللبن أحد وعشرون شهرًا، عن ابن عباس، وأبي مسلم. «حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ» كمال قوته، وقيل : ثلاث وثلاثون سنة، عن ابن عباس، وقتادة، وقيل<sup>(٣)</sup> : بلوغ الحلم، عن الشعبي، وقيل : قيام الحجة، عن الحسن، وقيل : هو أربعون سنة، لذلك فسر به «وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً» يعني الولد «قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي» قيل : ألهمني، وقيل : معناه وفقني للعمل الصالح، وقيل : امنعني من ترك شكرك على نعمك، وقيل : الإيزاع : الإغراء بالشكر «الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ»؛ لأن النعمة على الآباء تكون نعمة على الأولاد «وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ» أي : لأعمل من الطاعات ما ترضاه<sup>(٤)</sup> «وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي» قيل : وفر لي ولذريتي العمل الصالح، فيكون دعاء للأولاد، وقيل : ارزقني ذرية صالحة، فيكون<sup>(٥)</sup> دعاء لنفسه «إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ» أي : رجعت إليك وانقطعت «وَأِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» أي<sup>(٦)</sup> المنقادين لله.

(١) بما كانوا يعملون : -، ت، ك.

(٢) وقيل : وهو قيل، ت.

(٣) أي لأعمل من الطاعات ما ترضاه : -، ت.

(٤) فيكون : ويكون، ت.

(٥) أي : +، ت، ك.

(٦) عظيم : عظمة، ت.

## ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن القوم أوهموا العوام أن ما جاء به لو كان فيه خير لقبولوه، وإنما لا يقبلون؛ لأنهم أيقنوا أنه لا خير فيه، وإنما قالوه حسداً وعداوة. ويدل قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى﴾ على حدث القرآن؛ لأن ما يوجد بعد غيره يكون محدثاً.

ويدل قوله: ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ أنه صفة جميع القرآن. ويدل على حدثه. ويدل قوله: ﴿يَسْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ على استحقاق الوعيد بالظلم، وأن الظلم فعل العبد.

ويدل قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن المؤمن لا يخاف، ولا يحزن يوم القيامة. ويدل قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ على عظيم<sup>(١)</sup> حق الوالدين، وتنبيهه على العلة في ذلك، فيدل على صحة الحجاج.

وتدل على وجوب مراعاة حقهما بالنفقة، وحسن المصاحبة<sup>(٢)</sup>، مع اختلاف الدين، لا بالموافقة في الدين.

وتدل على بيان مدة الحمل والفصال، وإذا لم يمكن حمله على أقل الأمرين ولا<sup>(٣)</sup> على أكثرهما، وجب حمله على أقل الحمل وأكثر الفصال، وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قالاً لعثمان وقد هم برجم امرأة جاءت بولد<sup>(٤)</sup> لستة أشهر: ليس عليها الرجم، وتلا الآية، فالحمل ستة أشهر، والرضاع ستان، تمام ثلاثين شهراً.

وتدل على أن حال بلوغ الأشد وكمال بلوغ الإنسان هو أربعون سنة، لذلك قرن البلوغ بذكر الأربعين، وقد جرت العادة أن كمال حال<sup>(٥)</sup> الإنسان في الغالب إنما يكون عند بلوغ هذا السن<sup>(٦)</sup>.

(١) المصاحبة: الصحبة، د.

(٢) لا: -، ت.

(٣) جاءت بولد: كانت تلد: ت.

(٤) حال: +، ت، ك.

(٥) السن: الن، ت، د، ك؛ وورد في هامش د: أظنه السن.

(٦) شكر بالنعمة: شكرنا لنعمة، ت.

ويدل قوله: ﴿وَعَلَىٰ وَلَدَيْ﴾ أن المرء كما يلزمه الشكر بالنعمة عليه؛ يلزمه نوع شكر بالنعمة<sup>(١)</sup> على والديه، وأن حال الوالد يجري مجرى حال نفسه.

قوله تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا بِوَعْدُونَ﴾ (١٦) وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيهِ أَفِي لَكُمْ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَايِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمْرِ قَدْ خَلَتِ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (١٨) وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ (١٩) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (٢٠).

### ❁ القراءة

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «نَقَبَلُ عَنْهُمْ» بالنون وفتحها<sup>(٢)</sup>، «أَحْسَنُ» بالفتح، «ونَتَجَاوَزُ» بالنون أيضاً، أضاف القبول إليه تعالى، وقرأ الباقون: «يُنَقَبَلُ» بالياء وضمها، «أَحْسَنُ» بالرفع، و«يُنَتَجَاوَزُ» بالياء وضمها<sup>(٣)</sup> على ما لم يسم فاعله.

قرأ أبو جعفر ونافع وحفص عن عاصم: «أَفُ» مكسورة منونة<sup>(٤)</sup>، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بفتح الفاء غير منونة، وقرأ أبو عمرو وأبو بكر<sup>(٥)</sup> عن عاصم وحمزة والكسائي: «أُفُ» مكسورة الفاء غير منونة، وكلها لغات صحيحة.

(١) حجة القراءات ٦٦٤.

(٢) أحسن بالرفع... وضمها: +، ت، ك.

(٣) حجة القراءات ٣٩٩.

(٤) أبو عمرو وأبو بكر: أبو بكر وأبو عمرو، ت، ك.

(٥) قرأوها: قرأوها؛ ت، د، ك.

قرأ ابن عامر في بعض الروايات عنه: «أَتَعِدَانِي» بنون واحدة، والقراء كلهم قرؤوها<sup>(١)</sup> بنونين، فالإثبات على الأصل، والحذف للتخفيف.

ظاهر القراءة: «أُخْرِجَ» بضم الألف وفتح الراء على ما لم يسم فاعله، وعن الحسن والأعمش: «أُخْرِجَ» بفتح الألف وضم الراء، أضاف الخروج إليهم<sup>(٢)</sup>.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب: «ليوفيههم»<sup>(٣)</sup> بالياء كناية عن اسم الله تعالى.

قرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ»<sup>(٤)</sup> بالاستفهام بهمزة واحدة، وقرأ ابن عامر: «أَأَذْهَبْتُمْ» بهمزتين، الباقون بفتح الألف غير مستفهم على الخبر، والعرب تستفهم توييخاً وترك الاستفهام أيضاً، فتقول: أَذْهَبْتُ وفعلت كذا؟ وتقول: ذَهَبْتُ وفعلت كذا؟

### اللغة

التقبل: قبول العمل بإيجاب الثواب عليه، كتقبل الهدية، وأصله: القبول، قبلت الشيء: رضيته.

وأف: كلمة لما يضجر<sup>(٥)</sup> منه ويستثقل، والأفُّ والثفُّ: وسخ الظفر، ويقال: التف<sup>(٦)</sup> للشيء<sup>(٧)</sup> الحقيق، وفيهما عشر لغات: أف بتعاقب الحركات على الفاء من غير<sup>(٨)</sup> تنوين، وتعاقب الحركات مع التنوين، وأفَّة وإف لك<sup>(٩)</sup> بكسر الهمزة، وأف

(١) حجة القراءات ٦٦٥.

(٢) حجة القراءات ٦٦٥.

(٣) القرطبي ١٦/١٦٩.

(٤) لما يضجر: لما يسخر، ت.

(٥) التف: اليف، ك.

(٦) للشيء: الشيء، د.

(٧) غير: بغير، ت.

(٨) لك: +، ت، ك.

(٩) للاستفزاز: الاستفزاز، ت.



بضم الهمزة وسكون الفاء، وأُفِّي، ويقال للاستقذار<sup>(١)</sup> لما شمه: أَفَّ أَفَّ، ومنه الحديث: «فألقي طرف ثوبه على أنفه ثم قال: أَفَّ أَفَّ».

والاستغاثه: طلب الغوث، استغاث يستغيث استغاثه.

والويل: الحزن، ويقال: فويل تَوَيْل<sup>(٢)</sup> [الرجل] إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، وعن ابن عباس: (الويل المشقة في العذاب)، والويل والويلة: الهلكة، ويا ويلتا للنداء، كأنه يقول: يا ويل هذا وقتك<sup>(٣)</sup>، وقيل<sup>(٤)</sup>: والويل أيضًا كلمة تَرَّحُم، وكذلك ويح. وقد قال سيبويه: (ويح) زجر لمن أشرف على الهلكة، و(ويل) لمن وقع في الهلكة.

والأساطير: جمع أسْطُورٍ، وهو جمع سَطَرٍ فأساطير<sup>(٥)</sup> جمع الجمع، وقيل: أساطير جمع إسْطِير<sup>(٦)</sup>، ونظيره في الدنيا أَفْحُوص للطائر ونحوه.

### ✽ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ في ابن لأبي بكر، قيل: عبد الله، وقيل: عبد الرحمن، قال له أبواه: أسلم، وألحَّا عليه، فقال: أحيوا لي عبد الله بن جدعان، وعامر بن كعب، ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون، عن ابن عباس، وأبي العالية، والسدي، ومجاهد، وأنكرت عائشة ذلك أشد الإنكار، وكذلك الحسن وجماعة من المفسرين.

قال محمد بن زياد: كتب معاوية إلى مروان حين بايع الناس يزيد<sup>(٧)</sup>، فقال

(١) تَوَيْل: فويل، ت، ك.

(٢) وقتك: +، ك.

(٣) فيقال: +، ت، د، ك.

(٤) فأساطير: -، ت، ك.

(٥) إسْطِير: أسطر، ت، ك.

(٦) يزيد: -، د.

(٧) لقد جئتم بها هرقلية: لقد جئتم بما هو في قلية، ت، د، ك.

عبد الرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقلية<sup>(١)</sup> تبايعون لأبنائكم، قال مروان: هذا الذي يقول الله فيه: ﴿أَفِي لَكُمْ﴾ فبلغ ذلك عائشة، فغضبت له، وقالت: والله ما هي به، ولو شئت لسميته، ولكن الله لعن أباك، وأنت في صلبه.

وقيل: إنه تعالى أجاب دعاء أبي بكر فيه، فأسلم وحسن إسلامه، [و] عن الحسن، وقتادة أن الآية عامة، وهي نعت كافر عاق لوالديه، ويدل عليه أنه قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الآية، وعبد الرحمن أسلم وحسن إسلامه، فالظاهر أنه من قوم دخلوا النار.

### الإعراب

الواو في قوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾<sup>(٢)</sup> واو عطف على قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾، عن أبي مسلم.

«بها» قيل<sup>(٣)</sup>: الكناية ترجع<sup>(٤)</sup> إلى الدرجات، وقيل: إلى الطيبات.

### المعنى

ثم بيّن تعالى حال من آمن، وحال من كفر، فقال - سبحانه -: «أُولَئِكَ» يعني من تقدم ذكره في قوله: ﴿حَقَّ إِذَا بَلَغَ أَشُدُّهُ﴾، «الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ» أي: نقبل بإيجاب الثواب لهم «أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا» يعني أحسن أعمالهم، وهو الطاعات؛ لأن المباح أيضًا حسن، وقيل: الأحسن ما خلص من كبيرة يحبطها «وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ» أي: عن معاصيهم، فلا نعاقبهم عليها، قيل: هي صغائرهم تغفر لهم، وقيل: جميع ذنوبهم يغفرها بالتوبة، وهو الوجه؛ لأن الآية عامة، ولأنه تقدم قوله: ﴿إِنِّي ثَبْتُ إِلَيْكَ﴾، «فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ» قيل: مع أصحاب الجنة، (في) بمعنى (مع)، وقيل: ندخلهم في

(١) مما عملوا: +، ت.

(٢) قيل: وقيل، د؛ قيل قيل، ت.

(٣) ترجع: رجع، ت.

(٤) وأضاف الوجد... وعدا: -، ت.

جنتهم «وَعَدَ الصَّدُوقُ» لا خلف فيه، وأضاف الوعد إلى الصدق؛ لأنه أراد به، وعداً<sup>(١)</sup> لا خلف فيه البتة «الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» على السنة الرسل «وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ إِذَا دَعَاكَ إِلَى الْإِيمَانِ «أَفْ لَكُمْ» قِيلَ: كلمة ضجر، وقيل: تَبًّا لَكُمْ، وقيل: هو كلمة استخفاف بما يسمع<sup>(٢)</sup>، وقيل: إنه كلمة تقال لكل من أتى أمراً قبيحاً، عن أبي علي. «أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ» بعد الموت حياً وأبعث للجزاء «وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي» أي: مضت الأمم من قبلي هلكوا<sup>(٣)</sup>، فلم يبعث منهم أحد، ولو كنت أبعث لبعثوا، وقيل: خلت قرون على المذهب، كانوا ينكرون البعث «وَهُمَا يَسْتَعْثِفَانِ اللَّهَ» أي: يستصرخان ويطلبان الغوث منه؛ ليتلطف<sup>(٤)</sup> له بما يؤمن عنده، ويقولان له: «وَيْلَكَ آمِنْ» قيل: ترحماً عليه، وقيل: هلكة لك إن أقمت على هذا «آمِنْ» صَدَّقْ بما جاءك من الحق «إِنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَقٌّ» في البعث والجزاء، فلما خوفاه أجاب<sup>(٥)</sup> وقال: «مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» يعني ما هذا إلا شيء كتبها الأولون، لا حقيقة لها، كأسمار الليل «أُولَئِكَ» يعني مَنْ حقيقته ما تقدم «الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» أي: وجب عليهم الوعيد بالعذاب «فِي أُمَمٍ» قيل: أدخلوا في جملة أمم «قَدْ خَلَّتْ» أي: مضت «مِنْ قَبْلِهِمْ» وقد حق عليهم الوعيد فهلكوا «مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ» قال قتادة: قال الحسن: الجن لا يموتون؟ فَقُلْتُ «أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ»، «إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ» لأنفسهم إذ<sup>(٦)</sup> أهلكوها بالمعاصي «وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا» قيل: هذا ينصرف إلى المؤمن، أي: لكل طائفة من الفريقين مَنْزِلٌ عند الله بأعمالهم يجازيهم بها، والدرجة والمنزل سواء، عن أبي علي، قال ابن زيد: دَرَجٌ<sup>(٧)</sup> أهل النار

(١) يسمع: يعني، ت، د، ك.

(٢) هلكوا: أهلكوا، ت.

(٣) ليتلطف: التلطف، د.

(٤) أجاب: أخاف، ت.

(٥) إذ: إذا، ت، د، ك.

(٦) درج: +، ت.

(٧) وليوفيه: ولنوفيه، ك.

تذهب سفلاً، وَدَرَجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَذْهَبُ عَلَوًا، «وَلِيُؤْفِقَهُمْ»<sup>(١)</sup> أَعْمَالَهُمْ» أي: ليكمل جزاء أعمالهم من الثواب والعقاب «وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» بمنع ثواب استحقاقه، أو بعقاب لا يستحقونه «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ» قيل: يدخلون النار، وقيل: تعرض عليهم النار؛ ليروا أهوالها، فتكون زيادة عقوبة «أَذْهَبْتُمْ» يقال لهم توبيخاً وتهجيناً: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا» قيل: الطيبات القوة والشباب والاستمتاع بهما، تقول العرب: ذهب أطيباه أي: شبابه وقوته، عن أبي مسلم، وقيل: الأرزاق أنفقوها في شهواتهم دون رضا الله، عن أبي علي، وقيل: الملاء والملاهي، ونعيم الدنيا، أي: ذهبتم في المعاصي غافلين عن الآخرة، فأوردتم<sup>(٢)</sup> ههنا تبعاتها<sup>(٣)</sup>، وكان ينبغي<sup>(٤)</sup> أن تهتموا للأهم، وهو أمر الآخرة؛ لأنها باقية، دون الدنيا؛ لأنها فانية «وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا» أي: انتفعتم بها منهمكين فيها معرضين عن ذكر البعث وأمر الدين «فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ» قيل: الهوان، عن مجاهد. «بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» أي: تترفعون عن الإيمان «وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ» تخرجون عن طاعة الله تعالى<sup>(٥)</sup> وولايته.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ﴾ على أنه إنما يتقبل طاعة المطيع، ففيه ترغيب في الطاعة، وزجر عن المعصية، وترغيب في التمسك بمثل طريقته.

ويدل قوله: ﴿وَنَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أن في المعاصي ما يُكْفَرُ بالإضافة إلى الحسنات، على ما نقوله في الصغائر، وإن حمل على المغفرة بالتوبة، فتدل أنه يغفر جميع المعاصي قتلاً كان أو غيره.

(١) فأوردتم: وأوردتم، ك.

(٢) تبعاتها: تبعاتهما، ك؛ تبعاً بها، ت.

(٣) ينبغي: لينبغي، ت.

(٤) تعالى: +، ت.

(٥) أن: -، ت؛ أي، ك.

ويدل قوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدَيْهِ﴾ أن<sup>(١)</sup> أبويه<sup>(٢)</sup> كانا يترحمان عليه مع كفره، ويدعوانه إلى الإيمان، وذلك مما يجب على كل أحد. وتدل أنه كان يتمسك بالتقليد، ولذلك قال: ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ على هذا.

وتدل على أن الداعي إلى الله تعالى ينبغي أن يحسن الدعاء. ويدل قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَظَاهُونَ﴾ أنه تعالى لم يخلق أعمالهم، وأنه لم يعذبهم إلا بعد الاستحقاق لجزاء عملهم<sup>(٣)</sup>.

وتدل على أنه قادر على ما لو فعله لكان قبيحاً<sup>(٤)</sup> لذلك تمدح بنفيه. وتدل على أنه لا يفعل ذلك لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه، وكذلك قوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَتَكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> تدل على أن ذلك فعلهم، وذلك كله يبطل مذهب المجبرة في هذه المسائل.

وتدل الآية أن الأولى بالمرء الزهد في الدنيا، وترك الانهماك في لذات الدنيا والمعاصي، وأن يكون اهتمامه لأمر الآخرة، وقد روي عن عمر: لو شئت كنت أطيحكم طعاماً، وألينكم<sup>(٦)</sup> ثياباً، ولكن أستبقي طيباتي.

وعن علي عليه السلام: (ألا وإن إمامكم قد رضي من دنياه بطمريه، وبسد بدره جوعه بقرضيه) في كتاب إلى عثمان بن حنيف يحثه على الزهد.

ويدل قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ فَاسِقُونَ﴾ أن الفسق فعلهم، وأنه بنفسه يوجب العقاب، وكذلك التكبر يدل على هذين الأمرين؛ لأن كل واحد لو لم يوجب استحقاق العقوبة لكان بالانضمام إلى غيره لا يوجب كالمباحات.

(١) أبويه: أبواه، ت، ك.

(٢) لجزاء عملهم: بجرائمهم، ت، ك.

(٣) ظلماء، ت، ك.

(٤) طيبتكم: -، ت، ك.

(٥) وألينكم: وألبسكم، د.

(٦) لا يرى: لا ترى، ت.

قوله تعالى:

﴿وَأَذَكَّرَ أَهَآ عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكًا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْمَرُنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢٥).

### القراءة

قرأ عاصم والأعمش وحمزة ويعقوب: «فأصبحوا لا يرى»<sup>(١)</sup> بالياء وضمها، «إلا»<sup>(٢)</sup> مساكنتهم بضم النون<sup>(٣)</sup>، واختاره<sup>(٤)</sup> أبو حاتم وأبو عبيد، قال الكسائي، معناه: (لا يرى شيء إلا مساكنتهم)، وقال الفراء: لا يرى الناس؛ لأنهم كانوا تحت الرمل، وإنما ترى مساكنتهم؛ لأنها كانت قائمة، و(يرى) على ما لم يسم فاعله و(شيء) اسمه، و(إلا مساكنتهم) خبره.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «لا ترى» بالتاء وفتحها، «إلا مساكنتهم» بفتح النون على الخطاب، أي: لا ترى أنت غير مساكنتهم.

وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم: «لا ترى» بالتاء وضمها، «مساكنتهم» بضم النون، وهي قراءة الحسن، وأبي عبد الرحمن السلمي، ورواية حسان بن زيد عن ابن كثير، قال أبو حاتم: وهذا لا يستقيم في اللغة، إلا أن يكون فيه إضمار كما تقول: لا ترى النساء إلا زينب، ولا يجوز: لا ترى إلا زينب،

(١) إلا: -، ت.

(٢) حجة القراءة ٦٦٦.

(٣) واختاره: وأجازه، ت، ك.

(٤) المفضل: الفضل؛ ت، د، ك.

قال سيبويه: لا ترى أشخاصهم لكن ترى مساكنهم، وأجاز الفراء هذه القراءة على الاستكراه، وذكر أن المفضل<sup>(١)</sup> أنشده:

وَنَارُتَالَمْ تُرَنَّا مِثْلَهَا [قَدْ] عَلِمْتُ ذَاكَ مَعْدُ أَكْرَمًا<sup>(٢)</sup>  
فَأَنْتَ الْفَعْلُ<sup>(٣)</sup>؛ لأنه مثل النار، قال: وأجود الكلام أن تقول: لم تر مثلها نَارًا، قال علي بن عيسى: وهذه القراءة ضعيفة في العربية.

### اللغة

الأحقاف: جمع حَقْف، وهو الرمل المستطيل العظيم، لا يبلغ أن يكون جبلاً، وفي (مجمل اللغة): الأحقاف الرمال المائلة الواحدة<sup>(٤)</sup> حَقْفٌ، واحْقَوْفَ: مال، والحاقف: المائل، ومنه الحديث: «أنه مر<sup>(٥)</sup> بظبي حاقف في ظل شجرة»، قال ابن الأنباري: وهو الذي انحنى وتثنى في نومه، قال الشاعر:

طَيِّ اللَّيَالِي<sup>(٦)</sup> زُلْفًا فَرُزْلَفًا سَمَاؤُهُ الْهِلَالِ حَتَّى احْقَوْفًا<sup>(٧)</sup>  
زُلْفَةُ أَي: قِطْعُهُ، يعني كما تطوي<sup>(٨)</sup> الليالي سماوة الهلال، وهي شخصه قليلاً قليلاً، قال أبو مسلم: وهو في هذا الموضع اسم البلاد التي كانت بها عاد.

الإفك: الكذب، سمي بذلك لتصرف الكلام فيه من الحق إلى الباطل، وأصله الصرف، ومنه: تأفكنا، أي: تصرفنا عنه بالإفك، أَفَكَ يَأْفُكُ: إذا كذب، وَيُؤْفِكُ عنه يصرف، والمأفوك: المخدوع بالإفك.

(١) الفراء، معاني القرآن، ص ٣٠١؛ الطبري ٢٩٣/١١؛ والبيت برواية حاشية الصبّان: قد علمت ذاك معد كلها.

(٢) الفعل: فعلاً، ك.

(٣) الواحدة: الواحد، ت.

(٤) مر: ومر، د.

(٥) الليالي: الهلال، ت.

(٦) اللسان (حقف)، وتهذيب اللغة (حقف).

(٧) تطوي: يطوي؛ ت، د، ك.

(٨) للدنيا: الدنيا، ت، ك.

والعارض: المار حتى لا يثبت من خير أو شر، ومنه العَرَضُ؛ لأنه يعرض في الوجود، ولا يجب له من اللبث ما للأجسام، ومنه قيل للدنيا<sup>(١)</sup>: عرض حاضر، أي: لا بقاء له، وسمي السحاب عارضًا؛ لأنه يعرض أي: يبدو<sup>(٢)</sup> في عرض السماء.

والممطر: الذي يمطر السحاب، وهو الريح، يقال: أمطر الريح السحاب يمطر، وإذا أضيف الفعل إلى السحاب، يقال: مطر السحاب تمطر، ومطرت السماء، وأمطرت الريح السحاب، والفعل في الإمطار يتعدى إلى مفعولين، أحدهما: السحاب، والثاني: القوم.

الأودية: جمع وادٍ، يقال: واد وأودية على غير قياس، وقد جمع: أوداه، ووداه، فالوادي يدي إذا سال.

والتدمير: الإهلاك، والدمار: الهلاك، دَمَر القومُ يَدْمُرُونَ دمارًا ودمورًا، ودَمَرُهُ غيره تدميرًا أهلكه.

### الإعراب

قيل: «عارضًا» نصب على الحال، وإن شئت بالتكرير<sup>(٣)</sup> أي رأوه<sup>(٤)</sup> ﴿عَارِضًا مُّسْتَقِيلًا أَوْ دِينَهِمْ﴾ يعني مستقبلًا أوديتهم، فحذفت التنوين<sup>(٥)</sup> وأضيف إلى الاسم. ﴿مُطَرَّنًا﴾ منكرة والمعنى: ممطر لنا، ولو كانت معرفة لم يجز؛ لأنك لا تصف عارضًا، وهي نكرة بمعرفة.

### المعنى

لما تقدم ذكر الوعيد عقبه بما نال عادًا تحذيرًا عن مثل حالهم، فقال - سبحانه -:

(١) يبدو: يبدوا، ت، ك.

(٢) يعني التفسير. انظر فتح القدير ٣٣/٥.

(٣) رأوه: رأوا، ت، د، ك.

(٤) التنوين: النون، ت، ك.

(٥) واد: إرم، ت، د، ك.



«وَأَذْكُرُ» يا محمد «أَخَا عَادٍ» يعني هودًا فكان أخاهم نسبًا لا دينًا، «إِذْ أُنْذِرُ» خوف «قَوْمَهُ» وهم عاد، وكانت العرب تعرف ديارهم «بِالْأَحْقَافِ» قيل: هو وادٍ<sup>(١)</sup> [بين] عُمان ومهرة<sup>(٢)</sup>، عن ابن عباس، وقيل: ما بين عمان إلى حضرموت، عن ابن إسحاق، وقيل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت يقال لها: مهرة، إليها تنسب<sup>(٣)</sup> الجمال المَهْرِيَّةُ، يقال: إبل مَهْرِيَّةٌ وَمَهَارِي<sup>(٤)</sup>، وكانوا من إرم [وهم وأهل عمد] سيارة<sup>(٥)</sup> في الربيع، فإذا كان صيفًا عادوا [إلى] منازلهم، وقيل: الأحقاف جبل بالشام، عن الضحاك، وقيل: هو أرض جشمي، عن مجاهد، وقيل: كانوا حيًا باليمن من أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها: الشُّحْر، عن قتادة، وقيل: هي ما استطال من الرمل كهيئة الجبل، عن ابن زيد، وقيل: كانت منازلهم في الرمال، والأحقاف الرمال العظام، عن الخليل، وقيل: الأحقاف أرض خللها رمال، عن الحسن. «وَقَدْ خَلَّتْ» مضت «النُّذُرُ» يعني الرسل المنذرين المخوفين «مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ» أي: من قَبْلُ هود «وَمِنْ خَلْفِهِ» من بعده، وروي أن<sup>(٦)</sup> في قراءة ابن مسعود: (من بعده). «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» أي: قال لهم ذلك هود «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ» إن فعلتم ذلك «عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» قيل: عقاب الآخرة، وقيل: عذاب الاستئصال، وكان من جوابهم أن «قَالُوا» لهود: «أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا» تصرفنا «عَنْ آلِهَتِنَا» أي: عن الأوثان التي نعبدوها، وإن كنت صادقًا «فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا» من العذاب<sup>(٧)</sup> «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» في ذلك يعني في العذاب، وقيل: في النبوة، وكان استعجالهم على وجه التكذيب، «قَالَ» هود «إِنَّمَا أَلْعَلُّمُ عِنْدَ اللَّهِ» يعني هو يعلم وقت العذاب الذي تستعجلون به لا أنا، وإنما إليّ تبليغ الرسالة، «وَأَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ» إليكم، وقيل: فيه إضمار تقديره: أمرت أن أبلغكم

(١) ومهرة: ومة، ت، د.

(٢) تنسب: ينسب، ت.

(٣) مهاري: مهاري، ت، د، ك.

(٤) سيارة: سفارة، ت، د، ك.

(٥) أن: -، ت.

(٦) من العذاب: -، ت.

(٧) تحرق: تخوف، ت، د، ك، وكتب في هامش د: أظنه يحرق.

ما أرسلت به «وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ» يعني جهالاً بما أريكم أن تقبلوه، وقيل: جهالاً بربكم، وقيل: تجهلون في استعجال العذاب.

فلما أصرروا على كفرهم جاءهم العذاب، فقال - سبحانه -: «فَلَمَّا رَأَوْهُ الضَّمِيرُ قِيلَ: يَرْجِعْ إِلَى الْعَذَابِ «عَارِضًا» قِيلَ: سَحَابًا، وَقِيلَ: عَذَابًا فِي صُورَةِ السَّحَابِ، تَجْرِيهِ الرِّيحُ، عَنْ أَبِي مُسْلَمٍ، قِيلَ: طَلَعَ ثَلَاثَ سَحَابَاتٍ، وَقِيلَ: سَاقَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ سَحَابَةً سُودَاءَ مِنْ وَادٍ يُقَالُ لَهُ الْمَغِيثُ، وَكَانُوا قَدْ حَبَسَ عَنْهُمْ الْمَطَرُ، فَلَمَّا رَأَوْهَا «مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ» يَعْنِي تَجِيءَ إِلَى أَوْدِيَّتِهِمْ «قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا» اسْتَبْشَرُوا، وَقَالُوا: هَذَا غَيْثٌ يَمُطِرُ لَنَا، وَقِيلَ: رِيحٌ تَمُطِرُ السَّحَابَ لَهُ، عَنْ أَبِي مُسْلَمٍ، وَقِيلَ: طَلَعَ ثَلَاثَ سَحَابَاتٍ، اخْتَارُوا السُّودَاءَ، فَتَوَدَّوْا اخْتَرْتُمْ رَمَادًا رَمِيدًا لَا تَبْقَى مِنْكُمْ أَحَدًا، لَا وَالِدًا وَلَا وَلَدًا، إِلَّا جَعَلْتُهُ هَمْدًا، أَيْ: هَالِكًا «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ» مِنَ الْعَذَابِ «رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» وَجِيعٌ، وَقِيلَ: بَلْ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لَا عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ «تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا» قِيلَ: تَهْلِكُهُ، وَقِيلَ: تَحْرُقُ<sup>(١)</sup>، وَأَلْقَى بَعْضُ الْأَشْيَاءِ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى تَهْلِكَ، وَقِيلَ: اقْتَلَعَتْ<sup>(٢)</sup> الرِّيحُ كُلَّ شَيْءٍ مُنْتَصِبٍ، وَقِيلَ: كَانَتْ تَرْفَعُ الطَّعِينَةَ حَتَّى تَرَى كَأَنَّهَا جَرَادَةٌ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَوَّلُ مَا عَرَفُوا أَنَّهَا عَذَابُ رَبِّهِمْ<sup>(٣)</sup> رَأَوْا مَا كَانَ خَارِجًا مِنْ دِيَارِهِمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ تَطِيرُ بِهِمُ الرِّيحُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَدَخَلُوا بِيُوتَهُمْ فَغَلَقُوا<sup>(٤)</sup> الْأَبْوَابَ، فَقَلَعَتْ الرِّيحُ أَبْوَابَهُمْ، وَهَدَمَتْ بِيُوتَهُمْ، وَصَرَعَتْهُمْ، وَأَمَالَتِ الرِّيحُ الرِّمَالَ عَلَيْهِمْ حَتَّى صَارُوا تَحْتَ الرِّمَالِ، ثُمَّ كَشَفَتْ عَنْهُمْ الرِّمَالَ وَأَلْقَتْ بِهِمْ فِي الْبَحْرِ). ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ مِنْ رِجَالِ عَادَ وَنِسَائِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ قِيلَ: بِإِذْنِهِ، وَقِيلَ: بِإِهْلَاكِهِ، فَسَمِيَ فَعْلُهُ أَمْرًا؛ لِأَنَّهُ أَبْلَغَ فِي التَّعْظِيمِ «فَأَصْبَحُوا» أَيْ: دَخَلُوا فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ «لَا يُرَى» مِنْهُمْ شَيْءٌ «إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ» قَائِمَةٌ «كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ».

(١) اقتلعت: ابتلعت، ت، ك.

(٢) ربهم: أنهم، ت، ك.

(٣) فغلَقُوا: وغلَقُوا، ت، ك.

(٤) حجة القراءات، ٦٦٨.

## الأحكام

تدل الآيات أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، فيبطل قول الرافضة: إن الإمام يعلم الغيب.  
وتدل على أنهم عند الإياس من إيمانهم أهلكوا تحذيرًا عن مثل حالهم.  
وتدل على أن العذاب يستحق على الإجرام.  
وتدل أن الإجرام فعلهم، ليس بخلق الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلَهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾.

## القراءة

القراءة الظاهرة: «إِفْكُهُمْ» بكسر الهمزة وسكون الفاء وضم الكاف، أي: كَذِبُهُمْ، وعن ابن عباس وابن الزبير: «أَفْكُهُمْ»<sup>(١)</sup> بفتح الهمزة والفاء والكاف على أنه فعل ماضٍ، أي: ذلك القول صرفهم عن التوحيد والإيمان، وقرأ عكرمة بتشديد الفاء على التكرير والتأكيد<sup>(٢)</sup>، أي: حِلَّتْهُمْ<sup>(٣)</sup> عن نعمتهم وصرفهم عنها.

(١) حجة القراءات، ٦٦٨

(٢) حلتهم: خلتهم؛ ت، د، ك.

(٣) حجة القراءات، ٦٦٨.

قراءة العامة: «فلما قُضِيَ» بضم القاف على ما لم يسم فاعله، وقرأ الأحوس حميد: «قُضِيَ» بفتح القاف والضاد، يعني النبي ﷺ، أضاف القراءة إليه<sup>(١)</sup>.

### اللغة

التمكين: إعطاء ما يتمكن به من الفعل، ويدخل فيه القدرة والآلة وسائر ما يحتاج إليه، مَكَّنَهُ تمكينًا، قال ابن عرفة: التمكين: زوال الموانع، وذلك داخل في الأول، كما يحتاج<sup>(٢)</sup> في الفعل إلى الآلات، يحتاج إلى زوال الموانع، فإذا أزيلت العلة في جميع ذلك، فقد مكن.

وحاق وحق، نحو: زال وزل.

والتصريف: تصيير الشيء في الجهات تارة مع هذا، وتارة مع ذلك، وتصريف الآيات: تصييرها تارة بالإعجاز، وتارة بالإهلاك، وتارة في التذكير بالنعم، وتارة بتذكير<sup>(٣)</sup> النَّفَمِ، وتارة بوصف الأبرار<sup>(٤)</sup>، وتارة بوصف الفجار.

والقربان: قال الكسائي: كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة، ونُسُكٍ، والجمع<sup>(٥)</sup>: قرابين، كرهبان ورهايين. والإنصات: السكوت.

### الإعراب

(إِنْ) في قوله: ﴿إِنْ مَكَّنَّاكُمْ﴾<sup>(٦)</sup> توكيد، والمعنى: فيما مكناكم فيه. ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ﴾ أي: هَلَّا نصرهم.

### المعنى

ولما ذكر إهلاك عاد، وعظ قوم النبي ﷺ وحذرهم أن ينزل بهم مثل ما نزل

(١) يحتاج: يحاج، ك.

(٢) بتذكير: بتذكر، ت، ك.

(٣) الأبرار: الإنذار، ت.

(٤) والجمع: والجميع، د.

(٥) إن مكناكم: إن مكناهم، د.

(٦) وأعطيناهم: وأعطاهم، ت.

بأولئك، فقال - سبحانه - : «وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ» قيل : التمكين : التخلية والإمهال، أي : لم نعاجلهم وأمهلناهم لينظروا ويتفكروا، عن ابن عباس، وقيل : وَسَعْنَا عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ والملاذ، وأعطيناهم<sup>(١)</sup> حواساً سليمة لينظروا «فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ» قيل : كما مكناهم كذلك مكناكم<sup>(٢)</sup>، وقيل : فيما لم نمكنكم فيه، عن ابن عباس، وقتادة، يعني في بسطة الأجسام، وقوة الأبدان، وطول العمر، وكثرة المال، وقيل : هو خطاب لأصحاب النبي ﷺ أي : مكننا أولئك ما لم نمكن لكم، فأطعموني وهم أعرضوا مع كمال النعم عليهم، وفيه مدح هؤلاء<sup>(٣)</sup> وذم لأولئك «وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً» يعني مع هذا التمكين أعطيناهم حواساً سليمة، أعيناً يبصرون بها، وآذاناً يسمعون بها، وقلوباً يتفكرون بها ليتنفعوا بهذه الحواس «فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ»<sup>(٤)</sup> أي : لم يكف ذلك<sup>(٥)</sup> عنهم شيئاً من عذاب الله، أي : لم تغن عنهم من عذابه لما نزل بهم «إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ» أي : حل لما<sup>(٦)</sup> استحقوا ذلك «مَا»<sup>(٧)</sup> كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» من الوعيد والعذاب، وقيل : لاستهزائهم «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى» خطاب لأهل مكة، يعني أهلكنا [أخربناها] خراباً كديار عاد، وثمود، وأرض سدوم «وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ» أي : الحجج «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أي : يرجعوا عن كفرهم، فلم يرجعوا فأهلكناهم، يخوف بذلك مشركي قومه «فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ» أي : هَلَّا نَصَرَهُمْ عند نزول العذاب بهم «الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً» يعني الأصنام اتخذوها سبباً يتقربون بها إلى الله تعالى على زعمهم، وقيل : معناه هلا نصرهم الذين يتقربون إليهم بالعبادة من دون الله «بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ» أي : ذهبوا عن نصرتهم وتلاشوا «وَذَلِكَ إِنْكُهِمُ» قيل : كذبهم الذي كانوا

(١) مكناكم : مكناهم، ت.

(٢) هؤلاء : أولاء، د، ك.

(٣) ولا افتندتهم : -، ت، ك.

(٤) ذلك : -، ت، ك.

(٥) لما : بما، د، ك.

(٦) ما : بما، د، ك.

(٧) ويؤدون : ويقربوا، ت.

يقولون: إنها آلهة، ويؤدون<sup>(١)</sup> إليها العبادة، وقيل: إفكهم فيما ادعوا أنه يقربهم إلى الله زلفاً، وقيل: معناه عاقبة إفكهم، حيث لم ينالوا منهم ما يأملون، وقيل: ذو إفكهم، أي: مأفوكهم «وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أي: يكذبون.

ثم بيّن تعالى أن في الجن مؤمناً وكافراً<sup>(٢)</sup> كما في الإنس، فقال - سبحانه -: «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ» قيل: صرفهم إليه بالأمر، أمرهم أن يصيروا إليه، وقيل: صرفهم إليه بالألطف والخواطر، وقيل: صرفهم إليه بالشهب، فإنها لما كثرت في أيام الرسول ﷺ، وحرست السماء، علم جماعة من الجن أنه لأمر عظيم، فصرّفوا إلى النبي ﷺ طلباً للعلم، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، فكان في الشهب لُطْفٌ للجن، واختلفوا في عددهم، ف قيل: كانوا سبعة نفر، فجعلهم رسلاً إلى قومهم، عن ابن عباس، وقيل: تسعة، عن زر بن حبيش، وقيل: صرفوا إليه من نينوى، عن قتادة، وقيل: من نصيبين، عن ابن عباس، واختلفوا متى كان ذلك، قيل: لما مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصر من ثقيف فلم يجيئوه، فانصرف راجعاً إلى مكة، فلما بلغ بطن نخلة قام من الليل فصلى، فمر به نفر من جن نصيبين، وقيل: بعثهم إبليس إلى تهامة لتجسس الأخبار عند الرمي بالشهب فأتوه وهو بطن نخلة، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وجماعة، وقيل: بل أُمِرَ النبي ﷺ وهو بمكة أن يدعو الجن، فصرف إليه نفر من جن<sup>(٣)</sup> نينوى، وقيل: من جن نصيبين، وخرج معه ابن مسعود، «فَلَمَّا حَضَرُوهُ» أي: حضروا رسول الله ﷺ، وسمعوا القرآن، أعجبهم حسنه، وعلموا أنه معجز، عن قتادة، وجماعة، وقال بعضهم لبعض: «أَنْصِتُوا» أي: اسكتوا واستمعوا القرآن «فَلَمَّا قُضِيَ» أي: فرغ من القراءة، واستماع الجن، وقيل: كان بعضهم يقع على بعض من حرصهم على استماعه، وقيل: معناه أسلموا، ولذلك قال: «وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ» أي: رجعوا إلى قومهم من الجن مُحَوِّفِينَ، داعين بأمر الله تعالى، و«قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا

(١) مؤمناً وكافراً: مؤمن وكافر، ت، ك.

(٢) جن: الجن، ك.

(٣) أنزل: +، ت، ك.

أُنْزِلَ<sup>(١)</sup> مِنْ بَعْدِ مُوسَى أَي: من<sup>(٢)</sup> بعد نبوته والتوراة المنزل عليه «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» من الكتب، يعني يصدق أنها حق، وقيل: ورد على مصداق ما كان فيها «يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» أَي: يدل عليه ويدعو إليه «وَالِإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ» أَي: قِيمٍ لا تناقض فيه ولا فساد.

### ❖ الأحكام ❖

يدل قوله: «مكناهم» أنه أزاح العلة بوجوه التمكين، ولو كان يكلفهم ما لا يقدرّون عليه لم يصح هذا الوجوب.

ويدل قوله: «يجحدون» أن الجحود فعلهم.

ويدل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أنه أراد الرجوع من الجميع.

ويدل قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ أن الإفك والافتراء فعلهم، وليس بخلق الله - تعالى -.

ويدل قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾ على كون الجن مكلفين، وأنهم متعبدون بشريعة نبينا، وأنه مبعوث إليهم؛ فلذلك قرأ عليهم القرآن.

وتدل أن منهم مؤمنين وكفارًا، وأن القوم الذين حضروا النبي ﷺ كانوا يهودًا، لذلك قالوا: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾، وعلى أنهم كانوا راغبين لذلك قال: ﴿وَلَوْأَ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾، واختلفوا في مؤمني الجن، فروي عن أنس ليس لهم ثواب، ولكن يصيرون ترابًا مع البهائم، وليس هذا بصحيح؛ لأنهم مكلفون، فلا بد أن يكون لهم ثواب دائم وعقاب، وقيل: لهم ثواب وعقاب كالإنس، ويدخلون الجنة، عن الضحاك وجماعة، وهو أوجه.

(١) من: -، ت، ك.

(٢) بالياء: بالياء، ت.

قوله تعالى:

﴿يَقُومَنَّ أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّ خَلْقَهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)﴾.

### ﴿القراءة﴾

قراءة العامة: «بقادر» بالباء<sup>(١)</sup> والألف على الاسم، واختلفوا في وجه دخول الباء فيه، فقال أبو عبيدة والأخفش: صلة، كقوله: ﴿تَبَّتْ بِالذَّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] وقال الكسائي والفراء: دخلت في جواب النفي، كقولهم: ليس زيد بقائم، وقوله<sup>(٢)</sup> سبحانه: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ﴾ [يس: ٨١].

وقرأ يعقوب: «يَقْدِرُ» بالياء وبغير ألف على الفعل<sup>(٣)</sup>، وهي قراءة عاصم الجحدري، والأعرج، وابن أبي إسحاق، وسلام القارئ، ومالك بن دينار، واختاره أبو حاتم؛ لأن دخول الباء في خبر (أَنَّ) ضعيف، واختار أبو عبيدة قراءة العامة لإجماع القراء، ولأنها في قراءة ابن مسعود (قادر) بغير باء.

### ﴿اللغة﴾

الإجابة: موافقة العمل لدعاء الداعي لأجله، أجاب فهو مجيب، وداعي الله: مَنْ يدعو إلى طاعته، والدعاء والسؤال والطلب<sup>(٤)</sup> بمعنى.

(١) وقوله: وقال، ت، د، ك.

(٢) الطبري ٥٥/١٥.

(٣) والطلب: والطلب، ت، ك.

(٤) إذا عني: عجب عي، ت.



والإجارة: أن تُؤمَّته من خوف، يقال: أجاره يُجِيرُهُ فهو مُجِيرٌ، ومنه: ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

والولي: الذي من شأنه التولي إلى النصرة عند الحاجة، وولي النكاح: متولي العقد. أَعْيَا الرجل في مشيته يعيا إعياءً: إذا شق عليه أو امتنع، وعَيِيَ عَيًّا في منطقه، ورجل عَيَاءٌ: إذا عَيَّ<sup>(١)</sup> بالأمر والمنطق، وداءٌ عَيَاءٌ: لا دواء له.

والعزم: عقد القلب على شيء أن يفعله، ونحوه: العزيمة، قال ابن زيد: عزمت عليك: أقسمت عليك، وقيل: معناه أمرتك أمرًا جدًّا، والعزائم: الفرائض، والعزم: القوة على الشيء والصبر عليه، وقيل<sup>(٢)</sup>: الحزم التأهب للأمر، والعزم المضي فيه والنفاذ، والعزم: إرادة مخصوصة، وليس بمعنى سوى الإرادة.

والتبليغ: مصدر بلغه تبليغًا، والاسم البلاغ نحو: أدبت تأدية، والاسم الأداء.

### ❖ الإعراب

موضع «بقادر» رفع لأنه خبر (أَنَّ).

«بلاغ» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، يعني هذا القرآن بلاغ، أو المنزل، أو الكتب بلاغ.

### ❖ المعنى

ثم بَيَّنَّ تمام خبر الجن، فقال - سبحانه - حاكبًا عنهم: «يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ» قيل: محمدًا ﷺ فيما يدعو إليه؛ لأنه كان يدعو إليه<sup>(٣)</sup>، كما أن الكفار يدعون<sup>(٤)</sup> إلى الأوثان، وقيل: هو عام في كل من يدعو إلى توحيد الله تعالى وعدله وعبادته «وَأَمِنُوا بِهِ» قيل: بالله، وقيل: برسوله «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» أي: ذنوبكم، (مِنْ) تأكيد، قال أبو علي: وهو من الخاص الذي يريد به العام، وقيل: (مِنْ)

(١) وقيل: فليل، ك.

(٢) إليه: الله، ت، ك.

(٣) يدعون: دعوا، ت، ك.

(٤) قيل: وقيل، ت، د، ك.

للتبعض، فيغفر ما تبتم عنه «وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» قيل<sup>(١)</sup>: استجاب لهم سبعون رجلاً من الجن، جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، وأمرهم ونهاهم «وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ» أي: لا يفوت عن الله، ولا يعجزه بالهرب «وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ»<sup>(٢)</sup> أي: دون الله<sup>(٣)</sup> «أُولَئِكَ» أي: ناصر يدفع العذاب عنه، أراد أنه لا يقدر على دفع العذاب بنفسه ولا يجد غيره من<sup>(٤)</sup> يدفع «أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ»<sup>(٥)</sup> أي: ذهاب عن الحق «مُبِينٍ» بين ظاهر.

ثم عاد الكلام إلى الرد على منكري البعث، فقال - سبحانه -: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ» ابتداء من غير شيء «وَلَمْ يَغَيِّ بِخَلْقِهِنَّ» قيل: لم يعجز عنه، عن أبي علي، وقيل: لم يصبه كلال ولا عناء ولا ضعف «بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّبِ الْمَوْتَى» بعد تفرق أجسادهم؛ لأن اختراع الشيء أعظم من إعادته «بَلَى» جواب للاستفهام<sup>(٦)</sup> إذا قيل: ألم تعلم ذلك، فتقول: بلى، فاعلموا أنه قادر على ذلك.

ثم عقبه بذكر الوعيد، فقال - سبحانه -: «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ» قيل: تعرض عليهم النار مع شدة أهوالها، فتكون<sup>(٧)</sup> زيادة في عقوبتهم وغمهم، وقيل: بل يدخلون النار، ثم يقال لهم توبيخاً: «أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا» قيل: إنهم يعترفون في وقت لا ينفعهم، ثم يقال لهم: «فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ»، «فَاضْبِرْ» يا محمد على أذاهم وأداء الرسالة «كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» قيل: (مِنْ) هنا<sup>(٨)</sup> للتأكيد والبيان لا للتبعض، فجميع<sup>(٩)</sup> الرسل أولو

(١) من دونه: من دون الله، د.

(٢) أي دون الله: +، ت، ك.

(٣) من: +، ك. وفي ت: ممن.

(٤) مبين: +، ت.

(٥) للاستفهام: الاستفهام، ت، ك.

(٦) فتكون: لتكون، ت.

(٧) هنا: هذا، ت، ك.

(٨) فجميع: فجمع، ت.

(٩) اثني: ت، ك.

العزم، عن ابن زيد وأبي علي وجماعة؛ لأنهم عزموا على أداء الرسالة والصبر فيه، وتحمل الشدائد، وأداء ما أمروا به، وهذا هو الأوجه، وقيل: «مِنْ» للتبعيض وأراد بعضهم.

ثم اختلفوا من هم، قيل: المذكورون في سورة (الأنعام). وقيل: الذين أمروا بالقتال، وأظهروا المكاشفة، وجاهدوا، وقاسوا قومهم كإبراهيم، وموسى، وعيسى وغيرهم، عن أبي مسلم، والكلبي. وقيل: اثنا<sup>(١)</sup> عشر من أنبياء بني إسرائيل، منهم من قتل<sup>(٢)</sup>، ومنهم من نشر بالمناشير، ومنهم من سلخ جلده.

وقيل: هم ستة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وهم المذكورون في سورة (هود) و(الشعراء). وقيل: أصحاب الشرائع، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد.

وقيل: نوح وإبراهيم، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، ومحمد، صبروا على ما نالهم، عن مقاتل.

وقيل: أربعة: [نوح و]<sup>(٣)</sup> إبراهيم، وموسى وعيسى، عن قتادة.

وقيل: ثلاثة، ورابعهم محمد ﷺ، عن أبي العالية.

واختلفوا في معنى «أولي العزم»، قيل: ذوو الحزم، عن ابن عباس، وقيل: ذوو الجد والصبر، عن الضحاك، وقيل: ذوو الرأي الصواب، عن القرظي، وقيل: الذين عزموا على أداء الرسالة، وتحمل المشقة فيها، وهم جميع الرسل، عن أبي علي، وأبي مسلم.

(١) من قتل: قتل، ت، ك.

(٢) نوح و: -، ت، د، ك. وكتب فوق ت: أظنه نوح و.

(٣) ولا: فلا، ت، د، ك.

«وَلَا<sup>(١)</sup> تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» أي: لا تسأل تعجيل هلاكهم في الدنيا، ولعل الحكمة في تأخيرهم، والله أعلم بالمصالح «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ» من العذاب «لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ» قيل: إن هؤلاء وإن امتد بقاؤهم فعند رؤية العذاب لم يكن ذلك إلا لبثًا قليلًا، كساعة من نهار، وقيل: معناه لا تستعجل فكل ما هو آت قريب، وقيل: أفئتناهم بشدة ما نزل بهم من العذاب مدة لبثهم، وقيل: في جنب<sup>(٢)</sup> ما عاينوا توهموا لبثهم قليلًا، وقيل: لعظم حسرتهم ذكروا أنهم في حكم من لم يلبث إلا ساعة من نهار «بَلَاغٌ» قيل: ذلك اللبث بلاغ، أنزلهم بلغة وكفاية؛ لأنهم علموا لمكثهم<sup>(٣)</sup> في تلك الساعة، وقصروا وفرطوا، وقيل: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ لهم وكفاية في الوعظ، وقيل: ليس عليك إلا البلاغ، فإذا بلغت الرسالة خرجت عن الواجب، فإن كفر الكافر وفسق الفاسق فوبالهم<sup>(٤)</sup> عليهم<sup>(٥)</sup>، وليس عليك إلا البلاغ، عن أبي مسلم، وقيل: «بلاغ» أي: قليل، كما يقال: ما معه من الزاد إلا بلاغ، عن أبي علي، أي: صاروا إلى دار الحسرة، كانوا في الدنيا بمنزلة من لم يعيش إلا قليلًا لا خطر لها، وقيل: لها بلاغ، أي: بلغة من العيش يبلغون بها في دار الدنيا، عن ابن<sup>(٦)</sup> الأنباري. «فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ» الخارجون عن طاعة الله إلى معاصيه.

### ❁ الأحكام

تدل الآية على وجوب اتباع من يدعو إلى الله وتوحيده وعدله.

ويدل قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ على صحة المقايسة؛ لأنه قاس الإعادة على الابتداء، وهذا من أصح الاعتبار؛ لأن خلق الأجسام لا يصح إلا من القادر للذات، والإعادة لا

(١) جنب: حيث، ت، ك.

(٢) لمكثهم، تمكثهم، ت، ك.

(٣) فوبالهم: فوباله، د.

(٤) وقيل ليس عليك... عليهم: -، ت.

(٥) ابن: +، ت، ك.

(٦) منه: فيه، ك.

تصح إلا على أفعال القادر للذات، فإذا كان الله تعالى قادرًا لذاته، وأنه يصح منه خلق الأجسام، وجب أن تصح منه<sup>(١)</sup> الإعادة.

وتدل على وجوب الصبر، واحتمال الأذى في الدين.

وتدل أن كل فاسق هالك.

وتدل أن الفسق فعل العبد، ليس بخلق الله تعالى.

---

(١) متعدد: متعدي؛ ت، د، ك.

## سُورَةُ مُحَمَّدٍ

سورة محمد ﷺ، مدنية على ما يقال، وهي ثمان وثلاثون آية في الكوفي، وتسع وثلاثون في المدني، وأربعون في البصري.  
وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (محمد) كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة».

ولما ختم سورة (الأحقاف) بوعيد الكفار افتتح هذه السورة بمثلها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ (١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَعَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ  
بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ  
أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخَسَّمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَنَّا  
بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا  
بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّدِيهِمْ وَيُصْلِحُ  
بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾

## ❁ القراءة

قرأ أبو عمرو ويعقوب، وحفص عن عاصم: «قَتَلُوا» بغير ألف وضم القاف من القتل، يعني الشهداء على ما لم يسم فاعله، واختاره أبو حاتم، والباقون: «قاتلوا» بفتح القاف والألف من القتال، أي: باسروا القتال والجهاد، وعن الحسن، بضم القاف وحذف الألف مشددة مبالغة في القتل، وقرأ عاصم الجحدري بفتح القاف والتاء من غير ألف، يعني قَتَلُوا المشركين.

## ❁ اللغة

الصد: الإعراض، والصد: صرف الغير عن الشيء، إما بالنهاي أو المنع، أو الترغيب في خلافه، وهو لازم ومُتَعَدٍّ<sup>(١)</sup>، وَصَدَّ يَصِدُّ، وَصَدَّهُ يَصِدُّهُ. والبال: الحال والشأن، والبال: القلب أيضًا، ومنه<sup>(٢)</sup> قولهم: لا أبالي به، ومنه يقال للضمير: البال، يقال: خطر ببالي كذا، قال الشاعر:

مَا بَالُ دَفْكَ بِالْفِرَاشِ مُذَيَّلًا      أَقْذَى بِعَيْنِكَ أَمْ أَرَذْتَ رَجِيلاً<sup>(٣)</sup>

وقال آخر:

«فَلِنْ تُقْبِلِي بِالْوَدِّ أَقْبِلْ بِمَثَلِهِ      وَإِنْ تُذِيرِي أَذْهَبْ إِلَى حَالِ بَالِيَا<sup>(٤)</sup>»

والبال لا يجمع، كأخواته من الحال والشأن، وقيل: يجمع فيقال: بالات، والوجه هو الأول<sup>(٥)</sup>.

والإثخان: إكثار القتل، وغلبة العدو وقهره، يقال: أوقع بهم فأثخن أي: أكثر القتل وقهر، ومنه: أثخن المرض اشتد، وأثخنه الجراح.

(١) ومنه: ومنهم، ت.

(٢) البيت قائله الراعي النميري لسان العرب (مذل)، الصحاح (مذل)، تاج العروس (مذل).

(٣) البيت قائله سحيم عبد بني الجساس؛ انظر ديوان سحيم.

(٤) والوجه هو الأول: والأول الأوجه، د، ك.

(٥) البيت قائله الأعشى أنظر لسان العرب (وزر)، الصحاح (وزر)، تاج العروس (وزر).

والأوزار: السلاح، قال الأعشى:

وَأَعْدَدْتُ لِنَحْرِبِ أَوْزَارَهَا رِمَاحًا طَوَالًا وَخَيْلًا ذُكُورًا<sup>(١)</sup>

والوزر: ما يحمله الإنسان، فسمي السلاح أوزارًا لذلك، ولأنها تثقل<sup>(٢)</sup> على لابسها، والوزر: الثقل المثقل للظهر.

العرف: ضد النكر، والمعرفة: العلم، وعرفت الشيء: علمته<sup>(٣)</sup>، والعرفُ الأرجُ الطيب، يقال: طيب الله عَرْفَكَ، أي: ريحك، وعَرَفْتُ المِرْقَةَ طيبتها، يقال: عَرَفَ: علم بالتخفيف، وعَرَفَ: طيب بالتشديد، وعَرَفَ غيره بالتشديد: أعلمه.

### الإعراب

نصب ﴿مَنَّا﴾ و﴿فِدَاءً﴾ بإضمار فعل تقديره: فإما أن تَمُتُوا عليهم منَّا<sup>(٤)</sup> أو تفادوهم<sup>(٥)</sup> فداء.

(ضرب الرقاب) أي: اضربوا الرقاب، نصب على الإغراء.

### النزل

قيل: نزل قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في المطعمين ببدر وكانوا عشرة أنفس.

وقيل: نزلت في أهل الحديبية، منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن دخول مكة.

وقيل: بل هو عام في جميع المشركين.

وقيل: نزل قوله: «والذين آمنوا» في الأنصار، وقيل: بل هو عام<sup>(٦)</sup>.

وقيل: الذين كفروا: أهل مكة، والذين آمنوا: الأنصار، عن ابن عباس.

(١) ولأنها تثقل: ولأنه يثقل، ت، د، ك.

(٢) أعلمه: وعلمته، ت، ك.

(٣) وإما أن: أو؛ ت، د، ك.

(٤) أو تفادوهم: أو تفادونهم، ت، ك.

(٥) في جميع المشركين... عام: +، ت، ك.

(٦) نزل: ونزل، د، ك.



وقيل: نزل<sup>(١)</sup> قوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾<sup>(٢)</sup> في الذين قتلوا<sup>(٣)</sup> يوم أحد لما قال المشركون: أُغْلُ هُبْلُ، فقال المسلمون: الله أعلى وأَجَلُّ، فقالوا: يوم بيوم بدر، فقال المسلمون: لا سواء؛ قتلانا في الجنة وقتلاككم في النار، عن قتادة.

### المعنى

«الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» قيل: أعرضوا، وقيل: صدوا غيرهم، وتحمل عليهما؛ لأنه لا كافر إلا وكما يصد نفسه يصد غيره، وسبيل الله دينه المؤدي إلى رضاه، وقيل: صدوا عن بيت الله والحج، عن أبي مسلم. «أَصْلَ أَعْمَالَهُمْ» قيل: أبطلها فلم يقبلها، وقيل: ما توهموه قربة<sup>(٤)</sup> وكانت معصية<sup>(٥)</sup> كإطعام الكفرة ونحوها، وقيل: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي والمسلمين، وجعل الدائرة<sup>(٦)</sup> عليهم، عن الضحاك، وقيل: «أَصْلَ أَعْمَالَهُمْ» أي: أحبط ثوابها لكفرهم، وهي الأعمال التي لولا الكفر لاستحق عليها الثواب، وقيل: وجد أعمالهم ضلالاً «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» من القرآن والشرائع فلم يخالفوه في شيء، عن سفيان الثوري «وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» يعني كما أبطل أعمال الكفار، كَفَرَتْ معاصي المؤمنين، وهذه الآية أصل في الإحباط والتكفير «وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» قيل: حالهم، عن قتادة، وقيل: شأنهم، عن مجاهد، أي: أصلح حالهم في الدارين، وقد فعل ذلك بأصحاب محمد ﷺ، أظفرهم على الأعداء، وصيرهم خلفاء الأرض بعده، وبشرهم بالجنة «ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» أي: فعلنا لكل واحد من الفريقين لأجل فعلهم جزاء لهم، والكافرون «اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ» قيل: الشيطان، وقيل: هو كل باطل من

(١) والذين قتلوا: -، ت.

(٢) في الذين قتلوا: -، ك.

(٣) قربة: فدية، ت؛ ندبة، د.

(٤) معصية: فيقضي، ت، د.

(٥) الدائرة: الدبرة، د، ك.

(٦) يزيد: يزيده، ت.

قول أو عمل، وهو الوجه، «وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ» أي: ما بينه، وهدى إليه، وقيل: القرآن «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ» أي: يزيد<sup>(١)</sup> بضرب الأمثال بيانا ووضوحا، فالأمثال هو قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾<sup>(٢)</sup> يَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ يعني الكفار بمنزلة مَنْ دَعَاهُ الْبَاطِل فَاتَّبَعَهُ، والمؤمن بمنزلة مَنْ دَعَاهُ الْحَق فَاتَّبَعَهُ، وقيل: هو<sup>(٣)</sup> ضرب من الأمثال في القرآن.

ومتى قيل: فلماذا أضاف الأمثال إليهم؟

قلنا: لأنه ضرب لهم، ولنفعهم، وموعظة لهم.

ثم أمر المؤمنين بقتال الكفار، فقال - سبحانه - : «فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني من أهل الحرب الْمُصْرِيْنَ<sup>(٤)</sup> على الحرب؛ لأن أهل الذمة لا يجوز قتالهم وقتلهم، وكذلك من جاء مسترشداً، أو تائباً، أو بأمان لا يجوز قتله، وقيل: إذا لقيتم، أي: إذا حاربتم من اللقاء الذي هو الحرب «فَضْرِبَ الرِّقَابِ» أي: اقتلوهم، والرقاب الأعناق، وإنما عبر بذلك عن القتل؛ لأنه لا يبقى حياً بعد ضرب الرقبة، وقيل: أمر بقتلهم من غير أسر ولا فداء<sup>(٥)</sup>، فإذا «أَنْخَسْتُمُوهُمْ» أي: قهرتموهم وعزرتموهم، وقيل: أكثرتم الجراح والقتل، وقتلتم بعضهم، وجرحتم البعض حتى ضعفوا «فَشُدُّوا الوثاق» يعني شدوا وثاق الأسارى، فأمر بالقتل والأسر؛ لكيلا يقوى الكفر، وقيل: أراد كيلا يهربوا، وقيل: هذا في حرب واحد، ولم يرد جميع ذلك في شخص واحد<sup>(٦)</sup>، ولكن كما يقال: قتلناهم، وجرحناهم، وأسرناهم، وقيل: ليس هذا في حرب واحد؛ بل في حروب كثيرة، والقتل في حرب، والإثخان في حرب، والأسر في حرب؛ لتعظم الهيبة في قلوب الكفار.

(١) ذلك: وذلك، ت، ث.

(٢) هو: ما هو، -، د.

(٣) المصرين: المصر، د، ك.

(٤) ولا فداء: ولا فداء ابتدوا، د.

(٥) واحد: -، ت، ك.

(٦) فإما: إما، ت، د، ك.

ثم بَيَّنَّ الحال بعد الأسر فقال: «فَإِمَّا<sup>(١)</sup> مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً» أي: مَنَّا منكم عليهم بالإطلاق بعد الأسر من غير عوض، وإما فداء بعوض، بمال أو رجال، وقيل: المن بالإطلاق وبالإسلام؛ لأن أسير العرب إذا آمن يطلق، وأسير العجم إذا أُسِرَ يستعبد «حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا» أنقالها، قيل: أراد تضع أهل الحرب سلاحها حتى تزول الحرب، وهم المحاربون. أوزارها: آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم، ويؤمنوا بالله، أي: أثنخوا المشركين بالقتل والأسر، حتى يظهر الحق والإسلام<sup>(٢)</sup> على الأديان كلها، وقيل: حتى تنقطع الحرب عند نزول<sup>(٣)</sup> عيسى، فيسلم كل يهودي ونصراني، وصاحب ملة، وهي آخر أيام التكليف، عن مجاهد، وقيل: حتى يُعَبِّدَ الله، ولا يشرك به شيئاً<sup>(٤)</sup>، عن الحسن، وقيل: حتى لا يكون دين إلا الإسلام، عن مجاهد، وقيل: حتى يسلموا أو يسالموا، عن الكلبي، والأوزار<sup>(٥)</sup> المراد به ما دام الحرب قائماً، أو يكون في دار الحرب، فأمر<sup>(٦)</sup> بالاحتياط [و] القتل والشد لنا من العدو.

ثم بَيَّنَّ الغرض في التعبد بالجهاد، فقال: «ذَلِكَ» قيل: الأمر بالجهاد، وقيل: ما ذكرناه من أحكام الكفار «وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ» لأهلكهم وكفى أمرهم من غير قتال «وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ» أي: يمتحن بعضكم ببعض، يعني لو كان الغرض زوال الكفر فقط لأهلكهم؛ لكن الغرض بذلك استحقاقهم للثواب؛ وذلك لا يحصل إلا بالتعبد وتحمل المشاق، قال أبو مسلم: تلك<sup>(٧)</sup> الآية ليمحص المؤمنين<sup>(٨)</sup> [بالجهاد]، ويمحق الكافرين. «وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أي: في الجهاد في دين الله، وقيل: قتلوا يوم أحد، عن قتادة، وقاتلوا معناه جاهدوا «فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ»

(١) والإسلام: الإسلام، ت، ك.

(٢) نزول: نزو، ك.

(٣) شيئاً: -، ت.

(٤) والأوزار: والإقرار، د؛ والأقران، ك.

(٥) فأمر: والأمر، د.

(٦) تلك: ذلك، ت، ك.

(٧) ليمحص المؤمنين: تمحيص للمؤمنين، ت.

(٨) لهم: بالهم، ت.

أي: لا تهلك؛ بل هي مقبولة يجازون عليها ثواباً «سَيَهْدِيهِمْ» قيل: إلى الجنة وثوابها، وقيل: يثيبهم باللطاف «وَيُضْلِحُ بِالْهَمِّ» أي: حالهم في الدارين، وقيل: الحال في النفس، والبال في الأحوال «وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ» قيل: طيبها لهم، عن المؤرج، وقيل: بيّنها لهم، وأعلمهم بوصفها، على ما يسرون إليها حتى عرفوها بما وصف لهم<sup>(١)</sup> في القرآن، عن أبي علي، وأبي مسلم، وقيل: عرفها لهم يوم القيامة حتى أنهم يعرفون منازلهم كما يعرفون منازلهم في الدنيا، عن أبي سعيد الخدري، وقتادة، ومجاهد، وابن زيد، قال الحسن: وصف الجنة لهم في الدنيا، فلما دخلوها عرفوها بصفتها، وقيل: يصحب كل مؤمن ملك إلى منزله، وقيل: نعم الجنة أرفع درجات، يعرف كل أحد درجته، درجة النبيين أعلاها، ودرجة المؤمنين، ودرجة المعصومين، ودرجة المبتدأ بالفضل عليهم.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية على الإحباط والتكفير.

ويدل قوله: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن ما فعل بالفريقين جزاء على أعمالهم<sup>(٢)</sup>.

ويدل قوله: ﴿فَإِذَا<sup>(٣)</sup> لَقِيتُمْ﴾ على تعليم الجهاد في القتال بعد الإثخان من الأسر والمنّ والفداء، واختلفوا [في حكم معاملة المشركين في الحرب فيما] نزلت بعد ذلك، فإذا أسره الإمام، ف قيل: كان الأسر محرماً بالآية، فقال: ﴿مَا كَأَنَّ لِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ [الأنفال: ٦٧]، ثم أبيح بهذه<sup>(٤)</sup> الآية<sup>(٥)</sup>؛ لأن هذه السورة نزلت بعد ذلك، فإذا أسر فالإمام مخير بين المنّ والفداء بأسارى المسلمين وبالمال، وبين القتل والاستعباد، وهو قول الهادي، وأبي يوسف، ومحمد، والشافعي، واختيار أبي علي، وحكم الآية ثابت عندهم، وقيل: الإمام مخير بين المنّ والفداء والاستعباد، وليس له

(١) أعمالهم: أفعالهم، ت.

(٢) فإذا: وإذا، ت، ك.

(٣) بهذه: لهذه، ت، ك.

(٤) الآية: الأمة، ت.

(٥) إذا أئختموهم: فإذا أئختموهم، د، ك؛ فإذا أئختموهم، ت.

القتل بعد الأسر، عن الحسن، وجعل في الآية تقديمًا وتأخيرًا كأنه قيل: فضرِب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها، قال: ﴿حَتَّى إِذَا أَنْخَسْتُهُمْ<sup>(١)</sup> فَشَدُّوا أَلْوَقًا فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾.

وروي أن الحجاج أتى بأسير فقال لابن عمر: اقتله، فقال ابن عمر: ما بهذا أمر الله تعالى، يعني بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ فحكى عن ابن عمر مثل مذهبه، وحكى مثله عن عطاء.

وقيل: إنه منسوخ بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا<sup>(٢)</sup> الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وبقوله: ﴿فَإِمَّا<sup>(٣)</sup> نَقَفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ [الأنفال: ٥٧]، عن قتادة، والسدي، وابن جريج، وروي عن ابن عباس: الفداء منسوخ بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا<sup>(٤)</sup> الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وروي مثله عن الضحاك.

وقيل: ليست بمنسوخة، وحكمه ثابت، عن ابن عمر، والحسن؛ وعطاء<sup>(٥)</sup>؛ لأن النبي ﷺ<sup>(٦)</sup> مَنَّ على أبي عزة، وقتل عقبة بن<sup>(٧)</sup> أبي معيط، وفادى أسارى بدر. والذي ذهب إليه أبو حنيفة في الأسرى أنه يجوز القتل والاسترقاق، فإن أسلم لم يجز القتل، وجاز الاسترقاق، ولا يجوز المن، ولا المفاداة بالمال على ظاهر المذهب.

وقال محمد في (السير الكبير): لا بأس به، فأما المفاداة بأسرى المسلمين ففيه روايتان، قال في الأصل: يجوز، وروى الحسن عنه أنه لا يجوز، وقال أبو يوسف ومحمد: يجوز، وذكر أصحابنا أن قوله: ﴿فَإِمَّا<sup>(٨)</sup> مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ منسوخ بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا<sup>(٩)</sup> الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]؛ لأن (براءة) نزلت بعد هذه السورة، وكذلك المنّ

(١) فاقتلوا: اقتلوا، ت، د، ك.

(٢) فإما: وإما، ك.

(٣) فاقتلوا: اقتلوا، ت، د، ك.

(٤) وعطا: والعطاء، د، ك.

(٥) صلى الله عليه وآله وسلم: عليه السلام، د، ك.

(٦) بن: -، ت.

(٧) فإما: إما، ت، د، ك.

(٨) فاقتلوا: اقتلوا؛ ت، د، ك.

(٩) على أبي: عن ابن، ت، د.

على أبي<sup>(١)</sup> عزة كان<sup>(٢)</sup> بدر، ثم نسخ، وقد قال أصحابنا: لا يجوز مفادة النساء والصبيان؛ لأن فيه تكثير العدد، ويجوز مفادة العجوز الفانية؛ لأنه لا يرجى منها ولد، وكذلك الشيخ الهرم، وقالوا في عبدة الأوثان من العرب: إنه إما أن يسلم أو يقتل، لا يسترقون، ولا يبقون على شركهم.

ويدل قوله: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْمَرْبُ﴾ على غاية وجوب القتال.

ويدل قوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ على فضل الجهاد.

وتدل على أن الهدى يكون بالفوز والثواب؛ لأن بعد القتل لا يكون إلا ذلك.

قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَضُرَّكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾﴾.

### اللغة

التَّعَسُّ: الانحطاط للعتار، والإتعاس والإذلال والإدحاض بمعنى، وهو العثار الذي لا يستقيل<sup>(٣)</sup> صاحبه، قال: فإذا سقط الساقط فأريد به الاستقامة قيل: لَعَا له، وإذا لم يرد به الانتعاش<sup>(٤)</sup> قيل: تَعَسَا، وفي حديث عائشة<sup>(٥)</sup>: (تعس مُسْطَحٌ)، يقال<sup>(٦)</sup>: تعس، أي: أتعسه الله، ومعناه: انكب وعثر، وأتعسه الله<sup>(٧)</sup>، تعس<sup>(٨)</sup> فهو متعس، قال الأعشى:

- (١) كان: وكان، ت.
- (٢) لا يستقيل: لا يستقل، د، ك.
- (٣) الانتعاش: الانتعاس، ت، ك.
- (٤) البخاري رقم ٢٥١٨، ومسلم رقم ٢٧٧٠.
- (٥) يقال: قال، د.
- (٦) الله: للذين، ت، ك.
- (٧) تعس: ونتعس، ك.
- (٨) البيت قائله الأعشى في قصيدة مطلعها:

فالتَّعَسَّ أُولَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ: لَعَا<sup>(١)</sup>

فجمع تعسا ولعا في بيت واحد، قال أبو مسلم: وذلك ضد تثبيت الأقدام الذي جعله بالمؤمن.

والتدمير. الإهلاك، وأصله الدمار.

### ❁ الإعراب

«تَعَسَّا» قيل: نصب على المصدر أي: أتعسه الله تعسًا، وقيل: على الدعاء، عن الفراء<sup>(٢)</sup>.

### ❁ المعنى

لما تقدم الأمر بالجهاد بين الوعد<sup>(٣)</sup> لهم، فقال - سبحانه -: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ» أي: دين الله ونبيه «يَنْصُرْكُمْ» فجعل نصرة دينه ونصرة نبيه نصرة له تعظيمًا لأمره، وتفخيماً لشأنه، وهذا كقوله: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ» [النساء: ٨٠]، وقيل: نصر الله بالرد على من يسيء القول فيه، كمن يشبهه بخلقه، أو يضيف<sup>(٤)</sup> القبايح إليه «يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» قيل<sup>(٥)</sup>: ينصركم في الجهاد، ويثبت أقدامكم بالطافة بتقوية قلوبكم، وقيل: ينصركم في الآخرة، ويثبت أقدامكم عند الحساب وعلى الصراط، وقيل: ينصركم في الدنيا والآخرة، ويثبت أقدامكم في الدارين، وهو الوجه؛ لعموم الكلام «وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ» قيل: في الآخرة،

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا  
واحتلت الغمر فالجدين فالفرعا  
وتكلمة البيت وبرواية أخرى:

بذات لوث عفرناة إذ عثرت  
فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا  
أنظر لسان العرب (لوث)، الصحاح (لوث)، تاج العروس (لوث).

(١) الفراء: القراء، ت.

(٢) الوعد: الوعيد، ت، ك.

(٣) يضيف: ويضيف، د.

(٤) قيل: وقيل، ت.

(٥) تجنبت: حديث، ت، د، ك.

وقيل: في الدارين، ومعنى تعسًا، قيل: بُعْدًا لهم، عن ابن عباس، وقيل: سقوطًا، عن أبي العالية، وقيل: تجنبت<sup>(١)</sup> عن كل خير، عن الضحاك، وقيل: شقاء، عن ابن زيد، وقيل: التعس عبارة عن خوف القلب، والجزع، وإلقاء الرعب في قلوبهم حتى لا يثبتوا بدل ما ذكر في المؤمنين: «ينصركم ويثبت أقدامكم»، «وَأَصْلُ أَعْمَالُهُمْ» أي: أبطلها؛ لأنها كانت في طاعة الشيطان، وقيل: أحبط ثوابها، قال أبو مسلم: هو يحتمل معنيين:

أحدهما: أنهم يخيبون في سعيهم، فلا يبلغون ما يريدون بالنبي صلى الله عليه والمسلمين.

والثاني: أن أعمالهم التي يقدر أن أقرب إلى الله تعالى غير مقبولة منهم. و«ذَلِكَ» يعني التعس والإبطال، «بِأَنَّهُمْ»<sup>(٢)</sup> كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ من القرآن والدين على رسوله حسدًا له<sup>(٣)</sup>، وقيل: ذلك الأمر لأنهم كرهوا الإيمان بما أنزل الله والعمل به «فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» يعني الأعمال التي أمر لا كفرهم [فهو] لا يستحق الثواب، فأحبط ثوابها، وهو كالمحاسن العقلية، والإيمان ببعث الرسل «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» قيل: معناه هلا ساروا ونظروا<sup>(٤)</sup> في آثارهم، وقيل: معناه هلا<sup>(٥)</sup> ساروا<sup>(٦)</sup> ورأوا عواقب أولئك، فهلا اعتبروا كما يقال: ألم آكل؟ أي: أَكَلْتُ «دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أي: أهلكهم، ودمر الله منازلهم «وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا» أي: لهؤلاء الكفار أمثال ذلك مما<sup>(٧)</sup> تقدم من العذاب للأعداء، والنصرة للأولياء «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا» يتولى<sup>(٨)</sup> نصرتهم وحفظهم «وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ» أي: لا ناصر يدفع العذاب عنهم.

(١) بأنهم: لأنهم، ت، د، ك.

(٢) حسدًا له: -، ت؛ حبًا له، ت.

(٣) ونظروا: فنظروا، ث.

(٤) هلا: لما، ك.

(٥) ساروا: ساووا، ث.

(٦) مما: ما، ت، ث، د، ك.

(٧) يتولى: يتول، د.

(٨) يأسن: أسن، ت.



## ❁ الأحكام

تدل الآية على عظم أمر الجهاد، وأن الله ناصرهم، والجهاد قد يكون باليد، وقد يكون باللسان، وكلاهما دُبٌّ عن الدين.  
ويدل قوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ على تحابط الأعمال، وأن تلك الكراهة فعلهم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْنِهِ مِنْ زِينٍ لَهُ سُوءُ عَمَلٍ وَابْتِغَاؤُا هَوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٥﴾﴾.

## ❁ القراءة

قراءة العامة: «مثل الجنة»، وعن علي عليه السلام: (أمثال الجنة).  
وقرأ ابن كثير وحده: «أسين» بغير مد على وزن فَعِلٍ، والباقون: «آسين» على وزن فاعِلٍ، وهما لغتان.

## ❁ اللغة

التمتع والاستمتاع: الانتفاع بالشيء.  
والمشوى: المنزل الذي يقام عليه، وأصله من ثوى بالمكان: أقام به، ويقال للمرأة: أم مشواه أي: ربة المنزل، ومنه: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ [القصص: ٤٥] أي: مقيماً.  
المَثْلُ: مأخوذ من المِثْلِ بكسر الميم وسكون الشاء، وهو يستعمل في الشيء

بعينه، ويستعمل في نظيره، والمثل بفتح الميم: يستعمل في النظر، ويوضع موضع الصفة.

أَسَنَ الماءُ يَأْسِنُ<sup>(١)</sup> فهو آسن: إذا تغير، وكذلك أجن يأجن، وفيه ثلاث لغات، ويقال: تأسن تغير، وأَسَنَ الرجل: غشي من ريح البثر، والمصدر أَسْنٌ وأُسُونٌ، وماء آسن: متغير، ويقال: صفا الشيء يصفو فهو صافٍ، وصفيته إذا لم يشبه غيره، والمصفى الذي لا يشوبه شيء.

والمعى: جمعه: أمعاء، ويقال: مَعَى ومِعْيَان وأمعاء، ومنه الحديث: «المؤمن يأكل في معاء واحد، والكافر في سبعة أمعاء»، قيل: فيه وجوه من التأويل: أولها: أن المؤمن يسمى الله تعالى فيبارك له في أكله.

وثانيها: أنه في رجل خاص.

وثالثها: هو مَثَلٌ للمؤمن في زهده في الدنيا، وللكافر في حرصه عليها، وهذا أحسن ما قيل فيه.

ورابعها: أن المؤمن تضيق عليه الدنيا، والكافر يصيب منها.

### الإعراب

«مَثَلٌ» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، تقديره: فيما يتلى عليكم مثل الجنة، وقيل: هو ابتداء وخبره محذوف، أي صفة الجنة ما ذكرنا، وهو أن فيه كذا، وقال: «أهلكناهم» ولم يقل: أهلكناها؛ لأنه أراد الأهل.

«قوة» نصب على التمييز.

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: كم من قرية.

### النزل

قيل: لما خرج رسول الله ﷺ إلى الغار التفت إلى مكة، وقال: «أنت أحب بلاد

(١) الأنهار: -، ت، ك.

الله إلى الله وإِلَيَّ، ولو لم يخرجوني ما خرجت»، فنزلت: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ﴾، عن ابن عباس.

وقيل: نزل قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في أبي جهل وأصحابه من المشركين.

### المعنى

لما ذكر أنه ولي المؤمنين بين ما يفعل بهم، فقال - سبحانه -: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أي: من تحت أشجارها وأبنيتها الأنهار<sup>(١)</sup>.

ثم بين حال الكفار فقال - سبحانه -: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ» أي: ينتفعون بالدنيا وملاذها «وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ» أي: همتهم في بطونهم وفروجهم<sup>(٢)</sup> همة الأنعام، يتمتعون بها، ويتباهون بفروجهم<sup>(٣)</sup> غافلين عن الآخرة، وقيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع. «وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ» أي: منزل وموضع إقامة.

ومتى قيل: إذا كان التمتع والأكل مباحًا، فلم<sup>(٤)</sup> ذمهم عليهما؟

قلنا: الذم إنما توجه على أنهم جعلوا أيامهم مقصورة على الأكل والتمتع، وأعمالهم للدنيا، وغفلوا عن الآخرة، فأما إذا عمل بطاعة الله، وجعل الدين مقصودًا، والدنيا تبعًا وزادًا، فذلك غير مذموم.

«وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ» أي: كم من قرية «هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ» قوتهم أعظم من قوة أهل قريتك «أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ» أي: لم ينصرهم أحد في دفع الهلاك عنهم، و«أَخْرَجْنَاكَ» أَلْجَأْنَاكَ إِلَى الْخُرُوجِ؛ لأنه خرج بنفسه «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ» يعني من كان في دينه وما يعتقد من التوحيد والعدل والشرائع «عَلَى بَيِّنَةٍ» أي: حجة لأجلها

(١) وفروجهم: -، ت، ك.

(٢) بفروجهم: +، ت، ك.

(٣) فلم: فلماذا، ت، ك.

(٤) علم: عمله، ت، د.

اعتقدها لا تقليدًا ولا تبخيتًا، قيل: محمد ﷺ والمؤمنون «كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ» قيل: زينه لنفسه، وقيل: زين لهم الشيطان، وقيل: زينه بعضهم لبعض، وسوء عمله ما يدينون به من الكفر، ويعملون من المعاصي، «وَاتَّبِعُوا» في ذلك «أَهْوَاءَهُمْ» من دون حجة، يعني لا يستوي من يتبع الدليل ومن يتبع الهوى، وقيل: على بينة من ربه، أي: علم<sup>(١)</sup>، وهدى إليه «وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ» عام في كل كافر ومبتدع، وقيل: أبو جهل وأصحابه، وليس بالوجه؛ لأن المراعى عموم اللفظ لا السبب «مَثَلُ<sup>(٢)</sup> الْجَنَّةِ» قيل: شبه الجنة ونظيره، وقيل: صفة الجنة «الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ» أي: وعدها الله لمن اتقى معاصيه.

ثم بيّن صفة الجنة، فقال - سبحانه - : «فِيهَا أَنْهَارٌ» قيل: أراد به<sup>(٣)</sup> الأنهار المعروفة بجمع نهر، يعني: يجري الماء في الأنهار، وقيل: أراد بالأنهار هذه الأشياء، عن أبي مسلم. «مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ» أي: غير متغير، وقيل: غير منتن، عن قتادة. «وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ»؛ لأنه لم يخرج من ضرع «وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ» خلاف خمور الدنيا فإن<sup>(٤)</sup> فيها رائحة كريهة وطعم مرارة، وقيل: يبقى طيبها في الحلق أربعين<sup>(٥)</sup> سنة، ولا تخامر العقل، ولا تصدع، ويلتذون بها لطيب طعمها «وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى» أي: خالص من كل شائب شمع أو غيره «وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» أي: من أنواعها «وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ» لذنوبهم «كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ» قيل: فيه حذف، أي: من كان في هذه الجنة كمن هو خالد في النار؟ فحذف لدلالة الكلام عليه «وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا» حارًا «فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ» قيل: إذا قربوه<sup>(٦)</sup> من وجوههم شوى وجوههم، وإذا شربوه قطع أمعاءهم.

(١) مثل: ومثل، د.

(٢) به: -، ت، ك.

(٣) فإن: +، ت.

(٤) أربعين: أربعون، ت، ك.

(٥) قربوه: قربوها، ت، ك.

(٦) مصروفة: موصولة، ت، ك.

## الأحكام

يدل قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على أنه لا ينبغي للإنسان أن تكون همته مقصورة على لذات الدنيا؛ بل تكون مصروفة<sup>(١)</sup> إلى ثواب الآخرة.  
ويدل قوله: ﴿أَفَن كَانَ عَلَىٰ يَمِينِهِ مِّن رَّيِّهِ﴾<sup>(٢)</sup> أن الواجب اتباع الأدلة دون الإلف والهوى.

ويدل قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أن الجنة للمتقين، خلاف قول المرجئة.  
ويدل قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على أن جميع ذلك أفعال العباد حادثة<sup>(٣)</sup> من جهتهم، وأن الثواب والعقاب جزاء عليهما، خلاف قول المجبرة.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِّنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَءَانَّهُمْ وَقَبْهُنَّ ۖ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۚ ﴿١٦﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۚ ﴿١٧﴾﴾.

## القراءة

قرأ ابن كثير في إحدى الروايتين عنه: «أَنفَا» بغير مد، الباقيون: «أَنفَا» بالمد.

## اللغة

الأنف: الجائي بأول المعنى، مأخوذ من استأنفت الشيء: ابتدأته، ومنه:

(١) من ربه: -، ت، ك.

(٢) أفعال العباد حادثة: فعل العبيد وحادثة، د.

(٣) ترع: يدع، ت.

الأنف، ومنه: الأنفة، فروضه آنفة: إذا لم تُرْعَ<sup>(١)</sup> بعد، والاستئناف معناه الابتداء، وكأس أنف: ابتدأ الشراب بها لم يشرب بها قبل ذلك، وأنف الشيء أوله، وأنف السير<sup>(٢)</sup> أي<sup>(٣)</sup>: العدو أوله.

والطبع والختم بمعنى، وهو علامة تجعل على الشيء.

والهوى: هوى النفس، وهو ميله إليها، والهواء بالمد الجو، استهواه الأمر، أي: دعاه إلى الهوى.

والبغاة: الفجأة.

والأشراط: العلامات، واحدها شرط، قال جرير:

تَرَى شَرْطَ الْمِعْزَى مُهُورَ نِسَائِهِمْ      وفي شَرْطِ الْمِعْزَى لَهْنٌ مُهُورٌ<sup>(٤)</sup>

شرط المعزى: رذالها، وأشرط نفسه للهلكة: إذا جعلها علماً للهلاك، والشرط قيل: أخذ من العلامة؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها، وقيل: أخذ<sup>(٥)</sup> من شَرْطِ المعزى؛ لأنهم رذال، ومنه: الأشراط الذي يشترط بعض الناس على بعض أنها هي علامات يجعلونها بينهم، وأشراط النبي ﷺ وأوامره.

والتقلب: التحول من حال إلى حال، والمنقلب موضع [الذي] ينقلب<sup>(٦)</sup> [إليه أي يرجع].

والمثوى: المكان الذي يُثْوِي فيه أي: يقيم.

(١) السير: السيد، ت، ث، د، ك. وكتب فوقها في د: أظنه السير. كما أثبتناه.

(٢) أي: +، ت، ك.

(٣) البيت قائله جرير وفي رواية:

تساق من المعزى مهود نسائهم

أنظر: الصحاح (شرط)، تابع العروس (شرط)، لسان العرب (شرط).

(٤) أخذ: +، ت، ك.

(٥) ينقلب: تقلب، ت، ث، د، ك.

(٦) تأتهم: تاتيهم؛ ت، د، ك.

## الإعراب

الفاء في قوله: ﴿جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ عطف على جملة فيها معنى الجزاء، كأنه قيل: إن تأتاهم<sup>(١)</sup> بغتة فقد جاء، إلا أن القراءة بفتح (أن).

و(أنى لهم) استفهام، والمراد من أين وكيف، ومنه: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]، قال الكمي:

أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ أَبْكَ الطَّرْبُ

ومعناه: التقرير عليهم، أي: ليس لهم ذلك.

## النزول

قيل: نزل قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا﴾ في المنافقين، ﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ في ابن مسعود، وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب الناس، ويعيب المنافقين، فلما خرجوا قالوا لابن مسعود: ما قال؟ عن مقاتل. وقال ابن عباس: ﴿لِلَّذِينَ<sup>(٢)</sup> أُوتُوا﴾ أنا منهم، وقد سئلت فيمن سئل.

## المعنى

ثم بين تعالى حال المنافقين، فقال - سبحانه -: «وَمِنْهُمْ» أي: من الكافرين الذين تقدم ذكرهم؛ لأن<sup>(٣)</sup> المنافق كافر، وقيل: الضمير يعود إلى الفرقة المستمعة «مَنْ يَسْتَمِعْ إِلَيْكَ» أي: إلى قراءتك ودعوتك وكلامك، أراد المنافقين يستمعون ولا يعون، ولا يتفكرون «حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ» أي: تفرقوا من مجلسك<sup>(٤)</sup> «قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» من الصحابة وهم الذين استمعوا القرآن وقبلوه وعملوا بما فيه «مَاذَا قَالَ أَنفًا» يعني أي شيء كان يقول الرسول الساعة؟ وقيل: قالوا ذلك تبعيداً من الصواب،

(١) للذين: الذين، ت، د، ك.

(٢) لأن: بأن، ت، ك.

(٣) مجلسك: محللتك، د.

(٤) يعني: +، ت، ك.

وتحقيقاً لقوله، يعني <sup>(١)</sup> لم <sup>(٢)</sup> يقل شيئاً فيه فائدة، وقيل: يحتمل أنهم سألوا رياء ونفاقاً، أي: لم يذهب عني من قوله إلا ما قال أنفاً، فماذا قال؟ أعدّه عليّ لأن أحفظه «أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أي: وسم بسمه الكفار، وقيل: أولئك الذين خلا بينهم وبين اختيارهم إذ لم يكن لهم لطف حتى <sup>(٣)</sup> يهتدوا، وصارت قلوبهم مطبوعاً عليها «وَاتَّبَعُوا» <sup>(٤)</sup> أهواءهم أي: اتبعوا الهوى دون الدليل «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا» يعني المؤمنين اهتدوا بما سمعوا عن النبي ﷺ «زَادَهُمْ هُدًى» الضمير في قوله: «زادهم» يحتمل ثلاثة أوجه: قيل: زادهم الله، وقيل: زادهم قراءة القرآن وقول النبي، وقيل: استهزاء المنافقين زاد هؤلاء المؤمنين، وقوله <sup>(٥)</sup>: «زَادَهُمْ هُدًى» قيل: أدلة يشرح <sup>(٦)</sup> بها صدورهم، ويقوي بصيرتهم، ويشبهم على الدين، وقيل: زادهم ألطافاً <sup>(٧)</sup>، وقيل: اهتدوا بالإيمان زادهم بالشرائع <sup>(٨)</sup> هدى، وقيل: اهتدوا بالمنسوخ وزادهم هدى <sup>(٩)</sup> بالناسخ، وقيل: زادهم استماع القرآن هدى «وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ» قيل: آتاهم تقواهم بلطفه لهم، وقيل: آتاهم ثواب تقواهم؛ عن سعيد بن جبیر، وأبي علي، وأبي مسلم، وقيل: آتاهم بما سمعوا من النبي ﷺ ما تتقوى به بصائرهم، ولا يجوز أن يحمل على <sup>(١٠)</sup> أنه تعالى يخلق فيهم تقواهم، لأنه يبطل أن يكون فعلهم مضافاً إليهم، ولا يستحقون به مدحاً، ولا بتركة ذمّاً «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» فجأة من غير أن يشعروا بها «فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا» قيل: علاماتها، واختلفوا في ذلك، فقيل: هو بعثة محمد ﷺ، ونزول آخر الكتب، وانشقاق القمر، وقيل: المراد بالآية أنه لا

(١) لم: ولم، د.

(٢) حتى: حتى لم، ت، ك.

(٣) واتبوا: فاتبعوا، ت، ك.

(٤) وقوله: وقولهم، ت.

(٥) يشرح: شرح، د، ك.

(٦) ألطافاً: اللطافاً، ت.

(٧) بالشرائع: الشرائع، د.

(٨) هدى: -، ت.

(٩) على: -، ت.

(١٠) ولؤم: وليمة، د، ك.



مطمع لهم في الخلود، ولا بد من الموت والبعث، وأنه لا نبي بعده ﷺ ليؤمنوا به، عن أبي مسلم، وقيل: أشراطها: موت النبي، وانقطاع الرُوحى؛ إذ لا نبي بعده، فيعلم قرب القيامة، وقيل: أشراطها كثرة المال والتجارات، وشهادات الزور، وقطع الرحم، وكثرة اللثام، ولؤم<sup>(١)</sup> الكرام، عن الكلبي، وعن النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال قبل<sup>(٢)</sup> طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، وخويصة أحدكم» يعني الموت «فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ» يعني فمن أين لهم الذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة؟ والذكرى: ما أمر الله عباده أن يتذكروا به، قيل: (أنى) بمعنى متى يكون ذكراهم إذا لم يتفكروا في الدنيا، وقيل: (أنى) بمعنى كيف، والمراد نفي الانتفاع بالذكرى «فَاعْلَمْ» أدخل الفاء فيه؛ لأنه في معنى المجازاة، تقديره: بَيَّنَّا السبيل وأقمنا الدليل «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فيه قولان:

أحدهما<sup>(٣)</sup>: أنه خطاب لغير النبي ﷺ وتقديره: فاعلم أيها السامع، وقيل: الخطاب له والمراد أمته<sup>(٤)</sup>، ونظائره يكثُر، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق: ١].

والثاني: أن الخطاب للنبي ﷺ، ثم اختلفوا، فقيل<sup>(٥)</sup>: معناه اثبت على العلم في المستقبل، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا﴾ [النساء: ١٣٦]، عن أبي علي، وقيل: فاعلم إذا جاءت القيامة، فلا كلمة تنفع مثل كلمة لا إله إلا الله، وقيل: أخبر بموته<sup>(٦)</sup> فاعلم له: فاعلم أن الحي الذي لا يموت هو الله وحده، وقيل: فاعلم بمعنى فاشهد؛ لأن الشهادة تتبع العلم، وقيل: ازدد علماً إلى علمك، وقيل: كان يضيق صدره من أذى الكفار، فقيل: فاعلم أنه لا كاشف لذلك غير الله - تعالى -،

(١) قبل: أشياء، ت، د، ك؛ وفي هامش ك: أظنه قبل طلوع. كما أثبتناه.

(٢) أحدهما: أولهما، ت، ك.

(٣) أمته: غيره، ت.

(٤) فقيل: قبل، ت.

(٥) بموته: مرة، ت، د.

(٦) استغفر: يستغفر، ت، ك.

وهو متصل بما قبله، أي: فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفرج عند قيام الساعة إلا الله، عن أبي العالية، وسفيان بن عيينة، وقيل: لا ناصر ذلك اليوم، ولا مالك غير الله.

«وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ» قيل: الخطاب لغيره، وقيل: ليبشر به أمته، وقيل: المراد به الانقطاع إليه تعالى، وهي عبادة يستحق عليها الثواب، وقيل: استغفر<sup>(١)</sup> كلما تذكرت الصغائر، وقيل: سل المغفرة لذنوب أمتك «وَاللَّهُ يَغْلُمُ مُتَقَلِّبُكُمْ وَمَثْوَاكُمْ» قيل: متقلبكم في أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، ومثواكم مقامكم في الأرض، عن عكرمة، وقيل: متقلبكم من ظهر إلى بطن، ومثواكم: مقامكم في القبور، عن ابن كيسان، وقيل: متقلبكم: متصرفكم في الدنيا، ومثواكم: مصيركم إلى الجنة أو إلى النار، عن ابن عباس، والضحاك، وأبي مسلم، وقيل: متقلبكم: متصرفكم بالنهار، ومثواكم: مضجعكم بالليل بالنوم، عن ابن جرير، أي: لا يخفى عليه شيء من أحوالكم، وقيل: متقلبكم من<sup>(٢)</sup> حال المعصية إلى حال الطاعة، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الفسق إلى التقوى.

### الأحكام

يدل قوله: «وَالَّذِينَ آهَدُوا» أن القوم لم يستمعوا للاسترشاد، وأنهم كانوا منافقين، وأنه ينبغي للعاقل أن يستمع ويتفكر؛ ليعلم الحق، وعن قتادة: هؤلاء رجلان: رجل غفل عن الله فما انتفع بما سمع، ورجل لم يغفل عن الله فانتفع بما سمع.

ويدل قوله: «وَالَّذِينَ آهَدُوا زَادَهُمْ هُدًى»<sup>(٣)</sup>. أن زيادة الهدى الألفاظ<sup>(٤)</sup> منه دون خلق الإيمان على ما تزعمه المجبرة.

ويدل قوله: «فَاعَلَوْا» على وجوب العلم بالله تعالى وصفاته.

(١) من: عن، ت، د، ك.

(٢) زادهم هدى: +، ت.

(٣) الألفاظ: للإلفاظ، د.

(٤) فیدل: ويدل، د، ك.

ويدل قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ﴾ على وقوع ذنب منه، فيدل<sup>(١)</sup> على جواز الصغائر على الأنبياء، خلاف قول الإمامية.

ويدل على وجوب الاستغفار.

ويدل على وجوب الاستغفار<sup>(٢)</sup> للغير، وأنه يكون للمؤمن.

وتدل أن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين<sup>(٣)</sup>.

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَلَيْسَتْغْفِرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ<sup>(٤)</sup> فَإِنَّهُ صَدَقَ».

قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٠﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾.

### ❁ القراءة

قراءة العامة: «سورة مُحْكَمَةٌ» وعليها المصاحف، وفي حرف ابن مسعود: (سورة محدثة).

(١) ويدل على وجوب الاستغفار: +، ت، ك.

(٢) للمؤمنين: للمؤمن، د، ك.

(٣) والمؤمنات: والمؤمنات، ت.

(٤) وليتكم: والاكم، ت، د، ك.

قرأ أبو عمرو ويعقوب: «وَأْمَلِي لَهُمْ» بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء، على ما لم يسم فاعله، وروي عن يعقوب بضم الألف وسكون الياء على أنه مضاف إلى الله تعالى، ومثله عن مجاهد وأبي حاتم، أخبر عن نفسه أنه يفعل ذلك، ونظيره: ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥]. وقرأ الباقر: «أَمْلى» بفتح الألف واللام وسكون الياء على فعل ماضٍ، يعني الشيطان أملى لهم فاغتروا بوسوسته، وقيل: الله أملى لهم أي: أمهلهم حتى اغتروا.

وقرأ يعقوب وأبو حاتم وسلام: «تَقَطَّعُوا» بفتح التاء والطاء وسكون القاف مخففة من قَطَعَ يَقْطَعُ اعتباراً بقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٣] والقراء أجمعوا على القراءة: «تَقَطَّعُوا» بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء وتشديدها، من قَطَعَ يَقْطَعُ، والمراد به المبالغة لأجل الأرحام.

قراءة العامة: «إِنْ تَوَلَّيْتُمْ» بفتح التاء والواو واللام، وروي عن النبي ﷺ من طريق الأحاد: «إِنْ وَلَيْتُمْ» من الولاية. وقرأ علي عليه السلام: «تَوَلَّيْتُمْ» بضم التاء والواو وكسر اللام، يعني إن وليتكم<sup>(١)</sup> ولادة جائزة خرجتم معهم<sup>(٢)</sup> في الفتنة وعاونتموهم<sup>(٣)</sup>، وروي مثله عن يعقوب.

### اللغة

العزم والقصد بمعنى، والعزم: العقد على الفعل بإرادة أن يفعله، والعازم: العاقد.

والتدبر<sup>(٤)</sup>: النظر في عاقبة الأمر.

والارتداد: الرجوع عن الحق إلى الباطل.

وعسيتم: فعلتم من (عسى).

(١) معهم: معه، ت، د، ك.

(٢) عاونتموهم: وعاديتموهم، ت؛ وعاونتموه، د، ك.

(٣) والتدبر: والتدبير، ت.

(٤) أمنيته: منيته، ت.

وَسَوَّلَ: مأخوذ من التسويل، وسولت له الشيء: زينت حتى صار سُؤْلَهُ، أي: أمنيته<sup>(١)</sup>.

والإملاء: الإمهال، وتطويل المدة، يقال: أقام مَلَاوَةً من دهر، أي: حينًا، وأملت: أَخَرْتُ، ومنه قيل للصحراء الواسعة: المَلَا.

### الإعراب

﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ﴾ استفهام، والمراد التوبخ والتقريع.

﴿وَأَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ عطف على لفظ الاستفهام، تقديره: أفلا يتدبرون أم على<sup>(٢)</sup> قلوب أقفالها؟

وفي رفع ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه خبر ابتداء محذوف، وتقديره: طاعة أحسن وأولى بالحق<sup>(٣)</sup> من أحوال هؤلاء المنافقين.

﴿خَيْرٌ﴾ خبر (كان)، والاسم مضمّر، تقديره: لكان التصديق خيرًا، يدل عليه قوله: ﴿فَلَوْ كَذَبُوا اللَّهَ﴾.

### النزول

قيل: في قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ نزل في بني أمية وبني هاشم، عن الفراء والأصم.

### المعنى

ثم بيّن تعالى صفة المنافقين فقال - سبحانه -: «وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا» اشتياقًا إلى الوحي، وحرصًا على الجهاد «لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ» بأمر الجهاد «فَإِذَا أَنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ» بالأمر والنهي، قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي

(١) أم على: أعلى؛ ت، ك؛ على، د.

(٢) بالحق: بالخلق، ت.

(٣) القتال: الجهاد، ت، ث، ك.

أشد القرآن على المنافقين، وقيل: تأويله وتنزيله واحد، عن أبي علي. «وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ» أي: أمروا به «رَأَيْتَ» يا محمد «الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أي: شك وكفر، يعني المنافقين «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ» من الخوف والجبن نظرًا شزرًا بتحديق شديد كراهة القتال<sup>(١)</sup> كـ «نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» يعني الدهش المغموص ذي الحيرة الشديدة، كأنه نظر ممن<sup>(٢)</sup> غشي عليه غشية الموت، وهو المحتضر، ولا حال يوصف به الجبان أبلغ مما وصف به «فَأُولَى لَهُمْ» قيل: وعيد، عن قتادة، وقيل: العقاب لهم وأولى بهم، وقيل: أولى لهم بعدًا وسحقًا، وقيل: أولى لهم طاعة وقول معروف، وقيل: اللام بمعنى الباء، أي: أولى بهم.

واختلف المفسرون في قوله: «طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ» على أقوال ثلاثة:

أولها<sup>(٣)</sup>: أنه يتصل بما قبله، ثم اختلفوا، فقيل: العقاب أو الوعيد لهم على ما ذكرنا، وقيل: بُعْدًا وسحقًا، وقيل: أولى بهم طاعة، وقيل: تقديره: إذا أنزلت سورة ذكر فيها القتال [وقال المؤمنون]: طاعة وقول معروف رأيت الذين في قلوبهم مرض.

وثانيها: أنه كلام مبتدأ، ثم اختلفوا، فقيل: يقول هؤلاء المنافقون عند نزول الآية: طاعة أي: أمرنا طاعة، وقول معروف: حَسَنٌ، لا ينكره السامع، وقيل: قول معروف أن يقول: سمعنا وأطعنا، وقيل: الذي أمروا به طاعة وقول معروف، عن ابن عباس، وقيل: طاعة وقول معروف أمثل بهم وأولى بالحق، وقيل: طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم، عند نزول فرض الجهاد، عن الحسن، وأبي علي، الطاعة خير لهم من الجبن والجزع، وإظهار الكراهة.

وثالثها: أنه يتعلق بما بعده، وفيه تقديم وتأخير، تقديره: فإذا عزم الأمر فليكن طاعة وقول معروف.

«فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ» أي: جد الأمر وعزم عليه، وأمروا بالقتال. «فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ»

(١) ممن: من، ت.

(٢) أولها: الأول، د.

(٣) اعتلوا: يقتفوا، ت، د.

في إظهارهم للإيمان والطاعة «لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» من الشك الذي في قلوبهم، وقيل: من المعاذير الكاذبة التي اعتلوا<sup>(١)</sup> بها في التخلف عن الجهاد، فإذا<sup>(٢)</sup> حضر الجهاد تخلفوا عنه، ولو حضروه لكان الحضور خيرًا لهم، وقيل: لو صدقوا الله ألا<sup>(٣)</sup> يضمروا خلاف ما أظهروا لكان خيرًا لهم.

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ» فيه قولان:

الأول: (تولى) بمعنى أعرض، من الإعراض، وهو ترك القبول أي: أمرتم بالطاعة، فأعرضتم عنها.

الثاني: من الولاية، والمعنى: هل تقدرون أنكم إذا أُمِرْتُمْ بالطاعة أعرضتم.

«أَنْ تُفْسِدُوا»<sup>(٤)</sup> فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، وعلى الوجه الثاني: هل تقدرون أنكم تتمكنون في الأرض، فتفسدون بالقتل والأسر والغار، وتقطعون أرحامكم بمحاربة أقاربكم من المسلمين، فأيسهم الله مما قدروا في أنفسهم، وقيل: قل للمؤمنين: هل تحبون<sup>(٥)</sup> أن تكونوا مثل هؤلاء المنافقين، فتتولوا عن الرسول، وتفسدوا في الأرض، وتقطعوا الأرحام، عن أبي مسلم، وقيل: تقديره: هل تقدرون أن يخليكم الله والإفساد في الأرض وقطع الأرحام إن أردتم ذلك، وتوليتم عن الرسول، وقيل: معناه: لعلكم إن أعرضتم عن القرآن أن تفسدوا في الأرض، وتعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفرقة، قال قتادة: كيف رأيتكم القوم حين تولوا عن القرآن ألم يسفكوا الدم، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟ «أُولَئِكَ» يعني من كان عزمه الإفساد «الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ» أي: أبعدهم عن رحمته «فَأَصَمَّهُمْ»<sup>(٦)</sup> وَأَعَمَّى

(١) فإذا: فإذا قيل فإذا، ث، د، ك.

(٢) ألا: بأن؛ ت، ك؛ أن لا، ث، د.

(٣) أن تفسدوا: وتفسدوا، ت، ث، د، ك.

(٤) تحبون: يجوز، ت.

(٥) فأصمهم: وأصمهم، ت.

(٦) أعلى: على، د.

أَبْصَارَهُمْ» أي: لا يعون ما يسمعون، ولا يبصرون ما به يعتبرون، فهم بمنزلة الأصم والأعمى، عن أبي مسلم، وقيل: في الآخرة لا يهتدون إلى الجنة، بمنزلة الأعمى في الدنيا، عن أبي علي، ولا يجوز حمله على أنهم صاروا صمًا عميًا؛ لأنهم لو كانوا كذلك لما ذموا على أنهم لا يسمعون، ولا يبصرون، وقيل: الصمم لا يذكر إلا في الأذن فلذلك أطلق، والعمى يذكر مقرونًا بالبصر وبالقلب وغيره؛ فلذلك قرنه بالإبصار «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ» أي: هلا يتفكرون فيه، يعني في أوامره، ونواهيها، ومواعظه، وأدلتها «أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» قيل: (أم بمعنى الاستفهام، أي: أعلى<sup>(١)</sup>) قلوب أقفال تمنعهم عن الإيمان، وقيل: (أم بمعنى بل؛ أي<sup>(٢)</sup>) بل على قلوبهم أقفال، والأول: إنكار، أي: ليس على قلوبهم ما يمنعهم من الإيمان. والثاني: بل في قلوبهم من الكفر والإلف والعادة ما يمنعهم من الإيمان «إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَذْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى» أي<sup>(٣)</sup>: تركوا الإسلام بعدما بان لهم طريق الحق، وقيل: هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ، وكانوا يعرفونه، ويجحدون بعثته، مكتوبًا عندهم، عن قتادة، وقيل: هم المنافقون، عن ابن عباس، والضحاك، والسدي، كانوا يؤمنون عند النبي ﷺ ثم يظهرون الكفر عند قومهم، فذلك ردة منهم، وقيل: هم قوم أسلموا بمكة ثم ارتدوا، وقتلوا يوم بدر، «الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ» قيل: زين لهم من أفعالهم ما وافق أهواءهم، وأعطاهم سؤلهم، وقبلوا منه، أي: دعاهم الشيطان إلى ما يريدون، ووافق دعائه مرادهم، وسؤلهم وأمنيتهم، عن أبي مسلم، وقيل: سهل لهم «وَأَمْلَى لَهُمْ» وقيل: أوهمهم طول العمر مع الأمن من المكاره، وأبعد لهم في الأمل والأمنية، وقيل: بسط لهم آمالًا فاغترتوا بها، واتكلوا عليها، وقيل: الله أملى لهم، أي: مد لهم حتى اغتروا.

(١) بل أي: -، ت.

(٢) أي: أن، د.

(٣) تمنوا: سألوا، ت، ث، د، ك. وكتب فوق ك: (سألوا) لفظة: (تمنوا) ظ.



## الأحكام

يدل قوله: ﴿سُورَةٌ تُحْكَمُ﴾ أن في القرآن ما هو بَيِّنُ المعنى .

وتدل على حدث القرآن؛ لأن القديم لا يجوز أن يكون مُنْزَلًا، فلا تصح أحكامه .

وتدل على حرص المؤمن على الطاعات بخلاف المنافق، وكذلك أنسهم بالوحي، وحثهم للجهاد، فإذا طال مثواهم في رفاهية تمنوا<sup>(١)</sup> نزول سورة؛ وذلك لإيمانهم بالله ورسوله .

ويدل قوله: ﴿فَأَصْمَهُمْ﴾ أن من لم يتتبع بالمواعظ فهو كالأصم والأعمى .

ويدل قوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ﴾ على وجوب التفكير في القرآن، دل أنه حجة ودلالة .

وتدل على أن التدبر فعلهم، وأنهم متمكنون منه، والإعراض فعلهم .

ويدل قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أن إجابة الرسول لطف في الامتناع من الفساد، وقطع الرحم، وترك إجابته داع إلى ذلك، فدل على أن ذلك فعلهم .

ويدل قوله: ﴿أَزِيدُوا﴾ على أن المؤمن قد يرتد، خلاف ما قاله بعضهم .

ويدل قوله: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أن الفعل<sup>(٢)</sup> لهم والتزيين<sup>(٣)</sup> من قِبَلِ الشيطان، خلاف قول المجبرة .

(١) الفعل: الفضل، د .

(٢) والتزيين: والتزيد، د؛ والتزين، ت .

(٣) اللحن: الحن، ت .

قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطِيْعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَكَةُ يَضْرِبُوتَ وُجُوْهُهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعْرِفْنَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ \*

### القراءة

قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «إسراهم» بكسر الألف، الباقون بفتحها، فالكسر على أنه مصدر أسرَّ إسرارًا، وهو الإخفاء، والفتح على أنه اسم، وهو جمع سرّ.

### اللغة

الأضغان: جمع ضِغْنٍ، وهو الحقد، يقال: أضغن عليه فعله: إذا حقدته. والسيماء: العلامة.

واللحن: أصله إزالة الكلام عن جهته، ثم يستعمل على وجهين في الصواب والخطأ، أما الصواب فمعنى اللحن: فحوى الكلام ومعناه، والفعل منه لَحَنَ يَلْحَنُ لَحْنًا، فهو لاحن: إذا فطن معناه، ومنه: اللحن<sup>(١)</sup> الفطنة، ومنه الحديث: «لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض» أي: أفطن بها، ومنه قول الشاعر:

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ<sup>(٢)</sup> أَحْيَانًا      وَخَيْرُ الْكَلَامِ مَا كَانَ لَحْنًا<sup>(٣)</sup>

(١) تلحن: ويلحن؛ ت، د، ك.

(٢) البيت قائله مالك بن أسما الفزاري وبرواية أخرى:

وحديث ألذه هو مما.

منطق رائع وتلحن أحيانا

لسان العرب (لحن)، الصحاح (لحن).

ينعت الناعتون يوزن وزنا  
وخير الحديث ما كان لحنًا

وسمي التعريض لحنًا؛ لأنه ذهاب بالكلام إلى غير جهته، وتسمى اللغة لحنًا، ومنه قول عمر: (تعلموا اللحن كما تعلموا القرآن) يعني اللغة، ويحتمل التعريض، وقوله: (أَبِي أَقْرُونَا، وَإِنَّا لَنَرْغَبُ<sup>(١)</sup> عن كثير من لحنه أي: من<sup>(٢)</sup> لُغَتِهِ).

وأما الخطأ: فهو إزالة الإعراب عن جهته، والفعل منه لَحَنَ يَلْحَنُ لَحْنًا، فهو لاحن، وذكر أبو عبيد في قول عمر: (تعلموا اللحن<sup>(٣)</sup> أي: الخطأ<sup>(٤)</sup>). وحمل الجاحظ (ويلحن أحيانًا) على الخطأ، وليس بالوجه، والصحيح ما ذكرناه أولاً.

### المعنى

ثم بيّن تعالى سبب استيلاء الشيطان عليهم، وقبولهم عنه، فقال - سبحانه -: «ذَلِكَ» إشارة إلى تسويل الشيطان، يعني إنما تمكن الشيطان منهم، وقبلوا منه؛ لما في قلوبهم من الكيد والخيانة للرسول، ولولا ذلك لما قبلوا منه «بِأَنَّهُمْ» يعني المنافقين، وقد تقدم ذكرهم، وقيل: كفار أهل الكتاب، وقيل: الذين ارتدوا «قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ<sup>(٥)</sup> اللَّهُ» وهم المشركون «سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ» يعني في مخالفة محمد، وفي القعود عن الجهاد «وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ» أي: يعلم ما يخفون في ضمائرهم «فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ» فحذف لدلالة الكلام عليه، وفي معنى توفتهم الملائكة، أي: يقبضون أرواحهم عند الموت «يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ» عقوبة لهم وفضيحة، فعبر بالوجه عما أقبل من أجسادهم، وبالأدبار عما أدبر منها، وأراد إيصال الآلام إليهم من كل جهة<sup>(٦)</sup> «ذَلِكَ» أي: ما تقدم ذكره من العذاب إنما<sup>(٧)</sup> نالهم، «بِأَنَّهُمْ»<sup>(٨)</sup>

(١) لَنَرْغَبُ: أَرُغِب، د.

(٢) من: -، ت، ك.

(٣) اللحن: الحن، ت.

(٤) الخطاء: الخط، ت.

(٥) ما نزل: ما أنزل، ت، د، ك.

(٦) جهة: وجه، ت.

(٧) إنما: لما، ت، د، ك.

(٨) بأنهم: لأنهم، ت، د، ك.

اتَّبِعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ» من الكفر والفسق «وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ» أي: سبب رضوانه، وهو الإيمان والطاعة «فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» قيل: أبطل ما عملوا في كيد النبي ﷺ والمسلمين، وأظهره عليهم، وقيل: أحبط ثواب أعمالهم التي هي محاسن عقلية، كصلة الرحم، وفك الأسارى، وقرى الضيف، وبر<sup>(١)</sup> الأقارب، والإنصاف، ورد الأمانة، وترك القبائح «أَمْ حَسِبَ» ظن «الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» شك ونفاق، وقيل: غموا بما يرون من أمر رسول الله ﷺ «أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ» أي: أحقادهم، وبغضهم للنبي والمؤمنين «وَلَوْ نَشَاءُ لَارْتَيْنَاهُمْ» لأعلمناكم «فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ» بعلاماتهم وصفتهم، وروى أنس قال: (ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين)، «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» أي: فيما يظهر من<sup>(٢)</sup> مخازي كلامهم، وقيل: في معنى القول، عن ابن عباس، وقيل: في فحواه<sup>(٣)</sup>، عن الحسن، وقيل: لحن القول في المعاذير الكاذبة، كقولهم: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ﴾ [التوبة: ١٠٧]، عن الحسن، واختلفوا، فقيل: أرادوا إظهار الضغائن والعداوة، وقيل: أراد إظهار النفاق «وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ» أي: لا ينفعكم كتمان، فإنه تعالى يعلمه ويجازي عليه.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا﴾ أن كراهة ما نزل<sup>(٤)</sup> الله كفر.

ويدل قوله: «يضرّون» أن عند النزاع يعذب الكفار بخلاف المؤمن، فإنه يُيسَّر.

ويدل قوله: ﴿مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ أن الكفر والمعاصي تسخطه، خلاف قول المجبرة: إنه يرضاه، وكذلك قوله: ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ يبطل مذهبهم؛ لأن الله يكره الكفر والمعاصي، وعندهم أن الله يرضاه؛ لأنه خلقه، فقد كرهوا رضوانه.

وقوله: ﴿فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ يدل على التحابط، وأنه فعل للعبد.

(١) بد: من، ت، د، ك.

(٢) من: في، د، ك.

(٣) فحواه: قوله، ت.

(٤) ما نزل: ما أنزل، ت..

ويدل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾ أن الأعمال فعلهم.

قوله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَسَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا  
وَسَيُحِيطُ أَعْمَالُهُمْ ۖ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ  
ۖ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۖ﴾ ﴿٣٤﴾  
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَ أَعْمَالَكُمْ ۖ﴾ ﴿٣٥﴾ .

### ❁ القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ» بالياء «حتى يعلم» بالياء، «ويبلو» بالياء  
ترجع الكناية إلى اسم الله في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾، الباقون بالنون فيهما  
جميعاً، اعتباراً بقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ﴾.

قرأ يعقوب: «نبلو» ساكنة الواو ردّاً على قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾، وقرأ غيره بفتح  
الواو، ردّاً على قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾.

قرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم: «السُّلَم» بكسر السين، الباقون بفتحها، وهما  
لغتان.

### ❁ اللغة

الابتلاء والاختبار والامتحان نظائر، وهو في صفة الله تَوْسَعٌ، كأنه يعامل معاملة  
المبتلي؛ لأنه عالم بجميع المعلومات.

والشقاق: المباحدة والعصيان، كأنه صار في شق غير شق مَنْ يعاديه.

والوهن: الضعف، قال الفراء: يقال: وَهَنَ اللهُ، وأوهنه.

والسُّلَم: الصلح والمسالمة.

يقال<sup>(١)</sup>: وَتَرَ يَتَرُ نَقَصَ، وتره يتره<sup>(٢)</sup> نقصه، ومنه: «فكأنما أوتر أهله وماله»، وأصله: القطع، ومنه التَّرَةُ، القطع بالقتل، والوتر انقطع بانفراده عن غيره.

الأعلون: واحده الأعلى.

### ✽ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية في المطعمين يوم بدر وهم عشرة نفر، عن ابن عباس.

وقيل: نزل في المنافقين.

وقيل: نزل قوله: ﴿وَلَا بُطْلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾ في بني أسد، ونذكر قصتهم في الحجرات. عن مقاتل.

### ✽ المعنى

لما تقدم أنه يعلم أعمالهم عقبه بأنه مع علمه لا يجازيهم حتى يعملوا، فقال - سبحانه -: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ» أي: نعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي «حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ» قيل: حتى يعلم أوليائي [المجاهدين منكم]<sup>(٣)</sup>، وقيل: نعامله معاملة من يطلب العلم، وقيل: حتى يتميز المعلوم، يعني المجاهد والمخلص من غيره، وذكر العلم وأراد المعلوم؛ لأن الاختبار يراد ليعلم المعلوم، وقيل: حتى يعلم المجاهد واقعاً، كما علمه غير واقع قبل وقوعه، ولما كان ذلك<sup>(٤)</sup> بالتكليف صار ذلك عبارة عن البلوى، ولا يجوز أن يحمل على أنه تعالى<sup>(٥)</sup> يعلمه في الحال ولم يكن عالمًا به؛ لأنه تعالى عالم لذاته لم يزل ولا يزال بجميع المعلومات، فلا

(١) يقال: ويقال، ت.

(٢) يتره: يتر، ت.

(٣) المجاهدين منكم: +، الطوسي، التبيان، ٢٩٨/٩؛ الطبرسي، مجمع، ١٦٠/٩.

(٤) ذلك: -، ت، ك.

(٥) أنه تعالى: أن الله تعالى، ت؛ أن الله، ك.

يجوز عليه حدوث العلم، ولأن الإعلام قط لا يكون لظهور العلم؛ بل يكون لظهور المعلوم «وَنَبَلُّوْا أَخْبَارَكُمْ» قيل: نبين أخباركم وأعمالكم فيما نعدكم<sup>(١)</sup> به، فيظهر المغيب من ذلك، وقيل: نجازيكم عليها.

ثم عاد إلى ذكر الكفار، فقال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» قيل: أعرضوا عن دينه، وقيل: صدوا غيرهم، ويحمل عليهما؛ لأن الكافر كما يصد نفسه يصد غيره «وَشَاقُّوا الرَّسُولَ» عصوه وخالفوه «مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى» اتضح لهم الحق بالأدلة، قيل: هم قوم تبين لهم الهدى فارتدوا عنه، وقيل: هم المنافقون آمنوا ثم كفروا، وقيل: هم أهل الكتاب ظهر لهم<sup>(٢)</sup> أمر الدين فلم يقبلوا، وقيل: هم علماء السوء ورؤساء الضلالة، تمسكوا بالبدع والضلالة حفظاً على الجاه والرئاسة؛ لأن العناد يضاف إلى الخواص «لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا» بكفرهم، فإن وبال عنادهم يعود عليهم، فيضرون بأنفسهم «وَسَيُخِطُّ أَعْمَالَهُمْ» قيل: أعمالهم الذي قدروها طاعة، وليست كذلك، وقيل: أعمالهم في غير ذات الله تعالى لن تنفعهم، وقيل: طاعتهم التي لولا الكفر لأثبوا عليها، وقيل: هو كيدهم بالنبي ﷺ وأصحابه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ» فيما أمركم به «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» فيما بلغكم وشرع لكم «وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ» بالكفر والمعاصي، قيل: لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطل<sup>(٣)</sup> أعمالكم، فنزلت في بني أسد، عن مقاتل، وقيل: بالعجب والرياء، وقيل: بالكبائر «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» بينا<sup>(٤)</sup> معناه «ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ» أصرروا على الكفر «فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» (لن) للتأييد، أي: قط لا يغفر لهم: للكفار.

ثم عاد الكلام إلى الجهاد، فقال سبحانه: «فَلَا تَهِنُوا» قيل: لا تضعفوا، عن مجاهد، وابن زيد، يعني لا تضعفوا في لقاء العدو «وَتَذَعُوا إِلَى السَّلَامِ» إلى الصلح والمسالمة «وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ» أي: القاهرون الغالبون، عن مجاهد، أشار إلى أن الغلبة

(١) نعدكم: نعيدكم، ت.

(٢) ظهر لهم: يظهر لهم، ت.

(٣) فتبطل: فيبطل، ت، د، ك.

(٤) بينا: قد تقدم، ت؛ قلنا، ك.

للمؤمنين في الدنيا، والثواب في الآخرة، وأن الكفار مقهورون في الدنيا، ولا يغفر الله لهم في الآخرة، فلا تدعوا إلى الصلح «وَاللَّهُ مَعَكُمْ» أي: ناصركم، فلا تكونوا<sup>(١)</sup> أولى الطائفتين ضَرَعَتْ<sup>(٢)</sup> إلى صاحبتهما<sup>(٣)</sup>، عن قتادة. «وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالُكُمْ» قيل: لا ينقصكم أجور أعمالكم؛ بل يثيبكم عليها، ويزيدكم من فضله، عن مجاهد، وقيل: لن يظلمكم، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والضحاك.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على وجوه:

منها: قوله: «لنبلونكم» ولو كان خلقاً له<sup>(٤)</sup> لما صح.

ومنها: قوله مدحاً لهم: «الْمُجَاهِدِينَ» «وَالصَّابِرِينَ».

ومنها: قوله: «كُفُّوا»، «وَصُدُّوا»، «وَشَاقُّوا الرَّسُولَ».

ومنها: قوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ».

ومنها: قوله: «فَلَا تَهْتَفُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ».

ومنها: قوله: «وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ» وكل ذلك ينبئ أن أفعال العباد ليست

بمخلوقة لله تعالى.

ويدل قوله: «وَلَا تُبْطِلُوا» أن طاعات المؤمن تبطل بالكبائر.

ويدل قوله: «فَلَا تَهْتَفُوا» أنه لا يجوز موادة الكفار إذا كان بالمؤمنين<sup>(٦)</sup> قوة.

وصار ذلك كالدلالة على جوازه عند ظهور الضعف، وقيل: لا يجوز استدعائهم إلى

(١) فلا تكونوا: فلا تكون، د.

(٢) ضرعت: صرعت، ت، ك.

(٣) صاحبتهما: صاحبها، ت، ك.

(٤) له: +، ت، ك.

(٥) ولا: لا، ت.

(٦) بالمؤمنين: المؤمن، د، ك.



الصلح ابتداء، بل يجب عليهم الجهاد، فإذا دعوا جاز، والذي عليه مشايخنا، وأكثر الفقهاء هو الأول.

وبدل قوله: ﴿وَأَنْتُمْ أَلَعَلَّوْنَ﴾ أن المؤمن عالٍ<sup>(١)</sup> ولم يوقت، ولم يعرف، فوجب<sup>(٢)</sup> حمله على أنه عالٍ<sup>(٣)</sup> في جميع الأحوال، عالٍ بإظهار دينهم، وإن غلبوا في بعض الأحوال، فالاعتبار بإظهار دين<sup>(٤)</sup> الإسلام وكلمة الحق.

قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمُ أَمْوَالُكُمْ ۖ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْغَنَكُمْ ۖ هَآأَنْتُمْ هَآؤِلَآءِ تَدْعُونَ لِنُفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ۖ﴾

### ❁ القراءة

القراءة<sup>(٥)</sup> الظاهرة<sup>(٦)</sup> «أمثالكم» وجوز بعضهم «مثلكم» وإنما يجوز في العربية، ولا تجوز القراءة به، أما في العربية يجوز، كقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾ [النساء: ١٤] فإذا قرئ «أمثالكم» عينت الآحاد بالآحاد<sup>(٧)</sup>، وإذا قرئ: «مثلكم» قابلت الجمع بالجمع، أي: لا يكون جمعكم مثل جمعهم.

(١) عالٍ: عالي؛ د، ت، ك.

(٢) فوجب: وجب، ت، ك.

(٣) عالٍ: عالي؛ د، ت، ك.

(٤) دين: -، ت.

(٥) القراءة: +، ت، ك.

(٦) الظاهرة: +، ت.

(٧) بالآحاد: فإذا الآحاد، ت، ك.

## اللغة

الإحفاء: الإلحاح في السؤال حتى ينتهي إلى مثل الحفاء، والمشي بغير حذاء، أحفى يحفي إحفاءً، قال أبو مسلم: الإحفاء<sup>(١)</sup> في المسألة الألفاف، ومنه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي حَفِيٍّ﴾ [مريم: ٤٧].

والبخل: منع النفع الذي جرت<sup>(٢)</sup> العادة ببذله، بَخِلَ يَبْخُلُ<sup>(٣)</sup> بُخْلًا فهو بخیل وباخل، وفي الشرع: اسم لمنع الواجب من الزكاة وغيرها؛ لأنه اسم ذم، فلا يستحق إلا بمنع واجب<sup>(٤)</sup>، ودواعي البخل: النفس، والهوى<sup>(٥)</sup>، ووساوس الشيطان، ودعاء الإنس، وتصور نفع أو ضرر، ودواعي الجود: الحكمة، والعقل، والخواطر من جهة الله تعالى.

والأضغان: الأحقاد والعداوة، واحدها: ضِغْنٌ.

## الإعراب

(ما) في قوله: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (ما) الكافة، تكف (إِنَّ) عن العمل.

«الحياة» رفع لأنه ابتداء وخبره: ﴿لَعَبٌّ وَلَهْوٌ﴾.

﴿يُؤْتِكُمْ﴾ جزم؛ لأنه جواب الشرط، تقديره: وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم.

﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ﴾ جزم لأنه بدل عن جواب الشرط، أي: إن تتقوا لا يسألكم.

﴿هَآأَنَتُ هَآؤُلَآءِ﴾ الأول تنبيه، والثاني: تأكيد، وقدم المخاطب على الغائب في

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ هَآؤُلَآءِ﴾ لأنه ابتداء بالأقرب مع أنه المفعول الأول، ويجوز مع الظاهر أن يسأله عن عنكم؛ لأنه غائب مع غائب، فالمتصل أولى أن يثبتته من المنفصل.

(١) الأحفاء -، ت.

(٢) جرت: جرت به، ت.

(٣) يبخل: -، ت، ك.

(٤) واجب: الواجب، ت.

(٥) النفس والهوى: الهوى والنفس، ت.

﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ﴾ رفع؛ لأن<sup>(١)</sup> المعنى: فمنكم الذي يبخل، ثم قال: ﴿مَنْ يَبْخُلُ﴾ جزم على الجزاء، وجوابه: ﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلُ﴾ ورفع ﴿يَبْخُلُ﴾ لأجل الفاء.

### ❁ المعنى

لما حث على الجهاد بيّن أن ضعفه لأجل الدنيا، فبيّن حالها؛ لثلا يركن إليها، فقال - سبحانه - : «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ» وقيل: أراد به الكفار، وأنهم يؤثرون متاع الدنيا واللعب واللهو. وقيل: أراد التشبيه أي: كاللعب<sup>(٢)</sup> واللهو، وهو سرعة الانقضاء والانقطاع، قال الحسن: الذي خلقها هو أعلم بها. «وإِنْ تُؤْمِنُوا» بالله «وَتَتَّقُوا» معاصيه «يُؤْتِكُمْ»<sup>(٣)</sup> يعطيكم ربكم «أَجُورَكُمْ» أي: ثواب حسناتكم «وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ» قيل: لا يسألكم الرسول على أداء الرسالة أموالاً<sup>(٤)</sup> تعطونه، وقيل: لا يسألكم أموالكم لنفسه، إنما يسألكم ليكون نفعها لكم، وقيل: لا يسألكم جميع أموالكم أن تنفقوها في سبيل الله، وإنما يسألكم قليلاً، وهو ربع<sup>(٥)</sup> العشر ونحوها من الزكاة، عن سفيان بن عيينة<sup>(٦)</sup>، وأبي علي، وقيل: لا يسألكم أموالكم، وإنما يسأل أموال الله المفروضة في أموالكم وليس لكم، وقيل: لا يسألكم<sup>(٧)</sup> أموالكم حاجة فإنه غني عن الخلق وما في أيديهم، وقيل: لا يسألكم أموالكم؛ لأن الأموال كلها عارية لله في أيدي الناس، فيسأل من مال نفسه.

«إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا» فيه ثلاث كنايات:

أولها: يسأل، قيل: كناية عن الله تعالى، وقيل: عن الرسول.

(١) لأن: لئن، د.

(٢) كاللعب: كالعب، ت.

(٣) يؤتكم: يؤتكم أجوركم، ت.

(٤) -، أموالاً: أجراً أموالاً، د.

(٥) ربع: دفع، ت.

(٦) سفيان بن عيينة: سعيد بن عيينة، ت، د، ك.

(٧) وقيل لا يسألكم: -، ت.

وثانيها: يسألكموها، خطاب لمن تقدم ذكره في قوله: ﴿وَلَا<sup>(١)</sup> يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾.

وثالثها: كناية عن الأموال يعني: إن سألكم<sup>(٢)</sup> مالكم.

«فَيُخْفِكُمْ» أي: يلج عليكم ويلحف، وقيل: يسألكم ذلك ويلطف في السؤال، بأن يَعِدَ عليه الثواب الجزيل، عن أبي مسلم، وقيل: الإحفاء أن يأخذ جميع ما في يده، عن ابن زيد. «تَبَخَّلُوا» بذلك، وتمنعوا الواجب، «وَيُخْرِجُ أَضْغَانَكُمْ» قيل: البخل يخرج أضغانكم وحقدكم وعداوتكم، وقيل: يخرج الله تعالى المشقة التي في قلوبهم بسؤال<sup>(٣)</sup> أموالكم، أي: يظهرها، وقيل: السؤال يظهر أحقادكم.

ثم بَيَّنَّ الحجة على ما تقدم، فقال - سبحانه - : «هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أي: دعاكم الله ورسوله لتنفقوا بعض أموالكم في سبيل الله، ووعدكم الثواب الجزيل «فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ» مع الإيمان بالله ورسوله، ويمنع الواجب من النفقة، يعني إذا كان المؤمن يبخل، فكيف من لا يؤمن، وليس له مثل درجاتكم في العلم؟ «وَمَنْ يَبْخُلْ» يمنع الواجب «فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ»؛ لأنه يحرمها مثوبة عظيمة، ويلزمها عقوبة دائمة، أشار إلى أن معطي المال أحوج إليه من الفقراء لأخذه، فبخله بخل عن نفسه، وذلك أشد في البخل، «وَاللَّهُ الْغَنِيُّ» عن صدقاتكم، «وَأَنْتُمْ» المحتاجون إلى ثوابه، «الْفُقَرَاءُ» إلى الجزاء «وَإِنْ تَوَلَّوْا» تعرضوا عن الحق، وما لزمكم من الإنفاق، وعن أمر الرسول، «يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ» يعني أنه تعالى يأتي<sup>(٤)</sup> بقوم<sup>(٥)</sup> غيركم بدلاً منكم «ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ» قيل: في الطاعات؛ بل يكونون خيراً منكم، فيطيعون فيما عصيتم، وينفقون فيما بخلتم، وليس في الآية بيان البذل، واختلفوا فيه، قيل: هم كندة والنخع، عن الكلبي، وقيل: العجم، عن الحسن،

(١) ولا: لا، ت، د، ك.

(٢) سألكم: سأل عنكم، ت، د، ك.

(٣) بسؤال: لسؤال، ت، ك.

(٤) يأتي: يأت، ت، ك.

(٥) بقوم: للقوم، ك.

وروي ذلك مرفوعاً، وقيل: فارس والروم، عن عكرمة، وقيل: يجوز أن يكون قومًا في المعلوم يشتون على الإيمان والحق بدل المعرضين، وقيل: يجوز أن يكون ملائكة فإنهم نصره في مواطن، وقيل: لا يكونون في الصورة أمثالكم، وقيل: أراد به الأنصار وأهل المدينة بدلاً من أهل مكة، وقد فعل، فإنهم قاموا بنصرته في حياته وبعد وفاته، عن الحسن، وقيل: الإبدال مشروط بالتولي، وحيث لم يتولوا لم يجب الاستبدال، فهذا<sup>(١)</sup> كقوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا﴾ [التحريم: ٥].

### الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ على أنه ينبغي للعاقل أن يهتم لأمر الآخرة التي هي دائمة، دون الدنيا الفانية.

ومتى قيل: أليس الله تعالى خلق الحياة الدنيا، فلماذا ذمها، وذكر أنها لعب؟ قلنا: الذم لا يرجع إلى ما خلق الله تعالى؛ لأن جميع ذلك خلق لغرض صحيح، وجميعها نعم يجب شكرها، إلا أنه خلقها لغرض، وهو طلب الآخرة بالعبادة، فإذا ترك الإنسان الغرض المقصود، وصير مقصوده زينة الدنيا، فما يفعله كاللعب حيث يفنى ويزول، ويصير إلى حال الندامة.

وتدل الآية على ذم البخل، وقد بيّنّا أن في الشرع هو منع الواجب، وهو الصدقات والتنفقات وغير ذلك.

وتدل أنه لا يسأل جميع الأموال لعلمه بأنه لو سأل كلها لأعرضوا فكانت مفسدة، تظهر البخل والضعف، وذلك يدل على قولنا أنه تعالى يفعل اللطف، ولا يفعل ما يكون مفسدة.

ويدل قوله: «يستبدل» على أن في مقدوره قومًا<sup>(٢)</sup> لو كلفهم لآمنوا ولم يفعل، فتدل على قولنا في أن الأصلح ليس بواجب.

(١) فهذا: وهذا، ت.

(٢) قومًا: قوم، ت، ك.

## سُورَةُ الْفَتْحِ

سورة (الفتح) مدنية فيما روي، عن الحسن، ومجاهد وجماعة من المفسرين .  
وقيل : نزلت يوم الحديبية عن البراء، وهي تسع وعشرون آية<sup>(١)</sup>.

روى قتادة عن أنس، قال : لما رجعنا إلى المدينة وقد حيل بيننا وبين نُسُكنا، فنحن بين حزن وكآبة إذ أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾ فكان صلى الله عليه وسلم يُسأل في بعض أسفاره، ومعه عمر يسأله عن شيء فلم يجبه، فسأله فلم يجب، قال<sup>(٢)</sup> عمر : فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال : «لقد نزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾» .

وروي عن المسعودي، قال : (بلغنا أن من قرأ في أول ليلة من رمضان إنا فتحنا في التطوع حُفَظَ ذلك العام).

وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ : «من قرأ سورة الفتح، كأنما بايع محمدًا تحت الشجرة» .

ولما ختم سورة (محمد) بأنه إن تولى قومه عنه<sup>(٣)</sup> يستبدل قومًا ينصرونه افتتح هذه السورة بذكر الفتح، وذكر فيها القوم الذين بايعوه، وبذلوا المُهَجَ في نصرته .

(١) وهي تسع وعشرون آية : - ، ت .

(٢) قال : فقال، ت .

(٣) قومه عنه : قوم، ت، ك .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾.

### اللغة

الفتح: ضد الإغلاق، وهو الأصل في الباب، ثم يستعمل في مواضع، فالفتح: الحُكْم، وكذلك الفُتَاة، ومنه سمي الحاكم فاتحًا، وفي أسماء الله تعالى<sup>(١)</sup>: الفَتَّاح، يعني الحاكم، والفتح: النصر، واستفتحت: استنصرت، وفواتح القرآن: أوائل السور، وباب مفتوح.

قال أبو مسلم: للفتح وجوه من التأويل:

منها: فتح البلدان.

ومنها: فتح الأبواب.

ومنها: الحكم والقضاء، وهو فصل الأمر المختلط بين الخصوم.

ومنها: العلم والتعلم، ومنه: ﴿وَعِنْدُ مَقَاتِحِ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله: ﴿إِنْ تَسْتَفِجُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩] قال: هو العلم، وقال غيره: هو النصر.

والسكينة والسكون والطمأنينة واحدة، وهو قوة القلب، وزوال الخوف؛ لأن الخائف خافق القلب، وعلى ضده الآمن.

(١) تعالى: -، ت، ك.

والفوز: النجاة<sup>(١)</sup> والظفر بالخير، وسميت الفلاة مفازة تفاؤلاً بالفوز، وقيل: بل هو من قَوَّزَ الرجل هلك، وقَوَّزَ: ركب المفازة.

### النظم

يقال: كيف يتصل قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ بما قبله؟ وما الجالب للام<sup>(٣)</sup>؟ قلنا: كما اختلفوا في معنى الآية، اختلفوا فيما سألت عنه، فمن حمل الفتح على العلم والنبوة، يقول: تقديره: فتح الله عليه بالإسلام، والنبوة والعلم؛ ليقوم بذلك، فيغفر له ذنوبه، فإنها صغائر، يستحق غفرانها بكثرة الطاعات، ومن حملها على فتح البلاد يقول<sup>(٤)</sup>: تقديره: أمرناك بالجهاد، وفتحنا لك فتوحاً، فجعل غفرانه<sup>(٥)</sup> جزاء وثواباً على جهاده.

وقيل: تقديره: فتحنا لك فتحاً عجيبة تصيبك، ليغفر بها جميع ذنوبك. وقيل: يتصل بقوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾.

وقيل: إنه يتصل بقوله في سورة (النصر): ﴿وَأَسْتَغْفِرُكُمْ إِنَّكُمْ كَانُوا ثَوَابًا﴾ [النصر: ٣]، والأوجه في ذلك ما قدمناه من الوجهين.

### المعنى

«إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ» يا محمد «فَتْحًا مُبِينًا» أي: ظاهراً، قيل: هو فتح مكة، عن جماعة من المفسرين منهم أبو علي، وقيل<sup>(٦)</sup>: نزل بعد رجوعه من الحديبية، كأنه بشر في ذلك الوقت بفتح مكة، والحديبية: اسم بئر، عن قتادة، وأنس، وعن<sup>(٧)</sup>

(١) النجاة: والنجاة، ت، ك.

(٢) قوله: -، ت.

(٣) للام: الأم، ت.

(٤) يقول: قال، ت، ك.

(٥) غفرانه: غفرانها، ت.

(٦) وقيل: قال، ت، د، ك.

(٧) وعن: عن، ت، د، ك.



جابر: ما كنا نعلم بفتح<sup>(١)</sup> مكة إلا يوم الحديبية، وقيل: فتحنا: قضينا لك بالفتح والنصر، وقيل: هو فتح خيبر، عن مجاهد، وقال<sup>(٢)</sup> الشعبي: بالحديبية<sup>(٣)</sup> يوم بيعة الرضوان، وأطمعوا بخيل خيبر، وظهرت الروم على فارس، وبلغ الهدي محله، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس؛ لأن ذلك كان أمانة لعلو كلمة الإسلام، وقيل: هو فتح الحديبية، عن الضحاك، وكان بعد<sup>(٤)</sup>، قال: والصلح من الفتح، وهو اختيار القاضي؛ لأن السورة نزلت قبل فتح مكة، وقيل: يسرنا لك يسراً بيناً<sup>(٥)</sup>، عن مقاتل، وقيل: فتح الله بالإسلام «لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ»، عن الحسن، وقيل: هو الفتح والظفر على الأعداء كلهم بالحجج والمعجزات الظاهرة، وقيل: هو فتح الإسلام وظهوره، وذلك بأربعة أوجه:

أحدها: تعريف الله نبيه أمر الدين، وإظهار الحجج حتى تكامل أصولها وفروعها، وجعل يفتح على غيره بأن يعلمه.

وثانيها: تصديقه بالمعجزات الظاهرة، نحو القرآن، وحنين الجذع، وانفجار الماء من بين أصابعه، وانشقاق القمر.

وثالثها: أنه تكفل بنصرته على أعدائه، حتى يظهر دينه على الأديان كلها.

ورابعها: أنه نصره حالاً بعد حال، ونصر أمته حتى علا أمره، وظهر دينه، وقيل: أراد بالفتح ما علمه من القرآن، وأنزل عليه من الوحي، وبيان الدين، فكأنه قال: علمتك القرآن والدين، وأوحيت إليك لتبلغ<sup>(٦)</sup> الرسالة، وتتقرب<sup>(٧)</sup> إليّ بجميع<sup>(٨)</sup> ما أمرتك، فأغفر لك الأول والآخر من ذنبك، عن أبي مسلم.

(١) بفتح: فتح، ت، ك.

(٢) وقال: قال، ت.

(٣) بالحديبية: الحديبية، ت، ك.

(٤) بعد: بغير، ت، ك.

(٥) يسرنا لك يسراً بيناً: بشرناك بشراً بيناً، ت، د، ك؛ ما أثبتناه من الطبري، مجمع ١٦٥/٩؛ الثعلبي، الكشف ٢٠٣/١٢.

(٦) لتبلغ: لتبلغ، ت.

(٧) وتتقرب: ويتقرب، ك.

(٨) بجميع: الجميع، ك.

«لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» قيل: ما تقدم قبل الفتح، وما تأخر عنه، وقيل: ما تقدم على النبوة وما تأخر عنها<sup>(١)</sup>، عن أبي علي، وقيل: ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه يغفره إذا كان، وقيل: أراد الأول<sup>(٢)</sup> أن جميع ذلك مغفور؛ لأن مثل هذا يؤكد المغفرة في أنها تعم، عن أبي علي، وقيل: أراد الأول والآخر من ذنبك، عن أبي مسلم، وقيل: ما تقدم من الرسالة وما تأخر إلى وقت نزول هذه السورة، وقيل: «مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ» ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك<sup>(٣)</sup> «وَمَا تَأَخَّرَ» من ذنوب أمتك بدعوتك، عن عطاء الخراساني، وقيل: هو على التقدير، أي: لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه «وَيُتِمِّمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ» بالنبوة والعلم، وقيل: في الدنيا بإظهارك على عدوك وبقاء حكمك<sup>(٤)</sup> وشرعك، وفي الآخرة برفع محللك «وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» قيل: يدلك على الطريق المستقيم، والهداية هو البيان والدلالة، وقيل: يهديك إلى الثواب والجنة، وقيل: بسببه إلى الطريق المستقيم بالطفاه وتأيبه، وقيل: يهدي بك، وأولى الوجوه الأول؛ لأنه ظاهر الكلام، «وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا» أي: غالبًا، وقيل: معزًا لا يصل إليك أحد من أعدائك «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ» أي: الطمأنينة، وقوة القلب، وزوال الرعب في معنى قول ابن عباس، وقيل: يقوي قلوبهم بالوعد والوعيد، ويدخل فيه الصلح الذي كان سبب الأمن، وقيل: بالطفاه، وهو ما أسكن قلوبهم من تعظيم الله ورسوله وطاعته «لِيُزَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ» قيل: ليزدادوا مع النصرة في الدين طاعة في مجاهدة أعداء الله، وسائر أمور الدين، وقيل: ليزداد يقينهم بما يرون من الفتوح، وعلو كلمة الإسلام على وفق<sup>(٥)</sup> ما وعد، وقيل: تصديقًا بشرائع الإسلام، فإن الله تعالى بعث نبيه بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه زادهم الصلاة، فلما صدقوه زادهم الزكاة، فلما صدقوه زادهم الصيام، ثم زادهم الحج والجهاد حتى أكمل لهم دينهم، عن ابن عباس،

(١) عنها: عنهما، ت؛ عنه، د، ك.

(٢) الأول: +، ت.

(٣) ببركتك: +، ت، ك.

(٤) حكمك: حكمك، ت.

(٥) وفق: فوق، ت، د.

وقيل: يقيناً مع يقينهم، عن الضحاك، يعني ثقة بوعده ووعيده وقيناً «وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أنه مالك جنود السموات والأرض من الملائكة والمؤمنين، قيل: أنصار دينه، ينتقم بهم من أعدائهم، وقيل: كل الجنود عبيده.

ومتى قيل: كيف أضاف جميع المؤمنين أنهم جنوده؟ قلنا: لأنهم يحاربون أعداء الله<sup>(١)</sup> بوجهين:

أحدهما: الذب عن دينه، فينفون التشبيه عن صفاته والقبائح عن أفعاله، وكذلك يذبون عن أنبيائه كل ذلك بالحجج الدالة، فهم جنوده من هذا الوجه، وهم أهل التوحيد والعدل، كما أن المجبرة جنود الشيطان، ينفون الشر عنه ويضيفونه إلى الله - تعالى -.

والثاني: المجاهدة بالسيف لإعزاز دينه، وإعلاء كلمته، وهم أيضاً أهل التوحيد والعدل؛ لأنهم يجاهدون بالسيف لتركوا الكفر، ويؤمنوا بالله، ويدينوا بدين الله الذي أمر به، وبعث أنبياءه بالدعاء إليه، فأما أهل الجبر إذا قالوا: إن الكفر خلق الله وإرادته وقضاؤه، ثم يحاربون في إزالته، ولا يرضون به، فهم يحاربون الله، حيث لم يرضوا بما خلق وأراد، وجاهدوا في دفعه فلم يكونوا جنده.

«وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً» بالأشياء «حَكِيماً» يفعل ما هو الصلاح لعباده<sup>(٢)</sup> «لِيُذْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» قيل: الواو دخل للإيذان بالفضل، كأنه قيل: فتحنا ليغفر لك، وفتحنا ليدخل المؤمنين، فهو على التكرير، أي: ليدخلهم «جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أي: من تحت أشجارها وأبنيتها «خَالِدِينَ فِيهَا» أي: دائمين «وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَغَائِرُهُمْ» وهي الصغائر<sup>(٣)</sup> «وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ» قيل: هو قادر عليه مُعَدُّ عنه، وقيل: في حكمه وملكه «فَوْزًا عَظِيماً» أي: غنيمة وظفراً لعظيم محله.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: «ليغفر» على جواز الصغائر على الأنبياء قبل النبوة وبعدها، خلاف قول الإمامية.

(١) الله: +، ت، ك.

(٢) لعباده: بعباده، ت، ك.

(٣) الصغائر: صغائر، د، ك.

ويدل على أنها مغفورة.

ومتى قيل: كيف تكون مغفورة؟

قلنا: بإيجاب ما يجبر نقصاً دخل في ثوابه بتلك الصغيرة.

ومتى قيل: كيف يجوز ذلك عليهم؟

قلنا: ما يتعلق بالرسالة ومصالح الأمة لا تجوز عليه فيه الكبيرة ولا الصغيرة<sup>(١)</sup>،

ولا السهو ولا الغلط، ولا النسيان؛ لأن في ذلك فوت المصالح، فأما ما يتعلق بحاله فلا تجوز الكبيرة أصلاً، والصغير ما كان مستخفاً ومنفراً لا يجوز عليه، وما عدا ذلك لا مانع منه، فيجوز.

ويدل قوله: ﴿لِيَزَادُوا﴾ أن الإيمان يصح فيه الزيادة والنقصان، فلا يكون كذلك إلا والطاعات من الإيمان.

ويدل قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ أنه يلطف؛ لأن تثبيت القلب يحصل بذلك.

وتدل أن المؤمن يدخل الجنة، خلاف قول المرجئة.

وتدل أن السيئات فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَلَمَ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ بِاللَّهِ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

(١) الكبيرة ولا الصغيرة: الصغيرة والكبيرة، ت، ك.

## القراءة

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «دائرة السوء» بضم السين، الباقون بفتحها، أما الضم: فمعناه أنه تعود عليهم دائرة تسوؤهم<sup>(١)</sup> من القتل والأسر، وأما الفتح فيقال: رجل سَوَّء، أي: فساد، يعني أنهم ظنوا بالله السوء، فهو توهمهم أن الله ينصرهم على رسوله، وذلك لا يجوز عليه لتقيحه فعلهم ذلك.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «ليؤمنوا بالله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه» في الأربعة بالياء، كناية عن المؤمنين، وقد تقدم ذكرهم، وهو أحسن في النظم، وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب، وفيه تلوين<sup>(٢)</sup> الخطاب مرة بخطاب النبي ﷺ، ومرة بخطاب القوم.

قراءة القراء: «تعزروه» بزاي معجمة وراء غير معجمة من العزر، وهو التعظيم، وعن ابن السميعة بزاءين معجمتين ليعزروه: من الإعزاز. قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير: «فسنؤتيه» بالنون مضافاً إلى الله تعالى، الباقون بالياء، كناية عن اسمه، وقد تقدم في قوله: ﴿يَبَايَعُونَ اللَّهَ﴾.

## اللغة

النفاق: إظهار الإيمان وإبطان الكفر في الشرع، وأصله في اللغة: من نافيء اليربوع، أن يجعل لبيته<sup>(٤)</sup> بابين يُظهر أحدهما، ويخفي الآخر، فإذا أتى من الظاهر خرج من الباطن.

والظن: تقوية أحد النقيضين على الآخر من غير ثقة، واختلفوا، فقل: إنه جنس برأسه غير الاعتقاد، عن أبي علي، والقاضي، وقيل: هو من جنس الاعتقاد، عن أبي هاشم.

(١) تسوؤهم: يومهم، ت، ك.

(٢) تلوين: تنوع، ك.

(٣) بخطاب: يخاطب، ت، ك.

(٤) لبيته: بيته، ت.

الدائرة: الحادثة من حوادث الدهر تدور على الإنسان، وأصله من الدوران، ومنه: الدائرة.

واللعن: الطرد والإبعاد من الخير.

والعَزْرُ: قال الزجاج: أصله الرد، ومنه: عَزَزْتُ فلانًا أي: أدبته وفعلت به ما يمنعه من القبيح، وقال أبو مسلم: العزر: المنع، وأنشد القطامي:

أَلَا بَكَرَتْ مَيِّ<sup>(١)</sup> بِغَيْرِ سَفَاهَةٍ تُعَاتِبُ<sup>(٢)</sup> والمودودُ يُنْفَعُ الْعَزْرُ ومنه: التعزير، وما قالا متقاربان.

والنكث والنقض بمعنى، نكث عهده، أي: نقضه بعد<sup>(٣)</sup> عقده، ومنه: ﴿مَنْ بَعْدَ فُؤَادٍ أَنَكْتًا﴾ [النحل: ٩٢].

### الإعراب

﴿وَيُعَذِّبُ﴾ معناه وليعذب عطفًا على قوله: ﴿يَلْجُلُ﴾.

﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: ساءت جهنم مصيرًا.

﴿بُكَرَةً وَاصِيلًا﴾ نصب على الظرف، أي: في البكرة والأصيل.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: لكي تعزروه.

### النزول

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ قيل: نزل في أهل الحديبية، عن جابر، قال: كنا يوم الحديبية ألف وأربعمائة، فقال لنا النبي ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض»، فبايعنا تحت الشجرة على الموت، وعلى ألا<sup>(٤)</sup> نفر، فما نكث أحد منا البيعة إلا جد<sup>(٥)</sup> بن القيس وكان منافقًا لم يسر مع القوم.

(١) مي: أمي، ت.

(٢) في ت، د، ك: تعاقب. والبيت للقطامي عمير بن شميم التغلبي. أنظر ديوان القطامي، تحقيق محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١.

(٣) بعد: بعده، ت.

(٤) ألا: أن لا: ت، د، ك.

(٥) إلا جد: إلا زيد، ت؛ إلا أريد، ك.

وقيل: كان سبب البيعة أنه ﷺ بعث عثمان رسولاً إلى أهل مكة، فأرجف بقتله.

### المعنى

ولما تقدم الوعد للمؤمنين<sup>(١)</sup> عقبه بالوعيد للكافرين<sup>(٢)</sup>، فقال - سبحانه -: «وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ» الذين أبطنوا الكفر، «وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ» المظهرين للكفر، فصل بينهم لهذه الفائدة وإن كان المنافق كافراً «الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ» قيل: ظنهم أن الله لا ينصر نبيه والمؤمنين، وقيل: هو في قوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِحَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أي: لا يرجعون من الحديبية سالمين، وظنوا عليهم دائرة السوء، وقيل: ظنُّهم أن الكفار يغلِبون، وقيل: ظنهم أن من عادى محمداً لا يغالب، وكل ذلك ظنون<sup>(٣)</sup> قبيحة، فخبب الله ظنهم، وجعل كل مكروه عليهم «عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ» أي: راجعة السوء، وقيل: هو دعاء عليهم بالهلاك، وقيل: هو خبر بأنه جعل سوء العاقبة عليهم، ووبال ظنهم عائداً عليهم، فينالهم من الأسر والقتل والذل في الدنيا، والعقاب الدائم في الآخرة «وَعَظِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ» غَضَبُهُ: إرادة عقوبتهم «وَلَعَنَهُمْ» أبعدهم من رحمته «وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» أي: بئس المرجع في حقهم «وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» من الملائكة والمؤمنين «وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا» أي: قادراً على ما يشاء لا يُمنَعُ منه، لا يحتاج في هلاكهم إلى جند لكنه حكيم لا يفعل إلا الحكمة لذلك أمر بالجهاد، وقيل: لم يبح الصلح لضعف وهو القادر وله الجنود؛ لكنه أباح لمصلحة.

ومتى قيل: لم أعاد ذكر الجنود؟

قلنا: لأن الأول متصل بذكر المؤمنين، أي: فله الجنود الذي يقدر أن يعينكم بهم، والثاني: يتصل بذكر الكفار، أي: فله الجنود التي يقدر على الانتقام بهم منكم.

(١) للمؤمنين: للمؤمن، ك.

(٢) للكافرين: للكافر، ك.

(٣) ظنون: فظنون، ت، د، ك.

وقيل : أراد بالأول أنه لو أراد إهلاكهم بجنود السماء قدر عليه ، وبالثاني<sup>(١)</sup> : أنه [لو] أراد إهلاكهم بجنود الأرض قدر<sup>(٢)</sup> عليه .

وقيل : أراد بالأول أنه يقدر على إهلاكهم بما شاء ؛ لكنه أراد الابتلاء ليستحق المؤمن الثواب . وبالثاني أراد الانتقام بهم ، ولكن ينظر الكافر فيؤمن .  
«إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد .

ثم جمع [في] وصفه جميع ما بعث لأجله ، فقال - سبحانه - : «شَاهِدًا» عليهم بأنه بلغهم ، وأزاح عنهم ، وقبول مَنْ قَبِلَ ، ورد من رد<sup>(٣)</sup> «وَمُبَشِّرًا» للمطيعين بالجنة ، فيتضمن ذلك الطاعات «وَنَذِيرًا» أي : مخوفًا للعصاة بالنار ، ففيه بيان المعاصي ، وفي الآية ذكر الوعد والوعيد<sup>(٤)</sup> «لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» أي : جعلناك لطفًا ؛ لكي تؤمنوا بالله «وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ» قيل : تعظموه ، وقيل : تنصروه ، وقيل : «تُعَزِّرُوهُ» [أي] وتنصروه ، «وَتُوقِرُوهُ» تعظموه ، عن قتادة ، وقيل : لتقاتلوا معه بالسيف ، عن عكرمة ، وقيل : تعزروه : تمنعوه من الأعداء ، عن أبي مسلم . «وَتُسَبِّحُوهُ» قيل : الوقف على قوله : «وتوقروه» وقد تم ، ثم يتدئ : «وتسبحوه» أي : تنزهوا الله سبحانه ، وقيل : هو عبارة عن الدوام ، والتسبيح : التنزيه ، وهذا كله على أن الكناية في (تسبحوه) تعود على اسم الله تعالى ، وقيل : الكناية تعود على اسم الرسول ، فيتصل بما قبله ، ولا يكون ثُمَّ وَقَفْ ، أي : تنزهوا الرسول عما لا يليق به كما يقوله الحشوية<sup>(٥)</sup> على يوسف وداوود وسليمان وغيرهم من الأنبياء ﷺ ، وقيل : تابعوا الصلاة عليه<sup>(٦)</sup> ، وقيل : هذا من تلوين<sup>(٧)</sup> الخطاب ، وذلك الغاية في الفصاحة ؛ لأنه ابتداء الخطاب إليه .

(١) وبالثاني : والثاني ، د .

(٢) قدر : لقدر ، ت .

(٣) رد : ورد ، ت .

(٤) الوعد والوعيد : الوعد والوعيد ، ت ، ك .

(٥) الحشوية : الحشو ، د ، ك .

(٦) عليه : عليهم ، ت ، ك .

(٧) تلوين : تنوين ، ت .



ثم عاد إلى خطاب الأمة، وذكر الأمر بطاعة الرسول، وتسبيح الله - سبحانه -، ثم عقبه بذكر الذين بايعوه، وحثهم على إتمام طاعته فيها، فقال - سبحانه -: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ» قيل: هذه المبايعة هي معاقدة على السمع والطاعة، كالمعاقدة في البيع والشراء، وقيل: إنها معاقدة على بيع أنفسهم بالجنة، وقيل: هو بيعة الحديبية، عن مجاهد، وقتادة، وهي بيعة الرضوان حين بايعوا رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> على الموت «إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ» قيل: لطلب رضا، وقيل: بيعة الرسول تكون بيعة الله<sup>(٢)</sup> «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» قيل: عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم؛ لأنهم بايعوا الله ببيعة نبيه، فكانهم بايعوه من غير واسطة، عن السدي، وقيل: قوة الله في نصرته<sup>(٣)</sup> نبيه فوق نصرتهم إياه، عن ابن كيسان، وقيل: نعمة الله عليهم بنبيه وبالهداية فوق أيديهم بالطاعة والمبايعة، عن الكلبي. وقيل: يد الله بالمعونة والحفظ فوق أيديهم بمعونة رسوله، وليس المراد الجارحة؛ لأنها جسم، والله تعالى ليس بجسم، وقيل: «يَدُ اللَّهِ» بالشواب، وما وعدهم على بيعتهم ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بالوفاء والصدق، عن ابن عباس، ويجوز أن تجعل «يَدُ اللَّهِ»، أي: يد رسول الله، فأضافه إلى يده تفخيماً، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] يعني أولياء الله<sup>(٤)</sup> يده في هذه البيعة معهم أعظم من يدهم في البيعة معه<sup>(٥)</sup> «فَمَنْ نَكَثَ» أي: نقض عهده «فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» أي: يرجع وبال ذلك النكث عليه؛ لأنه يعاقب به، وقيل: النكث الرجوع عما بذل من الضمان في النصر «وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ» قيل: بما بايع عليه وافيًا، أي: تامة، يعني وفي بالبيعة، وقام بما ضمن من النصر «فَسَيُؤْتِيهِ» سيعطيه «أَجْرًا عَظِيمًا» أي: ثواباً جزيلاً.

(١) صلى الله عليه وآله: -، ك.

(٢) الله: الله، ت، د، ك.

(٣) نصرته: نصرته، ت، د، ك.

(٤) أولياء الله: +، ت.

(٥) من يدهم في البيعة معه: من أيديهم معه في البيعة، ت.

(٦) فمن: ومن، ت، د، ك.

## ❁ الأحكام

تدل الآيات على أن ظن السوء لا يجوز على الله كما تظن المجبرة أنه يجوز أن يعاقب الأبرار، ويشيب الفراغة، وأنه يخلق الكفر ثم يعذب عليه، وأنه يعذب بغير ذنب؛ لأن كل ذلك ظنون سوء.

ويدل قوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ أنه بعث وأراد من الخلق الإيمان به، خلاف قولهم أنه أراد من بعضهم الكفر.

ويدل قوله: «وتسبحوه»<sup>(١)</sup> على وجوب تنزيه الله ورسوله عما لا يليق به ورسوله كما يصفه المجبرة والمشبهة.

وتدل على فساد الجبر من وجوه:

منها: قوله: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَفِقِينَ﴾، ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿الظَّالِمِينَ﴾، ولو كان الظن خلقاً له لَمَا أضافه إليهم، ولما عاتبهم عليه<sup>(٣)</sup>.

ومنها: قوله: (لتؤمنوا. وتعزروا وتوقروا وتسبحوا).

ومنها: قوله: ﴿يَبَايِعُونَكَ﴾، و﴿يَبَايِعُونَكَ﴾.

ومنها: قوله: «نكث».

ومنها: قوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَى﴾ وكل ذلك ينبي أن أفعال العباد ليست بمخلوقة لله تعالى<sup>(٤)</sup>.

(١) وتسبحوه: تسبحوه، ت؛ فسبحوه، ك.

(٢) والمشركون: المشركين، ت، د، ك.

(٣) عليه: -، ت.

(٤) لله تعالى: -، ت.

قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسَيْنَاهُمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَأْخُذْهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ نَتَّبِعُوَكُمْ كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ .

#### ❁ القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «ضُرًّا» بضم الضاد، الباقون بفتحها، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأنه يقابل النفع.  
وقرأ حمزة والكسائي: «كَلِمَ الله» بغير ألف، والباقون: «كَلَامَ الله» بالألف، قال الفراء: الكلام مصدر، والكَلِمُ جمع كلمة.

#### ❁ اللغة

المُخَلَّف: المتروك في المكان خلف الخارجين<sup>(١)</sup> عنه<sup>(٢)</sup>، أخذ من الخلف، ونقيضه: المُقَدَّم، خَلْفَهُ تَخْلِيفًا.  
والأعراب: الجماعة من عرب البادية، ولا يسمى بذلك عرب الحاضرة، فليسوا بأعراب وإن اتفقوا في اللسان.

(١) الخارجين: الحال حين، ت.

(٢) عنه: عن، ت، د، ك.

والبُورُ: الفاسد، وهو مصدر لا يثنى ولا يجمع، يقال: رجل بُورٌ، ورجلان بُورٌ، ورجال بُورٌ، ويكون بور جمع بائر، والبائر: الهالك<sup>(١)</sup>، والبوار: الهلاك، وبارت السلعة: هلكت وكسدت<sup>(٢)</sup>، وبار يبور: هلك، وأرض باثرة: معطلة عن الزراعة، ومنه: ﴿فَيَحْزَنَهُ لَنْ تَكْبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

### ✽ النزول

قيل: نزلت الآية في غفار وجهينة وأشجع وأسلم والذين<sup>(٣)</sup> تخلفوا عن الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ استنفر<sup>(٤)</sup> الأعراب حول المدينة لما أراد الخروج إلى مكة معتمرًا حذرًا من قريش، وأحرم وساق الهدى؛ ليعلموا أنه لا يريد حربًا، فتناقل عنه كثير من الأعراب، واعتلوا بالشغل، فنزلت الآية، عن ابن عباس، ومجاهد، وابن إسحاق.

وقيل: نزلت في المتخلفين عن غزوة تبوك، عن الحسن.

### ✽ المعنى

لما تقدم الأمر بنصرة الرسول، عقبه بذكر من تخلف عنه، فقال - سبحانه -: «سَيَقُولُ لَكَ» أيها الرسول «الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ» الذين خلفتهم في جهتك لتتأقلمهم واعتذارهم بالمعاذير الكاذبة إذا رجعت إليهم وعاتبتهم على التخلف: «شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا» يعني اشتغلنا بأمرهما<sup>(٥)</sup>، وخفنا الضياع عليهما<sup>(٦)</sup> لو خرجنا معك «فَاسْتَغْفِرْ لَنَا» أي: اطلب لنا المغفرة من الله، فرد الله عليهم ذلك من أربعة أوجه:

أولها: أنهم قالوا خلاف ما في قلوبهم من العذر وطلب الاستغفار، وإنما قالوا ذلك لاستعطاف الرسول.

(١) والبائر الهالك: والبور الهالك، ت، د؛ والبائر الهالك، ك.

(٢) وكسدت: كسدت، ت، د، ك.

(٣) الذين: الدليل، د.

(٤) استنفر: أشعر، د.

(٥) بأمرهما: بأمرها، ت، ك.

(٦) عليهما: عليها، ت، ك.

وثانيها: أنهم تخلفوا لا<sup>(١)</sup> لعذر<sup>(٢)</sup>.

وثالثها: طلب المغفرة.

«قُلْ» يا محمد لهم «فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا» قيل: أراد ضر الدنيا ونفعها، وقيل: بل ضرر الآخرة ونفعها، والنفع مشروط بالتوبة، والأوجه حملة على الأمرين، «بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» أي: عالمًا بأعمالكم «بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا» قيل: ظنوا أنهم لا يرجعون عن سفرهم؛ لأن العدو يستأصلهم، عن قتادة. «وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ<sup>(٣)</sup>» قيل: الإلف والعادة زينه، وقيل: الشيطان زينه، وقيل: زينه بعضهم لبعض «وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا» قيل: فاسدين<sup>(٤)</sup>، عن قتادة، وقيل: هالكين، عن مجاهد.

ثم آيسهم الله عن المغفرة، فقال - سبحانه - : «وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا» نَارًا وتوبيخًا «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ» بشرط التوبة والإيمان «وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» بترك الإيمان والطاعة والإصرار على الكبائر، وقيل: أراد بهذا بيان قدرته، أي: هو قادر على أن يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ولكن لا يفعل إلا الحكمة، فيغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» فإن غفر بفضل ورحمته، وإن عاقب فبعده، وقيل: يغفر الذنوب بالتوبة، ويدخلهم الجنة بالرحمة «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ» قيل: عن الحديبية، عن ابن عباس، ومجاهد، وابن إسحاق، وقيل: عن تبوك، عن الحسن، وأبي علي، وهو الأظهر؛ لأن التخلف عن تبوك عظيم على ما نطق به القرآن، ووردت به السنة، ولم يرو في التخلف عن الحديبية ذلك «إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ» قيل: غنائم خيبر، على أنه في شأن<sup>(٥)</sup> الحديبية،

(١) لا: -، ت، ك.

(٢) بعذر: للعذر، ك.

(٣) قلوبكم: قلوبهم، ك.

(٤) فاسدين: فاسد، ت، د، ك.

(٥) شأن: بيان، ك.

وقيل: غنائم مطلقة إذا ظنوا أن المسلمين غالبون غانمون «لِتَأْخُذُوهَا» أي: تلك الغنائم «ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ» قيل: إلى تلك الغنائم «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» قيل: ما وعد الله أهل الحديبية أن غنيمة خيبر لهم خاصة، عن مجاهد، وقتادة، وقيل: النفير<sup>(١)</sup> في قوله: ﴿قُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، عن الحسن، وابن زيد، وأبي علي، وأبي مسلم، وأنكر ذلك بعضهم قال: وذلك لأن هذا نزل بعد خيبر، وبعد فتح مكة عن غزوة تبوك.

ومتى قيل: أي القولين أولى؟

قلنا: أن تحمل على قوله: «قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا»؛ لأنه منصوص عليه؛ ولذلك قال تعالى: «كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ» يعني قال: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣] فهذا نص صريح، وما يروون من حديث خيبر من الآحاد، والله تعالى قال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾.

ومتى قيل: هل<sup>(٢)</sup> أرادوا الغنيمة أو تبديل الكلام؟

قلنا: يجوز أن يكونوا أرادوا الغنيمة؛ لكن يكون فيه تبديل الكلام، ويجوز أن يكونوا ظنوا أن رسول الله ﷺ نسي ذلك، ويجوز أنهم أرادوا تكذيبه لتصير شبهة في نبوته.

ومتى قيل: كيف يبدلون هم كلام الله؟

قلنا: إذا أخبر الله<sup>(٣)</sup> - سبحانه - بخبر وشرع فيهم أنهم لا يخرجون معه بقوله: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣] فإذا خرجوا كان ذلك تبديلاً لكلام الله تعالى.

ومتى قيل: تلك الآية نزلت في المتخلفين<sup>(٤)</sup> عن تبوك، وهؤلاء تخلفوا عن الحديبية؟

(١) النفير: التغيير، د؛ التغيير، ك.

(٢) هل: منهم، ك.

(٣) الله: +، ت، ك.

(٤) المتخلفين: المخلفين، د، ك.

قلنا: ذكر الحسن وأبو علي أن الآيات كلها نزلت في المتخلفين عن تبوك، وإن ثبت أن قومًا تخلفوا عن الحديبية فيجوز أن تكون تلك الآية نزلت في الفريقين؛ إذ لا مانع منه. و«لَنْ تَتَّبِعُونَا» في غزاتنا<sup>(١)</sup> «كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ» أنكم لا تخرجون معنا «فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا» أن نصيب معكم من الغنائم، وتريدون أن تختصوا بالغنيمة، لا أنه تعالى نهاكم في إذنا بالخروج معكم «بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا» يعني قالوا ذلك لجهلهم، والاستثناء قيل: من الفقه، أي: علمهم قليل، ومن ذم بالجهل وصف بقلّة العلم، وقيل: الاستثناء من القوم، أي: لا يفقه منهم إلا قليل<sup>(٢)</sup>، وهم المعاندون، أو من أسلم، وقيل: لا يفقهون الدين، فلذلك جوزوا الخلف في أخباره، وقيل: لا يفقهون الدين، فلذلك تخلفوا عن رسول الله ﷺ.

### الأحكام

تدل الآيات على معجزة للنبي ﷺ حيث أخبر عن ضمائرهم وإسرارهم. وتدل أن المخلفين اعتذروا بمعاذير كاذبة، وأنه لم يقبل منهم ذلك، وأنه يعذبهم على التخلف وعلى تلك الأكاذيب. وتدل على أن القوم كانوا منافقين. وتدل على أنه ينبغي أن يظن بالمؤمنين<sup>(٣)</sup> خيرًا. ويدل قوله: «وزين» أنه تعالى لم يزين ذلك؛ لذلك دَمَّ مَنْ زينه. وتدل على أنهم منعوا من<sup>(٤)</sup> الخروج معه؛ لأن فيه تبديل كلام الله، فلا بد من كلام سبق، وقد بينا أن ذلك قوله: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣] وأن الصحيح أن هذه الآيات كلها في تبوك والمخلفين<sup>(٥)</sup> فيه، وبينما ما يدل عليه، وهو قول الحسن، وأبي علي، واختيار القاضي.

(١) في غزاتنا: في غير هذا، ت، ك.

(٢) إلا قليل: إلا القليل، ت، ك.

(٣) بالمؤمنين: بالمؤمن، ت، ك.

(٤) من: عن، ك.

(٥) والمخلفين: المخلفين، ت، د.

وتدل<sup>(١)</sup> على أن الخروج قد يكون مفسدة لذلك منهم.

ويدل قوله: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ أن المعارف مكتسبة.

وتدل على أن أفعالهم حادثة من جهتهم، حتى يصح قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾.

قوله تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقْنِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾.

### ❁ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «نُدْخِلْهُ، وَنُعَذِّبْهُ» بالنون فيهما مضافاً إليه تعالى<sup>(٣)</sup>، وقرأ الباقر والياء فيهما<sup>(٤)</sup>، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم كناية عن اسم الله تعالى<sup>(٥)</sup> في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾.

(١) وتدل: ويدل، ت.

(٢) قوله: +، ت.

(٣) في ت: مضافاً إلى الله - تعالى -.

(٤) فيهما: -، ت.

(٥) تعالى: -، ت، ك.



قراءة العامة: ﴿أَوْ يُسْلَمُونَ﴾ بالنون في محل الرفع عطفاً على قوله: ﴿تَقْنَلُونَهُمْ﴾، وفي حرف أبي: «أو يسلموا» يعني [حتى] يسلموا، فيكون موضعه نصباً، والفرق بين الرفع والنصب أن النصب يدل على أن ترك القتال لأجل الإسلام، إذا وقع كقولك: لألزمك أو تؤدي حقي، والرفع يدل على أن أحد الأمرين يقع لا محالة، قال امرئ<sup>(١)</sup> القيس:

أَوْ يَمُوتَ فَيُغْذَرَا<sup>(٢)</sup>

### اللغة

الدعاء: طلب الفعل من القادر عليه، ونظيره: السؤال والأمر في معنى الدعاء إلا أنهما يفترقان في الرتبة، فالدعاء هو أن يكون المدعو فوق الداعي، والأمر أن يكون الأمر فوق المأمور، والسؤال يعمهما.

والبأس: الشدة في الحرب، رجل ذو بأس.

والكف: المنع، كففت فلاناً، وكففته: منعته.

والعمى: آفة في الحاسة تمنع الرؤية، وليس بمعنى عند أبي هاشم، وعند بعضهم معنى يضاد الرؤية، والرؤية أيضاً ليس بمعنى عندنا، فأما العرج فأفة في الرجل تمنع المشي.

### الإعراب

﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ شرط<sup>(٣)</sup> و﴿يُؤْتِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> جواب الشرط، وكذلك ﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾. ونصب ﴿فَتَحَا قَرِيبًا﴾ بـ (أثابهم). ﴿وَمَغَانِرَ﴾ عطف على قوله: «فَتَحَا».

(١) امرئ: امرؤ؛ ت، د، ك.

(٢) البيت قائله امرئ القيس في قصيدة مطلعها:

سمالك شوق بعدما كان أقصر وحلت سليمان بطن قو فعرعرا

فقلت له لا تبك عينيك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

انظر ديوان امرئ القيس، دار صادر بيروت. والبيت ورد في لسان العرب (أوا)؛ تاج العروس (أوا) يحاول ملكاً أو يموت فيعذرا.

(٣) شرط: بشرط، ت.

(٤) يؤتكم: ويبلونكم، ت.

## النزول

قال ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿قُلْ<sup>(١)</sup> لِلْمُخَلَّفِينَ﴾ قال أهل الزَّمان: كيف بنا يا رسول الله، فنزل ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾.

وقيل: نزل قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ في ابن أم مكتوم، عن الحسن. وقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيات نزلت في بيعة الرضوان، وكان بالحديبية تحت الشجرة السمرة، وسميت بيعة الرضوان، لقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وعن ابن عباس: كان سبب بيعة الرضوان أن النبي ﷺ أراد أن يبعث عمر رسولاً إلى مكة، فقال: أخاف قريشاً على نفسي، فبعث عثمان، فأبطأ عليه، ف قيل: إنهم قتلوه، فبايعوه على مناجزة قريش وعلى الموت، فلم يتخلف عنه إلا جد<sup>(٢)</sup> بن قيس أخو<sup>(٣)</sup> بني سلمة، وكان من المنافقين. واختلفوا في عددهم، ف قيل: ألف وخمسمائة، عن ابن عباس، وقيل: ألف وثلاثمائة، عن عبد الله بن أبي أوفى. وقيل: ألف وأربعمائة.

وعن جابر عن النبي ﷺ: «لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة». وعن ابن عباس: تشاقلت العرب عام الحديبية وسلم الله رسوله، [و] جاء المتخلفون<sup>(٤)</sup> يلتمسون الخروج معه، فنزلت الآية، فأوجب عليهم طاعة الخليفين في حروبهما.

## المعنى

ولما نهاهم عن الخروج مع رسول الله ﷺ أمرهم بالخروج مع داع<sup>(٥)</sup> آخر، فقال

(١) قل: -، ت، ك.

(٢) جد: أريد، ت، د، ك.

(٣) أخو: أحد، د.

(٤) المتخلفون: المخلفون، ك.

(٥) داع: داعي، ك.

- سبحانه -: «قُلْ» يا محمد «لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ» قيل: عن تبوك، عن أبي علي، وقيل: عن الحديبية، وقيل: كل من تخلف عن غزواته من غير عذر، وهو الوجه<sup>(١)</sup> لعموم اللفظ «سَتَذَعُونَ» اختلفوا في هذا الداعي، قيل: النبي ﷺ، وهذا لا يصح لما بينا من قوله: «فَقُلْ»<sup>(٢)</sup> لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا [التوبة: ٨٣]، وقيل: أبو بكر وعمر، وعليه أكثر المفسرين، دعوا إلى حرب فارس والروم، وقيل: هو أمير المؤمنين دعا إلى حرب معاوية، وقيل: إنه لا يصح لقوله: «أَوْ يُسْلِمُونَ» ولأن المخلفين بايعوا أو أكثرهم «إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ» أي: قوة وشدة، وقيل: هم فارس، عن ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، ومجاهد، وقيل: هم الروم، عن كعب، وقيل: فارس والروم، عن الحسن، وقيل: هوازن، عن عكرمة، وقيل: هوازن وثقيف، عن سعيد بن جبير، وقيل: هوازن وغطفان يوم حنين، عن قتادة، وقيل: بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب، عن الزهري، ومقاتل، وقال رافع بن خديج<sup>(٣)</sup>: كنا نقرأ هذه الآية فلا نعلم لمن هي حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم «تُقَاتِلُونَهُمْ» أي: تحاربونهم «أَوْ يُسْلِمُونَ» قيل: يقرون بالإسلام ويقبلونه، وقيل: ينقادون لكم «فَإِنْ تُطِيعُوا» هذا الداعي «يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا» وهو الجنة «وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ» أي: أعرضتم عن طاعة الرسول فيما دعاكم إليه من الخروج «يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» وجميعًا، وهو عذاب النار.

ومتى قيل: إذا<sup>(٤)</sup> نهاهم<sup>(٥)</sup> عن الخروج معه فهلا مُنِعُوا بعد وفاته أيضًا؟

قلنا: المصالح تختلف، ولأنه<sup>(٦)</sup> كان يعلم مكائدهم في أيامه، وإذا قوي الإسلام ذلوا وخافوا، وتركوا ذلك.

«لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ» أي: ضيق في التخلف عن الجهاد «وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ

(١) الوجه: أوجه، د.

(٢) فقل: -، د، ك؛ قل، ت.

(٣) خديج: جريج، ت.

(٤) إذا: إذ، ك.

(٥) نهاهم: نهاكم، د.

(٦) ولأنه: فلأنه، ت.

حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ» قال قتادة: هذا كله في الجهاد «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أي: يجري الماء في الأنهار تحت أبنيتها وأشجارها «وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا».

«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ» رضاه عنهم أراد به تعظيمهم وإثابتهم، والرضا عن الفاعل غير الرضا عن الفعل، فقد رضي بفعل مَنْ<sup>(١)</sup> لا يرضى<sup>(٢)</sup> عنه، كفاستق عمل بطاعة، وقد رضي<sup>(٣)</sup> عمن<sup>(٤)</sup> لا يرضى بفعله، كمؤمن أتى صغيرة، هذا قول أبي هاشم وأصحابه وهو الصحيح، وقيل: الرضا عنهم رضى بأعمالهم، وهو قول أبي علي. «إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» وهي شجرة السمرة، عن عمر، وابن عباس، وجماعة من المفسرين، وذكر أبو مسلم عن بعضهم أنها كانت سِدْرَةً «فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» أي: في قلوب المؤمنين من الصدق والصبر والوفاء «فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ» وهي اللطف المقوي لقلوبهم والطمأنينة، وقيل: كان وعدهم دخول مكة، فلما وقع الصلح وسوس إليهم الشيطان فوقع في قلوب بعضهم شيء، وقالوا ثم نُعطى المدينة، فقال رسول الله ﷺ: «قد وعدكم دخول مكة»، ولم يبين متى هو، فَأَنْزَلَ اللَّهُ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِهِمْ حتى تثبت قلوبهم، وزالت خواطرهم الفاسدة «وَأَثَابَهُمْ» أعطاهم «فَتْحًا قَرِيبًا» قيل: هو فتح مكة، عن أبي علي، وقيل: فتح خيبر، عن قتادة. «وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً» قيل: خيبر لأنها كانت ذات عقار وأموال، فقسمها بينهم، وقيل: هو هوازن بعد فتح مكة «وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا» أي: قادرًا على فتح البلاد وقهر الأعداء، عليًا بالمصالح [وعدكم الله] «مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا» يعني الفتوح إلى يوم القيامة «فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ» قيل: خيبر، وقيل: هوازن، وقيل: هما، عن أبي علي. «وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ» أي: منعهم عن أذاكم قيل: هم أهل مكة بالمصالحة أمر بها وقوى الداعي إليها، عن أبي مسلم، وأبي علي، وقيل: كف أيدي اليهود من خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان،

(١) من: ممن، ت.

(٢) لا يرضى: لا يرضاه، ت، ك.

(٣) رضي: يرضى، ت، ك.

(٤) عَمَّنْ: عن مَنْ؛ ت، د، ك.

فإن مالك بن عوف النصري، وعيينة بن حصن الفزاري مع بني أسد وغطفان جاؤوا لنصرة اليهود<sup>(١)</sup> من خيبر، فقذف الله الرعب في قلوبهم فانصرفوا، «وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» أي: حجة وعلامة، قيل: هزيمتهم وسلامتكم<sup>(٢)</sup> حجة للمؤمنين يعلموا أن الله ينصرهم ويحفظهم، وقيل: لتكون الغنيمة المعجلة دليلاً على صحة وعد الله، عن أبي مسلم، وقيل: لتكون هذه الغنائم على ما وعدكم أنه يصدق<sup>(٣)</sup> رسوله، عن أبي علي. «وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» قيل: يدلکم<sup>(٤)</sup> إلى الإسلام، وهو الطريق المستقيم، عن أبي علي، وقيل: يدلکم بذلك إلى طريق التوكل والتفويض لتثقوا بالله في جميع أموركم، وقيل: يثيبکم على الإسلام بالطفاه، وقيل: ليزيدکم بصيرة بفتح خير، فإنه ﷺ رجع عن الحديبية<sup>(٥)</sup> إلى المدينة، وأقام بها بقية ذي الحجة وبعضاً من محرم، ثم خرج إلى خيبر، وفتح حصناً حصناً<sup>(٦)</sup>، كحصن أبي وناعم<sup>(٧)</sup> والقموص، وصالحه أهل فذك، وكان ذلك للنبي، وفتح حصن كنانة بن أبي الحقيق<sup>(٨)</sup> زوج صفية بنت حيي، وقيل: كنانة، وأخرجت صفية، وأعتقها رسول الله ﷺ وتزوج بها.

### الأحكام

يدل قوله: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ﴾ على معجزة للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر عن مغيب، فوجد مخبره على وفق خبره.

وتدل الآيات على وجوب إجابة داعي الحق، وقد بينا ما قيل فيه، والأكثر على أن الداعي أبو بكر وعمر، والمدعو إليهم فارس والروم، وهوازن وثقيف؛ لأنهم كانوا بهذه الصفة في العدد والعدة.

- (١) لنصرة اليهود: من اليهود، ت.
- (٢) وسلامتكم: فسلامتكم، ك.
- (٣) يصدق: أنه صدق، ت؛ أنه أصدق، ك.
- (٤) يدلکم: دلكم، ت، ك.
- (٥) الحديبية: حديبية، د، ك.
- (٦) حصناً: حصيناً، ت، د، ك.
- (٧) أبي وناعم: بياعمرو، ت، د، ك؛ والتصحيح من الواقدي، المغازي، ١/٦٦٦؛ الرحيق المختوم، ١/٣٣٣.
- (٨) الحقيق: ربيع، ت، ث، ك.

ومتى قيل : فوجب أن يكون نصًّا على إمامتهما؟

قلنا: ذلك لا يكون نصًّا على إمامتهما<sup>(١)</sup>، ولأنه<sup>(٢)</sup> نص على الوصف دون المعنى؛ لأنه لم يبين<sup>(٣)</sup> مَنْ الداعي، فاختاروه، وعلمنا بالآية وجوب طاعته، فعلمنا<sup>(٤)</sup> صحة الاختيار، وكونه إمامًا على هذا الترتيب، فهكذا ذكره مشايخ أهل العدل.

وتدل على وجوب طاعته فيما دعا إليه ووعيد من تخلف عنه.

ومتى قيل : أليس الجهاد من فروض الكفايات<sup>(٥)</sup>؟

فلنا<sup>(٦)</sup> : عنه جوابان :

أحدهما : أنه كان بالمسلمين قلة في ذلك الوقت، فلزم الجميع فرض الجهاد.

وثانيهما : أن عند دعاء الداعي يتعين، فيلحق الوعيد بتركه.

وتدل على زوال فرض الجهاد بالأعداء، وكذلك في جميع التكليف، وإذا سقط لعذر<sup>(٧)</sup>، فَلِعَدَمِ الْقُدْرَةِ وخلق ضدها فيه أولى أن يسقط، فمن هذا الوجه يبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة.

ويدل قوله : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ﴾ أن جميعهم كانوا من أهل الرضا؛ لذلك أطلق المدح والرضا.

وتدل أن باطنهم كان كظاهريهم، بخلاف ما تقوله الرافضة أن أكثرهم كانوا منافقين.

(١) قلنا ذلك لا... إمامتهما : +، هامش، د.

(٢) لأنه : أنه، ث.

(٣) لم يبين : لا يبين، ث.

(٤) فعلمنا : علمنا، ت، ث، ك.

(٥) الكفايات : الكفاية، ت، ث، ك.

(٦) فلنا : قلنا، ت، ث، ك.

(٧) لعذر : العذر، ث؛ بعذر، ك.

وعن جابر: بايعنا على ألا نَفِرَّ، وعمر أخذ بيده تحت الشجرة، وبايع عثمان بإحدى يديه على الأخرى، وقال الناس: هنيئًا لأبي عبد الله.  
وتدل أن تلك الفتوح كانت<sup>(١)</sup> كالجزاء على بيعتهم؛ لذلك سماها ثوابًا، فهو جار مجرى الثواب.

قوله تعالى:

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢١﴾  
وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرَ ثُمَّ لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٢٢ سُنَّةَ  
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٢٣ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ  
عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا  
۝٢٤ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ  
وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ  
بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ  
عَذَابًا أَلِيمًا ۝٢٥﴾.

#### ❁ القراءة

قرأ أبو عمرو: «بما يعملون» بالياء كناية عن الكفار، الباقون بالتاء خطابًا للمؤمنين.

#### ❁ اللغة

الإحاطة بالشيء: الإدارة حوله، أحاط الجدار بالدار.  
والسُّنَّة: الطريقة المستمرة، ومنه الحديث: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها».

(١) كانت: كان، ت، ك.

والمعكوف: الممنوع من الذهاب في جهته بالإقامة في مكانه، ومنه الاعتكاف: الإقامة في المسجد.

والمَحْلُ بكسر الحاء: الموضع الذي حقه أن يبلغه من الحرم محل ذبحه، والمَحَلَّ بالفتح: الموضع الذي يحل فيه الناس، أي: يسكنون، ويكون أيضًا مصدر حل حلولاً ومحلاً، نحو خرج خروجاً ومخرجاً، ودخل دخولاً ومدخلاً.

والمَعْرَةُ: الأمر القبيح<sup>(١)</sup> المكروه، والعَر والعار سواء، يقال: عر فلان فلاناً: شانه وألحق به عيباً، ويُسمى الجَرْبُ عُرَى بضم العين وفتحها، والعذرة عَرَّة، وقوله: أعوذ بك من معرة الجيش، قيل: معناه أن ينزلوا منزلاً لا يصونوا زرع<sup>(٢)</sup> قوم من غير علم، وقيل: قتال من دون إذن الأمير، والمعرة: الإثم. والتزيل: تَفْعُلُ من الزوال، زال زوالاً، وأزلته عن المكان وزَوَّلْتُهُ.

### ❁ الإعراب

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر، أي: سن الله فيهم سنة لا يغيرها، ولا يبدلها، وهي الطريقة، عن أبي مسلم. وجواب (لولا) محذوف تقديره: لو طئتم رقاب المشركين لنصرنا، وقيل: لا أذن لكم في دخولها، وقيل: جوابه قوله: ﴿لَعَذَابُنَا﴾ وهو جواب لكلامين (لولا رجال)، (ولو تزيلوا).

﴿أَنْ يَبْلُغَ﴾ موضع (أن) نصب بـ(صدوا)، تقديره: صدوكم عن بلوغه، وقال بعض البصريين: صدوا الهدي معكوفاً كراهية أن يبلغ محله. ﴿مَعَكُوفًا﴾ نصب على الحال.

### ❁ النظم

يقال: كيف يتصل قوله: ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ بما قبله؟ [و] كيف يتصل به ما<sup>(٣)</sup> بعده؟ وما الجالب للام؟

(١) في ت، ك: بالقبيح.

(٢) لا يصونوا زرع: لا يضيق أذرع، د.

(٣) به ما: بما، د.



قلنا: فيه أقوال:

قيل: إنه اعتراض ههنا يتصل بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيمن (١) بيطن (٢) مكة (٣).

قيل: إنه يتصل بقوله: ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾ ويدخلهم الله في رحمته بقتلكم إياهم.

وقيل: إنه لما أمر بترك قتالهم بَيَّنَّ أنه إنما نهاهم عن ذلك ليدخل الله (٤) في رحمته من يشاء، وهو يعني في الإيمان من يشاء من أهل مكة، وهم الذين يعلم أنهم يؤمنون، ويتوبون من كفرهم، عن أبي علي.

### النزول

اختلفوا في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ الآية إلى قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، فقيل (٥): كان المشركون بعثوا أربعين رجلاً عام الحديبية ليصيبوا من المسلمين، فأتى بهم إلى رسول الله ﷺ أسرى، فخلى سبيلهم، عن ابن عباس.

وقيل: كانوا ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ، ثم أعتقهم (٦)، ونزل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ﴾، عن أنس.

وقيل: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة، وبين يديه علي يكتب كتاب الصلح، فخرج ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ (٧) الله

(١) فيمن: -، ت.

(٢) بيطن: +، ت.

(٣) مكة: بمكة، د، ك.

(٤) الله: +، ت، ك.

(٥) فقيل: قيل، ت؛ وقيل، ك.

(٦) ثم أعتقهم: وأعتقهم، ت، ك.

(٧) فأخذ: وأخذ، ت.

بأبصارهم جميعاً<sup>(١)</sup>، فأخذناهم، فخلى سبيلهم، فنزلت هذه الآية، عن عبدالله بن معقل.

وقيل: أقبل نبي الله<sup>(٢)</sup> معتمرًا، فأخذ أصحابه ناسًا من أهل الحرم غافلين، فأرسلهم النبي ﷺ، فذلك الإظفار بيطن مكة، عن مجاهد.

وقيل: إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ اطلع الثنية بالحديبية، فرماه المشركون بسهم فقتلوه، فبعث رسول الله ﷺ خيلاً، فأتوه باثني عشر فارسًا من الكفار، فقال لهم: «هل لكم علي عهد وذمة؟» قالوا: لا، فأرسلهم، فنزلت الآية.

وقيل: هم أهل الحديبية، فإن رسول الله ﷺ نزل بمنى، فخرج عكرمة في خمسمائة، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد، فلقيه<sup>(٣)</sup> في الشعب، فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، فعاد ثانيًا وثالثًا فهزمه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن الكلبي.

### المعنى

ثم وعد الله تعالى رسوله والمؤمنين فتوحًا زيادة على ما تقدم، ونصرة له ولأمته، فقال - سبحانه -: «وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا» أي: وعدكم فتح بلاد أخرى، وقيل: وعدكم غنائم أخرى، عن أبي علي، وقيل: هو على الماضي، وهو حرب بدر أو غيره من الغنائم؛ لأنهم لم يقدرُوا عليها إلا بضروب من المعونة، عن أبي مسلم، وقيل: بل أراد ما يكون في المستقبل إن لم يحصل بعد، ثم اختلف هؤلاء، فقيل: هو فارس والروم، عن ابن عباس، والحسن، ومقاتل، وأبي علي، فإن<sup>(٤)</sup> النبي ﷺ بشرهم كنوز كسرى وقيصر، وقيل: هو<sup>(٥)</sup> يوم حنين انهزم أصحابه، فأمدهم<sup>(٦)</sup> الله

(١) جميعًا: معها، د، ك.

(٢) نبي الله: النبي صلى الله عليه وآله، ت.

(٣) فلقيه: -، ت.

(٤) فإن: بأن، ك.

(٥) هو: هم، د.

(٦) فأمدهم: فأيدهم، ك.

بمعونته، عن عكرمة. وقيل: هو فتح خيبر، عن الضحاك، وابن زيد، وابن إسحاق، وقيل: هو <sup>(١)</sup> فتح مكة، عن قتادة، وقيل: ما فتحوا بعد ذلك إلى اليوم، عن مجاهد. «قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا» يعني إحاطة القدرة، أي: أنه قادر عليها، وقيل: أراد العلم أي: أنه عالم بجميع الأشياء، وكيف لا <sup>(٢)</sup> يكون ذلك، «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» أي: قادرًا، إلا أن في القدير مبالغة كسميع وسامع «وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» قيل: مشركي مكة يوم الحديبية ولم يصالحوا معكم لولوا الأدبار، عن قتادة، وأبي علي. وقيل: أسد وغطفان وحنين «لَوْلُوا الْأَدْبَارَ»، أي: انهزموا «ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا» يتولى حفظهم «وَلَا نَصِيرًا» ينصرهم «سُنَّةَ اللَّهِ» قيل: كسنة الله، وقيل: ما أخبركم به هي سنة الله أي: طريقته، وقيل: سنة الله نَصْرُهُ مَنْ أَمَرَهُ بِالْقِتَالِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ «الَّتِي قَدْ خَلَتْ» مضت «مِنْ قَبْلُ» قيل <sup>(٣)</sup>: سنته نصر <sup>(٤)</sup> المؤمن أبدًا، وقيل: سنته خذلانه للكافر فلا يجد وليًا ولا نصيرًا، وقيل: كلاهما، والمؤمن <sup>(٥)</sup> هو المنصور في الآخرة وإن غلب في الدنيا، والكافر مخذول وإن غلبه في بعض الأحيان <sup>(٦)</sup> «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» أي: طريقته لا تتبدل في أوليائه وأعدائه «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ» قيل: كف أيديهم عن المؤمنين بالرعب، وأيدي المؤمنين عنهم بالنهي <sup>(٧)</sup>، عن أبي علي. وقيل: إن النبي ﷺ نزل الحرم، فأمره الله تعالى <sup>(٨)</sup> بمصالحة <sup>(٩)</sup> أهل مكة، وألقى في قلوب الكفار الرعب فاصطلحوا، وكف الناس بعضهم من بعض وأمنوا، وقيل: ببطن <sup>(١٠)</sup> مكة، الحديبية «مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ» <sup>(١١)</sup> عَلَيْهِمْ يعني كان

(١) هو: +، ت.

(٢) لا: +، ت، ك.

(٣) قيل: -، ت.

(٤) نصر: نصره، ت، ك.

(٥) والمؤمن: فالمؤمن، ت.

(٦) الأحيان: الحاليتين، ت.

(٧) بالنهي: بالنبي، ت، ك.

(٨) تعالى: +، ت.

(٩) بمصالحة: أن يصالح، ت، ك.

(١٠) ببطن: بطن، ت، ك.

(١١) أظفركم: أظهركم، ك.

الظفر لكم بدخول الحرم، وكان في أيديهم، عن أبي علي، وقيل: بأن أخذتموهم أسرى على ما تقدم ذكره «وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» عليهم، فيجازيكم، عن أبي علي<sup>(١)</sup> وقيل: أراد به فتح مكة، فإنه فتحها ودخلها، وأمن بعضهم بعضاً ولم يكن قتال، عن أبي مسلم، والأول أوجه. «هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» يعني إنما نهيتكم عن القتال لا لكونهم غير مستحقين للقتل؛ بل هم كفار مستحقون للقتل؛ لكن لغرض آخر، وهو كون رجال مؤمنين يخشى عليهم الهلاك، وإلا فهم كفروا ومنعوكم عن المسجد الحرام ودخوله «وَالْهَدْيِ» أي: وصدوا الهدى، وهو ما يهدى إلى الحرم متقرباً إلى الله عز وجل بذبحه «مَعَكُوفًا» أي: محبوساً «أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ» منحره، وكان سبعون بدنة ساقها رسول الله ﷺ عام الحديبية، وكان الناس سبعمائة رجل، كل بدنة لعشرة، حتى بلغ ذا الحليفة، فقلد الهدى وأشعره، وأحرم بالعمرة حتى نزل الحديبية، ومنعه المشركون، وكان الصلح، وكتب كتاب الصلح رسول الله ﷺ لسهيل بن عمرو وأبي سفيان<sup>(٢)</sup>، كتبها علي بن أبي طالب على وضع الحرب عشر سنين، وعلى أن يخلوا له مكة في العام القابل ليعتمر، وهي عمرة القضاء، فلما تم الصلح نحروا النذور، ورجع إلى المدينة، ثم خرج إلى خيبر، ودخل مكة في العام القابل في ذلك الشهر، فنزل قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ثم بيّن المعنى في كف المؤمنين<sup>(٣)</sup> عن الكافرين<sup>(٤)</sup>، فقال سبحانه: «وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ» يعني الضعفاء من المؤمنين<sup>(٥)</sup> الذين كانوا بمكة، عن قتادة وجماعة، أي: بقوا هناك ولم<sup>(٦)</sup> يقدرُوا على الهجرة لضعفهم، وقيل: رجال ونساء سيؤونون<sup>(٧)</sup>، كره أن يقتلهم على الكفر، ويقتطعوا عن الإيمان، عن أبي علي. «لَمْ

(١) علي: بياض: د، ك.

(٢) عمرو وأبي سفيان: عمرو بن أبي سفيان، د، ك.

(٣) المؤمنين: المؤمن، ك.

(٤) الكافرين: الكفار، ت؛ الكافر، ك.

(٥) المؤمنين: المسلمين، ت، ك.

(٦) ولم: لم، ت، ك.

(٧) سيؤونون: مؤمنون، د.

تَعْلَمُوهُمْ» أي: لا تعلمونهم بأعيانهم «أَنْ تَطَّوَّهُمْ» تقتلوه، أو<sup>(١)</sup> تنالهم جراح، وقيل: تطأهم<sup>(٢)</sup> الدواب والجيش بغير علم، وقيل: لا يبعد إذا انهزموا أن تملوا عليهم فتقتلوهم حنقا «فَتُصَيِّكُم مِّنْهُمْ مَّعَرَّةً بِغَيْرِ عِلْمٍ» قيل: إثم، عن ابن زيد، وقيل: غرم الدية، عن ابن إسحاق، وقيل: كفارة، وقيل: يعيبهم<sup>(٣)</sup> المشركون بأنهم قتلوا أهل دينهم، وقيل: غم<sup>(٤)</sup> بقتل من لا<sup>(٥)</sup> ينبغي أن يقتل «لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ» بين أنه جعل ذلك لأجل هذا الغرض، قيل: ليدخل المؤمنين والمؤمنات، قيل: في الإسلام بلطفه من الكفار «مَنْ يَشَاءُ». «لَوْ تَرَىٰ أُولَٰئِكَ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» وجيعا، قيل: لعذبنا بالقتل والأسر، وقيل: بالسيف، وقيل: بالنار في الآخرة.

### الأحكام

يدل أول الآيات على بشارة المسلمين بفتح البلاد، وقد وجد كما أخبر، فهو معجزة له ﷺ، وكذلك قوله: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرُ﴾ من علوم الغيب.

وتدل على أنه يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون<sup>(٦)</sup>، فيدل على أن المعدوم معلوم.

وتدل على بطلان مذهب المجبرة من وجوه:

منها: قوله: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرُ﴾ يدل<sup>(٧)</sup> أن القتال فعلهم،

(١) أو: أن، ت، ك.

(٢) تطأهم: تطوهم، د.

(٣) يعيبهم: يعيبكم، ت، د، ك.

(٤) غم: غمًا، ت، ك.

(٥) من لا: ما لا، ك.

(٦) يكون: كان، ت.

(٧) يدل: +، ت.

وكذلك التولي؛ إذ لو كان خلقه لكان تقدير الكلام: ولو<sup>(١)</sup> خلقت القتال فيهم لخلقت الهزيمة<sup>(٢)</sup>.

ومنها: قوله: ﴿كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ﴾ يدل على أن الكفر والصد فعلهم،

ومنها: قوله: ﴿أَنْ تَطُوهُمْ﴾.

ومنها: قوله: ﴿لَعَذَابُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

ويدل قوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أن سنته نصر أوليائه، وقهر أعدائه، خلاف قول المجبرة.

ويدل قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ﴾ على جواز مصالحة الكفار إذا رأى الإمام فيه مصلحة، وإذا جاز في الكفار فالبغاة<sup>(٣)</sup> أولى، فيبطل قول الخوارج في طعنهم على علي والحسن.

ويدل قوله: ﴿وَالْهَدَى﴾ الآية على أشياء:

منها: أن للذبح محلاً وقد منعوا الهدى عن بلوغه.

ومنها: المحصر ينحر الهدى في الحرم عندنا، وعند الشافعي حينئذ حُصِرَ، وقد قيل: إن الحديدية بعضها حَرَمٌ وبعضها حِلٌّ، وإن ما نحره<sup>(٤)</sup> في الحرم، فلا تعلق لهم بنحره بالحديدية.

ويدل قوله: ﴿أَنْ تَطُوهُمْ﴾ أنه نهى عن القتال لغرض، وهو كون رجال مؤمنين يخشى عليهم الهلاك، وفيه دلالة أن الكفار إذا كان بينهم مؤمنون يخاف عليهم لا يجوز محاربتهم إلا عند الضرورة، وقال بعضهم: يجوز ويقصد بالرمي الكفار، وعلى هذا الخلاف لو ترسوا<sup>(٥)</sup> بالمسلمين، قال قتادة: إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار، كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

(١) ولو: لو، ت، ك.

(٢) الهزيمة: التولية، د.

(٣) فالبغاة: والبغاة، ك.

(٤) ما نحره: ما نحر، ك.

(٥) ترسوا: ترسموا، ك.

قوله تعالى:

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾

### القراءة

قرأ ابن كثير وابن عامر: «شَطْأُهُ» بفتح الطاء، والباقون بسكون الطاء، وقرأ أنس ويحيى بن وثاب: «شَطْأُهُ» نحو عصاه، وقرأ الجحدري: «شَطْأُهُ» بغير همز، وهما لغتان، والاختيار ما عليه عامة القراء.

قرأ ابن عامر: «فَأَزَرَهُ» مقصور الألف، الباقيون «فَارَزَهُ» ممدودة الألف.

### اللغة

الجعل: تصيير القادر الشيء على خلاف ما كان، وقد يكون إحداثاً وقد يكون تغييراً لصفته.

والحمية: الأنفة والغضب، يقال: حميت أنفه حمية، وحميت على فلان غضبت، وأصله من الحمى، وهو المنع، ومنه لا حمى إلا حمى<sup>(١)</sup> الله ورَسُولُهُ، قال المثلثي:

(١) حمى: -، ك.

أَلَا إِنَّهُمْ قَوْمِي<sup>(١)</sup> وَعَرَضِي عَرَضُهُمْ كَذَا<sup>(٢)</sup> الرَّأْسُ يَحْمِي أَنْفَهُ أَنْ يَهْشَمَا<sup>(٣)</sup>

أي: تمنع، وقال آخر:

كَالثَّوْرِ<sup>(٤)</sup> يَحْمِي أَنْفَهُ<sup>(٥)</sup> بِرَوْقِهِ<sup>(٦)</sup>

ومنه: «وحمى الله محارمه» أي: محارمه ممنوع<sup>(٧)</sup> منه.

والظهور: الغلبة.

وَالشَّطْءُ: فراخ الزرع الذي يخرج<sup>(٨)</sup> من جوانبه، وجمعه: أَشْطَاءُ، ومنه شاطئ النهر: جانبه، وَأَشْطَأَ الزرع فهو مُشْطٍ<sup>(٩)</sup>: إذا أفرخ في جوانبه، بأن ينبت ما هو أصغر منه، وشَاطَأْتُ<sup>(١٠)</sup> الرجل: مشيت على شاطئ، وهو على الشاطئ الآخر.

وَالْأَزْر: القوة، وآزره: عاونه، وتآزر البيت: اشتد وطال، قال البعيث:

شَدَدْتُ لَهُ أَزْرِي بِمِرَّةٍ حَازِمٍ عَلَى مَوْقِعٍ مِنْ أَمْرِهِ مِتْفَاقِمٍ<sup>(١١)</sup>

= البيت قائله المتلمس الضبعي وورد البيت بعدة روايات:

أَلَا أَنَّنِي مِنْهُمْ وَعَرَضِي عَرَضُهُمْ كَذَا الرَّأْسُ يَحْمِي أَنْ يَكْمَشَا  
أنظر ديوان شعر المتلمس الضبعي رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي،  
معهد المخطوطات ص ٢١ جامعة الدول العربية، ١٩٧٠، ص ٢١.

(١) قومي: +، ك.

(٢) كذا: كيدا من، د.

(٣) البيت قائله عامر بن فهيرة وقيل عمرو بن إمامة:

لَقَدْ عَرَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ إِنْ الْجَبَانَ حَتَفَهُ مِنْ فَوْقِهِ

كُلْ أَمْرِي مَقَاتِلَ عَنْ طَوْقِهِ كَالثَّوْرِ يَحْمِي أَنْفَهُ بِرَوْقِهِ

أنظر لسان العرب (روق)، (طوق)، تاج العروس (روق)، (طوق) وفي رواية: الثور حمى جلك بروقه.

(٤) كالثور: كالثوري، د، ك.

(٥) أنفه: +، ك.

(٦) بروقه: بعرفه، ك؛ بقرونه، د.

(٧) لعذبنا الذين كفروا. إلى محارمه ممنوع: -، ت.

(٨) يخرج: خرج.

(٩) مشط: مشطي؛ ت، د، ك.

(١٠) وشاطأت: وشطأت، ت.

(١١) البيت قائله البعيث المجاشعي وفي رواية: على موقع من أمره ما يعاجله.

أنظر لسان العرب (أزر)، تلج العروس (أزر).



استغلظ: افتعل من الغلظ، وهو طلب الغلظ، استغلظ استغلاظًا.  
والسُّوقُ: جمع ساق، وساق الشجرة: عوده الذي يقوم عليه.

### ❁ الإعراب

(إذ) صلة قوله: «لعذبنا» أي: عذبناهم إذ جعلوا في قلوبهم.  
﴿مُخْلِقِينَ﴾ و﴿مُقَصِّرِينَ﴾ نصب<sup>(١)</sup> على الحال.  
﴿شَهِيدًا﴾ قيل: نصب على الحال، وقيل: على التفسير.  
والواو في قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ قيل: للاستئناف<sup>(٢)</sup>، وقيل: للعطف<sup>(٣)</sup>، أي: محمد وأصحابه، ونصب ﴿فَضْلًا﴾ بـ ﴿يَبْتَغُونَ﴾. [و] (رضوانا) عطف عليه.

### ❁ المعنى

ثم بيّن تعالى حال المؤمن والكافر، فقال - سبحانه -: «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ» قيل: التعصب للأصنام، عن أبي مسلم، وقيل: أنفثهم من الإقرار برسالته، والاستفتاح بسم الله الرحمن الرحيم، عن الزهري؛ وذلك أن النبي ﷺ أمر عليًا عليه السلام<sup>(٤)</sup>، بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فأبى سهيل وأبو سفيان إلا أن يكتب: باسمك اللهم، وكتب محمد<sup>(٥)</sup> رسول الله، فأبوا إلا أن يكتب محمد بن عبد الله، وقيل: حميتهم: صدهم رسول الله ﷺ والمؤمنين عن دخول مكة تلك السنة، عن أبي علي، «فَأَنْزَلَ اللَّهُ» تعالى «سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ» قيل: الطمأنينة والثبات على الدين وقوة القلب، وقيل: الأمن، عن أبي مسلم. «وَالَّذِينَ كَفَرُوا» قيل: كلمة التقوى: لا إله إلا الله، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وعمرو بن ميمون، ومجاهد، والضحاك، وسلمة بن كهيل، وعبيد بن عمير، والسدي. وقيل: كان شعارهم في الحرب لا إله إلا الله فلزموا ذلك،

(١) نصب: نصبت، ت.

(٢) للاستئناف: الاستئناف، ت.

(٣) للعطف: العطف، ت.

(٤) عليه السلام: +، ت.

(٥) محمد: -، ت.



قلنا: من قال: إنه كلام رسول الله قال: إنه استثنى تأدبا بأدب<sup>(١)</sup> الله، حيث قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] فإنما هو انقطاع إليه، لا أنه شك فيه، عن ابن كيسان.

وقيل: (إن) بمعنى<sup>(٢)</sup> إذ تقديره: إذ شاء الله، كقوله: ﴿إِنْ أَرَدَنْتَ تَحَضُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، عن أبي عبيدة.

وقيل: الاستثناء من الدخول لا<sup>(٣)</sup> من الرؤيا وبين الدخول والرؤيا كانت مدة<sup>(٤)</sup>، وقد<sup>(٥)</sup> هلك أناس، فهو لدخول الجميع، أي: ليقعن، عن أبي علي.

وقيل: الاستثناء واقع على الخوف والأمن على الدخول، أي: إن شاء الله أمنكم، تدخلوا آمين.

وقيل: كان تلك<sup>(٦)</sup> الرؤيا، والرؤيا منها ما<sup>(٧)</sup> يوجد كما رأى، ومنها ما يكون تأويله مخالفاً لما رأى، فاستثنى ليعلم أن تأويله وفق ظاهره، وهو حكاية الرؤيا، فكأنه أرى ذلك وعلق بالمشيئة، عن أبي مسلم.

«آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ» أي: يحلق بعضهم رأسه، ويقصر بعضهم؛ لأنه لا يجمع بينهما، فالحلق حلق الرأس، والقصر أخذ بعض الشعر «لَا تَخَافُونَ» مشركاً، «فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا» قيل: من صلاحكم في تأخر الفتح، ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(٨)</sup> قيل: فتح خيبر، فإنه فتح بعد الحديبية وقسم على أهل الحديبية، عن ابن زيد، وقيل: صلح الحديبية، عن الزهري وجماعة من المفسرين، قال الزهري: ما فتح في الإسلام فتح أعظم من صلح الحديبية؛ لأنهم بعد الصلح آمنوا، فتفاوضوا الدعاء إلى الإسلام وأسلم جماعة من الناس أكثر ممن كان قبل ذلك،

(١) تأدباً بأدب: بأن أتى بأدب، د.

(٢) بمعنى: معنى، د.

(٣) لا: إلا، ت.

(٤) ورد في هامش د: أظنه بين الدخول والرؤيا مدة.

(٥) وقد: وقيل، ت.

(٦) تلك: ذلك، ت، ك.

(٧) ما: -، ت.

(٨) فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً: +، ت.

وقيل: هو فتح مكة، عن أبي علي، «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ» يعني محمداً ﷺ «بِالْهُدَى» أي: الطريق المؤدي إلى الحق، وقيل: الهدى: الأدلة، وقيل: القرآن «وَدِينِ الْحَقِّ» هو دين الإسلام «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» أي: ليظهر<sup>(١)</sup> دين الحق على سائر الأديان، فيكون هو الغالب المعمول عليه دون غيره، واختلفوا<sup>(٢)</sup> وقيل: يظهره<sup>(٣)</sup> بالحجة، وقيل: بالغلبة، والقهر، وقيل: بالإظهار والانتشار في البلدان، وقيل: يظهره بخروج عيسى، فلا يبقى في الأرض دين سواه، وهذا ليس بشيء؛ لأنه ينزل بعد انقطاع التكليف، والأقرب أنه يظهر بإعزازه وتأييده المسلمين بالحجة والغلبة والفتوح، وإذلال أهل الكفر، وإلقاء الرعب في قلوبهم على ما نشاهده «وَكُفَى بِاللَّهِ شَهِيداً» أي: كفاه شهادة الله سبحانه<sup>(٤)</sup> له، وشهادته له إظهار المعجزات عليه، وإخباره بصدقه ورسالته<sup>(٥)</sup>، وقيل: يشهد برسالته<sup>(٦)</sup> يوم القيامة وأنه بلغ ﴿تُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ قيل: نص على اسمه لتزول كل شبهة، وقيل: لأنه ذكره في الكتب بهذا الاسم «وَالَّذِينَ مَعَهُ» قيل: أصحابه «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ» أي: غلاظ عليهم في قتالهم ومعاداتهم «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» يعني يتعاطفون ويتوادون «تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا» يعني يُصَلُّونَ «يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» قيل: يطلبون فضله<sup>(٧)</sup> بأن يدخلهم الجنة، ورضوانه أن<sup>(٨)</sup> يرضى عنهم، وقيل: يبتغون مصالح الدنيا من وجهها «سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» قيل: علامتهم يوم القيامة، عن ابن عباس، والحسن، وعطاء، والربيع بن أنس، قال شهر ابن حوشب: تكون مواضع سجودهم كالقمر ليلة البدر، وقيل: علامتهم في الدنيا من أثر الخشوع، عن مجاهد، وقيل: أثر التراب على وجوههم، عن عكرمة، وسعيد بن جبیر، وأبي العالية، قال سفيان: يصلون بالليل، فإذا أصبحوا

(١) ليظهر: يظهر، ت.

(٢) واختلفوا: فاختلفوا، ت، ك.

(٣) يظهره: يظهر، د.

(٤) سبحانه: -، ت، ك.

(٥) ورسالته: لرسالته، ت.

(٦) برسالته: رسالته، ك؛ وقيل يشهد برسالته: مكرر في ت.

(٧) فضله: فضلها، د.

(٨) أن: أي، ت.

رؤي<sup>(١)</sup> ذلك في وجوههم، وعن عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كل من صلى الخمس، وقيل: من الصفرة والنحول، عن الضحاك، قال الحسن: إذا رأيتهم حسبته مرضى وما هم بمرضى، وقيل: صفرة السهر، وغض البصر «ذَلِكَ» يعني ما ذكرنا «مَثَلُهُمْ» صفتهم «فِي التَّوْرَةِ» قيل: تم الكلام ههنا، ثم ابتداء فقال - سبحانه - : «وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ» قيل: نباته، عن أنس، وقيل: سنبله، عن ابن عباس، وقيل: فراخه الذي يكثر به ويقوى، عن ابن زيد، والأخفش، والسدي، فأراد<sup>(٢)</sup> أنهم يكونون قليلاً ثم يكثرُونَ «فَأَزْرَهُ» قواه وأعانه «فَاسْتَغْلَظَ» أي: صار غليظاً صلباً «فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ» أي: قام على سوقه لقوته وصلابته «يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ» لكماله وحسنه، والزراع: الأكثرة الذين يزرعون، فشبه أصحاب النبي بكمال<sup>(٣)</sup> الفضل وما يعجب من حالهم بذلك، واختلفوا، فيمن أراد بمن ذكر في الأزر فقل: العشرة الذين بشرهم بالجنة، عن الحسن، وقيل: الزرع محمد، وشطؤه: أبو بكر «فَأَزْرَهُ»<sup>(٤)</sup> عمر وجميع أصحابه، وقيل: شطؤه: الداخلون في الإسلام إلى يوم القيامة، عن ابن جرير. «لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» الغيظ: الغم والأسف والكد<sup>(٥)</sup>، عن أبي مسلم، أي: لكثرتهم وتظاهروهم وتضافروهم قطعوا الأطماع عن مغالبتهم، فيغتazon عليهم، وقيل: ليغيظ بهم الكفار يعني الرافضة.

وعن علي عليه السلام<sup>(٦)</sup> وابن عباس عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال: «يكون في آخر الزمان قوم يكون لهم نيز، يقال لهم: الرافضة، يرفضون الإسلام، إذا رأيتهم فاقتلوهم»، وفي خبر علي (عليه السلام): قلت: ما علامتهم؟ قال: «ليست لهم جمعة ولا جماعة، يسبون أبا بكر وعمر».

وذكر الهادي عليه السلام في (الأحكام) قال: حدثني أبي وعمّاي محمد والحسن،

(١) رؤي: رأى، ت، د.

(٢) فأراد: وأراد، ت.

(٣) بكمال: لكمال، ت، ك.

(٤) فأزره: وأزره، ت.

(٥) انكد: والكمة، ت، ك.

(٦) عليه السلام: +، ت.

عن أبيهم القاسم بن إبراهيم، عن أبيه، عن جده الحسن بن علي، عن أبيه، عن النبي ﷺ وعليهم أنه قال: «يا علي، يكون في آخر الزمان قوم يكون لهم نيز<sup>(١)</sup> يعرفون به، يقال لهم: الرافضة، فإذا أدركتهم فاقتلهم<sup>(٢)</sup>، قتلهم الله فإنهم مشركون».

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ»<sup>(٣)</sup> لتخصيصهم بالوعد دون غيرهم، وقيل: يجوز أن يكون أراد من أقام على ذلك منهم، والأول الوجه «مَغْفِرَةً» لذنوبهم «وَأَجْرًا عَظِيمًا» ثوابًا دائمًا على أعمالهم.

### ✽ الأحكام

يدل قوله: ﴿فَأَنْزَلَ سَكِينَتَهُ﴾<sup>(٤)</sup> أنه لطف لهم حتى سكن قلوبهم.

ويدل قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ على معجزة النبي ﷺ حيث أخبر عن الغيب، فوجد كما أخبر.

ويدل قوله: ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ على جواز الحلق والقصر، ولا خلاف فيه، وإن كان الحلق أفضل للرجال، وكلاهما نُسِكَ.

ويدل قوله: ﴿لِيُظْهِرُوا عَلَى الدِّينِ﴾ أن دين الإسلام يظهر على سائر الأديان، وقد حصل ذلك، فلا دين إلا وقد غلبوهم بالحجة والقهر، وأكثرهم<sup>(٥)</sup> أهل ذمة لهم، ولو لم يكن من ظهور هذا الدين إلا ما ظهر من كثرة علومهم وأصنافها، وكثرة الحجج على المخالفين وكتبهم المصنفة فيها، وعلوم الشرع وقوة أحوالها مع ما<sup>(٦)</sup> انضاف إليها من الاستيلاء، وقمع الأعداء، وقطع أطماع الكفار عن بلادهم لكفى.

(١) نيز: دين، ت.

(٢) فاقتلهم: فاقتلوه، ت، د، ك.

(٣) نبأهم: بيانهم، ت، د، ك.

(٤) سكينته: -، د.

(٥) وأكثرهم: -، ت.

(٦) أحوالها مع ما: أهلها مع، ت، ك.

ثم بيّن صفة أصحاب محمد ﷺ، وطريقتهم، وفضائلهم بما لا مزيد عليه، وبيّن أنه ذكرهم في التوراة والإنجيل، وأنهم رحماء بينهم، لا يكون بينهم تباغض، خلاف ما تقوله الرافضة، وأنهم مجاهدون، ويظهرون العبادة<sup>(١)</sup> والخشوع، إلى سائر ما ذكر، وضرب لهم الأمثال، وكل ذلك يدل على فضلهم، وأنه قوى الإسلام بهم، ووجوب ولايتهم، والتمسك بطريقتهم، خلاف ما تقوله الرافضة والمارقة.

---

(١) ويظهرون العبادة: ويظهرون ويظهرون العباد، ت.

## سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

سورة (الحجرات) مدنية فيما روي عن الحسن، وقتادة، وعكرمة، ومجاهد وغيرهم.

وعن ابن عباس أنها مدنية، إلا قوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾، وهي ثمانى عشرة آية.

وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة (الحجرات)، أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد مَنْ أطاع الله ومن عصاه».

ولما ختم سورة (الفتح) بذكر الرسول، افتتح هذه السورة بذكره وما يجب من تعظيمه وتوقيره وطاعته كما يليق به.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُفَدُّوْا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾  
يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوْا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾  
إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾  
إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.



## ❁ القراءة

قرأ يعقوب والضحاك: «لَا تَقْدَمُوا» بفتح التاء والdal من التقدم. وقراءة العامة بضم التاء، وكسر dal من التقديم، فالأول على لا تتقدموا، حذف إحدى التائين. وقرأ أبو جعفر: «من وراء الحجرات» بفتح الجيم، والقراء على ضمها، وهما لغتان، والحجرة: ما يحاط عليها في الدار، وجمعها حجرات، وقيل: جمعها حُجَرٌ، ثم جمعها حجرات، فهي جمع الجمع، وأصله المنع، ومنه: الحجر على اليتيم، ومنه قيل للعقل: حَجَرٌ؛ لأنه يمنع من الجهل.

## ❁ اللغة

التقديم: مصدر قَدَّمَ يُقَدِّمُ تقديمًا: إذا تقدم، وأَقْدَمَ يُقَدِّمُ إقدامًا، واستقدم يستقدم استقدامًا وقد تقدم، كل ذلك بمعنى تقدم. والقدم: الشيء تقدمه، فيكون علة لك حتى تقدم عليه.

الجهر: ظهور الصوت، والصوت: عرض مدرك بحاسة السمع، ومنه يتركب الكلام، ومنه الجهارة في المنطق، ومنه: فغلبه نهارًا جهازًا، وجاهره بالأمر مجاهرة، ونقيضه: الهمس.

والحبوط: بطلان العمل، وأحبطه الله: أي: أبطله، ومعناه: يبطل ثوابه. والغض: الحط من منزله إلى جهة التضعيف، غَضَ أمر<sup>(١)</sup> فلان: إذا ضعف حاله، وغَضَ بصره عن حدة النظر، وغَضَ صوته: ضعفه عن جهة الجهارة، قال جرير:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ<sup>(٢)</sup>

والامتحان: الاختبار والابتلاء.

(١) أمر: من، د.

(٢) البيت قائله جرير وتمته:

فلا كعبا بلغت ولا كلابا

انظر ديوان جرير، دار صادر، بيروت.

## الإعراب

يا: حرف نداء، ومعناه مضمّر فيه، كأنك تقول: أناديك، و(أي) اسم مبهم للمنادي يحتاج إلى صفة تنبيهه، و(ها) حرف تنبيه من المنادي للمنادي، كأنك تقول: أدعوك، فلا تغفل.

و(الذي) اسم ناقص يحتاج إلى صلة؛ لتمام الفائدة منه بصلته.

(القول) محله نصب، تقديره: لا تجهروا القول.

«خير» نصب لأنه خبر (كان)، أي: كان صبرهم خيراً، وقوله: «ولو صبروا» يدل عليه.

## النزول

أما قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا﴾ اختلفوا في سبب نزوله، فقيل: نزلت في الذبح يوم الأضحى، وذلك أن أناساً ذبحوا قبل صلاة - النبي ﷺ -، فأمرهم أن يعيدوا الذبح، عن عامر بن عبد الله، والحسن.

وقيل: نزلت في قوم صاموا قبل صوم رسول الله ﷺ، عن عائشة، قال مسروق: دخلت عليها يوم الشك، فأمرت لي بعسل، فقلت: إني صائم، فقالت: «نهى النبي ﷺ عن صوم هذا اليوم»، وفيه نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وقيل: نزلت في أناس كانوا يقولون: لو أنزل في كذا أو وضع كذا فكره الله ذلك، ونزلت الآية، عن قتادة.

وقيل: نزلت في الشرائع والقتال، يعني لا تقضوا أمراً دونه، عن الضحاك.

وقيل: نزلت في قصة الرجلين من بني عامر، وذلك أن بني عامر قتلوا جماعة من أصحاب النبي ﷺ، ولقيا رجلين من بني سليم جاءا من عند رسول الله ﷺ، فاعتزيا إلى بني عامر، فقتلاههما، فقال رسول الله ﷺ: «بئس ما صنعتما» ووداهما، فنزلت الآية، عن عطاء الخراساني.

وقيل: نزلت في قوم كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ، فإذا سئل خاضوا فيه قبله وأفتوا، فنهوا عن ذلك، عن أبي علي.

فأما قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ قيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان جهوري الصوت، وفي أذنه وقر، فإذا كلم رسول الله ﷺ رفع صوته، فلما نزلت جعل يبكي ويقول: أنا من يرفع صوته، هلكت والله، فقال له النبي ﷺ: لا: «أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً؟»، فقال: رضيت ولا أرفع صوتي بعد هذا، فنزلت الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾. وقتل: في حرب اليمامة.

وقيل: إن أناساً<sup>(١)</sup> من الأعراب كانوا<sup>(٢)</sup> إذا أتوه ينادونه: يا محمد، فأنزل الله - تعالى - هذه الآية، وأمرهم أن يقولوا: يا رسول الله بتعظيم، عن سعيد بن جبير.

وقيل: نزلت في قوم رفعوا أصواتهم بالقراءة خلف رسول الله.

وقيل: نزلت في وفد بني تميم، ويذكر بعد هذا.

وقيل: لما نزل<sup>(٣)</sup> ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ ما كلم أبو بكر ولا عمر إلا كأخي السرار، فنزل فيهما: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾.

وأما قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ قيل: نزلت في وفد بني تميم.

وعن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup> سئل عن نزل فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ﴾ فقال: «بنو تميم»، وذلك أن الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصين، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم في أناس من بني تميم، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup> فنادوا: يا محمد، اخرج إلينا نفاخرك، فإن مدحنا زين، وذمنا شين، عن قتادة، فخرج رسول الله ﷺ، وهو يقول: «ذلكم الله الذي مدحه زين، وذمه شين»، ثم فاخر مرة بالنظم ومرة بالثر<sup>(٦)</sup>، فأمر ثابت بن قيس بن شماس، وهو

(١) أناساً: ناساً، ك.

(٢) كانوا: +، ك.

(٣) نزل: نزلت، د.

(٤) صلى الله عليه وآله: عليه السلام.

(٥) صلى الله عليه وآله: -، د.

(٦) ومرة بالثر: والثر، ت، د، ك.

خطيب الأنصار فأجابهم نثرًا، وأمر حسان فأجابهم نظمًا، فارتفعت الأصوات، فنزلت الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا﴾ فآمنوا، فأعطاهم رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> وكساهم.

وقيل: إن النبي ﷺ بعث سرية إلى بني العنبر، وأمر عليهم عيينة بن حصين، فلما سمعوا به تركوا أموالهم وعيالهم<sup>(٢)</sup>، وهربوا، فسباهم عيينة، فجاء رجالهم إلى رسول الله ﷺ وقت الظهيرة، وهو قائل، نادوا: يا محمد، اخرج إلينا حتى أيقظوه، فخرج وأعتق نصف الذراري والنساء، وقتل نصفهم، ففيهم نزلت الآية، عن ابن عباس.

وقيل: نزلت في أناس من العرب، قال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبيًا فنحن أسعد الناس به، وإن يك ملكًا نعيش في جناحه، فجاءوا إلى حجرته ينادونه يا محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ<sup>(٣)</sup> أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الآية.

### المعنى

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَدَّقُوا» لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» اختلفوا فيه، فمنهم من حمله على الخصوص، واختلفوا بحسب اختلافهم في أسباب نزولها، على ما ذكرنا، فقيل: لا تحكموا في الأمر قبل وقته، عن ابن عباس، وقيل: لا تذبحوا قبل صلاته، عن الحسن، وقيل: لا تصوموا قبل صومه، عن عائشة، وقيل: لا تقتلوا قبل أمره، عن عطاء.

فأما من قال: إنه عامٌّ على إطلاقه، اختلفوا، فقيل: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، عن ابن عباس، وقيل: لا تقضوا في الشرع أمرًا من دونه، عن الضحاك، وقيل: لا تسبقوه بقول ولا فعل حتى يأمركم به، عن السدي، والكلبي، وأبي علي؛ لأن التقديم هو أن يفعل<sup>(٤)</sup> ما لم يؤمر به. وقيل: لا تقطعوا أمرًا من دونه، عن

(١) صلى الله عليه وآله: -، ك.

(٢) أموالهم وعيالهم: عيالهم وأموالهم، ك.

(٣) من وراء الحجرات: -، ك.

(٤) يفعل: تعمل، ك.

ابن زيد، وقيل: لا تمشوا بين يديه تعظيماً له، وقيل: لا تطلبوا منزلة<sup>(١)</sup> وراء منزلته<sup>(٢)</sup>، وقيل: لا تقدموا أعمال الطاعة قبل الوقت الذي أمر به رسول الله ﷺ، عن الزجاج. وقيل: معناه لا تستبدوا بالأمر، قال الأخفش: تقول العرب: تقدم بين يدي أبيه وأمه<sup>(٣)</sup>، وتَقَدَّم<sup>(٤)</sup> إذا استبد بالأمر دونهما.

«وَاتَّقُوا اللَّهَ» أي: عذابه في تضييع حقه ومخالفة أمره «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» لأقوالكم «عَلَيْكُمْ» بأفعالكم يجازيكم بها «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ»؛ لأن فيه أحد شيئين: إما لأن فيه نوع استخفاف به، فهو كُفْرٌ وسوء أدب، وفيه خلاف التعظيم المأمور به.

ومتى قيل: أليس ثابت لم يكفر ولم يفسق؟

قلنا: لم يقصد الاستخفاف، ولكن كان يياسطه، فَهِيَ عن ذلك.

ومتى قيل: أليس كانوا يرفعون أصواتهم عنده؟

قلنا: ذاك في مخاطبة غيره أو في حرب، أو أذان، وذلك غير مقصود بالآية،

إنما الآية في رفع صوت يخالف التعظيم.

«وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ» قيل: كما يرفع بعضهم صوته على بعض، عن أبي علي، وقيل: لا تقولوا: يا محمد، كما يخاطب بعضهم بعضاً، ولكن قولوا: يا رسول الله، وقيل: خاطبوه بالتعظيم والتبجيل «أَنْ تَخْبِطَ أَعْمَالُكُمْ» أي: لئلا تحبط أعمالكم، يعني أن فعلهم ذلك يبطل أعمالهم، ثواب أعمالهم؛ أي وأنهم لا يعلمون أنه يحبط بهذا القدر، ولا يجوز حمله على نوع من الاستخفاف؛ لأنه كفر، ولم يفعلوا ذلك، ولأنه حرم مع النبي - صلى الله عليه - ما أبيح مع غيره، والاستخفاف بالمؤمنين غير مباح.

(١) منزلة: من، ت، د، ك.

(٢) منزلته: منزله، د، ت.

(٣) وأمه: وأمامه، ت، د، ك.

(٤) وتقدم: وقدم، ت، د، ك.

ومتى قيل: فعلى أي وجه يحرم رفع الصوت عنده؟  
قلنا: على جميع الوجوه.

ثم مدح من يغض<sup>(١)</sup> الصوت عنده تعظيمًا له، فقال - سبحانه -: «إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ» أي: يخفونها، ولا يجهرون بها جهراً عظيماً، وكما يحسن ذلك مع النبي ﷺ، فكَذَلِكَ<sup>(٢)</sup> مع الأئمة والعلماء، ومن يجب تعظيمه «أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى» أي: اختبرها فأخلصها، قيل: أخلصها للتقوى، عن قتادة، ومجاهد. وقيل: أكرمها للتقوى، عن ابن عباس، وقيل: أذهب الشهوات منها، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>، وقيل: علم الله من قلوبهم التقوى؛ لأن الامتحان يراد للعلم، فذكر ذلك توسعاً، وقيل: امتحن قلوبهم فوجدتها خاصة للتقوى؛ وقيل: امتحن: تَوَسَّعَ، أي: لطف حتى وسع قلوبهم، وقيل: امتحنهم ليظهر ما فيه من التقوى. «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» لذنبهم «وَأَجْرٌ عَظِيمٌ» أي: ثواب، وهو الجنة «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ» يا محمد «مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ» قيل: خلف الحجرات «أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» يعني أنهم جهال «وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» قيل: أنفع وأسلم من الآثام والشبور، عن أبي علي، وقيل: أشفع<sup>(٤)</sup> لهم في ذرايعهم، وكان يكتب بعثت جميعهم، وقيل: أدخل في تعظيم النبي ﷺ، وقيل: أقرب إلى الصلاح وأبعد من سوء الأدب «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يغفر الذنوب بالتوبة، ويرحم بإدخالهم الجنة.

### الأحكام

يدل قوله: ﴿لَا تُفْهِمُوا﴾ على وجوب الانقياد لله والرسول، وتحريم تجاوز أمرهما، وتعدي رسمهما، وقد مدح الله تعالى الملائكة فقال: ﴿لَا يَسْقُوتُ بِأَلْقَوْلٍ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

وتدل على أن الاقتداء بالرسول واجب في أقواله وأفعاله.

(١) يغض: غض، ك.

(٢) فكَذَلِكَ: وكذلك، ت، د.

(٣) رضي الله عنه: -، ك.

(٤) أشفع: أنفع، ك.

ويدل قوله: ﴿سَمِعَ عَلِيمٌ﴾ أن السمع صفة زائدة على العليم، خلاف ما تقوله البغدادية.

وتدل الآية أن أفعال العباد حادثة من جهتهم، ولو<sup>(١)</sup> كانت خلقه تعالى لما كان تقدماً من جهتهم؛ إذ هو يخلقه ويوجده.

ويدل قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا﴾ الآية على وجوب تعظيم الرسول في كل باب حتى في الكلام وفي التسمية؛ لأن الغرض ليس هو رفع للصوت فقط؛ بل هو تنبيه على سائر ما يلزم من إعظامه.

وتدل أن الكبيرة تحبط الأعمال، ووجوب الاحتراز عما يحبطها.

وتدل على أن الأفعال والأقوال قد تختلف بالأحوال، فلذلك قبح رفع الصوت مرة عنده، ولم يقبح عند غيره.

وتدل على أن العدول عن طاعته يحبط العمل؛ لأنه إما أن يكون كفراً أو فسقاً.

ويدل قوله: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أن ذلك يجب بشرط اجتناب الكبائر.

ويدل قوله: ﴿لَا يَقُولُونَ﴾ أنهم لم يعلموا ما لزمهم، فتدل أن المعارف مكتسبة.

قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفْتِنَلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

(١) ولو: إذ لو، ك.

## ❁ القراءة

قرأ حمزة ويعقوب: «فَتَثْبُتُوا» بالثاء من التثبیت، وهو التآني، والباقون «فتبينوا» بالباء والنون من البيان، أي: تعرفوا، والتبين التعرف، والبيان: الدلالة المؤدية إلى العلم والمعرفة، عن أبي علي، وأبي هاشم، وقيل: هو العلم الحادث، عن أبي عبد الله البصري.

قرأ يعقوب: «إِخْوَتُكُمْ» بالثاء على الجمع، وهو قراءة ابن كثير، وسويد. والباقون: «أخويكم» بالياء على التثنية، لقوله: «طائفتان». وقرأ الحسن «إخوانكم» بالنون والألف على الجمع.

## ❁ اللغة

الفاسق: الخارج من ولاية الله إلى عداوته، وأصله الخروج.  
والنبا: ما يعظم شأنه، وجمعه: الأنباء.

والعنت: المشقة، عَنَتَتِ الدابة تَعْنَتُ عَنَتًا: إذا حدث في قوائمها كسر بعد جبر لا يمكنها<sup>(١)</sup> معه الجري، قال ابن الأنباري: أصل<sup>(٢)</sup> العنت التشديد، يقال: فلان تَعَنَّتْ فلانًا: تشدد عليه وألزمه ما يصعب عليه أدائه، ثم نقل إلى الهلاك، ومنه قوله: ﴿لَعْنَتُمْ﴾ هلكتم.

والبغي: طلب زيادة ليست له، وأصله من الطلب، ومنه: هذه بُغْيَتِي.  
والفيء: الرجوع، ومنه قيل لظل الزوال: فيء؛ لأنه<sup>(٣)</sup> يرجع عن جانب المشرق إلى جانب المغرب، فاء يفيء فَيْئَةً وَفَيْئًا، وإنه لسريع الفيئة، أي: الرجوع، ومنه الفيء: لما يرجع من أموال المشركين بغير قتال.

والقسط: العدل ونحوه، والإقساط مصدر أقسط فهو مقسط، والقسط بفتح

(١) يمكنها: يمكنه، ت، د، ك.

(٢) أصل: أصله، ت، د، ك.

(٣) لأنه: أنه، ك.



القاف: الجور، قَسَطَ يَقْسِطُ: جار، والقسوط: العدول عن الحق، وأصل الباب: العدول فمن<sup>(١)</sup> عدل إلى العدل فقد أقسط، ومن مال إلى الجور فقد قَسَطَ، والقَسَطُ بفتح القاف والسين: اعوجاج في الرجلين لعدوله عن الاستقامة.

### النزول

قيل: قوله: ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه رسول الله ﷺ في صدقات بني المصطلق، فخرجوا مسلحين يتلقونه فرحاً به، وإكراماً وتعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، فظن أنهم هموا بقتله، فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال: إنهم منعوني<sup>(٢)</sup> صدقتهم.

وقيل: كان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية؛ فلذلك قال ما قال، فغضب النبي ﷺ وهم أن يغزوهم، وبلغهم ذلك، فجاءوا وذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فبعث خالد بن الوليد فأخذ صدقاتهم، ولم ير منهم إلا الطاعة، ففي الوليد نزل قوله: ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ويزيد بن رومان، وابن أبي ليلى.

وأما قوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، اختلفوا في سبب نزوله، فقيل: نزلت في رهط عبد الله بن أبي، ورهط عبد الله بن رواحة، وذلك أن غبار حافر حمار رسول الله ﷺ أصاب عبد الله بن أبي فتكلم بما لا يعنيه، فنازعه عبد الله بن رواحة، وآلت تلك المنازعة إلى القتال بين الأوس والخزرج بالنعال، فنزلت الآية، فاصطلحوا، عن ابن عباس.

وروي أن رسول الله ﷺ وقف على حمارة على نادي الأنصار، وفيهم عبد الله ابن أبي، فصال<sup>(٣)</sup> حمارة فأخذ عبد الله أنفه، وقال: إليك عنا حمارك فقد آذانا بنتنه، فقال ابن رواحة: حمارة أطيب ريحاً منك، فغضب قوم لعبد الله بن أبي، وقوم لعبد الله بن رواحة، فتنازعا بالنعال، ثم اصطلحوا، ففي ذلك نزلت الآية. عن جماعة من المفسرين.

(١) فمن: من، د، ت؛ في من، ك.

(٢) منعوني: منعوا، ك.

(٣) فصال: صال، ت، د.

وقيل: نزلت في رجلين من الأنصار جرت بينهما منازعة في حق لهما، فقال أحدهما للآخر: لَأَخَذَنَّ حَقِّي مِنْكَ عَنوةً، ودعاه الآخر إلى المحاكمة إلى نبي الله ﷺ فأبى، فلم تزل الأمور حتى كان تناوُلُ بالأيدي والنعال دون السيوف، ثم اصطَلَحُوا، ففيهم نزلت الآية، عن قتادة.

وقيل: نزلت في حرب الأوس والخزرج في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر نبيه فصالح بينهم، فصاروا إخواناً، عن الكلبي.

وقيل: كانت امرأة من الأنصار يقال لها: أم زيد، تحت رجل، وكان بينها وبين زوجها شيء، فحبسها، فبلغ قومها، فجاؤوا واقتتلوا بالأيدي والنعال، فأنزل الله تعالى الآية، عن السدي.

### النظم

يقال: كيف يتصل قوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ بما قبله؟

قلنا: لما أمر بطاعة رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> بين أنه لا ينبغي للرسول أن يتبع أهواءهم، ويقبل قول الفساق؛ بل يفصل بما يثبت عنده.

ويقال: كيف يتصل قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ بما قبله؟

قلنا: لما بين أنه لو اتبع أهواءهم وأطاعهم في الأمر لعنتم، بين ما أمر به، وحبب إليهم.

وقيل: لما أمر بالثبوت في الأمور على ما يقتضيه الدين بين أنه حبب إليهم ذلك؛ لثلاثاً<sup>(٢)</sup> يقعوا في العنت.

ويقال: كيف يتصل: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ﴾ بما قبله؟

قلنا: لما أمر بطاعة الرسول، وأن يكونوا يداً واحدة يَبِّينَ أنه إن وقع قتال وخلاف أن الواجب المصالحة، فإن أبوا فالواجب قتال الباغي.

(١) صلى الله عليه وآله -، ك.

(٢) ثلاث: لكي لا، ك.

المعنى

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ مِنْكُمْ فَرْغَا عَنْهُ وَلَوْ كُنْتُمْ فَاسِقِينَ» وهو الكبيرة؛ لأن من لا يجانب الفسق لا يؤمن منه الكذب في أخباره «بِنَبَأٍ» أي: بخبر «فَتَبَيَّنُوا» بالتاء<sup>(١)</sup> والنون، أي: تعرفوا حتى تعلموا حقيقة، وبالثاء: تأنوا فيه حتى تثبت عندكم حقيقة «أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ» أي: تصيبوهم بقتل أو قتال، وأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر «فَتَضَبُّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ» من ذلك «نَادِمِينَ» إذا علمتم ذلك «وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ» فاتقوا الله أن تقولوا باطلاً، فإن الله تعالى يخبره أنباءكم، ويعرفه أحوالكم، فتفتضحون عنده «لَوْ يُطِيعُكُمْ» أي: يتبع مرادكم «فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ» قيل: يقبل قول بعضكم، وقيل: يقضي برأيكم «لَعَنْتُمْ» أي: أنتم، وقيل: أوقعتم في عنت، وهو الهلاك، وقيل: لحقكم الضر والشدة، يعني لو قبل الرسول مع عظيم محله قول بعضكم لهلكتم، فكيف تقبلون أنتم، ولكن الله يوفق نبيه<sup>(٢)</sup> للصواب<sup>(٣)</sup>، فلا يعمل إلا المصالح، عن الأصم. «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ» وأنتم تطيعون الله ورسوله، ويذهب عنكم العنت، وقيل: حُبب بالأدلة على صحته واستقامته، وقيل: بالطفاه، وقيل: ما وصفه من الثواب عليه، عن الحسن. ويحمل على أنه حَبَّبَ بالأمر به، والدلالة عليه، والألطف الداعية إليه، وما وعد من الثواب على فعله، وقوله: «حَبَّبَ» أراد فعل ما عنده تحبون الإيمان من الأشياء التي ذكرناها «وَكَّرَهُ إِلَيْكُمْ» أي: فعل ما عنده تكرهون «الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ» قيل: بالطفاه، وقيل: بما وصف من العقاب عليه، عن الحسن. وقيل: بجميع وجوه الصوارف «أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ» أي: من تمسك بهذه الطريقة كان على رشد وصواب، وإنما رتب ثلاث رتب؛ لأن المعاصي على ثلاثة أضرب: كُفْرٌ وَفُسُقٌ، وهو الكبائر، وعصيان، وهو الصغائر «فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً» يعني رشادهم بدعاء الرسول، وتمكين

(١) بالتاء: بالياء، ك.

(٢) نبيه: -، ك.

(٣) للصواب: الصواب، ك.

الله ولطفه وهديته، وقيل<sup>(١)</sup>: منة عليهم ونعمة، وقيل: التحبيب والتكريم فضلاً من الله ونعمة «وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» لا يفعل إلا الحكمة، عليم بالمصالح، وقيل: عليم بهم يجازي كل أحد بما يستحقه «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» ولا شبهة أن إحداهما باغية والأخرى عادلة؛ لأنهما كانتا<sup>(٢)</sup> مؤمنتين قبل القتال، كما يقال: لو أن طائفة من المؤمنين ارتدوا<sup>(٣)</sup> فاقتلوه «فَأُضْلِحُوا بَيْنَهُمَا» بتوسط ومصالحة «فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى» طلب ما ليس له، ظالماً للفرقة الأخرى، وأبى الإجابة إلى حكم الكتاب «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ» أي: ترجع «إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» بالتوبة والطاعة «فَإِنْ فَاءَتْ» رجعت «فَأُضْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ» بالقسط حتى يكونوا سواء، لا يكون من أحدهم على الآخر جور وشطط فيما يتعلق بالضمانات والأروش؛ بل حال كل واحد كحال الآخر «وَأَقْسِطُوا» أعدلوا «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» العادلين «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» قيل: سماهم مؤمنين وإخوة قبل القتال، وقيل: سماهم بذلك بعد الصلح والرجوع؛ لأن حال القتال حال براءة وإحن وقطيعة، لا حال أخوة وألفة «فَأُضْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» قيل: احملوهم على حكم الشرع «وَاتَّقُوا اللَّهَ» في الفرقة «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أي: لترحموا إن فعلتم ما أمرتم به.

### الأحكام

في هذه الآيات أحكام:

منها: في قوله: ﴿ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ الآية، فتدل<sup>(٤)</sup> على أن الفاسق<sup>(٥)</sup> لا يقبل خبره ولا شهادته، واختلفوا في الفاسق من جهة التأويل، فالذي عليه الفقهاء أنه يقبل؛ لأن الخلاف وقع والصحابة متوافرون، وكان بعضهم لا يرد خبر بعض، وقال

(١) وقيل: فقيل، ت، د.

(٢) كانتا: كانا، ك.

(٣) ارتدوا: ارتدا، ت، د.

(٤) فتدل: يدل، ك.

(٥) الفاسق: خبر الفاسق، ك.

أبو علي وأبو هاشم: لا يقبل، قال: إذا كان الكذب في المعاملات وحقوق الناس يوجب رد قوله، فالكذب على الله ورسوله، وعلى سادات الإسلام من المهاجرين والأنصار أولى بالرد، قال القاضي: قولهما أقيس، وقول الفقهاء أقرب إلى الآثار.

قال أبو علي: تدل الآية على أن خبر الواحد لا يقبل لأنه قال: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ﴾ وبخبر الواحد لا يحصل العلم، فلا نأمن الجهالة فاسقاً كان<sup>(١)</sup> أو مستوراً.

قلنا: هذا ينتقض عليه بخبر الاثنين، واستدل جماعة بالآية على أن خبر الواحد يقبل؛ لأنه لو كان لا يقبل خبر العدل لم يكن لذكر الفاسق معنى.

وقيل: إنها لا تدل إلا على التثبت<sup>(٢)</sup> في خبر الفاسق، فأما غير ذلك فليس في الظاهر ما يدل على رد وقبول.

وتدل على تحريم التقليد؛ لأن فيه اعتقاد ما لا يؤمن كونه جهلاً وفاسداً.

واستدل بعضهم بالآية على أنه يجب التوقف في خبر الواحد إذا جوز كونه فاسقاً، وإن كان ظاهره الستر، قال: لأن الوليد كان مستوراً، لذلك استعمله رسول الله ﷺ، ولولا ذلك لما كان بعثه على الصدقات وما ولاه، وهذا لا يصح؛ لأن ظاهره كان الستر، فاستعمله، ثم علم بخبر الله أنه فاسق.

وتدل على أن خبر الواحد لا يوجب العلم.

ويدل ظاهره على التوقف فيه، وتعليقه على وجوب الرد.

فأما قوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ يدل على أنه لا يريد القبائح؛ لأنه منع رسوله عن الرجوع إلى قول الفاسق؛ لثلاث<sup>(٣)</sup> يلحقنا عنت، فكيف يريد نفس العنت، وكيف يفعله؟

فأما قوله: ﴿حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَنَ﴾ تدل الآية على أشياء:

(١) كان: -، ك.

(٢) التثبت: التكذيب، ك.

(٣) ثلاثا: لأن لا، ك.

منها: أنه يريد الإيمان، ويكره الكفر؛ لأنه لا يحب إلينا إلا ما يحبه<sup>(١)</sup>، ولا يكره ما لا يكرهه.

ومنها: أنه يلفظ حتى نحب الإيمان بلطفه، فيدل على قولنا في اللطف.  
ومنها: أنه زين الإيمان، وكره الكفر، خلاف قول المجبرة: إنه قد يكره الإيمان، ويحب الكفر.

وتدل على أن المعاصي التي هي مخالفة للإيمان ثلاث، وأن لها رتباً: فالكفر أعظمها، والفسق: هو الكبائر الذي ليس بكفر، والعصيان: الصغائر، فيبطل قول الخوارج: إن جميعها كُفْرٌ، وقول بعضهم: إن الفسق هو الكفر، وكل ذنب فسق لولا أن الأمر كما قلنا، وإلا لم يكن للتمييز على هذا الترتيب معنى.

وأما قوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ﴾ إلى آخرها، فيدل على أشياء:

منها: أن القتال إذا وقع بين فئتين فينبغي للمؤمنين أن يوقعوا<sup>(٢)</sup> بينهما الصلح إذا أمكن، فإن لم يمكن فالقتال للباغي<sup>(٣)</sup>.

ومنها: وجوب قتال البغاة وكيفيته، وإلى متى يجب القتال.

ومنها: أن الباغي لا يكون إماماً؛ لأن من يجب قتاله لا تجب طاعته.

وتدل على أن قتال معاوية كان واجباً، وأنه كان باغياً، وكذلك (يزيد) ومن هذا حذوهم.

ومنها: تدل على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومنها: أن من شرطه أن يكون بأسهل الأمور، فلا يقايلُ والإصلاح بما دونه ممكن.

وتدل على أن قتل الباغي يحل، وأن دمه هدر.

(١) إلا ما يحبه: ما لا نجه، ك.

(٢) يوقعوا: يوقع، د.

(٣) فالقتال للباغي: فقتال الباغي، د.

وتدل على أنه لا يحل قتاله بعد الرجوع .

وتدل على أنه يجب الأمر بالمعروف وإن لم يكن إمام .

وتدل على جواز الخروج على الظلمة .

وتدل على وجوب المصالحة بعد الفية ؛ لتزول الضغائن .

وتدل على أن الباغي ليس بكافر ؛ لأنه لم يحكم فيهم أحكام الكفار .

وعن علي عليه السلام قيل له في أهل (الجمال) و(صفين) : أمشركون؟ قال : من الشرك فروا، قيل : أمنافقون؟ قال : المنافق لا يذكر الله إلا قليلاً، قيل : فما هم؟ قال : إخواننا بغوا علينا .

قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَلَامُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ .

### ❁ القراءة

قراءة العامة : ﴿تَلْمِزُوا﴾ بكسر الميم، وقرأ يعقوب بضمها، وهما لغتان، لمزه يلزمه ويلمزه .

قراءة العامة : ﴿وَلَا تَحْسَبُوا﴾ بالجيم، وعن ابن عباس وأبي رجاء العطاردي بالحاء، قال الأخفش : ليس يبعد أحدهما عن الآخر ؛ لأن التجسس عما يكتُم، ومنه :

الjasوس، والتجسس بالحاء: البحث عنها وتعرفها، وقيل: أكثر ما يقال: التجسس بالجيم في الشر<sup>(١)</sup>، ومنه: الjasوس صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير، وحكى ثعلب أن التجسس بالجيم أن تطلبه لغيرك، وبالحاء أن تطلبه لنفسك، وقال بعضهم: التجسس بالجيم البحث عن العورات، وبالحاء الاستماع<sup>(٢)</sup>.

### اللغة

السخرية والاستهزاء نظائر، وهو عيب يلحق به على طريق المذلة. والهمز واللمز: العيب والغض من الناس، ومنه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] وَهَمَزُهُ وَلَمَزَهُ: إذا عابه، قال الليث: اللمزة: الذي يعيبك في وجهك، والهمزة الذي يعيبك بالغيب، وقال غيره: هما شيء واحد، وأنشد: وإن أغب فأنت الهمامز اللمزة<sup>(٣)</sup>

واللمز: عيب من لا يجوز أن يؤذى بذكره، وعيب الفاسق ليس بلمز، وأصل الهمز الدفع كأن الغائب يدفعه بالعيب.

والنيز: فهو القذف باللقب، وهو مصدر نيزه<sup>(٤)</sup> نيزاً.

والغيبة: أن يُذكر الإنسان من ورائه بسوء وهو فيه، فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت والبهتان.

والشعوب: قال الفراء: أكثر من القبائل، وقال الليث: الشعب ما يتشعب من قبائل العرب<sup>(٥)</sup>، والشُعُوبِيُّ: الذي يصغر<sup>(٦)</sup> شأن العرب، ولا يرى لهم فضلاً على

(١) الشر: التنوير، د، ت.

(٢) وبالحاء للاستماع: في ك: فيإيجاز الاستماع.

(٣) أغب: أغيب؛ ت، د، ك.

البيت ينسب إلى زياد الأعجم:

إذا لقيتك تُبدي لي مكالمة أغب فأنت الهمامز اللمزة

أنظر: يوسف حسين بكار، شعر زياد الأعجم، دار المسيرة، ١٩٨٣.

(٤) نيزه: نيزته، ت، د.

(٥) العرب: للعرب، ك.

(٦) يصغر: يطعن، ك.



غيرهم سموا بذلك<sup>(١)</sup> لأنهم تأولوا<sup>(٢)</sup> ﴿وَجَعَلْنَا شُعُوبًا﴾ على أن الشُعُوب من العجم كالقبائل من العرب، وقال أبو عبيد: الشعوب العجم، وأصل الشعوب من الشعب<sup>(٣)</sup> وهو كثرة تفرقهم في النسب، يقال: شعبته: جمعته، وشعبته: فرقته، وهو من الأضداد، شعب الرجل أمره: إذا فرقه، وشنته، ومنه حديث عائشة في صفة أبيها «يرأب شعبها»، أي: شعب الأمة لما افتترقت كلمتها بينها، ويكون التشعب من الإصلاح، ومنه قيل لمن يصلح البرام المتكسرة: شَعَاب.

### ✽ النزول

أما قوله: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾:

قيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه وقر، وكان إذا دخل تفسحوا له حتى يقعد عند النبي ﷺ<sup>(٤)</sup> وسلم، فيسمع ما يقول، فدخل المسجد، والناس [قد] فرغوا من الصلاة، وأخذوا أماكنهم، فجعل يتخطى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا، فانتهى إلى رجل، فقال له: أصبت مجلسًا، فأجلس خلفه مغضبًا، فلما انجلت الظلمة قال: من هذا؟ قال الرجل: أنا فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، وذكر أمًا له كان يُعَيَّرُ بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه حياءً، ونزلت الآية، عن ابن عباس.

وقيل: نزلت في وفد تميم الذين تقدم ذكرهم استهزؤوا بفقراء<sup>(٥)</sup> أصحاب رسول الله ﷺ كعمار، وخباب، وبلال، وصهيب، وسلمان، وسالم، فنزلت الآية، عن الضحاك.

فأما قوله: ﴿وَلَا يَسَاءُ مِّن سَاءٍ﴾:

- (١) سموا بذلك: +، ك.
- (٢) تأولوا: باذلوا، ك.
- (٣) الشعب: الشعب، ك.
- (٤) يرأب: ترأب، ت، د، ك.
- آله: +، ك.
- (٥) بفقراء: بفقر، ت، د.

قيل: نزلت في امرأتين من نساء النبي ﷺ سخرتا بأم سلمة، وذلك أنها ربطت شعرها بشيء وأسدلت خلفها، فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب.

وقيل: بل نزلت في نساء النبي ﷺ سخروا<sup>(١)</sup> من أم سلمة، عن أنس.

وقيل: نزلت في صفية بنت حيي، وذلك أنها أتت رسول الله ﷺ وقالت: إن النساء يعيرنني وَيَقُلْنَ: يا يهودية بنت يهودي، فقال ﷺ<sup>(٢)</sup>: «هلا قلت: أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد ﷺ»، ففي ذلك نزلت الآية، عن ابن عباس.

وأما قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾:

قيل: نزلت في جمع من الأنصار كانوا يتنازبون بالألقاب، فنزلت الآية.

وقيل: نزلت في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية، فلما أسلموا نهوا أن يدعوا بها بعضهم بعضاً.

فأما قوله: ﴿أَجْنَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَغْتَابَ﴾:

قيل: نزلت<sup>(٣)</sup> في رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اغتابا رفيقهما، وهما مسلمان، بعثاه إلى رسول الله ﷺ ليأتي بطعام، فبعثه إلى أسامة، فقال: ما عندي شيء وكان خازن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>، فعاد إليهما، فقالا: بخل أسامة، وقال [لسلمان]: لو بعثناه إلى بئر لغار ماؤها، ثم أخذنا يتجسسان هل عند أسامة طعام، فنزلت الآية.

فأما قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الآية:

قيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس لما قال لذلك الرجل: ابن فلانة؟ فقال

(١) سخروا: سخرت، ك.

(٢) صلى الله عليه وآله: رسول الله، ك.

(٣) نزلت: نزل، د.

(٤) صلى الله عليه وآله: -، ك.

رسول الله ﷺ: «من الذاكر فلانة؟ فقال ثابت: أنا، فقال: «قم، فانظر في وجه القوم من ترى؟» فقال: رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال: «فإنك لا تفضلهم إلا بالدين»، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن ابن عباس.

وقيل: بل<sup>(١)</sup> نزلت يوم فتح مكة، أمر النبي ﷺ بلال<sup>(٢)</sup> فَعَلَا ظهرَ الكعبةِ وأَذَّنَ، فقال الحارث بن هشام: أما وجد محمدٌ غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال عتاب ابن أسيد<sup>(٣)</sup>: الحمد لله الذي قبض أبي فلم ير هذا اليوم، وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً يغيره، وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره به رب السماء، وأخبره جبريل بما قالوا، فدعاهم، وسألهم، فأقروا بما قالوا، ونزلت الآية نهياً عن التفاخر بالأنساب وازدراء الفقراء، عن مقاتل.

### المعنى

لما نهى عن التفرق وأمر بإصلاح ذات البين نهى في هذه الآية عن الأسباب المؤدية إلى الفرقة من السخرية والازدراء بالفقراء ونبز الألقاب ونحوها، فقال - سبحانه -: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ» قيل: أحدٌ من أحد، ورجال من رجال، وقيل: القوم اسم لجميع الرجال والنساء، وقيل: قد يختص بجميع الرجال، قال الشاعر:

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي      أَقَوْمٌ أَلْ حِضْنِ أُمِ نِسَاءٍ<sup>(٤)</sup>

يعني: أرجال أم نساء؟ وفي الآية المراد به الرجال لذلك عطف عليه<sup>(٥)</sup> النساء، والسخرية أن يستخف به ويضحك عليه حتى يغمه «عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ» عند

(١) بل: +، ك.

(٢) بلالاً: بلال؛ ت، د، ك.

(٣) عتاب بن أسيد: ابن عتاب بن أسيد، د.

(٤) البيت قائله زهير بن أبي سلمى في قصيدة مطلعها:

عفا من آل فاطمة الجواء      فيُمنُّ بالقوادمُ فالحساء

أنظر ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت.

(٥) عليه: عليها، ت، د.

الله، وإن كان الساجر ذا مال وجاه «وَلَا نِسَاءَ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ» يعني لا تسخر نساء من نساء عسى أن يكن كلهن<sup>(١)</sup> خيرًا من الساجر، وإن كان هو أكبر حظًا في الدنيا، وقيل: لا يسخر غني من فقير لفقره، عن مجاهد. «وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ» أي: لا يغتب بعضكم بعضًا، ولا يطعن عليه، عن ابن عباس، وقتادة. كقوله: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» [النساء: ٢٩]، وكقوله: «فَسَلِمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» [النور: ٦١]، وإنما ذكر ذلك؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة «وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ» قيل: هو كل اسم أو صفة يكره الرجل أن يدعى به، عن الضحاك. وقيل: هو قول الرجل للرجل: يا كافر، يا فاسق، يا منافق، عن قتادة، وعكرمة. وقيل: كان اليهودي [و] النصراني يسلم، فيقال له بعد ذلك: يا يهودي، يا نصراني، فَنُهِوا عن ذلك، عن الحسن. وقيل: هو أن يعمل إنسان شيئًا ثم يتوب، فَيُعَيَّرَ بما سلف منه، عن ابن عباس. «بِئْسَ الْاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ» يعني: مَنْ فَعَلَ ما نهيتُ عنه مما تقدم فهو فاسق، واسم الفسق بعد الإيمان بئس الاسم فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسق، وقيل: بئس الاسم الذي تسميه بقولك<sup>(٢)</sup>: يا فاسق بعد أن علمت أنه مؤمن «وَمَنْ لَمْ يَتُبْ» عن ذلك، «فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» قيل: لأنفسهم بإيجاب العقاب لها، وقيل: ظالم لأخيه بما قال فيه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ» بَيَّنَّ في تلك الآية النهي عن أسباب التفرق، وأمر بهذه الآية أن يثق بأخيه، ولا يظن به غير الجميل؛ لأن ذلك أيضًا من أسباب الفرقة فقال: «اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ» وهو الظن القبيح بمن ظاهره الستر، وقيل: إذا احتمل الشيء وجوهاً فيجب أن يظن به الجميل، فإذا لم يحتمل إلا وجهًا واحدًا وهو قبيح فحينئذ أتى من قِبَل نفسه «وَلَا تَجَسَّسُوا» قيل: لا تتبعوا عثرات المؤمنين<sup>(٣)</sup>، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. يعني خذوا ما ظهر، ودعوا ما ستر، ولا تتبعوا عوراتهم لتقفوا على ما يكره «وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُم بَعْضًا» قيل: «أن تذكر أخاك بما يكره»، رواه أبو هريرة مرفوعًا، فإن

(١) يكن كلهن: يكونوا كلهم، ت، د؛ يكونوا هو، ك.

(٢) بقولك: لقولك، ك.

(٣) المؤمنين: المؤمن، ك.

كان فيه فقد اغتبتة، وإن لم يكن فيه فقد<sup>(١)</sup> بَهَتْهُ، وقيل: «الغيبة ذكر العيب بظهر الغيب».

ثم أكد التحريم فقال: «أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ» شبه الغيبة به فلا شيء أعظم في التكره والاستقذار منه، وكذلك<sup>(٢)</sup> ينبغي أن يستقذروا الغيبة، قال قتادة: يقول: كما أنت تكره أكل الجيفة كذلك فأكْرَهُ لَحْمَ<sup>(٣)</sup> أَخِيكَ «وَاتَّقُوا اللَّهَ» في جميع ما نهاكم عنه، وقيل: اتقوا عذابه أي: توبوا «إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ» بعباده يغفر لهم ويدخلهم الجنة.

ثم بيّن أن الفضل بالتقوى؛ لكيلا يتفاخروا بالأنساب فيؤدي إلى الفرقة، فقال - سبحانه -: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى» قيل: من آدم وحواء، وقيل: خلقنا كل واحد من أب وأم، وقيل: خلق الولد من ماء الرجل والمرأة بدليل الآية، عن مجاهد. «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» أي: جعلنا الشعوب والقبائل للتعارف لا ليتفاخر<sup>(٤)</sup> به، وذلك أنه لولا الأنساب لما عرف الناس، وإنما يعرف زيد من زيد بالنسب، واختلفوا في الشعوب والقبائل ف قيل: الشعوب النسب الأبعد<sup>(٥)</sup> كمضر وربيعه، والأوس والخزرج، والقبائل الأقرب كبني هاشم وبني أمية وتميم، عن مجاهد، و قتادة. وقيل: الشعوب أعم والقبائل أخص، وقيل: الشعوب دون القبائل، سمي بذلك لتشعبها وتفرقها، وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل، قال أبو روق: والشعوب من لا تنتسب إلى أب، ولكن تنسب إلى بلد، والقبائل الذين ينتسبون إلى آبائهم «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»، قيل: أكرمكم على الله أتقاكم لا أعظمكم بيتًا، عن ابن عباس، وعطاء، وروي ذلك في خبر مرفوع، وعن النبي ﷺ: «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله»، وعن ابن عباس:

(١) فقد: -، ك.

(٢) وكذلك: كذلك، ك.

(٣) لحم: لحم لحم، ك.

(٤) لا ليتفاخر: لا التفاخر، ك.

(٥) الأبعد: للأبعد، د.

كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى. «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» أي: عليم بكل شيء، والخبير العليم أيضًا، ذكره لاختلاف اللفظين.

### ❁ الأحكام

تدل الآية على النهي عن هذه الأشياء، وفيه تنبيه على النهي عن سبب التقاطع. وتدل على الاحتراز من أذى المؤمن، وإذا لم يرض بغيبة المؤمن فكيف بالضرب والشتم والظلم؟

وتدل على<sup>(١)</sup> أن الفسق اسم ذم، والإيمان اسم مدح، وأنهما لا يجتمعان، فتدل على قولنا في أنهما من أسماء الشرع، وعلى قولنا في المنزلة بين المنزلتين. وتدل على أن الظلم كبيرة، لا يسقط عقابها إلا بالتوبة خلاف قول المرجئة. وتدل أن الظن إثم، فيبطل قول من يقول: إن الإثم يختص أفعال الجوارح. وتدل على قبح الظن بالمؤمنين.

ومتى قيل: ما الذي يجب أن يجتنب من الظنون؟ قلنا: أن يظن المرء بأخيه في الأمر المحتمل لوجه يحسن وجه القبح<sup>(٢)</sup>، بل يجب أن يظن ما يليق بستره وصلاحه.

ومتى قيل: أفي الجميع يجب ذلك، أم فيمن ظاهره الصلاح؟ قلنا: في الكل ما دام طالبًا لطريق الستر، فإذا أعلن بالفسق فقد خرج من أن يكون له حرمة، ولذلك قال ﷺ: «لا غيبة لفاسق».

ومتى قيل: فما الفائدة في هذا الظن؟ قلنا: لأنه يحمله على الستر، ويكون أقرب إلى الألفة وحسن العشرة والتودد، ولأنه ربما يسلك طريقته.

ومعنى التجسس قريب من الظن الشر فنهوا عن ذلك، وبين أن الواجب أن يجري على ظاهر السلامة، والمروي عن النبي ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب

(١) على: -، ك.

(٢) القبح: للقبح، د.

الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا<sup>(١)</sup>،  
وكونوا عباد الله إخواناً»، تناجشوا: تفاعل من النَّجَشِ، وهو التنافر.

وتدل على تحريم الغيبة وهو كل ما يكون عيباً كان فيه إثم أو لم يكن مما يسوء<sup>(٢)</sup>  
صاحبه، كمن يعيبه بفقر أو عَمَى أو نحوه، أو يعيبه بفعل قبيح، فإن كان كذباً<sup>(٣)</sup> فهو  
لوجهين، وإن كان صدقاً قبح لوجه واحد، وهذا أيضاً فيمن لا يظهر على ما يَبْتَئ.

ويدل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ إلى آخر الآية على أشياء:

منها: أن الناس لآدم وحواء.

ومنها: أن النسب كان ثابتاً قبل الشرع.

ومنها: أن القصد به التعارف.

ومنها: أن الفضل بالتقوى لا بالأنساب، وفي الخبر: «أن منادياً ينادي يوم  
القيامة: إني جعلت لكم نسباً وجعلتم لأنفسكم نسباً، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ﴾»،  
ليقم المتقون، فلا يقوم إلا من كان كذلك».

قوله تعالى:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ  
وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا  
الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا  
تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنْ  
اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

(١) ولا تدابروا: ور تذايروا، د.

(٢) مما يسوء: مما لا يسر، ك.

(٣) كذباً: -، ك.

### القراءة

قرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو حاتم: «يَا لَيْتَكُمْ» بالألف اعتباراً بقوله: ﴿وَمَا آَلَتْهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> [الطور: ٢١]، الباقون: «يَلَيْتَكُمْ» أيضاً للمصحف فإنه فيه بغير ألف، فالأول من آَلَتْ يَأَلْتُ آَلْتَا، قال الشاعر:

أَبْلِغْ سِرَاهِ بَنِي ثُعَلٍ عَنِي مُغْلَغَلَةً جَهْدَ الرِّسَالَةِ لَا آَلْتَا وَلَا كَذِباً<sup>(٢)</sup>  
والثاني من لات يَلَيْتُ لَيْتَا، قال الشاعر:

وَلَمْ يَلَيْتَنِي عَنْ هَوَاهَا<sup>(٣)</sup> لَيْتُ<sup>(٤)</sup>

والمعنى واحد، وهو النقصان.

قرأ ابن كثير: «بما يعملون» بالياء، الباقون بالتاء على الخطاب.

### اللغة

الإيمان في اللغة: التصديق، ومنه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧] وليس باسم مدح، ولذلك يصح أن يقال لليهودي: مؤمن بموسى أي: مصدق له، ويقال لقوم فرعون: آمنوا بفرعون أي: صدقوه، ونقل في الشرع فجعل قولنا: «مؤمن» اسم مدح، وقولنا: «إيمان» اسم أداء الطاعات المفروضة واجتناب القبائح من الكبائر؛ ولذلك لا يطلق على الكفار والفاسق؛ ولذلك قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] بعد ذكر الطاعات، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] ثم بين صفاتهم.

(١) من عملهم: -، ك.

(٢) البيت قائله الحطيطه انظر: ديوان الحطيطه برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق مفيد محمد قميحه، ص ٢٢ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣. والبيت ورد صدره بروايات متعددة: أبلغ سراه بني سعد مغلغلة.

(٣) هواها: هولها؛ ت، د، ك.

(٤) البيت لرؤية بن العجاج وصدر البيت:

وليلة ذات فدى شريت ولم يليتني عن هواها ليت  
أنظر لسان العرب (ليت)، تابع العروس (ليت) وفي الصحاح برواية وليلة ذات دجى سريت، الصحاح (ليت).



فأما الإسلام ففي اللغة: الانقياد والاستسلام، وفي الشرع: هو والإيمان سواء؛ ولذلك يقال: رجل مسلم ويراد به المدح، كما يقال: رجل مؤمن ودين، وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال - تعالى<sup>(١)</sup> -: ﴿فَأُخْرِجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فِيهَا عَرَابًا مِمَّا قُرُونًا عَلَى الصَّاعَةِ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦]، فذكر مرة بالإسلام ومرة بالإيمان، ويقال: أسلم، دخل في السلم والانقياد، وأسلم دخل في الإسلام، كما يقال: أشتى وأصاف: دخل في الصيف والشتاء، والدخول ضد الخروج، وهما من صفات الأجسام، وشبه الإيمان بالدخول حيث اعتقده بالقلب.

والمن: أصله القطع، ومنه: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨].

### الإعراب

﴿يَدْخُلُ﴾ جزم بـ ﴿وَلَمَّا﴾، وكسرت لاجتماع الساكنين.  
و﴿يَلِكُمُ﴾ أصله: يليت لات يليت ليتًا، نحو: سار يسير<sup>(٢)</sup> سيرًا إلا أنه مجزوم، فحذف الياء لاجتماع الساكنين.

### النزول

أما قوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا﴾:

قيل: نزلت في أعراب مخصوصين، عن قتادة.

وقيل: هم نفر من بني أسد بن خزيمة، قدموا المدينة في سنة جدب وأطهروا<sup>(٣)</sup> الإسلام، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وكانوا يغدون ويروحون على رسول الله ﷺ ويقولون: قاتلك العرب، ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا، ويلتمسون الصدقة، فنزلت فيهم هذه الآية، وفيهم نزل: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آسَلُمُوا﴾ عن سعيد بن جبير.

(١) تعالى: سبحانه، ك.

(٢) يسير: -، ك.

(٣) وأظهروا: أظهروا، ت، د.

وقيل: نزلت في قوم من المسلمين قالوا: آمنا وأسلمنا قبل أن يسلم بنو فلان، وقاتلنا<sup>(١)</sup> معك بني فلان، عن الحسن.

والأكثر على أنها نزلت في قوم من المنافقين.

وقال السدي: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم في سورة (الفتح) وهم أعراب مزينة، وجُهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار، كانوا يقولون: آمنا<sup>(٢)</sup> ليأمنوا، فلما استنفرهم رسول الله ﷺ إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب وحلفوا أنهم مؤمنون في السر والعلانية، وعرف الله منهم خلافة، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾.

### المعنى

لما تقدم وجوب الموالاة بالإيمان بَيَّنَّ صفة الإيمان، فقال - سبحانه -: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ لَمْ<sup>(٣)</sup> تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا» قيل: استسلموا خوف السيف والقتل، عن سعيد بن جبير، وابن زيد. «وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» يعني تظهرون ما ليس في قلوبكم، فَبَيَّنَ أنهم منافقون «وَأِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» ظاهرًا وباطنًا «لَا يَلِتْكُمْ» أي: لا ينقصكم «مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» غفور يغفر الذنوب، رحيم لا ينقص من ثوابهم شيئًا «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا» أي: لم<sup>(٤)</sup> يشكوا في شيء من أمور الدين «وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أي: في دينه «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» في قولهم: إنا مؤمنون، لا<sup>(٥)</sup> من انقاد وقال ذلك خوف السيف «قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ» الذي تعتقدون، وهو استفهام والمراد الإنكار والتقريع، أي: كيف تعلمون الله دينكم

(١) وقاتلنا: فقاتلنا، ك.

(٢) آمنا: أتينا، د.

(٣) لم: لن، ك.

(٤) لم: لا، ك.

(٥) لا: إلا، ك.

وتحلفون وفي ضمائرکم خلاف ذلك، وهو يعلم ما في ضمائرکم من النفاق «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ». يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا» أي: يعدون إسلامهم نعمة على الرسول ويتوهمون أنهم نفَعوك به حيث قالوا: آمنا وأسلمنا وهاجرنا وفعلنا «قُلْ لَا تَمْنُونَا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ» فَإِنَّ نَفْعَهُ (١) يعود عليكم «بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ» يعني نعم الله عليكم أكثر حيث هداكم وأمرکم وأزاح علتكم ووفقکم (٢) «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في أنكم مؤمنون «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» أي: عالم بأعمالكم وبالمحقق والمبطل فيجازي كل أحد بما استحقه.

### ❁ الأحكام

تدل الآية الأولى أن مجرد إظهار القول لا يكون به مؤمناً، خلاف قول الكرامية. وتدل على (٣) أن الإيمان إنما يتكامل بالقول والاعتقاد والعمل؛ لذلك وصف في الآية الثانية وفي هذه الآية.

وتدل على أن المنة لله في الإيمان على العبد أكثر، من حيث هداه وقواه ولطف له وأزاح علتة، وكذلك للرسول حيث بَيَّنَّ ودعا، فأما العبد فأيمانه يعود نفعه إليه فلا منة له على أحد.

وتدل على أن الهداية غير الإيمان لذلك قال: ﴿أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ على ما نقوله، خلاف ما تقوله (٤) المجبرة.

ولا يقال: إن الإيمان غير الإسلام؛ لأننا قد (٥) بَيَّنَّا أن في اللغة معناه مغاير؛ فلذلك فرق، فأما في الشرع فنقلنا إلى معنى واحد كما بيناه (٦).

(١) نفعه: نفعها، ك.

(٢) ووفقكم: وقواكم، ك.

(٣) على: -، ك.

(٤) ما تقوله: قول، ك.

(٥) قد: -، ك.

(٦) كما بيناه: على ما بينا، ك.

## سُورَةُ قَا

سورة (ق) مكية، وهي خمس وأربعون آية، ولم يعد (ق)؛ لأنه حرف مفرد، وكذلك لم يعد (ص) و(نون)، فأما المركب فما أشبه الجملة ووافق رؤوس الآي فإنه يُعد.

وعن أبي، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (ق) هون الله عليه سكرات الموت». ولما ختم سورة (الحجرات) بذكر الإيمان وشرائطه افتتح هذه السورة بما يجب الإيمان به من البعث والقرآن وأدلة التوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيزٌ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيعٍ ۝٥﴾.

### اللغة

المجيد: العظيم الكرم، والمجد في كلام العرب الشرف الواسع، وأصله من الكثرة، يقال: مَجَّدَ ومَجَّدَ بفتح الجيم وضمها إذا عظم كرمه، وأمجد: كرم أفعاله، وهو ماجد أي: عظيم الكرم، ومن أمثالهم: (في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار) أي: استكثرنا من النار، ومجدت الإبل: إذا رعت كثيرًا، ومجدت: عظم

بطنها لكثرة أكلها من كلاً<sup>(١)</sup> الربيع، [و] في أسماء الله تعالى المجيد أي: عظيم الكرم واسع الرحمة.

والمرجع: مصدر رجع، وهو الرجوع، يقال: رجعت رجعاً ورجع هو رجوعاً.  
والمرج: المختلط الملتبس، وأصله: إرسال الشيء مع غيره في المرج، يقال:  
مرج الخيل الذكور مع الإناث، ومرجت عهودهم وأمرجوها أي: خلطوها ولم يفوا  
بها، ومرج أمر الناس: اختلط.

### الإعراب

﴿ق﴾ مكسور من القرآن بالقسم، وقيل: محله نصب، واختلفوا في جوابه،  
قيل: جوابه: «بل<sup>(٢)</sup> عجبوا»، عن أهل الكوفة.

وقال الأخفش: جوابه محذوف تقديره: ق والقرآن المجيد لتبعثن.  
وقال ابن كيسان: جوابه: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾، وقيل: جوابه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾، وقيل:  
جوابه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾.  
وجواب القسم سبعة:

أولها: (إِنَّ) المشددة، كقوله: ﴿وَالْفَجْرِ - إِنَّ رَبَّكَ﴾، ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾  
[العصر: ١، ٢].

وثانيها: (ما) للنفي، كقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ [الضحى: ٣].  
وثالثها: اللام المفتوحة، كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾ [الحجر: ٩٣].  
ورابعها: (إِنَّ) المخففة، كقوله: ﴿تَأْتِيهِمْ كُفْرًا لِّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧].  
 وخامسها: (لا) كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾  
[النحل: ٣٨].

وسادسها: (قد)، كقوله: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا - قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾.

(١) كلا: كلام، د.

(٢) بل: +، ك.

وسابعها: (بل)، كقوله: ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾.

### المعنى

﴿قَ﴾ قيل: اسم من أسماء الله تعالى، عن ابن عباس. وقيل: افتتاح أسماء الله نحو: قديم، وقادر، وقهار، وقريب، وقاض، عن القرظي. وقيل: اسم من أسماء القرآن، عن قتادة. وقيل: اسم للسورة، عن الحسن، وأبي علي. وحكي نحوه عن مجاهد، وعليه يحمل قول قتادة. وقيل: جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء خضرة السماء منه، عن عكرمة، والضحاك، وعن ابن عباس بخلاف. وقيل: معناه قضى ما هو كائن، وقيل: معناه قف عند أمرنا ونهينا، والعرب تفعل مثل ذلك، قال الشاعر:

قُلْتُ لَهَا<sup>(١)</sup>: قفي لنا قالت: قاف<sup>(٢)</sup>

أي: وقفت.

وقيل: معناه: قل يا محمد، وقيل: هو عبارة عن العرب وجميع الحروف، وإشارة إلى أن القرآن مركب منها، وأنتم تتكلمون بها، وعجزتم عن الإتيان بمثل القرآن، فاعلموا أنه معجز، وليس من كلام البشر، عن أبي مسلم. وقيل: إشارة إلى أن القرآن مركب من هذه الحروف ليعلم أنه محدث، عن أبي بكر الزبيري. وقيل: لما قالوا: ﴿لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ [فصلت: ٢٦]، افتتح السورة بهذه الحروف ولم يعاهدوا مثل ذلك ليستمعوا، فيأتي<sup>(٣)</sup> من بعد ما هو حجة عليهم، عن قطرب. والصحيح أنه اسم للسورة، وليس لقاف اسم غيرها، فكأنه أقسم بهذه السورة وبالقرآن، وقيل: القسم بهذه السورة، تنبيها على عظمها، وقيل: القسم برب القرآن، كأنه قيل: ورب ق والقرآن، وسمي القرآن لجمعه، و«المَجِيد» الكريم على الله العظيم في نفسه، الكثير الخير والنفع، وقد بَيَّنَّا أن فيه حذفاً أي: لتبعثن يوم القيامة، فلما وعدهم بالبعث أنكروا، فقال

(١) لها: لنا، د؛ وكتب فوقها: أظنه لها.

(٢) البيت قائله الوليد بن عقبة وتكملته:

قلت لها قفي لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

(٣) فيأتي: ما يأتي، ك.

- سبحانه -: «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» أي: رسول مُخَوِّفٌ يخوفهم عقاب الله إن لم يؤمنوا، وقيل: يخوفهم بالبعث بعد الموت «منهم» بالنسب، يعرفون عظيم نسبه وأمانته وأخلاقه وحسن طريقته، وقيل: عجبوا من كون الرسول بشرًا مثلهم، والعجب أنهم لم يرضوا ببشر رسولاً، وقالوا: هلا كان ملكاً، ثم يرضون بحجر إلها لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر فعبدوها، وهذا غاية الجهل.

ومتى قيل: لماذا لم يبعث ملكاً؟

قلنا: هو أعلم بالمصالح، ولأن الجنس إلى الجنس أَسْكَنُ وأميل، ولأن الجنس لا يعبد جنسه، ولو بعث ملكاً لم يُؤْمَنَ أن يعبدوه فتكون مفسدة، ولأنه قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩].

«فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ» ثم بين بماذا تعجبهم فقال: «أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا» وفيه حذف أي: لنبعث، ثم أنكروا فقالوا «ذَلِكَ رَجْعٌ» أي: رجوع إلى حال الحياة وإعادة بعيدة أيكون؟ أي: لا يكون ذلك، فأجابهم الله تعالى بأنه لا موضع للعجب والإنكار فإنه القادر على الإعادة والعالم بالأجزاء المتفرقة فما المانع من إعادته؟ فقال - سبحانه -: «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ» أي: ما أكل من لحومهم وعظامهم حتى صار ترابًا متفرقًا، وقيل: معناه: قد علمنا ما يبلى منهم وما يبقى، وقيل: قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى، عن السدي. «وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ» قيل: كتاب الموكل بهم يكتبون أعمالهم، فهي محفوظة للأجزاء إشارة إلى وجوب الإعادة للأجزاء، وقيل: هو اللوح المحفوظ وفيه كل شيء مكتوب، يعني أن الخبر بالإعادة مكتوب في اللوح المحفوظ، ومعنى (حفيظ) أنه لا يشذ عنه شيء، وقيل: محفوظ من التغيير والزيادة والنقصان، وقيل: محفوظ من الشياطين «بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ» قيل: بالقرآن، وقيل: بالرسول، فمرة قالوا: مجنون، ومرة قالوا: ساحر، ومرة قالوا: شاعر، فتحيروا في أمره لجهلهم بحاله، وقيل: بالخبر عن البعث «فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ» قيل: منكر، عن ابن عباس. وقيل: مختلط، عن ابن زيد. وقيل: في ضلالة، وقيل: ملتبس، عن سعيد بن جبير، ومجاهد. وقيل: مختلف؛ لأن منهم مُنْكَرًا، ومنهم شَاكًا ومنهم مجوزًا.

## الأحكام

تدل الآيات على أنه ﷺ دعاهم إلى الإيمان بالبعث، وأنهم أنكروا، فأجاب بأنه لا مانع.

ومتى قيل: فما شرط صحة الإعادة؟

قلنا: ثلاثة أشياء:

أحدها: كون الشيء مما يبقى.

وثانيها: أن يكون من مقدور قادر للذات<sup>(١)</sup>.

وثالثها: ألا يكون متولدًا، عن القاضي.

وقيل: «أن يكون مما يبقى ويكون فعل قادر للذات<sup>(٢)</sup>، وألا يكون جنسه<sup>(٣)</sup> مقدورًا لقدر<sup>(٤)</sup>، عن أبي علي.

وقيل: «مما يبقى ويكون فعل قادر الذات، ولا يكون متولدًا عن سبب لا يبقى، عن أبي هاشم.

ومتى قيل: فما الذي يعتبر إعادته؟

قلنا: فيه خلاف، قيل: للأجزاء التي يكون بها زيد زيدًا، عن القاضي. وقيل: للأجزاء<sup>(٥)</sup> والتأليف، عن أبي هاشم، ثم رجع وقال<sup>(٦)</sup>: للأجزاء<sup>(٧)</sup> والحياة، وهو قول أبي عبد الله البصري. وقيل: بل جميع الأجزاء التي هي الإنسان، وهو قول أبي القاسم، ويحكي ذلك عن أبي علي، ويحكي خلافه، قال أبو هاشم: الأول لعله غلط وقع من جهة الوراق.

(١) للذات: لذات، ت، ك.

(٢) فعل قادر للذات: ومقدوره قادر للذات، ت، ومقدور قادر للذات، ك.

(٣) جنسه: جنسيه، ت.

(٤) لقدر: للقدر، ت.

(٥) للأجزاء: الأجزاء، ك.

(٦) ثم رجع وقال: : ثم قال ورجع، ت، ك.

(٧) للأجزاء: الأجزاء، ت، ك.



ومتى قيل : من يجب إعادته؟

قلنا: في العقل من له حق الثواب أو عوض، والشرع وَرَدَ بإعادة جميع الأحياء.

ومتى قيل : بماذا نبه على الإعادة؟

قلنا: بكونه قادرًا على الأجسام التي لا يقدر عليها غير القادر للذات، وبكونه عالمًا بالأجزاء، ونبه على الجزاء بكون أعمالهم محفوظة مكتوبة وأراد أنها معلومة.

ويدل قوله: ﴿مَرِيحٌ﴾ أن القوم كانوا في شك وحيرة، وهكذا يكون المبطل.

قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

### اللغة

النظر: طلب ما في المعنى من الحكم، ثم ينقسم، فمنه النظر بالعين، وهو تقليب الحدقة نحو جهة المرئي التماسًا لرؤيته مع سلامة الحاسة، ومنه نظر بالقلب، وهو التفكير في الشيء لطلب حكمه، ومنه: النظر بمعنى الانتظار.

والزينة: حسن الصورة، زينه تزيينًا، والزين خلاف الشين.

والفروج: الشقوق والصدوع، وفي الحائط فُرْجة بضم الفاء، فإذا قيل: فَرْجة بفتح الفاء هو التفضي<sup>(١)</sup> من الهم، قال الشاعر:

لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعَقَالِ<sup>(٢)</sup>

(١) التفضي: كلمة غير واضحة، ك؛ التنفس، د.

(٢) اللسان (فرج)، وأوله: ربما تكره النفوس من الأمر. والبيت ينسب لأمية بن أبي الصلت.

انظر ديوان أمية بن أبي الصلت تحقيق سجيح جميل الجبيلي، دار صادر، ١٩٩٨.

والفروج: الثغور، وكل موضع مخافة: فرج بفتح الفاء، وفي عهد الحجاج: وليتك الفَرْجَيْنِ، يعني خراسان وسجستان.

والرواسي والراسيات: الجبال الثابتة، ومنه: ﴿وَقُدُّورٍ رَّاسِيَتْ﴾ [سبأ: ١٣] رسا يرسو: إذا ثبت.

والبهيج: الحسن، يقال: بهيج وباهج، والابتهاج: السرور.

والتبصرة: ما يبصر بها، وهي الدلائل، ونظيرها من المصادر: التكملة والتفضلة، وبَصُرَ يبصر: عَلِمَ، وأبصر يُبصر: نَظَرَ.

والحصيد: ما يحصد من أنواع النبات، ومنه: ﴿جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ [الأنبياء: ١٥] وأراد الاستئصال أي: حصدوا حتى لم يبق منهم أحد.

والباسقات: الطوال، يقال: بسق النخل بُسُوقًا: طال<sup>(١)</sup>، ومنه: البَسَقُ: عُلُوُّ ذِكْرِ الرجل في الفضل، ومنه حديث ابن الحنفية<sup>(٢)</sup>: قلت لأبي: كيف بسق أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ؟ أي: كيف علاهم.

والطلع: طلع النخلة، سمي لطلوعه، يقال: طلع علينا فلان: هجم، وطلعت الشمس طلوعًا، والطلعة الرؤية، وأطلعتك على الأمر إطلاعًا.

والنضيد: ما نضد بعضه على بعض، ومنه سمي متاع البيت النَّضْدُ؛ لأنه منضود بعضه على بعض، وفي حديث مسروق: «شجر الجنة نَضِيدٌ من أصلها إلى فرعها» يريد ليس فيها سُوقٌ بارزة لكنها منضودة بالورق والثمار من أسفلها إلى أعلاها.

### الإعراب

﴿تَبَصَّرَ﴾ نصب على المصدر، عن أبي حاتم، وقيل: نصب بمحذوف<sup>(٣)</sup> أي: جعلناها تبصرة، وقيل: على الحال أي: في حال التبصرة، عن الأخفش.

(١) بسوقًا طال: طال بسوقًا، ت، د، ك.

(٢) ابن الحنفية: أبي الحنفية، د، ك؛ وما أثبتناه من تاج العروس ١/ ٦٢١٠، ولسان العرب ١٠/ ٢٠، والنهاية في غريب الأثر ١/ ٣٢٩.

(٣) بمحذوف: محذوف، ك.

و﴿بَاسِقَاتٍ﴾ محلها نصب على الحال .  
و﴿رَزَقًا﴾ نصب على تقدير: جعلنا ذلك رزقًا .

### المعنى

لما تقدم من ذكر البعث عقبه بذكر أدلة التوحيد وجواز البعث، فقال - سبحانه -:  
«أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ» أي: هلا نظروا إلى السماء فوقهم وتفكروا؛ ليعلموا  
أن له صانعًا يقدر على البعث «كَيْفَ بَنَيْنَاهَا» مع عظمها لا على مكان، وكيف أسكنها  
وبقاها حتى لا تتغير، وكيف أمسكها، وكيف زينها «وَرَزَيْنَاهَا» بالكواكب المختلفة «وَمَا  
لَهَا مِنْ فُرُوجٍ» قيل: شقوق وخلل مع أن الأبنية العظيمة لا تخلو من ذلك، وقيل:  
ليس فيها تفاوت واختلاف، عن الكسائي. وقيل: الفروج المتفرق بعضه عن بعض،  
عن ابن زيد. وإنما قال: «فوقهم» تنبيهًا أنهم يشاهدونها مع وضوح دلائلها ثم لا  
يتفكرون<sup>(١)</sup> فيها «وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا» أي: بسطناها «وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي» أي: الجبال  
جعلها أوتادًا لولاها لاضطربت لحركات الناس عليها، عن الحسن. «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا» في  
الأرض «مِنْ كُلِّ رَوْحٍ» صنف وضرب «بِهَيْجٍ» أي: حسن المنظر، عن ابن زيد.  
وقيل: حَسَنٌ مَنْ يَرَاهُ يَسُرُّهُ «تَبْصِرَةً» أي: جعلناه تبصرة يعني دليلاً يبصر به الحق  
«وَذِكْرَى» عظة<sup>(٢)</sup> وتذكيرًا وتنبيهًا له على أن من قدر على مثل هذه الأشياء قدر على  
الإعادة، وقيل: (ذكرى) تُذَكِّرُ الأدلة، وقيل: تُذَكِّرُ<sup>(٣)</sup> النعم «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» راجع  
إلى الله تعالى، وخصهم به؛ لأنهم انتفعوا به «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ» قيل: من السحاب،  
وقيل: من نفس السماء إلى السحاب ثم إلى الأرض «مَاءً» يعني المطر «مُبَارَكًا» قيل:  
سماه مباركًا لعظم النفع به، وقيل: لثبوت منافعه من أنواع النبات والحبوب «فَأَنْبَتْنَا بِهِ»  
بالمطر والماء «جَنَّاتٍ» وهي البساتين التي فيها الأشجار «وَحَبَّ الْحَصِيدِ» يعني حب  
كل شيء يحصد كالبر والشعير، عن قتادة؛ لأن من شأنه أن يحصد «وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ»

(١) لا يفكروا، ك.

(٢) عظة: موعظة، ك.

(٣) تذكر: يتذكر، ت، د، ك.

قيل : طوال، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة. وقيل : بُسُوْقُهَا : استقامتها في الطول، وقيل : مستويات، عن سعيد بن جبير. وقيل : موافر حوامل، عن الحسن، والفراء. يقال للنساء إذا ولدت : بسقت، قال صاحب المجلد : ناقة مُبْسِقٌ، ونُوقٌ<sup>(١)</sup> مباسيق، وهي التي وقع اللبن في ضرعها قبل أن تلد «لَهَا طَلْعٌ» أي : حمل «نَضِيدٌ» متراكب نضد بعضه على بعض، عن مجاهد، وقتادة. «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» أي : جعلنا ذلك رزقًا للعباد وعطاء لهم ليشكروه ويتنفعوا به<sup>(٢)</sup> «وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا» أي : أحييناها بالماء المبارك «بَلَدَةً مَيِّتًا» أي : أرضًا لا نبات فيها، فشبها ما لا نبات فيه بالमित وما فيه نبات بالحي توسعًا «كَذَلِكَ الْخُرُوجُ» يعني كما نبت الأشياء من الأرض عن عدم، كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياء، أشار إلى أن هذه التدابير لمنافع العباد في دينهم ودنياهم.

### ❁ الأحكام

يدل قوله : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ الآية على أشياء :  
 منها : وجوب النظر في الأدلة .  
 ومنها : التبيين بذلك على صحة الإعادة .  
 ومنها : تحريم التقليد، لولا ذلك لم يكن للنظر في الأدلة معنى .  
 ومنها : أنه تعالى يعرف بأفعاله .  
 ومنها : جعلها تبصرة ليعلم بها الحق، فدل أن المعارف مكتسبة .  
 ويدل قوله : ﴿رِزْقًا﴾ أن ما فعل من ذلك الغرض منه منافع العباد في دنياهم، وليتفكروا فيه فيعلموا الحق في دينهم .  
 ونبه بقوله : ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ على صحة الإعادة؛ لأن مَنْ قَدَرَ على خلق الأجسام قدر على إعادتها وإحيائها بعد الموت .

(١) ونوق : من نوق، ك.

(٢) ويتنفعوا به : ويبيعوا به، ك.

وذكر شيخنا أبو حامد أن قوله: ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ يدل على أن السماء محيطة بالأرض كالكرة؛ إذ لو كانت بسيطة على الأرض لكان لها فروج في نواحيها، وهذا لا يصح؛ لأنها إذا كانت بسيطة لا خلل فيها<sup>(١)</sup> فبأي دليل أنها كالكرة.

قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٣﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ ﴿١٤﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٥﴾ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْا بِهِ فَنَنْصُرْهُ وَإِلَيْهِ مِّنْ حَبْلٍ أَلْوَدِيدِ ﴿١٧﴾ إِذْ يَنْفَلِقُ الْمَتْلِفَيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٨﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿٢٠﴾﴾.

### ❁ القراءة

قراءة العامة: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾، وعن أبي بكر وابن مسعود: «وجاءت سكرة الحق بالموت»<sup>(٢)</sup> يعني شدة الحق بالموت، والشدة هو الحق، وأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين، وقيل: الحق هو الله أي: جاءت سكرة الله بالموت.

### ❁ اللغة

الرس: البئر لم تطو<sup>(٣)</sup> بحجر ولا غيره؛ لأنه ترك على ما ابتدئ، وأصله من الرس الذي هو ابتداء الشيء، ومنه: رَسُّ الحُمَّى ورَسِيْسُهَا<sup>(٤)</sup>، ومنه حديث سلمة بن الأكوع: إن المشركين رأسونا الصلح، أي: ابتدأونا في ذلك، ومنه قول الحجاج

(١) فيها: فيه، ك.

(٢) الطبري ٤١٧/١١.

(٣) لم تطو: ثم تكو، ك.

(٤) ورسيْسها: ورستها، د.

لرجل: أَمِنْ أَهْلِ الرِّسِّ؟ قيل: أَهْلُ الرِّسِّ الَّذِينَ يَبْتَدِثُونَ الْكَذِبَ وَيُوقِعُونَهُ فِي أَفْوَاهِ النَّاسِ، وَقَدْ رَسَّ يَرُسُّ رَسًّا.

والأَيِّكَة: الْغَيْضَة، والجمع: أَيْكٌ، وكل مكان فيه شجر ملتف، فهو أَيْكَة. وَتَبَّعَ: مُلِكَ مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ، وجمعه: تَبَاعِيْعُهُ، سمي بذلك؛ لأنه إذا مات واحد تبعه آخر فكان بدلاً منه، وأصله من الاتباع، وقيل: سمي بذلك لكثرة أتباعه، وقيل: ذلك لقب لهم كقولهم: قيصر وكسرى، يقال: أَتْبَعَهُ قَفَاهُ، وَأَتْبَعَهُ بِالتَّشْدِيدِ: حَذَاهُ، قَالَ الْفَرَاءُ<sup>(١)</sup>: تَبِعَهُ وَأَتْبَعَهُ، وَلَحَقَهُ وَالْحَقَهُ.

وَالْعِيَّ: مُصَدَّرٌ عِيَّتٌ عِيًّا بِالْأَمْرِ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ وَجْهَهُ، وَأَعْيَيْتُ: إِذَا تَعَبْتُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَضْلَهُ التَّعَبُ إِلَّا أَنْ أَحَدَهُمَا فِي الطَّلَبِ، وَالْآخِرُ فِيمَا وَقَعَ مِنَ الْعَمَلِ. وَاللَّبْسُ بَفَتْحِ اللَّامِ: الْإِلْتِبَاسُ، وَبِضْمِهَا لِبَسَ الثَّوْبَ، وَاللَّبْسُ الْمَنْعُ مِنْ إِدْرَاكِ الْمَعْنَى بِمَا هُوَ كَالسَّتْرِ لَهُ، وَأَصْلُهُ مِنَ اللَّبَاسِ، وَمِنْهُ: لَبَسْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: خَلَطْتُهُ، فَالْتَبَسَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَكَتَيْبَةٍ لَبَسْتُهَا بِكَتَيْبَةٍ      حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي<sup>(٢)</sup>

ومنه: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢]، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَمَّا<sup>(٣)</sup> تَلْتَبَسَ خَيْلٌ بِخَيْلٍ      فَيَطَّعِنُونَا وَيَضْطَرِبُونَا اضْطِرَابًا<sup>(٤)</sup>

وَالْجَدِيدُ: الْقَرِيبُ الْعَهْدُ بِالْحَدُوثِ، وَأَصْلُهُ الْقَطْعُ، وَمِنْهُ: الْجِدَادُ: جِدَادُ النَّخْلِ، وَجَدَدْتُ الشَّيْءَ أَجْدُهُ جَدًّا إِذَا قَطَعْتَهُ، وَثَوْبٌ جَدِيدٌ: قَرِيبُ الْعَهْدِ بِالْقَطْعِ، وَدَارٌ جَدِيدَةٌ قَرِيبُ الْعَهْدِ بِالْبِنَاءِ، كَأَنَّهُ قَطَعَ عَنْ قَرِيبٍ.

وَالْخَلْقُ: الْفِعْلُ الْجَارِي عَلَى تَقْدِيرٍ، وَقِيلَ: هُوَ الْفِعْلُ الْمَخْتَرَعُ.

(١) الْفَرَاءُ: لِلْفَرَاءِ، د.

(٢) الْبَيْتُ قَائِلُهُ الْفَرَّازِ السَّلْمِيُّ؛ أَنْظَرَ شَرْحَ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ، ص ١٤١. وَصَدَرَ الْبَيْتُ ذَكَرَ فِي عِدَّةِ قِصَائِدِ أَشْهَرِهَا لَعْنَتُهُ بَنِ شَدَادٍ.

(٣) وَلَمَّا: وَلَمْ، ك.

(٤) الْبَيْتُ قَالَهُ بَرِّ بْنِ أَبِي حَازِمٍ الْأَسَدِيِّ، تَحْقِيقُ مَجِيدِ طَرَادٍ. ص ٣٧، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، بَيْرُوتَ، ١٩٩٤.

والوسوسة: حديث النفس بالشيء في خفية، قال رؤية:

وَسُوسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الْفَلَقِ<sup>(١)</sup>

والوريد: عرق في الحلق، وهما وريدان عرقان يستبطنان<sup>(٢)</sup> العنق ينبضان أبدًا، وكل عرق ينبض فهو من الأوردة، والوريد من العروق ما جرى فيه النفس، والجداول التي فيها الدماء.

والتلقي والتلقين والقبول نظائر، يقال: تلقيت الحديث من فلان أي: أخذته وقبلته، ومنه: ﴿فَلَقَّيْءًا دَمًا﴾ [البقرة: ٣٧] أي: قبل، تَلَقَّى يتلقى تلقياً فهو متلقى وهما متلقيان.

وقعيد: بمعنى قاعد، كعليم بمعنى عالم، وقدير بمعنى قادر، وقيل: هو قعيد من القعود وهو بمعنى المقاعد كما يقال أكيل بمعنى هو مواصل<sup>(٣)</sup>، وشريب<sup>(٤)</sup> بمعنى مُشَارِبٍ، والقعود ضد القيام، والقواعد من النساء: التي قعدت عن الزوج أو عن الحيض، واحدها: قاعد، وإذا قيل للمرأة قعدت فهي قاعدة بالهاء من القعود، والقَعْدَةُ من الخوارج: من لا تخرج.

والعتيد والمعتد بمعنى، يقال: أعددته فهو عتيد، كما يقال: أحكمته فهو حكيم، واعتدت وأعددت واحد، ومنه العتاد ما أعده الرجل من آلات الحرب، وجمعها: أعتدة.

والْحَيْدُ<sup>(٥)</sup> أصله الميل، حاد يحيد حيداً، قال طرفة:

وَحِدْتُ كَمَا حَادَ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّخْضِ<sup>(٦)</sup>

(١) البيت قائله رؤية بن العجاج وتكملة البيت:

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق سرا وقد أون تأوين العقق

أنظر شرح ديوان رؤية بن العجاج، صححه ورتبه وليم بن الورد البروسي.

(٢) يستبطان: يشيطان، ك.

(٣) مواصل: آكل، د، ك.

(٤) وشريب: وشرب، ك.

(٥) والحيد: والحدة، ك.

(٦) تاج العروس (دخض).

## الإعراب

يقال: لِم قال: «قعيد» ولم يقل: قعيدان؟  
 قلنا: قعيد بمعنى قاعد، فيكون على اثنين، وقيل: حذف الأول لدلالة الثاني عليه، وتقديره: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، قال الشاعر:  
 نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مُخْتَلِفٌ<sup>(١)</sup>  
 أي: راضون، عن البصريين، وقيل: القعيد على لفظ الواحد، ويصلح للاثنيين والجمع<sup>(٢)</sup> كالرسول أراد ذا قعود، رده إلى الجنس؛ لأنه من صفة المبالغة، وفيه معنى المصدر.

و﴿رَقِيبٌ﴾ كأنه قيل: ذو المراقبة.

## المعنى

لما تقدم تكذيب قومه له ذكر تكذيب الأمم لأنبيائهم تسلياً له، فقال - سبحانه -:  
 «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» وقد تقدم قصتهم «وَأَصْحَابُ الرَّسِّ» قيل: هم قوم قتلوا نبيهم ورسوه فيها أي: دسوه، عن عكرمة. وقيل: الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين، وقيل: الرس واد بقرب المدينة، وقيل: هم أهل البئر الذي قال الله تعالى: ﴿كَيفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْنُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الحج: ٤٥]، وقيل: كان سحق النساء في أصحاب الرس. «وَقَوْمُ دَاوُدَ» هم قوم صالح أهلكوا بالصيحة «وَعَادٌ» قوم هود أهلكوا بالريح «وَفِرْعَوْنُ» هو فرعون موسى أغرق «وَالْأَخْيَارُ لُوطٌ» قلبت بهم الأرض، وأرسلت عليهم الحجارة «وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» الغيضة وهم قوم شعيب «وَقَوْمُ ثُعُبٍ» إنما ذكر قومه دونه؛ لأنه آمن، روي عن النبي صلى الله عليه أنه قال: «لا تلعنوا ثُبْعًا فإنه قد كان أسلم»، ووجد قبران باليمن مكتوب عليهما: هذا قبر رضوى وحي ابني تبع كانا لا

(١) اللسان (فقد).

(٢) والجمع: والجمع، د.



يشركان بالله شيئًا، وقيل: كان يعبد النار ثم أسلم، ودعا قومه، وهم حمير فكذبوه، وعن محمد بن إسحاق كان تُبْع - وهو أسعد أبو كرب - أقبل من المشرق وأتى المدينة، وكان حين مر بها خلف ابنًا له فقتل، فقدمها على أن يخربها، وحاربه أهلها<sup>(١)</sup>، فجاءه حبران، وذكرنا أنه إن أراد أن يخربها منع منه؛ لأنها مهاجر نبي بيعث في آخر الزمان، فانتهى عما كان يريد، ودعواه إلى الدين فقبل، وخرج بهما إلى اليمن، وأبى قومه الدخول في دينه، ومنعوه عن الدخول وقالوا: نحاكم إلى النار<sup>(٢)</sup> نار باليمن، فجاءوا إلى النار وجاء الحبران بالمصاحف فيها التوراة، وجاءوا أولئك بالأوثان، فوقعت النار في الأوثان وجماعة من رجال حمير ممن حمل الأوثان، فتهود جماعة منهم، فمن هناك وقعت اليهودية في حمير، وروي أن تبعًا لما أسلم قال:

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدٍ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَارِي السَّمِ وَلَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلَى دَهْرِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَابْنُ عَمٍّ<sup>(٣)</sup>

وروي أنه قصد هدم الكعبة، ف قيل له: إن له ربًا يحميه، فندم وأحرم وطاف وكسا البيت، وهو أول من كساه، عن قتادة. و«كُلُّ كَذَّبِ الرُّسُلِ فَحَقٌّ وَعِيدٌ» أي: وجب عليهم وعيدي بالعذاب، قيل: عذاب الاستئصال، وقيل: عذاب الآخرة، قال قتادة: خوف أهل مكة. «أَفْعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ» يعني لماذا أنكروا الإعادة ولم؟ أفعينا ابتداء الخلق، وقوله: «أفعينا» استفهام والمراد الإنكار، أي: أعجزنا أو تعذر علينا الخلق الأول حتى يعينا الخلق الثاني، وقيل: الخلق الأول خلق الأشياء، وقيل: بل<sup>(٤)</sup> خلق آدم وكانوا يقرون به وأنهم من ولده، عن الحسن. «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ» أي: أتوا من قلة تفكرهم في الأدلة فبقوا في أمر ملتبس، قيل: «في لبس» أي: في شك «مِنْ خَلْقِي جَدِيدٍ» يعني الإعادة.

(١) أهلها: أهله، ك.

(٢) النار: الله؛ ت، د، ك، ث؛ وما أثبتناه من الثعلبي، الكشف، ٢٩١/١٢.

(٣) ابن كثير ١٨٣/٤، والقرطبي ١٢٥/١٦.

(٤) بل: قبل، ك.

ومتى قيل: فما وجه اللبس في الإعادة مع علمهم أن من قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر؟

قلنا: يحتمل أنهم اعتقدوا حدوث هذه الأشياء لا باختيار مختار؛ لكن بالطبع والقوة كما يزعمه كثير من الملحده، ويحتمل أنهم اعتقدوا إذا فئيت هذه الأشياء لا يجوز أن تعاد كما يقوله كثير من الملحده.

ومتى قيل: كيف يعلم بالابتداء جواز الإعادة؟

قلنا: لأن الشيء إذا كان مما لا يبقى لا يجوز أن يعاد؛ لأن من حقه ألا يكون وجوده إلا وقتاً واحداً، ومقدور القدر لا تجوز عليه الإعادة لمعنى في القدرة.

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ» أي: تحدث به عليه، يعني لا تخفى عليه سرائره «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» قيل: حبل الوريد عرق الحلق، عن ابن عباس، ومجاهد. وقيل: الوريد عرق متعلق بالقلب يعني نحن أقرب إليه من قلبه، عن الحسن. والحبل الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

ومتى قيل: بأي شيء هو أقرب؟

قلنا: بالعلم والقدرة، وقيل: لأن أبعاضه يحجب بعضها بعضاً والله تعالى يدركه لا يحجبه شيء، وقيل: نحن أقرب إليه ممن كان منه بمنزلة حبل الوريد في القرب، في أنا أعلم به، ولا يحمل على قرب المكان؛ لأنه من صفة الأجسام.

«إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ» وقد وكلهما الله به مع علمه بأعمالهم ليكتباً<sup>(١)</sup> أعماله تأكيداً للحجة ولطفاً للخلق، وقيل: الحفظة أربعة: ملكان بالنهار وملك بالليل، عن الحسن. وقيل: عن اليمين ملك يكتب الحسنات، وعن الشمال ملك يكتب السيئات، عن الحسن، ومجاهد. و«قعيد» قيل: قاعد، عن الحسن. وقيل: القعيد الرجل، عن مجاهد. «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ» أي: ما يتكلم بشيء،

(١) ليكتبا: ليكتبان، ك.

وخص القول؛ لأنه أكبر، وبه تتعلق أمور الناس «إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» رقيب يرقبه، عتيد حاضر معد للزوم<sup>(١)</sup> ذلك، وقيل: يكتبان كل شيء، عن مجاهد. ثم يطرح المباحات، وقيل: بل<sup>(٢)</sup> يكتبان ما فيه جزاء، عن عكرمة، قال الحسن: فإذا مات طويت الصحف وقيل له يوم القيامة: ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، عدل والله من جعله حسيب نفسه. «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» سكرة الموت قيل: شدته وغمرته وحيرته<sup>(٣)</sup> «بِالْحَقِّ» قيل: جاء بالحق من أمر الآخرة حتى عرفه واضطره إليه أمره من ثواب أو عقاب «ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ» قيل: تهرب وتروغ، عن الحسن، والضحاك. وقيل: تكره، عن ابن عباس. وقيل: تميل عنه، عن عطاء.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿حَقٌّ وَعِيدٌ﴾ أن العقاب لهم بسوء أعمالهم، وجزاء على سلوك طريقتهم.

ويدل قوله: ﴿أَفَعَيْنَا﴾ على صحة البعث؛ لأنه احتج عليه بالخلق الأول.

ويدل قوله: ﴿تُؤَسِّسُ﴾ أن الوسوسة من الشيطان ومن نفسه، لا أنه من خلق الله - تعالى -.

ويدل قوله: ﴿إِذْ بَلَغْتَنِي﴾ على أنه وكل به ملكين يكتبان ما يفعل، وفيه لطف للمكلف وتحذيرًا له ويبيان أنه كالمملى عليهما.

وتدل أن أفعالهم ليس بخلق لله تعالى؛ ليصح أن يكتب على العبد.

وعن بعضهم: يابن آدم بسطت صحيفتك، وكتبت<sup>(٤)</sup> عليك ما أتيت من حسنك

(١) معد للزوم: معدًا لزوم، ك.

(٢) بل: +، ك.

(٣) وحيرته: وحسرتة، ك.

(٤) وكتبت: وكتب، ك.

وخطيئتك، وוכל بك ملكان كريمان يكتبان ما تعمل ويشهدان، فاعمل ما شئت، وافعل ما هويت، فهذا دأبك ما حييت، فإذا مت طويت صحيفتك، فلا تقدر أن تزيد فيها حسنة أو تنقص منها سيئة، وإذا بعثت دعيت إليها وحوسبت بما فيها، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُرْضِهِ﴾ [الإسراء: ١٣] الآية، لقد عدل من جعلك<sup>(١)</sup> حسيب نفسك، وما<sup>(٢)</sup> ظلمك من جادل على علمك ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

قوله تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ (٢٠) ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٢١) ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢٢) ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ (٢٣) ﴿أَلَقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٢٤) ﴿مَتَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ (٢٥) ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقَيْنَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ (٢٦) ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٢٧) ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ (٢٨) ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٢٩).

### ❖ القراءة

قراءة العامة: ﴿لَقَدْ كُنْتَ﴾ بفتح التاء ﴿غِطَاءَكَ﴾ بفتح الكاف ﴿فَبَصَرُكَ﴾ بفتح الكاف، وعن عاصم الجحدري بكسر التاء والكاف برد الكناية إلى النفس<sup>(٣)</sup>، وعلى الأول هو كناية عن صاحب النفس.

قراءة العامة: ﴿أَلْقَيْنَا﴾، وعن الحسن: (أَلْقَيْنِ) بنون<sup>(٤)</sup> التأكيد<sup>(٥)</sup>.

(١) جعلك: خلقتك، ك.

(٢) وما: ومن، د.

(٣) فتح القدير ١٠٧/٥.

(٤) النفس: بالنون، ك.

(٥) القرطبي ١٨/١٧.

## اللغة

السَّوْقُ: الحث على السير، والسائق: الحاث، ساقه سوقاً فهو سائق.  
والكشف: إزالة الغطاء، ونقيضه: الستر، وظهور الأمر في الآخرة حتى يعلم مستوره<sup>(١)</sup> بما يكشف عنه الستر.  
والحديد: الحاد، حادٌ فهو حديد كحافظ فهو حفيظ.  
والقرين: نظير الشيء من جهة تبصره بآرائه.  
والعتيد: المعد، يقال: أَعْتَدْتُهُ فهو عتيد، كما يقال: أحكمته فهو حكيم، وأعتدت وأعددت واحد، و﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: معد حاضر.  
والعنيد: الجائر عن القصد وهو العنود والعاند، وناقة عنود لا تستقيم في سوقها، والعنيد [المتجبر] منه.  
والطغيان: تجاوز الحد في الفساد، طغى يطغى طغيًا فهو طاغٍ، وأطغاه أخرجه إلى الطغيان، أطغاه إطفاءً.

## الإعراب

﴿عَتِيدٌ﴾ قيل: رفع بـ ﴿هَذَا﴾ تقديره: هذا عتيد، كقولهم: هذا عبد الله قائم، وقيل: (ما) بمعنى (شيء) لا بمعنى (الذي) كأنك قلت: هذا شيء لدي عتيد.  
يقال: لِمَ قال: ﴿أَلْفَيْاً﴾ للواحد؟  
قلنا: فيه أقوال:  
قيل: لأن المخاطب الخزنة.  
وقيل: بل ملكان وهو أوجه؛ إذ لا مانع منه، وقد تقدم ذكر الملكين.  
وقيل: الخطاب لواحد، والعرب تخاطب الواحد بلفظ الاثنين، قال الشاعر:  
فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَأْبَنَ عَفَّانٌ أَنْزَجِرُ      وَإِنْ تَدْعَانِي أَحْمَ عِرْضًا مُمْنَعًا<sup>(٢)</sup>

(١) مستوره: مسيه، د، ك، بدون نقاط.

(٢) تاج العروس (جزز)، واللسان (جزز)، والبيت قائله سويد بن كراع العلكي.

## النزول

قيل: نزل قوله: ﴿مَنَامٌ لِلْخَيْرِ﴾ الآيات في الوليد بن المغيرة وكان يمنع الناس عن الدين ويعادي رسول الله.

## المعنى

ثم ذكرهم بالقيامة عقيب التذكر بالموت، فقال - سبحانه -: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ» قيل: ينفخ الروح في الأبدان والصور فيحيون، وقيل: هو قرن ينفخ فيه إسرافيل نفخة فيموت الخلق، ثم ينفخ ثانية فيحيون يوم القيامة «ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ» قيل: اليوم الذي وعد الله أن يعذبهم، وقيل: اليوم الذي يحق الوعيد على العصاة «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِأُيٍّ»: كل أحد رئيس ومرؤوس «مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ» قيل: السائق ملك يسوقها إلى المحشر، وشهيد ملك يشهد عليه بما عمل في الدنيا، وقيل: هم الحافظان، وقيل: السائق: الملك، والشهيد: الجوارح عليه، عن الضحاك. وقيل: السائق: ملك، والشهيد: الحفظة، وقيل: السائق: الملك، والشهيد: العمل، عن أبي هريرة، والأول أوجه وهو الظاهر، ثم يقال توبيخًا: «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا» أي: في قلة تدبر، وقيل: اشتغاله بالدنيا<sup>(١)</sup> أغفلته عن الآخرة، وقيل: كنت في غفلة من أمر الدين «فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ» قيل: هذا في البرِّ والفاجر؛ لأنه يكشف الغطاء عن الجميع فيرى ما يصير إليه من الثواب والعقاب، وقيل<sup>(٢)</sup>: بل هو في الكافر؛ لأن المؤمن يعلم ما يصير إليه فلا يقال له هذا، وقيل: كنت في غفلة من الاستعداد لمثل هذا اليوم «فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» قوي نافذ ترى كل ما كان محجوبًا عنك، وقيل: نظرك إلى لسان الميزان حتى توزن حسناتك وسيئاتك، عن مجاهد. وقيل: أراد بالبصر العلم، يعني علم حين لا ينفعه العلم.

«وَقَالَ قَرِينُهُ» قيل: الملك الذي كان يصحبه في الدنيا ويشهد عليه، عن الحسن، وقتادة، وابن زيد. وقيل: الشيطان الذي كان يوسوس إليه، والكافر يورك الذنب عليه

(١) بالدنيا: بالدنيا ثم، ت، د، ك.

(٢) وقيل: -، ك.

يوم القيامة، والأول أصح؛ لأنه شهيد<sup>(١)</sup> عليه، وقيل: القرين هم قرناء السوء والعامّة تقول لرؤسائهم ولمتبوعيههم «هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ» قيل: يحصي الملك سيئاته، ويقول: هذا ما لدي عتيد من شأنه أن يعد محفوظ لم يشذ شيء من هذا الكتاب، فيقرأ عليه لتأكيد الحجة، وقيل: يقول: هذا الذي وكلتني به من بني آدم أحضرته وأحضرت ديوان عمله، هذا على أن القرين هو ملك على ما ابتدأنا به، وإن حمل القرين على الشيطان والمتبوعين فمعناه: هذا العذاب أعد لي بسبب سيئاتي «أَلْقِيَا» قيل: هو كلام الملك الذي يشهد لخزنة جهنم، وقد بينا وجه التثنية، وأنه يحتمل أن يخاطب اثنين من خزان جهنم، فيأخذ أحدهما برأسه والآخر برجليه ويرميان به إلى النار، ويحتمل أنه خاطب واحداً على عادة العرب على ما قدمنا، وقيل: بل يقال للحافظين أو السائق والشهيد: أَلْقِيَا؛ لأنهما أعلم بها وشأنها، وقيل: الشهيد يقول للسائق: أَلْقِيَا، وقيل: الله تعالى يقول للملك: أَلْقِيَا، وهو الوجه؛ لأنه الحقيقة «فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ» من عادته الكفر «عَتِيدٌ» قيل: ذاهب عن الحق جائر عن طريق الرشد، وقيل: بجانب عن الحق، معاند لله، عن مجاهد، وعكرمة. وقيل: المعجب بما عنده الفاجر «مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ» قيل<sup>(٢)</sup>: مناع لكل واجب عليه من ماله كالزكاة ونحوها، وقيل: مناع للدين، واللام بمعنى (عن)، وكان الوليد منع بنيه وأقاربه عن الإسلام «مُعْتَدٍ» ظالم مجاوز<sup>(٣)</sup> الحد في الفساد «مُرِيبٌ» قيل: شاك في الله وفي الدين، عن الحسن، وقتادة. وقيل: «مریب» مشكك «الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» أي: وصف الله بأن له ثانٍ «فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ». قَالَ قَرِينُهُ يعني الشيطان الذي قرن بهذا الكافر وهو يورك الذنب عليه، وهو غير القرين الأول؛ لأن الأول ملك يشهد عليه، وقرينه شيطان، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، وأبي علي. وقيل: هو قرينه من الإنس وهم علماء السوء والرؤساء والمتبوعون<sup>(٤)</sup>، وقيل: هذا القرين هو الملك الشاهد أيضاً، قال أبو علي: القرين الأول

(١) شهيد: يشهد، ك، د.

(٢) قيل: وقيل، ك، ت.

(٣) مجاوز: تجاوز، ك.

(٤) والمتبوعون: والمتبوعين، ك، ت.

من الإنس، فالتابع يقول للمتبوع والعامّة للرؤساء مورّكاً للذنب عليهم، والثاني جوابهم لهم فهما من الإنس والشیطان<sup>(١)</sup>، وقيل: هما ملك «رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ» أي: ما أضللتته وما أوقعته في الطغيان، وقيل: ما أطمعته استكراها<sup>(٢)</sup> يعني ما أكرهته، ولكن دعوته فأجاب طائعا، وهذا قول الشيطان أو<sup>(٣)</sup> متبوع أهل الضلال، وقيل: هذا قول الملك أي: ما شهدت عليه بالطغيان كذبا، وما نسبته إلى الضلال باطلا، وما زدت في كتابه على ما عمل «وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ»<sup>(٤)</sup> عن الحق، فلذلك شهدت عليه، عن سعيد بن جبیر. وقيل: قال قرينه الملك؛ لأن الوليد بن المغيرة قال للملك الذي كان يكتب السيئات: رب إنه أعجلني، فيقول الملك: ربنا ما أطمعته؛ أي: ما أعجلته، عن ابن عباس، ومقاتل. فلما كثرت المخاصمة بين الشياطين وأتباعهم والرؤساء المتبوعين ومن تبعهم من العوام «قَالَ» الله تعالى «لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ»؛ لأنهما كليهما<sup>(٥)</sup> يستوجبان العذاب، هذا بالإضلال، وهذا بالقبول، وقيل: اعتذروا بغير عذر فلم يقبل منهم «وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ» قيل: قدمت [أَنْ] من عمل سيئة يجز بها، وقيل: هو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨]، وقيل: على السنة الرسل، وقيل: في القرآن أنذرتكم فلا تبديل لقولي.

ومتى قيل: أليس في التنزيل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]؟

قلنا: في القيامة مواقف، في موقف يختصمون، فإذا فصل القضاء فلا خصومة بعده.

وقيل: ﴿قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ بوعيد من اعتقد ضلالاً ودعا إليه، ووعيد من قبل تقليداً أو لم<sup>(٦)</sup> يتفكر في الأدلة.

(١) والشیطان: أو الشيطان، ك، ت.

(٢) استكراها: بالسكرات، ك، ت.

(٣) أو: أي، ك، ت.

(٤) بعيد: -، ك، ت.

(٥) كليهما: كلاهما، ك، د.

(٦) أولم: أولى، ك، د.



«مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ» أي: ما يبدل وعدي ووعيدي «وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ» أي: لا أعاقبهم بغير ذنب، ولا أجازي بالحسنة سيئة، ولا أمنع ثواب من استحقه.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿سَائِقٌ وَشَيْدٌ﴾ أن كل مكلف معه ملكان.  
ويدل قوله: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ أن كل أحد يقرن إلى قرينه، وعلى مخاطمة تجري لتوريك الذنب على متبوعه وبراءة المتبوع، وذلك تحذير من التقليد واتباع الهوى.  
ويدل قوله: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾<sup>(١)</sup> أن وعيده لا خلف فيه، خلاف قول بعض المرجئة، وبهذه الآية احتج عمرو بن عبيد على أبي عمرو بن العلاء بمكة لما ناظره في الوعيد.

ومتى قيل: من أوعد غيره ثم خالف يعد إحساناً؟  
قلنا: فينا<sup>(٢)</sup> ذلك؛ لأننا لا نعلم العواقب، فنخبر عن عزمنا، والله تعالى عالم بالعواقب فيخبر عنه كما يكون، وإلا كان كاذباً تعالى الله عن ذلك.  
ويدل قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ﴾ أنه قادر على الظلم ليصح التمدح بنفيه، وأنه لا يفعل الظلم، فيدل أن المعاصي ليست من خلقه؛ لأنه لو خلقها ثم عذب عليها كان ظلماً، وأنه لا يعاقب المحسن، ولا يعاقب بغير ذنب، ولا يعاقب أطفال المشركين، فيبطل قول المجبرة في هذه المسائل، وكذلك لا يجوز أن يأمر بشيء لا يُقدر عليه ثم يعاقب؛ لأنه ظلم.

قوله تعالى:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (٣٠) وَأَرْسَلْنَا الْجَنَّةَ لِمُتَقِينَ غَيْرِ بَعِيدٍ  
﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ (٣٢) مَنْ حَشَى الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ  
﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

(١) لدَيَّ: -، ك.

(٢) فينا: فينا، ث.

### ❁ القراءة

قرأ قتادة وشيبة والأعرج ونافع وأبو عمرو<sup>(١)</sup> وعاصم: «يوم يقول» بالياء<sup>(٢)</sup> اعتباراً بقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْضَعُوا﴾، وقرأ الحسن: «يوم يقال لجهنم» على ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون بالنون.

وقرأ ابن كثير: «هذا ما يوعدون» بالياء، يعني وعد المتقون<sup>(٣)</sup>، وقرأ الباقون: «توعدون» بالتاء على الخطاب للمتقين.

### ❁ اللغة

الإزلاف: التقريب إلى الخير، ومنه الزلفة والزُلْفَى، ومنه: المزدلفة منزل قريب من الموقف.

والأواب: الرجاء بالتوبة خوفاً من العاقبة، آب يؤوب: إذا رجع.

### ❁ الإعراب

قوله: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾ في (من) وجهان من الإعراب:

الجر على نعت الأواب، وقيل: على البدل من أواب.

والثاني: الرفع على الاستئناف، وخبره في قوله: ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ تقديره: من خشي الرحمن يقال لهم: ادخلوها.

### ❁ المعنى

لما تقدم الوعيد بين أنه يملأ جهنم من العصاة، فقال - سبحانه - : «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ» قيل: هذا خطاب لأصحاب النار، فإنه أخبرهم أنه يملؤها<sup>(٤)</sup> بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] بحيث لا مزيد، فيقول يومئذ: «هَلِ امْتَلَأَتْ»

(١) وأبو عمرو: وأبو بكر، ك، د.

(٢) حجة القراءات ٦٧٨.

(٣) حجة القراءات ٦٧٨.

(٤) يملؤها: يملأها، ك، ت.

ليقرأوا بصدق رسوله، وقيل: بل خطاب لخزنة جهنم بأنها هل امتلأت، فيقولون: بلى لم يبق [موضع] لمزيد<sup>(١)</sup>؛ ليعلم الخلق صدق وعده، عن الحسن. وقيل: بل<sup>(٢)</sup> هو إخبار عن امتلاء جهنم بحيث لا مزيد فيه لا أن هناك خطاباً، فعلى التأويلين الأولين هو استفهام، والمراد التقرير، وعلى الثالث المراد التقرير.

ومتى قيل: كيف تضايق جهنم بأهلها؟

قلنا: لأنه خلق ذلك على قدرهم، وقيل: فيه زيادة عقوبة لهم.

«وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» قيل: أراد هل من مزيد طلب الزيادة، عن أنس. وقيل: ينصرف المزيد إلى العصاة يعني هل من مزيد في العصاة فإن بالمكان بعض<sup>(٣)</sup> سعة، وزيف<sup>(٤)</sup> أبو علي ذلك وقال: المراد لا مزيد، وقيل: هو بمعنى الكفاية، عن مجاهد. وقيل: معناه لا مزيد، وهو قول أكثر المفسرين، وقول أبي علي، وهو الوجه لقوله تعالى: ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨]، وقيل: ما في مزيد، عن الحسن، وعمرو، وواصل. و(هل) بمعنى (ما) كقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

واختلفوا في هذا القائل، قيل: خزنة جهنم، عن أبي علي. فيكون القول حقيقة، وقيل: أهل النار، وقيل: ما يظهر من حاله من الامتلاء كأنه يخبر بذلك، والقول على هذا توسع، وهو جائز في اللغة، قال الشاعر:

إِمْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قُطْنِي سَيْلًا رُوَيْدًا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي<sup>(٥)</sup>  
وقال آخر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعةً وَحَدَّرْتَا كَالدُّرِّ لَمَّا يُثْقَبُ<sup>(٦)</sup>  
ونظيره: ﴿قَالَتَا أَئِنَّا لَطَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

(١) لمزيد: بمزيد، ك، ث.

(٢) بل: هل، ك، د.

(٣) بالمكان بعض: المكان بعد، ث، د، ك.

(٤) وزيف: وزيف عن، ك.

(٥) اللسان (قطن)، (قطط)، والبيت بلا نسبة.

(٦) اللسان (قول)، تاج العروس (قول).

فأما ما ترويه الحشوية<sup>(١)</sup> والمشبهة أنها لا تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه فيها فيقول: قط قط، ويروى رجله، فلا يصح من وجوه: منها: لأن فيه إثبات عضو لله تعالى.

ومنها: أنه تعالى وعد أن يملأ جهنم من الجنة والناس، لا من رجله. ومنها: أنه يوجب كون رجله في النار خالدًا مخلدًا، وقد تأوله بعضهم وقال: المراد قدمه، يعني من قدمه الله تعالى إلى النار، قال: والمراد بقوله: برجله، جماعة من الناس، وفيه نوع من التعسف<sup>(٢)</sup>.

«وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» أي: قربت حتى يروا ما فيها من النعيم قبل أن يدخلوها «غَيْرَ بَعِيدٍ» منهم، وهذا تأكيد، ثم يقال لهم: «هَذَا» يعني نعيم أهل الجنة «مَا تُوعَدُونَ» في الدنيا على السنة الرسل «لِكُلِّ أَوَّابٍ» قيل: تواب، عن الضحاك. وقيل: رَجَّاع إلى الطاعة، عن ابن زيد. وقيل: مُسَبِّح<sup>(٣)</sup>، عن ابن عباس، وعطاء من قوله: «يَجِئُكَ أَوَّيُّ مَعْمُ» [سأ: ١٠]، وقيل: هو الذاكر لله في الخلاء، وقيل: الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء فيستغفرون منها، عن مجاهد، والشعبي. وقيل: المصلي، عن قتادة. وقيل: المطيع، عن مقاتل. وقيل: المتوكل عليه المنقطع إليه لا يشغله عنه شيء «حَفِيفٌ» قيل: حفظ ذنوبه حتى يرجع عنها، عن ابن عباس. وقيل: حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمه، عن قتادة. وقيل: الحافظ لأمر الله وما سمع من كتابه، وقيل: من حفظ دينه وأطاع ربه، وقيل: الحافظ لنفسه وجوارحه من المعاصي، عن أبي علي. وقيل: من يحفظ أعماله مما يحبطها، وقيل: يحفظ حقوق الله وحدوده بمحاسبة نفسه «مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ» أي: من خاف الرحمن وإن لم يره، وقيل: في الخلوة بحيث لا يراه أحد، عن الضحاك، والسدي. «وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ» قيل: مقبل على طاعة الله، عن الحسن. وقيل: المنيب: المتوكل على الله، الراجع في أموره إليه، المتمسك بأوامره، عن أبي علي، ثم يقال لهم: «ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ» قيل: سلامة من العذاب، وقيل: سلامة من الزوال والفناء، وقيل: بسلام من الله وملائكته،

(١) ما ترويه الحشوية: ما يرويه الحشو، ك.

(٢) التعسف: تعسف، ك.

(٣) مسبح: فسبح، ك؛ يسبح، ث، د.

وقيل : بسلامة من كل مكروه «ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ» أي : وقت الخلود لأهل الثواب «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا» من أنواع النعم «وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» قيل : الزيادة بما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه<sup>(١)</sup> أمانيتهم ، عن أبي علي . وقيل : الزيادة على ما يستحقون بأعمالهم ، فأما من حمل الزيادة على الرؤية فقد أخطأ لوجوه :

منها : أن حجج العقل والسمع دلت على أنه تعالى لا تجوز عليه الرؤية .

ومنها : أنه ليس في الآية من ذكر الرؤية شيء .

ومنها : أنه لو كان المراد الرؤية لكان هي الأصل ، لا الزيادة .

### الأحكام

تدل الآية أن جهنم تملأ بالعصاة .

وتدل أن الجنة تقرب من المتقين .

وتدل أن من استحقها هو المتقي ، خلاف قول المرجئة .

وتدل أن الخشية والحفظ فعلهم ؛ ليصح الجزاء عليه ، فيبطل قول المجبرة في المخلوق .

وتدل أن لأهل الجنة مجموع ما يستحاد<sup>(٢)</sup> ويطلب ، زيادة على ما أملوه .

قوله تعالى :

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ .

(١) تبلغه : يبلغهم ، د ، ث .

(٢) ما يستحاد : ما يستجاد ، د .

## القراءة

قرأ الحسن والأعرج وعاصم وأبو عمرو والكسائي ويعقوب: «وأدبار السجود» بفتح الألف، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، وقرأ الباقر بالكسر، وهي قراءة علي عليه السلام، وابن عباس، فالكسر هو مصدر أذبر يُذبرُ إدبارًا، والفتح جمع ذُبرٍ.

قراءة العامة: «فَنَقَّبُوا» بفتح القاف [مشددة] على الخبر، وعن الحسن بفتحها<sup>(١)</sup> «فَنَقَّبُوا» مخففة، وعن السلمي ويحيى بن يعمر بكسرهما مشددة على التهديد والوعيد أي: طوفوا في البلاد هل تجدون محيصًا من الموت.

## اللغة

البطش: الأخذ بشدة، ومنه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

والنَّقَبُ: الطريق، وجمعه: نقوب، وأصله نقض موضع يصلح للسلوك، وهو من النقب الذي هو الفتح، وقول امرئ القيس:

وَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ<sup>(٢)</sup>

أي: طوفت في طرقها وسرت في نقوبها<sup>(٣)</sup>، ومنه: نقيب القوم كالأمير<sup>(٤)</sup>؛ لأنه يعرف طرق أمورهم، والنقاب الطريق بين جبلين، ومنه حديث النبي ﷺ لما كثر<sup>(٥)</sup> حديث الطاعون: «أرجو ألا يطلع إلينا نقابها» أي: لا يطلع نقاب المدينة.

والمحيص: المحيد، وهو الذهاب في ناحية الهرب، حاص يحيص حيصًا فهو حائص، نحو: حاد يحيد حيدًا فهو حائد.

واللُّغوب: الإعياء، لَغَبَ يلغب بفتح الغين وضمها، لَغَبًا ولغوبًا.

(١) بفتحها: بكسرهما، ث، د، ك.

(٢) تاج العروس (نقب)، أنظر ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت.

(٣) نقوبها: نوبها، ت، ك.

(٤) كالأمير: كالأمير، ك، د.

(٥) كثر: ذكر، ك.

## الإعراب

«كَمْ أَهْلَكْنَا» استفهام، والمراد التقرير، و(كم) للتكثير نقيض التقليل<sup>(١)</sup>.

ويقال: لم جاز دخول (من) في مفسر (كم)؟

قلنا: لأنها في الخبر بمنزلة العدد نفسه بالمضاف، كقوله: عشرة أثواب وعشرة من الأثواب، فجاز حذف الإضافة، كما جازت الإضافة.

## النزول

قيل: في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾ الآية أنها نزلت في اليهود حيث قالوا: يا محمد، أخبرنا ما خلق الله تعالى من الخلق في هذه الستة الأيام؟ فقال ﷺ: «خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والأنهار والأقوات والمدائن يوم الأربعاء، والسموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات [بقين] من يوم الجمعة، فخلق<sup>(٢)</sup> في أول الثلاث ساعات الآجال، وفي الثانية الأوقات<sup>(٣)</sup>، وفي الثالثة آدم»، قالوا: صدقت إن أتممت هذا، فقال: «وما ذاك؟» قالوا: ثم استراح يوم السبت، فاستلقى على العرش، فنزلت الآية.

## المعنى

ثم أُنذِرهم بعذابه، وَبَيَّنَّ ما أنزل بمن كان قبلهم، فقال - سبحانه - : «وَكَمْ أَهْلَكْنَا» أي: كثيرًا قد أهلكنا «قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا» أي: أخذًا في الدنيا وأكثر تصرفًا وأموالًا، فملكوا البلاد والأموال «فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ» قيل: طوفوا وضربوا في الأرض وطلبوا الأمن من العذاب، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. وقيل: خرقوا، عن الفراء. وقيل: ساعدوا، عن المؤرج. وقيل: نقبوا للبقاء، يقال: نَقَّبَ

(١) التقليل، القليل، ت، د.

(٢) فخلق: وخلق؛ ت، د، ك.

(٣) الأوقات: الأفات؛ ت، د، ك.

السلطان فلاناً أي جعله نقيباً «هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ» أي: طافوا، هل من مهرب وملجأ من الموت ومن العذاب، وقيل: فيه إضمار، أي: هل كان لهم مال محيص؟ ألم يكن لهم مع قوتهم وكثرتهم وكثرة أموالهم محيص؟ وأنتم<sup>(١)</sup> مع قصوركم عنهم كيف تجدون المحيص؟ «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أي: فيما تقدم ذكره من العبر «لَذِكْرَى» أي: عظة وتذكرة «لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ» قيل: عقل يتفكر به فكنى بالقلب عن العقل؛ لأنه محلّه، وقيل: لمن كان له قلب حي، وقيل: لمن كان له قلب يفهم به، وأذن يسمع به، وقيل: قلب يحضر به للتفهم، وسمع يحضره للسمع ولا يكون غافلاً، وقيل: «لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ» أي: لمن كان قلبه لا يشغله عن أمر آخرته بالغفلة وأمور الدنيا وشهواته، وقيل: من كان له قلب مستقر مع الله لا ينقلب عن الله، ولا يغفل عنه طرفة عين «أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» أي: استمع القرآن والدين الحق، تقول العرب: ألقى إليّ سمعك، يعني استمع ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يعني شهيد بمعنى ما يسمع غير غافل عنه، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وسفيان. وقيل: شهيد بأن يحضره سمعه وبصره وقلبه إحضار مستدل مسترشد، ولا يكون كالغائب للغفلة، وقيل: شهيد على ما يقرأ ويسمع في كتب الله السالفة من بعث محمد ﷺ وصفته، والآية في أهل الكتاب، والأول أظهر.

ثم بيّن قدرته على إنزال العذاب بهم بخلق الأشياء، فقال - سبحانه -: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ» قيل: من نَصَبٍ، عن ابن عباس، ومجاهد، قال قتادة. أكذب الله اليهود حيث قالوا: ثم استراح يوم السبت، وهو عندهم يوم الراحة، أوعدهم على ما قالوا فقال - سبحانه -: «فَاصْبِرْ» يا محمد «عَلَى مَا يَقُولُونَ» مما لا يليق به وصفاته، وقيل: اصبر على ما يقولون مما يحزنك من قولهم: إنه شاعر أو مجنون، والأول أوجه؛ لأنه نسق الكلام، فأمره عقيب قولهم بتنزيه الله عن قولهم، فكأنه أمره بالصبر؛ لأنه ينتصر منهم وينتقم «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» قيل: نزه الله في عموم أوقاتك، وقيل: قل سبحان الله

(١) وأنتم: فأنتم، ك.



والحمد لله، عن عطاء الخراساني. وقيل: صَلَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» في صلاة الفجر، «وَقَبْلَ الْغُرُوبِ» صلاة العصر، عن قتادة، وابن زيد، وأبي علي. وقيل: قبل الغروب الظهر والعصر، عن ابن عباس، والحسن. «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحْهُ» يعني صلاة العشاءين، عن أبي علي. وقيل: صلاة الليل لأنه يجوز في أي وقت صلى، عن مجاهد. وقيل: هو صلاة العتمة، عن ابن زيد. والأول أوجه؛ لأنه أمر به، والأمر على الوجوب، وهما واجبان «وَأَذْبَارَ السُّجُودِ» قيل: هما<sup>(١)</sup> الركعتان بعد المغرب، ﴿وَادْبِرْ الْأُجُومَ﴾ [الطور: ٤٩] الركعتان قبل الفجر، عن علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، والحسن بن علي، وأبي هريرة، والحسن، والشعبي، والنخعي، والأوزاعي. وروي ذلك عن ابن عباس موقوفاً عليه ومرفوعاً إلى النبي ﷺ، وقيل: هو التسبيح بعد الصلاة باللسان، عن ابن عباس، ومجاهد. وقيل: هو النوافل في أدبار المكتوبات كالوتر والسنن، عن ابن زيد، وأبي علي.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾ أن الواجب الاستماع إلى الأدلة والتفكر فيها وترك الغفلة والتقليد.

وتدل على أنه لا يصح عليه التعب؛ ولذلك قال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾؛ لأنه قادر لنفسه، وإنما يلحق ذلك من يقدر بقدره، ويصح عليه التعب.

ويدل قوله: ﴿فَأَصْبِرْ﴾ على عظم موقع الصبر في الدين، وتهديد الكفار ومن وافقهم من المشبهة.

ويدل قوله: ﴿وَسَبِّحْ﴾<sup>(٢)</sup> على وجوب التنزيه، وعلى الحث على الصلاة؛ لما فيها من التسبيح والتنزيه.

وتدل أن التسبيح فعل المسبح، وأن ذلك القول كان فعل اليهود، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

(١) هما: -، ك.

(٢) وسبح: فسيح، ك.

قوله تعالى:

﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

### القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «المنادي» بإثبات الياء على الأصل<sup>(١)</sup>، ثم اختلفوا، فيعقوب يثبتها في الوقف والوصل، والآخرين في الوصل دون الوقف، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بحذف الياء في الوقف والوصل<sup>(٢)</sup> للتخفيف ودلالة الكسر عليه.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب: «يوم تَشَقُّقُ» بتشديد الشين، وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي بتخفيف الشين والمعنى واحد<sup>(٣)</sup>.

قرأ ورش عن نافع ويعقوب: «من يخاف وعيدي» بإثبات الياء حيث كان، الباقون بحذفها<sup>(٤)</sup>.

### اللغة

الاستماع: طلب الصوت بالإصغاء إليه، والسمع مصدر سَمِعَ يَسْمَعُ سَمْعًا، والسمع: الأذن، والسميع: الذي من شأنه أن يسمع إذا وجد المسموع، وليس بصفة زائدة على كونه حيًّا لا آفة به، والسامع الذي يدرك المسموع، وذلك حالة زائدة على

(١) حجة القراءات ٦٧٨.

(٢) الوقف والوصل: الوقف والوصل، ك، ت.

(٣) حجة القراءات ٦٧٩.

(٤) القرطبي ٢٨/١٧.

كونه حيًا، ولا يكون إلا بعد وجود المسموع؛ فلذلك قلنا: إنه تعالى سميع في الأزل، غير سامع، والاستماع: الإصغاء إلى المسموع، استمع يستمع فهو مستمع. والنداء: الدعاء بطريقة «يا فلان»، فكأنه ينادي المنادي: يا معشر الناس، قوموا إلى الموقف للجزاء والحساب. والصيحة: المرة من الصوت<sup>(١)</sup> الشديد، صاح يصيح صيحة وصياحًا. وسراعًا: جمع سريع.

### ❁ الإعراب

﴿سِرَاعًا﴾ نصب على الحال، أي: يخرجون سراعًا.

### ❁ النزول

عن ابن عباس: قالوا: يا رسول الله لو خوفتنا<sup>(٢)</sup>، فنزل قوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

### ❁ المعنى

ثم وصف القيامة، فقال - سبحانه -: «وَأَسْمِعْ» قيل: خطاب للنبي - صلى الله عليه - والمراد عام، كأنه قال: استمع يا محمد، وقيل: المراد استمع أيها السامع<sup>(٣)</sup> أو أيها الإنسان<sup>(٤)</sup> «يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ» قيل: استمع كلام الله فيما يخبرك به من حديث القيامة يوم ينادي المنادي، وقيل: استمع لنفخ الصور ومنادي القيامة ينادي «المنادي» قيل: هو إسرافيل ينفخ في الصور، وسمي النافخ منادياً، وقيل: ينادي منادٍ من صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية، والأوصال المنقطعة، واللحوم المتمزقة، قومي لفصل القضاء، وما أعد الله لكم من الجزاء، عن قتادة. وقيل: بل ينادي إسرافيل، فيقول: يا معشر الناس، قوموا للحساب، وقيل: يجوز أن يكون نداء المحسن على

(١) الصوت: الموت، د، ت.

(٢) لو خوفتنا: إن خوفنا، ت، د، ك.

(٣) السامع: الإنسان، د، ك.

(٤) الإنسان: السامع، ك.

وجه الإكرام، ونداء المسيء على وجه التهويل «مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ» قيل: لأن القبور مع تفاوت أماكنها يصل النداء إليها على سواء، كأنه نودي من مكان يقرب منهم، وقيل: صخرة بيت المقدس أقرب موضع من السماء «يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ» قيل: النفخة الثانية للحشر إلى أرض<sup>(١)</sup> الموقف «بِالْحَقِّ» أي: داعية بالحق والإنصاف «ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ» من القبور للجزاء «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ» ونحيي للإعادة لا يقدر على الحياة والموت غيره تعالى، وقيل: يميت لقطع التكليف، ويحيي للجزاء يوم القيامة، وكل ذلك حكمة منه تعالى «وَالْيَنَّا الْمَصِيرُ» أي: إلى حكمنا، سمي المصير إلى حكمه مصيرًا إليه توسعًا «يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا» إلى المحشر، فمن وافد على ربه مُعْظَمٌ مكرم، ومن أبق يَرُدُّ على ربه فيهان، ومن مسحوب على وجهه إلى النيران «ذَلِكَ حَشَرٌ» أي: جمع بين الخلق بعد الموت «عَلَيْنَا يَسِيرٌ» أي: سهل لا يتعذر، وقيل: الإحياء والجمع في أسرع مدة علينا يسير مع تباعد ديارهم وقبورهم «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ» في توحيد الله وفي نبوتك وتكذيبك، وإنا قادرون على جزائهم «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ» قيل: لا تتجبر عليهم، وقيل: لا تجبرهم على الإسلام، أي: لست بمسلط عليهم لتجبرهم إنما بعثت منذرًا ومرغبًا وداعيًا، قال ثعلب: جاءت أحرف «فَعَالٍ» بمعنى «مُفْعِلٍ»، ذَرَاكَ بمعنى مُذِرِكٍ، وَسَرَّاعٌ بمعنى مسرع، وَبَكَّاءٌ بمعنى مُبْكٍ، وسيف سَقَّاطٌ<sup>(٢)</sup> بمعنى مُسْقِطٌ ونحو ذلك، قال علي بن عيسى: لم يسمع من ذلك الإدراك من أدركت، وقيل: جَبَّارٌ من قولهم: جبرته على الأمر، يعني أجبرته، وهي لغة كنانة، وهما لغتان، وقيل: ما أنت حفيظ عليهم في دعائهم يعني تحلم عنهم، وتحسن خلقك معهم ولا تعجل الانتقام، فنفى عنه صفة الجبارين، عن أبي علي. وقيل: لست برب تجازيهم بأعمالهم الجزاء، عن الحسن. «فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ» خصهم لأنهم ينتفعون به يتلون القرآن متدبرين<sup>(٣)</sup> فيه.

(١) أرض: عرض، د، ك.

(٢) وسيف سقاط: وسيف وسقاط، د، ك؛ وما أثبتناه من تفسير القرطبي ٢٨/١٧.

(٣) متدبرين: متدبرون، ك.

## الأحكام

تدل الآية على الإعادة، وأنه ينادي الخلق فيسمعون<sup>(١)</sup> مع بُعْدِ ديارهم.

فإن قيل: وما الذي يجب إعادته؟

قيل: الأجزاء أو الحياة، عن أبي هاشم. وقيل: الأجزاء، عن القاضي. وقيل: الأجزاء والتأليف، وهو قول أبي هاشم الأول، وقيل: جميع أجزائه التي كان في حال التكليف، عن أبي القاسم.

ويدل قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ على تواضعه واستعماله الأخلاق الشريفة، وفيه تأديب لأمته بأن يسلكوا طريقه.

ويدل قوله: ﴿مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أن ظاهر القرآن يدل على الوعيد على ما نقوله.

(١) فيسمعون: يسمعون، ت، د، ك.

## سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

سورة (الذاريات) وهي ستون آية.

وعن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>: «من قرأ سورة (الذاريات) أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت<sup>(٢)</sup> في الدنيا».

ولما ختم سورة (ق)<sup>(٣)</sup> بالوعيد افتتح هذه السورة بالقسم بأن ما توعدون حق، وأنه سينزل بهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ۖ فَالْحِمْلَاتِ وِقْرًا ۖ فَالْجَارِيَتِ يُسْرًا ۖ فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا ۖ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۖ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَفَّعُ ۖ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۖ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۖ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَافِكُ ۖ قِيلَ الْخَرَّاصُونَ ۖ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَقٍ سَاهُونَ ۖ يَسْتَلُونَ آيَانَ يَوْمِ الْدِينِ ۖ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۖ ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۖ﴾

(١) وآله: +، ز، ك.

(٢) هبت: هب، ز.

(٣) سورة ق: السورة الأولى، ز.

## اللغة

الذاريات: جمع ذارية، وهو من ذرت الريح التراب<sup>(١)</sup> تَذْرُوهُ ذَرَوًا: إذا طَيَّرْتَهُ<sup>(٢)</sup> وأذرت بهذا المعنى، وهو الريح الوسط، فإذا زادت فهي عاصفة، وأصل العصف حطام النبات المنكسر، وأعصف الريح إعصافًا: إذا هبت، فحملت العصف، فمن ذلك سميت العاصفة، فإذا زادت سميت قاصفة، والقصف الكسر، يقال: قصفت الريح السفينة في البحر<sup>(٣)</sup>: كسرتها<sup>(٤)</sup>.

والحاملات: جمع حامله، والحمل بالفتح: ما كان في بطن أو على رأس شجرة، وبالكسر: ما حملته على ظهره، ويقال: امرأة حامله إذا حملت شيئًا مِنْ حَمَلَتْ، ومنه: [قوله تعالى: «حملت حملاً خفيفاً»، وقال الشاعر:

تمخضت المنون له بيوم أئى ولكل حامله تمام<sup>(٥)</sup>

ويقال: امرأة حامل؛ لأنه نعت لا يكون إلا للمؤنث كقولهم: طالق<sup>(٦)</sup> وحائض، وقيل: يريد ذات حمل، وذات حيض.

والوَقْرُ بكسر<sup>(٧)</sup> الواو: الحمل، يقال: نخلة مَوْقِرَةٌ ومَوْقِرٌ: إذا كانت ذات حمل وثمر كثير؛ لأنه يثقل عليها، وأصل الباب: الثقل.

والجاريات: جمع جارية، وأصله من «جرى يجري».

والدين: الجزاء، والدين: ما يدان به، والدين: الحساب، والدين: العادة.

والحَبْكُ: حسن أثر الصنعة في الشيء واستوائه، حَبْكُهُ يَحْبُكُهُ على وزن نصره<sup>(٨)</sup>

(١) التراب: التراب، ك.

(٢) طيرته: طرته، ك.

(٣) في البحر: -، ز.

(٤) كسرتها: كسرها، ز، ك.

(٥) البيت ينسب إلى عمرو بن حسان. أنظر لسان العرب (حمل)، الصحاح (حمل). وبرواية أخرى: ولكل خاتمة تمام.

(٦) طالق: طلق، ك.

(٧) بكسر: بفتح، ك.

(٨) نصره: -، ز، ك.

ينصره، وَيَحْيِكُهُ<sup>(١)</sup> على مثال يضربه، حَبَّكًا، وقيل: الحبك: النسج الحسن، يقال: ما أحسن حبكة للنساج إذا أحسن نسجه وأجاده، والحبك الطرائق، والحيكة: الطريقة، والجمع: حبائك، وكساء مُحَبَّكٍ مخطط لحسنها، وقيل<sup>(٢)</sup>: المحبوك: المحكم القوي، دابة مُحَبُّوكَة<sup>(٣)</sup> الخلق إذا كان محكمًا، وكل شيء أحكمته وأحسن عمله فقد أحبكته، وتحبكت المرأة بنطاقها إذا شدته في وسطها، وذلك زينة لها، وحبكه بالسيف<sup>(٤)</sup> إذا قطع اللحم دون العظم، وكذلك لحسن القطع، وواحد الحبك حَبَّكٌ وَحْيِكَةٌ.

والإفك: الكذب، وأصله الصرف، أَفَكَ عَنْهُ: صُرِفَ، وسمي الكذب<sup>(٥)</sup> إِفْكَاً؛ لأنه صُرِفَ الكلام عن وجهه.

والخَرَّاصُ: الكذاب، والخَرَضُ الظن والحدس، وسمي الجور خَرَصًا منه، ويقال: كم خَرَضُ أَرْضِكَ؟ بكسر الخاء، وأصل الخرص: القطع من قولهم: خرص كلامًا وأخرصه: إذا افتراه؛ لأنه اقتطعه من غير أصل يصح له، والخُرص بضم الخاء: حلقة القرط المنقطعة على ملاصقة الأذن.

والغمرة: علو الشيء على غيره حتى يغطيه، يقال: غمره الدُّيْنُ أي غطاه لكثرتة، وغمره<sup>(٦)</sup> الماء يغمره غمرًا فهو مغمور، وغمره الشغل، وغمره الموت، والغَمَرُ: الكثير العطاء؛ لأنه يغمر<sup>(٧)</sup> بعطائه، ومنه الغمر الفرس الكثير الجري، ومنه: الغَمَرُ بضم الغين: الذي لم يجرب الأمور؛ لأنه غمره الجهل، والغمر بكسر الغين: الحقد؛ لأنه يغمر القلب، والغَمَرُ: القدح الصغير؛ لأن الماء يغمره لامتلأته.

(١) ويحيكه: ويحبكه ويحبكه، ز.

(٢) والحبك الطرائق... وقيل: -، ز.

(٣) محبوكة: محبوك، ز، د، ك.

(٤) بالسيف: بالسرف، ز.

(٥) الكذب: الكذاب، د.

(٦) وغمره: وغمر، د.

(٧) يغمر: يغمره، ك.



## الإعراب

محل (الذاريات) جر بالقسم، وقيل: أقسم بالذاريات وقيل<sup>(١)</sup>: فيه إضمار أي: برب الذاريات فيكون جر بالإضافة إليه، وجواب القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

والفاء في قوله: ﴿فَالْحَيَلَاتِ﴾ وأخواتها فاء العطف، وقيل: في قوله: ﴿لَصَادِقٌ﴾ أنه اسم الفاعل<sup>(٢)</sup> وضع موضع المصدر للمبالغة كقولهم: رجل خَصْمٌ<sup>(٣)</sup> وَعَدْلٌ. وقيل<sup>(٤)</sup>: ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ يحتمل أن يكون في موضع الرفع والنصب وكله على جواب ﴿أَيَّانَ﴾.

و﴿يَوْمَ﴾ نصب على الظرف، وأضفته إلى (هم)؛ لأن الظرف قد يضاف إلى الخبر والابتداء.

## النزول

قيل: قوله: ﴿إِنَّكَ لَنَى قَوْلٍ تُخَلِّفُ﴾ الآيات، نزل في المقتسمين الذين اقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن الإسلام. وقيل: اقتسموا<sup>(٥)</sup> أعقاب مكة لصرف الناس عن الإيمان، ويرمونه بقبيح القول.

## المعنى

«وَالذَّارِيَاتِ» . . . «إلى قوله: «فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا» قيل: إن ابن الكَوَّاء سأل أمير المؤمنين، وهو يخطب على المنبر فقال: ما الذاريات ذروا؟ قال: الرياح، فقال: ما الحاملات وقرأ؟ قال السحاب، قال: فما الجاريات يسرا؟ قال: السفن، قال: فما

- (١) قيل: +، ك.  
(٢) الفاعل: للفاعل، ك.  
(٣) خصم: خصيم، د.  
(٤) وقيل: -، ك.  
(٥) اقتسموا: أقسموا، ك.

المقسمات أمراً؟ قال: الملائكة. وعن ابن عباس والحسن ومجاهد مثل ذلك. وقيل: الذاريات الرياح [لأنها تزرؤا التراب] أو ما<sup>(١)</sup> مر بها، «فالحاملات [وقرأ]» الرياح، تحمل السحاب التي قد أوقرها [المطر] تنقله من بلد إلى بلد، و(الجاريات يسرا) قيل: السحاب تجري بما يسره الله لها، ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ<sup>(٢)</sup> أَمْرًا﴾ الملائكة يقسمون ما كلفها الله تعالى من أرزاق العباد وغير ذلك، عن أبي علي. وقيل: المقسمات أيضاً الرياح تقسم المطر، فيصيب قوماً دون قوم وبلداً دون بلد «إِنَّمَا تُوعَدُونَ» من الثواب والعقاب «لَصَادِقٌ» أي: لصادق، وقيل: لصادق في ذلك من وعده «وَإِنَّ الدِّينَ» قيل: الجزاء، وقيل: الحساب «لَوَاقِعٌ» كائن لا محالة «وَالسَّمَاءِ» قيل: أقسم بنفس السماء؛ لما فيها من الدلالة على صانع قادر عالم، وما فيها من عجائب الصنعة، عن ابن عباس، وقتادة، وعكرمة<sup>(٣)</sup>. وقيل: القسم برب السماء، عن أبي علي. «ذَاتِ الْحُبُكِ» قيل: ذات الخلق الحسن المستوي، عن ابن عباس، وقتادة، وعكرمة، والربيع. وقيل: ذات الزينة، عن الحسن، وسعيد بن جبير. قال الحسن: حبكت بالنجوم، وقيل: المتقن البنيان فلا يتصدع، عن مجاهد، وأبي علي. وقيل: ذات الطرائق<sup>(٤)</sup> الحسنة، عن الحسن، والضحاك، قال: لكنها بعيدة فلا يرون طرائقها لبعدها، وقيل: ذات الشدة، ثم قرأ: ﴿وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمُ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبا: ١٢]، عن ابن زيد. «إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ» قيل: في الدين، كل واحد يقول بشيء ويضلل من يخالفه فيه، وقيل: في النبي ﷺ؛ يقولون: ساحر وشاعر<sup>(٥)</sup> وكاذب ومجنون، وقيل: في القرآن؛ يقولون: شعر وكذب وسحر وأساطير الأولين، وقيل: في البعث فمن مصدق ومكذب، والخطاب للعرب، وقيل: في الدين فمحقق ومبطل، والخطاب لجميع المكلفين، عن أبي علي. فالمحقق من قبل منه، والمبطل من رد عليه «يُؤْفَكُ عَنْهُ» يصرف عنه، عن الحق، وقيل: عن القرآن، وقيل: عن النبي «مَنْ أُولَئِكَ» من صرف، وقيل: يصرف عن

(١) أو ما: وأما، د، ز، ك.

(٢) فالمقسمات: والمقسمات، ك.

(٣) عن ابن عباس... وعكرمة: -، ك.

(٤) الطرائق: الطريق، ز، ك.

(٥) وشاعر: شاعر، ز، ك.

هذا القول وبسببه عن الإيمان من صرف، عن مجاهد. وعن بمعنى: من أجل جائز بلغة كنانة، عن الفراء<sup>(١)</sup>، وقيل: يصرف عنه؛ أي الصارف أنفسهم كقولهم: فلان معجب بنفسه وأعجب بنفسه، وقيل: الصارف علماء السوء وأئمة الضلال ورؤساء البدع؛ لأن القوم تبع لهم، وقيل: يصرف عن الإيمان بمحمد ﷺ من القول بأنه شاعر أو مجنون، وكانت العرب تسأل رؤساء مكة، فيقولون ذلك «قَتَلَ الْخَرَاصُونَ» قيل: لعن الكذابون وهم الذين كذبوا رسول الله ﷺ، وكذبوا بالبعث، وقيل: المرتابون<sup>(٢)</sup>، عن ابن عباس. وقيل: الكهنة، عن مجاهد. «الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ» قيل: شبهة وغفلة وضلالة، وقيل: غمرهم الجهل ساهون لاهون عما يجب عليهم «يَسْأَلُونَ أَيَّانَ» بمعنى متى «يَوْمَ الدِّينِ» وهو وقت الجزاء، إنكارًا واستهزاء، فقال تعالى: «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» أي: يقدمون ويحرقون، عن مجاهد، والضحاك. وقيل: (على) بمعنى الباء، وقيل: يفتنون: موقوفون على النار، وتقول لهم الخزنة: «ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ» عذابكم «هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ» وسمي العذاب فتنة قيل: لأنه جزاء الفتنة، وقيل: لأنه امتحان بالنار، كالذهب الذي يعرض على النار.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على عظيم قدرته تعالى في الرياح والسحاب وما فيها من النعم حتى صار موضعًا للقسم به.

وتدل على وقوع الجزاء على الأعمال، خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن الخرص فعل العبد.

ويدل قوله: ﴿فِي غَمْرٍ سَاهُونَ﴾ أن المعارف مكتسبة.

(١) بلغة كنانة، عن الفراء: -، ك.

(٢) المرتابون: المرائون، ز، ك.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَدَهُمْ رَبُّهُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ .

### ❁ القراءة

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «مِثْلُ» برفع اللام<sup>(١)</sup>، وقرأ الباقون بالنصب.

أما الرفع فعلى<sup>(٢)</sup> أنه بدل من الحق.

وأما النصب ففيه وجوه: قيل: نصب على الحال، وقيل: على المصدر أي: يحقّ حقاً كنطقكم، وقيل: بنزع الخافض بتقدير: كمثل.

وأجمع القراء وعامة المسلمين في قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾، وعن ابن محيصة: (وفي السماء رازقكم)<sup>(٣)</sup> يعني الله تعالى، وهذا - مع أنه خلاف للإجماع وما ظهر من القراءة عن النبي - صلى الله عليه - وأصحابه وقراء الأمة خطأ ظاهراً؛ لأنه إن أراد أن الله في السماء فقد أثبت مكاناً، وذلك كُفْرٌ مِنْ قَائِلِهِ، وإن أراد في السماء قدرة أرزاقكم<sup>(٤)</sup> وقسمة رازقكم<sup>(٥)</sup> أو رزق رازقكم فذلك مجاز، وفيه إيهام التشبيه، فلا ينبغي على وجه أن يقرأ به.

(١) حجة القراءات ٦٧٩.

(٢) فعلى: فهو على، ك.

(٣) القرطبي ٣٩/٧.

(٤) أرزاقكم: رازقكم، ك.

(٥) رازقكم: أرزاقكم، د، ز.

## اللغة

العين: عين الماء، وجمعها: عيون، وسمي عينًا؛ لأن الماء يظهر منه جاريًا، ومنه: ماء مَعِينٌ، قال ثعلب: عان الماء يعين عينًا: إذا ظهر جاريًا، والعين: الذهب، والعين: الذي يرى به.

والإحسان والإفضال نظائر، أحسن إليه فهو محسن.

والهجوم: النوم، هجع هجوعًا.

والمحروم: الممنوع من الرزق بترك السؤال، أو ذهاب مال، أو سقوط سهم في الغنيمة، أو خراب ضيعة إذا صار فقيرًا، وأصله: المنع، والمحروم الممنوع، من الحرمان، قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم<sup>(١)</sup>، ومنه الحرام، ومنه الحرمة، ومنه الإحرام بالحج، ومنه الحرم، كل ذلك [بمنع] وُجد<sup>(٢)</sup> فيه.

والإبصار: إدراك المبصر، أبصر يبصر إبصارًا، والبصر: العين الذي يبصر به، وجمعه: أبصار، واختلفوا في الذي يدرك به المرء، فقليل: معنى يحل العين، عن أبي علي. وقيل: ليس بمعنى، ولكن بشرط أن يكون حيًا لا آفة به.

## الإعراب

«أخذين» نصب على الحال أي: يقبلون ما يعطيهم في حال الإعطاء.

واختلفوا في قوله «ما» في قوله<sup>(٣)</sup>: ﴿مَا يَهْجُؤْنَ﴾ على عدة أقوال:

فقليل: هو جحد، وقد تم الكلام عند قوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا﴾ أي: هم قليل، ثم ابتداء فقال: ﴿مَا يَهْجُؤْنَ﴾ أي: لا ينامون بالليل.

وقيل: (ما) بمعنى المصدر فالكلام يتصل بما قبله، تقديره: قليلًا هجوعهم؛

(١) أعياني: لساني، د، ز، ك؛ في تفسير التبيان ٣٨٢/٩: أعياني أن أعلم ما المحروم.

(٢) وجد: يوجد، ك.

(٣) ما في قوله: +، ك.

لأن (ما) إذا اتصل به الفعل صار في تأويل المصدر كقوله: ﴿يَمَّا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢] أي: بظلمهم.

وقيل: إنه صلة أي: كانوا قليلاً من الليل يهجعون.

### المعنى

لما تقدم وعيد الغافلين عقبه بالوعد للمتقين على عادته تعالى في الجمع بين الوعد والوعيد ترغيباً وترهيباً، فقال - سبحانه - : «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» الذين يتقون المعاصي «فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ» أي: بساتين في الجنة، «وعيون» ما يجري فيها، فهؤلاء يتنعمون وأولئك يعذبون «آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ» أي: ما أعطاهم من كرامته؛ لأنهم كانوا قبل ذلك محسنين، عن الحسن. وقيل: قابلين من الله ما آتاهم من كرامته وثوابه جزاء لهم، وقيل: عاملين بما أمرهم ربهم من الفرائض التي أوجبها عليهم، عن سعيد بن جبير. «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ» أي: قبل دخول الجنة «مُحْسِنِينَ» في أعمالهم في الدنيا «كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ» أي: كانوا لا ينامون، وقيل: قليلون بين الناس، وكانوا لا ينامون، عن عكرمة. وقيل: كانوا قليلاً هجوعهم، عن الحسن، والزهري. وقيل: كانوا قليلاً من الليل يهجعون، والهجوع النوم، عن ابن عباس، وإبراهيم، والضحاك. واختلفوا، فقيل: كانوا يصلون صلاة الليل وكان فرضاً، وقيل: كانوا يتنفلون<sup>(١)</sup> بصلاة الليل، وقيل: كانوا لا ينامون حتى يُصَلُّوا<sup>(٢)</sup> العتمة، عن محمد بن علي. وقيل: يصلون ما بين المغرب والعشاء، عن أنس بن مالك، وسالم. وقيل: قلَّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها إما من أولها أو وسطها أو آخرها<sup>(٣)</sup>، عن مطرف. وقيل: كانوا يمدون الصلاة إلى السحر، عن الحسن. «وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» قيل<sup>(٤)</sup>: يستغفرون من الذنوب: يطلبون من الله مغفرتها، عن الحسن، وابن زيد.

(١) يتنفلون: يتقون، ك.

(٢) يصلوا: يصلون، د، ز، ك.

(٣) وسطها أو آخرها: وأوسطها وآخرها، ك.

(٤) قيل: وقيل، ز.

وقيل: يصلون، عن مجاهد. وقيل: يستغفرون من تقصيرهم في طاعتهم. «وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ» قيل: الزكاة، وقيل: سائر الحقوق الواجبة «لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» قيل: السائل الذي يسأل، والمحروم الْمُحَارَفُ الذي ليس له في الإسلام سهم، عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب. واختلفوا في المحارف، قيل: من قُدِرَ عليه رزقه، وقيل: من حورف في كسبه أي: حيل به عنده كتحرير الكلام يعدل عن جهته، وقيل: السائل: الذي يسأل ليعطوه<sup>(١)</sup>، والمحروم: المتعفف الذي لا يسأل، عن قتادة، والزهري، وأبي علي. وقيل: المحروم الذي لا ينمي له مال، عن عكرمة. وقل: هو المضار ثمره أو زرعه أو ماشيته، عن زيد بن أسلم. وعن محمد بن كعب: المحروم صاحب الحاجة، ثم تلا: ﴿إِنَّا لَمَعْرُومُونَ﴾ ١٦ بَلْ لَحْنٌ مَّحْرُومُونَ [الواقعة: ٦٦، ٦٧]، وقيل: المحروم من حرم الغنى وتعفف عن السؤال، وقيل: المحروم البهائم؛ لأنهم حرموا السؤال أي: منعوا منه «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ» أي: عبرٌ وحجج في خلقها، لا من شيء وثبوتها وسكونها وما فيها من أنواع الحيوان والنعيم والمخلوقات، كل ذلك دلالة<sup>(٢)</sup> على أن لها مدبراً صانعاً، وقيل: ما فيها من المعادن والأدوية والنعيم دليل على منعم، وقيل: عبر لمن سار فيها ورأى آثار أهلها ﴿لِلتَّوَفَّيْنَ﴾ بالحق، وخصهم بها؛ لأنهم المنتفعون بها، ويتفكرون، ويستدلون بها «وَفِي أَنْفُسِكُمْ» أي: وفي نفس كل واحد منكم آيات وعبر من حيث خلقه وصوره، وركب فيه الحواس والأعضاء، ومجاري الطعام والشراب، وعجيب التراكيب وأنواع ما فيه «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» في ذلك لتعلموا أن لها مدبراً، وقيل: في اختلاف أحوالكم، وقيل: أفلا تبصرون تفاوتكم، فتعرفوا صانعكم «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ» قيل: هو المطر الذي هو سبب الرزق، عن الضحاك، وأبي علي. وقيل: أراد بالسما المطر أي في المطر رزقكم، قال الشاعر:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٌ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا<sup>(٣)</sup>

(١) ليعطوه: ليعطونه، د، ز، ك.

(٢) دلالة: دالة، ك.

(٣) الصالح (سما)، ولسان العرب (سما). والبيت ينسب لمعاوية بن مالك.

وقيل: وعلى رب السماء رزقكم، و(في) بمعنى (على) كقوله: ﴿جُدُّوعَ الْخَلِ﴾ [طه: ٧١]، والرب مضمّر كقوله: ﴿وَسَّالِ الْفَرِيَّةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وقيل: قسمة رزقكم في السماء لا يزيد ولا ينقص، فكيف تتعبون في طلبه؟ ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قيل: الجنة وهي<sup>(١)</sup> في السماء السابعة، عن أبي علي. وقيل: ما توعدون من خير أو شر، عن مجاهد. وقيل: من الجنة والنار، عن الضحاك. وقيل: الساعة، عن ابن سيرين. وقيل: ملائكة ينزلون بقبض الأرواح، وانتساخ الأعمال، ولإنزال<sup>(٢)</sup> العذاب ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قَسَمَ من الله تعالى ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ أي: ما ذكره صدق ﴿مِثْلُ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ قيل: كما لا تُشْكُون في نطقكم أنها لكم فلا تشكون<sup>(٣)</sup> فيما توعدون به، عن أبي علي. قال الحسن: قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم بنفسه، فلم يصدقوه، وقيل: معناه إنه لحق مثل ما أنكم ذوو<sup>(٤)</sup> نطق؛ أي: كما أن الآدمي ذو<sup>(٥)</sup> نطق، أي: كما تقولون أن لا إله إلا الله، وقيل: كما أنكم تقولون: إن الرزق من السماء وهو المطر فهي كذلك، عن أبي مسلم. وقيل: إنه قسم رزقكم كما قسم النطق، فكنتم ذوي نطق دون سائر الحيوان، كذلك قسم لكل واحد<sup>(٦)</sup> رزقاً بقدرته ورحمته.

### الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ أن الجنة مأوى المتقين دون غيرهم، خلاف قول المرجئة.

وتدل على أن صفة المتقين ما بيّن فيه من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحقوق الواجبة، وصلاة الليل، والاستغفار، وفيه تنبيه على أداء الطاعات، واجتناب المعاصي. ويدل قول: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ﴾ أن في الأموال حقوقاً<sup>(٧)</sup> يجب أداؤها، فمنها الزكاة،

(١) وهي: وهو، د، ز، ك.

(٢) ولإنزال: فلا إنزال، د، ز.

(٣) فلا تشكون: فلا تشكوا، د، ز.

(٤) ذوو: ذووا، ك.

(٥) ذو: ذوا، ك.

(٦) واحد: أحد، ز، د.

(٧) حقوق: حقوق، ز، د.



ومنها النفقات، ومنها ما يوجهه الإنسان على نفسه، ومنها ما يجب لسبب<sup>(١)</sup> من جهته كالكفارات ونحوها.

ويدل قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ على وجوب النظر وفساد التقليد، وأنه تعالى يُعَرَفُ بأفعاله.

ويدل قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أن نعيم الدارين فيها؛ لأن سبب رزق الدنيا المطر وهو من السماء والجنة في السماء، قال أبو علي: يدل على أن الجنة في السماء. وتدل على أن إحسان المتقي وصلواته وأداء الزكاة فَعَلَهُ.

قوله تعالى:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَأَى إِلَيْهِ أَهْلَهُ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنْ طِينٍ (٣٣) مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧).

### اللغة

الإكرام والإعظام من<sup>(٢)</sup> النظائر، أكرمه يكرمه إكرامًا فهو مُكْرِمٌ، وذاك مُكْرَمٌ، وقوم مكرمون.

(١) لسبب: بسبب، ك.

(٢) من: -، ك.

والإنكار: نفي صحة الأمر، ونقيضه: الإقرار والاعتراف بصحته.

والرَّوْغ: الذهاب إلى الشيء في خفية<sup>(١)</sup>، والميل إليه، ولا يقال ذلك إلا لمن [يُخْفِيهِ]، راغ يروغ روغًا وروغًا، راوغة مراوغة، ومنه: هو أروغ من ثعلب، وراغ روغًا والثعلب.

والعجل: ولد البقر، سمي بذلك لتعجيل ميلاده، وهو عَجُولٌ، والجمع: عجاجيل.

والإيجاس: الإحساس بالشيء في خفية، أوجس إيجاسًا.

والصَّرة: شدة<sup>(٢)</sup> الصياح، وهو من صرير الباب، والصرة: الجماعة.

والصك: الضرب باعتماد شديد، ومنه الصكك، أن تصطك ركبة الرجل.

والعقيم: العاقر التي لا تلد، وأصله الشد، ومنه: تعتقم<sup>(٣)</sup> أصلاب المشركين أي: تشد فلا يستطيعون السجود يعني يوم القيامة، وداء عَقَامٌ أي: شديد حتى يُئْسَ من البرء منه، وعقمت المرأة فهي معقومة، ورجل عقيم مثل المرأة، والريح العقيم: الذي لا يُنشئ سحابًا ولا مطرًا، والمُلْكُ عقيم أي: يقطع النسب والولادة حتى يقتل الأب ابنه، والابن أباه على الملك.

والخطب: الأمر الجليل، ومنه: الخطبة؛ لأنه كلام بليغ أعد لأمر جليل يستفتح بالتحميد والتمجيد.

والجُرْم: الذنب، وأصل الباب: القطع، والمجرم: القاطع للواجب بالباطل، وزاد من الجرام أي: صرام النخل.

والسمة: العلامة، والمُسَوِّمة: المعلمة بعلامة تعرف بها، وهو التسويم، ومنه الحديث: «في يوم بدر سَوِّمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ سَوِّمَتْ» أي: أعلموا.

(١) خفية: خيفة، د، ز، ك.

(٢) شدة: الشدة، د، ز، ك.

(٣) تعتقم: لعقم، ك.

والإسراف: مجاوزة الحد في العصيان.

والوجدان: أصله إدراك الشيء، تقول: وجدت الشيء أي: طلبته فوجدته، ووجدت من الموجدة: إدراك ما يوجب العتب، ووجدت من المال جدّة: أدركته، ووجدت زيدًا صالحًا، يعني علّمته.

### الإعراب

«المكرمين» جُرَّ لأنه [نعت] لضيف<sup>(١)</sup>، والضيف مصدر، لا يشئ ولا يجمع. «سلامًا» نصب على المصدر أي: أُسْلِمَ سلامًا، وقيل: نصب بالقول، كقولهم: قالوا كلامًا.

و«عجوز» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف يعني: أتلد عجوز، وقيل: أنا عجوز عقيم فكيف الد؟

و«عقيم» نعت (عجوز). و«مسومة» صفة للحجارة.

«قال سلام» تقديره: وهو سلام.

ويقال: لم قال: «عقيم» ولم يقل: عقيمة؟

قلنا: لأنه «فَعِيلٌ»، و«فَعِيلٌ» يكون للتذكير والتأنيث بغيرها.

### المعنى

ثم بيّن ما بشر به إبراهيم وبهلاك قوم لوط عطفًا على ما تقدم من الوعيد، تخويفًا لهم وتحذيرًا أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك، فقال - سبحانه -: «هَلْ أَتَاكَ» يا محمد «حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ» سماهم ضيفًا من غير أن أكلوا من طعامه؛ لأنهم دخلوا مدخل الأضياف، واختلفوا في عددهم، قيل: كانوا اثني عشر ملكًا، عن ابن عباس، ومقاتل. وقيل: كان جبريل معه سبعة أملاك، عن محمد بن كعب. وقيل: ثلاثة: جبريل وميكائيل وملك آخر، عن عطاء. «الْمُكْرَمِينَ» قيل: عند الله، عن الحسن. وقيل: أكرمهم إبراهيم برفع مجالسهم، وإعداد الطعام لهم،

(١) لضيف: الضيف، د، ز، ك.

وقيل: خدمهم بنفسه، عن مجاهد. وقيل: سماهم مكرمين؛ لأنهم كانوا غير مدعوين، عن ابن عباس. «إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا» أي: سلموا عليه سلامًا ف «قَالَ سَلَامٌ» أي: رد عليهم وقال: سلام عليكم، عن أبي علي. وقيل: قال سلام لنا منكم فإنكم «قَوْمٌ مُنْكَرُونَ» قيل: غرباء لا نعرفكم، وقيل: أنكرهم لأنهم دخلوا بغير إذن، وقيل: أنكر سلامهم في ذلك الزمان في تلك البلاد، عن أبي العالية. «فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ» أي: مال إليهم ليحمل مأكولاً، وقيل: إنما دخل خيفة لكيلا يمنعه<sup>(١)</sup> تكلف مأكول «فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ» مشوياً، و«قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ» تحريضاً على الأكل، وقيل: فيه حذف: أمسكوا، فقال: ألا تأكلون؟ قال قتادة: وكان عامة مال إبراهيم البقر، قيل: قالوا: لا نأكله إلا بثلثين، فقال: كلوه، وأدوا ثمنه، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تسمون الله إذا أكلتم، وتحمدونه إذا فرغتم، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: بهذا اتخذك الله خليلاً. «فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً» في الكلام حذف، فلم يأكلوا فدخل في نفسه خيفة منهم وأوجس به، قيل: ظن أنهم لصوص أو كفار يخالفونه، يريدون هلاكه، وقيل: ظن أنهم ملائكة وأنهم لا يحضرون إلا لمهم، وقيل: يدعو الله فأحيا الله تعالى ذلك العجل، فعلم أنهم ملائكة فحينئذ حضرت أهله لتستمع كلامهم، وقيل: لما خاف علموا بذلك ف «قَالُوا لَا تَحْفَ» إنا رسل ربك «وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ» بولد عليم، قيل: المبشر به إسحاق أنه من سارة، وهذه الصفة لها، لا لهاجر، عن أبي علي وجماعة. وقيل: المبشر به إسماعيل، عن مجاهد. «فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ» قيل: سمعت هي البشارة، وأقبلت، وقيل: بل أخبرها إبراهيم، عن أبي علي. وقيل: جاءت في ملاء، وقيل: لم تكن أقبلت من مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني؛ يعني أخذ في شتمي «فِي صَرَّةٍ» قيل: في صيحة، عن ابن عباس، ومجاهد، وسفيان عن قتادة. وقيل: في جماعة من النساء «فَصَكَّتْ وَجْهَهَا» قيل: لطمت وجهها، عن ابن عباس. وقيل: ضربت وجهها متعجبة كالعادة في النساء، عن السدي، ومجاهد، وسفيان. وقيل: صاحت وضربت وجهها سروراً بما سمعت، بخلاف

(١) يمنعه: +، ك.

العادة «وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ» وفيه حذف أي: أتلد عجوز عقيم عاقر؟ عن الحسن وجماعة. وكانت سارة لم تلد قبل ذلك، وقيل: كانت ابنة تسع وتسعين سنة، وقيل: كانت بين البشارة والولادة سنة، وقيل: كان لإبراهيم مائة سنة، واختلفوا في قولها، فقليل: قالت ذلك تعجبًا، لا إنكارًا، وقيل: استخبرت وقالت: كيف تلد العجوز العقيم؟ «قَالُوا» لها «كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ» أي: لا تعجبي من قدرة الله فإنه حكيم يفعل ما يفعل لحكمته، وعليم بما كان ويكون، هكذا قال: إنه يفعل، وقيل: إنها قالت على هذه الحالة: ألد أم يتغير حالي؟ فقالوا: كذلك بل على هذه الحالة «قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ» لما علم إبراهيم حالهم وأنهم جاءوا لِمُهِمَّ سألهم: لأي أمر جئتم «إِنَّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ» يعني قوم لوط أرسلنا لنهلكهم «لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ» قيل: طين كأنها آجرٌ، عن ابن عباس. وقيل: [سجيل بالفارسية أعربت] سَنَك وكل، عن الكلبي. وقيل: من حجارة البر لا من حجارة الماء وهو البرد، عن أبي علي. «مُسَوَّمَةٌ» أي: مُعَلَّمَةٌ بأنها من حجارة العذاب، عن الحسن. وقيل: مسومة بأن جعل على كل حجر اسم من يهلك به، وقيل: معلمة بعلامة تعرف الملائكة أنها مما يُرْمَى بها الكفار عند أمر الله تعالى، وقيل: التسويم أن تجعل نقطة بيضاء في حجر أسود، أو نقطة سوداء في حجر أبيض، عن ابن عباس. وقيل: كان عليها أمثال الخواتيم «عِنْدَ رَبِّكَ» أي: معدة في حكمه «لِلْمُسْرِفِينَ» المجاوزين الحد في العصيان، المستحقين عذاب الاستئصال «فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» وهم لوط وقومه الذين آمنوا به؛ لأنه تعالى أمرهم بإخراجهم «فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» وهو بيت لوط وكانت فيهم أيضًا كافرة، وهي امرأته، وهلك معهم «وَتَرَكْنَا» أي: بقينا «فِيهَا» أي<sup>(١)</sup>: في تلك البقاع والبلاد «آيَةً» عبرة وحجة، وقيل: هو الانقلاب؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى، وقيل: نفس العذاب كان<sup>(٢)</sup> عبرة «لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» الجميع، وخصهم؛ لأنهم يتعظون بها، وإلا فهو عبرة للجميع.

(١) فيها أي: -، ك.

(٢) كان: كانت، د، ز، ك.

## الأحكام

يدل قوله: ﴿سَلَّمَ﴾ أن السلام كان من سنة الأنبياء، قلنا كما هو من سنة نبينا ﷺ، وكذلك من سنن الملائكة.

ويدل قوله: ﴿فَأَرْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أنه كان غير عالم بحالهم، فيدل أن الأنبياء لا يعلمون الغيب، فالآية أولى، خلاف ما تقوله الإمامية.

ويدل قوله: ﴿وَبَشِّرُوهُ﴾<sup>(١)</sup> على معجزة لإبراهيم حيث وُلِدَ له وَلَدٌ بعد الكبر، وقد بَيَّنَّا ما قيل في المبشر به، والأولى أنه إسحاق؛ لأن الآيات أليق بحاله وحال أمه سارة.

وتدل على أن الإسلام والإيمان واحد؛ لذلك قال مرة: ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ ومرة ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾.

وتدل على أن الخيفة<sup>(٢)</sup> والإسلام فعل العبد؛ لذلك استحق كل واحد الجزاء.

قوله تعالى:

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِهٖ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَدَّنَتْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَتَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

## القراءة

قرأ الكسائي: (الصَّعِقَةُ) بغير ألف ساكنة العين<sup>(٣)</sup>، الباقون بالألف، وهما لغتان،

(١) وبشروه: فيشروه، ك.

(٢) الخيفة: الجهالة، ك.

(٣) حجة القراءات ٦٨٠.

والصاعقة والصعقة: العذاب، وتميم تقول: صاعقة، وجمع صاعقة: صواعق، وأصل الصاعقة: صوت الرعد الشديد الذي يصعق منه الإنسان، أي: يغشى عليه، والصاعقة مصدر جاء على فاعلة كراغية الإبل، وثاغية الشاء، والصاعقة: الموت أيضًا.

قرأ أبو عمرو وحمزة والأعمش والكسائي وخلف: «وَقَوْمَ نُوحٍ» بكسر الميم عطفًا على ما تقدم، أي: وفي قوم نوح كقوله: ﴿وَفِي مُوسَى﴾ ﴿وَفِي عَادٍ﴾ ﴿وَفِي نَمُودٍ﴾. وقيل: عطفًا على قوله: ﴿وَوَرَكْنَا فِيهَا﴾ أي: وفي قوم نوح<sup>(١)</sup>. وقرأ الباقون بفتح الميم، وفيه وجوه:

قيل: هو مردود على الهاء والميم، في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ﴾ أي: وأخذت قوم نوح.

وقيل: فأهلكنا قوم نوح، فنصب بمضمر.

وقيل: تقديره: واذكر قوم نوح.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ جر بـ (حتى).

### اللغة

الركن: الجانب الذي يعتمد عليه، ومنه: ﴿أَوَّاهٍ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] أي: عز ومنعة، قال الخليل: رُكْنٌ يَرْكُنُ عَلَىٰ مِثَالٍ: سمع يسمع، ركنًا: مَالٌ، وركن<sup>(٢)</sup> أيضًا على مثال: بصر يبصر، وجبل ركين - بكسر الكاف -: له أركان عالية.

والنبذ والرمي: إلقاء الشيء، نبذته نبذًا، ومنه: النبيذ؛ لأنه يطرح في الطرف حتى يترك، وأصله منبوذ، فصرف إلى فَعِيلٍ، واللقيط منبوذ؛ لأنه يرمى به، والمنبذة الوسادة؛ لأنها تنبذ أي: تطرح.

(١) حجة القراءات ٦٨٠.

(٢) وركن: ركن، د.

والمُليم: الذي قد فعل ما يلام عليه، ومنه: ألام الرجل: جاء بما يلام عليه، والمَلُوم الذي وقع به اللوم، واللوم: العذل، لمته لومًا، واللوم: الملامة، ورجل لُومَة بفتح الواو: يلوم الناس، ولُومَة بسكونها: يلام.

والريح: جسم منبث في الجو، جمعه: رياح وأرواح.

ورميم والرمام: العظام البالية، ومنه: الرُمّة الحبل البالي، وأصل الباب: الرم، وهو إصلاح الشيء، يقال: رمّ: أصلح، ورمّ [العظم] إذا بلي [أي] أنه انتفى<sup>(١)</sup> رمّه ببعضه، يقال: رمّه يرمّه رمًا فهو رامّ، والشيء مرموم: إذا أصلح.

والتمتع: التلذذ بأسباب اللذة.

والعتو: الامتناع عن الحق ترفعًا عنه.

### ❁ الإعراب

الواو في قوله: ﴿وَفِي مُوسَى﴾ واو عطف، ثم اختلفوا فقيل: إنه عطف على قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا فِيهَا﴾ أي: فيها وفي قوم موسى آية، وقيل: عطف على قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الفراء.

### ❁ المعنى

ثم بيّن ما نزل بالأمم، فقال - سبحانه -: «وَفِي مُوسَى» أي: في بيانه «إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ» أي: حجة «مُبينٍ» بيّن ظاهر «فَتَوَلَّى» أي: أعرض فرعون عن قبول الحق «بِرُكْنِهِ» قيل: بقوته من قومه وجنوده، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. وقيل: بقوته في نفسه، عن الحسن. «وَقَالَ» لموسى «سَاحِرٌ» أي: مُموّه «أَوْ مَجْنُونٌ» لا عقل له، وقيل: محتال في معجزاته يهذي في أقواله، يقول ما لا يحتاج إليه، وقيل: (أو) بمعنى الواو؛ لأنهم قالوا له تانك الصفتين «فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ» أي: عاقبناهم «فَتَبَدَّنَاهُمْ» أي: ألقيناهم كما يلقي الشيء «فِي الْيَمِّ» أي: في البحر «وَهُوَ

(١) انتفى: ابتغى، د، ز، ك.



مُلِيمٌ» يعني مذنب فَعَلَ ما يلام عليه «وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ» التي لا تلقح شجراً ولا تنثر سحاباً، عن ابن عباس. وقيل: كان عقيماً من أن يكون فيه لأحد فرج، واختلفوا في ذلك الريح، قيل: كان جنوباً، وقيل: كان صبا، وعن النبي ﷺ: «نصرت بالصبا، وأهلك عَاد بالدبور<sup>(١)</sup>»، «مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ» أي: ما كانت<sup>(٢)</sup> تترك شيئاً «أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ» قيل: كالعظم البالي، عن مقاتل. وقيل: كالنبات إذا يبس وديس، وقيل: كالشيء الهالك، عن ابن عباس. وقيل: كالتبين اليابس، عن مجاهد. وقيل: كرميم الشجر، عن قتادة. وقيل: كالتراب المدقوق، عن أبي العالية. «وَفِي ثَمُودَ» وهم قوم صالح «إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا» أي: انتفعوا بأعماركم وبنائكم «حَتَّىٰ حِينٍ» قيل: إلى وقت فناء<sup>(٣)</sup> آجالكم، وقيل: إلى الأجل المسمى لكم إن أطعتم الله، عن الحسن. وقيل: إلى وقت العذاب، وهو ثلاثة أيام «فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ» أي: تعظموا واستكبروا ولم يقبلوا أمر الله تعالى «فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ» أي: العذاب «وَهُمْ يَنْظُرُونَ» إليها نهاراً لا يقدرون على دفعها «فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ» أي: ما قدروا على قيام بعذاب الله بعد نزوله بهم أي: نهوض ودافع له «وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ» قيل: منتقمين منا، وقيل: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله «وَقَوْمَ نُوحٍ» يعني: وأهلكنا قوم نوح «مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل عاد وثمود «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» خارجين عن طاعة الله إلى معاصيه، وعن الإيمان إلى الكفر.

### ❖ الأحكام

تدل الآيات على زجر وتحذير عن سلوك طريقة أولئك، فينزل بهم ما نزل بأولئك.

وتدل على أن الفسق اسم ذم إذا أطلق؛ لذلك وصفهم به، وعلل عذابهم بأنه من أجله.

(١) وأهلك عَاد بالدبور: وأهلك عَاد الريح الدبور، د، ك.

(٢) كانت: كان، د، ز، ك.

(٣) فناء: وفاء، ز، ك.

وتدل على أن العتو والتولي والفسق فعلُ العبد.

وتدل على أن في قصصهم عبرة لمن تدبر، وأنه إنما ذكر ليعتبر به.

قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُنْهَدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فِقْرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ بِحْنُونَ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَنُؤَلِّهِمْ هُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَى نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

### اللغة

الأيّد: القوة، آد الرجل يأيّد أيّداً: إذا اشتد وقوي، والمؤيّد: الأمر العظيم، سمي بذلك لقوته، واليد: الجارحة المعروفة، واليد: القوة، واليد تُذكّر، ويراد الغلبة والتأكيد، كل ذلك معروف في اللغة، وأصل الباب: الجارحة.

فأما قول الكلاية: إن اليد صفة قائمة بالذات فالكلام فيه من وجهين:

أحدهما: في المعنى.

وثانيهما: في العبارة.

أما المعنى: فالكلام في إثبات الشيء ونفيه وصحته وفساده، والعبارة عنه فرع على كونه معقولاً، وما قالوه غير معقول، ولأن الشيء إما أن يعلم ضرورة أو استدلالاً، وما يذكرونه لم يعلم من الوجهين.

وأما العبارة: فليس في كلام العرب اليد بمعنى الصفة، فقولهم فاسد من الوجهين جميعاً.

والإيساع: الإكثار من الذهاب في الجهات بما يمكن، أو سَع يُوسَعُ إيساعاً فهو موسع.

والْفَرَشُ: مصدر فرشت، والْفَرَشُ: المفروش، والْفَرَشُ من الأنعام<sup>(١)</sup>: ما لا يصلح إلا للذبح، وتَفَرَّشَ الطائر: قرب من الأرض، ورفرف بجناحيه كالْمَفْرُوشِ، وقيل لامرأة الرجل فراشه؛ لأنه يفرشها، والزوج يسمى فراشاً بمعنى «ذو<sup>(٢)</sup> فراش»، يقال: افترش فلان التراب تحته، وافترش لسانه: تكلم به<sup>(٣)</sup> كيف شاء، والفرش: ما انبسط على وجه الأرض من النبات، ولم يقم على ساق.

والمهد: الموضع المهيأ للاستقرار عليه، مَهَّدَ يَمْهَدُ تمهيداً فهو [مُمَهَّد]، وتمهد تمهيداً فهو ماهدٌ، والماهد: الموطئ للشيء، وهو المهيأ لما يصلح من الاستقرار عليه.

والتواصي: إيحاء القوم بعضهم لبعض، وهو من الوصية.  
وعدا: ظلم، وذئب عَدَوَانٌ: يعدو على الناس، والعُدوان: الظلم الصراح.

### ❁ الإعراب

(السماء) نصب لوقوع الفعل عليها، وهو قوله: ﴿بَنَيْنَهَا بِأَيْدٍ﴾.  
(تَوَلَّى) جزم؛ لأنه أمر، وأصله تَوَلَّى، حذفت الياء للجزم، وبقيت اللام مفتوحة.

### ❁ المعنى

لما تقدم ذكر إهلاك الأمم وما فيها من العبر والدلالات بين دلائل قدرته [و] ما يشهد له بالربوبية، كأنه قيل: وفي قوم نوح عبرة وفي السماء والأرض، فهو يتصل بما قبله في المعنى، قال - سبحانه -: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ» ألفها على حسن نظامها وعظمتها وزينتها «بِأَيْدٍ» قيل: بقوة، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وابن زيد. «وَأَنَّا لَمُوسِعُونَ» قيل: لقادرون على خلق ما هو أعظم منها، عن ابن عباس. وقيل: لموسعون الرزق على الخلق بالمطر، عن الحسن. وقيل: لموسعون السماء، عن

(١) من الأنعام: بمن لا يقام، د.

(٢) ذو: ذوا، ك.

(٣) به: بها؛ د، ز، ك.

ابن زيد. وقيل: نحن أغنياء، عن الضحاك. دليله ﴿عَلَى الْوَسْعِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] يعني خلقناهما لا لحاجة، وقيل: عالمون، أحاط علمنا بكل شيء، قيل: لم يكن ذلك عن جهل؛ بل نحن في سعة من القدرة لا يضيق علينا شيء مما نريده، عن أبي علي. وقيل: لموسعون في تدبيرها وإقامتها على غير عمد، عن الأصم. «وَالْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا» أي: بسطانها «فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ» الباسطون، وذكر بلفظ الجمع تفخيماً «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ» قيل: الليل والنهار، والشمس والقمر، والسماء والأرض، والإنس والجن، عن الحسن، ومجاهد. وقيل: زوجين الذكر والأنثى، عن ابن زيد. «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» أي: تتفكرون فيه فتعلموا أن له مدبراً «فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ» قيل: اهربوا من عقابه إلى رحمته بإخلاص طاعته، وقيل: فروا إليه بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته، وقيل: انقطعوا إليه بأن تفروا من سواه، قيل: فروا من الشيطان وطاعته وقبول وسوسته إلى طاعة الله وامتنال أمره، وقيل: من الدنيا وزينتها إليه، وقيل: فروا من مخالفته إلى طاعته، ومن أعدائه إلى أوليائه «إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» نذير: مخوف من عقابه، مُبِين: [مُبَيَّن] لكم ما أرسل به «وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ».

ومتى قيل: لِمَ كرر: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾؟

قيل: لأن المراد بهما مختلف، فالأول: فروا فإنني لكم نذير في ترك الفرار عن جميع المعاصي، وبالثاني: خص الشرك لعظمه كما خص جبريل وميكائيل في قوله: ﴿وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨] تفخيماً لهما.

«كَذَلِكَ» أي: كما كذبك قومك وقالوا: ساحر أو مجنون كذلك «مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ» فشبّه حال قومه في تكذيبه بحال الأمم قبله «اتَّوَاصُوا بِهِ» يعني وصى بعضهم بعضاً بالتكذيب؟ وقيل: كأن الأول أوصى الآخر بالتكذيب، عن قتادة.

ومتى قيل: كيف جاز منهم الاتفاق على التكذيب مع اختلاف الأزمنة؟

قلنا: قيل: بالتواصي، وقيل: لأن الشبهة الداعية واحدة.

«بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» مجاوزون الحد في العصيان «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» أي: أعرض عنهم، عن مجاهد. وقيل: أمر بالإعراض عن المكافأة لا عن الاستدعاء، وقيل: أمر بالإعراض عنهم استخفافاً بهم وتهاوناً، وقيل: أمر بالإعراض بعد الدعاء؛ لأنه ربما يكون كثرة الدعاء مفسدة «فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ» على أفعالهم إنما عليك البلاغ «وَذَكَّرْ» أي: ذكرهم بالموعظة، عن مجاهد. وقيل: بنعم الله لي شكرها، وبنقمته ليجتنبوا معاصيه «فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» إن لم ينتفع به أولئك الكفرة.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أن إحداث السماء وتأليفها من فعله تعالى، ويبعد أن يقدر على مثل تأليفها<sup>(١)</sup> أحد غيره، وأما إحداث الجواهر فلا يقدر عليه أحد سواه.

ومتى قيل: إذا علم كيفية البناء وبنى، وجب أن يوصف بأنه بَنَاءٌ، وإذا قال: «بأيدي» وجب أن يدل أن له يدًا على ما تقوله المشبهة، وإن<sup>(٢)</sup> لم يصح إثبات اليد وجب إثبات صفة له كما تقوله الكلابية، وإن حملتموه على القوة وجب أن يدل على أنه قادر بقدره؟

قلنا: أما الأول: فإنما لا يسمى بذلك؛ لأنه اسم لحرفة مخصوصة، فهو كقولنا: طبيب وفقه وصائغ وحائك ونسّاج وما أشبهه.

وأما الثاني: فقد ثبت أنه ليس بجسم، فلا يجوز إثبات اليد له، ولأن الظاهر يوجب إثبات أيدي، ولا خلاف أنه ليس له ثلاثة أيدي.

فأما الثالث<sup>(٣)</sup>: فقد بينّا الخلاف في المعنى والعبارة.

وأما الرابع<sup>(٤)</sup>: فالمراد بناها، وهو قادر على بنائها، ولأن القادر بقدره لا يقدر على الجسم، ولأن صفة كونه قادرًا واجب، فلا يفتقر إلى علة كوجوده، ولأن قدرته

(١) تأليفها: ثباتها، ز، ك.

(٢) وإن: فإن، ز، ك.

(٣) الثالث: الرابع، ك.

(٤) الرابع: الخامس، ك.

إما أن تكون محدثة فكون قادر أبعد إن لم يكن، وما لم يكن قادرًا لا يصح أن يوجد القدرة فلا يصير قادرًا ألبته، وإما أن تكون قديمة والقدم من صفة النفس، فالاشتراك فيه يوجب التماثل، وكان مثلاً للقديم.

ويدل قوله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى﴾ على تسليية للنبي ﷺ، فإن المشاركة في المحنة تهون على المرء ما يناله وعلى زجر لهم، قال شيخنا أبو علي: وذلك يدل على جهلهم إذ رموا الأنبياء بأمرين ضدين؛ لأن الساحر لا يكون إلا فطناً، والمجنون بالضد منه.

ويدل قوله: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ أن ما قالوه ليس بخلق الله؛ لأنه بيّن أنهم يقولون ذلك لطغيانهم، ولو كان خلقاً لما صح ذلك.

ويدل قوله: ﴿وَذَكَّرَ﴾ الآية أن هذا التذكير إنما يصح على مذهب العدل؛ لأن التذكير إنما يكون بأربعة أشياء: بنعمه ليشكروه، ونقمه ليخافوه ويجتنبوا مخالفته، فلا ينزل بهم ما نزل بأولئك، والثالث: بالثواب الذي ينال بطاعته ليطيعوه، والرابع: بالعقاب الذي هو موجب العصيان فلا يعصونه<sup>(١)</sup>، فأهل العدل يذكرونهم بنعمه على كافة الخلق ديناً ودنيا، حيث خلقهم وأحياهم، ورزقهم من الطيبات، ثم كلفهم بعدما أقدرهم، وخيرهم وهداهم، وأزاح عنهم بالتمكين والألطاف والرسول، وعرضهم لنعيم الجنة والثواب الدائم.

فأما المجبرة فلا يصح منهم ذلك لوجوه:

أحدها: أن عندهم لا نعمة له على الكفار؛ لأنه خلقهم للنار، ونعم الدنيا استدراج لهم إليها، فهو بمنزلة الخبيص المسموم.

وثانيها: أنه كلفهم ثم منعهم عن الإيمان ولم يقدرهم عليه ولا أرادهم منهم؛ بل خلق فيهم الكفر والقدرة الموجبة للكفر، ثم يعذبهم بعذاب عظيم أبد الأبدي، ومن ذكره بهذا لا يزيد منه إلا نفوراً، ولا يرون له على أنفسهم نعمة، وقد أجمعت الأمة ونطق الكتاب بأن له عليهم نعمًا يجب أن يشكروه<sup>(٢)</sup>.

(١) فلا يعصونه: أن لا تعصوه، د.

(٢) يشكروه: يشكره؛ ك، د، ز، ث.

وثالثها: أنه يجب ألا يجب على الكفار شكر، وهذا خلاف الإجماع.

ورابعها: أن التذكير إنما وجب حثًا على الشكر، وعندهم سواء ذكّر أو لم يذكّر، أو جاءه رسول، أو لا يذكرونه في أداء الشكر بل الأمر موقوف على خَلْقِهِ إِنْ خَلَقَ الشكر من غير تذكير كان شاكرًا، وإن لم يخلق والدنيا ملأى من الرسل يذكرونه لا يحصل شاكرًا، فأى فائدة في قوله: ﴿وَذَكِّرْ﴾، إلى غير ذلك من الوجوه التي يطول تقصّيها.

فأما الثاني: أن يذكر بنقمة النازلة بالأمر، فأهل العدل يقولون: لا تسلك طريقتهما؛ حتى لا ينزل بك ما نزل بهم، واسلك طريق الرسل؛ لتنال من الثواب ما نالوا، فيصح ويفيد التذكير، فأما المجبرة إذ قالت ذلك فإذا قيل لهم: أتقدر على الامتناع من المعاصي بتذكيرك<sup>(١)</sup>؟، فمن قولهم لا حتى يخلق فيكم وتعطوا<sup>(٢)</sup> القدرة الموجبة لكم، فيقال: فاستكتوا حتى يخلق؛ لأنه سواء ذكر أو لم يذكر فالأمر موقوف على خلقه تعالى، فهذا وجه.

ويقال لهم: أيجوز أن يعذب الله<sup>(٣)</sup> أتباع الأنبياء والمؤمنين، ويشيب أولئك الفراعنة الكفرة؟ فمنهم من قال: بلى، ومنهم من يأبى فيلزم<sup>(٤)</sup> بأن يخلق في أولئك المؤمنين كفرًا، وفي أولئك الكفار إيمانًا ليصح الإلزام، فمن قول جميعهم: نعم يقال لهم: فأى فائدة في الذكر؟ وأي أمان منه؟

وأما الثالث: فأهل العدل يقولون: أطيعوه لتنالوا الثواب، وهذا صحيح، والمجبرة إذا قالت: أطيعوه، فيقال: أنقدر على ذلك؟ قالوا: لا حتى يخلق، ويعطى القدرة الموجبة، وهذا وجه.

ويقال: الثواب جزاء على الأعمال أم شيء يبتدىء الله به من يشاء؟ فمن قولهم أنه ليس بجزاء، فيقال: فأى فائدة في الطاعة، وأي فائدة في التذكير؟

(١) بتذكيرك: بتذكرك، د.

(٢) تعطوا: تعطون؛ ك، د، ز، ث.

(٣) الله: +، ك.

(٤) ومنهم يأبى فيلزم: ومن يأبى يلزم، ث.

وأما الرابع: فيقول: اجتنبوا معاصيه فإنها<sup>(١)</sup> سبب العقاب فيصح، وهم يقولون: لا يقدر على الاجتناب ما لم يخلق فيه، فلا معنى للتذكير، ويقولون: المعصية ليست سبب لعقاب، فلا يصح منهم من الوجهين.

ويدل قوله: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ على صحة مذهب العدل؛ لأنه ولي كل نعمة، ويريد بكل أحد خيراً ولا يريد شراً، فينبغي أن يفر منه إليه، فأما المجبرة فعندهم كل<sup>(٢)</sup> الشرور منه، ويريد من الكافر الكفر ليعذبه؛ بل خلقه للنار، وينبغي أن يفر منه لا إليه، وكذلك كل أحد لا يأمن أن يعذبه وإن أطاعه، وأن يعذبه بغير ذنب، ومن هذا حاله يفر منه.

ومتى قيل: لِمَ قال: ﴿نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فخصهم به؟

قلنا: لأنهم ينتفعون به حيث يتفكرون فيه، وينزجرون عن معاصيه، ويقدمون على طاعته بخلاف غيرهم.

قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ (٦٠).

### ❁ القراءة

قراءة العامة: «المتين» بالرفع على أنه صفة لله - تعالى -<sup>(٣)</sup>، تقديره: هو الرزاق ذو القوة وهو المتين أي: القادر المقدر، وقرأ<sup>(٤)</sup> يحيى بن وثاب والأعمش بكسر

(١) فإنها: فإنه، د، ز.

(٢) كل: فكل، ز، د، ث.

(٣) الطبري ٤٧٦/١١.

(٤) وقرأ: وقول، د.



النون نعتًا للقوة، قال الفراء: وكان حقه أن يقول: المتينة فَذَكَرَهُ؛ لأنه ذهب به إلى الشيء المتين المحكم كما يقال: جبل متين، ونحو قوله: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي: وعظ ﴿وَأَخَذَ الَّذِيكَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧] أي: الصياح.

### اللغة

القوة: القدرة، يقال: قواه على الأمر أقدره، والقوة عَرَضٌ به يقدر الحي [على] لا يقدر عليه غيره تعالى، وجميعها مختلف لا مثل فيه ولا تضاد، ولا شبهة أنه يقال: إنه تعالى أقدر الكفار على الكفر والإيمان، ولا يقال أعانه؛ لأن الإعانة تتضمن الإرادة، واختلفوا هل يقال قواه؟ فأكثر مشايخنا قالوا: لا، وأجروها مجرى الإعانة، وروى عباد: نَعَمْ، وإليه ذهب بعض مشايخنا، واختاره القاضي؛ لأنه لا فرق بين أقدر وقوى.

والمتين: الشديد القوي، والمتين من الأرض: ما صلب وارتفع، ويقال: سار سيرًا متينًا أي: شديدًا.

والذُّنوب: أصله الدلو العظيم ملئ ماء، قال الشاعر:

لَنَا ذُّنُوبٌ وَلَكُمْ ذُّنُوبٌ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ<sup>(١)</sup>

وسمي ذنوبًا؛ لأنها في طرف الجبل كأنها في الذُّنْب، والذنوب يُذَكَّر ويؤنث، والذُّنُوب النصيب من ذلك، كأنه بمنزلة الماء في الرواية<sup>(٢)</sup> نصيبه، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ وَالْمَنَايَا طَارِقَاتٌ لِكُلِّ بَنِي أَبٍ فِيهَا ذُّنُوبٌ<sup>(٣)</sup>

أي: نصيب، والذنوب: الفرس الطويل الذُّنْب، كأنه نصيبه.

(١) لسان العرب (ذنوب). تاج العروس (ذنوب)

(٢) الرواية: الرغايه؛ ك.

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي وورد في الديوان برواية أخرى:

لعمرك والمنايا غالبات لكل بني أب منها ذنوب

أنظر: ديوان الهذليين، المحقق أحمد الزين ومحمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، ح، ص ٩٢،

١٩٦٥.

## المعنى

لما أمر بالتذكير وعَمَّ بَيَّن أنه خلق الجميع للعبادة، وأنه أراد منهم ذلك، فقال سبحانه وتعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» يعني الغرض في خلقهم تعريضهم للثواب، وذلك لا يحصل إلا بأداء<sup>(١)</sup> العبادات فصار كأنه خلقهم للعبادة.

ومتى قيل: من المراد بالآية؟

قلنا: المكلفون؛ لأنه تعالى خلقهم للعبادة، وما سواهم خلقهم لأجلهم، إما لنفعهم ديناً أو دنيا، ولكن لما كان ذلك تبعاً أطلق الكلام؛ لأن الغرض من الجميع العبادة والتعريض للثواب.

ومتى قيل: فإذا خلقهم للعبادة فلماذا لا يعبدون؟

قلنا: خلقهم ليعبدوا، والعبادة فعلهم، وأزاح عللهم من القدرة والآلة والألطف، وأمرهم بعبادته، فمن خالف فَمِنْ قَبْلِهِ أُتِيَ لا من قَبْلِ رَبِّهِ، وليس المراد أنه جعلهم على العبادة؛ إذ لو كان كذلك لما استحقوا ثواباً، كما لا يستحقون الثواب على ألوانهم وهيئاتهم، وقيل: معناه ما خلقتهم إلا لآمرهم بعبادتي، وأنهاهم عن عصياني، عن علي عليه السلام<sup>(٢)</sup>، ومجاهد، واختاره الزجاج. وهذا لا ينافي الأول؛ لأن غرضهم أن يأمرهم ويعبدوه، وقيل: ليقروا بالعبودية لي طوعاً أو كرهاً، عن ابن عباس. وقيل: خلقهم منقادين مستسلمين، وقيل: ليعرفوني، عن مجاهد. وقيل: ليطيعوني فأثيب العابد، وأعذب الجاحد، عن عكرمة.

«مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ» أي: لا أريد منهم رزقاً، وقيل: أدخل (مِنْ) بينها؛ لأنه لا يريد منهم رزقاً قلَّ أم كثر «وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ»؛ لأنه غني لا تجوز عليه الحاجة، وقيل: ما أريد أن يرزق بعضهم بعضاً وأن يطعموا أنفسهم، بَيَّن أنه خلقهم للعبادة ولم

(١) بأداء: بإرادة، ك.

(٢) عليه السلام: +، ك.

يكلهم إلى أنفسهم ولكن تكفل برزقهم «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ» لجميع خلقه «ذُو الْقُوَّةِ» ذو القدرة<sup>(١)</sup> «الْمَتِينُ» القوي «فَإِنَّ<sup>(٢)</sup> لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا» قيل: كفروا، وقيل: عصوا ربهم فظلموا بذلك أنفسهم نصيبًا من العذاب وحَظًّا، عن الأخفش، والكسائي. وقيل: دلوا، عن ابن عباس. وقيل: سبيلًا وطريقًا، عن مجاهد، وإبراهيم. وقيل: عذابًا، عن قتادة. والجميع متقارب، والمراد النصيب «مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ» أي: نصيب الكفار من الأمم الخالية؛ لأنه لا محابة عنده، يجازي كل أحد بما يستحق «فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ» بالعذاب، وإنما أمهلوا للمصلحة ولا يفوتون «فَوَيْلٌ» قيل: عذاب، وقيل: هي كلمة مجملة<sup>(٣)</sup> المكروهة العظيمة «لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» قيل: يوم القيامة، وقيل: يوم بدر.

### ❁ الأحكام

تدل الآية أنه تعالى خلق الخلق، ومراده بخلق جميعهم العبادة؛ لأن هذه اللام دلالة للإرادة، يقال: بنيت هذه الدار لأسكنها، وخطت الثوب للبس، وسافرت للتجارة، ودخلت بغداد لطلب العلم، يوضحه أنه لو وضع الإرادة موضعها صح، فيبطل قول المجبرة: إنه أراد من الكافر الكفر، وقد بينّا ما قيل فيه، وزيف أبو علي الأقوال إلا قول من قال: إنه خلقهم، وأراد منهم العبادة<sup>(٤)</sup>؛ لأنه الظاهر المعقول من الآية، فأما من حمله على المؤمنين فتخصيص من غير دليل.

ويدل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أن الرزق لا يقدر عليه غيره تعالى.

ويدل قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أن كل ظالم له قسط من العذاب يناله<sup>(٥)</sup>.

ويدل أن الظلم فعلهم، وذلك يصح قولنا في الوعيد، وخلق الأفعال.

(١) ذو القدرة: والقدرة، ت، ز، د، ك.

(٢) فإن: وإن، د، ك.

(٣) مجملة: بجملة، ز، ك.

(٤) العبادة: بياض في ت، ك، د. وما أثبتناه من هامش د وكتب عليها: أظنه العبادة.

(٥) يناله: ينالهم؛ ت، د، ك.

## سُورَةُ الطُّورِ

سورة (الطور) مكية، تسع وأربعون آية في المدني، وثمان في البصري، وسبع في الكوفي، وقد بينّا أن أصح الأعداد الكوفي؛ لأنه عدد أمير المؤمنين علي بن أبي (١) طالب عليه السلام. عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (والطور) كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه، وأن ينعمه في جنته».

وعن جبير بن مطعم قال: قدمت المدينة لأكلم رسول الله ﷺ في أسارى بدر، فسمعتة يقرأ: ﴿وَالطُّورِ﴾ في صلاته، فلما انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ ﴿كأنما صدع قلبي، فأسلمت خوفاً من العذاب، وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى ينزل العذاب.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿وَالطُّورِ (١) وَكَتَبَ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّافِرِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) أَصَلَوْهَا فَأَصْبَرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦)﴾.

(١) أبي: +، ث، ك.

## القراءة

قراءة العامة: «يُدْعَوْنَ» بالتشديد من الدَّعْ، وهو الدفع بشدة، دَعَّه يُدْعُهُ دَعًّا: إذا دفعه، ونظيره: صكه يصكه صكًّا.  
والدَّاعُ: الدافع، وعن أبي رجاء العطاردي: «يُدْعَوْنَ» بالتخفيف، من الدعاء.

## اللغة

الطور: الجبل، وقال بعضهم: هو سرياني، وليس بصحيح؛ لأن جميع ما في القرآن لغة العرب، فإن ثبت هذا اللفظ في لسانهم، فإما أن يحمل على موافقة اللغتين، أو كانت سريانية، فأدخلته العرب لغتهم وعَرَّبَتْهُ. والطُّورِيُّ: الوحشي من الطير والوحش.

والمسطور<sup>(١)</sup>: المكتوب، والسطر: الخط، سطرت أسطرًا سطرًا، فأنا ساطر.  
والرَّقُّ: الجِلْدُ يُكْتَبُ فيه، وأصله من اللمعان، يقال: ترقرق الشيء: إذا لمع، والرقراق ترقرق السراب.

والنشر: البسط [و] خلافه الطي.

والمعمور: العامر، عمرت البناء، فأنا أعمره، وهو معمور، وعمرت البيت، وعمر<sup>(٢)</sup> البيت يعمر فهو عامر.

والبحر المسجور: الواسع العظيم، من مجرى الماء، وأصله من السعة، ومنه: الْبَحِيرَةُ، يُوسَّعُ شِقُّ أذْنِهَا، وتبحر في العلم: اتسع فيه.

والمسجور: المملوء، يقال: سجرت التتور: ملأها نازًا.

والمَوْزُ: تردد الشيء بالمجيء والذهاب، مَارَ يَمُورُ مَوْزًا، وَمَارَ الدَّمُ<sup>(٣)</sup>: جرى

(١) في ك: والطور.

(٢) في ك: وعمرت وهو سهو.

(٣) ومار الدم: ومارا يوم، ك؛ وما رأى، د.

على وجه الأرض، وسمي الطريق مورًا؛ لأنه يُذهَبُ فيه ويُجاء، ومازَ: اضطرب، قال الأعشى:

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا<sup>(١)</sup> مَوْرُ السَّحَابَةِ لَا رَيْثُ وَلَا عَجَلُ<sup>(٢)</sup>  
أنشده أبو عبيدة مور، وغيره أنشد: مرَّ<sup>(٣)</sup>.

الخوض: أصله الدخول في الأمر والكلام، خوضًا، خاض في الماء، وأخضت دابتي في الماء، وتخاضوا الحديث: تفاوضوا.  
والصَّلَى: لزوم النار المعذب بها، صَلَّى يَصْلَى صُلًيًا، ومنه: الصلاة، للزوم الدعاء فيها، وقال الشاعر:

وَصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَارْتَسَمَ<sup>(٤)</sup>

أي: داوم الدعاء عليها، والمصلي على إثر السابق؛ لأنه يلزم أثره، فأصله لزوم الشيء بالمداومة عليه.

#### الإعراب

(الطور): جر بالقسم، وقيل: فيه حذف، أي: ورب الطور، فهو كسر بالإضافة، وقيل: القسم به؛ لما فيه من عجائب الخلقة، وجواب القسم: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾.

و«مورًا»، و«سيرًا»، و«دعًا»، نصب على المصدر.

#### المعنى

«وَالطُّورُ» قيل: هو الجبل، عن مجاهد، أقسم به لعجيب خلقته، وما أودع فيه

(١) جارتها: جارتها؛ ت، د، ك.

(٢) البيت قائله الأعشى في معلقته؛ أنظر: لسان العرب (مور)، وتاج العروس (مور)، الصحاح (مور).

(٣) مرَّ: من، ز، ك.

(٤) البيت قائله الأعشى وتكملته:

وقابلها الريحُ في دَنِّها وصلَّى على دَنِّها وارتسم  
أنظر الصحاح (رسم)، لسان العرب (رسم)، (دَنَّن)، تاج العروس (رسم).

من أنواع نعمة، وقيل: أراد الجبل الذي كلم عليه موسى بالأرض المقدسة، عن أبي علي وجماعة، وهو بمدين، واسمه: رَسْ، وعن مقاتل: هما طوران، أحدهما: طور سيناء، والآخر طور رَيْثَاء؛ لأنهما ينبتان التين والزيتون «وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ» مكتوب، عن قتادة، والضحاك، واختلفوا في هذا الكتاب، قيل: هو التوراة، عن الكلبي. كتبها الله تعالى لموسى ﷺ، وأعطاه بالطور، فخص الطور بالذكر لبركتها، وكثرة منافعها في الدنيا، وذكر الكتاب لعظم موقعها في (١) الدين، وروي أن موسى ﷺ كان يسمع صرير (٢) القلم، وقيل: الكتاب هو اللوح المحفوظ، وقيل: دواوين الحفظ، يخرج يوم القيامة، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله، عن الفراء. وقيل: هو ما كتب الله تعالى للملائكة في السماء، فيه ما كان، وما يكون، وقيل: هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ «فِي رَقٍّ» قيل (٣): في ورق، عن أبي عبيدة. «مَنْشُورٍ» مبسوط «وَالْبَيْتِ الْمَغْمُورِ» قيل: بيت في السماء حيال الكعبة، يعمر بكثرة صلاة الملائكة فيه، في حديث مرفوع، ومثله عن أمير المؤمنين، وابن عباس، ومجاهد، وقاتدة، وابن زيد، وقيل: هو في السماء الرابعة تعمره الملائكة بالعبادة، عن أبي علي، وقيل: في السماء السابعة، وقيل: يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، وقيل: كان هذا البيت أنزل مع آدم من الجنة، ثم حمل أيام الطوفان إلى السماء، وقيل: هو الكعبة بيت الله الحرام، معمور بالحج والعمرة والتوجه للصلاة، عن الحسن، وهو أول مسجد وضع للعبادة في الأرض «وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» يعني السماء رفعها، فهي كالسقف للأرض «وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ» قيل: الموقد المحمي بمنزلة التنور، عن مجاهد، والضحاك، ومحمد بن كعب، والأخفش، وابن زيد، وقيل: تُحْمَى البحار يوم القيامة فتجعل نيراناً، ثم يفجر بعضها في بعض، ثم تفجر إلى النار، وقيل: المسجور: المملوء، عن قتادة، وأبي علي، وقيل: المجموع ماؤه بعضه إلى بعض، عن ابن كيسان، وقيل: هو الفارغ اليابس الذي نضب ماؤه

(١) في: من، ك.

(٢) صرير: هريز؛ ت، د، ك.

(٣) قيل: -، ك.

وزهب، عن ابن عباس، وروي أن امرأة خرجت إلى الحوض لتستقي فرجعت، وقالت: الحوض مسجور أي: فارغ، وقيل: المحبوس، عن ابن عباس بخلاف، وقيل: المختلط العذب بالملح<sup>(١)</sup>، عن الربيع بن أنس. «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ» أي: نازل بأهله «مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ» يدفعه ويمنعه عن أهله.

ثم بيّن وقت العذاب، فقال تعالى «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا» قيل: تدور دورًا، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: تتحرك، عن قتادة، وقيل: تموج، عن الضحاك، وقيل: تضطرب، عن قطرب، وقيل: تسير «وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا» أي: تَمُرُ<sup>(٢)</sup> عن أماكنها، وتصير هباء منبثًا، وكل ذلك من أشراط الساعة «فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ» أي: العذاب يومئذ للمكذبين، ودخلت الفاء؛ لأن في الكلام معنى المجازاة، تقديره: إذا كان هذا فويل يومئذ لمن يكذب الله ورسوله.

ثم بيّن صفتهم، فقال - سبحانه - : «الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ» أي: في كلام باطل يخوضون «يَلْعَبُونَ» قيل: بذكر النار والجنة تكديبًا، وقيل: غافلين عن ذلك «يَوْمَ يُدْعَوْنَ» أي: يدفعون إليها إزعاجًا، عن قتادة، والضحاك. أن الخزنة يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم إلى النار على وجوههم، وقيل: يسحبون إلى النار على وجوههم، فإذا قربوا عاينوا<sup>(٣)</sup> العذاب على ما أخبروا به، قيل لهم توبيخًا<sup>(٤)</sup>: «هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ. أَفَسِحْرُ هَذَا» أي: تمويه لا حقيقة له كما كنتم تزعمون «أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ» قيل: معناه أتبصرون فتقرون، أم لا تبصرون فتتكرون المشاهدة كما أنكرتم الخير؟ وقيل: أم قد غطي على أبصاركم فلا تبصرون، وقيل: أفسحروا كما كنتم تقولون، أم كنتم لا تفقهون «اضْلَوْهَا» أي: ادخلوها فالزموها «فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا» قيل: يستوي صبركم وجزعكم، لا محيص لكم، وقيل: لا تلحقكم رحمة، ولا يزول العذاب «إِنَّمَا تُجْزَوْنَ» بذلك «مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من المعاصي في الدنيا.

(١) بالملح: بالمالح، ك؛ وفي هامشها: أظنه الملح.

(٢) تمر: ثمود، ت، د.

(٣) عاينوا: وعانوا، ك.

(٤) توبيخا: -، ت، د.



## الأحكام

يدل القسم بهذه الأشياء على عِظَم شأنها ونفعها إما دينًا أو دنيا .  
وتدل على أهوال يوم القيامة .  
وتدل على <sup>(١)</sup> أن العقاب جزاء على الأعمال، خلاف قول المجبرة .  
وتدل على أن أعمالهم حادثة من جهتهم، فيبطل قولهم في المخلوق .

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَتَكْبِهِينَ بِمَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقْنَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ  
الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُورٍ مَصْفُوفَةٍ  
وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا  
أَلَنَّهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ  
مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ  
لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ .

## القراءة

قرأ أبو عمرو: «وَأَتْبَعْنَاهُمْ» بالنون والألف «ذُرِّيَّاتِهِمْ» بالألف وكسر التاء «أَلْحَقْنَا  
بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» بالألف أيضًا وكسر التاء اعتبارًا بقوله: «أَلْحَقْنَا»، و«أَلَنَّا» قرأ: (أَتْبَعْنَا)  
ليكون الكلام على نسق واحد، وفي (الذاريات) على الجمع؛ لأنه أعم .  
و«أَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمان»، قيل: جعلناهم أتباعًا لأبائهم في الشرع وهم  
الأطفال، وقيل: حكمنا بإيمانهم لكونهم مؤمنين، وقيل: لطفنا لهم، حتى يؤمنوا <sup>(٢)</sup>،  
وعلى هذين <sup>(٣)</sup> الوجهين يصح أن يكونوا بالغين .

(١) على: +، ك.

(٢) يؤمنوا: آمنوا، ك.

(٣) هذين: +، ك.

وقرأ أبو جعفر ونافع: «وَاتَّبَعْتُهُمْ» بالتاء من غير ألف على واحدة، أي: اقتدوا به فأمنوا، «أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» بالألف والتاء على الجمع.

وقرأ ابن عامر ويعقوب وأبو حاتم: «اتَّبَعْتَهُمْ» بالتاء ووصل الألف، «ذُرِّيَّتَهُمْ» بالألف ورفع التاء بعده على الجمع، «أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» بالألف وكسر التاء على الجمع.

وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي: «اتَّبَعْتُهُمْ» بالتاء ووصل الألف «ذُرِّيَّتَهُمْ» بالرفع من غير ألف، أضافوا الإتياع إليهم، أي: اقتدوا بهم، «أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ»<sup>(١)</sup> بالنصب من غير ألف على واحدة، وهو اختيار أبي عبيدة<sup>(٢)</sup>.

قرأ ابن كثير: «أَلْنَيْنَاهُمْ» بكسر اللام غير ممدودة الألف، والباقون بفتحها، وهما لغتان، أَلَيْتَ يَأْلَتُ، وَأَلَيْتَ يَأْلَتُ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيَمٌ» بالنصب، وقرأ الباكون بالرفع والتنوين، وقد بيَّنا ذلك.

قرأ أبو جعفر: «فَكَهِينٌ» أي: مسرورين، الباكون: «فَاكْهِينٌ» ناعمين، وقيل: ذوو<sup>(٣)</sup> فاكهة.

### السُّعَّة

الْفَاكِهَةُ: ذو الفاكهة، رجل فَاكِهٌ: كثير الفاكهة، كقولهم: لَا بَيْنَ وَتَأْمِرٍ، أي: ذو لبن، وذو تمر، والفكهة: الْأَشِيرُ<sup>(٤)</sup> الْمَرْحُ، وقد يكون الفاكه والفكهة<sup>(٥)</sup> بمعنى واحد، والفاكهة<sup>(٦)</sup>: المازح، ومنه حديث زيد: (كان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله)، الاسم: الفكاكة، وَالْفَكَّاءُ، والفاكهة: الناعم أيضًا.

(١) بهم ذريتهم: -، ك.

(٢) أبي عبيدة: أبي عبيد، ك.

(٣) ذوو: ذوا: ت، د، ك.

(٤) الأشير: الأشرة، ك.

(٥) الفاكه والفكهة: الفاكهة والفكهة، ت، د.

(٦) والفاكهة: الفاكه، ك.

والمتكى: المُسْتَنْدُ استناد راحة ودعة، اَتَكَّا فهو مُتَكٍّ<sup>(١)</sup>.  
 والمصفوفة: الممدودة على صف، ومنه صف الجهاد، وصف الصلاة.  
 والخور: البيض، وأصله من البياض، ومنه: الحواري والحواريون.  
 والعَيْنُ: الواسع الأعين.  
 والألْتُ: النقصان، ألته يألته ألَّتَا: إذا نقصه، قال الشاعر:  
 أَبْلَغُ بني ثعل عني مُغْلَغَلَةً جَهْدَ الرسالة لا أَلَّتَا ولا كَذِبًا<sup>(٢)</sup>  
 والرهين: المرهون، والمرتهن: المحبوس على أمر يؤدي عنه بحسب ما يجب  
 فيه، فكل مكلف محبوس على عمله.  
 يتنازعون: يتعاطون، يعطي بعضهم بعضًا، وأصله من المنازعة.  
 والكأس: المملوء شرابًا، فإذا كان فارغًا فليس بكأس، عن الزجاج.  
 والمكنون: المحفوظ في كنة، وكنت الشيء في كنه: إذا صببته، وأكننته:  
 أخفيته، ومنه الكنانة؛ لأنه يسان فيها السهام.

#### الإعراب

«هنيئًا» قيل: نصب على الحال، أي: في هذا<sup>(٣)</sup> الحال<sup>(٤)</sup>، وقيل: نصب<sup>(٥)</sup>  
 على المصدر، أي: أكلاً هنيئًا.  
 «متكئين» نصب على الحال، أي: كلوا في حال الاتكاء.

#### المعنى

لما تقدم الوعيد عقبه بالوعد للمؤمنين، وما أعد لهم، فقال - سبحانه -: «إِنَّ

- (١) متكى: متكى؛ ت، د، ك.  
 (٢) تاج العروس (ألت)، واللسان (ألت). والبيت قائله الحطيئة؛ أنظر ديوان الحطيئة برواية ابن السكيت، ص ٢٠. وروي صدر البيت برواية أخرى: أبلغ سراة بني سعد.  
 (٣) هذا: هذه، ك.  
 (٤) أي في هذا الحال: أي: كلوا في حال الاتكاء، د.  
 (٥) نصب: -، ك.

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ» أي: بساتين فيها أشجار، ونعيم الجنة «فَاكِهِينَ» قيل<sup>(١)</sup>: ذؤو<sup>(٢)</sup> فاكهة كثيرة، وقيل: مسرورين، وقيل: ناعمين، وفاكهين: قيل: معجبين «بِمَا آتَاهُمْ» أعطاهم «رَبُّهُمْ» من النعم «وَوَقَّاهُمْ» أي: دفع عنهم الجحيم، فيقال لهم على سبيل الإكرام خلاف ما قيل لأولئك الكفرة: «كُلُوا وَاشْرَبُوا» من نعيم الجنة «هَنِيئًا» أي: لا يشوبه كدر ولا تنغيص، وقيل: هنيئًا جزاء، لا منة لأحد فيه غير الله - سبحانه -، وقيل: لا يورث مرضًا ولا داء «بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أي: جزاء أعمالكم، في فعل الواجبات، واجتناب المعاصي «مُتَّكِئِينَ» قيل: فيه حذف أي: على النمارق، وهي الوسائد، وذلك إشارة إلى فراغ القلب، فلا يهتمهم كد الجمع، ولا غم التفريق، ولا إلهام الزوال «عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَاجُنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ» قيل: بياض البشر، وسواد العين، وقيل: شدة بياض العين وشدة سوادها «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» قيل: هم الأطفال ألحقوا بأبائهم من أجل إيمان الآباء؛ ليتم سرورهم، عن ابن عباس، والضحاك، وابن زيد، وقيل: بل هم البالغون ألحقوا بدرجة آبائهم وإن قصرت أعمالهم تكملة لأبائهم، عن ابن عباس بخلاف، أي: من كان مؤمنًا في الدنيا، ألحقنا بهم في الجنة ليكمل السرور والأنس، واسم الذرية يقع على الرجال والنساء والطفل والبالغ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

ومتى قيل: كيف يلحقون بهم إذا لم يستحقوا؟

قلنا: يلحقه به في الجمع لا في الرتبة والثواب، وقيل: المراد الصغار والكبار.

«وَمَا أَلْتَنَاهُمْ» أي: ما نقصناهم، عن ابن عباس، ومجاهد، والربيع، حتى لا<sup>(٣)</sup>

ينقص الآباء من أجور أعمالهم شيئًا بسبب إلحاق الذرية؛ لئلا يتوهم أنه يلحقهم<sup>(٤)</sup> نقص آخر، وقيل: ما نقصنا الآباء بما أعطيناهم البنين، روي ذلك مرفوعًا، وقيل: ما

(١) قيل: -، ك.

(٢) ذؤو: ذؤوا؛ ت، د، ك.

(٣) حتى لا: حثيلا؛ ت، د، ك.

(٤) في ك: بعض.

نقصنا أحدًا شيئًا من جزاء أعمالهم؛ بل نجازي كل أحد بكمال ما عمل، حتى لا<sup>(١)</sup> يؤدي إلى الظلم. «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ» يعني كُلُّ مرهون بعمله يؤخذ به «وَأَمْدَدْنَاهُمْ» أعطيناهم حالاً بعد حال، إشارة إلى أن نعيمهم لا ينقطع؛ بل يمدّه الله تعالى حالاً بعد حال، «بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ». يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا» قيل: يتعاطون ويتناولون على حرص منهم بها للذتها، عن أبي علي، وقيل: يسقي بعضهم بعضاً كأساً ملئ من خمر «لَا لَعُوْ فِيهَا وَلَا تَأْتِيْمٌ» قيل: لا تذهب عقولهم فيلغوا، ويرفثوا، خلاف خمر الدنيا، وقيل: «لا لغو» أي: لا باطل، عن قتادة، وقيل: لا يرفث فيها، عن سعيد بن المسيب، وقيل: لا سباب فيها<sup>(٢)</sup>، ولا تخاصم فيها، عن ابن زيد. «وَلَا تَأْتِيْمٌ» قيل: فعل ما يَأْتِم به، قيل: لا يَأْتِم شارب، وهو «تفعيل» من الإثم، وقيل: لا كذب فيها، عن ابن عباس، وقيل: لا يُكْذَّب بعضهم بعضاً، عن الضحاك. «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ» للخدمة «غِلْمَانٌ لَهُمْ» قيل: من ولدانهم وأطفالهم، يطوفون ليزدادوا قرة عين، وقيل: هم الحور العين، وقيل: أطفال المشركين.

ومتى قيل: هل تلحقهم مشقة بتلك الخدمة؟

قلنا: لا؛ بل يلتذون بها، وفي الآية إشارة إلى أن أحوالهم أحوال الملوك، وعن عائشة عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «إن أدنى أهل الجنة منزلةً من نادى الخادم من خدامه فيجيبه: ألف ليك ليك».

«كَانَهُمْ» يعني الغلمان «لَوْلُوْ مَكْنُونٌ» أي: في الحسن والملاحة والصباحة كالدر المصون المخزون، وقيل: مكنون في الصدف، عن سعيد بن جبير، وروى الحسن قال: قالوا: يا رسول الله، الخادم كاللؤلؤ، فكيف بالمخدوم؟ فقال: «كالقمر ليلة البدر».

(١) حتى لا: حتيلا؛ ت، د، ك.

(٢) فيها: -، ك.

## ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ<sup>(١)</sup>﴾ أن استحقاق نعيم الجنة وثوابها بالتقوى، بخلاف قول المرجئة.

ويدل قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أنهم مأمورون بذلك، وأنه تعالى يريد منهم؛ ليتم السرور على ما يقول القاضي، خلاف ما يقوله أبو علي: أنه لا يريد ذلك، كمباحات الدنيا.

ويدل قوله: ﴿وَأَنْبَعَثَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يَأْمِنُ الْخَفَاءَ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أن الذرية غير الحور العين، خلاف ما قاله بعضهم؛ لذلك عطف أحدهما على الآخر.

وتدل أن الذرية تلحق بهم، ولا شبهة أن الإيمان شرط في البالغين، فأما الأطفال فحكمهم حكم آبائهم، واختلفوا كيف يُعَادُونَ، فقليل: صغيراً كما مات، وقيل: بل يكمل الله خلقه، وهو أولى، فأما أطفال المشركين فهم خدم أهل الجنة، روي ذلك مرفوعاً، وقيل: بل هم كسائر أصحاب الأعواض.

وتدل الآيات أن أعمال المتقين فعلُهم حتى استحقوا الجزاء.

وتدل أن في الجنة مأكولاً ومشروباً، وذلك يُعَلِّمُ ضرورة من دين الرسول، خلاف قول الباطنية؛ لذلك نكفهم بإنكار ذلك.

قوله تعالى:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ<sup>(٢٥)</sup> قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ<sup>(٢٦)</sup> فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُورِ<sup>(٢٧)</sup> إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ<sup>(٢٨)</sup> فَذَكَرَ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ<sup>(٢٩)</sup> أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ<sup>(٣٠)</sup> قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرِصِينَ<sup>(٣١)</sup>﴾.

(١) المتقين: للمتقين، د.

## ❖ القراءة

قرأ الحسن وأبو جعفر ونافع وأبو حاتم: «ندعوه أنه» بفتح الألف من أنه على معنى لأنه، وقرأ الباقر بالكسر على الاستئناف.

## ❖ اللغة

الإقبال: أن تقبل على شيء، فتصرف وجهك إليه، أقبل على فلان، ومنه أقبل يفعل كذا، وأقبل إذا جاء من مكان إلى مكان.

والتساؤل تفاعل من السؤال، وهو أن يسأل بعضهم بعضاً.

والإشفاق: رقة القلب من الخوف، وأصله الضعف، ومنه: ثوب شفيق، أي: ضعيف النسج، ومنه: الشفق؛ لأنه حمرة ضعيفة أو بياض.

والمَنُّ: النعمة، وأصله القطع، ومنه المَنِيَّةُ، لأنها تقطع عن التصرف، والنعمة تقطع عن المكاره، ومنه: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨] أي: غير مقطوع.

والوقاية: منع الشيء من المخوف بحائل بينهما، وكذلك الوقاء، وقاه وقاية فهو واقٍ.

والسُّموم: ريح حار تدخل في مسام الناس، فتتألم به، وأصل ذلك إما أن يكون من السَّم الذي هو في مخرج النفس، وكل خرق<sup>(١)</sup> سَمٌّ، ومنه: ﴿سَرَّ الْحَيَاطُ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وإما أن يكون من السَّم<sup>(٢)</sup> الذي يقتل.

والكاهن: من يوهم أنه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن، والكهانة: مصدر كهَنَ يَكْهَنُ، والكاهنان: حيان، قيل: قريظة والنضير، ومنه: «يخرج من الكاهنين رجل يقرأ القرآن لا يقرأ أحد كقراءته»، فقليل: إنه محمد بن كعب القرظي.

والمجنون: المأووف في عقله، وأصله: الستر، ومنه الجن، والجنان، والجنة.

(١) خرق: جزء، ك.

(٢) السم: السم، ك.

والريب: الشك، وريب الدهر: حوادثه وصروفه، قال الشاعر:

تَرَبَّصْ بِهَا رَيْبَ الْمُنُونِ لَعَلَّهَا سِيْهْلَكَ عَنْهَا بَعْلُهَا أَوْ سِيْجَنْجُ<sup>(١)</sup>

ومعنى التربص: الانتظار، وتربص به: انتظر به خيراً أو شراً، وتربص به الشيء كذلك، وقال الفراء<sup>(٢)</sup> نتربص به ريب المنون: أوجاع الدهر فيشغل عنكم، ويتفرق أصحابه، أو عمر آياه، فإننا قد عرفنا أعمارهم وسيجنج<sup>(٣)</sup>.

والتربص: الانتظار بالشيء لانقلاب حاله إلى خلافها، والرُبُصَةُ أيضاً الانتظار.

### ✽ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ في المقتسمين، اقتسموا أعقاب مكة يصدون الناس عن الإسلام، ويقولون في<sup>(٤)</sup> رسول الله ﷺ: إنه ساحر، وإنه شاعر، وإنه مجنون، يكفيننا أمره ريب المنون، كما أهلك من<sup>(٥)</sup> قبله زهير والنابعة.

وقيل: بل نزل في رؤساء مكة كالوليد بن المغيرة، وأبي جهل بن هشام، وغيرهم.

وقيل: قالوا: تربصوا به ريب المنون، فهو كأحد الشعراء يهلك كما هلكوا، وإن أباه مات شاباً، نرجو أن يكون موته كموت أبيه.

### ✽ المعنى

ثم بيّن تعالى حال المتقين في الجنة، فقال - سبحانه -: «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى

(١) ومعناه أو سيجنج إلى الطلاق والفراق، وقد توهمها المحققون (وشحیح) لأنها بغير نقط، فاحتاجوا إلى تغييرها إلى (أو تسرح)؛ ولذا قال في حاشية تفسير الطبري (٧٢: ١٣): وضعنا كلمة (تسرح) في قافية البيت في مكان أو شحیح التي جاءت خطأ في الأصل، فاختلف بها معنى البيت ووزنه على أن رواية الشطر الثاني كله في اللسان: ربص، وفي تفسير الشوكاني (٥: ٦٩)، وفي البحر المحيط (٨: ١٥١) والقرطبي (٧١: ٢٧) مختلفة عن رواية المؤلف، وهو تطلق يوماً أو يموت حليلها.

(٢) الفراء: معاني القرآن، ج ٣، ص ٤١٣.

(٣) والسراح والتسريح هو... وسينجج: -، د، ك.

(٤) في: أن، د.

(٥) من: -، ك.



بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» أي: يسأل<sup>(١)</sup> بعضهم بعضًا، قيل: عن أحوالهم في الدنيا، وذلك من أعظم سرورهم، وقيل: يسألونهم عما صيرهم إلى الجنة، واختلفوا متى يتسألون؟ قيل: حين يبعثون من<sup>(٢)</sup> قبورهم، عن ابن عباس، وقيل: في الجنة، وهو الوجه؛ لأنه ليس نسق الكلام. «قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ» أي: خائفين من عذاب الله بوجهين إما معصية وقعت غفلة، أو طاعة عمله مع التقصير «فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا» أي: أنعم بقبول طاعتنا، وغفران سيئاتنا، «وَوَقَّانَا» أي: منعنا «عَذَابَ السَّمُومِ» أي: عذاب النار، قال الحسن: السموم اسم من أسماء جهنم «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ» يعني في الدنيا، وقيل: قبل أن مَنَّ الله علينا بالجنة «نَدْعُوهُ» قيل: بالثناء عليه، وننقطع إليه، وقيل: ندعوه؛ نحو: أَنَجِنَا فَأَجَابْنَا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ قيل: اللطيف، عن ابن عباس. وقيل: ندعوه يا بار، يا بار، وقيل: الصادق فيما وعد، عن الضحاك، وقيل: البر: الذي عادته الإحسان، والله تعالى بهذه الصفة فقط يخلق ويرزق وينعم دائماً، ويهدي إلى الحق، ويزيح العلل، ويثيب المطيع لتكثير الثواب، ويمهل العاصي للاستدراك بالتوبة، فإذا تاب قَبِلَ توبته، وغفر خطيئته «فَذَكَّرْ» أي: عظمهم وذكرهم، ولا تترك دعوتهم، وإن أساءوا قولهم فيك، فليست بما أنعم الله عليك من الخصال كما يقولون «فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ» أي: برحمته وعصمته «بِكَاهِنٍ» يبتدع القول، ويخبر الكذب، ويزعم أنه يعلم الغيب كذباً «وَلَا مَجْنُونٍ» لا عقل له «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ» أي: ننتظر حوادث الدهر، عن مجاهد، وقيل: الموت، عن ابن عباس، وقتادة، والمنون: المنية، وربها: الحوادث الذي تريب عند مجيئها، يعني يكفينها أمر موته، وقيل: المنون: الدهر، وربيه: مصائبه ومحنه، فأجابهم الله تعالى فقال: «قُلْ» يا محمد «تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ» أي: انتظروا فإنني معكم من المنتظرين، قيل: فيه وعيد لهم بالعذاب، ووعد له بالنصر وبالسلامة من كيدهم، وقيل: تربصوا أنتم ما بقيتم، فلا ينالني مكروه، فإنني متربص بكم عذاب الله فأستريح منكم، وهو

(١) يسأل: سأل، ت، د، ك.

(٢) من: عن، ك.

واقع لا محالة، وقيل: تربصوا ما شئتم فإنني أتربص الفرج وأنتظره حتى يأتي أمر الله فيكم، عن أبي علي، وقيل: كما يتربصون بك فتربص أنت بهم، فحوادث الدهر تعم الجميع.

### الأحكام

تدل الآيات على أن أهل الجنة يتذكرون حديث الدنيا، وذلك مما يزيدهم سرورًا.

ويدل قولهم: «مشفقين» أنهم كانوا يقولون بالوعيد، حتى أمنهم الله تعالى.

وتدل أن الخوف لطف في فعل الطاعة واجتناب المعصية.

ويدل قوله: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ على أن غفران الذنب وقبول التوبة نعمة منه تعالى.

ويدل قوله: ﴿تَذَكَّرْ﴾ على وجوب الدعاء إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، وتذكير الأدلة وبيانها.

وتدل على نفي كل صفة توجب تهمة ونقصًا عن النبي ﷺ، والقوم لما عجزوا عن معارضة الحجة عدلوا إلى سوء المقال، وكانوا يعلمون أنه ليس بمجنون، ولا ساحر، ولا شاعر؛ لكن لما لم يجدوا مخلصًا عدلوا إلى مثل هذا<sup>(١)</sup> المقال، وكانوا يعلمون أنه ليس بمجنون، وهكذا عادة أهل البدع مع أهل الحق أهل التوحيد والعدل.

وتدل أن القوم كانوا متحيرين لم يدروا ما يقولون، وأنهم أعجزهم أمره.

وتدل على أن الشفق والدعاء فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

(١) مثل هذا: إلى سوء، ك.

قوله تعالى:

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)  
فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ (٣٥)  
أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمْ  
الْمُصْطَرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ  
الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبُنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ  
فَهُمْ يَكْتُمُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ  
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ .

### القراءة

قرأ ابن كثير: «أَمْ هُمُ الْمَسِيطَرُونَ» بالسين، وفي (الغاشية): ﴿بِمُصِيطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] بالصاد صافية، وكلها لغات صحيحة.

### اللغة

الحلم: ترك الإعجال بالعقوبة لداعي العقل، خلاف الطيش، والله حلیم؛ لأنه يمهل العصاة، وكانوا يعدون أهل الأحلام العقلاء، ويصفونهم<sup>(١)</sup> بذلك، فسمي العقل الحلم من ذلك.

والتقول: تَخَلَّقُ الكذب، وهو تَفَعُّلٌ من القول؛ لكن لَمَّا دخله معنى تكلف القول من غير حقيقة معنى يرجع إليه يستعمل في الكذب.

واليقين: اعتقادٌ تسكن النفس إليه، ومنه: وجد برد اليقين، أيقن إيقانًا و يقينًا، وتيقن تيقنًا، ورجل موقن.

والمسيطر: الجبار المسلط على غيره بما يلزمه إياه.

(١) ويصفونهم: ويوصفونه، ك.

والمغرم: الملزم<sup>(١)</sup> بإنفاق المال من غير بذل، ومنه: الغريم، وأصله: المطالبة باللاح.

والمثقل: المحمول عليه ما يشق حمله لثقله.

والغيب: ما غاب عن الحواس، وقيل: ما لا يعلم ضرورة ولا دليل عليه، عن القاضي، وقيل: ما لا يعلمه إلا الله.

والكيد: فعل ما يوجب الغيظ في خفية، كاده يكيده كيدًا فهو كائد، وذلك مكيد، وكايده مكايده.

### ✽ النزول

قيل: لما قالوا: ﴿نَرْبُّهُ رَبِّ الْمُنُونِ﴾ أنزل الله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ يعلمون متى يموت محمد ﷺ وإلى ماذا يؤول أمره، عن قتادة.

### ✽ المعنى

ثم وبخهم تعالى بقبيح ما فعلوه، فقال - سبحانه - : «أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ» أي: عقولهم «بِهَذَا» وهذا إنكار عليهم، وإن كان على لفظ الاستفهام، يعني: ما يقولون ما يقبله العقل من وجوه:

منها: أنهم كذبوه مع ظهور المعجزات عليه، وهذا ياباه العقل.

ومنها: قولهم للقرآن: إنه شعر، ولا يقبله<sup>(٢)</sup> العقل.

ومنها: أن العقل يقتضي الصحة، فكيف قالوا ما قالوا، وهم عقلاء.

وقيل: أم تأمرهم أحلامهم بعبادة الأوثان، وهي حجر لا تنفع ولا تضر، وبتكذيبك مع ما ظهر من المعجزات؟ ليس كذلك؛ بل «هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» لطغيانهم فعلوا ذلك «أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ» يعني نَقُولُ محمد القرآن من عند نفسه كذبًا ليس كذلك؛ «بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ» استكبارًا، فلذلك قالوا ذلك «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ» أي: مثل القرآن في

(١) الملزم: المكرم، ك.

(٢) يقبله: يقبل، د، ك.

حسن نظمه وجودة معانيه، وصحة ألفاظه وفصاحته «إِنْ كَانُوا<sup>(١)</sup> صَادِقِينَ» أن محمداً تقوله من تلقاء نفسه، وذلك أن النبي ﷺ منهم، ويتكلم بلغتهم، فلو قدر هو على القرآن لقدروا هم، فعجزهم عن مثله يدل على أنه ليس من قبَلِهِ، وأنه منزل عليه من قبل<sup>(٢)</sup> ربه «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ» قيل: من غير خالق ورب، عن ابن عباس، وأبي علي، وهو أوجه، وقيل: من غير أب وأم، ومن غير نطفة وعلقة، لا تقوم لله عليهم حجة، أليس خلقوا من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغة، ثم طفلاً، عن عطاء، وقيل: أم خلقوا عبثاً، وتركوا سدى، لا يؤمرون ولا ينهون، عن ابن كيسان، تقديره: أم خلقوا لغير شيء، فوضع (من) موضع اللام «أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» لأنفسهم، وكيف يقولون، فهم في حال كمال القدرة والعلم لا يقدرّون على جزء، فكيف في حال النقص؟ وجرو الموت يقدرّون على خلق بشر سوي «أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» وأنعم بهما وما فيهما ليس فيهم من خلقه، بل خلقه الله تعالى «بَلْ لَا يُوقِنُونَ» أي: لا يعلمون لقلة تدبرهم في الأدلة «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ» قيل: المطر والرزق، عن ابن عباس، وقيل: النبوة، عن عكرمة، وقيل: علم ما يكون، وقيل: مقدوراته، فلا يأتون إلا ما يحبون، وأمنوا ما يكرهون، عن أبي علي. «أَمْ هُمُ الْمُسَيِّطِرُونَ» قيل: أم هم الأرباب، عن أبي عبيدة، وقيل: المسيطرون<sup>(٣)</sup> الجبارون، قيل: المالكون للناس، المسلمون عليهم، القاهرون لهم، عن أبي علي. وقيل: أم هم المسلمون فليس لهم مقوم ولا ملزم «أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ» سبب ومرقاة يصعدون السماء، ويستمعون الوحي، ويدعون أنهم سمعوا هناك ما هم عليه من الدين حتى قيل: يستمعون، فيدعون علم الغيب بما يستمعون من كلام الملائكة الأعلى «فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ» أي: من استمع «بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ» بحجة ظاهرة «أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ» أي: لو جاز عليه اتخاذ الولد لما اختار البنات على البنين، فقد أخطؤوا<sup>(٤)</sup> من وجهين: أحدهما:

(١) كانوا: كتم، د.

(٢) قبل: -، ك.

(٣) المسيطرون: المسلمون، د.

(٤) أخطؤوا: أخطاوا، د، ث، ك.

جواز الولد، وثانيهما: اختيار الأدون «أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا» أي: جُعلًا على ما أديت من الرسالة، يعني أتركوا تصديقك لأجل أنك تسألهم مالا؟ «فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ» أي: من غرم يلزمهم «مُثْقَلُونَ» مجهودون، يشق عليهم حمل ذلك الغرم «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ» أي: علم الغيب حتى يعلموا أن ما يخبرهم به<sup>(١)</sup> الرسول من البعث والقيامة باطل، وقيل: لما قالوا «نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ» بين أعندهم الغيب حتى يعلمون إلى ماذا يؤول أمره ومتى يموت، عن قتادة، وقيل: أعندهم اللوح المحفوظ، عن ابن عباس. «فَهُمْ يَكْتُبُونَ» في اللوح، ويخبرون به الناس، عن ابن عباس، أم عندهم - بخلاف ما تعدُّهم - كتاب معجزة، يكتبون منه ما يقولون، وقيل: فهم يكتبون، أي: يحكمون والكتاب الحكم، عن القتيبي. «أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا» أي: مكرًا بك، وتدبير سوء في السر في بابك على ما دبروه في دار الندوة «فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ» الممكور بهم، يدبر الله عليهم فيأتيهم من حيث لا يحتسبون، ويعود الضرر عليهم، قيل: خرجوا يوم بدر بطرًا ورياء، فقتلوا جميعًا، وقيل: يعاقبهم يوم القيامة «أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ» أي: من يستحق العبادة «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» براءة لله عن شركهم.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على حجج وإلزامات عليهم في مخالفتهم لرسول الله.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على أن الكفر والتكذيب فعلهم، ليس بخلق الله تعالى؛ إذ لو كان خلقًا له، لكان أولى الأعذار أن يقولوا: لا وجه من هذه الوجوه، ولكن خَلَقْتَ فينا الضلال والكفر، فكان أوضح حجة، تعالى الله عن قولهم.

وتدل على أن غير الله تعالى لا يعلم الغيب، فيبطل قول الإمامية في الإمام.

(١) به: -، ك.

قوله تعالى:

﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ (٤٤) فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ .

### ❁ القراءة

قرأ عاصم وابن عامر والأعمش: «يُصْعَقُونَ» بضم الياء وفتح العين، من صُعِقَ، الباقون بفتح الياء، من صَعَقَ، قال الفراء: هما لغتان، نحو: سَعِدَ وَسَعُدَ.  
قراءة العامة: «وإدبار» بكسر الألف، وقرأ سالم بن أبي الجعد وزيد عن يعقوب بفتح الألف، يعني: بعد غروب النجم.

### ❁ اللغة

الكِسْفَةُ: القطعة من الغيم بقدر ما تكسف ضوء الشمس، والكِسْفُ في السماء: القطعة، وقرئ: «كسفا» بسكون السين وفتحها، فمن قرأ بالفتح فهو جمع كِسْفَةٍ، وهي القطعة، ونظيره: كِسْرَةٌ وَكِسْرٌ، ومن قرأ بسكون السين على التوحيد، فجمعه: أكساف وكسوف، وقيل: كِسْفٌ جمع كِسْفَةٍ<sup>(١)</sup>، نحو: سِدْرَةٌ وَسِدْرٌ، وأصل الباب من كسفت الشيء: غطيته، ومنه كسوف الشمس، كَسَفَتْ الشمس وانكسفت، والكسوف: صفرة في الوجه، ورجل: كاسف مهموم، وكسف باله: ضاق عليه أمله.  
والسحاب: الغيم، وأصله من السحب، سمي بذلك؛ لأنه يسحب في السماء.  
والمركوم: الموضوع بعضه على بعض، ركمت الشيء ألقيت بعضه على بعض، وسحاب مرتكم وركام.

(١) كسفة: كسيفة، د.

والصعق: الغشيان والموت، ومنه قوله: ﴿وَحَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: غشي عليه، وقوله: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الزمر: ٦٨] أي: ماتوا. والنجم معروف، وأصله من الطلوع، نَجَمَ النباتُ، وَنَجَمَ الْقَرْنُ وَالسِّنُّ.

### الإعراب

﴿يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾، جزم (يقولوا) لأنه جواب لقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا﴾. ﴿فَسَبِّحْهُ<sup>(١)</sup> وَإِذْبَنَرِ الْجُجُورِ﴾ أي: في ذلك الوقت.

### النزول

قيل: قالوا: أَوْتُسْقِطُ السماء كما زعمت علينا كسفاً، فنزل الله تعالى هذه الآية، فقال: لو سقط ما آمنوا، ولقالوا: سحاب مركوم.

### المعنى

ثم أخبر تعالى عن جهلهم، وعقبه بالوعيد تسلياً له، وأمرهم بالصبر والتسبيح، فقال - سبحانه -: «وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ» قيل: قِطْعَةً وَقِطْعَةً عَلَى حَسَبِ اختلافهم في أنه جَمْعٌ أو واحد «سَاقِطًا» عليهم «يَقُولُوا» لفرط عنادهم «سَحَابٌ مَّرْكُومٌ» أي: غيم ركب بعضه بعضاً يقيناً «فَذَرَهُمْ» أي: دعهم، وذلك وعيد لهم «حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ» قيل: يموتون، فإن عند الموت تبتدئ الصواعق، وقيل: يهلكون، وقيل: هو يوم القيامة، والصعق عند النفخة الأولى «يَوْمَ لَا يُغْنِي» أي: لا يكفي «عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ» تدبيرهم واحتيالهم «شَيْئًا» من عذاب الله النازل بهم «وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» لا ينصرهم أحد بدفع العذاب «وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» كفروا من هؤلاء «عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ» أي: دون عذاب النار، وقيل: هو عذاب القبر، عن البراء بن عازب، وابن عباس، وقيل: هو القتل ببدر، عن ابن عباس بخلاف، وقيل: الجوع والقحط سبع سنين، عن مجاهد، وقيل: وقت البشارة، وقيل: عموم ذلك «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

(١) فسبحه: وسبح، د، ك.



يَعْلَمُونَ» أن العذاب نازل بهم، وقيل: لا يعلمون صحة نبوتك، وإن كان فيهم من يعلم، فيجحد محاماة على أسباب الدنيا من مال أو رئاسة<sup>(١)</sup> وشرف «وَأَصْبِرْ» على أذى قومك في تبليغ رسالتك، «لِحُكْمِ رَبِّكَ» لِمَا حَكَمَ اللهُ عَلَيْكَ من تبليغ رسالته، وقيل: فاصبر على أذاهم، حتى يَرِدَ أمر الله بتخليصك «فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا» أي: برأينا، وقيل: بحفظنا «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» قيل: نزهه عما لا يليق به، واحمده على جميع آلائه «حِينَ تَقُومُ» قيل: من نومك، عن أبي الأحوص، وقيل: حين تقوم إلى الصلاة، فقل: سبحانك اللهم وبحمدك إلى آخره، عن الضحاك، وابن زيد، وتقديره: صَلِّ لأمر ربك حين تقوم من منامك، وقيل: صل بحمد ربك حين تقوم من نوم القائلة، عن زيد بن أسلم، وذلك صلاة الظهر، وقيل: الركعتان قبل صلاة الفجر، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، أي: حين تقوم من الفراش، وقيل: حين تقوم من المجلس فقل: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، اغفر لي وتب عليّ، عن عطاء، وسعيد بن جبير، وروي مرفوعاً أنه قال: «إنه كفارة المجلس»، وقيل: حين تقوم إلى الصلاة، قل: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، عن الضحاك، وقيل: اذكر الله بلسانك حين تقوم إلى أن تدخل في الصلاة، عن الكلبي. «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ» قيل: صل له صلاة المغرب والعشاء، وقيل<sup>(٢)</sup>: في أوقات الليل. «وَإِذَا بَرَأَ النَّجُومَ» ركعتي الفجر عن علي (عليه السلام)، وابن عباس، وأنس بن مالك، وجابر، وقيل: صل<sup>(٣)</sup> صلاة الصبح المفروضة، عن الضحاك، وقيل: أراد نَزْهُهُ في جميع أحوالك ليلاً ونهاراً، وقيل: لا تغفل عن ذكره صباحاً ومساءً، فلا يغفل عنك وعن حفظك، وروي عن علي عليه السلام أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إدبار النجوم؟ فقال: «الركعتان قبل الغداة» وعن أدبار السجود؟ فقال: «الركعتان بعد المغرب».

(١) أو رئاسة: ورياسة، د.

(٢) في الصلاة عن الكلبي... وقيل: +، ك.

(٣) صل: من، د.

## ❁ الأحكام

يدل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ<sup>(١)</sup> أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: ﴿وَأَصْبِرْ﴾ على وعيد لهم بالجزاء، وعلى وجوب الصبر على تحمل الأذى في أداء الرسالة.

ويدل قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أنه تضمن حفظه وحياطته حتى يُبْلَغ.

ومتى قيل: هل يجوز أن يخلي بينه وبين أعدائه فَيُقْتَلَ؟

قلنا: قبل الأداء لا؛ لما فيه من تفويت المصالح، وبعد الأداء يجوز، ويصير بمنزلة موته.

ويدل قوله: «فسبح» على وجوب تنزيهه عما لا يليق به من الصفات والأفعال، خلاف قول المجبرة والمشبهة.

ومتى قيل: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ يدل على إثبات عين له؟

قلنا: الظاهر أن له أعين، وهذا لا يقول به أحد، فإذا المراد ما ذكرنا.

---

(١) ولكن: بل، د، ك.



## سُورَةُ النَّجْمِ

سورة (والنجم)، وهي مكية، وآياتها اثنتان<sup>(١)</sup> وستون آية بالأعداد الكوفية، وستون في البصرية.

وعن أبي، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (والنجم) أعطي من الأجر بعدد من صدّق بمحمد، ومن جحد به».

ولما ختم سورة (الطور) بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ووعيد مَنْ كَذَّبَهُ، وأمره بأن يصبر، افتتح هذه السورة بذكره ﷺ، وأنه حق، وما جاء به وحي، فاتصل به اتصال النظير بالنظير.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ (١٠)﴾.

(١) اثنتان: اثنان، ك.

## ❖ القراءة

قرأ حمزة والكسائي بالإمالة<sup>(١)</sup> لأواخر<sup>(٢)</sup> الآي في<sup>(٣)</sup> هذه السورة وأشباهها كل القرآن، وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو، بين الفتح والكسر، ومعناه أنه بالفتح إلا أنهم لا يفتحون فتحاً شديداً، والباقون بالفتح والتفخيم، وابن كثير وعاصم أشد تفخيماً في ذلك.

## ❖ اللغة

النجم: الكوكب، سمي نجماً لطلوعه، نَجَمَ الْقَرْنُ والسن والنبت إذا طلع.  
والهُوِيُّ والنزول والسقوط نظائر، هَوَى يَهْوِي هُويًا، نحو مضى مضياً، وأهوت الناقة تهوي هويًا فهي<sup>(٤)</sup> هاوية إذا عَدَّتْ عدواً شديداً، كأنه في هواء، ومنه: الهاوية؛ لأنها تهوي بأهلها من أعلاها إلى أسفلها.

والغي: الخيبة، غَوَى يَغْوِي، ومنه الغواية.

والوحي: إلقاء المعنى إلى النفس في خفية.

والقوة: القدرة، وأصله الشدة، والجمع: القوى.

والمِرَّة: شدة القتل، وجمعها: مِرَرٌ، وحقيقة المِرَّة: اعتدال الخلق، وأمريت الحبل: قتلته، والمفتول: مَرِيْرٌ، والأمران: المرض والهرم لشدهما.

وأصل الاستواء: الاعتدال، ثم سمي الاستيلاء والقصد والاستقرار بذلك.

والأفق: ناحية السماء، وهي آفاق، قال الشاعر:

لَقَدْ سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ<sup>(٥)</sup>

(١) الإمالة: -، ك.

(٢) لأواخر: أواخر، ث، أواخر لها، ك، وهي غير واضحة.

(٣) الآي في: -، ث، ك.

(٤) فهي: فهو؛ ث، د، ك.

(٥) البيت قائله امرئ القيس في قصيدة مطلعها:

ونسحر بالطعام وبالشراب

أرانا موضعين لأمر غيب

أنظر ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت.

والتدلي: الامتداد إلى جهة السفلى، تدلى العَرْبُ تدليا، ودَلَّاهُ صاحبه تَدْلِيَةً، ومنه: أدلى دلوه، أي: أرسلها ليملأها.  
قاب قوسين: قدر<sup>(١)</sup> قوسين<sup>(٢)</sup>، والقاب والقَيْبُ، والقادُ والقَيْدُ<sup>(٣)</sup> عبارة عن مقدار الشيء، ونظيره في اللفظ: زير<sup>(٤)</sup> وزار.

### الإعراب

«والنجم» كسر؛ لأنه أقسم به، وقيل: فيه إضمار، أي: ورب النجم، فيكون جُرَّ بالإضافة إليه، وجواب القسم: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾.  
«قاب» نصب لأنه خبر «كان»، واسمه محذوف تقديره: فكان دنوه قاب قوسين.  
وفي قوله: «وهو» قولان: قيل: رفع؛ لأنه ابتداء وخبر، وقيل: إنه معطوف على الفاء في قوله: «فاستوى».

### النزول

قيل: إن المشركين قالوا: ضل محمد عن الدين وغوي، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأقسم بأنه ما ضل وما غوى.

### المعنى

«وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ» قيل: الثريا إذا سقطت، وغابت مع الفجر، عن ابن عباس، ومجاهد، قال ابن زيد: هي سبعة أنجم، ستة ظاهرة، وواحد خفي، يمتحن الناس به أبصارهم، والعرب تسمي الثريا نجمًا، وإن كان نجومًا، وقيل جماعة النجوم إذا هوت للغرب، وغابت وخفيت، ولفظه للواحد ومعناه الجمع؛ لأنه أراد الجنس، عن

(١) قدد: +، ك.

(٢) قوسين: قوس، د.

(٣) والقاد والقيد: القاد القيد، د.

(٤) زير: زيد، ك.

مجاهد. وقيل: إذا طلع وغرب؛ لأن حركاتها توصف بالهوي، عن أبي علي. وقيل: جماعة النجوم إذا أشرقت<sup>(١)</sup> وسقطت يوم القيامة، عن الحسن. وقيل: هو الرُّجُوم يرمى بها الشياطين عن استراق السمع، عن ابن عباس. وقيل: هو القرآن ينزل ثلاث آيات، وأربع آيات، وسورة، وكان بين أوله وآخره ثلاث وعشرون سنة، عن الضحاك، والكلبي، والمجاهد. والعرب تسمي التفريق تنجيماً، ومنه نجوم الدين، وقيل: هي النبت، وهويه: سقوطه في الأرض، ليس له ساق، عن الأخفش، وقيل: هو محمد ﷺ نزل من السماء السابعة ليلة المعراج، عن الصادق، وروي أن عتبة بن أبي لهب جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلق ابنته، وتفل في وجهه، وقال: كفرت برب النجم، فقال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»، فسلط عليه أسداً في طريق الشام وحوله جماعة يحفظونه، ففي ذلك يقول حسان:

مَنْ يَرْجِعُ الْعَامَ إِلَى أَهْلِهِ      فَمَا أَكْنِلُ السَّيِّئَ بِالرَّاجِعِ  
قَدْ كَانَ هَذَا لَكُمْ عِبْرَةً      لِلسَّيِّئِ الْمَتَّبِعِ وَالتَّابِعِ<sup>(٢)</sup>

«مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ» يعني محمداً ﷺ «وَمَا غَوَى» قيل: ما فارق الحق إلى الضلال، وما غوى فيما يؤديه إليكم، وقيل: ما ضل فيما يؤدي، ولا خاب فيما تَحَمَّلَ؛ لأنه تعالى يثبته بجبريل<sup>(٣)</sup> «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى» أي: لا يتكلم عن جهة نفسه في أمور الشرع، يعني فيما أمر وشرع «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» إليه «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» قيل: هو جبريل، وهو القوي في نفسه وخلقته، عن ابن عباس، وقتادة، والربيع، وقيل: هو الله تعالى، ومعنى «شَدِيدُ الْقُوَى» أي: القوي<sup>(٤)</sup> القادر، وقيل: ذو مضاء في أمره «ذُو مِرَّةٍ» قيل: هو جبريل ذو قوة، عن مجاهد، وسفيان، والربيع، وابن زيد، وقيل: ذو صحة وخلق حسن، عن ابن عباس، وقتادة، قال الكلبي: ومن قوته أنه اقتلع قريات قوم لوط في الماء الأسود، ورفعها إلى السماء وقلبها، ومن شدته

(١) أشرقت: شرقت، د.

(٢) أنظر ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، ٢٠٠٦.

(٣) يثبته جبريل: يشبهه الجزيل، د.

(٤) أي القوي: +، ك.

صيحته بشمود حتى هلكوا، ومن شدته نزوله من السماء إلى الأرض وصعوده في ساعة، وقيل: «ذو مرة» أي: ذو مرور في الهواء ذاهبًا وجائيًا، نازلًا وصاعدًا، عن أبي علي، وقيل: شديد القوى في أمر الله، ذو مرة في حده، عن أبي علي، وقيل: «ذو مرة»، أي: شديد حفظه لما يحمله الله من الوحي، وقيل: هو الله تعالى ذو مرة، أي: ذو قوة، أي: ذو مضاء على ما قدمنا «فَاسْتَوَى. وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى» اختلفوا في قوله: «استوى» وهو على ثلاثة أقوال:

أولها: أنه كناية عن جبريل ومحمد ﷺ، ثم اختلفوا، فقيل: استوى محمد وجبريل<sup>(١)</sup>، فاستوى كناية عن جبريل ومحمد - صلى الله عليهما -، وقيل: استويا في القوة والصعود إلى السماء، وقيل: استويا في العلم بالوحي.

وثانيها: أنه استوى جبريل أي: ارتفع وعلا في السماء بعد أن عَلَّمَ محمدًا، عن سعيد بن المسيب، وقيل: «فاستوى» أي: قام في صورته التي خلقه الله تعالى عليها، وهو بأفق السماء، وذلك أنه كان يأتي النبي ﷺ وآله وسلم<sup>(٢)</sup> في صورة آدمي، فسأله أن يريه نفسه في صورته، فأراه مرتين، مرة في الأرض، ومرة في السماء، وقيل: استوى اعتدل واقفًا في الجو؛ لأن النازل في الجو يكون منحطًا، فاستوى حتى رآه النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>. وقيل: استوى جبريل وهو بالأفق، عن الربيع، وقيل: اعتدل واقفًا في الهواء بعد أن كان ينزل بسرعة ليراه النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>، عن أبي علي.

وثالثها: أن «استوى» كناية عن الله تعالى؛ أي: بنى الدنيا، ثم استوى بأمره إلى السماء، عن الحسن، والأول هو الوجه لاتصاله بـ «دَنَا فَتَدَلَّى»، وذلك لا يليق إلا بجبريل، ولأنه لا يجوز المكان على الله تعالى، وصرفه عن ظاهره مع إمكان حمله عليه لا يجوز.

«وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى» الناحية الأعلى، قيل: مطلع الشمس، الذي يجيء منها

(١) محمد وجبريل: جبريل ومحمد، ك.

(٢) وآله وسلم: -، ك.

(٣) وآله وسلم: -، ك.

(٤) وآله وسلم: -، ك.



النهار، عن قتادة، وقيل: هو السماء، عن أبي علي، وروي أنه ﷺ رأى جبريل مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء، أما في الأرض ففي الأفق الأعلى؛ لأنه كان محوا فبدا، أتى جبريل من المشرق، وبالأفق إلى المغرب، فخر النبي ﷺ (١) كان مغشياً عليه، فنزل جبريل في صورة آدمي، وضمه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه. وأما في السماء فعند سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة غير محمد ﷺ «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» قيل: دنا جبريل بعد استوائه بالأفق من الأرض فتدلى، قيل: إلى محمد بالوحي، وأهوى إليه، فكان بينهما «قَابَ قَوْسَيْنِ» أي: قدر قوسين، «أَوْ أَدْنَى» قيل (٣): بل أدنى، عن ابن عباس، والحسن، وقاتدة، والربيع، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ثم تدلى فدنا؛ لأن التدلي سبب الدنو «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ» قيل: قدر قوسين، عن ابن عباس، وعطاء، وجماعة، وقيل: قاب قوسين حيث الوتر عن القوس، عن مجاهد، وقيل: أراد تأكيد القرب عند الوحي، وقيل: قدر ذراعين، عن سعيد بن جبير، وعطاء، وسفيان، وقيل: قدر الوتر من القوس مرتين، عن ابن مسعود «أَوْ أَدْنَى» قيل: بل أدنى، وقيل: وأدنى، وقيل: على شك المخاطب، أي: عندك قدر قوسين أو أدنى «فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ» قيل: أوحى الله إلى عبده، وقيل: أوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحى [إليه ربه عز وجل] (٤)، عن الحسن والربيع، وابن زيد. «مَا أَوْحَى» قيل: أوحى إليه من كلامه، وأمره ونهيته، عن أبي علي، وقيل: أوحى إليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَخَافَ﴾ [الضحى: ٦] إلى قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، عن سعيد بن جبير، وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أممتك، وسئل أبو العباس بن عطاء عن هذه الآية؟ فقال: كيف أصف لكم مقاماً انقطع عنه جبريل وميكائيل وإسرافيل، وعن بعضهم: كان بينهما سِرٌّ كسر المحبين، وأنشد:

(١) النبي: رسول الله، ك، د.

(٢) وآله وسلم: -، ك.

(٣) قيل: -، ك.

(٤) الزيادة من تفسير البغوي، ٤٠٢/٧.

بَيْنَ الْمُحَبِّينَ سِرٌّ لَيْسَ يُفْشِيهِ قَوْلٌ وَلَا قَلَمٌ لِلْخَلْقِ يَخْكِيهِ<sup>(١)</sup>  
 سِرٌّ يَمَازِجُهُ أَنَسٌ يُقَابِلُهُ<sup>(٢)</sup> نُورٌ تَحَيَّزَ فِي بَحْرٍ<sup>(٣)</sup> مِنَ التِّيهِ<sup>(٤)</sup>  
 والصحيح ما حكيناه، عن أبي علي.

وأما من حمل الاستواء والقرب والتدلي على الله تعالى فقد أحال؛ لأنها من صفات الأجسام، ولو جاز عليه لدل على حدوثه، وقد روي أن ذلك جبريل، عن ابن عباس، وابن مسعود، وعائشة، وجماعة من التابعين، على ما تقدم.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: «والنجم» على عظم موقعه في القدرة والنعمة، ولا مانع من حمله على ظاهره حتى يصرف إلى وجه آخر مجازًا.

وتدل الآيات على عصمة النبي، وأنه قط ما ضل وما غوى، وما نطق إلا بوحي؛ لأنه أطلق ولم يفصل بين حال وحال.

ومتى قيل: فوجب ألا يصح منه أن يجتهد؟

قلنا: لو صدر عنه الاجتهاد لكان<sup>(٥)</sup> عن وحي، كاجتهاد العلماء.

وتدل أن الدنو والتدلي كان من جبريل؛ لأنه عطفه على قوله: ﴿عَلَّمُوْهُ شَدِيْدُ الْقُوَى﴾ وعلى ما رويناه عن جماعة من الصحابة والتابعين، فلا تعلق به لجهال المشبهة.

(١) في ك: لكنه.

(٢) أنس يقابله: التين مقابله؛ ت، د.

(٣) بحر: محرم؛ ت، د، ك.

(٤) ورد البيت في كتاب (عقلاء المجانين) لابن حبيب النيسابوري ص ٢١٨؛ والطبرسي، مجمع البيان، ح ٢٩ ص ٢٨٩ سر يمازجه أنس يقابله نور تحيز في جو من التيه.

(٥) لكان: -، ك.

قوله تعالى:

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١١) ﴿أَفْتُمِرُونَ عَلَىٰ مَا يُرَى﴾ (١٢) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣)  
عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ  
الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨).

### القراءة

قرأ ابن عباس والحسن، وقتادة، وأبو جعفر: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ» بتشديد الذال، أي: ما كذب قلب محمد ما رأى بعينه تلك الليلة؛ بل صدقه وحققه. وقرأ القراء السبعة بالتخفيف، أي: ما كَذَبَ فؤاده فيما رأى.

وقرأ علي، وابن عباس، وابن مسعود، وعائشة، ومسروق، وإبراهيم النخعي، وحمزة والكسائي، وخلف، ويعقوب: «أَفْتُمِرُونَ» بفتح التاء من غير ألف على معنى: أفتجحدونه، وأجازه أبو عبيد، قال: لأنهم لم يماروه، وإنما جحدوه، تقول العرب: مريت الرجل حقه، أي: جحدته.

وقرأ سعيد بن جبير، وطلحة بن مصرف: «أَفْتُمِرُونَ» بضم التاء من غير ألف أي: ترمونه وتشككونه<sup>(١)</sup>.

وقرأ الباقون: «أفتمارونه» بالألف وضم التاء على معنى: أفتجادلونه، وهو اختيار أبي حاتم.

قراءة العامة: «جنة المأوى» بالتاء، وقرأ محمد بن كعب: «جَنَّةُ»<sup>(٢)</sup> بالهاء، والهاء كناية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال أبو حاتم: وهي قراءة علي وأنس، بمعنى: سَتَرُهُ، وقال الأخفش: أدركه.

### اللغة

الرؤية: إدراك المرئي، رأى يرى رؤية، فهو راءٍ، والرؤية قد تكون تخيلاً، كرؤية

(١) ترمونه وتشككونه: رمونه وشككونه، ك، د.

(٢) جنة: جنته، ك، د.

السراب يظنه ماء لبعده ولمعانه، ورؤية النوم: تَصَوُّرٌ واعتقاد بالقلب، ورؤية بالقلب وهو العلم، وكل ذلك تَوَسَّعٌ.

والمراء: الجدال بالباطل والشك، وأصله من مَرِيَ الضرع لِيَدِرَّ<sup>(١)</sup>، وهو لا يمتنع عن اللبن، ولأنه<sup>(٢)</sup> باطل كذلك جداله باطل.

والتَّزَلُّ: المرة من النزول.

والمنتهى: التي يُنتهى إليها فلا يتجاوز عنها.

والغشيان: لباس الشيء بما يغمه، غشيه يَغْشَاهُ غشيانًا، ومنه: الغاشية.

والزيغ: الميل والذهاب عن الحق المطلوب، يقال: زاغ بصره وقلبه، يزيغ زِيغًا.

والطغيان: طلب العلو بظلم غيره، طغى طغيانًا، والطاغي مثل الباغي، وهم الطغاة والبلغاة.

### ❁ الإعراب

(ما) الأولى للنفي، و(ما) الثانية بمعنى (الذي)، وكذلك الثالثة، والرابعة.

السدره: نصبت بـ (يَغْشَى).

«أفتمارونه» أفتمارعلونه، وتمرونه: تفعلونه.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ من آياته، محل<sup>(٣)</sup> قوله: (كبرى) نصب بـ (رأى).

### ❁ النزول

قيل: لما أسري برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، وأصبح بمكة، فأخبر بها، وقد حضره أبو جهل وجماعة، فأخذوا يجادلونه ويجحدونه، فنزل فيهم:

(١) ليدر: ليدين، د، ك.

(٢) ولأنه: ولاده، ت.

(٣) محل: محمل، ت، ك.

﴿أَفْتَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ الآيات، وكان المسرى بمكة، بعد موت أبي طالب من المسجد. وقيل: من بيت أم هانئ، أسري به بعدما صلى العشاء الآخرة، وعاد إلى مكة قبل الفجر.

### المعنى

ثم بين تعالى ما رآه النبي ﷺ وحقق رؤيته، فقال - سبحانه -: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ» أي: ما كذب فؤاد محمد ما رأى بصره في ذلك الوقت، وتكذيب الفؤاد إيهامه أنه يرى شيئاً ولا يراه كالرائي السراب، وتقديره: ما كذب الفؤاد فيما رأى، واختلفوا في الذي رآه، قيل: جبريل على صورته التي خلقه الله تعالى عليها، عن ابن مسعود، وعائشة، وقتادة، وقيل: ما رأى من مقدور الله وملكوته، عن الحسن، وقيل: رأى ربه رواية عن ابن عباس، وهذا بمعنى عِلْمِهِ، زيادة عِلْمٍ بما رأى من آيات محددة<sup>(١)</sup>، فعند ذلك ازداد يقيناً، كقول إبراهيم: ﴿لَيَطْمِئَنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] وإن كان عِلْمٌ قبل ذلك.

وزعم جماعة من المشبهة، وممن تكلم في هذه الآية أن محمداً ﷺ رأى ربه ليلة المعراج، ورووا ذلك عن ابن عباس وأنس بن مالك والربيع، ورووا أخباراً تتضمن تشبيهاً عظيماً، ثم رووا على الضد من ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين، فرووا عن ابن عباس أيضاً ومحمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب، أنه رآه بقلبه ولم يره بعينه، ورووا عن محمد بن كعب أن النبي ﷺ سئل هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيت بقلبي، ولم أره بعيني»، ورووا عن أبي ذر وأبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ سئل عن قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ قال: «رأيت نوراً» ومثله رووا عن مجاهد وعكرمة.

وروا عن عبد الرزاق عن أبي عيينة، عن مجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، أنه قال: إن محمداً رأى ربه، قال الشعبي: فأخبرني مسروق، قال: سألت عائشة عن ذلك، فقالت: إنك لتقول قولاً، إنه ليَقْفُ

(١) محددة: مجردة، ك.

شَعْرِي مِنْهُ، قَالَ مَسْرُوقٌ: قُلْتُ: رَوَيْدًا يَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهَا: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ فَقَالَتْ: رَوَيْدًا، أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ؟ إِنَّمَا رَأَى جَبْرِيلُ فِي صُورَتِهِ، مَنْ حَدَّثَكَ<sup>(١)</sup> أَنْ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهِ - تَعَالَى - يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنْ مُحَمَّدًا يَعْلَمُ الْخَمْسَ مِنَ الْغَيْبِ فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنْ مُحَمَّدًا كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وَلأنه قد ثبت بالدليل أنه تعالى ليس بمرئي؛ أي<sup>(٢)</sup>: فِي ذَاتِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا سُئِلَ أَرَأَيْتَ رَبِّكَ؟ فَقَالَ: «تَوَرَّأْتِي<sup>(٣)</sup> أَرَاهُ»، فَأشارَ إِلَى أَنَّ الْمَرْتِي<sup>(٤)</sup> إِمَّا أَنْ يَكُونَ جَوْهَرًا<sup>(٥)</sup> أَوْ لَوْنًا، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالَى بَيَانًا شَافِيًا، فَقَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى<sup>(٦)</sup> عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْمَكَانُ.

«أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى» أَتَجَادَلُونَهُ، وَتَمْرُونَهُ تَجَحِدُونَهُ «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى» أَي: مَرَّةً أُخْرَى<sup>(٦)</sup>، قِيلَ: جَبْرِيلُ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَائِشَةَ، وَمَجَاهِدٍ، وَالرَّبِيعِ، قَالُوا: رَأَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً فِي الْأَفْقِ الْأَعْلَى عَلَى مَا تَقْدِمُ، وَمَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَقِيلَ: رَأَى رَبَّهُ بِقَلْبِهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَعْنِي لَمَّا رَأَى مِنْ مَلَكُوتِهِ تَمَّ<sup>(٧)</sup>، وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ، وَعَلَيْهِ تَحْمِلُ الْآيَةُ، وَتَقْدِيرُهُ: نَزْلَةً، أَي: رَأَى نَازِلًا نَزْلَةً أُخْرَى، وَعَنْ عَائِشَةَ: قَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: «هُوَ جَبْرِيلُ»، «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى» قِيلَ: شَجَرَةُ النَّبَقِ<sup>(٨)</sup>، وَقِيلَ: سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى؛ لِأَنَّ رُؤْيَا

(١) حَدَّثَكَ: زَعَمَ، د، ك.

(٢) أَي: -، ك.

(٣) أَنَّى: أَنْ، ك.

(٤) الْمَرْتِي: الْمَرَاي، د.

(٥) وَإِمَّا: أَوْ؛ ث، د، ك.

(٦) أَي مَرَّةً أُخْرَى: +، ك.

(٧) تَمَّ: تَمَّ، د.

(٨) النَّبَق: النَّبِق، ك.

الملائكة إليها تنتهي، في معنى قول كعب، وقيل: سدرة المنتهى في السماء السابعة، إليها ينتهي ما يعرج إلى السماء، وما يهبط من فوقها من أمر الله، عن ابن مسعود، والضحاك، وقيل: لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء، وقيل: لأنه ينتهي إليها علم كل عالم، عن كعب، وقيل: ملائكة السماء تنتهي إليها صاعدًا، وحملة العرش نازلًا، فيجوز أن يكون<sup>(١)</sup> متعبد الملائكة تحته، وقيل: ينتهي إليها كل من مات على سنته، وقيل: هو سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش، عن كعب، وروي مرفوعًا، وروي أنه في أصلها أنهار، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها، وقيل: هي طوبى، عن مقاتل، وقيل: أراد الشجرة التي بايع تحتها بيعة الرضوان، وعندها كان استحقاق الجنة، كقولهم: «الجنة تحت ظلال السيوف»، وقيل: هي عن يمين العرش، وهي منزل الشهداء، عن ابن عباس. «عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى» أي: جنة الخلد، وهي في السماء السابعة، والمأوى: المصير، أي: يصير إليه أهل الجنة، وقيل: هي الجنة التي كان آوى إليها آدم، وتصير إليها أرواح الشهداء والمؤمنين بعد وفاتهم، عن أبي علي. «إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى» قيل: غشيها فراش الذهب، عن ابن مسعود، ومجاهد، وإبراهيم، وعن ابن عباس بخلاف، وروي ذلك مرفوعًا، وقيل: غشيها النور والبهاء، حتى يروق الأبصار حسنها، عن الحسن، وقيل: النور والملائكة، عن الربيع، وقيل: الملائكة ينتهون إليها، الصاعدين<sup>(٢)</sup> إليها، والنازلين من عند العرش، عن أبي علي.

وروى الربيع عن أبي هريرة قال: لما أسري بالنبي ﷺ فانتهى إلى السدرة، فغشيها النور<sup>(٣)</sup> والملائكة، وروي عنه ﷺ، قال: «رأيت على كل ورقة من ورقها ملكًا قائمًا يسبح الله»، وقيل: فغشيها رفر من طير خضر، وقيل: من الطيور، عن السدي، وقيل: غشيها من أمر الله ما غشيها، فتحولت ياقوتًا وزمردًا حتى ما يستطيع أحد وصفها، وقيل: غشيها جبريل في خلقته العجيبة، فسَدَّ الأفق، وفي قوله: «ما

(١) يكون: تكون؛ ت، د، ك.

(٢) الصاعدين: القاعدين، ك.

(٣) النور: والنور، د.

يغشى»<sup>(١)</sup> تعظيم لما غشاه، كقوله: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ آلَيمٍ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]. «مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى» أي: ما جاوز ما أمر به، ولا مال عما قصد له، يعني ما رأى إلا حقًا وصوابًا ولم يخيل إليه، وقيل: ما مال يمينًا ولا شمالًا، وما ارتفع بأذاكم وراء الطاغي «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» قيل: هي السموات والملائكة، وما في السموات من ملكوته، وقال ابن مسعود: رأى رفرقًا أخضر من رفارف الجنة قد سد الأفق، وقيل: هي سدرة المنتهى، عن الضحاك، وقيل: رأى جبريل في صورته التي تكون في السموات عن ابن زيد، ومقاتل، وأبي علي، وقيل: المعراج وما رأى تلك الليلة في مبتدئه<sup>(٢)</sup> وعَوْدِهِ.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على تحقيق ما رأى، وأنه لم يكن تخيلًا، ولا في المنام.  
وتدل على أن الجنة عند السدرة في السماء السابعة، وقيل: إنه جنة الخلد، وقيل: هو الجنة التي كان فيها آدم.  
وتدل على أنه رأى جبريل، وملكوت السموات  
وتدل على صحة ما نقوله في المعراج، وأنه كان ذلك حقيقة، لا كما قال بعضهم.

قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذَا قُسِمَةُ ضِرَىٰ (٢٢) إِن هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (٢٥)﴾.

(١) ما يغشى: ما غشى، ك.

(٢) مبتدئه: مبتداه؛ ت، د، ك.



## القراءة

قراءة العامة: «اللّات» بالتاء مخففة على أنها صنم، وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح: «اللّات» بتشديد التاء، قالوا: وكان رجلاً يلت السوق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره، فعبدوه، وعن السدي أنه كان بالطائف، وكان يقوم على ألتهم ويلت لهم السوق، فلما مات عبده، وعن مجاهد أنه كان ببطن نخلة، وعن الكلبي أنه كان رجلاً من ثقيف يسمى صرمة، وقيل: جعلوا له تمثالاً<sup>(١)</sup> عبده، واختلفوا في الوقف على اللات ومناة، فوقف بعضهم بالهاء، وبعضهم بالتاء، وكان الكسائي يقف بالهاء، قال الزجاج: الأجود أن يقف بالتاء على الكتاب، وقال بعضهم: يتبع المصحف، فما كتب بالتاء يوقف بالتاء، وما كتب بالهاء يوقف بالهاء.

قرأ ابن كثير: «مناة» بالمد والهمز، وروى مثله الشموني<sup>(٢)</sup> عن الأعمش<sup>(٣)</sup> عن أبي بكر عن عاصم. وقرأ الباقون بغير همز ومد، وهما لغتان.

يقال: ضُرْتُه حقه: إذا منعته، وحكى ناس<sup>(٤)</sup> ضَاَزُهُ مهموز، يقال: ضَاَزُهُ يَضِيرُهُ: إذا نقصه، والأصل ضَوَزَى على فُعْلَى، قال الشاعر:

فَحَقُّكَ مَضُوْوزٌ وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ<sup>(٥)</sup>

قراءة العامة: «إن يتبعون» بالياء، وعن بعضهم بالتاء، اعتباراً بقوله: «أفرايتم.. لكم».

## اللغة

اللات: قيل: اسم موضوع لذلك الصنم، وقيل: أخذ من الله ألحقت<sup>(٦)</sup> به التاء،

(١) تمثالاً: مثلاً؛ ت، د، ك.

(٢) الشموني: الشموفي، د، ك؛ وما أثبتناه عن زاد المسير ٣٤١/٩، وروح المعاني ٢٥/٢.

(٣) الأعمش: الأعشى، ك.

(٤) ناس: ناساً، د، ك.

(٥) تكلمة البيت:

فإن تنأ عنا ننتقصك وإن تغب فحقك مضووز وأنفك راغم

(٦) ألحقت: ألحق، ك.

كما يقال: عمرو وعمرة<sup>(١)</sup>، وعباس وعباسة، وكان المشركون يسمون أصنامهم بأسماء الله تعالى، فاللات من الله، والعزى من العزيز.

ومناة، قيل: اسم موضوع، وقيل: اسم مشتق من ناء النجم، ينوء نوءًا، وأصل النوء: النهوض، ومنه النوء من أنواء المطر؛ [والعرب تقول ناء الحمل بالبعير إذا أثقله] لأنه كان ينهض بثقل بأثقال البعير<sup>(٢)</sup>، وقيل: إنما سمي نوءًا لأن الأنواء؛ ثمانية وعشرون نجمًا معروفة المطالع، يسقط منها في كل ثلاثة عشر ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله، فكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم قالوا: لا بد أن يكون عند ذلك مطر، ويقولون: مطرنا بنوء كذا، وإنما سمي نوءًا؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءًا، وذلك النهوض هو النوء، فسمي النجم به، قال: وقد يكون النوء السقوط.

والضِّيْزَى: الجائرة الفاسدة، ووزنه «فُعْلَى» بضم الفاء؛ لأنها صفة، والصفات لا تكون إلا فُعْلَى، نحو: حبلى وأنثى، أو «فَعْلَى» بفتح الفاء نحو: غضبى، وعطشى، وسكرى<sup>(٣)</sup>، وليس في كلام العرب فِعْلَى بكسر الفاء في النعوت، إنما يكون ذلك في الأسماء، نحو: رفلَى وذكرى وشعرى، قال المؤرج: كرهوا ضم الضاد لهذه العلة، وخافوا انقلاب الياء واوًا، وهو من بنات الياء، فكسرت الضاد لهذه العلة، كما قالوا في جمع أبيض: بِيضٌ، والأصل بُيْضٌ، نحو: حُمْرٌ وُصْفَرٌ، وتصريفه بغير همز: ضاز يَضِيزُ ضِيْزًا، وبالهمز: ضَاَزْ يَضَاُزْ ضَاُزًا: إذا ظلم ونقص الحق، وضاز يَضُوزُ ضُوزًا، فالاسم من هذا ضوزى، مثل: شورى، وضُرِته بكسر الضاد وضمها، ومن العرب من يقول: ضَيِزى بفتح الضاد، ومنهم من يقول: ضَاُزَى بفتح الضاد والهمز، ومنهم من يقول: ضُؤَزَى بضم الضاد والهمز.

(١) وعمرة: -، ك.

(٢) البعير: بالبعير، ت، د، ك.

(٣) وعطشى وسكرى: سكرى وعطشى، د.

## الإعراب

يقال: كيف جاء ﴿الثَّالِثَةَ الْآخَرَى﴾؟ والعرب لا تجعل الأخرى نعتًا للثالثة، وإنما<sup>(١)</sup> الأخرى نعت للثانية؟

قلنا: قال الخليل: إنما كان ذلك لوفاق رؤوس الآي، كقوله: ﴿مَنَارِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨] ولم يقل: آخر.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة<sup>(٢)</sup>.

﴿ضِرَّة﴾: محله رفع نعتًا للقسمة.

و﴿الْمُدَى﴾ محله رفع.

## المعنى

لما بيّن تعالى ما رأى من الآيات الدالة على توحيده وعدله، عقبه بالحجاج مع من وصفه بالشريك ردًا عليهم، فقال - سبحانه - : «أَفَرَأَيْتُمْ» قيل: تقدير الآية: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله، قال أبو علي: لأنه كان فيهم من يقول: إنما نعبد هؤلاء؛ لأنهم بنات الله، وقيل: تقديره: أفرأيتم ما تتخذونه إلهًا اللات والعزى ومناة، عن أبي علي، وقيل: زعموا أن الملائكة بنات الله، وصوروا الأصنام على صورهم «اللات والعزى». وَمَنَاةُ الثَّالِثَةَ الْآخَرَى قيل: هي أصنام كانوا يعبدونها، عن الحسن، وقيل: كانت حجارة في جوف الكعبة، عن أبي عبيدة، وقيل: اللات: كانت صنمًا لثقيف، وقيل: كانت حجرًا، وكانت قريش تلت السوق بالسمن عليها للناس، فسمي لآثًا من هذا الوجه، عن أبي علي.

وأما العزى قيل: صنم عبدوها، عن الحسن، وقتادة، وقيل: كانت شجرة

(١) وإنما: ولا، ك.

(٢) ومناة الثالثة: و«مناة الثالثة الأخرى»، د.

لغطفان يعبدونها، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد لقطعها، فجعل يضربها، ويقول:

يَا عَزَّ كُفْرَانُكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ<sup>(١)</sup>

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها، داعية بالويل والثبور، فقتلها، ورجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك، فقال: «لا عزى بعد اليوم».

وقيل: صنم لغطفان، وضعها سعد بن ظالم الغطفاني فعبدوها، عن الضحاك.

وقيل: بيت بالطائف تعبدته ثقيف، عن ابن زيد.

فأما مناة: كان صنمًا لخزاعة، عن قتادة، وقيل: كان بيتًا تعبدته بنو كعب، عن ابن زيد، وقيل: صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة، عن الضحاك.

«الْكُفْرَ وَلَهُ الْأَنْثَى» البنات «تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى» جائزة، عن ابن عباس، وكتادة، وقيل: منقوصة، عن سفيان، وقيل: ناقصة، عن الضحاك، وأبي علي؛ وذلك لأنهم جعلوا له ما يكرهون لأنفسهم، وقيل: عوجا، عن مجاهد، ومقاتل. وقيل: غير معتدلة، عن الحسن، وابن سيرين. وقيل: مخالفة، عن ابن زيد، والكل متقارب.

ومتى قيل: كيف كانت جائزة؟

قلنا: بنوا فاسدًا على فاسد، ومحالًا على محال؛ لأنهم أولاً أضافوا الأولاد إليه، وذلك محال، ثم جعلوا له الأدون، وهو البنات، ولأنفسهم البنين، والثالث: أنهم جعلوا البنات حجرًا ومدراء.

ثم بيّن تعالى أن ذلك ألقاب ممن عبدها لا معنى تحتها، فقال - سبحانه - : «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا» أي: بصحتها «مِنْ سُلْطَانٍ» من حجة، وسميت الحجة سلطانًا؛ لأن صاحبها يقهر من حاجه ويتسلط عليه، عن أبي علي. «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» في قولهم: إنها آلهة «وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ» أي: تهواه

(١) البيت ينسب إلى خالد بن الوليد وهو يهدم العزى يوم فتح مكة.

وتألفه، وذلك أنهم وجدوا آباءهم وقومهم يعبدونها فمالوا إليه<sup>(١)</sup> وألفوه «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى» البيان والأدلة<sup>(٢)</sup> الظاهرة، التي تهدي إلى الحق، وأنها ليست بآلهة، ولا يحق لها العبادة، وتلك الأدلة ما ركب في قلوبهم، ونصب من الأدلة، وما بين على السنة الرسل «أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى» يعني لهؤلاء الكفار ما تمنوا، قيل: تمنوا أن الأصنام كانت آلهة، وليس كذلك، وقيل: تمنوا أن تشفع لهم عند الله تعالى، وظنوا ذلك، وليس كما ظنوا، وقيل: «أَمْ لِلْإِنْسَانِ» يعني محمداً له ما تمنى من النبوة والكرامة، فلا ينكروه «فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى» يعطي من يشاء، ويحرم من يشاء، لا وجه لاضطرابكم فيما أعطاه، عن ابن زيد.

وقيل: «أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى» من نعيم الدنيا والآخرة؛ بل يفعله الله تعالى بحسب المصلحة، ويعطي الآخرة المؤمنين المستحقين دون الكافرين، عن أبي علي، وهذا هو الوجه؛ لأنه يشتمل على جميع ما قيل فيه، وإجراؤه على العموم، ودخل فيه جميع تمنيههم في الدنيا من الديانات والأموال، وتمنيهم النبوة، ودخل فيه نعيم الآخرة، وقيل: أم له ما تمنى، أن يفعل ما يشاء من غير جزاء، ليس كذلك، بل لله الآخرة والأولى، يثيب المطيع، ويعاقب العاصي، وقيل: ليس للإنسان أن يعتقد ما يتمنى، بل يجب أن يتبع الأدلة الصحيحة.

### الأحكام

تدل الآيات على صحة الحجاج في الدين؛ لأن جميع ذلك حجاج مع الكفار. وتدل أن الظن في أصول الدين فاسد، والواجب العلم باتباع الأدلة، والتفكر فيها. وتدل أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى» أنه أراح عليلهم بالأدلة والبيان والتمكين، وإنما أتوا من قبيلهم حيث أعرضوا، خلاف قول المجبرة: إنه أضلهم، وخلق فيهم الكفر، وسلبهم قدرة الإيمان، ومنعهم منه.

(١) إليه: إليها، ك.

(٢) البيان والأدلة: الأدلة والبيان؛ ت، د، ك.

قوله تعالى:

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (٢٦) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾ .

### اللغة

الملك: الواحد من الملائكة، وأصله ملاك، وهو مأخوذ من الرسالة، والمألكة والألوك الرسالة، وألكني: أي: تحمل رسالتي إليه، قال الشاعر:

أَلْكَنِي إِلَيْهَا عَمْرُكَ اللَّهُ يَا فَتَى      بَايَةَ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا<sup>(١)</sup>

أي: تتمايل.

والشفاعة: مَسْأَلَةٌ لِأَجْلِ غَيْرِهِ، ثم تنقسم، فتكون بحط خطيئة أو تبليغ درجة، وأصله الضم، ومنه الشفع، خلاف الوتر.

والظن: قيل: هو اعتقاد، وقيل: هو جنس سوى الاعتقاد.

### المعنى

ثم رد الله تعالى عليهم قولهم: إنها تشفع لهم، فقال - سبحانه -: «وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا» أي: لا تنفع ولا تدفع عذابًا لو شفع، قيل: كم<sup>(٢)</sup> من ملك يعبدونه لا يغني<sup>(٣)</sup> عنهم شيئًا، وقيل: كم من ملك مع جلالة شأنه لو

(١) البيت قائله سحيم المعروف بعبد بني الحسحاس -  
أنظر لسان العرب (لوك)؛ الصحاح (لوك)؛ تاج العروس (لوك).

(٢) كم: -، ك.

(٣) يغني: يغن؛ ت، د، ك.

تمنوا أن يشفعوا لأحد ما قدروا عليه، فإذا كان شفاعتهم لا تغني فَمَنْ دونهم كيف يغني «إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى» يعني لا يشفع أحد إلا بعد إذن من الله، ورضى منه به. بين أن الشفاعة تتعلق بشيئين أحدهما: إذنه، والثاني: رضاه بطريقته وسيرته «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» أي: بالبعث والجزاء «لَيَسْمُوهَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنْسَانِ» قيل: كتسمية الأنثى، أو بتسمية الأنثى، قيل: قالوا: هم بنات الله، عن الحسن. «وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ» أي: لا يقولون ذلك عن علم «إِنْ يَتَّبِعُونَ» في ذلك «إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» أي: لا يكفي عنه لقيامه<sup>(١)</sup> مقامه، وقيل: لا يغني عن العلم، وقيل: لا يغني من الحق، أي: من العذاب شيئاً «فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى» قيل: أعرض عن مكافأتهم لا عن استدعائهم، وقيل: أعرض إعراض استخفاف بهم «تَوَلَّى» أعرض «عَنْ ذِكْرِنَا» قيل: القرآن، وقيل: الإيمان، وقيل: عن محمد ﷺ كقوله: ﴿ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠، ١١] يعني أَعْرَضَ عن الدين ووصف الله بما لا يليق به وكذب رسوله «وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» يعني قنع بالتمتع بالذات في الدنيا «ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» أي: نهاية قدر<sup>(٢)</sup> علمهم؛ حيث آثروا الدنيا الفانية على الآخرة، وقيل: علمهم انتهى إلى نفع الدنيا دون نفع الآخرة، وهي حقيرة في جنب نعيم الآخرة مع دوامها، فتركوها لجهلهم «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» أي: دينه «وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى» فيجازي كل أحد بحسب عمله.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات أن الشفاعة لا تكون إلا بشرطين:

أحدهما: إذنه تعالى.

والثاني: أن يكون المشفوع مرضي الطريقة، فيبطل قول المرجئة في الشفاعة.

وتدل على أن التولي والإعراض واتباع الظن والضلال والاهتداء فعل العبد، ليس

(١) لقيامه: بقيامه، د.

(٢) قدر: وقدر، ك.

بخلق الله تعالى؛ ليصح الأمر والنهي، والذم والمدح، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

وتدل أن قصر النفس على الدنيا مذموم، وأن الواجب الرغبة في الآخرة، وطلبها وما فيها من الثواب، فيبطل قول من يقول: لا يحسن أن يراد بالطاعة الثواب.

وتدل أن من طلب الدنيا من وجهها من غير إخلال بالآخرة جاز، وإنما المذموم قصر النفس على لذات الدنيا.

وتدل على أن الظن في أصول الدين خطأ.

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَلَيْهِمْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۖ﴾ (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّفَقَ ۖ﴾ (٣٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ﴾ (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۖ﴾ (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهوَ يَرَى ۖ﴾ (٣٥).

### القراءة

قرأ حمزة والكسائي وخلف بن هشام: «كبير الإثم» بغير ألف، وكسر الباء على واحد، وقرأ الباقون: «كباثر» بالألف والمد والهمز على الجمع.

### اللغة

الكبير: خلاف الصغير، والكُّبَارُ بتشديد (١) الباء وتخفيفها (٢): الكبير، والكِبَرُ: معظم الأمر، ومنه الكِبَرُ: الهرم من ذلك، والكِبَرُ: العظمة، وكذلك الكبرياء، وأكبرت الشيء: استعظمته.

(١) بتشديد: بتخفيف، ك.

(٢) وتخفيفها: وتشديدها، د.



والإثم: الذنب، أَيْمَ فلان فهو آثم وأثيم، وتَأَثَّمَ: تحرَّج وكَفَّ عنه، ونظيره: حَرَجَ: وقع في الحرج، وتَحَرَّجَ: كَفَّ. والأثوم: الكذاب من ذلك.

والفحش والفحشاء: الفاحشة، والفاحش جمع، وكل شيء جاوز قدره، فهو فاحش، وأفحش: قال فُحْشًا، ورجل فَحَّاشٌ.

اللمم: مقاربة الشيء من غير دخول فيه، أَلَمَ بالشيء يلم إلمامًا: إذا قاربه، ومنه: أَلَمْتُ بالرجل إلمامًا: نزلت به، وقال الفراء: اللمم أن يفعل الإنسان الشيء في المين<sup>(١)</sup> لا تكون له عادة، ومنه إلمام الخيال، والإلمام: الزيادة التي لا تمتد، وكذلك اللمم، قال أمية:

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرُ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا<sup>(٢)</sup>  
أي: لم يَلَمَّ بمعصية.

أجنة: جمع جنين، الولد في البطن، أخذ من الستر، ومنه: الجن لاستتارهم عن أعين الناس، والجنون لستره العقل، والجَنَانُ: القلب؛ لأنه مستور بالصدر، والجَنَّةُ كَرْمٌ فيها أشجار، فيستره بهما، ومنه: المِجَنُّ؛ لأنه يستر النفس، والجنة: ما استترت به من السلاح، والجَنِينُ: المقبور لستره، والجناجن: عظام الصدر، وجنان الليل: ظلمته؛ لأنه يستر كل شيء.

والتزكية: التطهير، والتزكية: الحكم بطهارته وأنه زكي، وأصل الباب: النماء، وزكى الزرع<sup>(٣)</sup>: والزكي: الذي نما خبره وصلاحه، وجمعه: أزكياء، والزكي: الطاهر منه، قال الله تعالى: ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً<sup>(٤)</sup>﴾ [الكهف: ٧٤]، ومنه سمي محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن النفس الزكية لأخبار وردت فيه.

(١) المين: المس، د.

(٢) البيت قائله أمية بن أبي الصلت انظر اللسان (لمم)؛ ديوان أمية بن أبي الصلب تحقيق سجيح جميل الجبيلي، ص ١١٤، دار صادر بيروت، ١٩٩٨.

(٣) وزكى الزرع نما: كالزرع نما، د.

(٤) زكية: زاكية، د.

والْكُذِيَّةُ: القطعة الغليظة من الأرض لا يعمل فيها الفأس وغيره<sup>(١)</sup>، وفي حديث الخندق: (عرضت كدية) والجمع: كُدَى، وفي حديث فاطمة: (أنها خرجت إلى تعزية بعض جيرانها فلما انصرفت قيل لها: لعلك بلغت معهم الكُدَى) يعني المقابر؛ لأن مقابرهم تكون في مواضع صلبة، أكدى الحافر يكدي: إذا بلغ الكدية بقطع الحرة، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها<sup>(٢)</sup> في أبيها: (سبق إذ ونيتم، ونجح إذ أَكْدَيْتُمْ) أي: ظفر أن خيتم، ومنه أكدى الذي منع الخير، قال الحطيئة: فَأَعْطَى قَلِيلًا ثُمَّ أَكْدَى بِمَالِهِ وَمَنْ يَبْذُلُ الْمَعْرُوفَ فِي النَّاسِ يُحْمَدِ<sup>(٣)</sup> ومنه: كدى النبت: قلّ.

### الإعراب

اللام في قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ لام كي، وقيل: لام العاقبة، وقيل: لام القسم. ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾، تقديره: وليجزى. ﴿إِلَّا أَلَمَ﴾ قيل: استثناء منقطع؛ لأنه ليس من الكبائر والفواحش، قال الشاعر: وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ إِلَّا أَلْيَعَافِيرُ وَإِلَّا أَلْعِيسُ واليعفور: الأحمر من الأطباء، والأعيس: الأبيض، تقديره: لكن من يلم، وقيل: إنه استثناء من الفواحش؛ لأنه يشتمل على جميع الذنوب لقبحها، وقيل: هو استثناء من الكبائر، ومعناه: إلا أن يلم بها، ثم يتوب.

### النزول

اختلف المفسرون في سبب نزول قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ إلى آخرها، قيل: نزل في عثمان، كان ينفق ماله في سبيل الخير، فلامه عبد الله بن سعد بن شراحه، وكان أخاه<sup>(٤)</sup> من الرضاع، فقال عثمان: إن لي ذنوبًا، وإنني أطلب بما أصنع رضا الله

(١) وغيره: +، ك.

(٢) رضي الله عنها: -، ك.

(٣) ورد البيت برواية أخرى:

فأعطى قليلا ثم أكدى عطاؤه ومن يبذل المعروف في الناس يحمده

(٤) أخاه: أخوه، د.

تعالى، فقال عبد الله بن سعد: أعطني من مالك، وأنا أتحمّل عنك ذنوبك فأعطاه، وأمسك عن بعض ما كان يصنع، فأنزل الله - تعالى -: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ يوم أحد حتى ترك التزكي<sup>(١)</sup> ﴿وَأَعْطَى﴾ صاحبه «وأكدى» قطع النفقة إلى قوله: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ فعاد عثمان إلى أحسن ما كان عليه، عن ابن عباس، والسدي، والكلبي، وجماعة من المفسرين.

وقيل: بل نزلت في الوليد بن المغيرة اتبع رسول الله ﷺ فَعَيَّرَهُ بعض المشركين، وقال: تركت دين الأشياخ، فقال: خفت عذاب الله، فقال: أعطني شيئاً، وأضمن أن أحمل عنك ذنوبك، فأعطاه شيئاً، ثم بخل ومنعه تمام ما ضمن، ففيه نزلت الآية، تولى عن رسول الله ﷺ، وأعطى صاحبه قليلاً، وأكدى: بخل بالباقي، عن مجاهد. وقيل: أعطى الوليد قليلاً من الخير، ثم أكدى: قطعه، عن مقاتل.

وقيل: نزلت في رجل قال لأهله: جهزوني أنطلق إلى محمد أصب منه خيراً، فلقبه بعض الكفار، وقال له: أعطني جهازك، وأحمل عنك إثمك، ففيه نزلت الآية، عن عطاء بن يسار.

وقيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي، كان ربما يوافق النبي ﷺ في بعض الأمور، عن السدي.

وقيل: نزلت في أبي جهل، قال يوماً: ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق، فذلك قوله: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ أي: لم يؤمن به، عن محمد بن كعب القرظي.

وقوله: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قيل: قال بعضهم: الله تعالى لا يعذبنا، وإنما يعاقب بدلنا هؤلاء الفقراء، فنزلت الآية ردّاً عليهم.

وقيل: كان بعضهم يحسن أعمالاً، ثم يقول: صلاتنا وصيامنا وحجنا، ففيهم نزلت، عن الكلبي، ومقاتل.

(١) التزكي: المعى، ك.

(٢) فلا: ولا، د، ك.

## المعنى

لما تقدم الوعد والوعيد بيّن أنه مالك الدارين، القادر على الجزاء، وبيّن كيف يجازي، فقال - سبحانه -: «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» ملكًا وخلقًا، وقيل: المراد بما في السموات هو الجنة، وبما في الأرض النار، فبين أن الجنة والنار من مقدوراته، معدة للجزاء، والأول أوجه لعمومه. «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى» يعني لَمَّا كان مالكا، فإنما كَلَّفَ لِيَجْزِيَ، وقيل: عاقبتهم الجزاء، وقيل: أقسم أنه يجازي المسيء بعمله، والمحسن بعمله، والحسنى قيل: الجنة، وقيل: الإحسان.

ثم وصف الذين أحسنوا، فقال - سبحانه -: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ» قد تقدم البيان للكبائر ما قيل فيه، والصحيح عندنا أن الكبير ما يزيد عقابه على ثواب فاعله<sup>(١)</sup>، كالقتل والزنا، ونحو ذلك، وقيل: ما لا يكفره إلا التوبة. والفواحش: كل قبيح فاحش، وهو أوجه، وقيل: هو الزنا «إِلَّا اللَّمَمَ» اختلفوا فيه، فالذي عليه مشايخنا أنه الصغائر من الذنوب، عمداً أو سهواً، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، وهو قول أبي علي، وأبي مسلم، والقاضي.

فأما المفسرون، فمنهم من يجعل ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ من الكبائر، ويجعل الاستثناء حقيقة، ثم اختلفوا، فقيل: اللمم أن ياتي بفاحشة أو كبيرة ثم يتوب ولا يصر، عن أبي هريرة، ومجاهد، والحسن، وأبي صالح، وروي نحوه عن ابن عباس، وقيل: اللمم ما دون الشرك، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص.

ومنهم من يجعل الاستثناء منقطعاً، ولا يجعل اللمم من الكبائر، ويقول: معناه لكن اللمم، ثم اختلفوا، فقيل: هو ما سلف في الجاهلية لا يؤاخذهم بها، وكان المشركون يقولون للمسلمين: إنهم كانوا معنا بالأمس، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم، وروي نحوه عن ابن عباس.

(١) فاعله: صاحبه، د، ك.

وقيل: هو صغار الذنوب، كالنظرة والقبلة، مِنْ أَلَمَّ بالشَّيْءِ: إذا لم يدخل فيه، عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة، ومسروق، والشعبي.

وقيل: ما هو بين الحدين، حد الدنيا وعذاب الآخرة، عن ابن الزبير، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، والكلبي، يعني ليس فيه حد، ولا يكثر فيه عذاب.

وقيل: اللمم: عادة النفس حينًا بعد حين، عن عطاء بن أبي رباح.

وقيل: هو ما هم على القلب، أي: خطر، عن سعيد بن المسيب، وهو حديث النفس من غير عزم؛ لأن العزم على الكبير كبير، وروي نحوه عن ابن الحنفية، وروي مرفوعًا: «إن للشيطان لمة، وأن للملك لمة، فلمة الشيطان الوسوسة، ولمة الملك الإلهام».

«إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ» أي: كثير المغفرة لا يتعاضمه ذنب، فيغفر الصغير والكبير ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقيل: مغفرته أنه يمهل للتوبة ولا يعاجل بالعقوبة «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ» وبأحوالكم، قيل: لضعفكم أسقط عنكم الصغائر، وفتح باب التوبة للكبائر، وقيل: هو أعلم بتفاصيل أموركم، وأعمالكم يجازيكم بها، وقيل: هو أعلم بأصحاب الصغائر، وأصحاب الكبائر، فيجازيهم بما يستحقونه «إِذْ أَنْشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ» أي: خلق أباكم آدم من التراب «وَإِذْ أَنْتُمْ<sup>(١)</sup> أَجْنَتٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ» قيل: معناه: وإن كنتم أجنة في الأرحام، يعني مَنْ عَلِمَ تفاصيل أحوال<sup>(٢)</sup> الجنين، وكيفيته لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وقيل: إذا علم تفاصيل ما في الأرحام فيقدر على خلقه، فكذلك يقدر على إحياء الأموات وجمع أجزائها؛ لأنه عالم بتفاصيل ذلك «فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ» قيل: لا تمدحوا<sup>(٣)</sup>، عن ابن عباس، وجماعة، وقيل: التزكية أن يعتقد أنه المحق، وغيره المبطل من غير علم بذلك حقيقة، وقيل:

(١) أنتم: كنتم، د، ك.

(٢) أحوال: أجزاء، ك.

(٣) لا تمدحوا: لا تمرحوا، د.

لا تزكوا أنفسكم بما ليس فيها، عن أبي علي، وهو أحسن ما قيل فيه، وقيل: هو تزكية النفس على جهة<sup>(١)</sup> الاستطالة، فلا يجوز، فأما وصف النفس بما فيها على وجه التحدث بنعم الله، فيجوز عند أبي هاشم، «هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى» أي: هو أعلم بالحقائق، فالمتزكي من يزكيه هو، «مَنْ اتَّقَى» قيل: اتقى الشرك والكبائر، وقيل: عمل حسنته، وارعوى عن السيئة، عن علي عليه السلام، وقيل: أخلص العمل، عن الحسن. «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى. وَأَعْطَى قَلِيلًا» أي: أعرض عن الدين، «وَأَعْطَى قَلِيلًا»، قيل: أنفق المال قليلاً، وقيل: أعطى الإيمان والطاعة «وَأَكْثَى» قيل: ثم قطع ذلك وأمسك، ولم يقم عليه، وقيل: قطع العطاء، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: هو المنافق، يعطي قليلاً في الجهاد، ثم يمتنع<sup>(٢)</sup> «أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى» قيل: أعنده علم الغيب فهو يعلم أن المؤمنين لا يظفرون بغنيمة، «ويرى» بمعنى يعلم، عن أبي علي، وقيل: أعنده<sup>(٣)</sup> علم المصالح، فهو<sup>(٤)</sup> يعلم<sup>(٥)</sup> أن البخل خير له<sup>(٦)</sup>، وقيل: أعنده علم الغيب أنه يعذب الفقراء بدل الأغنياء، وقيل: أَعْلِمُوا الْغَيْبَ حَتَّى زَكُوا أَنفُسَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ.

### الأحكام

تدل الآيات أن ما تقدم من الوعد والحسن موقوفة على اجتناب المعاصي، والفواحش على ما نقوله في الوعيد.

ويدل قوله: «ليجزى» أن الثواب والعقاب جزاء الأعمال، فيدل أن الإحسان والإساءة حادثة من جهتهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق وجزاء الأعمال.

(١) جهة: وجه، ك.

(٢) يمتنع: يمنع، ك.

(٣) وقيل: أعندهم: قيل: أعندهم، د، ك.

(٤) فهو: حتى، ك.

(٥) يعلم: يعلموا، ك.

(٦) له: لهم، د.

وتدل على أن في الذنوب صغائر؛ لذلك رتبها ثلاث مراتب<sup>(١)</sup>، فالللم صغيرة، خلاف ما يقوله بعض الخوارج أن كل ذنب كبيرة.

وتدل أن المغفرة تستحق باجتتاب الكبائر، فيصح قولنا في الوعيد.

ويدل قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا﴾ على قبح تزكية النفس، وقد بيّنّا ما قيل فيه، وشيخانا أبو علي وأبو هاشم وإن اختلفا في تزكية النفس كيف هي<sup>(٢)</sup> اتفقا أنه<sup>(٣)</sup> لا يجوز أن يشهد لنفسه بالجنة؛ لأنه لا يعلم أنه أدى ما كلف، ولا السرائر ولا العواقب.

قوله تعالى:

﴿أَمْ لَمْ يُبْنِ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۖ ﴿٣٧﴾ أَلَا نُزِرُ وَزْرًا ۖ وَزَرُ أُخْرَىٰ ۖ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۖ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَىٰ ۖ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَىٰ ۖ ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ۖ ﴿٤٢﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۖ ﴿٤٣﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۖ ﴿٤٤﴾ وَأَنْتَ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ ﴿٤٥﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۖ ﴿٤٦﴾ وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْأُخْرَىٰ ۖ ﴿٤٧﴾﴾.

### ❖ القراءة

قراءة العامة: «وفى» بالتشديد، وعن سعيد بن جبير: «وفى» بالتخفيف، معنى الأول أنه أتم، ومعنى الثاني: وفى بما وعد وعهد.

### ❖ اللغة

التوفية: إعطاء الشيء على التمام، وفى حقه توفية. والوزر: الثقل، وسمي الذنب وزرًا؛ لأنه يثقل على صاحبه.

(١) مراتب: رتب، د.

(٢) هي: هو، ت.

(٣) أنه: +، ك.

والجزاء : المكافأة، ويقال : جزيته الجزاء، وجزيته بالجزاء، قال الشاعر :

إِنْ أَجِزْ عَلْقَمَةَ بَنٍ سَعْدٍ سَعْيِهِ لَمْ أَجْزِهِ بِبَلَاءٍ يَوْمٍ وَاحِدٍ<sup>(١)</sup>

فجمع بين اللغتين، والجزاء<sup>(٢)</sup> والأجر من النظائر.

والمنتهى : المصير إلى حيث ينقطع العمل عنده.

وتمنى : تقديره مِنْ : مَنِيٌّ تُمْنَى فهو مانٍ : إذا قدر، ومنه : المنية ؛ لأنها مقدرة.

والنشأة : الصنعة المخترعة، أنشأ ينشيء إنشاءً : إذا ابتدع، وهما نشأتان : إحداها خلقه الخلق في الدنيا، والثاني : الإعادة.

### ❁ الإعراب

إنما قال : «وازره» ؛ لأنه ردها إلى النفس .

«الجزاء» نصب ؛ لأنه المفعول الثاني، والمفعول الأول الهاء .

### ❁ المعنى

ثم بيّن تعالى أنه يأخذ كل أحد بذنبه، خلاف ما قالوا، ردًا عليهم على ما تقدم، فقال - سبحانه - : «أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى» أي : لم يخبر بما في كتاب موسى، يعني أسفار التوراة «وَأِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى» كتاب إبراهيم الذي وفى، قيل : فعل ما أمره الله على التمام من تبليغ رسالته، وبيان شرائعه، عن سعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، وقيل : امتحن بذبح ولده، وإلقائه في النار، وتحمل الأذى من قومه، فوفى ما عليه من جميع ذلك، وقيل : وفّى في تبليغ الرسالة التي هي قوله : «أَلَّا<sup>(٣)</sup> تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»، عن ابن عباس، ومجاهد، وقال ابن عباس : وكانوا قبله يأخذون القريب بذنب القريب، والجار بذنب الجار، فنهاهم إبراهيم عن ذلك، وبلغه عن الله تعالى :

(١) البيت قائله مذكي بن أعبد يمدح علقة بن سيف؛ أنظر الجاحظ، البيان والتبيين، ح ٣، ص ٢٣٣.

(٢) والجزاء : كلمة غير واضحة في د.

(٣) ألا : أن لا، د، ك.



«الْأَلَّا<sup>(١)</sup> تَزُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى» ونحوه، عن مجاهد. وقيل: تَحْمَلُ ما أَمَرَ به وبلغ، عن الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد. وقيل: وفي بما فرض عليه، عن مجاهد، وقيل: وفي رؤياه، وقام بذبح ابنه، عن الربيع، وقيل: شرائع الإسلام، وهي قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]. وقيل: أدى الأمانة، عن سفيان بن عيينة، وقيل: وفي أمور المناسك، عن الضحاك، وقيل: كان حلف لا يسأل مخلوقا شيئاً، فلما قذف في النار، أتاه جبريل، وقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، ثم قيل: وفي، عن عطاء بن السائب. وقيل: قام بشرط<sup>(٢)</sup> ما ادعى؛ لأنه قال: أسلمت، فابتلي في ماله ونفسه وولده، فوجد وافياً في كل ذلك. «الْأَلَّا تَزُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى» أي: لا يحمل على أحد عقاب غيره ولا ذنبه. ونظم الآية: ولا<sup>(٣)</sup> يحمل حامل حمل غيره.

«وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» أي: لا ينفع إلا بعمله «وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى» قيل: يراه مكتوباً في ديوانه، وقيل: سوف يرى جزاء يوم القيامة «ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى» أي: يكافأ على سعيه الجزاء الأكمل؛ لأنه ثواب دائم في دار البقاء، وقيل: يعرف أعماله ثم يجازى عليها؛ لأن (ثم) للتعقيب «وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى» أي: المرجع إلى الموضع، الذي لا ينفذ فيه<sup>(٤)</sup> حكم أحد إلا حكمه تعالى، وقيل: إلى ثوابه وعقابه ينتهي الخلق، وقيل: منه ابتداء المنة، وإليه تنتهي الآمال، وقيل: إليه منتهى<sup>(٥)</sup> الفكر، فلا فكرة في الرب، وروي مرفوعاً، وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «إذا ذكر الرب فانتهوا»، وروي: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، فإنه لا يحيط به الفكرة».

«وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى» قيل: فعل سبب الضحك والبكاء، كما يقال:

(١) ألا: أن لا، د، ك.

(٢) بشرط: فشرط، ك.

(٣) ولا: لا، ك.

(٤) فيه: -، ك.

(٥) منتهى: تنتهى، د.

أضحكني فلان، وأبكاني فلان، عن عطاء، والأصم، وأبي علي، فأضحك بما أعطى من اللذات والمسرات، وأبكى بالمصائب والأحزان، وقيل: أضحك أهل الجنة في الجنة<sup>(١)</sup>، وأبكى أهل النار في النار، عن مجاهد، وقيل: أضحك الأشجار بالأنوار، وأبكى السحاب بالأمطار، وقيل: أضحك المطيع بالرحمة، وأبكى العاصي بالسخط، وقيل: أضحك المؤمن في الآخرة، وأبكاه في الدنيا، وقيل: هو هذا الضحك والبكاء، يعني أنه خلقهما، وهذا لا يصح؛ لأنه فعل العبد «وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا» قيل: هو القادر على أن يحيي ويميت، وقيل: أَمَاتَ في الدنيا، وأَحْيَا في القيامة، وقيل: أَمَاتَ قومًا، وأَحْيَا قومًا، وقيل: أَمَاتَ الآباء، وأَحْيَا الأبناء «وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى» قيل: تخرج من الرجل وتنصب في الرحم، عن عطاء، والضحاك، وأبي علي، يقال: أَمْنَى إذا خرج مَنِيُّه، كما يقال: أُنْجَى إذا<sup>(٢)</sup> خرج منه النجو، وقيل: تُمْنَى تقدر منه الولد، عن جماعة.

ومتى قيل: فما الفائدة في ذكر النطفة؟

قلنا: إذا كان المقدور في الرحم ماء مهينًا، ثم يخرج منه بشرًا سويًا حيًا، فإنه يدل على صانع مختار، ولأنه إذا كان الماء واحدًا، والرحم واحدًا، والمخلوق به يختلف، فمن لحم، وعظم، وشعر<sup>(٣)</sup>، وجلد، فدل أنه يتعلق بقادر، عالم، حي مختار.

«وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَى» أن عليه أن يبعث الناس أحياء يوم القيامة للجزاء.

ومتى قيل: أليس (على) كلمة إيجاب، فكيف يجب عليه؟

قلنا: إذا كلف وضمن الثواب، وآلَمَ وضمن العوض، ولم يعوض في الدنيا، وخلق بين المظلوم والظالم، فلا بد من دار أخرى يقع فيه الجزاء والانتصاف، ولأنه تعالى وعد به، فوجب أن يفي به.

(١) في الجنة: +، ك.

(٢) إذا: -، ك.

(٣) وشعر: وسحر، د.

## الأحكام

الآيات تدل على أحكام عقلية وأحكام شرعية:

أما العقلية:

فتدل على أنه لا يؤخذ أحد بذنب غيره، ولا ينتفع أحد بعمل غيره، فيبطل قول المجبرة من وجوه في مسائل:

أولها: قولهم: إن أطفال المشركين يعذبون بذنوب آبائهم.

وثانيها: قولهم: إنه يعذبهم على فعل خلقه فيهم واضطهرهم إليه.

وثالثها: قولهم: إنه يثيب المطيع بطاعة هو الفاعل والخالق<sup>(١)</sup> لها.

ورابعها: قولهم: إنه يحمل ذنوب بعض العباد على بعض، فيعذب الكفار بذنوب المؤمنين<sup>(٢)</sup>، ويثاب المؤمنون بأعمال الملائكة.

وخامسها: قول بعضهم: إنه يجوز أن يعذب الأنبياء، ويثيب الفراعة.

وسادسها: قولهم: إن طاعات الظلمة تدفع إلى خصومهم، فإن بقي شيء حمل عليهم من ذنوب خصومهم.

وتدل أن جميع ذلك مكتوب في الصحف المتقدمة؛ لأن ما كان واجباً، أو قبيحاً، أو حسناً في العقل لا تختلف فيه الشرائع.

ومتى قيل: أليس روي عن ابن عباس أن الآية منسوخة، وأن الأبناء يدخلون الجنة بصلاح الآباء؟ وعن عكرمة: أن ذلك في ملة إبراهيم وموسى، وأما في ملتنا، فلهم ما سعوا، أو<sup>(٣)</sup> لهم ما سعى لهم غيرهم؟ أليس النبي ﷺ «أمر الخشعية أن تحج عن أبيها»<sup>(٤)</sup>، وحديث سعد قال: هل لأمي إن تطوعت عنها؟ قال: «نعم». وعن الربيع بن أنس: أن هذا في الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى، وما سعى له<sup>(٥)</sup>؟

(١) الفاعل والخالق: الخالق والفاعل، ك.

(٢) المؤمنين: المسلمين، ك.

(٣) أو: وليس، ك.

(٤) أبيها: ابنها؛ د، أمها، ت، ك.

(٥) وما سعى: وأن ما سعى، ت، د، ك؛ وما أثبتناه من تفسير البغوي، ٤١٦/٧.

قلنا: ظاهر القرآن لا يترك لخبر واحد لا يعلم صحته، خصوصًا: إذا دل العقل على ما دل عليه القرآن؛ وذلك لأن<sup>(١)</sup> الثواب نعم<sup>(٢)</sup> مع التعظيم، والتعظيم لا يجوز إلا للاستحقاق، والاستحقاق بفعله، والعقاب آلام يقبح به<sup>(٣)</sup>: إذا فعل به لفعل غيره، وكما لا يقطع أحد إلا السارق، ولا يجلد إلا الزاني، كذلك لا يعاقب إلا من أذنب. وتدل الآية على أنه تعالى يختص بالقدرة على الحياة والموت، والعقل يدل عليه أيضًا، وكذلك خلق الزوجين، والنشأة الأخرى.

#### أما<sup>(٤)</sup> الأحكام الشرعية:

فتدل على أن من دخل عليه صلاة أو حج أو زكاة، ومات ولم يوص به، قال أصحابنا: إذا أوصى بالحج، فحُجَّ عنه له أجر النفقة، ومنهم من قال: يلحقه الحج، وإذا أوصى فإنه يلحقه بالاتفاق؛ لأنه لما فعل بأمره كان كفعله<sup>(٥)</sup> بنفسه، وأجمع أصحابنا أنه وإن أوصى لا يُصلَّى عنه، ولا يصوم، ولكن يكفّر. وفي الحج يحج عنه كفعله بالاتفاق، وعن الشافعي: يصوم عنه وليه.

وأما الدعاء فهو بمنزلة الشفاعة، ولأنه لما علمه ورباه، أمر بالدعاء له، بقوله: ﴿رَبِّ أَرْحَمَهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٤] فهو بمنزلة ما لو أوصى به.

ومتى قيل: أليس إذا أحرم، ثم أغمي عليه، فإنهم<sup>(٦)</sup> يوقفونه في المواقف، ويطاف به، وعند أبي حنيفة: إذا أغمي قبل الإحرام يحرم عنه رفقاًؤه؟.

قلنا: وجد الأمر منه من طريق العادة، فصار كما لو وجد نطقاً.

فأما قوله: ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ فحمله أبو علي على سببهما، وجعل الضحك والبكاء فعل العبد، وأما الحسن فحمل على نفس الضحك والبكاء على أنه خلق له تعالى.

(١) لأن: أن، ك.

(٢) نعم: نعم، د.

(٣) به: -، ك.

(٤) أما: فأما، ك.

(٥) كفعله: كقوله، د.

(٦) فإنهم: فإنه، ت، د، ك.

ومتى قيل بالأول فجوابنا أن الضحك فعل العبد، ولذلك يتعلق به التكليف والمدح والذم، وقد وردت أخبار في مدح الباكين، وذم الضحك، وقال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢]. فأما البكاء فاسم لمجموع أمور: فالأئین وما یقف علی قصد العبد فعله، وأما جریان الدموع فعل الله تعالى؛ لذلك لا یقف علی اختیاره، وقد یطلق علی البكاء، وإن لم یکن ثمّ دمع، والصحيح ما قاله أبو علي.

ویدل قوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْآخِرَى﴾ علی وجوب البعثة لأهل الثواب والأعواض، لأن (علی) كلمة إيجاب، فیطل قول من قال: لا یجب علیه شيء. وتدل علی الفناء؛ لأن النشأة الثانية لا تكون إلا بعد إفناء، وما<sup>(١)</sup> یبقى لا یتنفي إلا بضد أو ما یجری مجری الضد، فتدل أنه یفني الخلق ثم یعيده. ومتى قيل: کیف الخلاف لهم؟

قلنا: منهم من یقول: الجواهر بعد وجودها لا تنفی، وینکرون الفناء، ومنهم من یقول: یعدمها الله، وهو قول أبي الحسین الخياط، ومنهم من یقول: لا یخلق فیہ البقاء فتتنفي، عن أبي القاسم، ومنهم من یقول: یخلق فیها أکواناً لا تنفی<sup>(٢)</sup>، فإذا عدمت لا یخلق فیها الأكوان، فتتنفي الجواهر.

فأما الإعادة: فعندنا یوجدھا الله تعالى لا بمعنی كما أوجدھا أولاً، لا بمعنی، وعند بعضهم الموجود یوجد بإيجاد، والمعاد یعاد لعلة هي الإعادة. وقولهم یؤدي إلى تسلسل المعاني.

(١) وما: ما، ك.

(٢) تنفی: تبقى، ت، د، ك.

قوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۖ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ۚ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۖ (٥٠)  
وَتَمُودًا مَّا أَتَىٰ ۖ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۖ (٥٢) وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَىٰ  
(٥٣) فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۖ (٥٥) هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ  
(٥٦) أَزِفَتِ الْأَافَاقُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۖ (٥٨) أَفَرَأَيْتَ هَذَا الْخَلْقَ يَتَعْجَبُونَ  
(٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۖ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ۖ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۖ (٦٢) ۝﴾ .

### ❦ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع في رواية<sup>(١)</sup>، وأبو عمرو، ويعقوب: «عَادَ لَوْلَى» مدغمة غير منونة ولا مهموزة، وقرأ الباقون: «عَادَا الْأُولَى» منوناً غير مدغم ولا مهموز، فالإظهار على الأصل، والإدغام فإنه ألقى حركة الهمزة على اللام، فانضمت ولقيتها النون فأدغمت في اللام، ونظيره قول العرب: قُمْ الْآنَ<sup>(٢)</sup> عنا، يريدون قم الآن، وصم اثنين، أي: صم الإثنين.

وقرأ عاصم في رواية حفص وحمزة ويعقوب: «وَتَمُودَ» بغير تنوين، واختلف عن أبي بكر عن عاصم. الباقون: بالتنوين، وقد بينا ذلك، قال الفراء: ﴿وَأَيُّنَا تَمُودَ الْتَافَةً﴾ [الإسراء: ٥٩] ترك إجراؤها؛ لأنها ليس فيها ألف.

### ❦ اللغة

الْقُنْيَةُ والقُنْيَانُ قال: يجعلهما أصلاً له، ويلزمه، وأصله: جعل الشيء للنفس على اللزوم، ويقال<sup>(٣)</sup>: قَنِيتُ الشيءَ أَقْنَاهُ إذا لزمته<sup>(٤)</sup>، ومنه القناة، ألفها واو،

(١) رواية: الرواية، د.

(٢) الآن: لان، د، ك؛ وما أثبتناه من تفسير التبيان للطوسي ٤٣٧/٩.

(٣) ويقال: يقال، ك.

(٤) لزمته: لزمته، د، ك، وما أثبتناه من الزاهر، ١٥٨/١.

وجمعها: قنوت؛ لأنها مما يقتنى، ومنه الأقنى، والقنى: أخذ تراب في الأنف، وقنى الشيء<sup>(١)</sup> واقتناه: إذا أمسكه لنفسه لا لتجارة للزومه له، والمَقْنُوَّةُ مهموزة وغير مهموزة.

والظل: الذي لا تصيبه الشمس، كأن الظل لازم له، وأحمر قان للزوم لونه، وأقنى: أعطى.

والشعري: كوكب خلف الجوزاء يتبعه، وهما الشُعْرَيَان: العبور، والغَمِيضَاء. ومن خرافات العرب أن سهيلاً والشعريين كانت مجتمعة، وسهيل صار يمانياً، فتبعته<sup>(٢)</sup> الشعري العبور وعبر المجرة، فسمي عبوراً، وأقامت الغميصا، فبكت لفقد سهيل، حتى غمضت عيناها فسميت الغميصاء.

والمؤتفكة: المنقلبة، وهو الذي يصير أسفلها أعلاها<sup>(٣)</sup>، ائتفك ائتفاكاً، ومنه: الإفك؛ لأنه قلب المعنى عن وجهه، وأصله: صرف الشيء عن وجهه، ومنه: الإفك، وهو الكذب.

والمرية: الشك، امترى وتمارى شك.

والآزفة: الدانية، أزفت: دنت، وأزف الرحيل: دنا، والآزفة: القيامة لدنوها، قال الشاعر:

بَانَ الشَّبَابُ وَأُمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَزَفَا      وَلَا أَرَى لِشَبَابٍ ذَاهِبٍ خَلْفًا<sup>(٤)</sup>  
والكاشفة: من كشف يكشف: إذا زال الستر.

والشُمُودُ: اللهو، والسامد اللاهي، سَمَدٌ يَسْمِدُ شُمُودًا فهو سامد، ويقال للجارية: اسْمُدِي لَنَا، أي غَنِّي.

(١) الشيء: بالشيء، د، ك.

(٢) فتبعته: فتبعه، ك.

(٣) أعلاها: أعلى، د.

(٤) البيت قائله كعب بن زهير، أنظر ديوان كعب بن زهير، تحقيق درويش الجويدي، ص ٧٣، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨.

## الإعراب

نصب «ثمود»<sup>(١)</sup> بـ (أهلك)، ولا يجوز نصبه بقوله: «فَمَا أَبْقَى» لأن (ما) لا يعمل ما بعدها في ما قبلها، لا يجوز: زيدًا ما ضربت؛ لأنها من الحروف التي لها صدر الكلام، وإنما قال: ﴿كَاشَفْتُ﴾ قيل: أراد جماعة كاشفة، أو نفس كاشفة، ويجوز أن تكون مصدرًا، كالكافية، والعافية، والواقية، فتقديره: ليس لها كشف، وقيل: كاشفة بمعنى الإنكشاف، كقوله: ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]، ﴿وَلَا نَزَالُ تُطْلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ﴾ [المائدة: ١٣] أي: خيانة، وقيل: فيه حذف أي: آلهة كاشفة، وقيل: دخلت الهاء للمبالغة، كقولهم: علامة ونسابة.

## النزول

روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَلَا يَبْكُونَ﴾ بكى أهل الصفة، فقال ﷺ: «لا يلج النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنة من بكى في معصية الله». وروي أنه لما نزلت هذه الآية: ما روي النبي ﷺ ضاحكًا.

## المعنى

ثم عدّ نعمه عليهم، وأوعدهم بعقابه إن كفروا، وحذرهم الغفلة، فقال سبحانه وتعالى: «وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى» قيل: أغنى بالمال، وأقنى بأصول الأموال، عن أبي صالح، كأنه جعل ذلك قنية لهم؛ ليكون له ولنسله وعقبه. وقيل: أغنى بالأموال، وأقنى أخدم، عن الحسن، ومجاهد، وقتادة، وقيل: أغنى بالمال، وأقنى أرضى بما أعطى، عن ابن عباس، وقيل: أغنى أكثر، وأقنى: أقل، عن ابن زيد، وتلا: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٢٦، الإسراء: ٣٠، الروم: ٣٧، سبأ: ٣٦، الزمر: ٥٢، الشورى: ١٢]. وقيل: أغنى بالمال، فيتناول أصول النعم وفروعها، وقيل: أغنى واحدًا بالملك، وأقنى آخر بالقناعة، وقيل: أغنى واحدًا بأن أعطاه ما يكفيه، وأقنى آخر بأن

(١) في د: ثمودا.



زاد على قدر الكفاية، وقيل: أغنى بعد الفقر، وأقنى أفاد الأموال التي تقتنى، عن أبي علي. «وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى» أي: خالقه ومالكه، فلا ينبغي أن يعبد المربوب ويتخذ إلهاً، والشعري نجم مضى، وقيل: النجم الذي خلف الجوزاء، وكانوا يعبدونه في الجاهلية، عن مجاهد، وقتادة. وقيل: كانت خزاعة تعبدها، وبين ذلك لهم رجل يقال له: أبو كبشة. «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى» قيل: هو عاد بن إرم، وهم الذين أهلكوا ببغي بعضهم على بعض، ففتنوا بالقتل، عن ابن إسحاق، وقيل: هم قوم هود أهلكوا بالريح، والأولى الأسبق، وقيل: هم عادان، الأولى أهلكت بالصيحة، وهو صاحب إزم، والثانية أهلكت بالريح العقيم، وقيل: أولى لأنها أول الأمم هلاكاً بعد قوم نوح، وقيل: كان ثمود بقايا عاد، فكان عاد الأولى هم قوم هود، والثانية: ثمود «فَمَا أَبْقَى» أي: قوم صالح أهلكوا بالصيحة، فما أبقي منهم أحداً، «وَقَوْمَ نُوحٍ» أي: أهلكنا قوم نوح «مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل هؤلاء «إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى» أي: أشد ظلمًا، وأشد بغيًا وتعديًا في حدود الله، وإنما وصفهم بذلك، قيل: لأنه طالت مدتهم، وكثرت دعوة الأنبياء لهم، فكثرت تكذيبهم وردهم، فكانوا أظلم، وقيل: لم يكن قوم أطغى من قوم نوح، دعاهم نبي الله ألف سنة إلا خمسين عامًا، فكان آخرهم كأولهم، وقيل: كان الأب يوصي الابن بالآل<sup>(١)</sup> يقبل منه<sup>(٢)</sup>، فيتواصوا<sup>(٣)</sup> لذلك.

واختلفوا في «أظلم» قيل: ظلموا أنفسهم بما فعلوا، وقيل: ظلموا رسولهم، وقيل: ظلموا الآيات بالجحود.

«وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى» أي: المنقلبة أهوى ترابها في الهواء، وهي قريات قوم لوط، قيل: سدوم، رفعها جبريل إلى السماء ثم أهوى بها، عن مجاهد، وقتادة، وقيل: أربع قرى: صبور، ودادوما، وعامورا، وسدوم «فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى» قيل: غشاها

(١) بالآل: بأن لا؛ ت، د، ك.

(٢) منه: +، ك.

(٣) فيتواصوا: فيتواصون؛ ت، د، ك.

الحجارة المسومة، وقيل: غشاها من العذاب ما غشى، وفيه تعظيم لذلك الأمر، وقيل: أهوى أهلك، وقيل: نزل من الهواء إلى الأرض، ولا يقال فيما نزل في درجة أو سلم: أهوى، وقيل: خسف بهم الأرض، عن أبي علي. «فَبَآئٍ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى» أي: بأي نعم ربك تشكُّ أيها الإنسان بنعم الدين، أو بنعم الدنيا، وقيل: بنعمه عليكم أنه لم يهلككم وأهلك الأمم قبلكم<sup>(١)</sup>، وأخبركم بها زجرًا لكم «هَذَا نَذِيرٌ» أي: مخوف لهم عن أفعال يستوجبون العذاب بها، وأنه ينزل بهم ما نزل بأولئك، وقيل: هذا كناية عن النبي ﷺ، عن قتادة، وقيل: عن القرآن، عن ابن مالك، وقيل: هذه الأخبار التي أخبر بها عن هلاك الأمم، عن أبي علي. «مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى» من الأنبياء الذين خوفوا أممهم، قد أرسل إليكم كما أرسل إليهم، وقيل: هذا الذي في صحف موسى وإبراهيم. «أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ» أي: دنت الدانية، وهي القيامة؛ لأن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء، ومجيئه من علامات الساعة «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ» أي: لا أحد يظهرها ويعينها غير الله عز وجل، وقيل<sup>(٢)</sup>: ليس لها من دون الله راد<sup>(٣)</sup>، عن قتادة. «أَفْمِنَ هَذَا حَدِيثٍ تَعَجَّبُونَ» خطاب للمشركين من قريش والعرب، يعني من حديث البعث والنشور والقيامة والجزاء، وقيل: من القرآن، وكونه معجزًا<sup>(٤)</sup>، عن أبي علي، وقيل: من ادعائه النبوة إنكارًا، «وَتَضَحَّكُونَ» استهزاء، «وَلَا تَبْكُونَ» خوفًا، يعني: كان ينبغي لكم أن تبكوا خوفًا من ذلك «وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ» قيل: لاهون معرضون<sup>(٥)</sup>، عن ابن عباس، وقيل: هو الغناء، وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا، عن عكرمة، وقيل: أشرون بطرون، عن الضحاك، وقيل: معرضون عصبية، عن مجاهد، وقيل: السُّمُودُ: القيام بغير فائدة، ومنه حديث النبي ﷺ أنه خرج، والناس قيام ينتظرون الصلاة فقال: «ما لي أراكم سامدين».

(١) قبلكم: -، ك.

(٢) قيل: +، ك.

(٣) راد: راده، ت، د، ك.

(٤) معجزا: معجزة، د.

(٥) معرضون: لا تخبرون، ت، د، ك. وما أثبتاه من الطبرسي، ٩، ٢٧٧، الدر المشور، ٩/٣٣٦.

ثم أمرهم بترك الغفلة والإقبال على العبادة، فقال سبحانه: «فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا» قيل: أراد الصلاة وغيرها من عباداته التي أمر بها، عن أبي علي.

### ❁ الأحكام ❁

تدل الآية على وجوب الاعتراف بنعمه، وأداء شكره، وعظيم الإثم في الشك فيه، فلذلك قال: ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكَ نَتَمَارَى﴾.

وتدل على أن القيامة تقوم على دابر<sup>(١)</sup> هذه الأمة، ولا نبي ولا شريعة بعد هذه الشريعة، وذلك معلوم من دين النبي ﷺ ضرورة.

وتدل على قبح الضحك خصوصاً فيما يرجع بالاستهزاء بالدين، فإن ذلك كفر.

وتدل على وجوب التمسك بالصلاة والعبادات، وترك الغفلة.

---

(١) دابر: رأس، ك.

## سُورَةُ الْقَمَرِ

سورة (القمر) مكية فيما ذكره المفسرون، وهي خمس وخمسون آية.

وعن أبي، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ في كل غداة بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر، ومتى قرأ في كل ليلة جاء يوم القيامة ووجهه يسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة».

ولما ختم سورة (النجم) بذكر القيامة، افتتح هذه السورة باقترابها، وذكر علاماتها، وأنها ظهرت، وهو انشقاق القمر، ومجيء الرسول ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ  
﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ  
الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾.

### ❁ القراءة

قراءة العامة: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ، قال ابن كيسان: تقديره<sup>(١)</sup>: انشق القمر واقتربت الساعة. وقرأ حذيفة: (اقتربت الساعة وقد انشق القمر).

(١) تقديره: وتقديره، ك.

قراءة العامة: «مستقر» بكسر القاف ورفع الراء نعتاً لـ «كلّ»، وقرأ أبو جعفر بكسر الراء على أنه نعت للأمر، وحكى أبو حاتم عن شيبه ونافع: «مستقر» بفتح القاف، يعني لكل أمر مستقر، نحو قوله: ﴿لِكُلِّ نَبَرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧] أي: غاية ونهاية ينتهي إليها، فيستقر فيها، وهاتان القراءتان مع أنهما شاذتان<sup>(١)</sup> ليس لهما وجه صحيح.

### اللغة

اقتربت: «افتعل» من القرب، ومعناه: قرب، إلا أن في اقتربت<sup>(٢)</sup> زيادة مبالغة؛ لأن أصل افتعل إعداد المعنى بالمبالغة، نحو: اشتوى: اتخذ شواء بالمبالغة، في إعداده، وكذلك اتخذ من أخذ.

والمستمر: فيه قولان، قيل: أخذ من الشدة من إمرار الحبل، وهو شدة قتله، ومنه: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦] أي: ذو قوة، وأمريت الحبل: قتله، والمرة شدة الفتل، والأمران: الهرم والمرض لشدةتهما، وقيل: هو مأخوذ من مر يمر أي: مضى وذهب، عن الفراء.

والهوى: رقة القلب بميل الطبع كَرَقَةً، هواء الجو، هَوَى يَهْوِي هَوًى: إذا مال طبعه، وهوى هوى النفس مقصور، وهواء الجو ممدود، ويجمع: أهوية، وهَوَى يَهْوِي: إذا انحدر في الهواء، والمصدر الهَوِيّ، والاسم الهاوي.

والاستقرار: التمكن، استقر فهو مستقر.

والمُزْدَجَرُ: «مفتعل» من الزجر، إلا أن التاء أبدلت دالاً لتُواخِي الزاي<sup>(٣)</sup> في الجهر، مع أن الدال من مخرج التاء، وكل ذلك لتعديل الحروف، ولكيلا تتنافر، والزجر مصدر زجرته أزجره زجراً فانزجر، أي: نهيته، فانتهى.

(١) شاذتان: شاذ؛ د، ك.

(٢) اقتربت: اقترَب، ك.

(٣) الزاي: الزاء، د.

### الإعراب

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ استقر فهو مستقر .

«حكمة» رفع بتقدير : هي حكمة بالغة .

و(ما) في قوله : ﴿فَمَا<sup>(١)</sup> نَعْنِ الْنُّذُرُ﴾ يجوز فيه وجهان : الجحد ، وبمعنى : أي

شيء .

### النزول

قيل : سأل جماعة قريش رسول الله ﷺ ، فأراهم القمر شقين ، حتى رأوا حراء بينهما ، عن أنس .

وقيل : انشق القمر ، فقالت قريش : هذا سحر ، ابن أبي كبشة سحرهم ، فأسألوا السُّفَّارَ ، فسألوهم ، فقالوا : نعم رأينا ، ففي ذلك نزلت الآية ، وروي أنهم سألوا العوالي عن ذلك ، فأقروا به .

### المعنى

«اقتربت الساعة» أي : قربت القيامة بخروج خاتم الأنبياء ، وآخر الأمم ، وهذا هو الأوجه ، وعليه جماعة المفسرين . وقيل : اقتربت ساعتهم يوم بدر ، فإنهم يهلكون بالسيف «وَانشَقَّ الْقَمَرُ» قيل : انشق القمر بمكة فلقين<sup>(٢)</sup> ، فلقه فوق الجبل ، والأخرى أسفل من الجبل ، فقال ﷺ : «اللهم فاشهد» ، وقال أيضًا : «اشهدوا» ، عن ابن مسعود ، وروى انشقاق القمر ابن مسعود ، وابن عمر ، وأنس ، وحذيفة ، وابن عباس ، وجبير بن مطعم ، ومجاهد ، وإبراهيم ، وهو قول أبي علي وجماعة . وقيل : إنه ماض بمعنى المستقبل ، أي : سينشق عند قرب الساعة ، قالوا : ولو انشق لرآه كل أحد ، ولاشتهر ، عن الحسن ، وعطاء ، والأصم ، وأبي القاسم ، وهذا لا يصح ؛ لأنه خلاف الظاهر ، ولأنه اشتهرت الرواية فيه .

(١) فما : ما ، د ، ك .

(٢) فلقين : فلقين ؛ د ، ك .

ومتى قيل : فهلا رآه أهل البلدان؟

قلنا: القمر قد ستره الغيم، ورُئي في موضع دون موضع، ولأنه كان بالليل وقت نوم وغفلة، فلم يشتهر، ولم يره كل أحد، ولأنه لم يلبث وقت الانشقاق؛ بل كانت ساعة؛ لذلك لم يشتهر، على أنه كان مشهوراً بينهم؛ لأنه ﷺ كان يقرأ عليهم هذه السورة ولا ينكره منكر، ولا يكذبه أحد مع كثرة الأعداء وحرصهم على تكذيبه، وقيل: انشق القمر، أي اتضح الأمر، وهكذا عادة العرب، إذا وصفوا الأمر بالظهور، قالوا: هو كالشمس، ولأنه قال: «وَلِإِنْ يَرَوْا» ولم يقل: رأوا، عن أبي مسلم، وهذا لا يصح؛ لأن ما ذكره مجاز، فلا يعدل عن الحقيقة ولا مانع من حمله عليها.

«وَلِإِنْ يَرَوْا» أي: من عاداتهم إذا رأوا، وقيل: معناه إذا رأوا «آيَةً» أخرى قالوا سحر كما قالوا في هذه «وَلِإِنْ يَرَوْا آيَةً» له أي: معجزة وحجة على صدقه «يُغْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ» تمويه «مُسْتَمِرٌّ» قيل: ذاهب مضمحل ولا يبقى، عن مجاهد، وقتادة، والفراء، والكسائي، وقيل: مستمر محكم شديد قوي، عن أبي العالية، والضحاك، وقيل: غالب، عن قتادة، وقيل: نافذ ماض فيما يرويه، عن الربيع، وأبي علي، وقيل: باطل، عن أبي عبيدة، وقيل: يشبه بعضه بعضاً، وقيل: سحر مستمر من الأرض إلى السماء، وقيل: ثابت دال، عن الزجاج، وقيل: مُرٌّ. «وَكَذَّبُوا» يعني بآيات الله التي رأوها كانشقاق القمر وغيره، وقيل: بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ «وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» في التكذيب «وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ» قيل: أمر يثبت، فالحق يستقر ولا يبطل بتكذيبهم<sup>(١)</sup>، وقيل: من خير وشر مستقر، حتى يجازى به في الجنة أو في النار، عن قتادة، معناه: يستقر بأهل الخير الخير، وبأهل الشر الشر والعذاب، وقيل: لكل أمر منتهى، عن مقاتل، أي: ينتهي إلى غايته وقراره، وقيل: لكل أمر حقيقة، وحقيقة التصديق والتكذيب يُعْلَمُ بالثواب والعقاب في الآخرة، عن أبي علي، وقيل: كل ما قُدِّرَ كائن واقع لا محالة، لا يزول؛ بل يستقر قراره كما قدره تعالى «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ» يعني أهل مكة ومن حولهم «مِنَ الْأَنْبَاءِ» قيل: من أخبار الأمم الذين أهلکوا بأنواع العذاب «مَا فِيهِ» كفاية في الزجر عن الكفر والمعاصي، وقيل: هي القرآن الذي

(١) بتكذيبهم: تكذيبهم، ك.

جاءكم، وفيه من الحكمة البالغة والعظة الباهرة، ما فيه كفاية، وما فيه «مُزْدَجَرٌ» متناهي، عن مجاهد، وقيل: زجر كافٍ «حِكْمَةٌ بِالْعَةِ» يعني القرآن تام لا نقص فيه «فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ» أي: أي شيء تنفع النذر مع تكذيبهم وإعراضهم، والنذر قيل: الزواجر المخوفة، وآيات الوعد والوعيد<sup>(١)</sup>، وقيل: النذر: الرسل.

### ❁ الأحكام

يدل أول الآيات على قرب الساعة، وهي القيامة، ولا حد يذكر في القرب؛ لأن العرب تستعمل لفظ القرب على سبيل الإضافة، فتختلف باختلاف مواضعها.

وتدل على أن القمر انشق<sup>(٢)</sup> معجزة لنبينا - صلوات الله عليه -، وإليه ذهب شيخانا، خلاف ما يقوله جماعة: أنه لم يكن.

وتدل على ذم المعرض عن الأدلة، ووجوب التفكير.

وتدل أن اتباع الهوى في الدين مذموم، وليس بعده إلا اتباع الأدلة، وذلك يدل أن المعارف مكتسبة.

وتدل على أن الغرض من الزواجر والأنباء العظة، وإنما ينتفع به من يتفكر فيه، دون المعرض.

وتدل على أن قوله: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ واتباع الهوى، والتكذيب فعلهم، ليس بخلق الله<sup>(٣)</sup>؛ لاستحالة أن يخلق معجزة لرسوله، ثم يخلق في ألسنتهم أنها سحر، هذا ليس يفعله حكيم.

(١) الوعد والوعيد: الوعد والوعد، ك.

(٢) أنشق: انشقق؛ د، ك.

(٣) الله: لله، ك.



قوله تعالى:

﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ (٦) خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ  
الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾  
كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ  
فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ .

### القراءة

قرأ ابن كثير والحسن: «نُكْر» مخففة الكاف، والباقون مثقلة، وهما لغتان.  
وقرأ ابن عباس وابن عمر ويعقوب وحزمة والكسائي: «خُشَعًا أَبْصَرَهُمْ» بالالف  
وكسر الشين. الباقون: «خُشَعًا» بغير ألف على الجمع، قال الفراء: إذا تأخرت  
الأسماء عن الأفعال والصفات فلك فيه التوحيد والجمع، والتذكير والتأنيث، ومنه  
قول الشاعر:

وَشَبَابٍ حَسَنِ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارٍ بِنِ مَعَدٍّ<sup>(١)</sup>  
فمن وَحَدَ فلأنه في معنى الجمع، ومن جَمَعَ فلأنه صفات أسماء، ومن أَثَّ  
فلتأنيث الجماعة.

### اللغة

النُّكْرُ: الذي تاباه النفس، وهو المنكر، وأصله من الإنكار، وهو ضد الإقرار؛  
لأن النفس لا تقر بقبوله، فلغلظه على النفس ونفور الطبع عنه سمي نكراً، ونُكْر بضم  
الكاف، على وزن «فُعْل»، كقولهم: جُنُب، وأَرْض جُرُز، ونُكْر بسكون الكاف،  
نحو: رُشْد.

والخاشع: الخاضع، وهو الطالب حالة التواضع، خشع خشوعاً فهو خاشع،  
والجمع: خُشَعٌ، وتخشع الرجل: تنسك.

(١) البيت قائله الحارث بن دوس الإيادي:

أنظر: اللسان (خشع)، تاج العروس (خشع).

والأحداث: جمع جدث، وهو القبر، وفيه لغتان: جدث بالثاء، وجدف بالفاء.  
والإهطاع: الإسراع بالأمر، أهطع فهو مهطع.

### الإعراب

«خاشعاً» نصب على الحال، والعامل فيه: «يخرجون»، وجواب الأمر في قوله:  
﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ<sup>(١)</sup> الدَّاعِ﴾ تقديره: تول عنهم فإنهم يوم يدع الداعي، فحذف  
الفاء من جواب الأمر، وقيل: هو ابتداء وخبره: ﴿يَقُولُ﴾، يعني يدعو الداعي  
يقولون.

ورفع «جراد» لأنه خبر «كَأَنَّ»، وحذف الياء من الداعي تخفيفاً، ودلت كسرة  
العين على الياء.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ نصب على الحال.

«كذبت» أنت؛ لأنه ذهب به<sup>(٢)</sup> مذهب القبيلة، تقديره: كذبت قبيلة نوح أو  
أسرته، وقيل: ذهب إلى أنه جمع، كقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤] تقديره:  
قالت جماعة نوح.

﴿قَبْلَهُمْ﴾ نصب على الظرف.

### المعنى

لما تقدم ظهور المعجزة وإعراضهم عنها أمره بالإعراض عنهم تهديداً لهم وتسليّة  
له، وعقبه بعظة نوح وغيره تأكيداً، فقال - سبحانه -: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» أي: أعرض عنهم  
«يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ» قيل: أعرض عنهم إذا تعرضوا لشفاعتك يوم يدع الداع، وهو يوم  
القيامة، فلا تشفع لهم، كما لم يقبلوا منك، وقيل: فتول عنهم، فإنهم يوم يدع  
الداعي صفتهم ما بيّن، وقيل: فتول عنهم، فإنهم يعلمون مصداق قولك يوم يدع  
الداعي، ولا خلاف أن اليوم يوم القيامة، واختلفوا في الداعي قيل: إسرافيل يدعو

(١) يدع: يدعو، ك.

(٢) به: +، ك.

الناس إلى الحشر، وقيل: بل الداعي يدعوهم إلى النار «إِلَى شَيْءٍ نُّكِّرَ» أي: منكر غير معتاد، ولا معروف؛ بل منكر فظيع، لم يروا مثله، فأنكروه استعظامًا، وقيل: هو النار، وقيل<sup>(١)</sup>: هو القيامة وأهوالها «خُشَّعَا أَبْصَارُهُمْ» أي: خاضعة، ووصف الأبصار بالخشوع؛ لأن ذلة الدليل وعزة العزيز تتبين في بصره «يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ» من القبور سراعًا إلى الحشر «كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ» منبث جار «مُهْطِعِينَ» مسرعين «إِلَى الدَّاعِ» يعني إلى إجابة الداعي، عن أبي عبيدة، وقيل: مقبلين إلى الداعي، عن قتادة. «يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ» أي: شديد، وقيل: ناظرين قبل الداعي قائلين: هذا يوم عسر، عن الفراء، وأبي علي، «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ» أي: قبل أهل مكة «قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا» نوحًا «وَقَالُوا مَجْنُونٌ» أي: هو مجنون «وَأَزْدَجَرَ» قيل: زجر بالشتم والرمي بالقبيح<sup>(٢)</sup>، عن ابن زيد، وقيل: زجر بالوعيد، وقيل: تواعد بالقتل «لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَنْفُخْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ» [الشعراء: ١١٦]، «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ» ضعيف، غلبني هؤلاء السفهاء «فَانْتَصِرَ» أي: فانتقم منهم بالنصرة.

### الأحكام

يدل قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أنه ليس عليه إلا البلاغ، وليس عليه قبولهم، والجزاء<sup>(٣)</sup> على الله، وقد قال بعضهم: نسختها آية القتال، وليس فيه ما يوجب النسخ؛ لأن معناه: أعرض عن مكافأتهم فالله يكافئهم، أو أعرض عنهم استخفافًا بهم، فيكون تهديدًا لهم.

ويدل قوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أن البعث يكون لهذه البنية؛ لأنها في الأجداث، فإذا أحيأها الله تعالى تخرج، فيبطل قول من يقول: إن البعثة على الأرواح. ويدل قوله: ﴿فَدَعَا﴾ أنه الواجب عند سماع القبيح من المبطل الانقطاع إلى الله ليكافئهم، وينتصر للمحق من المبطل. وتدل أن التكذيب فعلهم.

(١) وقيل: +، ك.

(٢) بالقبيح: بالقبح، ك.

(٣) والجزاء: بالجزاء، د، ك.

قوله تعالى:

﴿فَفَتْحْنَا أَنْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝ (١١) وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝ (١٣) تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ۝ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ۝ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝ (١٧)﴾.

### القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر: «فَفَتْحْنَا» مشددة التاء على المبالغة. الباكون: «فَفَتْحْنَا» مخففة.

وقراءة العامة: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ على واحد، وأراد به الجنس، وقرأ عاصم والجحدري: «فالتقى المآآن»، يعني ماء السماء، وماء الأرض. وقرأ الحسن: «ماوان» جعل إحدى الألفين واواً.

وقراءة العامة: ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾، يعني نوحاً بضم الكاف وكسر الفاء. وقرأ مجاهد: «كُفْر» بفتح الكاف، أي: كان الغرق جزاء على كفرهم.

### اللغة

الْهَمْرَة: صب الدمع والماء بشدة، والمنهمر: كثير الانصباب شديد، ورجل مِهْمَارٌ: كثير الكلام، هَمَرٌ يَهْمِرُ، وانهمر انهمازاً، وهَمَرَ ما في الضرع: إذا حلبه أجمع.

والتفجر: تشقق الأرض عن الماء، ومنه: انفجر العرق، ومنه: ﴿وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٢٣]، ومنه: الفجر لانشقاق الظلمة عن الضياء، وأصله المفارقة، كأنه بالشق يفارق أحد الجانبين الآخر، والفاجر: المفارق لأمر الله.

والدُّسْرُ: مصدر دسرت السفينة أدسُرُها دسراً: إذا شدتها بمسامير ونحوها، والدُّسَار: خيط من ليف يشد به ألواح السفينة، والجمع: دُسُرٌ، ويقال: الدسر

المسامير، والدُّسْرُ: الدفع الشديد، يقال: دسره بالرمح، وأصل الباب: الدفع، وسميت صدر السفينة دسراً؛ لأنها تَدُسُّ الماء، أي: تدفعه، ومنه الحديث في العنبر: «هو شيء دسره البحر».

والمذكر: «مفتعل» من الذكر، وأصله مُدْتَكَّر، قلبت التاء دالاً لتؤاخي الدال بالميم، ثم أدغمت الدال فيها، فصار مُدْكراً.

والإنذار: التخويف، ومثله النذر، قال الفراء: وهما مصدران، تقول العرب: نذرت إنذاراً ونُذراً، وقيل: النُّذْر جمع نذير. والتيسير: التسهيل.

### ❖ الإعراب

لم قال: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾<sup>(١)</sup> مع أن الالتقاء لا يكون إلا بين اثنين؟

قلنا<sup>(٢)</sup>: لأنه اسم جنس.

و﴿ذَاتِ الْوَجْهِ﴾ صفة لمحذوف، أي: سفينة ذات ألواح.

﴿وَدُسِّرَ﴾ عطف على الألواح.

﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ أي: فعل ذلك، وهو مصدر وضع موضع الحال.

### ❖ المعنى

ثم بيّن تعالى كيف أجاب دعاء نوح وكيف أهلك قومه، فقال سبحانه: «فَفَتْحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ» أراد: جرى الماء من السماء كجريانه إذا فتح عليه باب كان له مانعاً، وذلك مما لا يقدر عليه غيره - سبحانه - «بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ» كثير شديد الانصباب لم يقلع، ولم ينقطع أربعين يوماً، عن ابن عباس، وقيل: سائل، عن الكسائي، وقيل: هائل،

(١) لم قال فالتقى الماء: لم يشن الماء، د.

(٢) قلنا: +، ك.

عن أبي عبيدة، وقيل: طبق بين السماء والأرض، عن القرظي، وكان ينصب كأفواه القرب «وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا» أي: شققنا الأرض بالماء عيونًا، حتى جرى الماء على وجه الأرض «فَالْتَقَى الْمَاءُ» أي: ماء السماء وماء الأرض «عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ» قيل: قدر فيه هلاك القوم، أي: على أمر الله، قدره الله تعالى، وهو هلاكهم، وقيل: على أمر قدره الله تعالى، وعرف مقداره لا زيادة فيه، ولا نقصان، وقيل: «قُدِرَ» أي: ماء السماء وماء الأرض كله واحد، وقيل: على أمر قدر عليهم في اللوح المحفوظ «وَحَمَلْنَاهُ» أي: نوحًا، ولم يذكر القوم؛ لأنهم تبع له «عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ» أي: سفينة ذات ألواح «وَدُسِّرَ» قيل: المسامير التي شددت بها السفينة، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والقرظي، وقيل: الدسر صدر السفينة يدسر به الماء، أي: يدفع، عن الحسن وجماعة، وقيل: الدسر أضلاع السفينة، عن مجاهد، وقيل: الدسر طرفاها وأصلها، والألواح جانبها، عن الضحاك. «تَجْرِي» يعني السفينة في الماء، قيل: كانت تجري بين ماء السماء، وماء الأرض، وقد كان غطاها على ما أمر الله به «بِأَعْيُنِنَا» قيل: بحفظنا وحراستنا، ومنه: عين الله عليك، عن مقاتل بن حيان، وقيل: بوحينا، عن مقاتل بن سليمان، وقيل: بأمرنا، عن سفيان، وقيل: برأي منا، وقيل: بأعين الماء التي أنبعناها، وقيل: تجري بأعين أوليائنا الموكلين بها من الملائكة، فأشار إلى أن النجاة لم تكن بالسفينة؛ لكن بحفظنا؛ حيث صرفنا عنه الأرواح، وحفظه عن الغرق وماء السماء «جَزَاءً» يعني فعلنا ذلك جزاء ثوابًا «لِمَنْ كَانَ كُفِرًا» قيل: لنوح، وتقديره: لمن جُحِدَ نبوته، وأنكِرَ حقه، وكفر بالله فيه، وتقديره: أغرقناهم بكفرهم بنوح، وقيل: كُفِرَ به، وهو الله تعالى، عن مجاهد، أي: عاقبناهم لله ولأجل كفرهم به، وقيل: (من) بمعنى (ما)، أي: جزاء بما<sup>(١)</sup> كان كفر من آيات الله، عن ابن زيد. «وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا» يعني السفينة، ونجاة من فيها، وهلاك الباقين، فقيل: السفينة حيث تجري في البحر؛ لأنه هيا الماء على وجه تجري فيه السفينة، وهيا السفينة على وجه تجري في الماء «آيَةً» أي: حجة وعظة «فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» أي: متعظ وخائف أن ينزل به مثل ما نزل بأولئك «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ» أي: إنذار

(١) بما: لمن، د؛ لما، ك؛ وكتب فوقها؛ أظنه بما.

تعجيب منه، كيف رأيتم انتقامي منهم؟ «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ» أي: سهلناه<sup>(١)</sup> للذكر لكي يُتَفَكَّرَ فيه ويتذكر به، وقيل: سهلناه للحفظ، حتى يقرأ ظاهراً، ولا كتاب من كتب الله كذلك، عن سعيد بن جبير. «فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» متعظ، وقيل: هل من طالب علم، فيعان عليه، عن قتادة، ومطر الوراق.

ومتى قيل: لماذا أعاد ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾؟

قلنا: أراد بالأول الاعتبار بأحوال المعذبين والناجين، وبالثاني التذكر<sup>(٢)</sup> بمواعظ القرآن، فلم يكن تكراراً.

### ❖ الأحكام ❖

تدل الآيات على الزجر والتخويف والتحذير أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك. ويدل قوله: ﴿جَزَاءٌ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ أن العقاب قد يكون في الدنيا، وقد يكون عِقَابٌ واحدٍ ثواباً للآخر.

ويدل قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ أنه شافٍ كافٍ في التذكر، وأنه يمكن معرفة المراد به.

ويدل قوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ على وجوب التدبر، وأن التفكير فعلهم.

قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (١٨) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحِيسُ﴾ (١٩) ﴿تَنْزِعُ النَّاسُ لَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَحْلِ مُنْقَعِرٍ﴾ (٢٠) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٢١) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٢٢).

(١) سهلناه: سهلناه، د، ك.

(٢) التذكر: للتذكر، ك.

## ❁ القراءة

قراءة العامة: «نَحْسِ» بسكون الحاء، وقرأ هارون الأعور بكسر الحاء، وهما لغتان، يقال: يوم نَحْس، ونَحْس: مشؤوم.

## ❁ اللغة

الريح الصرصر: الشديد الهبوب حتى يسمع صوتها، وهو مضاعف صر وصرصر، ونظيره: كَبَّ وَكَبَّكَ، وَهَّ وَهَّهَ.  
والمستمر: الجاري على طريقة واحدة استمرارًا.  
والأعجاز: جمع عَجَزٍ، نحو: أعضاء وعَضِدٍ.  
والمنقعر: المتقلع من أصله؛ لأن قعر الشيء قراره، فلذلك سمي المنقلع منقعرًا؛ لأنه اجتث من قعره، وانقعر<sup>(١)</sup> ينقعر انقِعَارًا، وقعره غيره تقعيرًا، وتقعّر في كلامه مثل تعمّق.

## ❁ الإعراب

يقال: لِم قال: ريح صرصر، وريح عاصف، ثم قال: ﴿وَلَسَلَيَّمَنَّ الرَّيْحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]؟  
قلنا: قال المبرد: كل ما كان من هذا الباب فلك أن ترده إلى اللفظ تذكيرًا، ولك أن ترده إلى المعنى تأنيثًا.  
وقوله: ﴿مُنْقَعِرٍ﴾ ولم يقل: منقعة؛ لأن النخل تُدَكَّرُ وتؤنث.

## ❁ المعنى

ثم ذكر قصة عاد، فقال - سبحانه - : «كَذَّبَتْ عَادٌ» هم قوم هود كذبوا رسولهم هودا «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي» أي: إنذاري «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا» أي: شديد الهبوب، وقيل: كانت باردة، عن ابن عباس، وقتادة، أخذ من الصر، وهو البرد، وقيل: شديدة، عن ابن زيد، وسفيان، وقيل: كانت باردة ذات صوت شديد

(١) وانقعر: انقعر، ك.



«فِي يَوْمٍ نَحْسٍ» أي: يوم شؤم، عن قتادة، وقيل: نحس: بارد و"مُسْتَمِرٌّ" استمر بهم العذاب إلى نار جهنم، وقيل: مستمر من نعت اليوم، وقيل: من نعت الريح، أي: دام هبويه، وقيل: استمرت بهم سبع ليال وثمانية أيام حتى أتت عليهم شيئاً بعد شيء «تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» قيل: تقتلع الناس، ثم ترمي بهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم، وقيل: تنزع الناس من حفر حفروها ليمتنعوا بها من الريح، وقيل: تنزع الأرواح من الأجساد، وتركهم صرعى هالكين كأنهم أعجاز نخل؛ لأن رؤوسهم سقطت عن أبدانهم، عن ابن زيد، والأعجاز: الأصول، عن ابن عباس، وشبههم بالنخل لطولهم «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا» سهلنا «الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ» أي: ليذكر من يتعظ به «فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ» أي: متعظ.

ومتى قيل: كيف يجمع بين قوله: ﴿يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ وبين قوله: ﴿أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦] وبين قوله: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]؟ قلنا: اليوم عبارة عن الوقت، ثم سائر الآيات تعبير له؛ لأن الوقت قد يقصر، وقد يطول.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات أن التكذيب فعلهم، ليس بخلق الله حتى استوجبوا العقاب بذلك. وتدل على أنه تعالى يفعل بسبب؛ لأنه أهلكهم بالريح، خلاف ما يقوله أبو علي. وتدل على الحث على التفكير، وأنه فعل العبد.

قوله تعالى:

﴿كَذَبَتْ ثمودُ بِالنَّذْرِ (٢٣) فَقَالُوا أَإِشْرًا مِنَّا وَجِدًا نَنبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَهْلَفَى الذِّكْرِ عَلَيْهِ مِنْ يَمِينِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشْرِ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَنْظَرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ (٣٢)﴾.

## القراءة

قراءة العامة: ﴿إِشْرًا مِّنَّا وَحِدًا نَّنِيعُهُ﴾ بالنصب على أن الواحد نعت للبشر، وقرأ ابن السماك العدوي: «واحد» بالرفع. إنا إن فعلنا ذلك وتركنا دين آبائنا، ومعناه: وهو واحد منا إذن.

وقراءة العامة: «أشِر» بفتح الألف وكسر الشين، وعن مجاهد بفتح الألف وضم الشين، وهما لغتان، مثل: حَذِرٍ وَحَذُرٍ، وَيَقْظٍ وَيَقْظُ.

قرأ ابن عامر وحمزة والأعمش ويحيى بن وثاب: «ستعلمون» بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء على الكناية، وهو<sup>(١)</sup> من قول الله لرسوله، فأما الأول فخطاب لهم إما من الله تعالى أو من صالح عليه السلام.

وقراءة العامة: «الأشِر» بفتح الهمزة وكسر الشين، على أنها البطر، وقرأ أبو قلابة بفتح الشين وتشديد الراء على وزن «أَفْعَل» من الشر، قال أبو حاتم: لا تكاد العرب تتكلم بالأشِر والأخير إلا في ضرورة الشعر، كقول رؤبة:

بِلَالٍ خَيْرُ النَّاسِ وَابْنُ الْأَخِيرِ<sup>(٢)</sup>

وإنما يقولون: خير وشر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] و﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَّكَانٍ﴾ [يوسف: ٧٧].

قرأ الحسن، وقتادة: «كهشيم الْمُحْتَظَر» بفتح الظاء، وأراد الحظيرة، وقرأ الباقون بكسر الظاء، وأرادوا صاحب الحظيرة.

## اللغة

الشُّعْرُ: جمع شعير، وهو النار المسعر، والسَّاعُور: التنور، يقال: ناقة مسعورة: إذا كان بها جنون، واستعر فلان جنوناً: إذا اعتراه الجنون، وأصله: التهاب الشيء، وهو شدة انتشار الشر.

(١) وهو: فهو، ك.

(٢) البيت قائله رؤبة بن العجاج.

والأشُرُّ: الطالب الفخر وعظم الشأن من غير أن يستحقه، وقيل: هو البطر الذي لا يبالي ما قال، يقال: أَشَرَ يَأْشُرُ، وناقَة مُثْشِرٌ، ورجل أَشِير، وَأَشَرَ بكسر الشين وضمها، لغتان، والأشُرُّ<sup>(١)</sup> بضم الألف والشين: حُسْنُ الأسنان في حَدَّةٍ<sup>(٢)</sup> أطرافها.

والاصطبار: «افتعال» من الصبر، وفيه زيادة مبالغة، والطاء فيه تاء، حولت طاء لأجل الصاد.

والشَّرْبُ بكسر الشين: حَظٌّ من الماء، والشُّرب بضم الشين: فعل الشارب، والشَّرْبُ بفتح الشين المصدر، والشَّرْبُ أيضًا: القوم يشربون. والمَشْرَبَةُ: الموضع الذي يشرب منه الناس، وماء شَرُوبٍ وشَرِيبٌ: يصلح للشرب، والشريب: الذي يشاربك، وَأُشْرِبَ فُلَانٌ حَبَّ فُلَانٍ: إذا خالط قلبه.

والتعاطي: التناول، تعاطيت الشيء: تناولته.

والصبيحة: المرة من الصوت، صاح صبيحة وصياحًا، وصايحه مصابحة.

والهشيم: أصله الكسر، هشم أنفه فهو هشيم، وهشم العظم، ومنه سميت الشجة: هاشمة، وهو الذي يكسر العظم.

محتضر: بالضاد من الحضور، أي: يحضرون حظهم من الماء، وتحضر الناقة حظها، حضره يحضره، والحَضَرُ: خلاف البدو، ورجل حَضِرٌ لا يصلح للسفر.

فأما المحتظر بالطاء فهو من: حظرت الشيء: حُزَّتُهُ، والحِظَارُ: ما حظر على غنم وغيرها، والمُحْتَظَرُ: الذي يعمل الحظيرة، احتظر احتظارًا، وأصله المنع، ثم قد يكون بِسَدٍّ أو بناء أو باب<sup>(٣)</sup> أو غيره.

#### الإعراب

«أبشرا» نصب بفعل مبهم، المعنى: أتبع بشرًا منا واحدًا نتبعه في ضلال.

(١) والأشُرُّ: فالأشُرُّ، ك.

(٢) حدة: وحدة، د.

(٣) أو باب: أو إباب، ك.

«فتنة» نصب على الحال، يعني: إنا مرسلو الناقة في حال الفتنة، وأصله: إنا مرسلون، حذفت النون، ثم أضيف الاسم.

### المعنى

ثم ذكر قصة ثمود، فقال تعالى: «كَذَّبَتْ ثُمُودُ» وهم قوم صالح، كذبوا صالحًا «بِالنُّذُرِ» قيل: بالرسول وهم صالح وغيره، والنذر: جمع نذير، وقيل: بآيات الله وأخبار أنبيائه، وإنذاره بالوعد والوعيد «فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا» أي: أبشرا مثلنا، ومنا بالنسب، «واحدًا» ليس له أعوان، ولا معه مَنْ صَدَّقَهُ من ملك ولا غيره، ونحن جماعة كثيرة وأشرف، أمع هذا نتبعه؟ وهذا من شبههم<sup>(١)</sup> الركيكة؛ لأنهم تعلقوا بشيئين:

أحدهما: أنه<sup>(٢)</sup> بشر، فَلِمَ خص بالنبوة دوننا؟

فجوابه: أنه يصلح للنبوة دونهم من حيث معرفته بربه، وقيامه بأداء رسالته، وسلامة ظاهره وباطنه، ولأنه تعلق به مصالح الخلق دونهم. وثانيهما: أنه واحد ليس معه معين ولا مُصَدِّق:

فجوابه: أن الحق لا يتعلق بالكثرة والقلّة، وإنما يتعلق بالأدلة، فإذا ظهر عليه المعجز ثبت أنه رسول، ولأنه إذا كان واحدًا ثم علا أمره، وظهر دينه كان أبلغ في الإعجاز.

«إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ» يعني إن اتبعناه نكون في ضلال، أي: ذهاب عن الحق و<sup>(٣)</sup>الصواب، وقيل: في ضلال عن الدين «وَسُعْرٍ» قيل: في عذاب، عن ابن عباس، والحسن، وقيل: في جنون، عن الزجاج، والفراء، وأبي علي، وقيل: في غناء، عن قتادة، وقيل: في هلاك كما يقال: فلان أحرق نفسه، وقيل: في أمر يسعرنا، أي: يلهينا، وقيل: هذا جواب منهم لقول صالح، فإنه دعاهم إلى الحق، وحكم عليهم

(١) شبههم: شبهتهم د.

(٢) أنه، لأنه، ك.

(٣) الحق و: -، ك.

بالضلال والنار إن لم يتبعوه، فقالوا: النار والضلال في اتباعك لا فيما نحن فيه، مبالغة في الرد عليه، وإنكاراً لما جاء به «أُولَئِكَ الذُّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا» يعني كيف ألقى الوحي إليه مع استوائنا في الأحوال، وقيل: كيف أوحى إليه مع فقره، وقلة جاهه وأتباعه، ونحن رؤساء متبعون، ذوو مال وجاه، وقيل: المراد بالذكر الوحي، وقيل: النبوة والبعث، وقيل: الكتاب. «بَلْ هُوَ كَذَّابٌ» قيل: مُكَذِّبٌ فيما يقوله من النبوة والبعث، وقالوا: كذاب مبالغة «أَشْرٌ» قيل: بَطْرٌ لا يبالي ما يقول، وقيل: متكبر يتعظم علينا بادعاء النبوة «سَيَعْلَمُونَ غَدًا» إذا نزل بهم العذاب، وإنما ذكر غداً للتقريب على عادة الناس يذكرون الغد ويريدون به<sup>(١)</sup> العاقبة، يقولون: إن مع اليوم غداً «مَنْ الكَذَّابُ» أي: هو الكاذب أم هم، في تكذيب صالح، وهو «الأشْر» البطر أم هم؟ فذكر مثل لفظهم مبالغة في توبيخهم، جزاء على سوء أفعالهم «إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ» أي: باعثوها بإنشائها على ما طلبوها معجزة لصالح، وقطعاً لعذرهم «فُتْنَةٌ» أي: امتحاناً واختباراً، وفيه حذف، أي: طلبوا ناقة تخرج من صخرة صماء فقال: إنا مرسلوها كما سألوها، اختباراً «لَهُمْ» وشدة في التعبد «فَارْتَقِبْهُمْ» أي: انتظر أمر الله فيهم، وقيل: ارتقبهم وما يصنعون «وَأَصْطَبِرْ» أي<sup>(٢)</sup>: اصبر على أذاهم حتى يأتي أمر الله فيهم «وَبَيِّنْهُمْ» أي: أخبرهم «أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ» بين الناقة وبين قوم صالح، يوم لهم ويوم لها، وإنما قال: فنبئهم تقنياً<sup>(٣)</sup> لبني آدم «كُلُّ شَرِبٍ» نصيب من الماء «مُخْتَصَرٌ» يحضره من كان يومه، ففي يوم الناقة تحضره الناقة، وفي يومهم يحضرون الماء إذا غابت الناقة، وقيل: في يوم الناقة يحضرون اللبن، عن مجاهد، فشق عليهم ذلك من وجوه:

منها: ترك ما ألفوه من دين آبائهم.

ومنها: النظر في معجزة صالح والقول بنبوته.

ومنها: ترك أصنامهم.

(١) به: -، ك.

(٢) أي: -، ك.

(٣) تقنياً: قضينا، ك.

ومنها: أنه كان يضيق عليهم الماء والمرعى بسبب الناقة.

ومنها: اتباع صالح مع أنهم أهل رياسة.

ومنها: ترك ما هم فيه من الرياسة والجاه.

فدبروا في أمر الناقة بالقتل، فقال - سبحانه -: «فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ» أي<sup>(١)</sup>: دعا أهل البلد واحدًا من شرارهم، وهو قدار بن سالف، أشقى ثمود، فابتدر لقتلها حتى قتلها، «فَتَعَاطَى» أي: تناول الناقة بسيفه فعقرها ولم يشاركه فيه غيره، وقيل: ابتدر لقتلها تسعة منهم قدار، عن أبي علي، فأهلكهم الله بالسيف، فقال - تعالى -: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي» لهم وإنذاري إياهم «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً» قيل: صاح بهم جبريل فماتوا عن آخرهم، وقيل: الصيحة العذاب، فلما ماتوا ومضت أيام «فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ» الهشيم: كل ما كان رطبًا فيبس، والمُحْتَظِر بكسر الظاء: من جعل لغنمه حظيرة من الشوك والشجر، يعني كيابس الشجر في الحظيرة، مضت عليه الأيام فكسرت وتلاشت، عن ابن عباس، والضحاك، وقيل: كتراب الحظيرة، وقيل: كالعظام النخرة المتمزقة، عن ابن عباس، والضحاك. وقيل: كحشيش يابس يجمعه المحتظر لغنمه، فتأكله الغنم، وتحظيره: تجميعه، عن أبي علي، وقيل: كتراب يتناثر من الحائط، عن سعيد بن جبير، وقيل: كشجر بال<sup>(٢)</sup> متفتت ذرته الريح، عن ابن زيد، وقيل: رمادًا محترقًا. «وَلَقَدْ يَسْرْنَا» سهلنا «الْقُرْآنَ لِلذَّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ» متعظ.

### الأحكام

يدل حديث الناقة على معجزة لصالح.

وتدل على شدة عنادهم، والتحذير عن مثل حالهم.

وتدل أن الكفر بالآيات بعد الاقتراح يوجب عذاب الاستئصال على ما جرت به

عادة الله - سبحانه -.

وتدل أن التكذيب والعقر فعْلُهُمْ.

(١) أي: +، ك.

(٢) بال: بالي؛ د، ك.

قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي﴾ (٣٣) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾ (٣٤) ﴿نِعْمَةٍ مِنَّا عِندَنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (٣٥) ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذِي﴾ (٣٦) ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ (٣٧) ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ (٣٨) ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْكَرَّمَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ (٤٠) ﴿.

### الغة

الحاصب والحصباء والحَصْبُ: الحجر دون ملء الكف، ومن ذلك الْمُحَصَّبُ: الموضع الذي ترمى فيه الجمار، ومنه حديث عمر: (حصبوا المسجد) أي: صبوا فيه الحجارة، وريح حاصب: إذا أتت بالغبار والحجارة. والبطش: الأخذ بشدة، ويد باطشة.

والتماري: التدافع بطريق الحِجَاج بالباطل، تمارى القوم تماريًا، وماراه مماراة ومراءً، يقال: مراه يمري: إذا استخرج ما عنده من العلم بالأمر.

والمراودة: المحاولة: الطالب أمرًا من غيره، وأصله من راد يرود: إذا طلب مرعى، وهو رائد، يقال: راده يروده، وارتياده يرتاده، وراوده يراوده، ومنه: ﴿وَرَاودَتْهُ﴾ [يوسف: ٢٣] فأما رويدًا رفقا فهو تصغير يرد من رادت الريح ترود إذا تحركت حركة خفيفة.

الطمس: محو الأثر، طمس يطمس طمسًا، وطمست الكتاب تطمسًا، وطمست الريح آثار القوم: إذا دفتها بإلقاء التراب عليها.

### الإعراب

قال الأخفش: صرف «سحر»؛ لأنه نكرة، أي: سحر من الأسحار، ولو أراد سحرًا بعينه لقال: (سَحَر) غير مجرى، ونظيره: مَضْرُ ومِضْرُ من (١) الأمصار.

(١) من: -، ك.

﴿إِلَّا آءَال لُوٓطٍ﴾ استثناء .

«نعمة» قيل : نصب على المصدر، أي أنعمنا نعمة، وقيل : على الحال .

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ﴾ العذاب : الفاعل، والبكرة ظرف .

﴿بِالنُّذْرِ﴾ أصله ونُذِرِي، حذفت الياء تخفيفًا، وتدل كسرة الراء عليها .

### المعنى

ثم بيّن قصة لوط وقومه، وكيف هلكوا، فقال - سبحانه - : «كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ» قيل : بالرسول، وهو الأصح لا خبر للإنذار<sup>(١)</sup> به حقيقة؛ لأنه حي قادر فاعل، وقيل : النذر الآيات المشتملة على الوعيد «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا» قيل : ريحًا رمتهم بالحجارة، وقيل : سحابة رمتهم بالحجارة وحصبتهم بها، عن ابن عباس، وأبي علي، وقيل : الحاصب يعني الحصباء، أي : رميناهم بالحجارة، وقيل : الحجارة كانت لمن<sup>(٢)</sup> خارج البلد، وأما أهل البلد فانقلبت المدينة عليهم، عن الحسن، وقيل : الملائكة رموهم<sup>(٣)</sup> بالحجارة من السماء، ويحتمل أنهم رموا بالحجارة، ثم انقلبت «إِلَّا آلَ لُوطٍ» من كان تبعًا له وعلى دينه «نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ» أي : وقت السحر، أمر الله تعالى جبريل فأخرجهم من تلك البلاد، وترك فيها امرأة لوط؛ لأنها كانت كافرة «نِعْمَةً مِنْ عِندِنَا» عليهم حيث نجيناهم، وأهلكنا أعداءهم «كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ» يعني كذلك نُكَافِئُ مَنْ شَكَرَ بنعمتنا، وقابلها باعتقاد التوحيد والعدل، وأن النعم كلها منه، وعبادته على الإخلاص وشكر النعمة أن تعرفه حق معرفته، ثم تعبده حق عبادته، بإيثار طاعته وتجنب معصيته «وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا» أي : خوف لوط قومه بأخذ الله إياهم أخذًا شديدًا، وهو العذاب إن لم يؤمنوا «فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ» قيل : جادلوا بالباطل ليردوا الحق، كعادة العوام في دفع الحق بالباطل، وقيل : استهزأوا بالآيات والنذر،

(١) للإنذار : الإنذار، ك .

(٢) الحجارة كانت لمن : كانت الحجارة لمن كان، ك .

(٣) رموهم : يرمونهم، د .



وقيل: شَكُّوا فيه «وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ» أي: طالبوا لوطاً أن يخلي بينهم وبين ضيفه، وهم الملائكة النازلون بهم على صورة الغلمان؛ لما يريدونه من الفاحشة، وإنما ذكر الضيف؛ لأنهم أتوا لوطاً على هذه الصفة، إلى أن علم أنهم ملائكة «فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ» قيل: محونا، وقيل: عميت أبصارهم، عن الحسن، وقتادة، وقيل: إنهم دخلوا النذر على لوط، فلما لم يروهم سألوا عنهم، وانصرفوا، عن ابن عباس، وقيل: أزال التخطيط عن وجوههم حتى صارت ممسوحة لا ترى أثر عين، وقيل: مسح جبريل وجوههم، فأعماهم. عن جماعة من المفسرين. «فَذُوقُوا» أي: قيل لهم: ذوقوا «عَذَابِي وَنَذِيرِي» أي: تخويفي، وما كنت أوعدكم به، قيل: الملائكة قالت لهم: ذوقوا عذاب الله، وقيل: الله تعالى قال لهم في تلك<sup>(١)</sup> الحال: ذوقوا، وهو الظاهر، «وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً» أي: نزل بهم صباحاً «عَذَابٌ» وهو الانقلاب والحجارة «مُسْتَقِيرٌ» قيل: استقر بهم العذاب إلى يوم القيامة، عن قتادة، وابن زيد، وقيل: استقر بهم حتى هلكوا «فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِي» وقيل: لهم في تلك الحال: ذوقوا.

ومتى قيل: لِمَ كرر «ذوقوا»؟

فجوابنا أن الأول قيل عند الطمس، والثاني عند الانقلاب، لما تجدد العذاب تجدد التقرير.

«وَلَقَدْ يَسَّرْنَا» سهلنا «الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» متعظ بذلك.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على معجزات للوط، ونعمه عليه وعلى قومه بنجاتهم، وهلاك تلك العصاة العتاة<sup>(٢)</sup> عن قومه.

وتدل على كيفية عذابهم.

(١) تلك: ذلك، ك.

(٢) العتاة: البغاة، د.

وتدل أنه كما نجى قومه ينجي كل شاكِر، وقد بيَّنا من الشاكِر.  
وتدل أنه ينجي كل شاكِر، ويعذب كل كافر، لا يجوز غير ذلك، خلاف قول  
المجبرة.

وتدل أن الطمسة كانت لطفًا لهم؛ ليتفكروا فيها، ويعلموا نبوة لوط، فيؤمنوا به،  
فلما أعرضوا صبحهم العذاب.

وتدل أن المراودة والتكذيب فعلهم.

وتدل أن القرآن كافٍ في معرفة الأحكام؛ لذلك قال: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ (٤١) ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ﴾ (٤٢)  
﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَهُمْ بَرَاءَةٌ فِي الدُّبُرِ﴾ (٤٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ (٤٤)  
﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ (٤٦).

### القراءة

قرأ القراء: «سَيَهْرَمُ» بضم الياء وفتح الزاي ورفع الجمع على ما لم يسم فاعله،  
وهو أعظم وأفخم، وقرأ يعقوب: «سَنَهْرَمُ» بالنون وفتحها وكسر الزاي، والجمع<sup>(١)</sup>  
بالنصب، مضاف<sup>(٢)</sup> إليه تعالى أنه يهزمهم.

### اللغة

الآل: خاصة الرجل الذين يضافون إليه، يكون ذلك لقراءة<sup>(٣)</sup>، ويكون لموافقة  
المذهب<sup>(٤)</sup> كقوله: ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [القمر: ٤١] ومنه: آل القرآن هم آل الله؛ لأنه بمنزلة  
الآل في الخاصة.

(١) والجمع: الجمع، ك.

(٢) مضاف: مضافًا، د.

(٣) لقراءة: بقراءة، ك.

(٤) المذهب: مذهب، ك.

والإنذار: الإعلام بموضع المخافة ليتقى، والنذر: الإنذار، ومثله النكر والإنكار، والنذر أيضًا: جمع نذير، وهم الرسل.

والمُقْتَدِرُ: مُفْتَعِلٌ من القادر، والقادر والقدير والمقتدر بمعنى، إلا أن في قدير ومقتدر مبالغة، يقال: قدر يقدر قدرًا، وقدرة، ومقدرة، وقدرائًا، واقتدر اقتدارًا فهو مقتدر.

والزُّبُرُ: جمع زبور، وهو الكتاب ذو حكمة، يقال: زَبُرْتُ الكتاب أزره: إذا أحكمته، وزبور: مكتوب.

والأدهى: الأعظم في الدهاء، والدهاء عظم سبب الضرر مع شدة إزعاج النفس، وهو من الداهية، والجمع: دَوَاهٍ.

والأَمَرُ: الأشد في المرارة، فيكون من المُرِّ<sup>(١)</sup> الذي هو ضرب من الطعام، يقال: مر الشيء وأمر، والأَمَرُ بمعنى المر، كالأثقل بمعنى الثقيل، وقيل: أمر من الأشد في استمرار البلاء من مررت الحبل: إذا أحكمت فتله.

### النزول

قيل: نزل ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ﴾ يوم بدر، عن ابن عباس، وقتادة، والربيع.

وعن مقاتل ضرب أبو جهل فرسه، فتقدم يوم بدر في الصف، وقال: ننصر اليوم من محمد وأصحابه.

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>: لا أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يقول: ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ فعلمت أنه يوم بدر.

وقيل: بل نزلت في يوم الأحزاب، تفرقت جموع أبي سفيان، وظهر الإسلام،

(١) المرء: المرء، ك.

(٢) رضي الله عنه: -، ك.

وقيل: أراد جميع المواضع التي هزمهم رسول الله ﷺ، فأخر<sup>(١)</sup> ذلك يوم الفتح قُتِلَ مَنْ قُتِلَ، ودخل الباقون في الإسلام.

### المعنى

ثم بَيَّنَّ قصة فرعون وهلاكه، ونجاة موسى، ترغيبًا وترهيبًا، فقال - سبحانه -: «وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ» أي: قومه الذين اتبعوه في دينه «النُّذْرُ» قيل: الآيات، وقيل: الرسل موسى وهارون ﷺ، «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا» قيل: بالآيات التسع التي جاء بها موسى، وقيل: بجميع الآيات؛ لأن التأكيد ببعضها تكذيب بكلها «فَأَخَذْنَاهُمْ» بالعذاب «أَخَذَ عَزِيزٌ» أي: قادر لا يمتنع عليه شيء مما يريد، وقيل: عزيز؛ أي: قادر لا يخاف ضررًا من أحد، عن أبي علي. «مُقْتَدِرٌ» على جميع ما يشاء.

ثم خَوَّفَ قومه ﷺ أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك، فقال تعالى: «أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ» هو استفهام والمراد الإنكار، أي: ليس كفار قريش أفضل من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم لا في القوة، ولا في الثروة، ولا في كثرة العدد والعدة، ولا في الدين؛ لأن الجميع كفار، فأراد<sup>(٢)</sup> بالخير ما يتعلق بأسباب الدنيا لا بأسباب الدين، فإذا هلك أولئك فمن ذا الذي يؤمنكم أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم «أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ» أي: براءة من العذاب في الكتب السالفة، عن الضحاك، يعني تؤمنون بتلك البراءة، وهذا أيضًا إنكار أي: ليس لهم ذلك. «أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ» أي: كما ليسوا بخير من أولئك، ولا لهم براءة، كذلك لا جمع لهم يمنعهم<sup>(٣)</sup> عذاب الله وينصرهم، فإن قالوا: نحن جماعة ينصر بعضنا بعضًا حتى لا نرام ولا نقصد بالحرب، ولا يطمع أحد بملتنا، ولا نقصد أحدًا إلا غلبناه، والمعنى: ينتصرون، فحذف لرؤوس الآي، وأراد الجنس. «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ» يعني

(١) فأخر: فأخير، ك.

(٢) فأراد: وأراد، ك.

(٣) يمنعهم: يمنع عنهم، ك.

وإن جمعوا الجموع فالله يهزمهم «وَيُؤَلِّوْنَ الدُّبُرَ» قيل: يوم بدر، عن ابن عباس، وقتادة، والربيع، والدبر في موضع الأدبار؛ لكنه أراد الجنس، وقد أنجز الله وعده ونصر نبيه، وهزم الأحزاب وحده «بَلِ السَّاعَةِ» أي: القيامة «مَوْعِدُهُمْ» جميعاً «وَالسَّاعَةُ» سميت بذلك لسرعة مجيئها؛ إذ هي أعظم بلية، وأمر: أشد مرارة من عذاب يوم بدر، قال أبو علي: لأن عذاب النار يدوم، ولا ينقطع، ولا يشوبه راحة، وعقاب الدنيا بخلاف ذلك.

### ❖ الأحكام

تدل الآيات على معجزة لنبينا ﷺ؛ لأن السورة مكية، وكان يخبرهم أنه يهزمهم، ثم وجد الأمر كما أخبر.  
وتدل على أنه لا آمن لأحد من العصاة.  
وتدل على عظيم عقوبة الآخرة.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٤٧) يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهم ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْفٰئِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صٰدِقٍ عِنْدَ مٰلِكٍ مُّقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾ .

### ❖ المراءاة

قراءة العامة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ بنصب اللام على تقدير أنه مفعول، كقولهم: زيداً ضربته. وقرأ أبو السماك العدوي: «كُلُّ» بالرفع على الابتداء.

قراءة العامة: «ونهر» بفتح النون والهاء، وعن الأعرج بضم النون والهاء، جمع نهار، أي: لا ليل لهم، قال الفراء عن بعض العرب:  
 إِنَّ تَكْ لَيْلِيًّا فَإِنِّي نَهْرٌ مَتَى أَتَى الصُّبْحُ فَلَا أَنْتَظِرُ<sup>(١)</sup>  
 وقال آخر:

نَرِيدُ لَيْلٍ وَنَرِيدُ بِالنُّهْرِ<sup>(٢)</sup>

فأما قراءة العامة فيقال: نهر ونهر، والجمع: أنهار، والأجود ما ورد به القرآن.

### اللغة

السُّعْرُ: جمع سعير، سَعَرْتُ النار: أجبجتها فهي مستعرة، والسُّعْرُ: الجنون، ناقة مسعورة.

والمس: مصدر مسست الشيء مسًا، وقوله: ﴿مَسَّ سَقَرٌ﴾ كقولهم: وجدت مس الحمى، وكيف ذقت طعم الضرب، وكل ذلك تَوَسَّع واستعارات.  
 واللمح: خطف البصر.

والزبر: الكتب.

والمستطر<sup>(٣)</sup>: «مُفْتَعِلٌ» من السطر، يقال: سطر واستطر، كقولهم: كتب واكتب، وفري وافترى.

والنهر: المجرى الواسع من مجاري الماء، وجمعه: أنهار، وأراد الأنهار إلا أنه

(١) أنتظر: بتنظر؛ د، ك.

أنظر: لسان العرب (نهر)، تاج العروس (نهر) وورد برواية أخرى:

إِنَّ تَكْ لَيْلِيًّا فَإِنِّي نَهْرٌ.

(٢) ثريد ليل وثريد بالنهر: يريد ليلًا وثريد بالنهر؛ د، ك. أنظر تاج العروس (نهر) وصدر البيت:

لولا الثريدان لمتنا بالضمير

(٣) والمستطر: والمسيطر؛ د، ك.

أتى بلفظ الواحد، وأراد الجنس لأجل رؤوس الآي، وأصله من السعة، ومنه النهار، ومنه قول الشاعر:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَزْتُ فَتَقَّهَا      يَرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا<sup>(١)</sup>

### الإعراب

«سقر» لا ينصرف؛ لأنه اسم مؤنث على ثلاثة أحرف، أوسطها متحرك.

ويقال: لم قال: «واحدة» وهو نعت للأمر؟

قلنا: هو على تقدير: ما أمرنا أن يكون شيء إلا مرة واحدة، يعني الساعة، قال أبو عبيدة: هو نعت للمعنى دون اللفظ.

### النزول

عن أبي هريرة: جاءت مشركو قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلى آخر السورة.

وقيل: نزلت في وفد نجران.

وقيل: في القدرية من هذه الأمة.

وعن كعب: (نجد في التوراة أن القدرية يسحبون في النار على وجوههم).

وعن حذيفة، عن النبي ﷺ: «لعنت القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً»،

قيل: يا رسول الله، ومن القدرية؟ قال: «قوم يعملون المعاصي ويقولون<sup>(٢)</sup>: الله قدرها عليهم»، قيل: ومن المرجئة؟ قال: «قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل».

وعن علي عليه السلام في حديث طويل بعد انصرافه من صفين في القضاء والقدر ما يزيل الإشكال.

(١) البيت قائله قيس بن الخطيم أنظر لسان العرب (نهر)، الصحاح (نهر) تاج العروس (نهر). أنظر ديوان قيس بن الخطيم.

(٢) ويقولون: يقولون، د، ك.

ولا شبهة أن اسم القدريّة اسم ذم؛ ولذلك ذمهم رسول الله ﷺ، ولعنهم وشبههم بالمجوس، فقال: «القدريّة مجوس هذه الأمة»؛ ولذلك نجد كل أحد ينفيه عن نفسه، فإذا ثبت أنه اسم ذم فلنا<sup>(١)</sup> أن ننظر من هم؟ ولماذا<sup>(٢)</sup> شبههم بالمجوس؟ وقد علمنا أن المجبرة هم القدريّة لوجوه كثيرة ذكرها مشايخنا في كتبهم، وقد صنف الشيخ أبو علي في ذلك كتابًا، ونشير ههنا إلى جمل:

منها: ما ثبت أن أهل العدل والتوحيد الذين ينفون عن الله تعالى كل قبيح وتشبيه<sup>(٣)</sup> هم أهل الحق، فالذم مصروف إلى مخالفهم.

ومنها: ما ثبت أنهم بيّثوا<sup>(٤)</sup> على الجملة المتفق عليها<sup>(٥)</sup> المعلوم من دين النبي ﷺ ضرورة، المنطوق بها<sup>(٦)</sup> في القرآن أنه تعالى واحد لا شبيه له، وأنه عدل حكيم لا يفعل القبيح، فلم يَنْقُضُوا هذه الجملة بتفصيل، بخلاف المجبرة والمشبّهة؛ لأنه ما من مسألة خالفوا أهل العدل والتوحيد فيها إلا ونقضوا بذلك أصلًا مجمعًا عليه من أصول الدين، وتفصيل ذلك يطول، فإذا تفكرت فيه علمت ذلك.

ومنها: ما ورد من الأخبار عن النبي ﷺ وأصحابه وأهل بيته في تفسير القدريّة، وأنهم المجبرة، وأنهم أعداء الرحمن، وشهود الشيطان.

ومنها: ما روي أن المشركين خاصموه في القدر، أو وفد نجران على ما روي في سبب النزول، حتى نزلت هذه الآيات، وقد حكى الله تعالى مذهب أولئك، وكيف جادلوا فقال - سبحانه -: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] الآية إلى آخرها، وفي (النحل): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥]، فخاصموا الرسول في مذهبهم، وهو مذهب المجبرة بعينه، وفي

(١) فلنا: فبنا؛ د، ك.

(٢) ولماذا: وبماذا؛ د، ك.

(٣) وتشبيه: وشبه، ك.

(٤) بينوا: ثبتوا، ك.

(٥) عليها: عليه، ك.

(٦) بها: به، د.



الآية أنهم كذبوا الرسل، فلا بد أن يكون مذهبه خلاف ما قالوا، وهو مذهب أهل العدل.

ومنها: أن أهل القبلة اختلفوا في الكفر، والمعاصي، والإلحاد، والزندقة، وعبادة الأصنام، وتكذيب الأنبياء وقتلهم، وادعاء الربوبية، ونفي الصانع، والقول بالاثنتين، والتثليث، وغير ذلك من الأشياء المنكرة، هل هو فعل العبد، أو خلق الله فيهم؟ وهل أولئك استحقوا العقاب بفعلهم، أو بخلق الله تعالى؟ فالمجبرة أضافوا جميع ذلك إلى خلقه، وزعموا أنه الذي أوجدها وأحدثها، ولولا إيجاده لما وجدت، وقال أهل العدل والتوحيد<sup>(١)</sup>: الله تعالى بريء من ذلك؛ بل العبد يفعله حتى استحق العقاب، والاسم أبدًا يؤخذ من الإثبات، كما يقال: مَحْكَمَةٌ للخوارج، ومشبهة، ومجبرة، ورافضة ونحوها.

ومنها: أنهم لهجوا بإضافة جميع الأشياء حسننها وقبيحها<sup>(٢)</sup> إلى قضاء الله تعالى وقدره، وجعلوا ذلك عذرًا لكل ملحد وكافر، ولإبليس وأتباعه، فسموا قدرية، كما يسمى من لهج بالتمر: تمرى، ولهج باللبن: لبني.

ومنها: أنه شبههم بالمجوس من سائر الكفار، فلا بد أن يكون لمعنى، وذلك أن مذهب المجوس أن القادر على الخير لا يقدر على الشر، والقادر على الشر لا يقدر على الخير، ومع ذلك يصح الأمر والنهي والمدح والذم، وهذا بعينه مذهب المجبرة أن المؤمن لا يقدر على الكفر، والكافر لا يقدر على الإيمان، ومع ذلك يصح الأمر والنهي، والمدح والذم، وأهل العدل على الضد من مذاهبهم جميعًا؛ لأن عندهم مَنْ قَدَرَ على الخير لا بد أن يقدر على الشر، والقادر على الشر يقدر على الخير، محال أن<sup>(٣)</sup> يقدر على أحدهما دون الآخر، وعندهم جميعًا محال أن يقدر عليهما.

ومنها: أن مذهب المجوس أن الخَيْر مطبوع على الخير، والشرير مطبوع على الشر، وهو مذهب الجبر، وعند أهل العدل أن العبد مُخَيَّر.

(١) أهل العدل والتوحيد: أهل التوحيد والعدل، ك.

(٢) حسننها وقبيحها: قبيحها وحسنها، ك.

(٣) أن: لأن، د.

## المعنى

ثم بيّن حال القيامة بذكر الوعد والوعيد، فقال - سبحانه -: «إِنَّ الْمُخْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ» في ذهاب عن وجه النجاة، وطريق الجنة، عن أبي علي، وقيل: في هلاك، وقيل: في ذهاب عن الحق «وَسُعُرٍ» قيل: في نار مسعرة، عن الضحاك، وأبي علي، وقيل: هم في ضلال في الدنيا، وهلاك في الآخرة، وقيل: في جنون، وقيل: في عناء وعذاب، عن قتادة، وقيل: في أمر يسعرنا، أي: يلهينا، عن ابن عرفة «يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ» أي: يجرون استخفافاً بهم إلى النار، ويقال لهم: «ذُوقُوا» قيل: الخزان تقول ذلك «مَسَّ سَقَرٌ» أي: عذاب النار، وقيل: إنما قال «مس» ليعلم أن مسه أذى عظيم، فكيف إذا تداخلت الأجزاء. والسقر: قيل: جهنم، وقيل: باب من أبوابها، وأصل السقر التلويح، يقال: سقرته الشمس إذا لوحته، ولذلك سميت سقر، وسَقَرَاتُ الشمس: حرورها «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» يعني كل شيء خلقناه على قدر معلوم، فخلق اللسان على مقدار يصلح للكلام، واليد على مقدار تصلح للبطش، والرجل للمشي، والعين للبصر، والأذن للسمع، والمعدة للطعام، ولو زاد أو نقص لما تم الغرض، فكذلك<sup>(١)</sup> كل شيء قدره كما ينبغي له في معنى قول الحسن، وقيل: إنا خلقنا العقاب لأهل النار على مقدار الاستحقاق على ما تقتضيه الحكمة، لا يزيد ولا ينقص على المستحق<sup>(٢)</sup>، وكذلك كل شيء خلقه على مقدار ما يعرف من الصلاح فيه لم يخلق عبثاً ولا جزافاً، عن أبي علي، وقيل: هو كقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣] أي: أجلاً لا يتقدم ولا يتأخر، عن الربيع، وقيل: جعلنا لكل شيء شكلاً يوافقه ويصلح له كالمرأة للرجل، والأثان للحمار، وثياب الرجال للرجال، وثياب النساء للنساء، عن ابن عباس، وقيل: خلق النار بمقدار الاستحقاق.

ومتى قيل: هلا حملتم ذلك على أفعال العباد، وأنه خلق فيهم الخير والشر والإيمان والكفر؟

(١) فكذلك: كذلك، ك.

(٢) لا يزيد ولا ينقص على المستحق: لا يزيد على المستحق ولا ينقص، ك.

قلنا: ليس في الظاهر ما يوجب حمل الآية عليه، ولأنه ثبت أن أفعالهم ليست بخلق الله تعالى، لأن فيه الكفر والظلم، وقتل الأنبياء، ولأنه تمدح بالآية، وليس في خلق الكفر والمعاصي تمدح، ولأنه تعالى احتج بالآية عليهم، ولو كان كما قالوا لكانت الآية حجة لهم عليه، ولأنه ذمهم ووبخهم، ولو كان خلقاً فيهم لما صح ذلك، ولأنه أمرهم بخلاف ذلك، وكيف بأمرهم بخلاف ما يخلق، ولأن في الآية: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ وفيها: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ وعيداً لهم، وفيها ذكر المتقين والوعد لهم، وكل ذلك يبطل قول المجبرة.

«وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلَمَحٍ بِالْبَصَرِ» قيل: أراد قيام الساعة، عن ابن عباس، يعني إذا أردنا قيامها أعدنا السموات والأرض وجميع المخلوقات والحيوانات في قدر لمح البصر سرعة، وقيل: أراد إن أراد تكوين شيء كان كما أراد في سرعة من غير امتناع، عن أبي علي، وقيل: لا يحتاج في أفعاله إلى أن يفعل مرتين «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ» قيل: من كان على دينكم مُعَيَّنِينَ لكم، مجتمعين<sup>(١)</sup> على عداوة الرسول، فَقَتَلُوا وأهلكوا، عن أبي علي، وقيل: هو على الأمم السالفة، عن الحسن، وسموا أشياعهم لموافقتهم في الكفر والتكذيب للأنبياء، وقيل: أشباهكم في الكفر من الأمم «فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ» أي: من متعظ بهلاكهم ومصارعهم، وهذا تلميح في الاستدعاء أي: من كان متعظاً بشيء فليتعظ بهذا «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ» أي: الأشياء من خير وشر «فِي الزُّبُرِ» قيل: في الكتب، عن الضحاك، وابن زيد، وقيل: الكتب التي كتبها الحفظة، إشارة<sup>(٢)</sup> إلى أنهم غفلوا ولم يغفل عنهم، عن أبي علي، وقيل: في اللوح المحفوظ «وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ» من أفعالهم «مُسْتَطَرٌّ» أي: مكتوب، عن ابن عباس وجماعة، قال أبو علي: أراد مكتوب محفوظ عليهم ليعلموا أنه لا يخفى عليه شيء. «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» الذين اتقوا المعاصي «فِي جَنَّاتٍ» بساتين «وَنَهْرٍ» قيل: أنهار ومياه جارية، وقيل: أراد الأنهار، فذهب مذهب الجنس، وقيل: في نهار؛ أي: ضياء وسعة «فِي مَقْعَدٍ» أي: في موضع قعود «صِدْقٍ» قيل: مجلس حق لا لغو فيه، وهو الجنة، وقيل: وصف

(١) مجتمعين: مجمعين، ك.

(٢) إشارة: أشار، د.

المكان بالصدق لكونه رقيقاً مضيئاً، وقيل: لأنه يدوم وغيره يزول «عِنْدَ مَلِكٍ» قيل: في علم الله، صائرون إلى ذلك الموضع، عن أبي علي، وقيل: ذلك المقعد مقعد صدق عنده؛ لما هو عليه من دوام النعيم، وقيل: بالمكان الذي هيأه لأوليائه، والمليك: المالك، والمقتدر: القادر، عن أبي علي.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ عقيب ما<sup>(١)</sup> تقدم أن الذي يخلقه من العقاب بحسب الاستحقاق، فلا حيف فيه، وهذا أليق بالآية ونظم الكلام. ويدل قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ أن في الذنوب كبيراً وصغيراً، وأن جميع ذلك مكتوب محفوظ للجزاء، خلاف ما قاله قوم: إن الصغائر لا تثبت. ومتى قيل: أليس الصغائر مغفورة؟

قلنا: لا صغير للكافر والفاسق، وإنما الصغائر للمؤمن، فتثبت الموازنة<sup>(٢)</sup> أيضاً، وقد فسرت المشبهة الكاذبة على الله تعالى والمجبرة المفترية عليه هذه الآيات بتفاسير لا يشهد لها ظاهرها، ولا لهم عليها دليل في العقل والشرع.

أما المشبهة فذكروا في قوله: ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ أنهم يحيون مع الجبار، وأنه يقعدهم معه على سريره، ورووا أن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار يؤثرون عليه القرآن، ثم ينصرفون<sup>(٣)</sup> إلى رحالهم ناعمين، إلى غير ذلك من الصورة والأعضاء، والذهاب والمجيء، وأنه يحتجب أحياناً، ويظهر أحياناً بصورة ملك، تعالى الله عن ذلك، وقد ثبت أنه ليس بجسم، وأنه لا يجوز عليه المكان، ولا شيء من صفات الأجسام.

فأما المجبرة فقالوا في قوله: ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾: أنه خلق أعمال العباد، وأي ظاهر يشهد لهم، ولأي شيء حملوه عليه، لولا الهوى واتباع الإلف والتقليد، ونعوذ بالله من الجهل.

(١) ما: بما، ك.

(٢) الموازنة: للموازنة، ك.

(٣) ينصرفون: ينصرفوا، ك.



## سُورَةُ الرَّحْمَنِ

سورة (الرحمن)، ثمان وسبعون آية في الكوفي، وست في البصري، وهي مدنية، فيما يروى عن الحسن وقتادة، وأحد الروایتين عن ابن عباس، وعائشة، وعطاء، والضحاك.

وعن بعضهم: أنه توقف فيه.

وروى الصادق، عن أبيه، عن النبي ﷺ: «لكل شيء عروس، وعروس القرآن (الرحمن)».

وروى أبي عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الرحمن) رحم الله ضعفه، وأدى شكر ما أنعم الله عليه».

وعن جابر: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة (الرحمن) حتى ختمها، ثم قال: «ما لي أراكم سكوتاً، لَلْجَنِّ كانوا أحسن منكم رداً، ما قرأت عليهم هذه الآية مرة ﴿فَيَأْتِيْءُ الْآءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا شيء من نعمك يا رب تُكْذِبُ، فلك الحمد».

ولما ختم سورة (القمر) بذكر المليك المقتدر، افتتح هذه السورة مبيناً أنه الرحمن، وذكر من دلائل توحيده، وعقبه بالوعد والوعيد.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ⑥ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑦ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩ فِيهَا فَكِكُهُ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ⑪ وَلِلْحَبِّ ذُو الْعَصْفِ ⑫ وَالرَّيْحَانُ ⑬﴾.

### القراءة

قرأ ابن عامر: «والحَبُّ ذَا الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ» بالنصب فيهما جميعاً، على تقدير: خلق هذه الأشياء.

وقرأ حمزة والكسائي: «والحَبُّ ذُو الْعَصْفِ»، بالرفع: «وَالرَّيْحَانُ» بالجر عطفاً على العصف، على تقدير: وذو الريحان.

وقرأ الباقر الجميم بالرفع، فالحب عطف على الفاكهة، «وَالرَّيْحَانُ» عطف على الحب، وقيل: الحب ابتداء.

قراءة العامة: «تُخْسِرُوا» بضم التاء وكسر السين، وقرأ بلال بن أبي بردة بفتح التاء وكسر السين، وهما لغتان.

### اللغة

الرحمن: معدول عن الرحمة للمبالغة.

والبيان: إظهار المعنى بما يبين، وأصله من البين، وهو الدلالة عند شيخنا<sup>(١)</sup> أبي علي وأبي هاشم، وعند شيخنا أبي عبد الله هو العلم الحادث.

(١) شيخنا: شيخنا، د.

وحُسبان: فعلان<sup>(١)</sup>: مصدر حَسَبْتُهُ أَحْسَبُهُ حُسْبَانًا، نحو: الشكران والكفران، وقيل: هو جمع حساب، كشهاب وشُهبان.

والنجم: أصله الطلوع، ومنه: نَجَمَ القرن والسن إذا طَلَعَا، ونَجُمَ السماء سمي نجمًا لطلوعه، والنجم: النبت الطالع من الأرض. والقسط: العدل.

والخسران: ذهاب رأس المال، خَسِرَ خُسْرًا وخسرانًا.

والأنام: الخلق، قيل: أصله من وَتَمَ الذُّبَابُ: إذا صَوَّت، فكل ما يصوَّت من نفسه يسمى أنامًا، وقلبت الواو ونام<sup>(٢)</sup> همزة [كقولهم: أناة من وناة]<sup>(٣)</sup>. كلما<sup>(٤)</sup> فعل ضرباه.

والأكمام: جمع كُمَّ، وهو كل ما غطي به شيء، وكل شجر يخرج ثمره مُكَمَّم<sup>(٥)</sup> فهي ذات أكمام، وأكمام النخلة: ما غطى ثمارها من السعف والليف، وكُمَّ الطلعة: قشرها، ومنه: كم القميص؛ لأنه يغطي اليد.

والعصف: حطام النبت المنكسر منه، ومكان مُعَصِفٌ كثير العصف، وأعصفت الريح فهي عاصف: إذا هبت فحملت العصف، وناقة عصفوف: سريعة، شبهت بالريح العاصف، والإعصاف: الإهلاك، قال ابن السكيت: والعصف والعصيفة ورق السنبل.

والريحان: الرزق، ومنه سمي الولد الريحان، ومنه حديث النبي ﷺ: «والحسن والحسين أبني» فاطمة فهما ريحاناه<sup>(٦)</sup>، والريحان: ما يشم، وهو معروف.

والآلاء: النعم، واحدها: (إِلَى)، نحو معاً، و(أَلَى) مثل قفا، و(أَلَى) نحو لَحَى.

(١) فعلان: فاعيل؛ د، ك.

(٢) ونام: أنام؛ د، ك.

(٣) زيادة من التبيان للطوسي، ٤٥٣/٩.

(٤) كلما: كما، د، ك.

(٥) مكمم: مكمة، د، ك.

(٦) ريحاناه: ريحاناه، ك.



## الإعراب

«الرحمن» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، تقديره: الله الرحمن، نحو: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١] أي: هذه السورة أنزلناها، وقيل: هو ابتداء وخبره: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، وإنما عد الرحمن؛ لأنه في معنى الجملة، على تقدير: الله الرحمن.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ قيل: تقديره: الشمس والقمر يجريان بحسبان، فهو ابتداء، ونصب (السماء) على تقدير: وخلق السماء.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ تقديره: لئلا<sup>(١)</sup> تطغوا، أو لأجل ألا<sup>(٢)</sup> تطغوا.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ذكر بلفظ الشنية؛ لأنه أراد ضربين.

## النزول

قيل: إن هذه السورة نزلت حين قالوا: وما الرحمن؟ فجوابه: الذي علم القرآن وخلق الإنسان.

وقيل: هو جواب لأهل مكة، حين قالوا: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] فبين أن الذي يعلمه القرآن هو الرحمن.

## المعنى

«الرَّحْمَنُ» من أسماء الله تعالى، لا يسمى به غيره؛ لأن معناه: الذي وسعت رحمته كل شيء، فأما راحم ورحيم فيجوز في صفات العباد «عَلَّمَ الْقُرْآنَ» أي: من رحمته أن علمكم للقرآن، بأن أنزله على رسوله، فتأخذونه منه وتفهمونه «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» قيل: الإنس كلهم، عن أبي علي، وقيل: الإنسان آدم، عن ابن عباس، وقتادة. «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» قيل: أراد اللغات، أي: علم اللغات، فكان يتكلم بسبعمائة ألف لغة، أفضلها العربية، وقيل: «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» أي: بين له الحلال والحرام، والخير

(١) لئلا: لأن لا؛ د، ك.

(٢) أن لا: ألا؛ د، ك.

والشر؛ ليحتج به على عباده، عن قتادة، وقيل: علمه الكلام الذي بين به عما يريد، عن أبي العالية، وابن زيد، وأبي علي، وقيل: النطق والتمييز، عن الحسن، أي: جعله مميزاً مبيناً، كقوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، وقيل: ما يقول وما يقال له، عن محمد بن كعب، وقيل: علم كل قوم بلسانهم التي يتكلمون بها، عن السدي، وقيل: الكتابة والحفظ، عن<sup>(١)</sup> ابن كيسان «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» يعني محمداً «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» يعني ما كان وما يكون «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ» قيل: بحساب ومنازل يجريان فيها ولا يعدوانها، عن ابن عباس، وقتادة، وقيل: بحسب الأوقات والأعمار، وبالأجال، لولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يَدْرَ أحد كيف يحسب شيئاً، وقيل: يجريان بقدر، عن الضحاك، وقيل: كحسبان الرحا يدوران في مثل قطب الرحا، وقيل: بمقدار لا يتفاوت، فالقمر يقطع بروج السماء في ثمانية وعشرين يوماً، والشمس تقطع البروج في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشيء<sup>(٢)</sup>، عن أبي علي. «وَالنَّجْمُ» قيل: النبات الذي ليس له ساق، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وسفيان، وقيل: هو نجم السماء، عن قتادة، ومجاهد، والأول أولى لمصاحبة الشجر، وقيل: هو كل نبت؛ سمي بذلك لطلوعه من الأرض، عن السدي. «وَالشَّجَرُ» كل نبت له ساق، عن ابن عباس، وقتادة، وسعيد، وسفيان. «يَسْجُدَانِ» قيل: سجودهما ما فيهما من الآيات الدالة على حدثهما، وعلى أن لهما صناعاً أنشأهما [وما فيهما من الصفة والقدرة]<sup>(٣)</sup>، التي تدعو إلى السجود والخضوع لله تعالى المُحْدِثُ لهما، وقيل: تصرفهما على مراده من غير امتناع مما يريده تعالى، فجعل ذلك خضوعاً، والسجود الخضوع، قال الشاعر:

تَرَى الْأَكْمَ فِيهَا سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ<sup>(٤)</sup>

(١) عن: قال، د، ك.

(٢) يعني وشيء من يوم؛ أي بضع ساعات.

(٣) +، الطبرسي، مجمع البيان، ٢٩٩/٩.

(٤) وتكملة البيت:

بخيل تفضل البلق من حجراته ترى الأكم فيها سجداً للحوافر  
وفي رواية: بجمع تفضل البلق؛ وفي رواية: بجشي مضل.

عن أبي علي .

وقيل : سجودهما ظلالهما بكرة وعشيًا ، عن مجاهد ، وسعيد ، ومعناه : أن ظلّهما يقتصر للخضوع لله تعالى بما فيه من دلالة الحدث ، وإثبات المُخْدِثِ المدبر ، وقيل : هو الكوكب ، وسجوده : طلوعه ، عن مجاهد ، وقتادة ، وهذا يرجع إلى ما ذكرنا أن طلوعه ونُورُهُ وجريانه يدعو إلى السجود «وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا» أي : أمسكها مرتفعة لا على شيء «وَوَضَعَ الْمِيزَانَ» قيل : العدل ، عن مجاهد ، وقيل : الذي يوزن به ليوصل به إلى الإنصاف والانتصاف ، عن الحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وأبي علي ، وقيل : هو القرآن الذي هو أصل الدين ، فكأنه تعالى بين أدلة العقل وأدلة السمع ، والأولى قول أبي علي ؛ لأنه حقيقة ، فكأنه تعالى خلق الخلق وأمر بالعدل وأنزل آتته ، وقيل : الميزان البروج ، وليس بشيء ، ولأنه تعالى قال : «أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ» أي : لئلا تجاوزوا فيه الحق والعدل إلى الباطل والبخس «وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ» أي : بالعدل ، معناه : لا تنقصوا إذا وزنتم ، قال سفيان بن عيينة : الإقامة باليد والقسط بالقلب . «وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ» أي : لا تنقصوا مما وزنون .

ومتى قيل : لِمَ كرر ذكر الميزان ؟

قلنا : ليكون كل واحد قائمًا بنفسه تأكيدًا .

وقيل : لأنه نزل في وقتين ، عن أبي علي .

«وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا» قيل : خلقها مسكنًا ومتصرفًا ، وقيل : بسطها ، عن ابن عباس . «لِلْأَنْثَامِ» قيل : للخلق ، عن قتادة ، وقيل : للجن والإنس ، عن الحسن ، وقيل : لكل ذي روح ، عن ابن عباس ، والشعبي . «فِيهَا» في الأرض «فَاكِهَةً» يعني أنواع الفاكهة ، قال ابن كيسان : ما يفكههم به من النعم التي لا تحصى ، فكل النعم يتفكه بها «وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ» قيل : الأكمام ليف النخلة الذي يكمن فيه ، عن الحسن ، وقيل : الأكمام الطلع الذي فيه ثمرة النخل قبل أن تنفتق ، عن ابن زيد ، وقيل : ذات الغلف ، عن الضحاك . «وَالنَّحْبُ ذُو الْعَصْفِ» قيل : هو التبن ، عن ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ؛ لأن الريح تعصفه ، أي : تطيره ، وقيل : هو ورق الزرع ، عن مجاهد ، قال أبو علي :

هو ورقه الأخضر في أول ما يرى من النبات، وروي نحوه عن ابن عباس، وقيل: هو ورق كل شيء، عن ابن كيسان. «وَالرَّيْحَانُ» قيل: هو الريحان الذي يشم، عن الحسن، وابن زيد، وقيل: الريحان الحب، عن ابن عباس، والضحاك، وقيل: هو الرزق، عن ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وقيل: الريحان: الريح<sup>(١)</sup>، عن سعيد بن جبير، وابن عباس، وقيل: هو الطعام، عن الضحاك، فالعصف التبن، والريحان الشمرة، جعل الله تعالى الحب للإنس قوتاً<sup>(٢)</sup>، والعصف قوتاً للبهائم. والريحان مسموم للإنس، نعمة منه وفضلاً «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» الخطاب للإنس والجن، أي: بأي نعم ربكما تكذبان أيها الثقلان، وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والأصم وأبي علي، قال أبو علي: لأنهما مشتركان في التكليف، والوعد<sup>(٣)</sup> والوعيد، وقيل: أراد به الإنس، وخاطب بخطاب التثنية على عادة العرب.

### ❁ الأحكام

تدل على عظيم<sup>(٤)</sup> نعمه تعالى بالقرآن لما فيه من بيان الأحكام.  
وتدل على عظيم نعمه بتعليم البيان.  
وتدل على حدث القرآن؛ لأن القديم لا يصح فيه التعليم.  
وتدل الآيات على إثبات صانع حكيم، وعلى صحة الحجاج في الدين.  
وتدل على عظيم نعمه والحث على شكره.  
وتدل على وجوب الإنصاف، والنهي عن البخس في حقوق الناس.  
وتدل أن الطغيان والبخس في الميزان فعلُ العبد، فيصح قولنا في المخلوق.

(١) الريح: الريح، د، ك؛ وما أثبتناه من تفسير الطبري ٥٧٩/١١.

(٢) للإنس قوتاً: قوتاً للإنس، ك.

(٣) والوعد: بالوعد، د، ك.

(٤) عظيم: عظم، ك.

قوله تعالى:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۖ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَاتِ (٢٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)﴾.

#### ❖ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب: «يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ» بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله، الباقون: «يَخْرِجُ» بفتح الياء وضم الراء إضافة الفعل إلى اللؤلؤ.

وقرأ أبو جعفر وأبو بكر عن عاصم، وشجاع عن أبي عمرو: «اللؤلؤ» بترك الهمزة الأولى في جميع القرآن، الباقون بالهمزة فيهما كل القرآن.

وقرأ حمزة وعاصم في بعض الروايات: «الْمُنْشِآتُ» على إضافة الفعل<sup>(١)</sup> إليها، يعني المقبلات المبتديات، الباقون بفتح الشين، أي: المخلوقات المرفوعات المسخرات.

قراءة العامة: «ذو الجلال» بالواو على أنه صفة الوجه، وعن عبد الله: ذي الجلال، على أنها نعت الرب.

(١) في ك كتب فوق كلمة: (الفعل) لفظة: (القول).

## اللغة

الصلصال: الطين اليابس الذي يَصِلُّ، أي: يصوت من تيبسه: إذا نقرته، وحمار مصلصل في نهيقه، ويقال: هو صلصال ما لم تمسه النار، وإذا مسته النار فهو حينئذ فَخَّارٌ، وقيل: الصلصال المُنْتِنُ، من قولك: صل اللحم وصلل: إذا أتنن، ومنه قراءة من قرأ: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠] بالصاد غير معجمة، أي: اُنْتَنَّا، ويقال: إنه من الصلة، وهي الأرض اليابسة.

والفَخَّار: الطين الذي طبخ بالنار.

والمارج: المضطرب المتحرك، وقيل: المختلط، يقال: أمرج الأمر: اختلط، ومرج الخاتم في يده: قلق واضطرب، ومرج الدين: فسد، وقلقت أسبابه، ومَرَجْتُ الدابة في المرعى: خلقتها ترعى.

والمشرق: موضع شروق الشمس وهو طلوعها، شَرَقْتُ الشمس تَشْرِيقًا شروقًا: طلعت، وأشرق: أضاءت وصفت.

والمغرب: موضع الغروب.

والبرزخ: الحاجز بين الشيئين، ومنه البرزخ: الحاجز بين الدنيا والآخرة.

والجواري: جمع جارية، وهي السفينة، سميت بذلك لأنها تجري في الماء بإذن الله، ومنه: الجارية: المرأة الشابة؛ لأنها يجري فيها ماء الشباب.

والأعلام: الجبال، واحدها: علم، قالت الخنساء:

كَأَنَّهُ عَلمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ<sup>(١)</sup>

والفَنَاءُ: انتفاء الجسم، فَنى يَفْنَى فناءً، والفناء معنى يضاد الجواهر؛ وذلك لأن الجواهر باقية<sup>(٢)</sup> فلا يتنفي إلا بضد أو ما يجري مجرى الضد، وضده: الفناء.

(١) وتكملة البيت:

وإن صخرًا لتأتم الهدأة به كأنه علم في رأسه نار.  
أنظر ديوان الخنساء، ص ٤٩ دار صادر، بيروت.

(٢) باق: باقي، ك.

واختلف المتكلمون في إفناء العالم، فذهب بعضهم إلى أنه لا يفنى، والباقون إلى أنه يفنى، ثم اختلفوا قيل: يخلق الفناء معنى، عن أبي علي، وأبي هاشم، وقيل: بالأ<sup>(١)</sup> يخلق فيه البقاء فينتفي، عن أبي القاسم، وقيل: بأن يعدمها، عن أبي الحسين الخياط، وقيل: بأن يخلق فيها كونًا لا يفنى<sup>(٢)</sup>، فإذا فني الكون فنيت الجواهر.

واختلفوا في البقاء والفناء، فقليل: البقاء ليس بمعنى، والفناء معنى، عن أبي علي<sup>(٣)</sup>، وقيل: البقاء معنى، والفناء ليس بمعنى، عن أبي القاسم، وقيل: كلاهما ليس بمعنى، فالباقي هو مستمر الوجود، والبقاء استمراره، والفناء إعدام الوجود، والفاني: الذي هو<sup>(٤)</sup> عدم بعد الوجود، عن أبي الحسين الخياط، وقيل: هما بمعنى، عن بعضهم.

### النزول

قيل: نزل قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ في اليهود، عن مقاتل.

### المعنى

ثم بين تعالى من أدلته على وحدانيته، ونعمه على خلقته، عطفًا على ما تقدم من ذلك، فقال - سبحانه -: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» قيل: آدم، وقيل: جميع البشر؛ لأن أصلهم آدم، وقد خلق من الطين «مِنْ صَلْصَالٍ» قيل: من طين يابس يسمع له صلصلة، عن قتادة، وقيل: الحمأ المنتن، وقيل: بحمله عليهما؛ لأنه كان حمأ ثم صار يابسًا «كَالْفَخَّارِ» كالآجر «وَخَلَقَ الْجَانَّ» قيل: أبو الجن، كما أن آدم أبو الإنس، عن الحسن، وقيل: هو إبليس، عن الضحاك، وقيل: الجان واحد الجن، عن أبي عبيدة. «مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ» قيل: من نار مختلط، أحمر وأسود وأبيض، عن مجاهد، قال: لهب مختلط أحمر وأصفر وأخضر، وقيل: من لهب النار، عن قتادة، وقيل: هو

(١) بالأ: بأن لا؛ ث، د، ك.

(٢) يفنى: يبقى؛ د، ك.

(٣) عن أبي علي: عن شيخنا، ك.

(٤) هو: -، ك.

لهب خالص صافٍ<sup>(١)</sup> لا دخان فيه، والأولى أنه اللهب المختلط «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» أي: بأي نعمه تكذبان أيها الثقلان.

ومتى قيل: لِمَ كرر هذه الآية؟

قيل: لأنه عد<sup>(٢)</sup> نعماءه نعمة [نعمة]، فذكر عقيب كل نعمة ما ينبه على الشكر، وترك التكذيب.

«رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» قيل: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وكذلك مغربهما، عن قتادة، ومجاهد. «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ» قيل: اختلط طرفاهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما، وقيل: مَرَجُهُمَا إرسالهما، عن ابن عباس، وقيل: اضطرابهما بالرياح العواصف، واختلفوا في البحرين، قيل: بحر فارس والروم، عن الحسن، وقاتدة، وقيل: بحر السماء والأرض «يَلْتَقِيَانِ» في كل عام، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: البحرين الملح والعذب «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ» حاجز حائل من قدرة الله وحكمته أن يغلب الملح العذب والعذب الملح، عن قتادة، وقيل: حاجز من الجزائر «لَا يَنْفِيَانِ» قيل: لا يختلطان، ولا يبغي أحدهما على صاحبه، عن مجاهد، وقيل: لا يطغيان على الناس بالغرق، عن قتادة. «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا» العذب والملح يلتقيان، فيكون العذب كاللحاق للملح، كما يقال: يخرج الولد من الذكر والأنثى، وإنما<sup>(٣)</sup> تلده الأنثى، وعن ابن عباس: إذا جاء القطر من السماء فتحت الأصداف في البحر، فكان من ذلك اللؤلؤ، وهذا على قوله: إن البحرين: بحر الأرض، وبحر السماء، وقيل: إنه يخرج من أحدهما، ومثل ذلك جائز، كقوله: «يَنْمَعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَّا يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ» [الأنعام: ١٣٠] والرسول من الإنس، والأوجه هو الأول؛ لأنه لا مانع من حمله على حقيقته، وقد ذكر عن الغواصين أن ذلك لا يوجد إلا في المواضع الذي يلتقي العذب والملح، وهو قول أبي علي. «اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» قيل: اللؤلؤ: كبار

(١) صافٍ: صافي؛ د، ك.

(٢) عد: عدد، ك.

(٣) وإنما: وإنما، د، ك؛ وما أثبتناه من الجصاص، أحكام القرآن ٢٩٩/٥؛ الطوسي، التبيان، ٤٥٨/٩.



الدر، والمرجان: صغاره، وقيل: المرجان: الخرز الأحمر، عن أبي مالك، وقيل: هو البُسْدُ، عن عطاء الخراساني، وقيل: المرجان: حجر، عن ابن مسعود، وقيل: المرجان: اللؤلؤ الكبار، عن أبي علي، وابن عباس<sup>(١)</sup>، والأولى أن يحمل على ما يخرج من البحر، وقد روي عن سلمان، وسعيد بن جبير، وسفيان الثوري، في الآية معنى لا يدل عليه الظاهر، ولا دل دليل أنه المراد بالآية، قالوا: مرج اختلط، البحرين علي وفاطمة ﴿يَتَنَهَّمَا بَرَزَخٌ﴾ محمد ﷺ<sup>(٢)</sup> ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين، فإن كان هذا مسموعاً من النبي ﷺ فذاك، وإلا فالظاهر لا يدل عليه، فلا يجوز حمله عليه، ولأنه فتح باب أقوال الباطنية، وكذلك ما قيل: البحرين: القرآن والدنيا، وما قيل: بحر الدنيا والعقبى، والبرزخ: القبر، وغير ذلك مما لا ينبغي أن يشتغل بمثله؛ إذ لا مانع من حمل الكلام على ظاهره، وحقيقته حمله عليه، وقد روي عن بعضهم أن البحرين<sup>(٣)</sup>: الحجة والشبهة، والبرزخ: النظر، والمرجان واللؤلؤ: الحق والدين، وهذا كالأول في أنه خلاف الظاهر، وفيه تعسف شديد «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ» قيل: السفن المرفوعات، وقيل: المخلوقات «كَالْأَعْلَامِ» كالجبال العظام «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ أَي: كل من على الأرض فان «وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ» قيل: يبقى ربك، فذكر الوجه تأكيداً، كما يقال: وجه الرأي، وليس ثم جارحة، والمراد حقيقته وصوابه، وقيل: يبقى ما فعل لوجه الله، أي: لرضاه «ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» قيل: ذي العظمة والإعظام، يعني أهل بأن يعظم ويبجل، وذلك بأن يوصف بما يليق به، ويعبد حق عبادته «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» أي: بأي نعمه تكذبان، ببقائه وصفاته في التمجيد، أم بفنائكم لتصلوا إلى الثواب.

ومتى قيل: أي نعمة في الفناء؟

(١) هكذا في المخطوطات، د، ك، ولعله: عن ابن عباس وأبي علي. كما هي طريقة المؤلف في تقديم

الصحابي على غير الصحابي.

(٢) صلى الله عليه وآله وسلم: +، ك.

(٣) البحرين: البحرين، ك.

قلنا: فيه نعم:

منها: أنه لطف للمكلف؛ لأنه لو عجل الثواب لصار مُلْجِئًا إلى العمل، ولما استحق الثواب، فجعل بينهما فاصلة؛ لتفعل الطاعة لحسنها، فتستحق الثواب.

ومنها: أنه وصله إلى الثواب، وتنبيه على أن الدنيا لا تدوم.

ومنها: أنه لطف للمكلفين من قدرته تعالى على الإفناء والإعادة.

«يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» يعني تسأله الملائكة والجن والإنس<sup>(١)</sup> وغيرهم حوائجهم منه لا غيره يأخذون منه «كُلُّ يَوْمٍ» كل وقت «هُوَ فِي شَأْنٍ» قيل: اليوم يومان، يوم هو الدنيا، ويوم هو الآخرة، وفي الدنيا يخلق وينشر، ويميت ويحيي، ويرزق الأحياء، ويأمر وينهى، ويغني ويفقر إلى غير ذلك من تدبير الله تعالى في خلقه، وفي الآخرة الثواب والأعواض، والتفضيل والعقاب، عن سفيان بن عيينة، وقيل: الشأن ما يفعله كل ساعة من موت وحياة، وصحة وسقم، وشباب وشيب، ونجاة وهلاك، وغنى وفقر، وعز وذل، وخصب وجذب، وسعة وقحط، وصيف وشتاء، وتغير أحوال في الدنيا، وعن النبي ﷺ وقد سئل عن هذه الآية وما ذاك الشأن؟ فقال: «يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين»، وقيل: شأنه أن يجيب داعيًا، ويعطي سائلًا، ويفك عانيًا، ويشفي سقيمًا، ويغفر ذنبًا، ويفوت على قوم، عن مجاهد، وعبيد بن عمير، وقيل: يخلق خلقًا، ويميت خلقًا، ويرزق خلقًا، عن الربيع بن أنس، وقيل: شأنه إيصال المنافع إليك، ودفع المضار عنك، عن أبي سليمان الداراني، فلا تغفل عن طاعته، ولا تغفل عن ترك معصيته «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

### الأحكام

تدل الآيات على عظيم قدرته في خلق آدم وذريته، والجان؛ لأن من خلق من طين حيًا خصيمًا مبيّنًا ذا أعضاء وجوارح وحواس وجميع ما ركب الله تعالى في

(١) والجن والأنس: والإنس والجن، ك.

الإنسان من عجائب التركيب، وخلق من لهب النار خلقًا عجيبًا، وحيوانًا لم يكن إلا قادرًا على الكمال عالمًا.

وتدل على نعمه في اللؤلؤ، والمشرق والمغرب، ثم فيه لطف للمكلفين؛ لأن من تحمل المشاق العظيمة حتى غاص، واستخرج اللؤلؤ من قعر البحر، فلأن يجتهد في طلب النعمة التي لا نهاية لها وهي نعيم الجنة أولى.

وتدل على أن الخلق يفنى على ما نقوله، وإذا كان الفناء ضدًا للجواهر فلا اختصاص<sup>(١)</sup> ببعض الجواهر دون بعض، فيفني الجميع، خلاف ما قاله أبو علي: إنه يختص بجهة؛ إذ لو اختص بجهة لكان مثلاً للجواهر لاشتراكهما في التحيز، وقد شنع على شيخنا أبي هاشم قوم من الجهلة بهذه المسألة، وقالوا عنده: إنه تعالى لو أراد أن يفني بعض الجواهر دون بعض لا يقدر عليه، وهذا جهل؛ لأنه تعالى لا يريد ذلك، فإما أن يريد فناء الجميع، أو لا يريد، وفناء<sup>(٢)</sup> بعضه دون بعض ليس<sup>(٣)</sup> بمقدور، ثم يقال للقوم: لو خلق الله تعالى عشرة أجزاء من البياض في محل، فلو خلق فيه جزءًا من السواد ينفي الجميع، فلو قيل: فلو أراد فناء بعضها دون بعض كيف، كان يكون؟ فكل جواب لهم فهو جوابنا.

ولا يقال: السواد لا يبقى؛ لأننا نصوبه في منع الوجود، أو نقدر البقاء، أو نقول: إذا كان عندهم الأعيان بالفاعل، فلو جعل الله تعالى الأعراض باقية، وجب أن يجوز.

ومتى قيل: فما الفناء؟

قلنا: عرض لا يقدر عليه غيره تعالى، ومن حقه ألا يبقى، وهل هو مدرك؟ منهم من قال: بلى، ومنهم من قال: لا، وتوقف فيه القاضي، ويضاد الجواهر على الوجود، وليس بمتحيز، ولا يكون في جهة.

(١) فلا اختصاص: فلا إخصاص، د، ك.

(٢) وفناء: فناء، ك.

(٣) +، بعض ليس: بعض لأنه ليس، ك.

وتدل على أنه تعالى كل وقت يجري الأشياء على ما هو المصلحة من غير تقديم وتأخير، قال أبو علي: وهذا توسع، لأنه لا يقال: هو في شأن إلا وهو مشغول به عن غيره، ويتعالى<sup>(١)</sup> الله عن ذلك، فالمراد أنه تعالى يفعل أفعالاً في أوقاتها.

قوله تعالى:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١) فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَمَعَشَرُ الْجَنُّ وَالْإِنسُ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ (٣٥) فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنُّوَصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ (٤٤) فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)﴾.

### القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «سَيَفْرُغُ» بالياء وفتحها وضم الراء، واختاره أبو عبيد وخلف اعتباراً بقوله تعالى: «يسأله» فاتبع الخبر الخبر، تقديره: سيفرغ الله لكم. وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبو عمرو: «سَنَفْرُغُ» بالنون وفتحها وضم الراء، وهو اختيار أبي حاتم، على نون الكبرياء والعظمة، وروي في ذلك قراءة شاذة، فعن عبد الله، وأبي: «سنفرغ إليكم»، وعن الأعمش: بضم الياء وفتح الراء، على ما لم يسم فاعله، وعن الأعرج بفتح النون والراء، قال الكسائي: هي لغة تميم.

(١) ويتعالى: وتعالى، ك.

قرأ ابن كثير، وابن أبي إسحاق: «شَوَاطٌ» بكسر الشين، الباقون بضمها، وهما لغتان: نحو: صُورَ وصُورَ للجماعة من البقر.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «نُحَاسٌ» بكسر السين عطفاً على النار، واختاره أبو حاتم، والباقون برفع السين عطفاً على الشواظ<sup>(١)</sup>، واختاره أبو عبيد.

### اللغة

الفراغ في اللغة على وجهين: أحدهما: الفراغ من شغل، والثاني: القصد إلى الشيء، وأصل الفراغ منه: أن ينقطع عنه بعد ملامسة، والفراغ له: هو التوفر عليه، والفراغ والشغل لا يجوز حقيقتهما على الله تعالى؛ لأن ذلك من صفات الأجسام التي تحلها الأضداد، فهو في صفته تعالى توسع بمعنى القصد أو التهديد على ما ذكره.

والثقلان: أصله من الثَّقَل، وكل شيء له وزن وقدر فهو ثقل، ومنه قيل لبيض النعام: ثقل، قال الشاعر:

فَتَذَاكِرًا<sup>(٢)</sup> ثِقَلًا رَثِيدًا بَعْدَ مَا أَلَقْتُ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ<sup>(٣)</sup>

فسميت الإنس والجن ثقلين<sup>(٤)</sup> لثقلهما على الأرض حيًا وميتًا، ومنه: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وقيل: شبه بالثقل.

والقُطر: الناحية، والأقطار: الجوانب، يقال: طعنه فَقَطَّرُهُ، أي: ألقاه على أحد شقيه وَقَطَّرِيهِ، وهما جانباه.

والشواظ: اللهب الذي لا دخان فيه، قال رؤبة:

وَنَارَ حَرْبٍ تُسْعِرُ الشُّوَاطِأَ<sup>(٥)</sup>

(١) الشواظ: الشواذ؛ د، ك.

(٢) فتذكرا: فتناقلا، ك.

(٣) البيت ينسب لثعلبة بن صُغير المازني: أنظر لسان العرب (رثد)، تاج العروس (رثد)، الصحاح (رثد)

(٤) ثقلين: ثقلان؛ د، ك.

(٥) البيت قائله رؤبة بن العجاج وتكملته:

إِنْ لِسَهُمْ مِنْ وَقَعْنَا أَقْيَاطًا

أنظر ديوان رؤبة بن العجاج.

والنحاس: الدخان، قال الشاعر:

يُضِيءُ كَضَوْءِ السَّرَاجِ السَّلِيحِ ط لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسًا<sup>(١)</sup>

أي: دخانا.

والوردة: واحدة الورد، وهو معروف بورقه ولونه، يقال: للفرس<sup>(٢)</sup> وَرْدٌ،

وللأسد: وَرْدٌ.

والدَّهَان: جمع دهن.

والسِّمَاء: العلامة.

والناصية: شعر مقدم الرأس، سمي بذلك لاتصالها بالرأس.

والحميم: الماء الحار.

والآن: الذي بلغ النهاية في الحر، أَنِّي يَأْنِي أَنَا، فهو آِن.

### ❁ المعنى

ثم ذكر الوعيد وأحوال القيامة بعد ذكر الفناء والإعادة، فقال سبحانه: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ قيل: هو تهديد كقول القائل: لأتفرغن لكم وما به شُغْلٌ، عن ابن عباس، والضحاك، وأبي علي، وقيل: سنقصدكم بعد الترك والإمهال، وتأخذ في أمركم، عن القتيبي، والكسائي، وقيل: لما قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وانقضت شؤون الدنيا، بقيت شؤون الآخرة، فقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ أي: سنجزىكم ما وعدناكم، نوصل كلاً إلى ما وعدناه، فتم<sup>(٣)</sup> ذلك، ويقع الفراغ، عن الحسن، ومقاتل، وابن زيد، وقيل: نتوفر على شأنكم حتى يتم كما نريد، عن ابن كيسان. «أَيُّهَا الثَّقَلَانِ» قيل: الجن

(١) البيت قائله النابغة الجعدي في قصيدة مطلعها:

لبيت أناسا فأفانيتهم وأفانيت بعد أناس أناسا

أنظر ديوان النابغة الجعدي، جمع عبد العزيز رباح، ص ٧٨، المكتب الإسلامي، ١٩٦٤.

(٢) للفرس: الفرس، د.

(٣) فتم: فتم، ك.

والإنس، وذكرهما بعد<sup>(١)</sup> هذا<sup>(٢)</sup> اللفظ تفخيماً لشأنهما، وروي عن النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي» فجعلهما ثقلين إعظاماً لحقهما «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بالوعد أم بالوعيد.

ومتى قيل: كيف عد الوعيد نعمة؟

قلنا: لأنه زجر عن المعصية، ولطف في التكليف.

«يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا» أي: إن قدرتم، ولم يقل: استطعتم؛ لأنهم جماعة «أَنْ تَنْفُذُوا» أي: تجوزون هارين من العذاب، طالبين للنجاة، شبههم بالمخوفين «مِنْ أَقْطَارٍ» أطراف «السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ» أي: لا تجوزون ولا تنجون من العذاب، وقيل: أراد إن استطعتم أن تعجزوا الله فافعلوا، فجعلهم عَجَزَةً عن تحصيل النجاة لهم.

ومتى يقال هذا؟ قيل: يوم القيامة، عن أكثر المفسرين، وقيل: في الدنيا إن قدرتم أن تخرجوا من الأرض، وقيل: هارين من الموت، عن الضحاك، فأخبر أنه لا نجاة لهم من الموت بوجه «إِلَّا بِسُلْطَانٍ» أي: حجة، وقيل: معناه إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا، ولن تعلموه إلا بسُلْطَانٍ أي: حجة، وقيل: معناه: إن استطعتم فَبَيِّنَةً<sup>(٣)</sup> من الله تعالى، عن ابن عباس، والسلطان: قيل: الحجة، عن أكثر المفسرين، وقيل: لا تخرجون عن سلطاني، عن عطاء، وقيل: إلا إلى سلطان، كقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: إلي، وروي أنه يحاط على الخلق بالملائكة والنار، ثم ينادون بهذا يوم القيامة. «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» أي: بأي نعمه تكذبان، بإخباره تعجيزكم<sup>(٤)</sup>؛ لتحثالوا لدفعه بعمل الطاعة واجتناب المعصية، أو إخباره إياكم أنكم لا تنفذون إلا بحجة لتستعدوا لذلك اليوم «يُرْسَلُ

(١) بعد: -، ك.

(٢) هنا: بهذا، ك.

(٣) فَبَيِّنَةً: بيّنة، د، ك.

(٤) تعجيزكم: بتخيركم، ك.

عَلَيْكُمْ شَوَاطِئُ مِنْ نَارٍ» قيل: لهب النار، عن ابن عباس، وقتادة، وهو اللهب الذي لا دخان فيه، وقيل: هو اللهب الأخضر المنقطع عن النار، عن مجاهد، وقيل: هو الدخان<sup>(١)</sup> الذي يخرج من اللهب، ليس بدخان الحطب، عن الضحاك، والنحاس: قيل: الصُّفْرُ المذاب للعذاب، عن ابن عباس، ومجاهد، وسفيان، وقتادة، وقيل: النحاس: الدخان، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقيل: النحاس: المُهْلُ، عن ابن مسعود، وقيل: القَطْرُ، عن الربيع، وقيل: دُرْدِيُّ الزيت، عن الضحاك، وقيل: هو الذي له ريح شديد، عن الكسائي، وقيل: هي خمسة أنهار من صفر ذوائب تصب على رؤوسهم، عن مقاتل، وقيل: يمطر عليهم بالصفرة المذاب. واختلفوا فقيل: هذا يفعل بهم في النار، وقيل: بل قبل دخول النار، وقيل: الدخان يحشرهم إلى المحشر «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بأي نعمه؟ بإخباركم بهذه الحالة لتحترزوا أم بغيره من النعم؟ «فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ» قيل: تقطعت وانفجرت «فَكَانَتْ وَرْدَةً» أي: صارت حمراء كالورد الأحمر، تتلون بلون الورد، وقيل: متغيرة، قال قتادة: إنها اليوم خضراء، وسيكون لها يومئذ لون آخر هي الحمرة، وقيل: الوردية هي المهرة تنقلب حمراء بعد أن كانت صفراء «كَالدَّهَانِ» أي: كالدهن، عن مجاهد، وأبي العالية، وقتادة، والدهن ألوان، شبه السماء بألوانه. وقيل: كالدهان الذي يصب بعضه على بعض بألوان مختلفة، عن الحسن، وقيل: كعك الزيت يتلون ألوانًا، عن عطاء بن أبي رباح، وقيل: يرون السماء كالدهن، وذلك حين يصيبها حر جهنم، وقيل: كدهن الورد الصافي، عن مقاتل، وقيل: كالأديم الأحمر، وجمعه: أدهنة، عن الكلبي، قيل: كلون الفرس الورد يتغير، عن الضحاك، والربيع، وقيل: إذا فرغ من المحاسبة وبرزت الجحيم، فتؤثر في السماء، فتصير محمرة، ثم تذوب، فتسيل كالدهن، وتسود وجوه العصاة، وتأخذهم الملائكة يعرفون بسيماهم، وروي أن سماء الدنيا من الحديد «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» أي: بأي نعمه وإخباره بأحوال القيامة، لتستعدوا

(١) الدخان: للدخان، د.



لها أم بغيره «فَيَوْمَئِذٍ» أي: يوم القيامة «لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ» قيل: في ذلك الموطن لا يسأل لما يلحقه من الدهش، وإن كان يسأل في غيره من المواطن، ويقال: «وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» [الصفات: ٢٤] وقيل: تكون المسألة، ثم يختم على الأفواه عند لزوم الحجة، وتنطق الجوارح، عن قتادة، وقيل: لا يسألون؛ لأنه تعالى عالم بذلك، وكذلك الحفظة من الملائكة، عن ابن عباس، والحسن، وقاتدة، وقيل: لا تسألهم الملائكة؛ لأنهم يعرفونهم بسيماهم، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: لا يسألون سؤال تعريف هل عملتم<sup>(١)</sup>؟ لكن يسألون سؤال توبيخ: لم فعلتم؟ عن الزجاج، وقيل: هناك مواطن يسأل في بعضها، ولا يسأل في بعض، وقيل: لا يسألون سؤال استفهام لكن سؤال توبيخ وتقريع، عن ابن عباس. وقيل: لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم «إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ»، عن أبي العالية، أي: لا يسأل عن ذنب المجرم غيره من الجن والإنس «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمَا» بعلاماتهم، وهي سواد الوجوه، وزرق العيون، عن الحسن، وقاتدة، وقيل: أمارات الخزي «فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ» قيل: تأخذهم الزبانية، فتجمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغُلِّ، ثم يسحبون ويقذفون فيها، عن الحسن. «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بتميز أهل الثواب من أهل<sup>(٢)</sup> العقاب، أو بإخباره إياكم عن تلك المقامات لتستعدوا لها «هَذِهِ جَهَنَّمُ» يعني ويقال: لهم هذه جهنم «الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ. يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ» يعني بين عذاب جهنم، وبين حميم آتٍ، قد انتهى حره، عن ابن عباس، والضحاك، والحسن<sup>(٣)</sup>، وقاتدة، وسفيان، وقيل: هو وادٍ من أودية جهنم، يجتمع فيه صديد أهل النار، فينطلق بهم وهم في الأغلال، فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منها وقد جدد الله خلقهم، فيلقون في النار، عن كعب، وقيل: مرة يعذبون بالنار، ومرة بتجرع هذا الماء والصب عليهم، عن

(١) عملتم: علمتمهم؛ د، ك، والتصحيح من د كتب فوقها: صوابه: عملتم.

(٢) أهل: +، ك.

(٣) والضحاك والحسن: والحسن والضحاك، ك.

أبي علي، وقيل: إنهم يستغيثون من العطش، فيحملون إلى الحميم، ويستغيثون من الحميم، فيحملون إلى النار، فلا راحة لهم. «فَيَأْيِ آلَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بإخباره إياكم بهذه الأحوال، فتزجروا عن المعاصي، فهو لطف لكم، أم بغيره من النعم؟.

### ✽ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنْ أَسْطَغْتُمْ﴾ أن أحدا لا يستطيع أن يخلص نفسه من العذاب، ولا يندفع إلا بحجة.

قال أبو علي: يدل قوله: ﴿كَالَّذِينَ﴾ أن السماء من الحديد كما روي فتذوب بحرّ النار.

ويدل قوله: «يعرف» أن لكل أحد علامة يعرف بها.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ ﴿٤٦﴾ فَيَأْيِ آلَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَيَأْيِ آلَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهَا عِشَانٌ تَجْرِيانِ ﴿٥٠﴾ فَيَأْيِ آلَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رِزْوَانٍ ﴿٥٢﴾ فَيَأْيِ آلَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَيَأْيِ آلَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَيَأْيِ آلَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَيَأْيِ آلَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَيَأْيِ آلَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ ۞

### ✽ القراءة

قرأ نافع وعاصم ويعقوب في بعض الروايات عنهم: «مِنْ اسْتَبْرَقٍ» بكسر نون (من) ووصل الألف، وقرأ الباقون بقطع الألف.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب:

«لَمْ يَطْمِئْنِ» بكسر الميم في الحرفين، وهو اختيار أبي حاتم، وأبي عبيد، وقرأ أبو حيوة الشامي وطلحة بن مصرف بالضم فيهما، وكان الكسائي يكسر إحداهما ويضم<sup>(١)</sup> الأخرى، يخير في ذلك، وهي قراءة أبي إسحاق السبيعي، قال أبو إسحاق: كنت أصلي خلف أصحاب علي، فأسمعهم يقرؤون<sup>(٢)</sup> بضم الميم، وكنت أصلي خلف أصحاب عبد الله، وكنت أسمعهم يقرؤون<sup>(٣)</sup> بكسر الميم، وكان الكسائي يقرأ واحدة بالضم، وواحدة بالكسر، اقتداء بهما، وهما لغتان.

### السُّغَّة

المَقَام بفتح الميم: موضع القيام، وبضمها: الموضع المهيأ للإقامة فيه. والأفنان: جمع فَنَنٍ، وهو الغصن الغض الورق، ومنه قولهم: فنون، وهذا فَنٌّ آخر، أي نوع آخر، ويجوز أن يكون جمع فَنٍّ. والاتكاء: الاستناد للكرمة، اتَّكَأَ فهو مُتَكَيٍّ؛ وأصله من وكأت السقاء: إذا شددته، ومنه: «الْعَيْنُ وَكَاءُ السَّه»؛ فالاتكاء شد بالتقوية للإكرام. والجَنَى: الثمرة التي قد أدركت، وحان أي تجتنى، قال الشاعر:

هَذَا جَنَائِي وَخَيْرُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ<sup>(٤)</sup>

والقاصر: المانع من ذهاب الشيء في سمته، فالحور قاصرات الطرف عن غير أزواجهن، وامرأة مقصورة: محبوسة مخدرة، لا تخرج، وقصيرة وقُصُورَةٌ، قال الشاعر:

وَأَنْتِ الَّتِي<sup>(٥)</sup> حَبَبَتْ كُلَّ قَصِيرَةٍ<sup>(٦)</sup>

(١) ويضم: وضم؛ د، ك.

(٢) يقرؤون: يقرأون؛ د، ك.

(٣) يقرؤون: يقرأون؛ د، ك.

(٤) البيت ينسب إلى عمرو بن عدي اللخمي؛ انظر، أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، لسان العرب، جني.

(٥) التي: الذي، د، ك.

(٦) البيت قائله كثير عزة وتمامه:

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبَتْ كُلَّ قَصِيرَةٍ  
إِلَيَّ وَمَا يَدْرِي بِذَاكَ الْقَصَائِرِ  
انظر ديوان كثير عزة، دار صادر، بيروت.

وَقَصَرَ يَقْصُرُ قَصْرًا فهو قاصر، ومنه: قصر الصلاة، وأصل الباب: الْقِصْرُ خلاف الطُّول.

والطرف: جفن العين؛ لأنه طرف لها، ينطبق تارة، ويفتح تارة<sup>(١)</sup> أخرى<sup>(٢)</sup>.  
والطمث: أصله الدم، طَمِثَتِ المرأة: حاضت، وطَمِثَتْ: إذا دميت بالافتضاض، وبغير لم يطمث، أي: لم يمسه حَبْلٌ ولا رجل، قال الفرزدق:  
دُفِعَنَ إِلَيَّ لَمْ يُطَمَثَنَّ قَبْلِي وَهُنَّ أَصَحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعَامِ  
يقال: طمِثَ يطمِثُ بكسر الميم وضمها لغتان.

### الإعراب

«متكئين» نصب على الحال.

«فيهن» الكناية قيل: تعود على الفرش لتقدم ذكرها، وقيل: إلى الجنان، وصرف الإستبرق؛ لأنه يحسن فيه دخول الألف واللام، تقول: الإستبرق.  
(وجنا) محله رفع على الابتداء<sup>(٣)</sup>، وخبره: «دان».

### المعنى

ثم عقب تعالى بالوعد على العادة الجارية في القرآن في الجمع بين الوعد والوعيد ترغيبًا وترهيبًا، فقال - سبحانه - : «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» أي: مقامه للجزاء والمحاسبة، وأضاف إليه تعالى: لأنه يقيمه، وقيل: مقام ربه قيامه عليه بالعلم، كقوله: ﴿أَفَنَنْتَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وقيل: أراد مقام الذل والفضيحة، وقيل: أراد بالمقام ما يذكر من مواقع الأفعال، كقولهم: مقام أبي بكر عظيم في أمر الزهادة، فمقامه تعالى ما يفعله من الثواب والعقاب المستحقين، ولهذا يسمى مواضع الزهاد عند الملوك مقامًا، وعن إبراهيم، ومجاهد: هو الرجل يهتم بالمعصية فيذكر الله، فيدعها مخافة الله. «جَنَّتَانِ» هو بستان فيه شجر تَجُنُّهُ، أي:

(١) تارة: +، ك.

(٢) أخرى: -، ك.

(٣) الابتداء: البدء؛ د، ك.

تستره، وفي الجنتين دورة<sup>(١)</sup> وقصوره، وقصور أزواجه وحرمه، عن أبي علي، وقيل: جنة من ذهب، وجنة من فضة، وقيل: من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، ترابها الكافور والعنبر، وقيل: كل بستان مسيرة مائة سنة، في وسط كل بستان دار من نور، وقيل: هما جنة عدن، وجنة النعيم، عن مقاتل. «ذَوَاتَا أَفْنَانٍ» قيل: ذواتا ألوان من النعم من الفواكه، عن الضحاك، وقيل: ذواتا أغصان، عن مجاهد، وأبي علي، وقيل: ذواتا تفضل بهما على ما سواهما<sup>(٢)</sup>، عن قتادة، وقيل: ذواتا ظلال، عن الحسن، وقيل: ذواتا أصول، عن ابن كيسان. «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بهذه الجنتان<sup>(٣)</sup> أم بغيرهما<sup>(٤)</sup> «فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ» قيل: بالكرامة على أهل الجنة، عن ابن عباس، وقيل: تجريان بالماء الزلال، أحدهما التسنيم<sup>(٥)</sup>، والأخرى<sup>(٦)</sup> السلسيل، عن الحسن، وقيل: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى<sup>(٧)</sup> من خمر لذة للشاربين، عن عطية العوفي. «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ» أي: صنفان، وقيل: ضربان: ضرب معروف، وضرب من شكله غريب، قيل: قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة إلا وهي في الجنة «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مُتَكَبِّرِينَ» أي: قاعدين كالملوك «عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا» جمع بطانة، وهو خلاف الظهارة، وقيل: بطائنها: ظواهرها، كما يقال: هذا ظهر السماء وبطن السماء، عن الفراء، والمؤرج<sup>(٨)</sup>، والظاهر أن البطانة ما بطن، والظهارة ما ظهر، فلا يعدل عن الظاهر، وقيل: «مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ» إشارة إلى الأمن «مِنْ إِسْتَبْرَقٍ» قيل: غليظ الديباج، عن عكرمة، والفراء، وجماعة، وقيل: الظواهر من سندس، وقيل: هو الرقيق من الديباج، والبطائن من إستبرق، وهو الديباج الغليظ، عن أبي علي، وقيل: الإستبرق: الحرير الصيني، وهو من الغليظ والرقيق، قال ابن مسعود وأبو هريرة: هذه البطانة فما

- (١) دوره: دور؛ د، ك.
- (٢) ما سواهما: ما سواها، ك.
- (٣) الجنتان: الجنان، ك.
- (٤) بغيرهما: بغيرها، ك.
- (٥) التسنيم: النسيم، ك.
- (٦) والأخرى: والآخر، ك.
- (٧) والأخرى: والآخر، ك.
- (٨) المؤرج: المؤرخ؛ د، ك.

ظنكم بالظواهر، وقيل: لسعيد بن جبير: ما الظواهر؟ فقال: هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمُ﴾ [السجدة: ١٧]، وروي عنه: بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد. «وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ» أي: ثمرهما قريبة تنالها أيدي القائم والقاعد، وقيل: يوجد<sup>(١)</sup> في كل وقت، خلاف ثمار الدنيا، وقيل: أشجارها وإن كانت باسقة، فإنها تدنو ممن يريدونها «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بما وعد من هذه النعم أم بغيره «فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» أي: نسوة غاضة الأعين، قصرن طرفهن على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم، قال ابن زيد: تقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك، وقيل: بلغ من محبتهم لأزواجهن ألا<sup>(٢)</sup> ينظرن بطرفهن إلى غيرهم، وهن منزهات عما يشينههن، وقيل: هن المؤمنات يعيذهن الله تعالى، وقيل: هن الحور المنشئات «لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ» قيل: لم يمسسهن بجماع، عن مجاهد، وعكرمة، وابن زيد، من قولهم: بَعِيرٌ لم يطمث، وقيل: لم يذقهن بِنكاح، عن ابن عباس. من قولهم: امرأة طامث، كأنه قيل: هن أبكار، لم يفتضهن أحد «أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ» وإنما ذكر الجن؛ لأن للجن أزواجاً من الجن، وسئل ضمرة بن حبيب: هل للجن ثواب؟ فقال: نعم، وقرأ هذه الآية، قال: فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن «كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ» قيل: هُنَّ<sup>(٣)</sup> على صفات الياقوت في بياض المرجان، عن الحسن، وقتادة، وقيل: الياقوت في الحسن والصفاء، والمرجان في النور، وهو أشد اللؤلؤ بياضاً، وهو صغاره، عن الحسن، وقيل: أبيض كالمرجان، وأحمر كالياقوت، وروي عن النبي ﷺ «أن المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة من حرير»، قال ابن مسعود: كما ترى السكك من وراء الياقوت «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بهذه الجواري وصفتهن وخدمتهن، أم بغيرها من النعم «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» (هل) يستعمل على أربعة أوجه:

أولها: بمعنى (قد)، كقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١].

(١) يوجد: يحصد، ك.

(٢) ألا: أن لا؛ د، ك.

(٣) هن: هي؛ د، ك.

وثانيها: بمعنى الاستفهام، كقوله: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤].  
 وثالثها: بمعنى التقرير والأمر، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي: انتهوا.  
 ورابعها: بمعنى الجحد، كقوله: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾ [النحل: ٣٥] أي<sup>(١)</sup>:  
 ما عليهم إلا البلاغ، وهو ههنا تقرير، أي: هل جزاء مَنْ أحسن العمل في الدنيا إلا  
 الإحسان إليه بالثواب في الجنة؛ عن ابن عباس، وأبي علي، وجماعة من المفسرين.  
 وروي عن النبي ﷺ: «هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة».

وعن ابن الحنفية والحسن: هي مسجلة للبر والفاجر. وقيل: هل جزاء من  
 أحسن إليكم بهذه النعم إلا أن تحسنوا في شكره وعبادته «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ»  
 بنعم الدين أم بالثواب الجزيل؟

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على أن الجنتين للخائف، وعلامة الخائف من ترك معصيته.  
 وتدل على وصف الجنة وعظيم نعمها.  
 وتدل على أن الأعمال جزاء، وأن للعبد عملاً حتى يجازى به، خلاف قول  
 المجبرة.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ (٦٢) مُدْهَمَّتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ (٦٣) فِيهِمَا عَيْنَانِ فَضَاحَتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ (٦٤) فِيهِمَا فُكْكُهُ ۖ وَنُحْلٌ وَرَمَانٌ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ (٦٥) فِيهِمَا خَيْرٌ حَسَانٌ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ (٦٦) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ (٦٧) لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْ قُلُوبُهُمْ وَلَا جَانٌ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ (٦٨) مُتَكِبِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حَسَانِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ (٦٩) تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۚ﴾ (٧٠).

(١) أي: +، ك.

## القراءة

قرأ ابن عامر: «ذو الجلال» وهي كذلك في مصاحف أهل الشام، على أنه نعت للاسم، الباؤون بالياء على أنه نعت للرب، وكذلك في مصاحفهم.

قراءة العامة: «خيرات» بسكون الياء والتخفيف، وعن أبي رجاء العطاردي: «خَيْرَات» بكسر الياء والتشديد، وهما لغتان مثل: هَيْنَ وَهَيْنٌ، وَلَيْنَ وَلَيْنٌ.

والقراءة المجمع عليها: «رفرف»، وروى أبو بكر عن النبي ﷺ أنه قرأ: «رفارف» على الجمع، «وعباقري» بالألف، ولا يصح هذا عن رسول الله ﷺ، ولا تجوز القراءة به، والقراءات لا تثبت إلا بالنقل المستفيض، وقد ذكر أهل العربية أن من قرأ: (عباقري) فقد غلط؛ لأنه لا يكون بعد ألف الجمع<sup>(١)</sup> أربعة أحرف ولا ثلاثة إلا أن يكون الثاني<sup>(٢)</sup> حرف لين، نحو: قناديل.

## اللغة

الدُّهْمَةُ: السواد<sup>(٣)</sup>، وادَّهَامٌ<sup>(٤)</sup> الزرع: إذا علاه السواد ريًا، ومنه الدهماء: الداهية، سميت بذلك لظلامها، وتصغيره: الدَّهَيْمَاء، ومنه: الدهماء: القدر.

والنضخ أكثر من النضح، وهو رش الماء على الشيء، وغيث نَضَّاحٌ<sup>(٥)</sup>: غزير، وعين نضاحه: كثيرة الماء، نضخ يَنْضَخُ نَضْخًا فهو ناضخ.

وقال الزجاج: أصل خَيْرَات: خَيْرَات، وقال أبو عبيدة<sup>(٦)</sup>: امرأة خَيْرَةٌ، ورجل خَيْرٌ، والجمع: خيرات، والرجال أخيار وخيار.

والرمان: معروف، وأصله رم يرم رمًا؛ لأن من شأنه أن يرم الفؤاد.

(١) بعد ألف الجمع: هذا الألف الجمع، ك: هذا للألف، د، وما أثبتناه من تفسير التبيان للطوسي، ٩/ ٤٨٤.

(٢) الثالث: الثاني، د، ك؛ وكتب في هامش د، أظنه الثالث.

(٣) في د: للسواد.

(٤) وادهام: وادهام، د.

(٥) نضاح: نضاح، د، ك.

(٦) أبو عبيدة: أبو عبيد، ك.



والرُفْرَف: الروضة، وأصله من رَفَّ النبت يَرِفُّ: إذا صار غَضًّا نَضِرًا.

### المعنى

ثم بَيَّنَّ أَنَّ لَهُم جَنَّتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ<sup>(١)</sup>، فقال - سبحانه -: «وَمِنْ ذُونِهِمَا» قيل: دونهما في الدرجة، عن ابن عباس، وقيل: دونهما في الفضل، عن ابن زيد، وقيل: من دونهما، أي: أقرب إلى قصره ومجالسه؛ لينتقل من مجلس إلى مجلس، وجنة إلى جنة، فيتضاعف السرور، وقيل: أمامها، عن الكسائي، وقيل: غيرهما «جَنَّتَانِ» أي: بستانان، قيل: الأربع للخائف مقام ربه، عن ابن عباس، وقيل: هي أربع جنات للسابقين، وجنتان للتابعين، عن الحسن، وابن جريج، وقيل: الأوليان<sup>(٢)</sup> من ذهب وفضة، والآخران<sup>(٣)</sup> من ياقوت وزمرد، وهما أفضل من الأوليان<sup>(٤)</sup> «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مُدْهَمَّتَانِ» قيل: خضراوان من الرِّيِّ، عن ابن عباس، وقتادة، وعطية، يعني من شدة خضرتهما تضرب إلى السواد، ففي الجنتين الأوليين<sup>(٥)</sup> أشجار ذوات أفنان، وفي هاتين أنواع الخضراوات، وفي حافتهما<sup>(٦)</sup> النخل والرمان «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بأي نعم، بهذه أم غيرها؟ «فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ» قيل: فوارتان بالماء، ينبع من أصلهما، ثم يجريان، عن الحسن، وقيل: ينضخان على أولياء الله بالمسك والكافور، عن ابن عباس، وقيل: ينضخان بأنواع الخيرات «فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ» قيل: أفرد النخل والرمان بالذكر فضيلة لهما، كقوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقيل: لأنهما ليسا من الفاكهة «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فِيهِنَّ» قيل: في الجنتين، وقيل: في الأربع، عن الكسائي «خَيْرَاتٌ حِسَانٌ» روت أم سلمة أنها سألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «خيرات

(١) أخريين: أخرتين، ك؛ أخراوين، د.

(٢) الأوليان: الأولتان؛ د، ك.

(٣) الآخرتان: الآخران؛ د، ك.

(٤) الأوليان: الأولتين؛ د، ك.

(٥) الأوليين: الأولتين؛ د، ك.

(٦) حافتهما: حافاتهما، د، ك.

الأخلاق، حسان الوجوه»، وقيل: خيرات فاضلات، عن الحسن، وقيل: يقال: رجل خَيْرٌ وامرأة خَيْرَةٌ: فاضل في الصلاح والجمال، وقيل: مختارات، عن جرير ابن عبد الله، وقيل: خيرة بمعنى خَيْرَةٌ، فخفف كميت وميت «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. حُورٌ» قيل: بيض، عن ابن عباس، ومجاهد. «مَقْصُورَاتٌ» أي: قصرن على أزواجهن، فلا يردن بدلاً بهن، عن مجاهد، والربيع، وقيل: محبوسات في الحجاب، مستورات، عن ابن عباس، وقيل: لَسُنَّ بطوافات في الطرق، عن الحسن. «فِي الْخِيَامِ» قيل: الخيمة درة مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. وروي عن النبي ﷺ: «الخيمة درة، طولها في السماء ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل المؤمنين، لا يراهم الآخرون». وقيل: المراد بيت والعرب تسمي البيت خيمة «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. لَمْ يَطْمِئْنُوا أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ» أي: لم يمسهن بجماع «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مُتَكَبِّرِينَ» جالسين جلوس الملوك، من النعمة والأمن «عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ» قيل: هو رياض الجنة، عن سعيد بن جبير، والواحد رفرقة، والجمع رفر، والرفارف جمع الجمع، وقيل: هي المجالس، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وقيل: المرافق، عن الحسن، أي: الوسائد، وقيل: فرش مختلفة الألوان، عن أبي علي، وقيل: نوع فراش، يكرم الله به أهل الجنة «وَعَبَقَرِيَّ حَسَانٍ» قيل: زرابي حسان، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وهي الطنافس، قال ابن زيد: هو الطنافس، وقيل: العبقرى: الديباج، عن مجاهد، وقيل: البسط، عن الحسن، قيل: عبقر اسم بلد ينسج به ضرب من الوشي الحسن، واحدها: عبقرية، عن أبي عبيدة، قال قطرب: ليس بمنسوب، وقال القتيبي: كل ثوب مُوشًى فهو عبقرى «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ» قيل: تبارك: ثبت<sup>(١)</sup> [اسم] ربك<sup>(٢)</sup> [ودام]، وقيل: البركة منه واسمه «ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أي: ذي العظمة والكبرياء، وقيل: الاسم صلة، والمعنى تبارك ربك، وقيل: اسمه منزّه عن كل سوء، أي: له الأسماء الحسنى، وقيل: افتتح السورة باسم لا يجوز إلا له،

(١) ثبت: +، د.

(٢) ربك: +، ك، وما أثبتناه من الواحدى، الوجيز، ٦٠١/١.

وختمها بصفات لا تليق إلا به «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، وعن النبي ﷺ: «أَلْظُّوا بِيَاذَا الْجَلالَ وَالْإِكْرَامِ» أي: داوموا عليه.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على ما أعد الله تعالى للمؤمن من الجنة وصفاتها، وما يحتاج إليه من المسكن، ومرافقها، وفرشها، وعيون الماء، والفواكه، والحدور، والأزواج، فذكر كل واحد على أحسن ما يكون ترغيباً.

وتدل على تنزيهه عن كل سوء؛ لأنه لو فعل القبيح لجرى عليه اسم لا يليق به.

## سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

سورة (الواقعة) مكية، ست<sup>(١)</sup> وتسعون آية.  
وعن ابن مسعود عن مسروق: (من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة).  
ولما ختم سورة (الرحمن) بالوعد، وصفة الجنة، افتتح هذه السورة بصفة القيامة والجنة، ورتب فيها درجات الناس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ (١) لَيْسَ لَوْفِعِهَا كَاذِبَةٌ ۖ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۚ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۚ (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۚ (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۚ (٨) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۚ (٩) وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۚ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ (١١) فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ۚ (١٢)﴾.

### ﴿القراءة﴾

قراءة العامة: «هباء مُنْبَثًا» بالثاء من البث، وهو التفريق. وقرأ إبراهيم النخعي بالثاء، أي: منقطعًا، من قولهم: بَثَّتْ<sup>(٢)</sup> الحبل: قَطَعَتْهُ.

(١) ست: ستة، د، ك.

(٢) بئت: بت، د.

## اللغة

الوقع: ظهور الشيء بالحدوث، كظهور الساقط بحضرة الرائي، وقع يقع وقوعاً، وهو واقع، والأنثى واقعة.

والرجرجة: الاضطراب، كجارية رجرجة، والرجج: تحريك الشيء، يقال: رَجَجْتُ الحائط، وارتج البحر: اضطرب، وارتج السهم عند خروجه من القوس.

والبَسَّ: مصدر بسست الحنطة أبسها، إذا دستها<sup>(١)</sup>، وهي البسة، ويقال: البسيصة السويق أو الدقيق يلت ويتخذ زاداً، وأصله: الخلط، قال نصر بن غطفان:

لَا تَخْبِزَا خُبْزًا وَيُسَا بَسًّا<sup>(٢)</sup>

والهباء: غبار كالشعاع في الرقة.

والانبثاث: افتراق الأجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة.

## الإعراب

العامل في «إذا» محذوف، تقديره: اذكر إذا وقعت الواقعة.

«كاذبة» نعت لمحذوف<sup>(٣)</sup>، أي: ليس قضية كاذبة فيها، ويجوز: ليس لها تعيين كاذبة في الخبر بها، وقيل: الكاذبة مصدر، كما يقال: لاغية، أي: لغو، وخائنة، أي: خيانة عن الكسائي، تقديره: ليس في وقعتها كذبٌ، بل هو صدقٌ.

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ خبر ابتداء محذوف، أي: هي خافضة، والهاء فيهما للمبالغة، كما يقال: علامة ونسابة، قال الفراء: هو اسم كالعافية.

﴿هَبَاءٌ﴾ نصب بنزع الخافضة، أي: كالهباء، وقيل: إنه خبر (كان).

﴿فَأَصْحَبُ الْمُيَمِّنَةِ﴾ خبره محذوف كأنه قيل: أي شيء هم.

(١) دستها: بسها، ك؛ أذابها، د.

(٢) وتكملة البيت:

ولا تُطِيلَا بُمْنَاخَ حَبْسَا

لا تخبزا خبزا ويسا بسا

تاج العروس (بس)؛ لسان العرب (بس).

(٣) لمحذوف: لمحذوفها، ك.

﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ رفع على الابتداء، والثاني: يصلح أن يكون خبرًا للأول، كأنه قيل: السابقون في كذا هم السابقون في الخير، وقيل: خبره: ﴿أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ﴾.

### المعنى

«إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» الواقعة<sup>(١)</sup> القيامة، قيل: سميت بها؛ لأنها كائنة لا محالة، فهي كالواقعة، عن الأصم، وقيل: أراد بالوقوع الوجوب، أي: واجب قيامها، وقيل: سميت واقعة لصوتها، أي: نزلت صيحة القيامة، وتلك النفخة الآخرة، وقيل: معناه دنت القيامة «لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ» أي: ليس في كونها تكذيب «خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ» قيل: تخفض أقوامًا إلى النار، وترفع أقوامًا إلى الجنة، عن الحسن، وأبي علي، وقيل: خفضت بالصوت<sup>(٢)</sup> فأسمعت القريب، ورفعت فأسمعت البعيد، عن عكرمة، والسدي، ومقاتل، وقيل: رفعت أقوامًا إلى عليين، كانوا أذلاء في الدنيا، وخفضت أقوامًا إلى أسفل السافلين، كانوا مرتفعين في الدنيا، وقيل: رفعت قومًا بالفضل، وخفضت قومًا بالعدل «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا» قيل: زلزلت زلزالاً شديداً، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والزلزلة: الحركة باضطراب، وقيل: تُرَجُّ كما يرج<sup>(٣)</sup> الصبي في المهد، فينهدم كل بناء عليها «وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا» قيل: تبث بثًا<sup>(٤)</sup>، عن ابن عباس، ومجاهد، والسدي، أي: فُرِّقَتْ فصارت كالسويق، وقيل: أذهبت إذهاباً، عن عطاء، وقيل: كسرت كسرًا، عن سعيد بن المسيب، وقيل: سيرت عن وجه الأرض تسييراً، عن الكلبي، وقيل: قلعت من أصلها، فذهبت بعدما كانت صخرة صماء، عن الحسن، وقيل: بسطت بسطاً، كالرمل والتراب، عن عطية، وقيل: جعلت كثيباً مهيلًا، عن ابن كيسان. «فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا» قيل: هو الغبار يدخل في الكوة مع الشعاع، عن الحسن، وقيل: رَهَجُ الدواب، عن علي، وقيل: ما تطاير من

(١) الواقعة: +، د، ك.

(٢) بالصوت: للصوت، د، ك.

(٣) ترج كما يرج: يرج يرج، ك.

(٤) تبث بثًا: بت بثًا، ك.

شرر النار، عن عطية، وقيل: حطام الشجر، عن قتادة. «مُنْبَثًا» متفرقًا «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً» أي: أصنافًا.

ثم بَيَّنَّ الأصناف، فقال - سبحانه -: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» قيل: الذي يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقيل: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، عن الضحاك، وأبي علي، وقيل: هم الذين كانوا ميامين مباركين على نفوسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله، وهم التابعون بإحسان، عن الحسن، والربيع.

ثم عَجَّبَ رسوله من حالهم تفخيماً لشأنهم، فقال - سبحانه -: «مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» كما يقال: زيد ما زيد «وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» قيل: الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، وقيل: يعطون كتبهم بشمائلهم، عن الضحاك، وأبي علي، وقيل: هم المشائيم على أنفسهم، فكانت أعمارهم في معصية الله، عن الحسن. ثم عجب من حالهم لعظيم شأنهم في العذاب، فقال: «مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» قيل: هم الذين صَلُّوا إلى القبلتين، عن ابن سيرين، وقيل: السابقون إلى اتباع الأنبياء، فصاروا أئمة في الهدى، فهم السابقون إلى جزيل الثواب عند الله، عن أبي علي، وقيل: السابقون إلى طاعة الله: السابقون إلى رحمته، وقيل: السابقون أولهم رواحاً إلى المساجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله، وقيل<sup>(١)</sup>: السابقون إلى الهجرة<sup>(٢)</sup>، وهم السابقون إلى الجنة، عن ابن عباس. وقيل: إلى الصلوات<sup>(٣)</sup> الخمس، عن علي عليه السلام، وقيل: إلى الإسلام، عن عكرمة. وقيل: إلى الجهاد، عن الضحاك، وقيل: إلى كل خير، عن القرظي، وقيل: إلى التوبة وأعمال البر، يعني يسارعون إليها، عن سعيد بن جبير، وقيل: السابقون إلى ما دعا<sup>(٤)</sup> الله إليه، عن ابن كيسان، وهذا هو الأوجه؛ لأن الكلام عام، فيحمل على جميع ما تقدم، وكان المراد من عظم محله في العلم والعمل، يسبق إلى التوحيد والعدل، وتصديق

(١) وقيل: فقبل، ك.

(٢) في ك كتب فوق لفظة: (الهجرة). لفظة: (الخيرة).

(٣) الصلوات: الصلاة، د، ك.

(٤) ما دعا: ما دعي، ك.

الأنبياء إلى كل ما أمر الله بها، وقيل: الناس ثلاثة: رجل ابتكر الخير<sup>(١)</sup> في حادثة سنة وداوم عليه حتى خرج من الدنيا، فهو السابق، ورجل ابتكر عمره بالذنوب، ثم تاب فهو صاحب يمين، ورجل ابتكر الشر في حادثة سنة، وداوم عليه حتى خرج من الدنيا، وهذا صاحب شمال.

ومتى قيل: لم كان السابق إلى الإيمان أفضل؟

قلنا: لوجوه:

أحدها: أنه أسلم لله، ولحسن الإسلام، وبعده قد يكون لرغبة ورهبة.

وثانيها: أن إسلامه قد يكون لطفًا لغيره، فإذا رآه أسلم.

وثالثها: أنه ربما يدعو غيره كما كان يفعله أبو بكر.

ورابعها: أنه يكون قدوة يُقتدى به.

وخامسها: أنه سنَّ سُنَّةً حسنة.

«أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» من رحمته وكرامته «فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» أي: يكرمهم في الجنة.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: وقوع القيامة لا محالة، وأنه لا تكذيب في كونها<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما يختص به من رَفْعِ قوم، وخَفْضِ قوم.

ومنها: ما في الخبر به من اللطف للمكلفين.

ومنها: ما يدل<sup>(٣)</sup> على أشراط الساعة، من اضطراب الأرض، وتفريق الجبال.

(١) الخير: +، ك.

(٢) كونها: كونه، د، ك.

(٣) يدل: تدل، ك.



ومنها: بيان أحوال الناس ودرجاتهم.

ومنها: تفضيل السابقين ترغيباً في مثل حالهم، وقد مكن منه، وأزيج علله، فإذا فاتته تلك المنزلة فمن جهته، وكان شيخنا أبو علي كثيراً ما ينشد:

السَّبَاقُ السَّبَاقُ سِرًّا وَجَهْرًا حَذَرَ النَّفْسِ حَسْرَةَ الْمَسْبُوقِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى:

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۚ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۖ مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا ۖ مُتَقَابِلِينَ ۖ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۖ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۖ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ۚ وَفَكَهَمُوا مِمَّا بَخَّخِرُوتَ ۖ وَلَحِمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۖ وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۖ﴾.

#### القراءة

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «يُنْزَفُونَ» بكسر الزاي، يعني لا يفنى خمرهم، يقال: أَنْزَفَ الرجل: إذا فنى خمره، وفي الحديث: زمزم لا تنزف ولا تدم أي: لا يفنى ماؤها. وقرأ الباقر بفتح الزاي، ومعناه: لا يسكرون، يقال: نُزِفَ الرجل ينزف: إذا ذهب عقله من السكر، والأصل فيهما واحد، وهو نفاذ الشيء وذهابه، يقال: نزف دمه: إذا خرج كله، والسكران: نزيف إذا نزف، عقله، والنزف: نزوح ماء البئر كله، شيئاً بعد شيء، ونزف الرجل في الخصومة: إذا انقطعت حجته، وأنزف القوم: نفذ شرابهم.

قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي: «وَحُورٌ عِينٌ» بالكسر في الحرفين، وقرأ إبراهيم النخعي، وأشهب الغليلي: «وَحُورًا عِينًا» بالنصب، وقرأ نافع وابن كثير وعاصم، وابن عامر وأبو عمرو، ويعقوب: «حُور عِين» بالرفع، أما الكسر: فللعطف على ما

(١) في رواية أخرى للبيت:

السَّبَاقُ السَّبَاقُ قَوْلًا وَفِعْلًا حَذَرَ النَّفْسِ حَسْرَةَ الْمَسْبُوقِ

تقدم؛ ليتشاكل الكلام، من غير إخلال بالمعنى، تقديره: «وحوور عين»، فأتبعه لأجل اللفظ، وإن اختلفا في المعنى؛ لأن الحور لا يطاف بهن، كقول الشاعر:  
 إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا      وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا  
 تقديره: وَكَحَلْنَ الْعُيُونُ، فرده على «زَجَّجْنَ» للعطف، وقال آخر:  
 وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى      مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا  
 ونظائره يكثر، قال الله - سبحانه - : ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْظَّالِمُونَ<sup>(١)</sup>﴾  
 [الشورى: ٩].

وأما النصب فعلى تقدير: يعطون حورًا عينا، أو يزوجن حورًا.  
 أما الرفع، على العطف على ﴿وَلَدَنَ﴾ تقديره: ويطوف حور عين، وقيل: إنه صفة، أي لهم حور عين، عن الأخفش، وقيل: هو ابتداء، وخبره فيما بعده.

### اللغة

الثَّلَّةُ: الجماعة من الناس، وأصله القطع، قال الزجاج: الثَّلُّ القطع، والثلة: الفرقة، ومنه: الثلة من الناس القطعة، ومنه: الثَّلَلُ: الهلاك، كأنه قطع بإهلاكه، ومنه: ثُلَّ عَرْشُهُ: إذا قطع ملكه بهدم سريره، والثَّلَّةُ بفتح الثاء: الجماعة من الغنم، كأنها قطعت عن الباقين، والجمع ثِلْلٌ، نحو: بَذْرَةٌ وَبَذِيرٌ، وثللت البيت: هدمته، وأثللته: أمرت بإصلاحه.

وَالْوَضْنُ: نسج السرير وأشباهه، فهو موضون، والسرر الموضونة: المنسوجة بالدر، كما تُوَضَّنُ حِلَقُ الدرع<sup>(٢)</sup>، وكل شيء وضعت بعضه على بعض فهو موضون، وفي حديث ابن عمر:

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلَقًا<sup>(٣)</sup> وَضِيئَهَا

(١) وَالظَّالِمُونَ: والظالمين، د.

(٢) الدرع: الدروع، ك.

(٣) قلقًا: قلسها؛ د، ك؛ وتكملة البيت: مخالفًا دين النصراني دينها.

أنظر لسان العرب (قلق)، تاج العروس (قلق).

قال القتيبي: الوضين هو بطان من السيور<sup>(١)</sup> منسوج بعضها على بعض، قال الشاعر:

وَمِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةٍ تُسَاقُ مَعَ الْحَيِّ عَيْرًا فَعِيرًا<sup>(٢)</sup>  
وإنما كان موضوعًا لإدخال الحلق بعضها على بعض.

والمعين: الماء الجاري الظاهر، ومنه سميت عين الماء؛ لأن الماء يعين منه، أي: يظهر للعيون جاريًا، قال ثعلب: عَانَ الماءَ يَعِينُ إذا ظهر جاريًا، فمعين على هذا مفعول على العين، على مثال مبيع ومكيل، وقال الفراء: ويجوز أن يكون فاعلا من الماعون الذي هو المعروف، وقال غيره: هو من الماعون الذي هو الماء، يقال: معن الماء وأمعن إذا سال.

والمكنون: المصون بما يحفظه عما يلحقه تغيير، قال الشاعر:

وَهِيَ زَهْرَاءُ<sup>(٣)</sup> مِثْلُ لَوْلُؤَةِ الْغُؤَا صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ<sup>(٤)</sup>

### الإعراب

رفع «ثلة» على تقدير: هم ثلة.

«متكئين» نصب على الحال.

«جزاء» نصب على المصدر، وقيل: لأنه مفعول، أي: يفعل ذلك بهم جزاء.

وفي نصب قوله: «سلامًا» وجوه: قيل: ويقولون سلامًا، وقيل: لوقوع الفعل

عليه، تقديره: بل يسمعون سلامًا، وقيل: ينتصب بـ «قيلا»، وقيل: تقديره: سلمك الله سلامًا بدوام النعيم.

(١) السيور: الثوب، د، ك.

(٢) البيت قائله الأعشى قصيدة مطلعها:

عشيت ليلي ليلي بليل خدور وطالبتها ونذرت النذور

أنظر ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت.

(٣) زهراء: زهرة؛ د، ك.

(٤) البيت قائله أبي دهل الجمحي.

أنظر: الأصفهاني، الأغاني ج ٧، ص ١٣٧، دار الفكر، بيروت.

## المعنى

ثم بيّن حال السابقين، فقال - سبحانه -: «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» جماعة كثيرة من الأمم الماضية «وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» من أمة محمد ﷺ. وروي عنه أنه قال: «السابقون أربعة: أنا سابق العرب، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة، وصهيب سابق الروم»، وقيل: جماعة من أوائل هذه الأمة وهم الصحابة، وقليل من أواخرهم ممن قرب حالهم من حال أولئك، «عَلَى سُرُرٍ جَمْعَ سُرِيرٍ» مَوْضُوءَةٌ قيل: مشبكة بالذهب والجوهر، وقيل: مملوءة بالذهب، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: بالدر مشبكة والياقوت، عن عكرمة، وقيل: مصفوفة، عن ابن عباس، والضحاك، وقيل: طول كل سرير ثلاثمائة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت، فإذا جلس عليها ارتفعت «مُتَّكِئِينَ» أي: مستندين جالسين جلوس الملوك من النعمة والأمن «مُتَقَابِلِينَ» أي: يقابل بعضهم بعضًا للزيارة، ولا يرى بعضهم قفا بعض، وقيل: تقابل المرأة زوجها، وبعضهم بعضًا للأنس إتمامًا للسرور، عن أبي علي. «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ» قيل: باقون، لا يموتون، عن مجاهد، وقيل: مخلدون على حال واحد، لا يهرمون، عن الحسن، وقيل: مُقَرَّرُطُونَ، عن سعيد بن جبير، والفراء. قال المؤرج: يقال للقرط: الخلد، قال الشاعر:

وَمُخَلَّدَاتٍ بِاللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا<sup>(١)</sup>

واختلفوا في الولدان، فقيل: هم أولاد الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا؛ لأن الجنة لا ولادة فيها، عن علي ؓ، والحسن، وروي عن النبي ﷺ أنه سئل عن أطفال المشركين، فقال: «هم خدم أهل الجنة»، فعلى هذا يحمل قول علي والحسن، لأن أطفال المؤمنين مع آبائهم، وقيل: بل هم من خدم

(١) وتكملة البيت: أعجازهن أقاوز الكتيان  
أنظر لسان العرب (قوز)، تاج العروس (قوز).

الجنة على صورة<sup>(١)</sup> الولدان خلقوا لخدمة أهل الجنة. «بِأَكْوَابٍ» جمع كوب، وهي أباريق واسعة الرؤوس، لا خراطيم لها، عن قتادة. «وَأَبَارِيقٍ» جمع إبريق، وهي التي لها عرى وخراطيم، سمي بذلك إبريق له. «وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ» أي: كأس خمر معين، ظاهرة للعيون، جارية «لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا» أي: لا تصدع رؤوسهم من شربها، وإن أكثروا «وَلَا يَنْزِفُونَ» قد بينا اختلاف القراء، ومعنى كل واحد، وبحملة عليها، فإنها لا تنفد، ولا تسكر زيادة في سرورهم ونشاطهم «وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ» أي: يختارون ويشتهون، وتقديره: يختارونها أسقط الهاء لرؤوس الآي «وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ» وعن النبي ﷺ: «إن في الجنة لطيرًا كالْبُخَاتِي»، فقال أبو بكر: يا رسول الله: إنها لناعمة؟ فقال ﷺ: «من أكل منها أنعم منها، وإنني لأرجو أن تاكل منها يا أبا بكر». «وَحُورٌ» قيل: بيض، عن الحسن، وروي مرفوعًا. «عَيْنٌ» قيل: واسعات العيون، وقيل: وجوارٍ<sup>(٢)</sup> تحور فيها العيون، عن مجاهد. «كَأَمْثَالِ» أشباه «اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ» المخزون في الصدف، لم تمسه الأيدي «جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أي: يعطون ذلك جزاء على أعمالهم في الدنيا «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا» أي: لا يتكلم بشيء لا فائدة فيه، واللغو: كل كلام يجب أن يلغى «وَلَا تَأْثِيمًا» كلامًا يَأْثِمُ به قائله، وقيل: اللغو: المزاح، والتأثيم: الذي فيه أذى، أو شيء غيره كالشتم ونحوه «إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا» قيل: لكن يسلم بعضهم على بعض، وقيل: الملائكة تسلم عليهم.

### الأحكام

تدل الآيات على وصف نعيم الجنة المعدة للسابقين.

ويدل قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أن بعضهم لا يؤذي بعضًا.

ويدل قوله: ﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾ أنهم يختارون، وليس لأن فيها<sup>(٣)</sup> ما ليس بمختار، لكن يقدم

(١) جوارٍ: جوارٍ؛ د، ك.

(٢) صورة: مودة، د، ك.

(٣) فيها: فيه؛ د، ك.

بعضها على بعض، على ما يوجهه الترتيب، كما في أطعمة الدنيا، وكذلك قوله: ﴿يَسْتَهْوَونَ﴾ لأن نعيم الجنة كله مشتهى، لكن الشهوة تتعلق بنوع ثم بنوع، على ترتيب وتدرج. ويدل قوله: ﴿جَزَاءً﴾ أن ذلك جزاء على الأعمال، وأن ذلك العمل فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المسألتين.

ومتى قيل: كيف يكون الثواب مع عظمه مستحقاً على الطاعة مع قلة؟ قلنا: العمل لا يعظم بنفسه، وإنما يعظم بقرائنه، إذا فعل معظماً لربه مخلصاً فيه، على ما تعبد به عالمًا بما يفعله استحق الثواب العظيم، وعلى هذا إذا عصى مستخفًا بالمنعم مع عظيم نعمه استحق عقاباً عظيماً، ومن رحمته أن يعطي الثواب الجزيل على العمل القليل.

قوله تعالى:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفُكْهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرَشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٤٠)﴾.

### ❁ القراءة

قراءة العامة: «طلح» بالحاء، وعن علي: طلع بالعين، رواه عنه ابنه الحسن عليه السلام، وعن قيس بن سعد، قال: قرأ رجل عند علي: وطلح منضود، فقال علي: ما شأن الطلح، إنما هو: «وطلح»، ثم قرأ ﴿وطلعها هضيم﴾ [الشعراء: ١٤٨] فقلت: إنها لفي<sup>(١)</sup> المصحف بالحاء، أفلا تُحوّلها؟ فقال: إن القرآن اليوم لا يهاج ولا يحول<sup>(٢)</sup>، وهذه أخبار آحاد لا يصح بمثلها إثبات القرآن، وكيف يقول علي هذا،

(١) لفي: في. ك.

(٢) لا يهاج ولا يحول: لا يهاج اليوم ولا يحول، ك.

وجميع المصاحف على الحاء، ومصحف عليّ بالحاء<sup>(١)</sup>، وعليه إجماع القراء في الآية، فنقطع أنه لا يصح عن الحسن وعلي عليهما السلام، وعلى بُعد يمكن أن يُتَأَوَّلَ أنه بين جوازه لو قرئ.

قرأ نافع وعاصم في بعض الروايات عنهما: «عُزْبَا» ساكنة الراء، الباقون: بضم الراء، وهما لغتان، والعُزْبُ جمع عروب<sup>(٢)</sup>، وهي اللعوب مع زوجها الشابة تحبه، كما يأنس العربي بكلام العربي، والعُزْبُ: النشاط، وامرأة عُرُوبٌ: ضاحكة، طيبة النفس.

### اللغة

الخَضْدُ: مصدر خضدت الشجرة: إذا كسرت شوكةا، ونبات خضيد، والخَضْدُ: كل ما قطع من عود أو رطب، الخضد: العود الخضاد إذا تثنى من غير كسر، وأصل الباب: عطف العود اللين، فمن ههنا قالوا في التفسير: المخضود: الذي لا شوك له؛ لأن الغالب أن الرطب اللين لا شوك فيه.

والطلع: شجر حسن اللون لخضرته رقيق، وله نُورٌ<sup>(٣)</sup> طيب الرائحة، وقال أهل التفسير: هو الموز.

والنضد: مصدر نضدت الشيء بعضه على بعض منسقاً أو من فوق، والنضيد والمنضود والمنضد: السرير ينضد عليه المتاع، وانضاد الجبال: جنادل بعضها فوق بعض، والنَّضْدُ بفتح الضاد: الشرف لاجتماع خصال الشرف، وفي حديث مسروق: (وشجر الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها) أي: ليس لها سوق بارزة، لكنها منضودة بالورق والثمار من أسفلها إلى أعلاها.

والفراش: المهاد المهيأ للاضطجاع، وجمعه فرش، فرش فرشاً، فهو فارش، والشيء مفروش، وأصله أن يفرش أي: يبسط، والفرشُ: مصدر فرشت، والفرشُ

(١) ومصحف علي بالحاء: +، ك.

(٢) عروب: عرب، ك.

(٣) نور: لون، ك.

من الأنعام ما لا يصلح إلا للذبح، والفراش: النساء، وقيل: في قوله: «الولد للفراش» أنه أراد به الزوج، وأنشد قول جرير:

باتت تعانقه<sup>(١)</sup> وبات فراشها<sup>(٢)</sup>

كانه استعير للزوج اسم المرأة لما اشتركا في اللباس والزوجية، وشيء مفروش: مبسوط.

والإنشاء والاختراع والابتداع نظائر، وهو: إحداث المعدوم من غير احتذاء على مثال.

والبكر: المرأة على حالتها الأولى قبل الافتضاخ، وأصله الأول، ومنه بكرة: أول النهار، ومنه الباكورة: أول ما يأتي من الفواكه، والبكر: الفتي من الإبل.

والأتراب: جمع ترب، وهي اللدة الذي ينشأ مع مثله في حال الصبا، مأخوذ من لعب الصبيان بالتراب، أي: هم كالصبيان على شيء واحد، قال عمرو بن ربيعة:

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى      بَيْنَ عَشْرِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ  
ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بِهِرًا      عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ<sup>(٣)</sup>

فالمهامة البكور، وقيل: النجم، وقوله: بهراً قيل: معناه بهراً لكم، دعاء عليهم، وقيل: معناه حبا<sup>(٤)</sup> غلب وبهر، وقيل: معناه قلت ذلك معلناً غير كاتم، ومنه: ابتهر فلان بفلانة: استهتر بها، والقمر الباهر: الظاهر.

(١) تعانقه: تعارضه؛ د، ك.

(٢) البيت قائله جرير وتكملته:

خلق العباءة في الدماء قتيلا

أنظر ديوان جرير. دار صادر.

(٣) الأبيات لعمر بن أبي ربيعة وفي رواية أبرزها:

مثل المهامة تهادى      بين خمس كواعب أتراب  
ثم قالوا تحبها قلت بهراً      عدد النجم والحصى والتراب

أنظر ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق فايز محمد، دار الكتاب، بيروت ١٩٩٦.

(٤) حبا: د.



## النزول

قيل: نظر المسلمون إلى وادي محصب بالطائف، فأعجبهم سدرها، فقالوا<sup>(١)</sup>: يا ليت لنا مثل هذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن أبي العالية، والضحاك.

## المعنى

ثم بيّن تعالى ما لأصحاب اليمين، فقال سبحانه: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ» قيل: الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، عن أبي علي، وقيل: يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقيل: أصحاب اليمن والبركة «مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» تعظيم لشأنهم، وقيل: هم الذين يملكون أنفسهم، ينصرفون عن الشهوات، ومنه ملك اليمين «فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ»<sup>(٢)</sup> قيل: شجر، وقيل: شجر<sup>(٣)</sup> النبق، وقيل: ذكر السدر، ليعلم بعد حال أصحاب اليمين، من حال السابقين كبعد الفواكه من السدر، عن الأصم، وقيل: السدر شجرة خضرة، ولها رائحة طيبة «مَخْضُودٍ» لا شوك فيه، كأنه خضد شوكه، أي: قطع، عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي علي، وقتادة، والحسن، وقيل: الموقر حملاً، عن الضحاك، ومجاهد، ومقاتل، وقيل: ثمرها أعظم من القلال<sup>(٤)</sup>، عن سعيد بن جبير، وقيل: هو الذي لا أذى فيه، عن ابن كيسان، كأنه قطع عنه كل ما يؤذي، وكل شجر الجنة مأكول ومشوم «وَطَلْحٍ» قيل: شجر الموز، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعطاء، وابن زيد، ولا يبعد أن يكون العرب عرفتها فتمنوا مثلها، فَأَعْطُوا خَيْرًا مِنْهَا، وقيل: الطلح كل شجر عظيم كثير الشوك، عن أبي عبيدة، والفراء، وقيل: هو شجرة أم غيلان، عن الزجاج، وقيل: ليس هو الموز؛ لكنها شجرة لها ظل بارد طيب، عن الحسن، وقيل: شجرة تشبه الطلح يأكل منها المؤمنون في الجنة «مَنْضُودٍ» قيل: ثمرها متراكم، نضد بعضه على بعض، عن ابن عباس، وقيل: نضد من أوله إلى آخره،

(١) فقالوا: قالوا، ك.

(٢) مخضود: -، ك.

(٣) شجر: الشجر، ك.

(٤) القلال: العدل، د، ك.

ليس هو بسوق بارزة، وأشار إلى كثرة ثمرها، وقيل: أشجار الجنة من عروقتها إلى أفنانها ثمر كله «وَزِلٌّ مَمْدُودٌ» قيل: دائم لا تنسخه الشمس، وقيل: بل الظل الممدود، ثم اختلفوا فقيل: هو ظل العرش، عن الربيع، وقيل: ظل الأشجار، وفي خبر مرفوع: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها»، وقيل: ظل [ممدود] مسيرة<sup>(١)</sup> سبعين ألف سنة، عن عمرو بن ميمون. «وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ» مصبوب يجري دائماً في غير أخذود، لا ينقطع، عن سفيان، وجماعة، وقيل: مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج، وقيل: مسكوب ليشرب على ما يرى من صفاته وحسنه «وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ».

ومتى قيل: لم ذكر أولاً أنها تتخير، وذكرها هنا بأنها كثيرة «لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ» أي: مع كثرتها تتصل في كل وقت بخلاف فواكه الدنيا، وقيل: لا ينقطع ثمرها<sup>(٢)</sup> إذا جنت؛ بل يحدث مكانها مثلها روي مرفوعاً «وَلَا مَمْنُوعَةٍ» قيل: لا تمنع عن أحد، وقيل: لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا، عن القتيبي، وقيل: لا تمتنع على تناولها لِبُعْدٍ أو شوك يؤذي كما في الدنيا «وَفُرْشٌ مَرْفُوعَةٌ» قيل: الفرش: البُسْط، والمرفوعة: قيل: عالية كما يقال: بناء مرفوع، وقيل: مرفوعة القدر، وقيل: مرفوعة بعضها فوق بعض، عن الفراء وهو أوجه، وقيل: الفرش النساء، عن أبي علي وجماعة، يقال لامرأة الرجل هي فراشه، ولذلك قال عقيبه: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» «مرفوعة»: قيل: مرتفعات القدر في كمالهن وجمالهن «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» أي: خلقناهن واختراعناهن اختراعاً «فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا» قيل: عذارى، عن الضحاك. «عُرْبًا» قيل: العواشق لأزواجهن، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد<sup>(٣)</sup>، وسعيد بن جبير، وقيل: حسنات الكلام، عن أسامة بن زيد، وقيل: غَنَجَةٌ، عن عكرمة، وقيل: حسنة التبعل<sup>(٤)</sup>، وقيل: ظريفة<sup>(٥)</sup> المداعبة «أَثَرَابًا» مستويات على سن واحد، عن

(١) مسيرة: سيرة؛ د، ك.

(٢) ثمرها: الثمرة؛ د، ك.

(٣) وقتادة ومجاهد: مجاهد وقتادة، ك.

(٤) التبعل: التبعل عن، ك.

(٥) ظريفة: طريفة، ك.

ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، واختلفوا في هؤلاء على قولين: فقليل: نساء أهل الدنيا أنشأهن الله بالإعادة بعد الفناء، وروي في خبر مرفوع: «كن عجائز رمصا عمشاً جمعهن الله أبكاراً أتراباً على ميلاد واحد»، وعن النبي ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جرّداً مردّاً مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم، طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع».

وعن ابن مسعود: (إذا دخل الجنة نساء الدنيا فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا)، وقيل: هن الحور العين لأهل اليمين، أي: أنشأهن لهم، أو كل ذلك معد لهم «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» قيل: ثلّة جماعة من الأمم الماضية، وجماعة من أمة محمد ﷺ، عن ابن عباس، والحسن، وأبي علي، وجماعة، وفي خبر مرفوع: «إني لأرجو أن تكون أمتي شطر أهل الجنة»، ثم تلا: «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» قال الحسن: سابق من مضى أكثر من سابقنا؛ لذلك قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ وفي التابعين «وِثْلَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ»، وقيل: «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ» من سابقي هذه الأمة، وثلّة من آخر هذه الأمة، عن أبي العالية، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية قال: قال رسول الله ﷺ: «هما جميعاً من أمتي».

### الأحكام

تدل الآيات على صفة ما أعد الله لأصحاب اليمين، ولا شبهة أن درجتهم دون درجة السابقين.

وتدل على عظيم منزلة القرآن في الإعجاز، وبلوغه في الفصاحة مبلغاً عجز عن مثله البشر؛ لأن من تأمل هذه الآيات علم أنه ليس في مقدور أحد مثله.

وتدل على دوام الجنة، فيبطل قول جهم، وتدل على أنها لم تخلق بعد؛ إذ لو كانت مخلوقة وقد ثبت أن الموجودات كلها تفنى لانقطعت، وذلك بخلاف الآية، وقد قال تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

قوله تعالى:

﴿وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحُمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَا الْأَضْلَالُونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَاكُلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ (٥٢) فَهَآئِلُونَ مِّنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَرِبُونِ عَلَيْهِ مِّنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَرِبُونِ شُرْبَ الْحَمِيمِ (٥٥) هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)﴾ .

### القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم وحمة: «شُرْبَ» بضم الشين، الباقون بفتحها، شربًا، وقرئ بكسر الشين أيضًا، قيل: بالنصب، اسم للمشروب، وبالضم اسم لفعل الشرب، كقولهم: وُضُوءٌ، وَوَضُوءٌ، فأما قوله: «أئذا كنا ترابًا... ائنا» فقد مضى اختلاف القراء فيه، وأن أبا جعفر ونافع<sup>(١)</sup> والكسائي ويعقوب قرؤوا الأول باستفهام، والثاني بكسر الألف غير مستفهم، ثم اختلفوا، فأبو جعفر، وقالون عن نافع، وزيد عن يعقوب بهمزة واحدة مطولة، ونافع ويعقوب بهمزة واحدة غير مطولة، والكسائي بهمزتين. والثاني: قرأ ابن كثير يستفهم فيهما بهمزة واحدة غير ممدودة. والثالث: قرأ أبو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزة واحدة ممدودة. والرابع: قراءة عاصم وابن عامر وحمة بالاستفهام فيهما بهمزتين، وابن عامر لا يجمع بين استفهامين إلا ههنا.

### اللغة

السموم: الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن، وهي خروقه، ومنه أخذ السُّمُّ؛ لأنه يسري في المسام.

(١) ونافع: ونافعًا، ك.

والحميم: الماء الحار الشديد الحرارة.

واليحوم: الأسود الشديد السواد، تقول العرب: أشد اليحوم شديد السواد، وهو مفعول من الحم، وهو الشحم المسود باحترق النار، يقال: حَمَمْتُ الرجل: سَحَمْتُ وجهه بالفحم، والأحم: الذي فيه سواد، والحميم: الأسود. والتَّرَفُّه: النعمة، والمترف: الممتنع من أداء الواجبات طلبًا للترفه، وهي الرفاهية والنعمة.

والإصرار: الإقامة للأمر بالعزم عليه، والإصرار على الذنب: الإدامة عليه، وهو نقيض التوبة منه.

والحنث: نقض<sup>(١)</sup> العقد المؤكد بالحلف، حنث في يمينه، نقيض: برّ.

والزقوم: ما يتلع بتَصَعْبٍ، تَزَقَّم تَزَقُّمًا: إذا ابتلعه بتصعب.

والهيم: الإبل العطاش التي<sup>(٢)</sup> لا تروى من الماء؛ لما يصيبها من الداء، الواحد: هَيْمَى، والأنثى: هَيْمَاء. ومن العرب من يقول: هائم وهائمة، ويجمع على هيم، والداء هو الهيام.

والتُّزُل: الأمر الذي ينزل عليه صاحبه، ومنه المنزل الجاري للإنسان من الحر.

### ❁ الإعراب

الشجر يذكر ويؤنث؛ فلذلك قال: ﴿فَالِئْرَنَ مِنهَا﴾، و(شاربون عليه)، وقيل: التذكير والتوحيد على اللفظ، والتأنيث والجمع على المعنى، وقيل: التذكير على الجنس، والتأنيث على المبالغة، وكذلك الثمر، يُذَكَّرُ ويؤنث.

### ❁ المعنى

ثم بيّن تعالى حال أصحاب الشمال، فقال - سبحانه -: «وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا

(١) نقض: نقيض، د.

(٢) التي: الذي؛ د، ك.

أَصْحَابُ الشَّمَالِ» قيل: من يأخذ كتابه بشماله، وقيل: الذين يؤخذ بهم طريق الشمال إلى النار، وقيل: هم الذين تلزمهم حال الشؤم والنكد، وكل ذلك هو من أوصافهم، فيحمل على الجميع «فِي سُمُومٍ» ريح حارة، وهي سموم جهنم، وقيل: حر النار، وما يصيبهم من لهبها، عن أبي علي. «وَحَمِيمٍ» ماء حار «وَوَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ» قيل: دخان شديد السواد، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وقيل: اليحموم جبل في جهنم، يستغيث أهل النار إلى ظله، عن ابن زيد<sup>(١)</sup>، وقيل: اليحموم اسم جهنم، عن الأصم، وقيل: النار سوداء، وأهلها سود، وكل شيء فيها أسود، عن الضحاك. «لَا بَارِدٍ» يستراح إليه، بل هو حار؛ لأنه دخان جهنم<sup>(٢)</sup> «وَلَا كَرِيمٍ» فيشتهى مثله، وقيل: ولا عذب<sup>(٣)</sup>، عن الضحاك، قيل: ولا حسن، عن سعيد بن المسيب، وقيل: ولا طيب، عن مقاتل، وقيل: لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر، عن قتادة. «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ» يعني في الدنيا «مُتَرَفِينَ» قيل: منعمين، عن ابن عباس، وقيل: هو المتنعم في خلاف ما أحل الله له، أي: ما كان قصدهم الحلال، لكن التمتع، فلا يبالون من أي وجه حصل من الظلم والحرام، وإنما يخص تنعم من لا يفكر في العواقب، عن مجاهد، وقتادة، وقيل: على الشرك، عن الحسن، والضحاك، وابن زيد، وقيل: إصرارهم على الحنث، إنهم كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت، وأن الأصنام أنداد لله، عن الأصم. «وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا» بعد الموت «أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ» أحياء، قالوه على وجه التعجب والإنكار «أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ» لأنهم صاروا رميمًا «قُلْ» يا محمد جوابًا لهم «إِنَّ الْأَوَّلِينَ» الذين ماتوا في أول الدهر «وَالْآخِرِينَ» الذين ماتوا في آخر الدهر، عن أبي علي، وأراد جميع الخلق «لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» وهو يوم القيامة، والميقات: مصير الوقت «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَهِمُ الضَّالُّونَ» عن الدين «الْمُكَذَّبُونَ»

(١) زيد: بريدة، د.

(٢) جهنم: حميم، د.

(٣) ولا عذاب: ولا عذر، ك.

بالآيات «لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ» قيل: شجر في جهنم، وقيل<sup>(١)</sup>: هو شيء موحش كريبه يأخذ بالحلقة<sup>(٢)</sup>، عن أبي علي. «فَمَا لَثَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونُ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ» على الأكل، وقيل: على الشجر «مِنْ الْحَمِيمِ» الماء الحار «فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ» الإبل العطاش التي لا تروى، عن ابن عباس، وقيل: يراد بالهيام<sup>(٣)</sup> [داء يصيب الإبل]<sup>(٤)</sup> فلا تروى معه<sup>(٥)</sup>، ولا تزال تشرب حتى تهلك، عن عكرمة، وقتادة، وقيل: الهيم الأرض السهلة ذات الرمل، عن الضحاك، وابن عيينة. «هَذَا نُزْلُهُمْ» أي: رزقهم، وما أعد لهم «يَوْمَ الدِّينِ» أي: يوم الجزاء، وقيل: اليوم الذي ينفع فيه الدين.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على صفة ما أعد الله تعالى للكفار وأهل النار.  
وتدل على أنهم استحقوا ذلك بأعمالهم، فدل أن العذاب يستحق على العمل، بخلاف<sup>(٦)</sup> قول المجبرة.  
وتدل أن الحنث من الكبائر؛ لذلك أوعد عليه، وقرنه بإنكار البعث.  
وتدل على<sup>(٧)</sup> أن جميع الخلق يبعثون، والعقل يُجَوِّزُ أَلَا<sup>(٨)</sup> يبعث إلا من له حق، فثبت بالسمع بَعَثُ الجميع.

(١) وقيل: فليل، د.

(٢) بالحلقة: بحلقه، ك.

(٣) يراد بالهيام: من يرد الهيام، د، ك.

(٤) +، تفسير البغوي، ١٩/٨.

(٥) معه: معها، د، ك.

(٦) بخلاف: خلاف، ك.

(٧) على: -، ك.

(٨) ألا: أن لا؛ د، ك.

قوله تعالى:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ  
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ  
وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ  
مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ  
تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾  
أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ جُلُوجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ  
﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ  
جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

### ❁ القراءة

قرأ ابن كثير: «قَدَرْنَا» خفيفة الدال، الباقون مشددة، وهما لغتان<sup>(١)</sup> بمعنى،  
يقال: قَدَر، وَقَدَّرَ.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: «أُنْشَأَ لِمَغْرُمُونَ» بهمزيين على الاستفهام،  
والآخرون (إننا) بكسر الألف على الخبر.

قراءة العامة: «تُمْنُونَ» بضم التاء، وقرأ أبو السماك العدوي بفتح التاء، وهما  
لغتان.

قراءة العامة: «فَطَلْتُمْ» بفتح الظاء، وعن ابن مسعود بكسر الظاء، والأصل في  
ظلمت ظللت، فحذف إحدى اللامين تخفيفاً، فمن فتحه فعلى الأصل، ومن كسره نقل  
حركة اللام المحذوفة إلى الظاء.

(١) لغتان: -، ك.



اللغة

المني: النطفة التي خلق منها الحيوان بالتقدير الصحيح، وأصله القَدَرُ، منى أمني<sup>(١)</sup> فهو مانٍ<sup>(٢)</sup> إذا قدر أمراً، ومنه: المَنَّا الذي يوزن به؛ لأنه مقدار لذلك، قال الشاعر:

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ      حَتَّى تُثْلَقِي مَا يَمْنَى لَكَ الْمَانِي<sup>(٣)</sup>

أي: يقدر لك المقدر، ويقال: مَنَّْ الله عليك حتى أتمنا تمنياً؛ ومنه المنيَّة؛ لأنها مقدرة تأتي على مقدار؛ ومنه سميت مَنَى؛ لأن الدماء تراق ثم بمقدار، وأمني الرجل يمني، ومنى يمني، بمعنى إنزال المني، وكذلك أمذى ومذى، عن الفراء، والاستمنا: الخضخضة.

والتقدير: ترتيب الأمر على مقدار، فالموت يجري بين العباد على مقدار ما تقتضي الحكمة.

والنشأة: المرة من الإنشاء، كالضربة من الضرب، والإنشاء: إيجاد الشيء ابتداءً، ونظيره: الاختراع.

والحرث: أصله الجمع، وبه سمي الرجل حارثاً، ومنه الحديث: «أحرث لديناك كأنك تعيش أبداً، وأحرث لآخرتك كأنك تموت غداً» يعني: تعجل في أمر الآخرة، ويتأني في أمر الدنيا، والحرث: الزرع، ومنه الحراث، والمرأة حرث الزوج.

والحطيم: الهشيم الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء، وأصل الحَطْم الكسر، يقال: حَطَمْتُ الشيء: كسرتة، والحطم الكسر، والحطيم: المتكسر في نفسه، والحُطْمُ السواق<sup>(٤)</sup> بعنف يحطم<sup>(٥)</sup> بعضها على بعض، قال الشاعر:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطْمٍ<sup>(٦)</sup>

- (١) أمني: يمني، ك.
- (٢) مانٍ: ماني؛ د، ك.
- (٣) البيت قائله سويد بن عامر المصطلق، أنظر لسان العرب (ملا).
- (٤) السواق: السوق، ك.
- (٥) يحطم: تحطم، د، ك.
- (٦) البيت نسبه أبو تمام إلى رشيد بن رميض، وكذلك نسب إلى شريح بن ضيعة من بني قيس بن ثعلبة، وقيل إنه لأبي رغبة الخزرجي:

هذا أوان الشد فاستدري زنيم      قد لفها الليل بسواق حطم  
لست براعي أبلى ولا غنم      ولا بجزار على ظهر وضم  
أنظر لسان العرب (وضم، حطم)، تاج العروس (وضم).

والحطمة: السنة الشديدة كأنها تكسر الناس، ومنه: الحطمة، اسم من أسماء جهنم؛ لأنها تحطم كل شيء.

والتفكه: أصله تناول ضروب الفواكه للأكل، والفاكهة والفكاه: المزاح، ومنه حديث زيد: «كان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله»، والفاكه: المازح، ورجل فكه: طيب النفس، والفكه: الأشر البطر، والفكه: المعجب.

والمغرم: الذي ذهب ماله بغير عوض، كأنه لزمه، وأصل الباب: اللزوم، ومنه الغارم الذي لزمه الدين، ومنه: ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] أي: دائماً ملحقاً بالحاح الغريم، وفلان مغرم بكذا أي: مولع للزومه، والغرم: أداء شيء يلزمه.

والمحروم: الممنوع الرزق، يقال: رجل محروم و[رجل] مرزوق، وأصل الباب: المنع، ومنه: الحرام، والحرم والإحرام.

والأجاج: الملح المر الكريه المحرق للحلق، ومنه: ماء أجاج، وأججت النار: سعرتها.

والإيراء: إظهار النار، أَوْرَى يُورِي إیراء، ووريت بك زنادي، أي: أصابك<sup>(١)</sup> أمري كما يضيء القدح بالزناد<sup>(٢)</sup>، يقال: قدح فأورى: إذا أظهر النار، فإذا لم يُور قيل: قدح فأكّبا، ومنه الحديث: «إذا أراد السفر أورى بغيره» أي: سيره<sup>(٣)</sup> وعرض بغيره.

والمُقْوِي: النازل بأرض قفر ليس بها أحد، أقوى الرجل: إذا نزل بالقوى [أي]: الأرض، والمُقْوِي: الذي لا زاد معه، والمقوي: الذي أصحابه وإبله أقوىاء، والقَوَاء: الأرض [التي] لا أهل لها<sup>(٤)</sup>، وأقوت الدار: خلت من أهلها، وأقوى القوم: صاروا بالقوى.

(١) أصابك: اضأتك، د، ك.

(٢) بالزناد: بالزنادة، د.

(٣) سيره: نستره، ك.

(٤) لا أهل لها: لأهلها، ك.

## الإعراب

﴿نَحْنُ﴾<sup>(١)</sup> خَلَقْنَاكُمْ ابتداء وخبره في ما هذه .

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: هلا تصدقون أنكم تبعثون . وقيل: هلا تصدقون بذلك ،

يعني بأنا خلقناكم ، عن أبي علي .

## المعنى

لما تقدم الوعد بالبعث ، عقبه بذكر الأدلة الدالة<sup>(٢)</sup> على صحة ذلك وقدرته تعالى عليه ، فقال - سبحانه - : «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ» أي: اخترعناكم لا من شيء مقدراً على حسب ما أردنا «فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ» أي: هلا تصدقون ، قيل: بالبعث؛ لأن مَنْ قَدَرَ على الابتداء قدر على الإعادة ، وقيل: بأنا خلقناكم «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُثْمِنُونَ» أي: تصبؤون في الأرحام من النطف ، فيصير ولداً «أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ» ولداً «أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ» لذلك ، فإذا لم تقدروا أنتم وأمثالكم على ذلك ، فاعلموا أن لذلك خالقاً مخالفاً لكم وهو الله - تعالى - .

ثم بيّن أنه<sup>(٣)</sup> تعالى كما بدأ<sup>(٤)</sup> الخلق هو الذي يميّتهم ، فقال سبحانه : «نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ» أي: رتبنا [الأمر] على مقدار كما تقتضيه<sup>(٥)</sup> المصلحة ، فمنهم من يموت صبيّاً ، ومنهم من يموت شابّاً ، ومنهم من يصير هرمّاً ، وقيل: قدرنا أي: كتبنا آجال الموت ، فلا يزداد فيه ولا ينقص ، وقيل: قدرنا الموت لتتنازل القرون ، فيمضي قرن ، ويجيء قرن ، إلى أن يزول التكليف ، وقيل: تقدير الموت بالتقديم والتأخير ، عن قتادة . «وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ» قيل: لا يسبق أحد ، فيميّتكم قبل [أن] أميتكم ، وقيل: الوقت الذي قدرت لموتكم ، عن أبي علي ، وقيل: «وَمَا نَحْنُ

(١) نحن: ثم ، ك .

(٢) الدالة: والدلالة ، ك .

(٣) أنه: + ، ك .

(٤) بدأ: أبداً ، د ، ك .

(٥) تقتضيه: فيه ، د ، ك .

بِمَسْبُوقِينَ» في تدبيرنا، فيخرج عنه بفوتنا، وقيل: عاجزين عن إهلاككم<sup>(١)</sup>، وقيل: على أن نبلغكم من حال إلى حال، من نطفة وعلقة ومضغة «عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ» أي: نهلككم وننشئ قومًا آخرين مثلكم، وقيل: (على) بمعنى اللام، أي: قدرنا الموت لنبدل أمثالكم، عن أبي علي، وحروف الصفات تتبادل «وَنُنْشِئُكُمْ» نخلقكم «فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ» قيل: في النشأة الثانية من حيث لا تعلمون كيف كان، وإن علمتم النشأة الأولى كيف كانت، وقيل: من الهيئات والصور؛ لأن المؤمن يعاد في أحسن الصور، والكافر في أفبح الصور، وقيل: ننشئكم بصورة القردة والخنازير، عن الحسن، وقيل: نستأصلكم بالعذاب، وننشئكم في الآخرة على وجه آخر سوى ذلك، ولكن لا تعلمون، عن السدي، وقيل: ننشئكم فيما لا تعلمون من التنقل من حال إلى حال، نحو كونه نطفة، ثم علقه، ثم مضغة<sup>(٢)</sup>، وقيل: في أي خلق شاء، عن مجاهد. «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى» يعني الخلق الأولى، وهي خلقه الأشياء عن عدم «فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ» أي: هلا تذكرون أنه قادر على إعادتكم، كما قدر على إيجادكم ابتداء «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ» أي: تثيرون الأرض، وتلقون البذر «أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ» تنبتونه «أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» المنبتون، فإذا عجزتم عن ذلك فاعلموا أنه تعالى ينبت، وأطلق اسم الزرع على الإنبات توسعًا، وقيل: تزرعونه تجعلونه زرعًا «لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا» أي: هشيما متكسرا، لا ينتفع به، وقيل: تبنًا<sup>(٣)</sup> لا حب فيه «فَظَلُمْتُمْ تَفَكَّهُونَ» قيل: تعجبون، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وقيل: تندمون على ما سلف منكم من معصية الله التي أوجبت عقابكم بما نالكم، وقيل: تندمون على نفقاتكم، عن يمان، وقيل: تلاومون، عن عكرمة، وقيل: تحزنون، عن ابن كيسان، قال: وهو من الأضداد، تقول العرب: تفكّمت: تنعمت، وتفكّمت: حزنت، وقيل: فيه تقديم وتأخير، والتفكه: النشاط والمرح، تقديره: أفرأيتم ما تحرثون، وظلمتم به تفرحون وتمرحون، أنتم جعلتموه زرعًا، فأشار إلى

(١) إهلاككم: بإهلاكهم، ك.

(٢) ثم مضغة: -، ك.

(٣) تبنًا: تبنًا، ك.

أنه إذا قدر على تنقل الخلق من حال إلى حال قدر على الإعادة، وإذا استقام الكلام من غير تقديم وتأخير لم يصح حمله عليه «إِنَّا لَمَغْرُمُونَ» أي: وتقولون: إنا لمغرمون وهو الذي ذهب ماله، عن أبي علي، وقيل: غرما النفقة التي أنفقناها عليها، عن الضحاك، وابن كيسان، وقيل: لمؤلم لنا، عن مجاهد، وعكرمة، وقيل: معذبون، عن ابن عباس، وقتادة، والغرام العذاب، وقيل: لمهلكون، عن مقاتل، وقيل: محاسبون، عن مرة الهمداني، وقيل: محرمون<sup>(١)</sup> من الحظ، عن مجاهد. «بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ» ممنوعون من الرزق والخير، وقيل: حرما المنفعة بما أنفقنا وعملنا «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ. أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ» قيل: من السحاب، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. «أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ» فإذا لم تقدروا على إنزاله فاعلموا أن له منزلاً غيركم «لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا» قيل: شديد الملوحة، عن ابن عباس، وقيل: مُراً شديد المرارة، عن الحسن، والزجاج، «فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ» أي: هلا تشكرون على إنزاله عذباً تلتذون بشربه «أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ» تقدحون وتستخرجونها من زندكم، أي: تظهرونها بالإيراء «أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا» أي: أنتم خلقتم الشجرة التي تأجج بها النار وتوقد، عن أبي علي، وقيل: هو خشب يحك بعضه ببعض، فيخرج منه النار، عن الزجاج، وقيل: هو المَرْخ والعَفَار، ومنه الحديث: «كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار»، «أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ» المخترعون «نَحْنُ جَعَلْنَاهَا» يعني نار الدنيا «تَذِكْرَةً» للنار الكبرى نار جهنم، عن مجاهد، وقتادة، وأبي علي. وقيل: تذكرة لنعمه وقدرته على ما يشاء «وَمَتَاعًا» بُلْغَةً ومنفعة «لِلْمُفْزِينَ» قيل: للمسافرين، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، يعني النازلين بالأرض المقفرة<sup>(٢)</sup>، وقيل: منفعة للناس<sup>(٣)</sup>، كلهم يستضيء بها<sup>(٤)</sup>، ويصطلي ويطبخ بها<sup>(٥)</sup>، ويتذكر [بها] نار جهنم، عن

(١) محرمون: مجددون، د.

(٢) المقفرة: القفر، ك.

(٣) للناس: الناس، د، ك.

(٤) بها: به، د، ك.

(٥) بها: به، د، ك.

مجاهد، وقيل: منفعة الذين لا زناد<sup>(١)</sup> معهم، فتوقدون وتخزون، عن الربيع، وقيل: للخائفين، عن ابن زيد. «فَسَبَّحْ» أي: نزه «بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» الذي خلق هذه الأشياء، ولا تَقُلْ في أسمائه وصفاته ما لا يليق به، وقيل: فَصَلْ<sup>(٢)</sup>.

### ❁ الأحكام

الآيات تدل على صحة الإعادة، وذلك أنه تعالى ذكر أربعة أشياء دل بها عليها: منها: خلق الإنسان، ثم تنقله في الأحوال حتى يخرج صورة عجيبة، وتنقل الزرع من حال إلى حال حتى يخرج الحب، وينزل الماء من المزن، ويخرج النار من الخشب، فهو قادر على الإعادة؛ لأن مثل هذه الأشياء لا يقدر عليها إلا القادر لذاته، والقادر لذاته يقدر على إعادة مقدوره بعد العدم إذا صح عليه البقاء، والجواهر والتأليف، والحياة مما يبقى، فجاز أن يعاد، فتدل على أنه قادر لذاته، عالم لذاته حتى يميز بين الأجزاء.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على نعمه بهذه الأشياء.

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

وتدل على وجوب تنزيهه، وأن التنزيه يجب أن يكون عن علم؛ لذلك قدم

الدلالة، ثم أمر بالتنزيه.

قوله تعالى:

﴿فَلَا أَسْأَلُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۖ﴾ (٧٦) إِنَّهُمْ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُّنْظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدُّوْنَ ﴿٨٥﴾ ❁

(١) الذين لا زناد: الذي أراد، د، ك.

(٢) فصل: فصله، د.

## ❁ القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «بموقع النجوم» بغير ألف على الواحد، وأراد الجنس .  
وقرأ الباقون: «بمواقع» على الجمع .  
قراءة العامة: «فلا أقسم» وعن عيسى بن عمرو: «فَلَا أَقْسِمُ» على تحقيق القسم .

## ❁ اللغة

القسم: اليمين، أخذ من القسامة .  
والموقع: موضع الوقع، يقال: وقع في الشر وقوعًا، ووقع في الرجل وقية،  
وَوَقَعْتُ الحديدَ وقعًا: إذا حددتها، والواقعة: القيامة، وقيل: لكل شيء آتٍ، كان  
يتوقع: قد وقع .  
والكريم: الذي من شأنه أن يكرم .  
والتنزيل: مصدر نَزَّلَهُ تنزيلاً، وإذا وصف المنزل به فقد وضع به المصدر  
موضعه .  
والكلام: عرض لا يبقى، وإنما<sup>(١)</sup> ينزل من محله أو محل أمارته .  
والمُذهِنُ: الذي يجري في الباطل على خلاف الظاهر، كالدهن في سهولة ذلك  
والإسراع فيه، أدهن يدهن إدهانًا، وداهنه مداهنة، مثل نافعه .

## ❁ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ في الاستسقاء، عن ابن عباس .  
وقيل: بل<sup>(٢)</sup> هو في عبْدٍ كَذَّبَ بالقرآن . قال الحسن: خسر عبد لا يكون حظه  
من كتاب الله إلا التكذيب به .  
وعن ابن عباس: مطر الناس على عهد رسول الله فقال: «أصبح من الناس شاكر

(١) وإنما: فإنما، ك .

(٢) بل: +، ك .

ومنهم كافر»، قال بعضهم: هذه رحمة وضعها الله تعالى، وقال بعضهم: صدق نوء كذا، فنزلت الآية: ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

وروي أن النبي ﷺ كان في سفر فضاقت الماء، وشكوا العطش إلى رسول الله ﷺ، فقال: «أما معكم شيء من الماء؟» قالوا: شيء يسير، فأتوه، فتوضأ به، قال: «أرأيتم إن دعوت الله فيسقيكم لعلكم تقولون: سقينا بنوء كذا؟» فقالوا: ما هذا بحين الأنواء، فصلى ركعتين، ودعا الله تعالى، فسقوا، ثم ركب، فمر برجل يغترف، ويقول: مطرنا بنوء كذا، فنزل: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ الآية.

### المعنى

ثم أكد ما تقدم ذكره، فقال - سبحانه -: «فَلَا أَقْسِمُ» اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال:  
الأول: معناه أقسم، و(لا) صلة، عن سعيد بن جبير، وقيل: (لا) تزداد قبل القسم، كقوله: لا والله لا أفعل كذا، عن أبي علي.

الثاني: هي نفي، أي: ليس الأمر كما تقولون، ثم يستأنف القسم، عن الفراء.  
الثالث: هو مثبت في المعنى، يعني لا أقسم على هذه الأشياء فإن أمرها أظهر وأكد من أن يحتاج فيه إلى اليمين، عن أبي مسلم، قال: لأن القسم في المشتبه، لا في الجلي.

«بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» قيل: نجوم القرآن التي أنزلت على رسول الله ﷺ؛ لأنه أنزل نجومًا، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: بمساقط النجوم ومطالعها، عن مجاهد، وقتادة، وأبي علي، وقيل: انتشارها وانكدارها يوم القيامة، عن الحسن، وقيل: منازلها، عن عطاء بن أبي رباح، واختلفوا فقيل: القسم برب النجوم، عن أبي علي، وقيل: بهذه الأشياء، عن أبي بكر أحمد بن علي. «وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» وإنما كان عظيمًا لعظم المقسم به، وهو رب النجوم، وقيل: هو القرآن «لَو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» وإنما كان عظيمًا لعظم المقسم به، وهو لو تعلمون، أي: لو علمتم عظمته، وقيل: لو علمتم لانتفعتم به «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» هذا جواب القسم، ومعناه: هذا الكتاب قرآن



كريم، وقيل: بل هو بدل من قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَقَسَّ﴾ والقسم وقع به، والكريم في صفة القرآن معناه: عزيز من حقه أن يعظم، لعظم محله من الدين؛ لأنه<sup>(١)</sup> كلام رب العزة، ولأنه محفوظ من التغيير والتبديل، ولأنه معجز، ولأنه يشتمل على الأحكام والمواعظ، وقيل: كريم على الملائكة والنبیین، وكل جليل خطير عزيز فهو كريم، وقيل: لأنه أكرم من كل كتاب «فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ» أي: محفوظ مصون، قيل: هو اللوح المحفوظ «لَا يَمَسُّهُ» الهاء في «يمسه» فيها قولان:

أولهما: ترجع<sup>(٢)</sup> إلى الكتاب الذي في السماء، وهو اللوح المحفوظ، عن ابن عباس، والحسن، والأصم، وأبي علي.

وثانيهما: أنه كناية عن القرآن، عن عمر، وسعد، وسلمان، وقتادة.

«إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» قيل: لا يمسه إلا الملائكة المطهرون من الذنب، عن ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبیر، وأنس، وجابر بن زيد، ومجاهد، وقيل: لا يمسه إلا الملائكة والأنبياء، عن أبي العالية، وهذا على أنه كتاب في السماء، فأما من قال: إنه القرآن قيل: لا يمسه ولا يقرؤه إلا المطهرون، يعني من الجنابة، وقيل: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فيمسه المشرك، وقيل: المطهرون من الشرك، عن ابن عباس، وقيل: الموحدون، فلا يُمَكَّنُ اليهود والنصارى منه، عن عكرمة، وقيل: لا يمسه بالعمل إلا المطهرون، وهم المؤمنون، قيل: لا يعرف تفسيره ومعانيه إلا المؤمنون والراسخون في العلم، وقيل: سمي المصحف قرآنًا؛ لأن فيه القرآن، عن أبي علي، وقيل: لأن فيه أمارات حروفه، عن أبي هاشم. «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أي: منزل من جهته، فسمي المنزل تنزيلاً، كما يقال: هذا ضَرْبُ الأمير، أي: مضروبه «أَفْبَهَذَا الْحَدِيثِ» قيل: القرآن، وقيل: الإعادة، وقيل: حديث النبوة «أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ» قيل: مكذبون، عن ابن عباس، وقيل: كافرون، عن مقاتل، وقيل: المدهن الذي لا يفعل ما يجب عليه ويدفعه بالعلل، وقيل: المدهن المنافق، وقيل: يريدون أن يمالوهم فيه، ويركنوا إليهم، عن مجاهد. «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ

(١) لأنه: ولأنه، ك.

(٢) ترجع: رجع، ك.

تُكَذِّبُونَ» قيل: تجعلون حظكم من الخير الذي هو رزقكم أنكم تكذبون به، قيل: تجعلون شكر رزقكم التكذيب، عن ابن عباس، وأبي علي، وقيل: حظكم من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب به، عن الحسن، وقيل: أراد بالرزق الشكر، وروي أن النبي ﷺ وسلم قال: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وقيل: إنه لغة أزد شنوءة، وقيل: تكفرون بالمنعم، وترون النعم من النجوم «فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ» يعني هلاً<sup>(١)</sup> إذا بلغت الروح وهي النفس عند خروجها من الجسد في حال النزاع، وقيل: فهلا إذا بلغت النفس التي زعمتم أن الله لا يبعثها الحلقوم، عن الحسن، وحذف النفس لدلالة الكلام عليه، قال الشاعر:

أَمَاوِيٍّ مَا يُغْنِي الشَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ<sup>(٢)</sup>  
«وَأَنْتُمْ حِينَتِ تَنْظُرُونَ» قيل<sup>(٣)</sup>: الخطاب للمريض، أي: تنظرون في حال النزاع حيارى لا تقدرون على دفع ما نزل بكم، ولا تلافي ما فات عنكم، وقيل: تنظرون إلى أمري وسلطاني وتعلمون ضرورة بطلان ما قلت، وقيل: الخطاب لمن حضر الميت من أهله، عن ابن عباس، وأبي علي. «تَنْظُرُونَ» إلى ما نزل بالمريض في النزاع، فلا تقدرون على دفع شيء منه، ولا تبصرون من حضره من<sup>(٤)</sup> الملائكة، وقيل: تنظرون إلى ما نزل به، ومتى تخرج نفسه، وقيل: تنظرون إلى أهليكم وأموالكم، وتعلمون أنها زائلة، ولكن لا تعلمون في الحال «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ» قيل: بالقدرة بالدفع عنه، وقيل: بالقدرة عن قبض روحه وإماتته، وقيل: أراد رسلنا أقرب إليه منكم «وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ» ما به، أي: لا تعلمون.

### الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: عظم حال القرآن وموقعه من الدين، والدلالة والإعجاز.

(١) هلاً: هذا، ك.

(٢) البيت ينسب لحاتم الطائي في قصيدته أماوي، أنظر ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ١٩٨١.

(٣) قيل: وقيل، د، ك.

(٤) من: -، ك.

ويدل قوله: «لا يمس» أنه لا يجوز مس المصحف إلا للطاهر، ولا خلاف أن الجنب لا يجوز أن يمس المصحف، ولا يقرأ القرآن، فأما المُحَدِّثُ فلا يمس، ولكن يقرأ، وحكم الحائض والنفساء حكم الجنب في ذلك، وعلى هذا إجماع الفقهاء، وهو مروي عن علي وسعد، وإنما خالف فيه الحكم وداود، فقالا: يجوز لكل أحد حمل المصحف، فأما مع الغلاف المنفصل فيجوز حمله عند أبي حنيفة، قال الشافعي: لا يجوز، فأما كتابة القرآن للجنب فقليل<sup>(١)</sup>: لا يجوز، ومنهم من قال: يجوز من غير مس.

وتدل على حدث القرآن؛ لأنه وصفه<sup>(٢)</sup> بأنه حديث وتنزيل، وكتاب مكنون، ولا يمس، وكل ذلك لا يليق بالقديم، لا حقيقة ولا مجازاً، و«لا» في قوله: «لا يمس» نهى، وليس بنهي.

ومنها: ذم المدهن في الدين.

ومنها: عظيم ما نزل بالعبد عند النزع، وأنه يعلم ذلك.

قوله تعالى:

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزَلَ مِنْ جَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

### ❁ القراءة

قرأ الحسن ويعقوب وكتادة: «فَرَوْحٌ» بضم الراء على معنى أن روحه تخرج في الريحان، قاله الحسن، وقال قتادة: الروح الرحمة، قيل: معناه فحياة، فيقال لهم،

(١) قليل: قيل، ك.

(٢) وصفة: بصفة، ك.

وعن عائشة عن النبي ﷺ «أنه قرأ: «فَرُوحٌ» بضم الراء»، والقراء بأسرهم على الفتح: «فَرُوحٌ»، وخبر عائشة من الأحاد التي لا يثبت بمثلها القرآن.

### اللغة

الدَّيْنُ: الجزاء، والدين: الحساب، والدين: العادة، والدين: ما يدان به، وفي المثل: كما تدين تدان، أي: كما تفعل تجازى به، وقيل: أهذا<sup>(١)</sup> دَيْنُهُ أَبَدًا وَدِينِي أَي: عاداته وعاداتي.

والرجع: جعل الشيء على صفة كان عليها قبل<sup>(٢)</sup>.  
والريحان: ما يشم بحاسة الأنف، وأصله روحان<sup>(٣)</sup>؛ لأنه من الواو إلا أنه خفف، وأهمل التثقيب للزيادة التي لحقته من<sup>(٤)</sup> الألف والنون، عن الزجاج.  
والتصلية: تفعيل من الاصطلاء بالنار<sup>(٥)</sup>، وهو الإدخال فيها ليحترق، وأصله من اللزوم، صَلَّاهُ الله النار تصلية: إذا ألزمه الإحراق بها.

### الإعراب

يقال: أين جواب (لولا)؟

قلنا: في قوله: «ترجعونها» وهو جواب (لولا) الأول، والثاني: أجيبا بجواب واحد، لأن كل واحد منهما في معنى الآخر، ونظيره: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ﴾ [البقرة: ٣٨] وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: فهلا إن كنتم غير مدينين ترجعون أنفسه إلى بدنه إذا بلغت الحلقوم وأنتم تنظرون.

### المعنى

ثم بيّن تعالى عجزهم عن ردّ ما نزل بهم، وبين ترتيب المكلفين، فقال سبحانه:

(١) أهذا: هذا، ك.

(٢) قبل: +، ك.

(٣) روحان: ريحان؛ د، ك.

(٤) من: في، د، ك.

(٥) بالنار: للنار، د، ك.

«فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» أي: غير محاربين؛ وقيل: غير مملوكين؛ لأن العبد تحت جزاء مولاه «تَرْجِعُونَهَا» أي: هلا رددتم الأرواح إلى الأنفس إن كان على ما زعمتم، وكنتم صادقين أن لا صانع ولا بعث، فإذا لم تقدروا عليه، فاعلموا أن ذلك تقدير مدبر حكيم «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ» قيل: الروح: الراحة، عن ابن عباس، ومجاهد، يعني من تكاليف الدنيا ومشاقها، والريحان: الرزق، عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وأبي علي، ونعيم الجنة، وقيل: الرُّوح النسيم الذي تستريح إليه النفس، وقيل: الروح الفرح، عن سعيد بن جبير، وقيل: الريحان المسموم، وكل نبات طيب الريح فهو ريحان، عن الحسن، وقتادة، وقيل: يبشر بالروح والريحان، والخلد في الجنة، وقيل: «فروح» أي: بشارة بالحياة الطويلة، عن الحسن، وقيل: الريحان صفة كل نباهة وشرف، وقيل: الروح الرحمة، وقيل: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض، وقيل: الروح: النجاة<sup>(١)</sup> من النار، والريحان: دخول دار القرار ونعيم الجنة، وقيل: روح في القبر، وريحان في الجنة، وقيل: روح في القبر، وريحان في القيامة «وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ» يدخلونها «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» قيل: معناه سلامة لك يا محمد منهم، فلا تهتم بشأنهم، فإنهم سلموا من العذاب، وهو كقولك: حسبك به كرمًا، أي: لا تطلب زيادة على حاله، وقيل: فسلاهم لك أنك من أصحاب اليمين، فحذفت<sup>(٢)</sup> «أنك»، وذلك أن الملائكة يسلمون عليه عند النزاع، ويبشرونه، فكأنه قيل: وسلام<sup>(٣)</sup> عليك لأنك من أصحاب اليمين؛ عن الفراء، وقيل: معناه سلام عليك من أصحاب اليمين؛ لأنهم كانوا يسلمون عليه، وإذا كانوا كذلك فهم مؤمنون، عن أبي علي، وقيل: فسلاهم لك أيها الإنسان الذي أنت من أصحاب اليمين من عذاب الله، وتسلم<sup>(٤)</sup> عليه الملائكة، عن قتادة، وقيل: سلمت

(١) النجاة: المنجاة، ك.

(٢) فحذفت: فحذف، ك.

(٣) وسلام: سلام، ك.

(٤) وتسلم: وسلم، د، ك.

مما تكره؛ لأنك من أصحاب اليمين، وقيل: سلام لك، أي: ترى فيهم ما تحب من السلامة، عن الزجاج. «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ» بالدين، و«الضَّالِّينَ» عن الحق «فَنُزِّلَ مِنْ حَمِيمٍ» أي: نزل الذي يقام له، ورزقه المعد له الحميم، قيل: هو الماء الحار، وقيل: ما يجتمع من صديد أهل النار «وَتَضَلَّيْتُهُ جَحِيمَ» الحار النار [أي] وألزموها دائماً، «إِنَّ هَذَا» ما تقدم من الوعد والوعيد، وقيل: هذا القرآن، عن قتادة، وقال: ما من أحد إلا ويعلم أن القرآن حق، أما المؤمن في الدنيا، وأما الكافر في القيامة حين لا ينفعه، «لَهُوَ» <sup>(١)</sup> حَقُّ الْيَقِينِ قيل: حق الأمر اليقين، وقيل: معناه الحق اليقين، وليس على حقيقة <sup>(٢)</sup> الإضافة، إنما هو إضافة في اللفظ جعل بدلاً من الصفة «فَسَبَّحْ» أي: نزه اسمه عما لا يليق به، فلا تضيف إليه صفة أو فعلاً قبيحاً، وقيل: «فسبح» فصل بذكره، وقيل: نزه الله من الشرك، وعظمه بحسن الثناء عليه.

### ❁ الأحكام

تدل الآية على عجز الناس وضعفهم؛ ليستدلوا بذلك أن لهم مدبراً.  
وتدل على أن الناس ثلاث طبقات، على ما بيّن في أول السورة تفصيله.  
وتدل على وجوب تنزيه الله عما لا يليق به، ولا يسمى باسم لا يجوز عليه، ولا يقال: جسم ولا صورة، وينفى عنه الظلم، والكذب، وكل قبيح.

(١) لهو: فهو، د، ك.

(٢) حقيقة: الحقيقة، ك.



## سُورَةُ الْحَدِيدِ

سورة (الحديد) مدنية، و[هي] تسع وعشرون آية.  
عن أبي بن كعب<sup>(١)</sup>، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الحديد) كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله».

وعن العزْباض بن سارية أن النبي ﷺ كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد، ويقول: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية» يعني بالمسبحات، سبح (الحديد)، و(الحشر)، و(الجمعة)، و(الصف)، و(التغابن).  
ولما ختم (الواقعة) بالأمر بالتسبيح، افتتح هذه السورة بالتسبيح، وعقبه بالدلائل الموجبة للتسبيح.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:  
﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) ﴿

(١) بن كعب: -، ث، ز، د.



## اللغة

التسبيح: التنزيه، وهو البراءة من السوء، والتسبيح قد يكون بالقول، ويكون بدلالة الصنع، على أن له صانعًا، يجب أن ينزه.

والحياة والموت: عَرَضَانِ لا يقدر عليهما غيره تعالى، والحياة تصوير الأجزاء في حكم الشيء الواحد، فيكون قادرًا واحدًا، عالمًا واحدًا، فاعلاً واحدًا.

والأول: السابق المنفرد الذي لا شريك له<sup>(١)</sup> غيره.

والآخر: من تأخر عن غيره.

والولوج: الدخول، وَلَجَ يَلْجُ: إذا دخل، وأولج: أدخل، والولج: ما دَخَلَتْ فيه من كهف أو شِعْبٍ.

والعروج: الصعود، يقال: عرج يَعْرُجُ بضم الراء، نحو: نَصَرَ يَنْصُرُ، عُرُوجًا: إذا صعد، والمعارج: الدَّرَج، وَعَرَجَ بكسر الراء يَعْرُجُ بفتحها: إذا صار أعرج.

## المعنى

«سَبَّحَ لِلَّهِ» نزهه وأثنى عليه بما هو أهله، وأبرأه من كل سوء «مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أما الملائكة والمؤمنون، فيسبحونه قولاً واعتقاداً، وأما ما لا يعقل فتسبيحه على وجهين.

أحدهما: : بما فيه من الدلالة على تنزيهه.

والثاني: دلالة انقياده له، فيصرفه كيف شاء هو.

«وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أي: القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، ومع ذلك حكيم: محكم لأفعاله، لا يفعل إلا الحسن، وقيل: الحكيم العليم بكل شيء، لا يفعل إلا الخير والحسن «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» قيل: له اختراعهما وتصريفهما كما يشاء، وقيل: له خزائنهما من مطر ونبات ورزق، وإحياء واماتة، وإيجاد وإعادة

(١) لا شريك له: لا شرك معه، ك.

«يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فقد رتبته على المعدومات بالإيجاد، وعلى الموجودات بالتغيير والإفناء، وعلى أفعال العباد ومقدوراتهم بالإقدار عليه وسلب القدرة «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ» قيل: الموجود أولاً قبل كل موجود، والآخر بعد فناء كل شيء، يعني أنه قديم باقٍ، وقيل: أراد أن الأشياء كلها به ومنه، وهو الخالق لجميعها، كما يقال: فلان أول هذا الأمر وآخره، «وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» قيل: الظاهر بأدلته، الباطن عن<sup>(١)</sup> إحساس خلقه، وقيل: الظاهر على كل شيء بالقدرة، كقوله: ﴿فَأَنصِبُوا ظَهْرَ يَوْمٍ﴾ [الصف: ١٤] والباطن: العالم بكل شيء، عن ابن عباس، يقال: فلان من بطانته إذا كان من خواصه، يعلم باطن أموره، وقيل: العالم بما ظهر وبطن، وقيل: الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والظاهر والباطن بلا احتجاب، وقيل: الأول ببره إذ هداك، والآخر بجوده إذ قَبِلَ التوبة، والظاهر بإحسانه وتوفيقه، والباطن بستره: إذا عصيته، عن السدي، وقيل: الأول بالخلق، والآخر بالرزق، والظاهر بالإحياء، والباطن بالإماتة، عن ابن عمر، [وسأل عمر كعباً]<sup>(٢)</sup> عن هذه<sup>(٣)</sup> الآية فقال: علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن، «وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» موجوداً كان أو معدوماً «هُوَ الَّذِي خَلَقَ» أي: أنشأ على تقدير «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» في مقدار ستة أيام لاعتبار الملائكة، فإنه يظهر شيئاً بعد شيء، وقيل: في الإخبار عنه لطف لعباده، وحث على التآني في الأمور «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» قيل: العرش هو العرش المعروف في السماء، وقيل: العرش الملك، وقيل: العرش البناء، فمن قال العرش المعروف جماعة منهم أبو علي، اختلفوا في معنى الآية، قيل: الاستواء عليه، كونه قادراً عليه، وَخَلَقَهُ وَإِفْنَاءَهُ وتصريفه، قال البعيث:

قَدْ اسْتَوَى بِشَرْ عَلَى الْعِرَاقِ      مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقٍ<sup>(٤)</sup>  
وقال آخر:

(١) عن: علي، د.

(٢) +، تفسير الخازن، ٤٨/٦؛ الثعلبي، الكشف والبيان، ١٢٧/١٣؛ البغوي، ٢٩/٨.

(٣) عن: في د، ك.

(٤) البيت ينسب للأخطل في مدح بشر بن مروان. انظر: ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

فَلَمَّا عَلَوْنَا وَاسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمْ تَرَكْنَاهُمْ صَرَغَى لِنَسْرِ وَكَاسِرٍ<sup>(١)</sup>  
 أي: استولى، والمعنى: ثم رفع العرش إلى السماء وهو مُسْتَوٍ<sup>(٢)</sup> عليه، أي:  
 قادر، مالك، عن أبي علي، وقيل: (على) بمعنى (إلى)، يعني لما خلق  
 السموات والأرض استوى إلى العرش فخلقه، والاستواء بمعنى القصد، كقوله: ﴿ثُمَّ  
 اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١].

وأما من قال: العرش الملك، قال: يقال: ثُلَّ عرشه، أي: ملكه، والمعنى: أنه  
 بعد خلق الأشياء قادر عليها<sup>(٣)</sup> يصرفها كما يشاء، مالكاً لجميعها خلاف قول  
 المجوس، عن أبي القاسم.

وأما من قال: العرش البناء، قال: ومنه: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾  
 [الأعراف: ١٣٧] أي: يبنون، والمعنى: ثم قدر على بناء ما خلق كما أراد، عن  
 أبي مسلم، ولا يجوز حمله على أنه استقر على العرش؛ لأن ذلك من صفات  
 الأجسام.

«يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ» أي: [ما] يدخل في الأرض من الحيوانات والأموات  
 والكنوز والمياه «وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا» من أنواع النبات والجواهر والمياه «وَمَا يَنْزِلُ مِنَ  
 السَّمَاءِ» من الملائكة والأمطار «وَمَا يَخْرُجُ» يصعد «فِيهَا»<sup>(٤)</sup> من أعمال العباد حتى لا  
 يخفى عليه شيء من ذلك «وَهُوَ»<sup>(٥)</sup> مَعَكُمْ بالعلم والقدرة لا بالذات، وقيل: بالحفظ  
 والحراسة «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ» سراً وجهراً عليم، «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» لا مالك  
 سواه، والأمور: أفعال عباده، الحسن والقبيح فيجازي بهما، وقيل: إليه يرجع الأمر  
 كله في الآخرة؛ لأن في الدنيا يلي الناس أموراً «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ» أي: يدخل ما

(١) لم يعرف قائله، وفي رواية:

تركناهم مرعى لنسري وطائري

(٢) مستول: مستولي، ث، ك.

(٣) عليها: عليهما، ث، د، ز، ك.

(٤) فيها: منها، ك.

(٥) وهو: فهو، ز، ك.

نقص من الليل في النهار، ويزيده، وما نقص من النهار في الليل، عن عكرمة، وإبراهيم. «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أي: بما يكون في القلوب من الإرادات والكراهات، والاعتقادات، والظنون، والنظر، والندم، والعزم، والخوف، والحزن، إلى غير ذلك، وحذر بذلك عن المعاصي سرًا وجهرًا.

### ❁ الأحكام

يدل أول السورة على تنزيهه عن كل سوء، فوجب أن ينفي عنه خلق الكفر، والظلم والقبائح، وينفي عنه الضد والند، فيصح مذهب العدل والتوحيد، ومنها: أنه يكون موجودًا بَعْدُ ولا موجود سواه، فيكون آخرًا، ولا يكون كذلك إلا على قولنا: إنه تعالى ينفي الأشياء ثم يعيدها، ويديم الثواب والعقاب.

ومتى قيل: كيف يكون آخرًا، وعندكم أن الأجسام تنفي بفناء؟

قلنا: قال مشايخنا: الفناء لا يبقى إلا وقتًا واحدًا، فتتفي<sup>(١)</sup> الأجسام والفناء.

ومنها: أنه إذا كان أولاً وجب ألا يكون معه قديم آخر، فيبطل قول الكلابية، وجميع الصفاتية، ولا شبهة أنه يوصف بأنه أول إذ أوجد المحدثات، فأما وجوده قبل وجود الأشياء اختلف الشيوخ فيه، فمنهم من قال: يوصف بذلك، إذا كان المعلوم أنه سيوجد المحدثات بعده، ومنهم من قال: يوصف بذلك توسعًا؛ لأن حقيقته تقتضي أنه وجد قبل وجود غيره.

ويدل قوله: «وَهُوَ مَعَكُورٌ» أنه ليس على العرش، وفيه زجر عن المعاصي، وكذلك قوله: «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»

ويدل ما عدَّ من أفعاله على أنه قادر، عالم، حي على الكمال؛ لاستحالة صحتها ممن ليس هذا حاله.

(١) فتتفي: فتتفي، د.

قوله تعالى:

﴿ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِقِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ (٨) هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْنَوتُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلُ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ (١٠)﴾.

### ❁ القراءة

قرأ أبو عمرو: «أخذ» بضم الهمزة «ميثاقكم» بضم القاف على ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون بفتح الهمزة والقاف، يعني أخذ الله ميثاقكم، والرسول أخذ ميثاقكم.  
وقرأ ابن عامر: «وكل وعد الله» برفع اللام وكذلك هي في مصاحف الشام على الاستئناف، وقرأ الباقون بالنصب، وهو الوجه.

### ❁ اللغة

الاستخلاف: استدعاء القادر إلى أن يقوم بالأمر بدلاً عن<sup>(١)</sup> غيره<sup>(٢)</sup>، و(مستخلفين) أي: مجعولين بالتمكين ليقوموا بالإنفاق مقام غيرهم، وأصله من الخلف فإن الآخر يخلف الأول، كما يكون سابقاً له.

والإنفاق: إخراج المال في النفقة، وأصله النفاذ، ومنه: ﴿خَشِةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠] أي: خشية النفاذ، يقال: نَفَقَ الزَادُ يَنْفَقُ: إذا نفد، وأنفقه صاحبه: أنفده، وأنفق القوم في دارهم.

الميثاق: العهد المؤكد باليمين، وأصله: من أوثقت الشيء: أحكمته.

(١) عن: من، ك.

(٢) من غيره: -، ز.

## النزول

عن أبي سعيد الخدري أن قوله: ﴿قَبْلَ الْفَتْحِ﴾ نزل يوم الحديبية.

وقيل: قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ في أبي بكر الصديق، عن الكلبي؛ وذلك لأنه من السابقين إلى الإنفاق، فأسلم<sup>(١)</sup> أولاً، وأظهر الإسلام، ودعا إليه، وقاتل على الإسلام، وأول من أنفق ماله في سبيل الله، فقدم إيمانه، ودامت صحبته، وكثر في باب الدين تأثيره حتى أقر القوم بالتقدم والسبق، وقدمه رسول الله ﷺ في الصلاة، وصاهره على أم المؤمنين، وقدمه على أصحابه، وجعله وزيره وصاحب سره، وأنيسه سفرًا وحضرًا، ومدحه في مقاماته، وشكر له سعيه في الإسلام.

## المعنى

ولما تقدم الأدلة على التوحيد عقبه بالأمر بالإيمان وشكر النعمة<sup>(٢)</sup>، فقال - سبحانه -: «آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» أي: صدقوا الله فيما أوحى، وصدقوا رسوله فيما أدى «وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ» أي: أنفقوا في سبيل الله في المال الذي خلفتم فيه غيركم بأن أورثكم إياه عمن كان قبلكم، عن الحسن. وقيل: ملككم ذلك المال «فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» بالله ورسوله «وَأَنْفَقُوا» في سبيله «لَهُمْ أَجْرٌ» أي: جزاء وثواب «كَبِيرٌ» أي: عظيم دائم لا يشوبه ما ينغصه «وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ» معناه: أي عذر لكم يا أهل مكة في ترك الإيمان مع دعاء الرسول وظهور المعجزات؟ أي: لا عذر «وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ» قيل: بما ركب في العقول وأقام من الحجج الداعية إلى الإيمان، فكأنه أخذ العهد والميثاق، وقيل: الفطرة الدالة على الصانع كالميثاق الموثق أي: ما لكم لا تؤمنون بالله<sup>(٣)</sup> والرسول يدعوكم إلى ما ركب الله في عقولكم من معرفة الصانع وصفاته، عن الأصم. وقيل: المراد به الشرعيات؛

(١) فأسلم: واسلم، ت، د.

(٢) النعمة: المنعم، ز؛ النعم، ك.

(٣) بالله: -، ز، ك.

لأنه علق الذم بترك الإيمان بعد دعاء الرسول، وذلك يختص بالشرعيات<sup>(١)</sup> «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» قيل: إن كنتم ممن يرغب في الإيمان، عن أبي علي. وقيل: إن كنتم بحيث لو اتضحت الأدلة آمنتهم، وقيل: إن كنتم تؤمنون يومًا من الأيام فأمنوا اليوم مع ظهور المعجز، وقيل: إن كنتم تؤمنون بحق، فبهذا فقد ظهرت أعلامه، ووضح برهانه «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم» قيل: ليخرجكم بالقرآن والأدلة والألطف، وقيل: ليخرجكم الرسول بالدعوة، وقيل: ليخرجكم المنزل، والأول أوجه، «مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» قيل: من الضلال إلى الهدى، عن مجاهد. «وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ» أي: لرأفته ورحمته يريد بكم طريق الفوز والنجاة، والرأفة النعمة على المضرور، والرحمة النعمة على المحتاج. «وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا<sup>(٢)</sup>» يعني: أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل البر المقربة إلى الله تعالى «وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» يفنى الخلق، ويبقى هو.

ومتى قيل: كيف يتصل هذا بالإنفاق، وما معناه؟

قلنا: فيه وجوه:

أولها: كيف لا تنفقون وقد علمتم أنكم تتركون هذه الأموال عن قريب، ويرثها الله، وتبقى لا مالك لها إلا هو.

وثانيها: إشارة إلى أن الصدقة في سبيله إثارة للنفس، وفي إمساكه وتخليفه إثارة للغير.

وثالثها: أنه إشارة إلى أنه مالك الأشياء، فيخلف عليكم جزاء ما أنفقتم.

ورابعها: أنه إشارة إلى أن هذه الأموال تزول عنكم ويبقى لكم الخلف والمدح والذم.

«لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ» في الفضل والثواب «مَنْ أَنْفَقَ» في سبيل الله «مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ» قبل فتح مكة، عن الحسن، وقتادة، وزيد بن أسلم، وأبي علي، والأصم، واختاره

(١) بالشرعيات: الشرعيات؛ ث، د، ز، ك.

(٢) لا تنفقوا: لا تنفقون، د.

القاضي؛ لأنه المفهوم عند الإطلاق، وأكثر المفسرين عليه. وقيل: فتح الحديدية، عن عامر الشعبي، قيل: يا رسول الله، أفتح هو؟ قال: «نعم عظيم»، وقد بيّنّا ذلك. «وَقَاتِلْ» الكفار تحت راية رسول الله ﷺ «أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ» أي: من بعد الفتح «وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى» قيل: الجنة، عن أبي علي. وقيل: الخلف، وقيل: الجزاء «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أي: عالم فيجازيكم بها<sup>(١)</sup>.

### ✽ الأحكام

يدل قوله: ﴿مُتَخَلِّفِينَ﴾ على أن هذه الأموال كانت لقوم، ثم صارت لغيرهم، فنبه على فناء الدنيا، وأن الأملاك تنتقل.

ويدل قوله: ﴿ءَايَتٍ يَبَيِّنُ﴾ على حدث القرآن حيث وصفه بالإنزال، وأنه دلالة، وأنه مستقل بنفسه.

ويدل قوله: ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ أنه أراد بإنزال القرآن الإيمان به؛ لأن قوله: ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ أي: لكي يخرجكم، ولام «كي» تدل على الإرادة.

ويدل قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ على فضل الإيمان والنفقة قبل الفتح؛ لأن ثمّ الدواعي أقل، وبعد الفتح انتشر الإسلام، واختلف الدواعي؛ ولأن<sup>(٢)</sup> المشقة كانت قبل الفتح أكثر، ولأنه كان لا يفعل إلا لله تعالى.

ومتى قيل: أيدل هذا<sup>(٣)</sup> على أنه أعظم في الدرجة في جميع الأحوال؟

قلنا: لا، بل يدل على أن لهذا العمل مزية ومرتبة ليس لغيره، ولفاعله رتبة إذا لم يحبطه؛ ولذلك صح في كثير منهم أنهم أحبطوا ذلك.

وتدل على فضل المهاجرين والأنصار.

ويدل: ﴿وَكُلًّا﴾ أنه تعالى يثيب الجميع بحسب عمله.

وتدل على أن الإنفاق والإيمان والقتال فِعْلُهُمْ حتى استحقوا الثواب.

(١) بها: +، ز، ك.

(٢) ولأن: لأن، ث، ز.

(٣) هذا: وهذا، ك.



قوله تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِّفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١١) يَوْمَ تَرَى  
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ  
آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُمْ بَابٌ  
بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ  
وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ  
الْعُرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُوْخِذُ مِنْكُمْ قُدِيَّةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَدَّكُمْ النَّارُ هِيَ  
مَوْلَانَكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ (١٥) .

#### القراءة

قرأ أبو جعفر: «يُضَعِّفُهُ» بالرفع والتشديد من غير ألف، وقرأ ابن عامر: «يُضَعِّفُهُ»  
بالنصب والتشديد، وقرأ عاصم بالألف والنصب، وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة  
والكسائي بالرفع والألف، وقد مضى بيانه في سورة (البقرة).

قرأ حمزة: «انْظُرُونَا» بقطع الألف وفتحها وكسر الظاء، أي: أمهلونا، وهو قراءة  
الأعمش ويحيى بن وثاب، وقرأ الباقون بوصل الألف وضم الظاء، أي: انتظرونا.

وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب: «لَا تُوْخِذُ مِنْكُمْ» بالتاء، وهو قراءة الحسن  
لتأنيث الفدية، وقرأ الباقون بالياء لتقدمها على الفدية.

قراءة العامة: ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ بفتح الهمزة من اليمين التي هي الجارحة، وقرأ سهل  
السعدي بكسر الهمزة من الإيمان.

قراءة العامة: ﴿الْعُرُورُ﴾ بفتح الغين يعني الشيطان، وعن سماك بن حرب بضمها  
يعني الأباطيل.

## ❁ اللغة

القرض: ما تعطيه غيرك ليقضيك، وأصله القطع، يقال: قرضت الشيء: قطعته، ومنه: المقرض، والقريض: الشعر، كأنه يقطعه من الكلام، والقرض: قطع مال عن ملكه بإذنه على ضمان ردِّ مثله، والعرب تقول: لي عندك قَرْضٌ صِدْقٍ وقَرْضٌ سوءٍ: إذا فعل به خيرًا أو شرًّا، قال الشنفرى:

سَنَجْزِي سَلَامَانَ بْنَ مُفْرِجٍ قَرْضَهَا بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ وَأَزَلَّتِ<sup>(١)</sup>

والنظر: نظر العين، وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماسًا لرؤيته مع سلامة الحاسة، هذا أصله، ثم يستعمل في أشياء، يقال: نَظَرَتِ الْأَرْضُ: إذا أَرَتِ الْعَيْنَ نباتها حتى تنظر إليها، وَحَيُّ نَظَرٌ: متجاورون: ينظر بعضهم إلى بعض، والنظير: المثل، كأنه إذا نظر إليه وإلى نظيره كانا سواء، ونظرت بمعنى انتظرت، يقال: نظرته وأنظرته: إذا انتظرت، ومنه قوله: انتظرنا، كأنه ينظر إليه انتظار ترقب ورجاء، والإنظار: التأخير، وكذلك النظرة، ومنه: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]، ويقال: أخرته، ومنه: ﴿فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] كأنه ينظر إليه ذلك الوقت، قال عمرو بن كلثوم:

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخْبِرَكَ الْيَقِينَا<sup>(٢)</sup>

والنظر: التفكير بالقلب ليؤدي إلى العلم؛ لأنه إذا تفكر، كأنه ينظر إليه، ويسمى العلمُ نظرًا.

والقبس: الجذوة من النار في طرف عود، والاقتباس: أخذُ النار، يقال: قبسته نازًا واقتبسته علمًا.

(١) وأزلت: وأدلت؛ ث، ز، ك. البيت قائله الشنفرى وفي رواية:

جزينا سلاكات بن مفرج قرضها

ديوان الشنفرى، تحقيق إميل بدیع يعقوب، ص ٣٧، دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٩٦.

(٢) انظر ديوان عمرو بن كلثوم، المعلقة.

والتربص: الانتظار والترقب، وهو التوقف بالأمر إلى مدة، يقال: لي في هذا الأمر رُبَصَةٌ، أي: تربص.

الغرور بالضم المصدر، وبالفتح: الشيطان.

والفتنة: أصله الاختبار.

والارتباب: الشك مع تهمة. والمصير: المرجع.

### الإعراب

(يوم) نصب على الظرف، والعامل فيه: ﴿وَلَهُ<sup>(١)</sup> أَتَمُّ كَرِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ عطف على ﴿يَوْمَ تَرَى﴾.

﴿أَنْظُرُونَا﴾ انظرونا إليه، و﴿نَقْنِسُ﴾ جزم؛ لأنه جواب الأمر.

﴿لَمْ يَأْبَ بِأَبْطِئُ﴾ ابتداء و﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ جوابه.

### المعنى

لما تقدم ذكر الإنفاق وما أعد للمؤمنين حث على الإنفاق وذكر الجزاء عليه يوم القيامة، ووصف أحوال القيامة، فقال - سبحانه -: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» أي: ينفق في سبيل الله إنفاقاً فيجازيه الله تعالى عليه، فيكون كالقرض، وقيل: ما<sup>(٢)</sup> وصل إلى الفقراء بأمره كأنه وصل إليه ووعد الجزاء عليه فأضافه إلى نفسه وسماه قرضاً؛ لأنه يجازي عليه، وقيل: أطلق اسم القرض على الصدقة ليعلم أنه تكفل بالجزاء؛ لأن القرض يقتضي القضاء، فلما لم يقضه الفقير<sup>(٣)</sup> علم أنه تعالى تكفل بالقضاء، وقيل: أزال المنة عن الفقير حيث تضمن الجزاء، وسماه قرضاً كما لا بد منه للمقرض في أخذ القرض، وقيل: ليعلم أنه المتصدق على الفقير دون المعطي كمن يقول لغيره: أعط زيداً حمولتهم، وعليّ لك مثلها، فالمعطي هو الأمر دون المأمور،

(١) وله: فله، د، ك.

(٢) ما/ وما؛ ث، د، ز، ك.

(٣) الفقير: الفقراء، ك.

وقوله: «قَرَضًا حَسَنًا» قيل: في وجوه البر، وقيل: من الحلال، وقيل: يفعله لله مخلصًا، وقيل: يفعله لله من غير مئة ولا أذى «فَيُضَاعِفُهُ لَهُ» قيل: يضاعف له الجزاء بين سبع إلى سبعين إلى سبعمئة، وقيل: يجمع بين القرض والثواب، وقيل: لأن الإنفاق منقطع والجزاء دائم «وَلَهُ أَجْرٌ» جزء<sup>(١)</sup> «كَرِيمٌ» خالص، لا تشوبه صفة نقص.

ثم بَيَّنَّ من يستحقه، فقال - سبحانه - : «يَوْمَ تَرَى» يا محمد «الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» في المحشر «يَسْعَى نُورُهُمْ» قيل: الضياء الذي يمرون فيه، عن قتادة. وقيل: نورهم من هداهم، عن الضحاك. وقيل: لكل مؤمن نور على قدر عمله، عن قتادة. واختلفوا، قيل: هذا النور يكون في المحشر، وقيل: على الصراط، وقيل: فيهما، ولا مانع منه<sup>(٢)</sup> «نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ» قيل<sup>(٣)</sup>: أراد جميع جوانبهم فعبر عنها بالبعض إيجازًا على طريقة العرب، وقيل: وبأيمانهم: كتبهم، عن الضحاك. وقيل: (بأيمانهم) معناه عن أيمانهم، وقيل: في أيمانهم، «بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أي: يجري الماء من تحت أبنيتها وأشجارها «خَالِدِينَ فِيهَا» إشارة إلى دوامهم ودوام النعيم «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أي: الظفر بالمطلوب فلا ظفر مثله «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا» يعني إذا رأى المنافقون نور المؤمنين يقولون لهم «انظُرُونَا» بصلة الهمزة وضم الظاء معناه انتظرونا، يعني اصبروا لنا، فأما بكسر الظاء وقطع الألف: أمهلونا، قال الفراء: والعرب تقول: أنظرني<sup>(٤)</sup> أي: انتظرني، واستدل ببيت عمرو بن كلثوم وقد مر، «نَقْتَبِسُ مِنْ نُورِكُمْ» [أي: نستضيء بنوركهم]<sup>(٥)</sup> ونبصر الطريق فتخلص<sup>(٦)</sup> من هذه الظلمات، وقيل: إذا خرجوا من القبور اختلطوا فيسعون في نور المؤمنين، فإذا ميزوا وبقوا<sup>(٧)</sup> في الظلمة<sup>(٨)</sup>

(١) جزاء: -، ك.

(٢) منه: -، ك.

(٣) قيل: وقيل، ث، د، ز، ك.

(٤) انظرني: أنظروني، ك.

(٥) +، الطبرسي، مجمع البيان، ٣٥٣/٩.

(٦) فتخلص: تتخلص، د، ز، ث.

(٧) وبقوا: وابقوا، د.

(٨) الظلمة: الظلمات، د، ز.

فيستغيثون، ويقولون هذا، «قِيلَ» للمنافقين «ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ» أي: من حيث جئتم، يعني إلى دار التكليف واعملوا صالحًا ليكون لكم نورًا «فَالْتَمِسُوا نُورًا» بالأعمال الصالحة<sup>(١)</sup> وهم يعلمون أنه لا سبيل إليه، وإنما قالوه توبيخًا وتقريعًا أي: هلاً عملتم في الدنيا ما عملنا حتى يحصل لكم النور، وقيل: نور كل أحد بقدر ثوابه «فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ» الباء صلة، وهو حاجز بين الجنة والنار، وقيل: هو سور على الحقيقة، وقيل: يكون ذلك بالشام وبيت المقدس، عن ابن عباس، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمر، وكعب، وقيل: الظلمة الشديدة تمنعهم عن المشي معهم «لَهُ بَابٌ» في الحقيقة، وقيل: هو مثل «بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ» يعني داخل السور الجنة وخارجه جهنم، وقيل: أراد بالعذاب والرحمة النور والظلمة، فيقول المنافقون عند ذلك للمؤمنين «يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ» في الدنيا نصلي ونصوم ونوافقكم في الدين ويجري بينهما التوارث والتناكح «قَالُوا» يعني المؤمنين المجيبين لهم «بَلَى»<sup>(٢)</sup> كنتم معنا في الظاهر «وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ» وتعرضتم<sup>(٣)</sup> للفتنة بالكفر والمعاصي والرجوع عن الإسلام، وقيل: أهلكتم أنفسكم بالنفاق، وقيل: فتنتم أي: شددتم الأمر على أنفسكم بالنفاق «وَتَرَبَّصْتُكُمْ» قيل: انتظرتهم بالرسول والمؤمنين الدوائر، وقتلتم: يوشك أن يهلك محمد، فنستريح منه، عن مقاتل. وقيل: تربصتم بالإيمان والتوبة «وَارْتَبْتُكُمْ» شككتهم في الدين «وَعَرَّيْتُكُمْ الْأَمَانِيَّ» أي: غركم ما كنتم تمنون من الأباطيل حتى طمعتهم في غير مطمع، وقيل: غركم طول الأمل، عن أبي بكر الوراق. وقيل: الأمانى الكاذبة في الخلاص من الرسول بهلاكه وإبطال دينه «حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ» أي: كنتم على ذلك مُصْرِّينَ حتى جاء الموت «وَعَرَّيْتُكُمْ بِاللَّهِ» الْعُرُورُ الشيطان، وقيل: كانوا على خدعة من الشيطان حتى ألقوا في النار، عن قتادة. وقيل: الغرور: الدنيا، وقيل: رؤساء الضلالة وعلماء سوء حيث جَرَّوْهُمْ على المعاصي «فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ» أيها المنافقون «فِدْيَةٌ» أي: بَدَلٌ وعوض «وَلَا مِنْ

(١) الصالحة: الصالحات، ك.

(٢) بلى: بل، د، ك.

(٣) تعرضتم: وتعرضتم، ث، د، ز، ك.

الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أَوْأَكُمُ النَّارُ أَي: مصيركم ومستقركم «هِيَ» <sup>(١)</sup> مَوْلَاكُمْ قيل: صاحببتكم وأولى بكم ومسكن لكم؛ لأنكم المستحقون لها بأعمالكم «وَيْشَسَ الْمَصِيرُ» أي: بشس موضعًا صاروا إليه.

ومتى قيل: لم جمع بينهم وبين الكفار؟  
قلنا: لأنهم بسببهم نافقوا، فَبَيَّنَ أنهم جميعًا في العذاب مشتركون.  
ومتى قيل: أليس هم أيضًا كفارًا <sup>(٢)</sup>؟  
قلنا: نعم، ولكن لهم اسم خاص؛ فلذلك جمع بين النفاق والكفر.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ﴾ على عظم موقع <sup>(٣)</sup> الإنفاق في سبيل الله وأعمال البر، واختلفوا، قيل: هو التطوع، عن الحسن. وقيل: الفرض.  
ويدل قوله: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيات على أشياء:  
منها: أن اسم الإيمان اسم مدح، وأنه يفيد استحقاق الثواب على ما نقوله.  
ومنها: أن المؤمن يبشر بالنعيم.  
ومنها: أن الفاسق ليس بمؤمن، وإلا كان مبشرًا.  
ومنها: أن في القيامة نورًا وظلمة.  
ومنها: أن المنافق يستغيث بالمؤمن ليستضيء منه بنوره، فلا يجيبه إلى ذلك.  
ومنها: أن ذلك النور يحصل بالأعمال الصالحة، فلذلك قال: ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾  
خلاف ما تقوله المجبرة: أنه يحصل على غير <sup>(٤)</sup> سبب.  
وتدل على أن الغرور يحصل من الشيطان، فيبطل قول المجبرة: إن الله تعالى هو الذي يخلق الغرور.

(١) هي: هو، د.

(٢) كفارًا: كفار؛ ث، ز، د، ك.

(٣) موقع: موضع، ك.

(٤) غير: بغير، ك.

وتدل على أن «المولى» يستعمل بمعنى «الأولى»، وقد قال لييد:  
فَعَدَتْ<sup>(١)</sup> كِلَا الْفَرْجَيْنِ تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها<sup>(٢)</sup>  
أي: يحسب أن كليهما<sup>(٣)</sup> أولى بالمخافة.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ

﴿١٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿١٨﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ

﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

﴿٢٠﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَرَّغَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْفُرُورِ

### القراءة

قرأ نافع وحفص عن عاصم: «وما نزل» خفيفة الزاي من نَزَلَ يَنْزِلُ، الباقون: «نزل» مشددة الزاي من نَزَلَ تنزيلاً.

قرأ يعقوب: «ولا تكونوا» على الخطاب والنهي، والقراء بالياء.

قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم: «الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ» بتخفيف الصاد من

(١) فعدت: فعدت؛ ث، د، ز، ك.

(٢) البيت قائله لييد بن ربيعة في معلقته، ديوان لييد بن ربيعة، دار صادر، بيروت؛ أنظر لسان العرب (كلا).

(٣) كليهما؛ كلاهما؛ ث، د، ز، ك.

التصديق؛ يعني الذين صدقوا الله ورسوله، ومعناه: إن المؤمنين والمؤمنات، الباقون بتشديدهما من التصديق وأصله: المتصدقين والمتصدقات، فأدغمت التاء في الصاد كـ(المزَّمَل) و(المَدَّثَر)، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قالوا في قراءة أبي: (إن المتصدقين والمتصدقات).

قراءة العامة: «يُضَاعَفُ» من غير هاء في آخره، وعن الأعمش: «يُضَاعَفُ» بكسر العين وزيادة هاء، ثم اختلفوا، فقرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر: «يُضَعَّفُ» بغير ألف، الباقون بالألف.

### اللغة

ألم يأن: ألم يحزن<sup>(١)</sup>، أنى يأنى إننا: إذا حان، ومنه: ﴿غَيْرَ نَظْرَيْنِ إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أي: متناه.

والخشوع والخضوع: لين القلب: للحق، وضده القسوة وهو غلظ القلب عن قبول الحق، قَسَا يَقْسُو قسوة فهو قاسٍ.

والأمد: الوقت الممتد، وقيل: هو الغاية، والأمد والمدة واحد.

والتفاخر: ما يجري بين اثنين بذكر الفضائل والتكاثف بذكر كثرة المال والولد والعشيرة ونحوها، يقال: تكاثروا فكثروهم فلان؛ أي: غلبهم، والمغلوب مكثور.

والكُفَّار: الزُّرَّاع وأصله الستر، ومنه: الكافر؛ لأنه يستر نعمة الله تعالى، ومنه: الكَفَّارَةُ؛ لأنها تمحو الجريمة، والكافر: الزُّرَّاع؛ لأنهم يغطون<sup>(٢)</sup> البذر بالتراب، وفي الحديث: «ألا، لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم بعضًا» قيل: لابسين السلاح، وقيل: بل يكفر بعضكم بعضًا.

والهَيْجُ<sup>(٣)</sup>: جفاف، فيصفر بعد الخضرة، هاج الزرع يهيج هيجًا.

والحطام: المنكسر، وأصله الحَطْم: الكسر.

(١) في د: يجي.

(٢) لأنهم يغطون: لأنه يغطي؛ ث، د، ز، ك.

(٣) الهيج: الهج، ك.



## الإعراب

﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ محله نصب بتقدير: ولثلا يكونوا<sup>(١)</sup>، وقيل: محله جزم بالنهاي، عن الأخفش.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup> أي: ولما نزل عطفًا على قوله: ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾.

﴿وَأَقْرَضُوا﴾ فعل، و﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾ اسم، فعطف الفعل على الاسم؛ لأنه في معنى الفعل، وتقديره: الذين تصدقوا وأقرضوا.

﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ رفع، قيل على الابتداء، وهو متصل بما قبله، وخبره في قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، عن ابن عباس، ومسروق، والضحاك. وقيل: هو عطف على قوله: ﴿الْمُصَدِّقُونَ﴾؛ لأن كل مؤمن شهيد فيما رواه البراء عن النبي ﷺ.

وعن عبد الله ومجاهد (ما) في قوله: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا﴾ صلة، وتقديره: اعلموا أن الحياة.

﴿حُطَمَاءُ﴾ نصب؛ لأنه خبر «كان»، تقديره: ثم يكون النبت حطامًا.

## النزول

في نزول قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ قولان:

قيل: نزلت في المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأسروا الكفر، عن ابن عباس. فعلى هذا تقديره: ألم يأن للذين آمنوا ظاهرًا بلسانهم أن يؤمنوا على الحقيقة، وتخضع قلوبهم لما سمعوا هذا القرآن، وما فيه من أدلة التوحيد والوعد والوعيد والمواعظ والأمثال؟

وقيل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان عما في التوراة فنزل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] فكفوا مدة، ثم سألوه عن ذلك، فنزل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ عن الكلبي، ومقاتل.

(١) ولثلا يكونوا: يكون، د، ز.

(٢) من الحق: +، ك.

وقيل: نزلت في المؤمنين، عن ابن مسعود، قالوا: لما سألوا أن يحدثهم وكرروا نزلت هذه الآية، قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين.

وعن ابن عباس أنه تعالى عاتبهم بهذه الآية على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن.

وقيل: نزل في قوم من المسلمين أولعوا باللعب لَمَّا اتسع عليهم المال بعد الفتح، وحصلوا في الأمن والخصب<sup>(١)</sup> وتركوا آداب الإسلام، وأخذوا في المزاح والكلام فيما لا يعينهم، عن مجاهد.

### المعنى

ثم دعاهم تعالى إلى طاعته بالطف دعاء، فقال - سبحانه -: «أَلَمْ يَأْنِ» أَلَمْ يَحِجْنَ «لِلَّذِينَ آمَنُوا» قيل: بلسانهم دون قلوبهم، وقيل: صدقوا بالقلب واللسان وتركوا الأفعال «أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» قيل: القرآن، وقيل: المواعظ والزواجر، وقيل: ذكر أدلة التوحيد والعدل وذكر قدرته على البعث والجزاء «وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ» قيل: القرآن «وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ» يعني اليهود والنصارى «فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ» أي: الزمان والدهر، قيل: طال عليهم أمد الجزاء، وقيل: الأمد ما بين زمانهم وزمان نبيهم<sup>(٢)</sup> موسى ﷺ، وقيل: زمان أنبيائهم، وقيل: أمد الآخرة، وقيل: لما تردد الوعيد في مسامعهم قست قلوبهم، عن أبي علي. وقيل: لما طال عليهم الأمد وكان التوراة تحول بينهم وبين شهواتهم اخترعوا كتاباً وعرضوه على بني إسرائيل فقبلوه، وقيل: أراد أن مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة طال عليهم الأمد في خروج النبي ﷺ «فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ» وروي أن وفدًا من اليمن قدموا، فسمعوا القرآن فبكوا، فقال أبو بكر: هكذا كنا حتى قست القلوب، أشار إلى أن قلوب المشايخ أقسى لكثرة ترداد الذكر عليه «وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» وهم الذين كفروا بعمى ومحمد ﷺ، وقيل: الذين ابتدعوا الرهبانية، وقيل: الذين حرفوا الكتاب، وإنما لم يعمهم بالفسق؛ لأن

(١) في الأمن والخصب: في الخصب والأمن، ك.

(٢) نبيهم: +، ز، ك.

منهم من آمن بعبسى، وآمن بمحمد لما بعث، ولعل فيهم من لا يبلغه خبر محمد فأمن بعبسى، عن أبى علي.

ثم دل على البعث الموجب لخشوع القلب، فقال - سبحانه -: «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخَي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أي: يحييها بالنبات بعد اليبس والجدوبة<sup>(١)</sup>، وكلاهما تشبيه وتوسّع في الكلام، أي: كذلك يحيي الموتى عند البعث، وقيل: يحيي الكافر بالهدى والإيمان بعد موته بالضلال «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ الْحَجَجِ عَلَى إِبْطَاتِ الصَّانِعِ وَصَحَّةِ الْإِعَادَةِ مِنْهُ «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» قيل: لتعقلوا أي: لتعلموا ذلك، قيل: لتستعملوا عقولكم «إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذَقَاتِ» بَيَّنَّا اخْتِلَافَ الْقِرَاءَتَيْنِ، ومعناهما. «وَأَقْرَضُوا اللَّهَ» أي: أنفقوا في سبيله «قَرْضًا حَسَنًا» قال الحسن: كل ما في القرآن من القرض<sup>(٢)</sup> الحسن فهو التطوع، وقيل: المراد به الفرائض «يُضَاعَفُ لَهُمْ» في الثواب لأنه دائم، والعمل منقطع، وقيل: بالعوض والثواب، وقيل: بزيادة التفضل في كل وقت «وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» لا يشوبه ما ينغصه وهو الجنة «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» الكثير والصدق، واحدهم: صديق، وهو اسم مدح وتعظيم، وقيل: الكثير التصديق، وقيل: هم ثمانية نفر سبقوا إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، وسعد، وحزمة، وثامنهم عمر، عن الضحاك. وقيل: بل هو عام<sup>(٣)</sup> «وَالشُّهَدَاءُ» قيل: هذا مستأنف، عن ابن عباس، ومسروق. وقيل: بل معطوف على ما تقدم، ثم اختلفوا، ف قيل: نزلت في قوم مخصوصين كانوا شهداء، عن الضحاك. وقيل: نزلت<sup>(٤)</sup> في المؤمنين المخاطبين<sup>(٥)</sup> وكلهم شهداء، عن ابن مسعود، ومجاهد، وروي مرفوعاً، قال ابن مسعود: كل مؤمن صديق شهيد، ثم قرأ هذه الآية. وقيل: أراد بالشهداء الأنبياء الخاصة، عن ابن عباس. وقيل: العلماء، وقيل: من يشهد على غيره،

(١) الجدوبة: الجدبة؛ د، ز، ك.

(٢) القرض: الفرض، ز، ك.

(٣) وقيل بل هو عام: +، ز، ك.

(٤) نزلت: نزل، ز، ك.

(٥) المخاطبين: المخاطب، ز.

عن أبي علي . أي : شهداء يوم<sup>(١)</sup> القيامة ، وقيل : هم من يشهد أن لا<sup>(٢)</sup> إله إلا الله «لَهُمْ أَجْرُهُمْ» جزاؤهم «وَنُورُهُمْ» في ظلمة القبر والقيامة «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» أي : الملازمون النار ، إشارة إلى دوام العقاب «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَاللَّعِبِ فِي الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ «لَعِبٌ وَلَهُوَ» فرح في الحال وينقضي ، ويكون حسرة بعد التقضي «وَزِينَةٌ» منظر يتزينون به ، وقيل : لأنه يتحلى في أعين الناظرين ، ثم يتلاشى «وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ» يفخر بعضكم مع بعض «وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ» يعني قسمتم هممكم بين لعب ولهو وزينة وهو طلب الملاذ وتفاخر ، وتكاثر ، وهو طلب المال ، فكل ذلك إلى زوال ، وإنفاق العمر في مثل ذلك جهل وضلال .

ثم بيّن المثل ، فقال - سبحانه - : «كَمَثَلِ غَيْثٍ» أي : سحاب ، وقيل : مطر ، عن أبي علي . وقيل : كمثل نبات أصابه غيث «أَعْجَبَ الْكُفَّارَ» الزراع «نَبَاتُهُ» من حسنه<sup>(٣)</sup> ، وقيل : بل المراد به الكفار ؛ لأن مثلهم يركنون إلى الدنيا ويعجبهم حسننها ، ولا يرون زينة الآخرة بخلاف المؤمن فإنه لا ينظر إلى زينتها ، ويؤثر الآخرة عليها «ثُمَّ يَهِيْجُ» أي : ييبس «فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا» من يبسه بعد خضرته «ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا» منكسراً متفتتاً بحيث تكرهه الأبصار بعدما أعجبها «وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ» لِلْمُصْرِئِينَ «وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ» للمؤمنين والتائبين «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» ؛ لأنه يغتر بها لما يرى من حسن ظاهرها إذا لم يتفكر في عاقبتها ، وخلاف باطنها لظاهرها ، ومعنى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي : أعمالهم في جمعها وتحصيلها .

### ❁ الأحكام

يدل قوله : ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ الآية على لزوم الحجة وإزاحة العلة ، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة والإرادة ، وكيف يصح أن يقال : ألم يأن أن يفعل ، والفعل موقوف على خلقه وإرادته .

(١) يوم : + ، ك .

(٢) أن لا : ألا ، د .

(٣) حسنه : حسننها ، ك .

وتدل على التحذير من مثل حال من كان قبلنا في قسوة القلب، وقد روي أن سبب توبة الفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك كان هذه الآية.

أما الفضيل فكان يقطع الطريق، فسمع ليلة قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ فقال: بلى قد آن، وتاب.

وعبد الله كان في بستان يشرب، ويضرب بالعود، فسمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ فتاب.

ويدل قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أن المراد من الجميع أن يعلم، خلاف قول المجبرة، عن أبي علي.

ويدل ضرب المثل على سرعة فناء الدنيا وبقاء الآخرة؛ حثاً على العمل لما يبقى بعد ما يفنى.

قوله تعالى:

﴿سَاقِبُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾.

#### المقاراة

قرأ أبو عمرو: «ولا تفرحوا بما آتاكم» مقصورة الألف، واختاره أبو عبيد، أي: جاءكم، جعل الفعل له ليكون على نسق واحد، وقرأ الباقون: «آتاكم» بالمد من الإيتاء وهو الإعطاء.

قرأ حمزة والكسائي: «بالبخل» بفتح الباء والخاء، الباقون بضم الباء وسكون الخاء، وهما لغتان.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «فإن الله الغني الحميد» بإسقاط «هو»، وكذلك في مصاحفهم، الباقون بإثباته، وكذلك في مصاحفهم.

### اللغة

المسابقة: طلب التقدم على غيره.  
والبرء: مصدر برأ الله الخلق أي: خلقهم، والبرء: الخلق.  
والأسى: الحزن، والتأسي: تخفيف الحزن بالمشاركة في حاله.  
والفرح: خلاف الحزن، ورجل مفراح: نقيض محزان.  
والفخور: كثير الفخر بغير حق.

### الإعراب

﴿نَبَرَاهَا﴾ الهاء محلها نصب؛ لأنه مفعول، وقيل: هو كناية عن المصائب التي هي الأمراض والآلام من جهته تعالى، وقيل: كناية عن الأنفس.  
﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ محله كسر على (١) نعت المحتال، وقيل: محله رفع بالابتداء، وخبره فيما بعده.

﴿الْفَنَى﴾ رفع لأنه خبر (إن). ونصب ﴿وَلَيَعْلَمَ﴾ عطفاً على ﴿لَيَقُومَ﴾ تقديره: ليقوم الناس بالقسط، وليعلمه الله.  
(لا تفرحوا) نصب بتقدير: لكيلا تفرحوا.

### المعنى

لما أخبر عن أحوال أهل الدنيا من مسابقتهم في طلبها رغب في المسابقة في

(١) على: +، ك.

طلب الجنة، فقال - سبحانه - : «سَابِقُوا» أي: بادروا «إِلَى مَغْفِرَةٍ» أي: الأعمال الموجبة للمغفرة من الإيمان والطاعات، وقيل: إلى التوبة، وقيل: إلى التكبير<sup>(١)</sup> الأولى «وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» إن وصل بعضها ببعض.

ومتى قيل: لم ذكر العرض دون الطول؟

قلنا: لوجوه:

منها: أن عظم العرض يدل على عظم الطول، وعظم الطول لا يدل على عظم العرض.

ومنها: أنه قد يكون طويلاً لا عرض له ولا يكون عرض لا طول له، وقيل: العرض مثل السموات والأرض، فأما الطول فالله أعلم به.

واختلفوا في هذه الجنة:

قيل: جنة الخلد، ولم تخلق بعد؛ لأنها لو خلقت لما صح فيها هذا الوصف، ومعنى «أُعِدَّتْ» ستعد، ماض يراد به الاستقبال كقوله: «وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ» [الأعراف: ٤٤] يدل عليه: «أَكُلُّهَا دَائِبٌ» [الرعد: ٣٥] ولو كانت مخلوقة لفنيت، عن أبي علي، وأبي هاشم. وقيل: بل مخلوقة يفنيها، ثم يعيدها الله تعالى يوم القيامة ويزيد فيها طويلاً وعرضاً، عن الحسن. وقيل: أراد جنة واحدة من الجنان أُعِدَّتْ، عن ابن كيسان.

«أُعِدَّتْ» هُيِّئَتْ «لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» أي: يعطيه من يشاء.

ومتى قيل: إذا كانت مستحقة فلِمَ سماه تفضيلاً؟ ولمَ علقه بالمشيئة؟

قلنا: فيه وجوه:

(١) في ك: التبصرة.

أحدها: أنه عرض المكلف للثواب تفضلاً، فالتكليف تفضل وهو السبب، ثم أعطى على القليل كثيراً؛ لأن العمل قليل منقطع والثواب دائم لا ينقطع، هذا كمن اشترى خبزاً بدرهم أعطاه غيره فإنه يكون متفضلاً بالخبز، هذا على قول البصريين.

وقال أبو القاسم: لو اقتصر الله بعباده في طاعتهم على مجرد إحسانه السابق<sup>(١)</sup> إليهم كان عدلاً، فلهذا جعل الجنة فضلاً، وهذا لا يصح؛ لأن من أنعم على غيره تفضلاً فالزامه الشاق من غير حاجة لا يحسن، ولا يعد جوداً بل ظلماً ولؤماً.

وقيل: تفضل بالأسباب التي بها يفعل الطاعة التي يستحق عليها الثواب، كالتمكين والألطف وكمال العقل وغير ذلك، وكل ذلك تَفَضُّلٌ.

وقيل: لأن فيه غير المكلف، ومعنى ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ مشروط في المكلفين بالاستحقاق، ولولا ذلك لما علقه بالمسابقة، ولما كان للأمر به معنى.

«مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ» قيل: المصيبة في الأرض القحط وقلة الزرع والضرع والآفات في الأموال<sup>(٢)</sup>، والمصيبة في النفس: الأمراض والعلل والموت ونحوها، وقيل: ما أصاب من خير أو شر من قبل<sup>(٣)</sup> كل أحد، فعلى الأول الضمير في «نبرأها» يعود على المصيبة، وفي<sup>(٤)</sup> الثاني يجوز أن يعود على الأرض، ويجوز أن يعود على الأنفس «إِلَّا فِي كِتَابٍ» إلا وهو مكتوب في كتاب معلوم لله<sup>(٥)</sup> تعالى، والكتاب هو اللوح المحفوظ كتب أن هذا العبد يمتحن بكذا وقت كذا، وتزول المحنة وقت كذا، ويحيا إلى كذا، ويموت وقت كذا.

ومتي قيل: ما فائدة ذلك؟

قلنا: لطف للملائكة إذا علموا ذلك، ولطف للعباد على الحث في طلب الآخرة

(١) السابق: السابقة، د، ز.

(٢) الأموال: الأحوال، د.

(٣) قبل: +، ك.

(٤) وفي: وعلى، ز، ك.

(٥) لله: الله، ك.



إذا علم تغير أحوال الدنيا، فلا يطمئن إليها، ولأنه إذا علم أن ذلك من جهة الله - تعالى - كان أقرب إلى التسلي والصبر، ولأنه يتواضع لله، ولأنه لا يفاخر بالنعم، ولا يحزن بالمحن إذا علم أن كل واحد إلى زوال.

«مِنْ قَبْلِ<sup>(١)</sup> أَنْ تَبْرَأَهَا» نخلقها، قيل: الأرض، وقيل: الأنفس، وقيل: المصيبة «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» أي: سهل، قيل: كتابته يسيرة؛ لأنه عالم لذاته يعلم الأشياء بحقائقها، فإذا كتبه كان صفة جلال، وقيل: خَلَقُ المصائب يَسِيرٌ؛ لأنه<sup>(٢)</sup> يعلم<sup>(٣)</sup> ما فيه من المصلحة ونحن لا نعلم، فهو يسير عنده شاق علينا «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» أي: فعلنا ذلك لتعلموا فلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا، ولا تفرحوا بما أعطيتكم من نعمها؛ لأن شيئاً منها لا يبقى، فوجب أن نهتم لأمر الآخرة فإنها دائمة، وقيل: لأن ما فات ضمن الله تعالى العوض عليه في الآخرة، فلا ينبغي أن نحزن، وما ناله<sup>(٤)</sup> [منها] كَلَفُهُ الشكر [عليه] والحقوق الواجبة [فيه]، فوجب أن يستوي عنده الحالان، وقيل: إنه تعالى أشار إلى أربعة أشياء:

أولها: حسن الخلق؛ لأن من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لا يحسد ولا يعادي<sup>(٥)</sup>، ولا يشاح<sup>(٦)</sup>، فإن سوء الخلق من نتائج حب الدنيا. وثانيها: الاستخفاف بالدنيا وأهلها، فيستوي عنده الحجر والمدر، لا يفرح بوجوده، ولا يحزن بعدمه.

وثالثها: تعظيم الآخرة؛ لينال الثواب الدائم الخالص من الشوائب. ورابعها: الافتخار بالله دون أسباب الدنيا.

«وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» أي: متكبر بما أوتي، فخور على الناس بالدنيا «الَّذِينَ يَبْخُلُونَ» بمنع الواجبات «وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ» أي: أعرض عما

(١) قيل: وقيل، ك.

(٢) لأنه: لأن، ك.

(٣) يعلم: -، ك.

(٤) ناله: نالها، د، ز، ك.

(٥) يعادي: يغادر، ث، د، ز، ك.

(٦) ولا يشاح: ولا يشاح، ت، د، ز.

دعاه الله إليه «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ» عنه وعن صدقته وطاعته، وإنما أمرهم لنفعهم «الْحَمِيدُ» في جميع أفعاله «لَقَدْ<sup>(١)</sup> أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ» أي: بالحجج «وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ» قيل: هو الميزان الذي يوزن به، عن ابن زيد، وأبي علي. وقيل: هو آلة الإنصاف والانتصاف؛ فلذلك ذكره، وقيل: المراد به العدل، عن مجاهد. «وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ» قيل: أراد بالإنزال خلقه في المعادن، أي: خلقهم، ثم علمهم ما يصنع منها، وقيل: أنزل مع آدم من الحديد السندان والكلبتان والمطرقة، عن ابن عباس. وقيل: جعل ذلك نزلاً لهم، عن قطرب. نظيره: ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةً آزُوجًا﴾ [الزمر: ٦]، «فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» قوة شديدة، يعني السلاح والكرام «وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ» هو ما يستعملونها في مصالحهم إذ هو آلة كل صنعة، وقد قيل في الآية وجه آخر: ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ يعني محمداً ﷺ و(الكتاب) القرآن، و(الميزان) ما أمر الله به من الأحكام و(الحديد) هو ذو الفقار، و(البأس الشديد) ما كان به في الحروب، و(المنافع) منافع الدين والدنيا «وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ<sup>(٢)</sup>» أي: ليظهر المعلوم من نصره على الناس «وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ» قيل: تقديره: ليرى الله من ينصره، وقيل: ليعلم الله وجود النصره منهم في الحال ويظهر المعلوم ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر دينه وأوليائه، وقيل: لينصروا دينه ونبيه وهو يعلم ذلك منهم موجوداً.

ثم بيّن تعالى أن الدعاء إلى النصر ليس لضعف، ولا حاجة؛ لأنه غني، ولكن لمصلحتهم أمرهم، ومنفعته تعود عليهم، فقال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ<sup>(٣)</sup>» أي: قادر «عَزِيزٌ» لا يغالب.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿سَابِقُوا﴾ على وجوب المسارعة إلى التوبة والطاعة الموجبة للمغفرة.

ويدل قوله: ﴿وَجَنَّةٍ﴾ أن الجنة لم تخلق بعد، عن أبي علي.

(١) لقد: ولقد، ك.

(٢) ينصره: سينصره، د، ز.

(٣) عزيز: +، ك.

ويدل قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أن جميع ما ينال العبد مكتوب مقدر، فإذا علم العبد ذلك استسلم وهان عليه الأمر.

وتدل على أنه لا ينبغي أن يتأسف على فائت، ولا يفرح بموجود لسرعة زوالها. وعن الصادق: (يا بن آدم، مالك تأسف على مفقود ولا يُردُّ إليك، وما لك تفرح بموجود لا يترك في يدك): وهذه الآية تدل على وجوب الرضا بالقضاء.

وتدل على ذم التكبر والخيلاء والبخل والافتخار على الناس بأسباب الدنيا. ويدل قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أنه تعالى أنعم على عباده بنعم الدين والدنيا، وبَيَّنَّ في هذه الآية وجوهاً:

أولها: إرسال الرسول ليهدي الخلق إلى مصالح دينهم، ويُبَيِّن الشرائع، وبهم يتم أمر الدارين.

وثانيها: إنزال الكتاب مع أنه معجز، ومتضمن للأحكام، وبه تتم النبوة.

وثالثها: الميزان وهو آلة العدل والإنصاف والانتصاف.

ورابعها: الحديد، وبه تتم جميع مصالح الدنيا والصناعات، وبه يتم الجهاد.

ويدل قوله: ﴿لَيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أنه أراد من الجميع القسط.

وتدل أن المسابقة والقسط والخيلاء فعل العبد.

ومتى قيل: كيف اتصل ذكر الحديد بما تقدم، وما تأخر؟

قلنا: قيل<sup>(١)</sup>: لأنه لما ذكر النصر، ومن الحديد تتخذ آلة الحرب.

وقيل: لأنه عدَّ منافعه ديناً ودنياً، فعد الحديد؛ لأنه من أعظم النعم<sup>(٢)</sup> لما فيه من المنافع.

(١) قيل: +، ك.

(٢) النعم: المنافع، د.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ  
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِثِهِم بِرُسُلِنَا وَفَقَيْنَا يُعِيسَى ابْنَ  
مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً  
ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَءَامِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كَهْلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ  
وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

### ❁ القراءة

قراءة العامة: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾ وعن سعيد بن جبير: (لكيلا يعلم)، وهذا محمول  
على أنه فسر به، لا أنه قراءة.

### ❁ اللغة

القفو: الاتباع، قَفَوْتُ أثره: اتبعته، ويقال: قَفَوْتُه أَقْفُوهُ وَأَقْفَتْهُ أَقْفُوهُ، وقفته:  
أقوفه، وقفيته: إذا اتبعت أثره، ومنه سميت القافية لتتبعهم الآثار، ومنه: ﴿وَلَا تَقْفُ  
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] أي: لا تتبع، وقفا كل شيء وقافيته<sup>(١)</sup>: آخره،  
ومنه الحديث: «أنا الْمُقَفِّي»، قيل: معناه<sup>(٢)</sup> آخر الأنبياء، وقيل: المتبع للنبيين،  
والتقفية جعل الشيء في إثر غيره، وقافية الشيء قيل: آخره، وقيل: لأنها تتلو سائر  
الكلام.

(١) وقافيته: وقفافيته، ك.

(٢) معناه: جعلناه، د، ز.

الرهبانية: الخصلة من العبادة التي يظهرونها مع الرهبة، ومنه: الرهبان، وقيل: إنه جمع، وقيل: واحد، وجمعه: رهابين ورهبانية، ومنه الحديث: «لا رهبانية في الإسلام» كالخصى ونحوها مما ابتدعه الكفار، وأصل الباب: الرهبة، وهو الخوف. والابتداع: إحداث الشيء ابتداءً<sup>(١)</sup>، وهو مذموم في الدين، ومنه المبتدعة، الذين أحدثوا في الإسلام مذاهب تخالف التوحيد والعدل؛ كالتشبيه والجبر والخارجية والرفض.

والكِفْل: النصيب، ومنه: ﴿لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] أي: نصيب.

### الإعراب

(مُتَهَدِّد) رفع؛ إلا أنه من بنات الياء، فلا يستبين<sup>(٢)</sup> فيه الرفع كقولنا: قاض. ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ﴾ قيل: ليعلم، ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ رفع، على [تقدير:] أنهم لا «يقدرُونَ»، فلما أضمر الهاء رفع.

### النزول

قيل: فخر مؤمنو أهل الكتاب على قوم من الصحابة، وقيل: بل قوم من اليمن آمنوا فوعدوا الأجر مرتين، ففخروا على الصحابة بأن لنا أجرين، ولكم أجرًا<sup>(٣)</sup>، فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاِمْسُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٨) ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وعن قتادة: حسد أهل الكتاب المسلمين، فنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

(١) ابتداءً: ابتداء، ث، ز، د، ك.

(٢) يستبين: يستين؛ ث، ز، ك.

(٣) أجرا: أجر؛ ث، د، ز، ك.

(٤) +، إلى آخر السورة، ث، د، ز، ك.

وقال مجاهد: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا من يقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فنزل: ﴿لَيْتَ لَا يَعْلَمُ﴾ الآية.

### المعنى

ثم عطف على ما تقدم من ذكر الأنبياء بقصة إبراهيم ونوح، فقال - سبحانه -: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ» قيل: خصهما بالذكر لفضلهما، وقيل: لأنهما أبوا الأنبياء «وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ» أي: في أولادهما<sup>(١)</sup> «وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ» أي: من الذرية «مُهْتَدٍ» أي: اتبع الحق «وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ» من الذرية «فَاسِقُونَ» والفاسق غير من جعل فيهم النبوة والكتاب، «ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم» أي: أتبعنا بالإرسال «عَلَى آثَارِهِم» أي: آثار الأنبياء «بِرُسُلِنَا» [أي]: أرسلنا<sup>(٢)</sup> رسولا بعد رسول «وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» أي: أرسلناه بعدهم «وَأَتَيْنَاهُ» أعطيناه «الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً» أي: اتبعوا عيسى في دينه، والرأفة أشد الرحمة.

ومتى قيل: لم أضاف الرحمة والرأفة إلى نفسه؟

قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

أولها: بالأمر والترغيب ووعد الثواب عليه؛ لأنه أمرهم بالتراحم فأطاعوه.  
وثانيها: باللطف الذي قوى دواعيهم، فصارت قلوبهم بهذه الصفة.  
وثالثها: بالأخبار والتعريف كما يقال: فلان عدله القاضي وزكاه<sup>(٣)</sup>، إذا أخبر عن عدالته.

«وَرَهْبَانِيَّةً» خصالاً في الدين تكلفوها «ابْتَدَعُوهَا» أحدثوها «مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» أي: ما فرضناها عليهم، قيل: تلك الرهبانية: رَفُضُ النساء واتخاذ الصوامع، عن قتادة. وقيل: لحاقهم بالبراري والجبال، في خبر مرفوع، وقيل: الانقطاع والانفراد بالعبادة

(١) أي في أولادهما: +، ك.

(٢) أرسلنا: وأرسلنا، ث، د، ز، ك.

(٣) وزكاه: رعاه، ث، د، ز.

«إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ» قيل: معناه ما كتبناها عليهم ألبته لكن كتبنا<sup>(١)</sup> عليهم ابتغاء رضوان الله، عن مجاهد. وقيل: ابتغوا بابتداع تلك الرهبانية رضوان الله، عن أبي علي. وقيل: ما كتبناها عليهم، ولكن لما دخلوا فيها أوجبنا ذلك ابتغاء رضوان الله، عن الحسن.

ومتى قيل: كيف يتصل قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ و﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ﴾ بما قبله؟ قلنا: قيل: تم الكلام عند قوله: ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ ما كتبنا ذلك عليهم، لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، فبدلوا ولم يفعلوا ما أمروا به، فعلى هذا «ابتدعوها» دَمَّ لهم.

وقيل: (رهبانية) يتصل بما قبله أي أن فيهم رافة ورحمة ورهبانية من عند أنفسهم لم يكتب الله ذلك عليهم؛ لكن لما دخلوا فيها وجب عليهم إتمامها ابتغاء رضوان الله، فلم يفعلوا، فعلى هذا «ابتدعوها» تكون مدحاً، والذم في قوله: «فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا» فيه قولان:

إذا حملت الآية على أنه لم يكتب الرهبانية عليهم لكن كتب عليهم اتباع الملة فما رعوها يعني<sup>(٢)</sup> ما كتب عليهم من أمر الدين والملة، فتكون كناية عن غير مذكور، عن مجاهد.

وإذا حملت على أن الرهبانية طاعة فما رعوها تلك الرهبانية، يعني ما حفظوا ذلك، عن أبي علي.

وقيل: فما<sup>(٣)</sup> رعوها الملة حق رعايتها، لكن كفروا بعيسى، وتهودوا، وتنصروا، وشربوا الخمر، وأكلوا الخنزير.

وقيل: «فما رعوها» أي: لتكذيبهم محمداً ﷺ، فإن من آمن به فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يؤمن به فأولئك هم الهالكون، في خبر<sup>(٤)</sup> مرفوع.

(١) كتبنا: كتبناها، ك.

(٢) يعني: +، ك.

(٣) فما: ما، ك.

(٤) خبر: حديث، ز، ك.

وقيل : اتخذوا الترهب والتزهد سوقاً ومكيدة ، ولم يبتغوا بها رضا الله كمتزهدة زماننا هذا .

وقيل : أحدثوا التثليث والكفر ، وقيل : غيروا دينهم وشرائعهم .

«فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ» أي : أعطيناهم الثواب جزاء أعمالهم «وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» قيل : كافرون ، وقيل : عاصون «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ» قيل : آمنوا بعبسى وموسى اتقوا عذاب الله ، وآمنوا بمحمد ﷺ ، وقيل : يا أيها الذين آمنوا ظاهراً اتقوا<sup>(١)</sup> باطناً ، وقيل : آمنوا بالأنبياء آمنوا بمحمد ﷺ «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ» أي : يعطيكم نصيبين «مِنْ رَحْمَتِهِ» نصيباً لإيمانهم بمن تقدم من الأنبياء ، ونصيباً لإيمانهم بمحمد ﷺ ، عن ابن عباس . «وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ» قيل : النور القرآن ، عن ابن عباس . وقيل : هو الهدى والبيان ، عن مجاهد . وقيل : هو النور الذي يمشون به في القيامة وعلى الصراط «وَيَغْفِرْ لَكُمْ» ذنوبكم «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يغفر الذنوب بالتوبة ، ويرحم بقبول التوبة ، ويدخل الجنة «لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَفْقَرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ» في قوله : (لا) قولان :

منهم من قال : هي صلة ، ثم اختلفوا ، فقليل : ليعلم أهل الكتاب الذين حسدوا المؤمنين على ما وعدوا أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله ، وقيل : هو يتصل بما قبله في قوله : ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ أي : يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على فضل الله الذين يصرفون النبوة عن محمد إلى بني إسرائيل ، وقيل : أهل الكتاب الذين يتشبهون بالمؤمنين أن لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله الذي هو ثوابه الذي يفعله على وجه الاستحقاق لمن يستحق ، عن ابن عباس . فعلى هذه الوجوه (لا) صلة محذوفة ، وقيل : (لا) إنما تدخل صلة في كلام دخل في أواخره جحد كقوله : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٠٩] .

والثاني : منهم من قال (لا) ثابت المعنى ، ثم اختلفوا فقليل : لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرُ الرسول والمؤمنون على شيء من فضل الله ؛ لأن من لا يعلم أنه لا

(١) اتقوا : آمنوا ، ك .



يقدر يعلم أنه لا يقدر، وقيل: ليعلموا أنهم يقدرون إن أسلموا، فيحوزون الفضل؛ لأنهم إذا لم يعلموا أنهم لا يقدرون على الإيمان علموا أنهم يقدرون على ذلك.

ومتى قيل: لم سمى الثواب فضلاً، وهو مستحق؟

قلنا: لأنه بالتكليف والتمكين عرضه للثواب، فكأنه منه.

وقيل: لأنه يحصل بالإيمان، وذلك يحصل بتمكينه ولطفه وهدايته، فكأنه منه، هذا على قول مشايخنا.

وقيل: لأن العبادات مُسْتَعْرِقَةٌ في شكر نعمه، وكان الثواب تفضلاً، عن أبي القاسم.

وقيل: طاعتنا قليلة، وثوابه دائم.

وقيل: خدمة العبد لمولاه مستحق، فإذا ضمن الثواب عليها كان فضلاً، والأوجه هو الأول.

«وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ» أي: هو القادر على ذلك «يُؤْتِيهِ» يعطيه<sup>(١)</sup> «لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

### ❁ الأحكام ❁

الآية تدل على أن الأنبياء من ذرية نوح وإبراهيم، وأن من ذريتهما مهتدياً وفاسقاً. وتدل أن الفاسق ليس بمهتدٍ.

ويدل قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ أن من دخل في عبادة وجب عليه إتمامها على ما يقوله أبو حنيفة وأصحابه في الصوم والصلاة والحج، وقد وافقهم الشافعي في الحج، وخالفهم في الصوم والصلاة، والآية تدل عليه؛ لأنه ذمهم حيث لم يتموا ما ابتدأوا، الحج<sup>(٢)</sup> بحجة؛ لأن الصوم عبادة تلزم بالبدن، فتلزم بالشروع كالحج.

وتدل أن تلك الرهبانية فعلهم، ليس بخلق الله تعالى.

ويدل قوله: ﴿مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أن الثواب مستحق على الأعمال.

(١) يعطيه: -، ك.

(٢) الحج: والحج، ث، د، ز، ك.

## سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

سورة (المجادلة) وهي اثنتان<sup>(١)</sup> وعشرون آية، وهي مدنية.  
وعن أبي، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (المجادلة) كتب من حزب الله يوم القيامة». ولما ختم السورة بذكر فضله مع عباده افتتح هذه السورة بذلك، وبين أن من فضله إجابة الدعوات، وبيان أحكام الشرع، كما أجاب دعاء<sup>(٢)</sup> تلك المرأة، وبين حكم حالها<sup>(٣)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:  
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ إِنَّ تَحَاوُرَكُمَا اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكَمُ تَوْعُطُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُنْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا يَتَذَكَّرُ لِّلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (٥).

(١) اثنتان: اثنان، ك.

(٢) دعاء: +، ك.

(٣) حالها: حالهما، د.

## ❁ القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي: «يُظَاهِرُونَ» بالياء وفتحها والألف وتشديد<sup>(١)</sup> الظاء، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «يُظَهَّرُونَ» بغير ألف وتشديد الظاء والهاء، وقرأ عاصم: «يُظَاهِرُونَ» بضم الياء وإثبات الألف وتخفيف وكسر الهاء، وكلها لغات صحيحة، يقال: ظاهر من امرأته وَيُظَهَّرُ وَيُظَاهِرُ<sup>(٢)</sup>، ومن قرأ بالتشديد فلا دغام التاء في الظاء.

قراءة العامة: «ما هن أمهاتهم» بكسر التاء، وقرأ المفضل بضم التاء، والظهار: أن يقول لامرأته: أنت عليّ كَظْهَرِ أُمِّي.

## ❁ اللغة

المجادلة: المحاجة والجدال الخصومة، وهو تقابل الكلام عند النزاع، وسمي بذلك<sup>(٣)</sup> لشدته، وأصل الجدال: الفتل، وقيل: أصله الجدالة؛ وهي الأرض، كأن كل واحد يريد إلقاء خصمه على الأرض، وَجَدَلْتُ الحبل: فَتَلْتُهُ، والجديل: الزمام. والتحاور: تراجع الكلام، حاور محاوره، والحوار أصله الرجوع، ومنه: ﴿ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الإنشاق: ١٤]، قال عنترة:

لَوْ كَانَ يَذْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى      وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي<sup>(٤)</sup>  
والظهار: مأخوذ من الظَّهَر، وكان طلاقاً في الجاهلية، ظاهر من امرأته يُظَاهِرُ ظَهَارًا.

والمحاداة<sup>(٥)</sup>: المخالفة ومنع ما يجب عليه، وأصل الحد: المنع، ومنه: الحد: الحاجز بين الشيئين، ومنه قيل للبواب حُدَادٌ، حددته أي منعته، قال النابغة:

(١) وتشديد: بتشديد، د، ز.

(٢) ويظهر ويظاهر: ويظاهر فيظهر، ك.

(٣) بذلك: ذلك، د، ز.

(٤) البيت قائله عنترة بن شداد في معلقته.

(٥) والمحاداة: المجادلة، ك.

قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُذْهَا عَنِ الْفَنْدِ<sup>(١)</sup>

ومنه: الحديد؛ لأنه يمنع، ومنه: حدود الله؛ لأنه تمنع من المعاصي، ومنه: الحداد؛ لأنه مَنَعٌ من الزينة.

والكبت: مصدر كبت الله العدو: صرفه وأذله، وكبته: إذا صرعه، والكبت: الغيظ، والكبت: الحزن أيضًا، وقيل: أصله الكيد، أي بلغ همه الكيد، فقلبت الدال تاء لقرب مخرجها، كما يقال: سدر<sup>(٢)</sup> رأسه وستره.

### الإعراب

التاء في «ما هن أمهاتهم» مكسورة على خبر (ما)، ومحلّه نصب كقوله: ﴿مَا هَذَا﴾<sup>(٣)</sup> [يوسف: ٣١]، وقيل: بالباء على تقدير بأمهاتهم. و«يتظاهرون» أصله يتظاهرون فأدغم.

«منكرًا» نصب؛ لأنه نعت لمحذوف، أي: قولاً منكراً.

﴿فَتَحَرَّيْزُ رَبَّةٍ﴾ رفع على الابتداء، وهذه فاء المجازاة وما بعد فاء المجازاة ابتداءً.

### النزول

قيل: الآيات نزلت في رجل من الأنصار وامرأته، ثم اختلفوا في اسميهما: أما الرجل فقيل: نزلت في شأن سلمة بن صخر لما ظاهر امرأته، وأكثر المفسرين على أنها في أوس بن الصامت لما ظاهر امرأته.

(١) الفند: القدر؛ ث، د، ك.

البيت قائله النابغة الذبياني في معلقته وصدر البيت:

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحددها عن الفند  
أنظر ديوان النابغة الذبياني، دار صادر. لسان العرب، (حدد).

(٢) سدر: شد، ك.

(٣) ما هذا: ما هذان، ك.

وأما المرأة: فاختلفوا في اسمها ونسبها، قيل: خولة بنت خويلد، عن ابن عباس.

وقيل: خويلة بنت ثعلبة، عن قتادة، ومقاتل.

وقيل: جميلة، وكانت<sup>(١)</sup> حسنة، وزوجها أوس، عن عائشة.

واتفقوا أنها من الخزرج.

وقيل: أول من ظاهر في الإسلام أوس، وكانت<sup>(٢)</sup> تحته بنت عم له، عن ابن عباس.

ولما ظهر منها ندم، وراودها، وظنت أنها حرمت عليه، وأبت حتى تسأل رسول الله ﷺ، فجاءت وقالت: إن أوس بن الصامت تزوجني شابة ذات أهل ومال، حتى إذا كبرت وتفرق مالي وأهلي ظاهر مني وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه؟ واختلفت الرواية فيما أجابها، فقيل: قال رسول الله ﷺ: «هو كما قال»، وقيل: قال: «حرمت عليه»، وقيل: قال: «لم ينزل عليّ فيه شيء».

واختلفوا فيما قالت بعد ذلك، فقيل<sup>(٣)</sup>: رفعت طرفها إلى السماء وقالت: إلى الله أشكو حاجتي، وقيل: قالت: اللهم [ظاهر] مني<sup>(٤)</sup> [زوجي حين] كبر سني وتفرق عظمي، وقيل: قالت: فلي<sup>(٥)</sup> منه أولاد صغار إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا، وعن عائشة قالت: بكت وبكت من في الدار رحمة لها. وروي أنها قالت: إن جرى عليّ هذا الحكم هلكت، فنزلت الآيات في قصتها، عن عائشة.

فلما نزلت دعا زوجها وتلاها عليه، وقال: «ما حملك على ما صنعت»؟ قال: الشيطان، فقال له: «أستطيع العتق»؟ قال: لا، قال: «هل تستطيع صوم شهرين

(١) وكانت: فكان، د.

(٢) وكانت: فكان، د.

(٣) فقيل: وقيل، ك.

(٤) مني: من، د، ز، ك.

(٥) فلي: لي، د، ز.

متتابعين؟ فقال: يا رسول الله، إن لم آكل في اليوم ثلاث مرات كُلَّ بَصْرِي وظننت أنني سأموت، قال: «فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟ قال: لا والله، قال: «إني معينك» وأعطاه خمسة عشر صاعاً يطعم ستين مسكيناً.

### المعنى

«قَدْ» تأكيد للكلام «سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا» مجادلتها إياه: مراجعتها في أمر زوجها، عن أبي العالية. «وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ» أي: تظهر شكواها، وتبين حالها متضرعة إليه «وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا» أي: مراجعة كلامكما في أمرها «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» أي: يسمع المسموعات ويرى المرئيات، والسميع<sup>(١)</sup>: من هو على حالة يسمع المسموعات إذا وجدت، والبصير: من هو على حالة يرى المرئي إذا وجد، ولهذا يقال: إنه سميع بصير لم يزل، وليس هذا حالة زائدة على كونه حيّاً لا آفة به، فأما السامع والمبصر فحالتان متجددتان عند إدراك المدرك.

ثم بيّن حالهما، فقال - سبحانه -: «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ» أي: يقول لها: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي «مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ» أي: ليس هذه المرأة بأُم الزوج «إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا» أي: قولاً ينكره العقل والشرع ولا يعرف صحته «وَزُورًا» كذباً؛ لأنهم يقولون للمرأة أُمٌ وللحلال حرام «وَإِنَّ<sup>(٢)</sup> اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ» حيث لم يعاجلهم بالعقوبة، غَفُورٌ حيث تجاوز عنهم وأمرهم بالكفارة «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» الظهار أن يقول: أنت عليّ كظهر أُمي، واختلفوا في العود، فقليل: هو العزم على الوطء، عن قتادة، وأبي حنيفة، ومالك. وقيل: هو إمساكها عقيب الظهار مدة يتمكن أن يطلقها، عن الشافعي. وقيل: هو أن يكرر لفظ الظهار<sup>(٣)</sup>، عن أصحاب الظاهر، وأبي العالية. وقيل: أن يظاهر في الجاهلية، ثم يعود فيظاهر في الإسلام، عن طاووس. وقيل: أن يجامعها، عن الحسن. «فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ» أي: عتق مملوك، يعني إذا ظاهر، ثم عاد في ذلك فعليه

(١) والسميع: والسميع والبصير، د، ز، ك.

(٢) إن: +، ك.

(٣) أن يكرر لفظ الظهار: أن يلفظ بالظهار، ك.

تحرير رقبة «مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا» أي: يجامعها «ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ» أي: تؤمرون به، قيل: تؤمرون به أي في القرآن، وقيل: بالكفير «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أي: عالم بأعمالكم يجازيكم بها «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» يعني الرقبة ولا ثمنها «فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» لا يتخللهما فطر، أي: فعليه صيام شهرين، «فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ» الصوم لعدة أو كِبَرٍ «فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا» فقراء «ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» أي: لتظهروا إيمانكم بفعل الكفارة، وقيل: لتقروا بأن الله يتعبدكم بما يشاء من أحكامه، وقيل: لتؤمنوا بالله وما شرع لكم من الدين، وقيل: لتتركوا عادات الجاهلية وتعملوا بالشرعة «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» شرائعه وأحكامه «وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» موجه «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ» أي: يخالفون أمره ويعادون<sup>(١)</sup> رسوله «كُتِبُوا» قيل: أهلكوا، وقيل: أذلوا وأخذوا «كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الكفار «وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» حجج واضحة «وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ» أي: يذلهم وهو عذاب النار.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: أنه سميع بصير مدرك للمدركات خلاف قول البغدادية.

ومنها: أحكام الظهار على ما نبينه.

ومنها: أن الظهار منكر من القول.

ومنها: أن الظهار محرم<sup>(٢)</sup>، وأنه زور، وأنه تتعلق به أحكام في شريعتنا.

ومنها: وجوب الكفارة بالظهار والعود؛ لأنه علق وجوبها بالأمرين.

ومنها: كيفية الكفارة، وترتيبها، وأنها قبل المس.

ومنها: أن فعل<sup>(٣)</sup> الكفارة يتكامل به الإيمان.

(١) يعادون: يحادون، د، ز.

(٢) محرم: يحرم، ك.

(٣) فعل: يفعل، د.

ومنها: أن من يحاد أولياء الله كان بمنزلة من يحاد الله، فأضاف إلى نفسه تفخيماً.

ومنها: دلالتها<sup>(١)</sup> على بطلان قول المجبرة في قوله: «تجادلك»، وقوله: ﴿تَحَاوَرَكُمَا﴾، وقوله: ﴿يُظَاهِرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَنْهَمُ يَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾، وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾، وقوله: ﴿لَتَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ وقوله: ﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾، وكل ذلك يدل على أن ذلك فعل العبد، وليس بخلق الله.

### ✽ أحكام الظهار

الكلام في الظهار ينقسم إلى عشرة فصول:

أولها: معنى الظهار.

وثانيها: ألفاظ الظهار.

وثالثها: من يصح ظهاره.

ورابعها: صفة المرأة المظاهر منها.

وخامسها: المشبه بها.

وسادسها: ما يحرم بالظهار.

وسابعها: الكلام في العود.

وثامنها: وجوب الكفارة ووقتها.

وتاسعها: صفة الكفارة.

وعاشرها: حكم المسيس بين الكفارات.

### ✽ [معنى الظهار]

أما الفصل الأول: فالظهار كان طلاقاً في الجاهلية نُقِلَ بالشرع إلى تحريم يرتفع بالكفارة.

(١) دلالتها: دلالتها، ك.



وحقيقة الظهار: أن يشبه زوجته أو عضوًا منها يعبر به عن جميع البدن أو جزءًا شائعًا بما<sup>(١)</sup> لا يحل له النظر إليه من امرأة يحرم نكاحها على التأييد، وهذه الشرائط بعضها متفق عليه<sup>(٢)</sup>، وبعضها مختلف فيه<sup>(٣)</sup>، ولا يعرفها أهل اللغة، والاسم شرعي فيه معنى اللغة، والأصل في الظهار هذه الآيات، وقد ورد مجملًا فلا بد من عادة متقدمة عرفوا الظهار بها إذا قرن بها بيان<sup>(٤)</sup> كيفية الظهار.

وأما<sup>(٥)</sup> الفصل الثاني [ألفاظ الظهار]: إذا قال: أنت عليّ كظهر أمي، فهذا صريح في الظهار نوى أو لم ينو، فإن نوى به الطلاق دين فيما بينه وبين الله تعالى دون القضاء عند أبي يوسف ومحمد والهادي، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يدين؛ لأنه لا يجوز أن يكون كناية عن الطلاق.

وإذا أضاف الظهار إلى عضو، فإن كان يعبر به عن جميع البدن كالرأس والرقبة والفرج صار مظاهرًا، وإن أضاف إلى اليد والرجل لا يصير، وهذا قول أبي حنيفة وأصحابه، وقال الشافعي: يصير مظاهرًا، وهو قول الهادي، وعلى هذا الخلاف في الطلاق والعتق، ولو قال: حرمتك أو أنا منك مظاهر فهو ظهار، فإن قال: أنت عليّ كأمي، ونوى الظهار كان ظاهرًا، وإن<sup>(٦)</sup> نوى الكراهة<sup>(٧)</sup> أو لم ينو [الظهار] فليس بظهار، وقال محمد: هو ظهار، فإن ظاهر وَوَقَّتْ بوقت جاز، وبتوقيت الظهار<sup>(٨)</sup> قال الشافعي.

### ❁ [من يصح ظهاره]

فأما الفصل الثالث: فكل زوج صح طلاقه، وكان من أهل الكفارة<sup>(٩)</sup> صح ظهاره

(١) بما: +، ك.

(٢) عليه: -، ك.

(٣) فيه: -، ك.

(٤) بيان: -، ك.

(٥) وأما: فأما، ك.

(٦) وإن: فإن، ك.

(٧) الكراهة: الكرامة، د، ك.

(٨) الظهار: +، ك.

(٩) فإن: +، ك.

وإلا فلا يصحظهار الصبي والمجنون، وظهار الذمي لا يصح عند أبي حنيفة والهادي، وقال الشافعي: يصح، وظهار<sup>(١)</sup> العبد يصح، وعند مالك لا يصح، وظهار غير المدخول بها يصح، وعن بعضهم لا يصح، فإن طلقها رجعية ثم ظاهر صح، وقال المزني: لا يصح، وإن كان الطلاق بائناً لا يصح الظهار.

وإذا ظاهر ثم ارتد ثم أسلم عاد الظهار، وهو قول أبي حنيفة والهادي، وقال الشافعي: لا يعود، وهو قول أبي يوسف ومحمد.

فإن ظاهر ثم طلق رجعية ثم عاد لم يسقط الظهار عند الفقهاء، وقال الحسن: إن عادت إليه بعد انقضاء العدة يسقط الظهار.

### ❁ [صفة المرأة المظاهر منها]

فأما الفصل الرابع: فيصحظهار الزوجة، ولا يصحظهار الأمّة والمُدَبَّرَة وأم الولد والمبتوتة، وقال مالك: يصح الظهار من أُمِّهِ، ولا تكون المرأة مظاهرة من زوجها، روي أن محمد بن الحسن سئل عن المرأة تقول لزوجها: أنت عليّ كظهر أمي؟ فقال: ليس بشيء، فسئل أبو يوسف فقال: عليها كفارة الظهار، فسئل الحسن بن زياد فقال: هما شيخان الفقه أخطأ، عليها كفارة يمين.

### ❁ [المتشبه بها]

فأما الفصل الخامس: فقال أبو حنيفة وسائر الفقهاء: إذا شبهها بالأم صار مظاهراً، فإذا شبهها بغير الأم من ذوي المحارم فعنده يصير مظاهراً؛ لأن العلة في الأم أنها<sup>(٢)</sup> محرمة على التأبید، كذلك الأخت والعمة والخالة، وكذلك المحرمة من الرضاعة كأخته وأمه من الرضاعة، أو بالصهر كأم امرأته، وامرأة ابنه.

ولو شبهها بمن لا تحرم على التأبید كالمرتدة أو المجوسية لم يكن مظاهراً، وقال الهادي: لا يصح الظهار إلا بالأم من النسب دون غيرها، وللشافعي قولان.

(١) وظهار: بظهار، ك.

(٢) أنها: لأنها، د، ك.

### ❁ [ما يحرم بالظهار]

فأما<sup>(١)</sup> الفصل السادس: فلا خلاف أنه يحرم عليه وطؤها<sup>(٢)</sup> سواء ملك وطأها<sup>(٣)</sup> بالنكاح أو بملك اليمين حتى يُكْفَر، وكذلك لو عادت إليه<sup>(٤)</sup> بعد الطلاق والتزويج لم يحل.

فأما ما سوى الجماع كالقبلة واللمس للشهوة وسائر ما يتلذذ من مس أو نظر إلى فرج فإنه يحرم عند أبي حنيفة والهادي.

### ❁ [الكلام في العود]

فأما الفصل السابع: وهو الكلام في العود، فعند أبي حنيفة أنه العزم على الجماع، وهو قول مالك، وعند الشافعي أن يتركها عقيب<sup>(٥)</sup> الظهار، ولا يطلقها، وعند أصحاب الظاهر أن يكرر اللفظ، وعند طاووس أن يعود إلى الظهار في الإسلام بعد أن ظاهر في الجاهلية، وحكى إسماعيل بن إسحاق عن الحسن والزهري هو الجماع.

### ❁ [أوجب الكفارة ووقتها]

فأما الفصل الثامن: فلا شبهة أن الكفارة واجبة، ثم اختلفوا، فالأكثر أنها تجب بالظهار والعود، وعن طاووس أنها تجب بالظهار فقط، وظاهر الكتاب يحجه، وعن الحسن أنها تجب للمضارة.

وإذا ظاهر من أربع نسوة وجب لكل واحدة كفارة عند أبي حنيفة والهادي، وقال الشافعي: إذا ظاهر بكلمة واحدة تكفيه كفارة واحدة، فإن ظاهر من امرأة مراراً في مجلس أو مجالس فعليه لكل قول كفارة واحدة، إلا أن يعني الأول<sup>(٦)</sup> وهو قول

(١) وأما: د.

(٢) وطؤها: وطئها؛ د، ك.

(٣) وطأها: وطئها؛ د، ك.

(٤) لو عادت إليه: لو عاد بسببه، د.

(٥) في ك: لحق.

(٦) إلا أن يعني الأول: فإن ظاهر إلى أن، د.

أبي حنيفة، وقال الهادي: تكفيه كفارة واحدة ما لم يُكْفَرْ، وروي عن علي عليه السلام: إن كان في مجالس فكفارات، وإن كان في مجلس فكفارة واحدة، وروي مثل قول الهادي عن الحسن وعطاء وطاووس والشعبي وإبراهيم والزهري، فإن ماتت فلا كفارة، وقال الحسن: يكفّر ثم يرث.

### ❁ [صفة الكفارة]

فأما الفصل التاسع: صفة الكفارة، فهي عتق رقبة، فإن أعتق كافرة يجوز عند أبي حنيفة، ولم يجز عند الشافعي، وهو قول الهادي.

فإن أعتق رقبة عمياء أو مقطوعة اليدين أو الرجلين لم يجز عند أبي حنيفة والشافعي، قال الهادي: يجوز، وبه قال داود.

فأما إذا كانت مقطوعة إحدى يديها أو إحدى رجلها جاز عند أبي حنيفة ولا يجوز عند الشافعي.

فأما الخرساء لم تجز عند أبي حنيفة، وقال الهادي: يجوز.

فأما المُدَبَّر فلا يجوز عند أبي حنيفة، وقال الهادي: يجوز.

فأما المُكَاتَبُ إذا لم يؤد شيئاً وأعتقه<sup>(١)</sup> جاز عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: لا يجوز، وهو قول الهادي.

فأما العبد المشترك فلا يجوز عند أبي حنيفة، ويجوز عند أبي يوسف ومحمد إذا كان موسراً وضمنه شريكه، وهو قول الهادي.

فإن اشترى أباه بنية الكفارة جاز عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: لا يجزيه، وبه قال الهادي.

فإن لم يجد رقبة ولا ثمنها إلا أن عنده رقبة يحتاج إلى خدمتها لا يجوز له الصوم عند أبي حنيفة والهادي، وقال الشافعي: يجوز.

(١) وأعتقه: فأعتقه، ك.

فإن صام شهرين متتابعين فجامع بالنهار ناسياً أو بالليل عامداً استأنف عند أبي حنيفة والهادي، وقال أبو يوسف: لا يستأنف، وهو قول الشافعي.  
وإذا<sup>(١)</sup> أفطر لمرض لم يلزمه الاستئناف عند الشافعي والهادي، وقال أبو حنيفة: يلزمه.

فإن لم يستطع الصوم فإطعام ستين مسكيناً، لكل مسكين نصف صاع من بُرٍّ أو دقيق أو صاع من تمر أو شعير عند أبي حنيفة والهادي، وعند الشافعي مُدٌّ من البر ومدان من شعير.

ويجوز أن تكون الكفارة على مسكين واحد عند أبي حنيفة<sup>(٢)</sup>، وقال الشافعي: لا تجوز، وبه قال الهادي. التملك ليس بشرط عند أبي حنيفة والهادي، وقال الشافعي: شرط.

#### ❁ [حكم المسيس بين الكفارات]

فأما الفصل العاشر: فليس للمظاهر أن يطأ حتى يكفر عند<sup>(٣)</sup> الأكثر، وعن بعضهم يجوز.

فإن وطئ قبل أن يكفر ينبغي أن يتوب، ولا يعود حتى يكفر.

فإن وطئ في الشهرين فقد بَيَّنَّا الخلاف فيه، وروي عن الحسن والشعبي وسعيد بن المسيب أنه لا يقطع التتابع، وأجمعوا أن الحيض لا يقطع التتابع.

فإن كانت كفارته الإطعام لم يجز له المسيس قبل التكفير، وقال مالك: يجوز.

فإن لم يجد شيئاً من الكفارات فالتحريم بحاله.

(١) وإذا: إذا، ك.

(٢) وعند الشافعي مد.. أبي حنيفة: -، ك.

(٣) عند: +، ك.

قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَبَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمَصِيرُ﴾ (٨) فَلَا تَتَنَبَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجَؤْا بِاللَّيْرِ وَالنَّفْوَى وَأَنْتُمْ أَلَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٠).

### ❁ القراءة

قرأ أبو جعفر: «ما تكون من نجوى» بالتاء، الباقون بالياء، أما التاء فلأجل تأنيث النجوى، وأما الياء فللحائل بينه وبين النجوى.

وقراءة العامة: «ولا أكثر» بالنصب في محل خفض عطفاً على ما تقدم، وقرأ يعقوب وأبو حاتم بالرفع عطفاً على محل الكلام قبل دخول (من) (١).

قراءة العامة: «أكثر» بالتاء من الكثرة، وقرأ الزهري بالباء من الكبير.

قرأ حمزة ويعقوب والأعمش ويحيى بن وثاب: «ويستنجون بالإثم» بالنون والتاء وفتح الجيم من غير ألف على وزن يفعلون، الباقون: «ويَتَنَاجَوْنَ» بالتاء.

وقرأ يعقوب وحده: «فلا تنتجوا» بالنون والتاء وضم الجيم من غير ألف من الانتجاع، والباقيون: «فلا تتناجوا» بالتاء والنون والألف وفتح الجيم.

(١) الكلام قبل دخول من: قبل دخول من، د.

قراءة العامة: «ومعصية الرسول» على واحدة، وعن الضحاك: «معصيات» على الجمع.

### اللغة

النجوى: إسرار ما يوقع كل واحد إلى آخر، وأصله: النجو؛ وهو الارتفاع من الأرض، ومنه: النجاء الارتفاع في السير، والنجاة الارتفاع من البلاء، نجوت فأنا ناج<sup>(١)</sup>، والتَّجَّى مصدر كالصهيل والنهيق يقع على الواحد والجماعة، ومنه: ﴿خَلَصُوا بِحَيَاتِهِ﴾ [يوسف: ٨٠]، وقيل: نجيا جمع أنجية، وقيل: جمع ناج<sup>(٢)</sup> نحو: ناد<sup>(٣)</sup> ونواد<sup>(٤)</sup> وحاج وحجيج.

و(تتناجوا) يجوز فيه ثلاثة أوجه في العربية: الإظهار، والإدغام، وحذف إحدى التاءين.

والتحية: التكرمة بما يُنبئ عن الإعظام، يقال: حياه وبَيَّاه وحياك الله، ومنه: التحيات.

### الإعراب

(يوم) نصب على الظرف وهو يتصل بما قبله، أي: لهم عذاب مهين يوم يبعثهم، ويجوز فيه ثلاثة: الجر بإضافة «النجوى» إليها، ويجوز بأنها صفة «النجوى»، ويجوز النصب بأنها خبر «يكون».

و(خمسة) عطف على ما تقدم، أي: من خمسة.

﴿لَوْلَا يَعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾ أي: هلا يعذبنا الله<sup>(٥)</sup>.

(١) ناج: ناجي؛ د، ز، ك.

(٢) ناج: ناجي؛ د، ز، ك.

(٣) ناد: نادي؛ د، ز، ك.

(٤) نواد: ندى؛ د، ز، ك.

(٥) الله: -، ك.

## النزول

قال ابن عباس في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى﴾: إنها نزلت في اليهود والمنافقين، وكانوا يتناجون بين المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فيظن المؤمنون أنه بلغهم عن أقربائهم وإخوانهم الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيحزنون بذلك، فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ، فنهاهم عن النجوى دون المسلمين فلم ينتهوا، فنزلت الآية.

وقال مقاتل بن سليمان: نزلت في اليهود، وكان بينهم وبين النبي ﷺ مودة، فإذا مر بهم رجل من أصحابهم جلسوا يتناجون، فيظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره، فيترك الطريق عليهم مخافة، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهم عن ذلك فلم ينتهوا، فنزلت الآية.

قال ابن زيد: كان الرجل يأتي رسول الله ﷺ فيسأله الحاجة، فيرى الناس أنه قد ناجى رسول الله ﷺ، وكان لا يمنعه، والأرض يومئذ حرب على أهل هذا الباب، فكان إبليس يأتي القوم ويقول: إنما يتناجون في حرب قد حضرت<sup>(١)</sup>، أو جمع جمع لكم، أو أمر وقع، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال أبو علي: كان اليهود لا يتناجون إلا في مساء المسلمين والرسول، فنهاهم عن ذلك.

وأما قوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ﴾ قيل: نزلت في اليهود لما<sup>(٢)</sup> قالوا: السَّام عليكم، فقطبت عائشة وجهها وقالت: عليكم السام والدَّام، والذام: اللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، إن الله تعالى يحب الرفق، ولا يحب الفحش والتفحش»، فقالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «ألم تسمعي ما رددت عليهم»، فنزلت فيهم هذه الآية، فقال ﷺ: «إذا سلم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم».

(١) قد حضرت: خضراء؛ ت، ز، د، ك.

(٢) لما: إذا أتوا، ك.



## المعنى

ثم بيّن تعالى وقت العذاب، فقال - سبحانه - : «يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا» أي : يعثهم أحياء من القبور وهو يوم القيامة يحشر الخلق للجزاء «فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا» أي : يجزيهم بما عملوا من الخير والشر إلزامًا للحجة، وقيل : معناه يجازيهم فيكون كالإخبار «أَلَمْ تَرَ» قيل : ألم تعلم، وهذا استفهام والمراد التقرير، وقيل : ألم تر إلى الدلالات مما ترى من صنعه<sup>(١)</sup>، الدالة على أنه العالم بجميع المعلومات «أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» يعني جميع المعلومات «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ» بالعلم والحفظ والتدبير والسماع، يسمع نجواهم ويعلم ضمايرهم، ولا يحمل على أنه معهم في المكان؛ لأن ذلك من صفات الأجسام، تعالى الله عن ذلك . «وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ» بأن يكونا اثنين «وَلَا أَكْثَرَ» بأن يزيد على الخمسة «إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا» أي : يخبرهم بأعمالهم توبيخًا وتقريعًا، وقيل : يجازيهم «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» .

«[أَلَمْ تَرَ]» ألم تعلم، استفهام والمراد التقرير، حال المنافقين ووعيد لهم «إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» أي : المناجاة وإسرار الكلام بينهم دون المسلمين مما يغم المسلمين ويحزنهم، وهم اليهود والمنافقون «ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» أي : يرجعون إلى المناجاة بعد النهي، ومعنى «لِمَا نُهُوا» أي : إلى ما نهوا «وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ» بالكذب الذي يَأْتُمُونَ به «وَالْعُدْوَانِ» بالظلم «وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ» أي : حضروا مجلسك يا محمد «حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ» ؛ لأنهم يقولون : السام عليك، والله تعالى أمر أن يقال : السلام عليكم، ويا رسول الله، ويا نبي الله «وَيَقُولُونَ [فِي أَنْفُسِهِمْ] لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ» لو كان نبيًا، والله تعالى يقول : هو نبي، والمعني به اليهود و«حَسِبُهُمْ جَهَنَّمُ» أي : يكفيهم عذاب جهنم «يُضَلُّونَهَا فَيَنْسَوْنَ الصَّبِيرُ» أي : المرجع «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ» أي : لا تفعلوا كفعل اليهود والمنافقين، ولا تتناجوا بما يوجب العذاب «وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى» أي :

(١) صنعه : صنعته، ك.

الطاعة، والتقوى اتقاء معاصي الله «وَاتَّقُوا اللَّهَ» أي: عذابه فلا تعصوه «الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ» أي: تجمعون إلى الموضع الذي يحكم بينكم «إِنَّمَا النَّجْوَى» الألف واللام للمعهود، يعني الأسرار التي يسر بها اليهود والمنافقون من توليد الأراجيف وما يسوء به المسلمين «مِنَ الشَّيْطَانِ» أي: من وساوسه<sup>(١)</sup>، وقيل: شياطين الجن، وقيل: شياطين الإنس «لِيُخْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا» أي: نجواهم لا يضرهم شيئًا، وقيل: الشيطان لا يضرهم شيئًا «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» قيل: بعلمه، وقيل: بأمره؛ لأن سببه يكون بأمره؛ لأنهم تلحقهم الأمراض والآلام عقيب ذلك، وقيل: بتخلية الله بينهم بشرط الإنصاف والانتصاف، وقيل: إلا أن يفعل الغم والحزن في قلوبهم؛ لأن الشيطان لا يقدر على فعل ذلك «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» يعني المؤمن لا يبالي بمناجاتهم، فليتكمل على ربه، فيكفيه كلامهم.

### ✽ الأحكام

يدل قوله: ﴿أَخَصَّنُهُ اللَّهُ وَسُوَّهُ﴾ أن أعمال العباد فعلهم، وأنها محفوظة مكتوبة<sup>(٢)</sup> للجزاء.

ويدل قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup> أن معلوماته لا تنحصر؛ لأنه عالم لذاته.

وتدل على أنه عالم، قادر، حي، حيث خلق هذه الأشياء.

وتدل على كراهة النجوى فيما يؤذي مسلمًا، وقد روي في خبر مرفوع: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه» فكيف لمن يغتابه<sup>(٤)</sup> ويتقول عليه؟

(١) وساوسة: وساوسه، ك.

(٢) محفوظة مكتوبة: مكتوبة محفوظة، د.

(٣) وما في: وفي، ك.

(٤) يغتابه: ساءه، ك.

ويدل قوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ﴾ الآية أن الشرع ورد بتحية وهو السلام.

ويدل قوله: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ على أشياء:

منها: أن وسوسة الشيطان فعله ليس بخلق الله.

ومنها: أن إضافة النجوى إلى الشيطان حسن من الله لما حصل<sup>(١)</sup> بوسوسته، فلو كان النجوى خلقاً له لكان أولى بالإضافة إليه.

ومنها: أن الشيطان لا يقدر من الإنسان على ما سوى الوسوسة.

قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ ءَاسْأَلْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

### القراءة

قرأ الحسن والسلمي وعاصم: «تفسحوا في المجالس» بالألف على الجمع، وقرأ الباقون: «في المجلس» على واحد، وهو اختيار أبي حاتم؛ لأن المراد مجلس النبي ﷺ.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم: «وإذا قيل انشزوا فانشزوا» بضم الشين في الحرفين، الباقون بكسرهما، وهما لغتان نحو: يعرثون ويعرثون، ويعكفون ويعكفون.

(١) حسن من الله لما حصل: حيث إنه جعل، ك.

### اللغة

التفسح: الاتساع في المكان، تفسح تَفْسُحًا، ويبت فسيح عليه، فسيح ما بين المنكبين، أي: بعيد ما بينهما لسعة صلبه.

والإشفاق: الخوف ورقة القلب، والشفقة أصلها الرقة، ومنه الشفق: الحمرة والبياض، ومنه: شَفَقُ أي رَدِيءٌ.

النشوز: الارتفاع، والنَّشَرُ: ما ارتفع من الأرض، ويقال: نَشَرَ الرجل يَنْشُرُ وَيَنْشِرُ<sup>(١)</sup> إذا كان قاعدًا فنهض، ونشوز المرأة: عصيانها للزوج.

### الإعراب

«انشزوا» و«تفسحوا» جزم على الأمر.

والواو في قوله: «وتاب» صلة تقديره: فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم، قيل: معناه: فإن لم تفعلوا، فرخص الله لكم في ذلك، فأقيموا الصلاة.

### النزول

أما قوله: ﴿تَفْسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾:

قيل: نزلت في قوم كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ، وإذا رأوا من جاءهم ضيقوا مجلسهم، فأبوا أن يفسح بعضهم لبعض، عن قتادة.

وقيل: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصُّفَّة يوم الجمعة وفي المكان ضيق، فجاء أناس من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس، وكان النبي ﷺ يكرم أهل بدر، فسلموا<sup>(٢)</sup> وقاموا ينتظرون أن يُوسَّعَ لهم فلم يفعلوا، فشق عليهم، فأقام رسول الله ﷺ جماعة وأقعدهم، فكرهوا ذلك وشق<sup>(٣)</sup> عليهم، وقال المنافقون:

(١) وفي تفسير التبيان ٥٤٩/٩، نشز ينشز نشوزًا ونشَرًا.

(٢) فسلموا: وسلموا، د.

(٣) وشق: فشق، ك، ز.

أَلَسْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّهُ يَعْدِلُ، مَا عَدَلَ عَلَى هَؤُلَاءِ حَيْثُ أَقَامَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، عَنْ مَقَاتِلٍ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، وَكَانَ فِي أُذُنِهِ ثَقْلٌ، وَكَانُوا يَفْسَحُونَ لَهُ حَتَّى يَقْرُبَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَضَايِقُهُ بَعْضُهُمْ، وَجَرَى بَيْنَهُمَا كَلَامٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قِصَّتَهُ فِي سُورَةِ الْحَجَرَاتِ، عَنِ الْكَلْبِيِّ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي مَجْلِسِ الْحَرْبِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، وَالْحَسَنِ، وَالْقُرْظِيِّ. وَكَانُوا يَتَشَاوَحُونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَرَصًا عَلَى الْجِهَادِ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَوَسَّعُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا﴾:

قِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمَجْلِسِ.

وَقِيلَ: فِي الْجِهَادِ.

وَقِيلَ: فِي الصَّلَاةِ، وَكَانَ قَوْمٌ يَتَنَاقَلُ عَنْهَا إِذَا نُودِيَ، عَنِ الضَّحَّاكَ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾:

قِيلَ: سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَكْثَرُوا، فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَأَمَرُوا بِتَقْدِيمِ صَدَقَةٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْأَغْنِيَاءِ كَانُوا يَنَاجُونَ النَّبِيَّ ﷺ، وَيَغْلِبُونَ الْفُقَرَاءَ، وَيَكْثُرُونَ الْجُلُوسَ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ، فَأَمَرُوا بِتَقْدِيمِ صَدَقَةٍ قَبْلَ الْمَنَاجَاةِ، فَانْتَهَوْا عَنِ مَنَاجَاةِ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَتَزَلَّتِ الرِّخْصَةُ، عَنْ مَقَاتِلٍ.

قَالَ قَتَادَةُ: لَمَّا نَهَوْا عَنْ مَنَاجَاةِ حَتَّى يَتَصَدَّقُوا، لَمْ يَنَاجِهِ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؓ، قَدِمَ دِينَارًا فَتَصَدَّقَ بِهِ، ثُمَّ نَزَلَتْ الرِّخْصَةُ.

وَعَنْ عَلِيٍّ: إِنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَآيَةٌ مَا عَمِلَ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي: ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ الْآيَةَ، ثُمَّ نَسَخَتْ.

وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو: كَانَ لِعَلِيِّ ثَلَاثَ لَوْ كَانَتْ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهَا كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ: تَزْوِيجُهُ فَاطِمَةَ، وَإِعْطَاؤُهُ الرَّايَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَآيَةُ النُّجُوى.

## المعنى

لما تقدم النهي عن النجوى لما فيه من إيذاء المؤمنين عقبه بالأمر بالتفصح تركاً لإيذائهم أيضاً، فقال - سبحانه - : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ<sup>(١)</sup>» أي: يوسع بعضكم لبعض في مجلس رسول الله ﷺ، عن ابن عباس، وقتادة، ومقاتل، وجماعة. وقيل: في مجالس الحرب والجهاد، عن محمد بن كعب، وأبي العالية، والحسن. «فَافْسَحُوا» أي: وسعوا «يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ» أي: يوسع عليكم في الجنة «وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا» قيل<sup>(٢)</sup>: معناه إذا قيل لكم: ارتفعوا وتحركوا وفرقوا ووسعوا على إخوانكم، وقيل: إذا قيل: ارتفعوا فافعلوا، وكان<sup>(٣)</sup> رسول الله ﷺ يرفع أهل العلم في مجلسه، عن أبي علي. وقيل: إذا قيل انهضوا إلى الصلاة وعمل الخير والجهاد فانشروا ولا تقصروا، وقيل: إذا نودي إلى الصلاة فقوموا إليها، وذلك أن قومًا ثاقلوا عن الصلاة فنهوا عن ذلك، وقيل: هذا في بيت رسول الله ﷺ، وكان كل أحد يحب أن يكون آخر خارج فيطيل المكث، فنهوا عن ذلك، عن ابن زيد. وقيل: كانوا يتناجون على القرب منه، ويكره أن يضيق عليه مجلسه، فأمرهم بالتوسعة، وكان فيهم أهل ثروة يكرهون قرب الفقراء، وكانوا يحبون ملازمته، فإذا قيل لهم: انشروا لم يفارقوا، فأمرهم بذلك، والنشور: المفارقة، عن الأصم. «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» أي: لكي يرفعهم، قيل: بطاعتهم لرسول الله ﷺ «وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» بفضل علمهم وسابقتهم «دَرَجَاتٍ» وقيل: يرفع الله الذين آمنوا الرحمة، والذين أوتوا العلم درجات، وقيل: أراد أن ما عامل به أهل بدر مستحقون لذلك لسابقتهم<sup>(٤)</sup> وعلمهم، وقيل: المراد بالدرجات الثواب في الجنة، وقيل: هو رفعة المجلس والترتيب فيه، وقال ﷺ: «لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ والنهي».

(١) المجالس: المجلس، د، ك.

(٢) قيل: +، د.

(٣) وكان: فكان، ك، ز.

(٤) لسابقتهم: لمسابقتهم، ك، ز.

ومتى قيل : كيف أمروا بالتفسخ والنشوز؟

قلنا: هما في حالين، إن كان في الموضع سعة تفسحوا، وإن كان ضيق فانشزوا كي يتسع المكان.

«وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ» من ذلك «خَيْرٌ» أي: عليم، فيجازيكم بها «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ» أي: أعلمتموه<sup>(١)</sup> سرًا «فَقَدُّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً» أي: تصدقوا قبل المناجاة صدقة، وفيه تعظيم النبي ﷺ، تقليل<sup>(٢)</sup> النجوى معه تخفيفًا عليه، ونفع للفقير، وثواب يحصل للمعطي، ورفع للأذية<sup>(٣)</sup> عن المسلمين لجواز أن يظن ظان أن مناجاته لأمر يقتضي شغل القلب «ذَلِكَ خَيْرٌ» لأن فيه أداء واجب، وتحصيل ثواب مع المنافع التي قدمنا «وَأَظْهَرَ» لكم «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» لمن لا يجد.

ومتى قيل : هل<sup>(٤)</sup> كان ذلك واجبًا؟

قلنا: نعم، ثم نسخ بالآية التي بعدها، عن الحسن، وقتادة. وتلك الآية وإن اتصلت بهذه في التلاوة فيجوز أن تكون متأخرة بزمان في النزول، وروي أنه بقي زمانًا ثم نسخ، عن مقاتل. وقيل: بل كانت ساعة ثم نسخ، عن الكلبي. وقيل: عمل بها علي بن أبي طالب فقط، وقيل: بل عمل بها أفاضل الصحابة، وقيل: كان المنافقون يستثقلونه، عن أبي علي.

«أَأَشْفَقْتُمْ» أي: خفتم الفاقة فبخلتم بالصدقة «أَنْ تُقَدِّمُوا»<sup>(٥)</sup> بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» قيل: معناه: إذا كنتم تائبين، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة كفاكم ذلك، وقيل: إذا لم تفعلوا ذلك وشق عليكم ذلك نسخ، فجعل

(١) أعلمتموه: عالمتموه، د.

(٢) وتقليل: وقليل، د.

(٣) للأذية: الأذية، ك.

(٤) هل: هلا، د.

(٥) أن تقدموا: +، ك.

ترك مؤاخذتهم بالنسخ توبة عليهم، وقيل: إذا لم تفعلوا ذلك<sup>(١)</sup> قبل توبتكم، وقيل<sup>(٢)</sup>: لطف لكم حتى تبتم «فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» أي: عليم بأعمالكم فيجازيكم<sup>(٣)</sup> بها.

### ✽ الأحكام

تدل الآيات على وجوب التوسعة في المجلس، وهذه التوسعة تجب على من حضر أولاً لِمَنْ يحضر آخرًا، وكانوا يحضرون مجلسه لِيَتَعَلَّمِ الدين، فأمرُوا بالتوسعة للمتأخرين لِيَتِمَكَّنَ من سماع كلامه.

وتدل على وجوب ذلك في مجالس العلم والدين؛ لأن الآية عامة، ولأن العلة ما ذكرنا.

وتدل على أن للعالم درجات في الفضل على غيره، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «فضل العالم على الناس كفضلي على أدناكم».

وتدل على وجوب صدقة بين يدي نجواكم مع الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم.

ويدل قوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ على تقصير من جهة بعضهم.

ويدل قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَحْدُوا﴾ على تعذر<sup>(٤)</sup> ذلك على بعضهم، ولا خلاف أنها كانت واجبة، وأنها نسخت.

ومتى قيل: كيف نسخ عنهم قبل الفعل؟

قلنا: مُكِّنُوا، ففعل من فعل، فجاز<sup>(٥)</sup>.

(١) إذا لم تفعلوا ذلك: +، ز، د.

(٢) قبل توبتكم وقيل: +، ك.

(٣) فيجازيكم: يجازيكم، ك.

(٤) تعذر: بعد، د.

(٥) فجاز: فجازز، د.



ويدل قوله: ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أن طاعة الرسول كطاعة الله، وذلك يدل أن قوله وفعله حجة، وأنه معصوم لا يجوز عليه الكذب والخطأ، لذلك أوجب طاعته مطلقاً من غير تخصيص.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

#### ❁ القراءة

قراءة العامة: «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ» بفتح الألف من اليمين وهم المنافقون كانوا يحلفون أنهم مؤمنون ليسلموا، وقرأ الحسن: «إِيْمَانَهُمْ» بكسر الألف من الإيمان أي: جعلوا ظاهر الإيمان جُنَّةً لهم<sup>(١)</sup>، وإلا فهم كفار في الحقيقة.

#### ❁ اللغة

الْجُنَّة: السترة التي تقي البلية، وأصله: الستر، ومنه: المِجَنُّ: الثُّرْسُ، ومنه: الجن لاستتارهم عن أعين الناس، والجنان والجنون والجنة من ذلك.  
والاستحواذ: الاستيلاء على الشيء بالاعتطاع له، وأصله من حازه يحوزه حوزاً.  
والحزب: الجماعة، وجمعه: الأحزاب.

(١) لهم: +، ك.

## النزول

قيل: نزلت الآيات في المنافقين تولوا اليهود، ونقلوا إليهم أسرار المؤمنين، عن قتادة، وابن زيد.

وقيل: نزلت في عبد الله بن أبي المنافق، وكان يحضر مجلس رسول الله ﷺ، ويرفع حديثه إلى اليهود، فإذا قيل له في ذلك حلف وحلف أصحابه، عن السدي، ومقاتل.

وقيل: إن قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ نزلت في القدرية، عن ابن عباس، قال: والله هم القديرون، هم القديرون.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد<sup>(١)</sup> يوم القيامة: أين خصم الله، فتقوم القدرية مسودة وجوههم يقولون: ما عبدنا شيئاً دونك»، قال ابن عباس: صدقوا، ولكن أتاهاهم الشرك من حيث لا يعلمون.

وقد بينا في سورة (القمر) أن القدرية هم المجبرة الذين يجعلون كل القبائح بقدره<sup>(٢)</sup>. وروينا عن النبي ﷺ ما يدل عليه، وبيننا الوجوه في ذلك، وذكرنا أن علياً عليه السلام بين بياناً شافياً، وفي هذا الخبر ما يدل على ذلك؛ لأن خصماء الرحمن من يضيف جميع الظلم والمعاصي إليه لا من يدرأ عنه، وينزعه عن كل قبيح، وخصماؤه من يشهد لإبليس بالبراءة، ويضيف جميع ما أتى به إلى ربه.

وعن الحسن في قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠] قال: «يقام<sup>(٣)</sup> إبليس فيقال له: لماذا لم تسجد لأدم؟ ولم كفرت؟ ولم أبيت؟ فقال: إنما أتيت في ذلك من قبله تعالى، ولم يكن لي فيه ذنب، بل منعت عن السجود، وخلق في الإباء، فيقال: كذبت، فيقول: لي شهود، فينادي: أين شهود الشيطان وخصماء الرحمن، فيقوم ناس من هذه الأمة فيشهدون، فيخرج من أجوافهم دخان أسود يسود وجوههم، ويبعث بهم معه إلى النار».

(١) ينادي مناد: منادي ينادي، د.

(٢) بقدره: بقدرته، د، ز.

(٣) يقام: فقام، ك.

## المعنى

ثم بيّن تعالى أحوال المنافقين، فقال - سبحانه -: «الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا» يعني المنافقين تولوا اليهود «غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ» أيها المؤمنون «وَلَا مِنْهُمْ» يعني اليهود، ولأنهم كانوا يظهرون الإسلام، ويوالون اليهود «وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» قيل: يحلفون للنبي والمؤمنين أنهم منهم، وهم يعلمون كذبهم، وفعل القبيح مع العلم بقبحه أعظم، وقيل: يحلفون لليهود أنهم إنما أسلموا خوفاً من المسلمين لا تحقيقاً في الدين، لاجرم «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا» قيل: هو عذاب النار، وقيل: عذاب القبر في الدنيا، عن أبي علي. وقيل: أحد العذابين في القبر، والآخر<sup>(١)</sup> عذاب جهنم «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أي: بئس العمل عملهم وهو النفاق، وموالات أعداء الله، وقيل: بئس ما عملوا إذا حلفوا كذباً، وقيل: هو يتصل بما قبله أي: ساء ما يعملون «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ» الكاذبة «جُنَّةً» أي: وقاية لهم<sup>(٢)</sup> عن السبي والقتل «فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» قيل: أعرضوا عن الدين، وقيل: صدوا غيرهم بالقاء الشبه «فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» يهينهم ويذلهم، وقد بينا ما قيل في العذابين المذكورين «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ<sup>(٣)</sup>» يوم القيامة من عذاب الله شيء من «أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ» الذين عصوا لأجلهم ولسببهم لن ينفعهم ذلك «أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» الملازمون لها «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» دائمون «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا» من القبور أحياء «فَيَخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَخْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ» قيل: يحلفون أنهم لم يكونوا كفاراً عند أنفسهم؛ لأن دار الآخرة لا يمكنون فيها من الكذب، عن أبي علي، وجماعة من مشايخنا. وقيل: يجوز أن يحلفوا في الآخرة كذباً ككذب الصبي للدهش الذي يلحقهم، عن أبي بكر أحمد بن علي. وقيل: يحلفون في الآخرة أنهم كانوا في الدنيا من المؤمنين، وظنوا أن ذلك يجوز ثم كما في الدنيا، عن الحسن، والأصم. «وَيَخْسَبُونَ» يظنون «أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ» قيل: يحسبون في

(١) +، والآخر: وفي الآخر، ك.

(٢) لهم: +، ك.

(٣) لن تغني عنهم: أن لن تغني عنهم، ك.

الدنيا أنهم على شيء فكشف الله سرهم، عن أبي علي. وقيل: يحسبون في الآخرة، عن الحسن، والأصم. «أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ» في أيمانهم وأقوالهم في الدنيا «اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ» أي: غلب واستولى حتى تبعوه وتركوا أمر الله ورسوله، وما دل عليه العقل والشرع، والقياس أن يقال: استحاذ؛ لأنه «استفعل»، نحو: استغاث واستقال، قلبت الواو ألفاً إلا أن هذا الحرف مفارق لأخواتها، فأخرجوا الواو كما قالوا: حيوه، «فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» قيل: عرضهم لترك ذكر الله فتركوا، ولذلك ذمهم عليه، وقيل شغلهم بوسوسته حتى نسوا ذكر الله، نسب النسيان إليه من حيث سبب إلى ذلك «أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ» يعني قرنائه وأتباعه «أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» قيل: خسروا رضوان الله ورحمته، عن أبي علي. وقيل: خسروا أنفسهم حيث أوبقوها.

### ❁ الأحكام

الآية تدل على المنع من موالاة<sup>(١)</sup> الكفار والظلمة.

وتدل على عظيم حال اليمين الكاذبة.

ويدل قوله: ﴿اسْتَحْذَرُوا﴾ أن أفعال العباد حادثة من جهتهم وليست بمخلوقة لله - تعالى -، وكيف يكون الشيطان مستحوذاً والله خالق ذلك الاستيلاء، ولأنه جعل الخلق صنفين: حزب الله وحزب الشيطان، وهو الخالق لما يظهر من الفريقين، فكيف يصح ذلك؟

وتدل على معجزة لنبينا ﷺ، حيث أخبر عن أسرارهم التي لا يطلع عليها إلا الله، فلم يُعلم ذلك إلا بوحي.

(١) موالاة: مولاة، د.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَكُمْ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمُ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ .

### ❁ القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم: «عَشِيرَاتُهُمْ» بالالف وكسر التاء على الجمع، الباقون: «عَشِيرَتُهُمْ» بغير ألف وفتح التاء على واحد، وهو رواية حفص عن عاصم، ورواية عن أبي<sup>(١)</sup> بكر عن عاصم.

قراءة القراء: «كَتَبَ» بفتح الكاف، «الْإِيمَانَ» بفتح النون يعني كتب الله الإيمان اعتباراً بقوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ﴾، ﴿وَيَدْخُلُهُمْ﴾ وهو الوجه في نسق<sup>(٢)</sup> الكلام، وروى المفضل<sup>(٣)</sup> عن عاصم: «كُتِبَ» بضم الكاف «الْإِيمَانَ» بالرفع على ما لم يسم فاعله.

### ❁ اللغة

المحاددة: المخالفة، وأصل الحد: المنع، ومنه: الحد؛ لأنه يمنع من المعاصي، وقيل: سميت المخالفة محادة؛ لأنه يصير في حد غير حد صاحبه، عن أبي علي.  
والغلبة: قهر المنازع حتى يصير في حكم الذليل.  
والقوة: القدرة، والقوي: القادر.

(١) أبي: -، ك.

(٢) نسق: ونسق، ك.

(٣) المفضل: الفضل، ك.

والمواودة: الموالاة بالنصرة<sup>(١)</sup> والمحبة.  
والأيد: القوة، وأيده: قواه، ومنه: ﴿ذَا الْأَيْدِ بِإِثْنِهِ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

### الإعراب

(آباءهم، وأبناءهم، وإخوانهم) نصب كلها على خبر (كان)،  
والأسماء مضمرة في الواو في قوله: (كانوا).

### النزل

قيل: نزل<sup>(٢)</sup> قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ في قصة جرت بين عبد الله بن أبيي وبين المؤمنين، وذلك أنهم قالوا: إن فتح الله لنا مكة وخيبر وما حولها ونرجو أن يظفرنا الله على فارس والروم، فقال عبد الله بن أبيي: أظنون فارس والروم كبعض القرى التي غلبتم عليها، لهم أكثر عددًا، وأشد بطشًا من ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾.

فأما قوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية، قيل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة ينذرهم بمجيء رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> على حريمهم، وأعلم الله تعالى نبيه ﷺ، فقال ابنه<sup>(٤)</sup>: أبق فضلة<sup>(٥)</sup> من شرابك أسقيها<sup>(٦)</sup> أبي لعل الله يطهر قلبه، فأتى بها<sup>(٧)</sup> أباه فقال: ما هذا؟ قال: بقية شراب رسول الله ﷺ<sup>(٨)</sup>، جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك، فقال: هلا جئتني ببول أمك، فرجع إلى النبي ﷺ وقال: ائذن لي في قتله، فقال: «بل ترفق به»، عن السدي.

(١) بالنصرة: لأنه بالنصرة، د، ك.

(٢) نزل: نزلت، د، ك.

(٣) صلى الله عليه: -، ك.

(٤) ابنه: -، ك.

(٥) فضلة: وصلة، د.

(٦) أسقيها: أسقيها، ث، د، ك.

(٧) بها: +، ك.

(٨) صلى الله عليه: -، ك.

وقيل: نزلت في أبي بكر وأبيه أبي قحافة، فإن أبا قحافة سب رسول الله ﷺ، فصكه أبو بكر صكة سقط منها، ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ، وقال: لو كان معي سيف لقتلته، وفيه نزلت الآية، عن ابن جريج.

وقيل: نزلت في جماعة من الصحابة ﴿وَلَوْ كَانُوا إِبْنَاءَهُمْ﴾ يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم أحد، ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ يعني أبا بكر دعا ابنه إلى البراز يوم بدر، فنهاه رسول الله ﷺ، وقال: «أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري»، ﴿إِخْوَانَهُمْ﴾ مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ عمر<sup>(١)</sup> قتل خاله<sup>(٢)</sup> العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر.

### المعنى

لما تقدم ذكر حزب الشيطان وبيّن حالهم، عقبه بذكر حزب الله وأن الغلبة لهم، فقال - سبحانه -: «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» قيل: يشاقون، عن مجاهد. أي: يخالفونه وكانوا من حزب الشيطان وهم المنافقون «أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ» في الجملة<sup>(٣)</sup> المتناهين في الذل والخزي، فهم أذل خلق الله «كَتَبَ اللَّهُ» قيل: قضى ووعد، وقيل: كتب في اللوح المحفوظ وما كتب ووعد لا بد من كونه كما أخبر، قال قتادة: إن الله كتب كتاباً فأمضاه. «لَا غَلْبَ لَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» قادر، أي: قادر على نصر أوليائه، عزيز في الانتقام من أعدائه، لا يمتنع عليه شيء من ذلك «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ» أي: يوالون «مَنْ حَادَّ اللَّهَ» أي: خالفه وخالف رسوله، قيل: لا تجتمع موالاة الكفار مع الإيمان، وإنما أراد الموالاة في الدين فقط، لا يوالي المؤمن في الدين كافراً، وقيل: مولاته تحبط إيمانه فلا يجتمع معه، و«لَا تَجِدُ» نفي وليس بنهي «وَلَوْ<sup>(٤)</sup> كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» أي: وإن قربت قراباتهم منه، فلا يوالونهم إذا خالفوهم في الدين.

(١) عمر: عمرو، ث، د.

(٢) خاله: أخاه، ث، د، ظ.

(٣) في الجملة: -، ك.

(٤) ولو: وإن، د.

ومتى قيل: أيجوز معاشرتهم؟

قلنا: نعم، المراد بالآية ما ذكرنا.

«أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ» قيل: جعل بحكمه كأنه مكتوب فيه، وتقديره:

حكم لهم بالإيمان، وقيل: كتب بأن جعل لهم سمة تدل من عاينها أنهم من أهل الإيمان، وقيل: ثبته في قلوبهم بلطفه، عن الحسن. وقيل: كتب للملائكة<sup>(١)</sup> في اللوح المحفوظ أن قلوبهم بصفة الإخلاص «وَأَيَّدَهُمْ» قواهم «بِرُوحٍ مِنْهُ» قيل: بنصر منه، عن الحسن. وقيل: بالإيمان، عن السدي. وقيل: بالقرآن، عن الربيع. وقيل: بنور وهدي وبرهان، عن ابن جرير. وقيل: برحمة، وقيل: بجبريل في كثير من المواطن «وَيُذْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» لما أطاعوه وعبدوه «وَرَضُوا عَنْهُ» بما أتاهم به «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ» قيل: جنده، وقيل: حزب الله الجَمْعُ الذين اصطفى الله، عن الزجاج. وقيل: أتباع أوامره «أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الظافرون بالمطالب.

### ❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أن الغلبة للمؤمن، وقد يكون ذلك بالحجة وبالقهر

وبالثواب.

ويدل قوله: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا﴾ أن صفة المؤمن ألا يوالي أعداء الله.

وتدل أن شفاعة الرسول لا تكون للفساق؛ لأنهم أعداء الله، وفي الشفاعة لهم

موالاة لهم.

(١) للملائكة: الملائكة، ك.

تكملة الحديث الثعلبي، الكشف والبيان، ١٣/١٨١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ٩/٣٨٣.





## سُورَةُ الْحَشْرِ

سورة (الحشر)، مدنية، وهي أربع وعشرون آية.

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الحشر) لم يبق [جثة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السموات السبع ولا الأرضون السبع والهوام والرياح والطير والشجر والدواب والجمال والشمس والقمر والملائكة] إلا صلوا عليه [واستغفروا له]، فإن مات من يومه أو ليلته مات شهيداً»<sup>(١)</sup>.

ولما ختم سورة (المجادلة) بأن الناس طائفتان: طائفة حزب الله وهم الغالبون، وطائفة حزب الشيطان، افتتح هذه السورة بذكر ما نصر به<sup>(٢)</sup> حزبه، وقهر حزب الشيطان، وما نالهم من الجلاء والخزي، وما نال المسلمين<sup>(٣)</sup> من النصر والفتح.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ يَبُوتُهم بِأَيِّدِهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَى الْأَبْصَرُ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَمَنْ يَشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ (٥) ﴿

(١) تكملة الحديث الثعلبي، الكشف والبيان ١٣/١٨١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ٣٨٣/٩.

(٢) به: -، ك.

(٣) المسلمين: المؤمنين، ك.

قرأ أبو عمرو: «يُخَرَّبُونَ» بالتشديد من التخريب، وهي قراءة الحسن، وأبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ الباقون: «يُخَرَّبُونَ» بالتخفيف من أَخْرَبَ يُخَرَّبُ، قيل: هما بمعنى، وقيل: التخفيف بمعنى ينتقلون عنها، ويعطلونها، وبالتشديد: يهدمون، قال أبو عمرو: وإنما<sup>(١)</sup> اخترت التشديد؛ لأن الإخراب: تَرَكُ الشيء خراباً من غير ساكن، وأن بني النضير لم يتركوا منازلهم عند الارتحال عنها، ولكن هدموها، وخربوها.

قراءة العامة: «ومن يشاق» بقاف واحدة مشددة على الإدغام، وعن طلحة بن مصرف بقافين على الإظهار، كالتي في (الأنفال).

التسييح: التنزيه والبراءة من السوء.  
والحشر: الجمع مع سَوِّقٍ، ومنه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧] وكلَّ جَمْعٍ حَشْرٌ.  
والحصن: البناء العالي المنيع، وجمعه: حصون، وتحصن فلان: أمتنع بدخوله الحصن.  
والاعتبار: النظر في الشيء، والمعنى: اعتبروا لتستدلوا بما شاهدتم على ما غاب عنكم.  
والعابر: الناظر في الشيء، ومنه: تعبير الرؤيا؛ لأنه ينظر ويعتبر، فيخبر<sup>(٢)</sup> بما يؤول إليه أمره، والعبرة: الدليل.  
والجلاء: الخروج عن المنازل، جلا القوم عن مواضعهم جلاء، وأجليته إجلاء.  
واللين: جمع لينة، وهي النخل، وأصله: اللون، قلبت الواو ياء لسكونها، وانكسار ما قبلها.

(١) وإنما: إنما، ك.

(٢) فيخبر: لينظر، ك.

## الإعراب

(يشاق) كسر القاف<sup>(١)</sup> لاجتماع الساكنين .

(ديارهم) وأصله : دَوَارِهِمْ ؛ لأنه من الدور ، إلا أن الواو صارت بين كسرة وألف ، فقلبت ياء كالحياض والسيّاط .

## النزول

قيل : نزلت السورة في إجلاء بني النضير من اليهود ، فمنهم من خرج إلى خيبر ، ومنهم من خرج إلى الشام ، عن مجاهد ، وقتادة . وذلك أن بني النضير صالحوا رسول الله ﷺ ، وعاهدوه ، فلما كان يوم أُحُدٍ ، ونال المسلمين ما نال ، نقضوا العهد ، وأتى رئيسهم كعب بن الأشرف مع أربعين فارساً مكة ، وعاهدوا مع أبي سفيان على أن يكونوا يدًا واحدة على محمد ، وخرج رسول الله ﷺ إليهم ليستعين بهم في دية الرجلين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري ، فأجابوه وأجلسوه وهموا به<sup>(٢)</sup> ، فأخبره جبريل ، فانصرف عنهم ، وأمر بقتل كعب بن الأشرف ، فقتله محمد بن مسلمة وكان أخاه من الرضاعة ، فلما أصبح أمر الناس بالمشي إلى بني النضير ، وحاصروهم وحاربهم ، وبعث إليهم عبد الله بن أبي المنافقون أنهم ينصرونهم ، فحاربوا رسول الله ، فحاصروهم إحدى وعشرين ليلة ، وألقى الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا أن يصالحهم على أن يحمل كل أهل ثلاثة بيوت على بغير ما شاؤوا ، عن ابن عباس . وقيل : كل ثلاثة بغيراً ، عن الضحاك ، وأخذوا يخربون بيوتهم ، ثم خرجوا إلى الشام إلا آل حبي<sup>(٣)</sup> بن أخطب ، وآل أبي الحقيق<sup>(٤)</sup> ، فإنهم خرجوا إلى خيبر ، وما بقي من أموالهم كان لرسول الله ﷺ ، ففيهم نزلت هذه السورة .

(١) كسر القاف : كرر الراء ، ك .

(٢) به : له ، ك .

(٣) آل حبي : آل جرير ، د .

(٤) في د : الحيق ؛ ك : إلا ابن الحقيق .

## المعنى

«سَبَّحَ لِلَّهِ» أي: نَزَّهَهُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَن دَلَّ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَعَدْلِهِ، فَكَأَنَّهُ يَنْطِقُ بِتَنْزِيهِهِ «مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ» القادر الذي لا يمتنع عليه شيء «الْحَكِيمُ» العالم بالأشياء، وقيل: المحكم لأفعاله «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعني بني النضير، كانوا بقرب المدينة «مِنْ دِيَارِهِمْ» حصونهم وأوطانهم، قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير حين<sup>(١)</sup> رجع رسول الله ﷺ من أُحُدٍ، وفتح قريظة منصرفه من الأحزاب، وبينهما سنتان «لَأَوَّلِ الْحَشْرِ» أي: لأول الجمع للإخراج، قيل: أول حشر اليهود إلى أرض الشام، وثاني الحشر حشر الناس يوم القيامة إلى الشام أيضًا، عن ابن عباس، والزهري، وأبي علي، وجماعة. قال ابن عباس: قيل لهم: اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قيل: إلى أرض المحشر، وقيل: إنما قال (أول الحشر)؛ لأنهم أول من حشر من أهل الكتاب، ونفوا من الحجاز، ثم تبعهم إخوانهم من يهود خيبر وغيرهم، يعني أول من أخرج من بلاد العرب، ثم يخرج الباقون لثلاث يجتمع في جزيرة العرب دينان، وقيل: هو أول الحشر من المدينة، والثاني من خيبر، وجمع جزيرة العرب في أيام عمر، عن مرة الهمداني. وقيل: هو أول الحشر إلى الشام، والثاني من المشرق إلى المغرب، وإنما ذكر الحشر؛ لأن الإخراج قد يكون مجتمعًا، وقد يكون متفرقًا، فهؤلاء<sup>(٢)</sup> جمعوا، وأخرجوا «مَا ظَنَنْتُمْ» أيها المؤمنون أنهم يخرجون من ديارهم لشدة غمهم وشوكتهم وخصونهم «وَوَظَّنُوا» توهموا أنهم يقدرّون على الامتناع بخصونهم، وأن حصونهم منعتهم من الله ورسوله<sup>(٣)</sup> حيث حصنوها وهيتوا الآلات للحرب «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ» يعني أتى اليهود أمر الله وعذابه «مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» وقيل: خذلان الله أتاهاهم، فألقى الرعب في قلوبهم، وقيل: أراد به المسلمين، أي<sup>(٤)</sup>: أتاهاهم نصر الله من حيث لم

(١) حين: +، ك.

(٢) متفرقًا هؤلاء: متفرقًا فهو، د.

(٣) ورسوله: ورسول الله، ك.

(٤) أراد به المسلمين أي: أراد بالمسلمين أو، ك.

يحتسبوا، وقيل: أتى العجيب<sup>(١)</sup> من أمر الله، وهو ما لحقهم من الخوف<sup>(٢)</sup>، فعميت عليهم المذاهب، فخربوا بيوتهم، وذلك من إعزاز الأنبياء: أن يخرب بيته بفني أو موت<sup>(٣)</sup>، عن أبي مسلم. «وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ»، يعني اليهود «الرُّعْبَ» يعني الخوف، قيل: بقتالهم، وقيل: بقتل كعب بن الأشرف سيدهم، وقيل: بإلقاء الرعب في قلوبهم كما يفعل بجميع الكفار، وعن النبي ﷺ: «نصرت بالرعب»، «يُخْرِبُونَ» يهدمون «بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ» قيل: كانوا يخربون كل ما<sup>(٤)</sup> يمكنهم، وكل ما استحسنوا؛ حسداً أن يأخذه<sup>(٥)</sup> المسلمون، عن ابن زيد، والضحاك. وقيل: كان المسلمون يهدمون<sup>(٦)</sup> بيوتهم لتتسع لهم المقاتل، وهم يخربون في داخلها، عن ابن عباس. وقيل: كان المسلمون يخربون ما يليهم، وهم يخربون داخلها، وإنما أضاف تخريب المسلمين إليهم قيل: لأنه بسبب<sup>(٧)</sup> كفرهم<sup>(٨)</sup>، وقيل: لأنهم مكَّنوهم منها بترك القتل، وقيل: استعانوا<sup>(٩)</sup> بقوم من المسلمين بينهم حلف، فخربوا وأظهروا المباعدة، وقصدوا التقرب إلى الله تعالى، عن أبي مسلم. «فَاعْتَبِرُوا» بهذا لتعلموا كيف فتح الله عليهم تلك الحصون، وكيف خربوا<sup>(١٠)</sup>، وقيل: اعتبروا، ولتعلموا أن النصر من عند الله، وأن القلة لا تَضُرُّ، عن أبي مسلم. وقيل: استدلوا به على صدق الرسول؛ إذ كان أخبر بذلك، فوجد مخبره بحسب خبره، وقيل: اعتبروا لتعلموا عواقب الغدر والجحود، وقيل: اتعظوا، فلا تفعلوا مثل أفعالهم «وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ» قيل: الانفصال<sup>(١١)</sup> من الأوطان «لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا» قيل: بالقتل

(١) العجيب: العجب، ك.

(٢) الخوف: الحرب، ك.

(٣) بفني أو موت: بفني ومات؛ د، ك.

(٤) كل ما: ما، د.

(٥) يأخذه: يأكل خيرها، د، يأخذها، ك.

(٦) يهدمون: يخربون يهدمون، د.

(٧) بسبب: لسبب، د.

(٨) لأنه بسبب كفرهم: -، ز.

(٩) استعانوا: استغاثوا، ز.

(١٠) خربوا: أخربوا، ك.

(١١) الانفصال: الانتقال، ز، ك.

والأسر<sup>(١)</sup>، وقيل: بعذاب الاستئصال، وكان الجلاء أصلح في التدبير، وكان أحدهما<sup>(٢)</sup> كالآخر في الصلاح «وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ» قيل: لأن أحداً منهم لم يؤمن<sup>(٣)</sup>، وقيل: بشرط الإصرار وترك التوبة «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ» يعني الجلاء منهم «شَاقُّوا اللَّهَ» أي: خالفوه وصاروا في شق بعيد من شق المؤمنين «وَمَنْ يُشَاقَّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ». مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ قيل: أمر رسول الله - صلى الله عليه - بقطع نخيلهم، فقالت اليهود: زعمت يا محمد أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح قطع النخيل؟ واختلف المسلمون، فقطعوا بعضاً، وتركوا بعضاً، فصوبهم في الفعلين، وقيل: قالوا: دَعُوهُ فإنه لمن غلب، فتركه بعضهم. «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ» قيل: كل نخلة سوى العجوة، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: هو أنواع النخل، عن مجاهد، وابن زيد، وأبي مسلم. وقيل: كرام النخل، عن سفيان. وقيل: هو النخل سمي بذلك للين ثمرتها، وقيل: ضرب من النخل، عن مقاتل. «أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا» سوقها فلم تقطعوها، ولم تقلعوها «فَبِإِذْنِ اللَّهِ» أي: بأمره «وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» أي: يذلهم، فإن تفريق مال الأعداء، وتخريب بيوتهم يذلهم ويوهن أمرهم.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على أن خروجهم لم يكن لقلعة، ولكن بنصر الله<sup>(٤)</sup>، وإلقاء الرعب في قلوبهم.

وتدل أن ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه من إجلاء أهل الكتاب من جزيرة العرب هو الذي يقتضيه الشرع والكتاب والسنة، فقد قال ث ١: «لا يجمع في جزيرة العرب دينان».

(١) والأسر: الشد، د، ك، وللأسر، ز.

(٢) وكان أحدهما: وكان كل واحد، ك.

(٣) يؤمن؛ يؤمنوا؛ ث، د، ز، ك.

(٤) لم يكن لقلعة ولكن بنصر الله: لم يكن من قلعة، ولكن لنصره الله، ز؛ ولم يكن عن قلعة، ولكن لينصره الله، ك.

ويدل قوله: «فاعتبروا» على الحث على الاستدلال والنبوة، والتمسك به، والإيمان الموجب للنصرة، وترك المخافة الموجبة للنقمة.

واستدل أبو العباس بن شريح بالآية على صحة القياس، إلا أن ما تقدم وما تأخر لا يليق بذلك.

ويدل قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ﴾<sup>(١)</sup> أي: ما فعل بهم<sup>(٢)</sup> جزاء على أعمالهم.

وتدل أن الجزاء يستحق بالعمل.

وتدل أن الشقاق حادث من جهتهم، فيبطل قول المجبرة في جزاء الأعمال والمخلوق.

ويدل قوله: «ما قطعتم» الآية أن جميع ما فعلوه كان بأمره تعالى.

وتدل أن قطع الشجر وتخريب البيوت مضارة للكفار مما يجوز في الشرع، وروي «أن النبي ﷺ كان يأمر بقطع النخل إلا العجوة»، وعن جابر: العجوة من الجنة، وقال بعضهم: لذلك لم يقطع<sup>(٣)</sup>، وقال بعضهم: لم يقطع لمصلحة رآها، وهو أوجه.

وتدل على أنه يجوز أن يجتهد اثنان، فيؤدي اجتهداهما إلى أمرين مختلفين، ويكون كل واحد منهما حقًا وصوابًا؛ ألا ترى أن بعضهم اجتهد فقطع وذهب إلى أنه يوهن أمر الكفار ويغيظهم ويضارهم، فكان هذا وجهًا في الاجتهاد، واجتهد بعضهم فلم يقطع ظنًا أنه يصير للمؤمنين في الحال أو في الثاني، فنزلت الآية بتصويب القولين؛ ليدل على أن كل مجتهد مصيب.

وذكر أبو مسلم قال: روي أن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup> كان أحدهما

(١) الله: -، ك.

(٢) ما فعل بهم: ما فعلتم، ز؛ ما جعلتهم، ك.

(٣) وقال بعضهم لذلك لم يقطع: -، ك.

(٤) صلى الله عليه وآله وسلم: -، ك.



يقطع العجوة، والآخر يقطع سائر النخيل سوى العجوة، فسُئِلَ عن ذلك، فقال الأول: أغيط الكفار، وقال الآخر: بقيته<sup>(١)</sup> للنبي ﷺ والمؤمنين، فنزلت الآية بتصويبهما.

قوله تعالى:

﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦) مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا ءَانَدَكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ نَبَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

### القراءة

قرأ أبو جعفر: «كيلا تكون» بالتاء «دولة» بالرفع على تقدير: كيلا تكون الغنيمة دولة، «فدولة» اسم (كان)، و(كان)<sup>(٢)</sup> بمعنى: وَقَعَ ووجب، والقراء كلهم بالياء، «دولة» بالنصب، أي: كيلا يكون الفيء دولة بالفيء، وقرأ السلمي بفتح الدال، قال عيسى بن

(١) بقيته: بقية، ز؛ أبقيه، ك.

(٢) وكان: فكان، ز، ك.

عمر: هما لغتان بمعنى واحد، وقال غيره: بينهما فَرْقٌ، والدَّوْلَةُ بالفتح: الظفر والغلبة في الحرب وهي مصدر، والدَّوْلَةُ بالضم: اسم الشيء يتداوله الناس بينهم مثل العارية، وقيل: بالفتح: المرة من الاستيلاء، وبالضم: نقل النعمة من قوم إلى قوم.

### اللغة

الفيء: أصله الرجوع، فالفيء ما يرجع<sup>(١)</sup> من مال الكفار إلى المسلمين، فاء يفيء فيئاً: إذا رجع، ومنه: فاء الظل<sup>(٢)</sup> [وهو] الرجوع من المشرق إلى المغرب. والإيجاف: الإزعاج<sup>(٣)</sup> في السير، وهو سَيْرٌ مع سرعة، وَجَفَ يَجِفُ وَجِيفًا: إذا تحرك باضطراب، ومنه: قلب واجف، أي: مضطرب، والوَجِيفُ<sup>(٤)</sup>: سرعة السير، وأوجفها راكمها إيجافاً<sup>(٥)</sup>، ومنه: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨] أي: تضطرب من هول يوم القيامة.

بوأته منزلاً: إذا أسكنته إياه، وقيل: المباءة المنزل.

والخصاصة: الإملاق، وكل ثُلْمَةٍ خصاصة، وأصله الاختصاص، وهو الانفراد بالأمر كأنه انفرد عما يحتاج إليه، ومنه: الاختصاص، والخاصة انفراد المعنى، وقيل: الخصاصة والخَلَّةُ سواء، وأصله الفرجة، يقال للقمر: بدا من خَصَاصَةِ الغيم أي: فرجته، ومنه سمي الخُصُّ، وهو البيت من القصب؛ لما فيه من الفرجة، والخصاصُ: الفُرْجُ بين الأثافي.

والشح والبخل واللُّؤْمُ نظائر، والشح: بُخْلٌ مع حرص، وتَشَاحَّ القومُ على الأمر، ورجل شحيح، وقوم أشحَّةٌ، وَزَنْدٌ شَحَاحٌ: لا يُورِي، والشح في الشرع: مَنَعُ الواجب.

(١) ما يرجع: ما رجع، ز، ك.

(٢) فاء الظل: الفي لظل، د، ز، ث، ك.

(٣) الإزعاج: الإزعاج، ك.

(٤) الوجيف: الوجيف، ك.

(٥) إيجافاً: إرجافاً، د.

## الإعراب

«يوق» جزم؛ لأنه مجازاة، وعلامة الجزم ذهاب الألف؛ لأن الأصل<sup>(١)</sup> يُوقَى .  
ونصب «شح» لأنه قام مقام المفعول .  
و«الذين» يقوم مقام الفاعل المضمر .

## النزل

قيل: لما خرج بنو النضير من ديارهم، سأل<sup>(٢)</sup> المسلمون قسمة أموالهم، فنزلت الآية، وجعل ذلك لرسول الله ﷺ، يحكم فيها ما شاء .

وقيل: لما فتح رسول الله ﷺ بني النضير جمع الأنصار، فاعتذر إليهم بحسن فعالهم مع المهاجرين، ثم قال: «إن شئتم قسمت بينكم والمهاجرون في بيوتكم كما كانوا، وإن شئتم خصصتهم بها ويخرجون من بيوتكم»، فنادوا<sup>(٣)</sup> كلهم من كل جانب أن تقسمها بينهم ويكونون في بيوتنا ودورنا كما كانوا، فأعطاهم الفيء، فأثروا به المهاجرين، فنزل فيهم: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾<sup>(٤)</sup> الآية .

وقيل: نزلت في أهل بيت من الأنصار كان لهم رأس غنم مشوي، فأهدوا إلى غيرهم، وقالوا: إنه أجْرُعُ، فبعث الثاني إلى الثالث، والثالث إلى رابع حتى تداول بين سبعة أنفس، عن أنس بن مالك .

وقيل: نزلت في سبعة عطشوا يوم أحد، فجاء بماء يكفي لأحدهم، فقال أحدهم<sup>(٥)</sup>: ناول فلاناً، حتى طيفَ على سبعتهم، وماتوا، ولم يشرب أحد، فأثنى الله عليهم .

(١) الأصل: أصله، ز، ك .

(٢) سأل: فقال، ك .

(٣) فنادوا: فبادروا، د .

(٤) ولو كان بهم خصاصة، -، ك .

(٥) أحدهم: واحد، ز، ك .

وقيل: نزلت في قصة رجل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال<sup>(١)</sup>: أطمعني فإنني جائع، فبعث إلى أهله، ولم يكن عنده شيء، فقال: «من يضيفه هذه الليلة؟» فأضافه رجل من الأنصار، وأتى به إلى<sup>(٢)</sup> منزله<sup>(٣)</sup> ولم يكن عنده إلا قوت صبية له، فأتوا به إليه، وأطفئ<sup>(٤)</sup> السراج، وأخذ هو وامرأته يلوكان<sup>(٥)</sup> نبتًا، وأناما الصبية جياعًا، [وجعلا] يمضغان<sup>(٦)</sup> [ألستهما] بَعَلِّكَ لَكِي<sup>(٧)</sup> يسمع الضيف، ففيهم نزلت الآية.

### المعنى

ثم بيّن تعالى حال أموال بني النضير وحال الفيء وكيف<sup>(٨)</sup> يقسم، فقال سبحانه: «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ<sup>(٩)</sup>» أي: مما يرجع إليهم<sup>(١٠)</sup> من مال بني النضير «فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ» أي: وضعت «مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ» الخيل: الفرس، والركاب: الإبل التي<sup>(١١)</sup> تركبها الرجال، يعني لم يكن بقتال ولا بتكلف مشقة ولا مؤنة، وإنما صار للمسلمين بما أوقع الله في قلوبهم من الرعب فخرجوا وتركوا أموالهم، وقيل: مشوا<sup>(١٢)</sup> إليها، ولم يركب أحد سوى رسول الله ﷺ، وقيل: لم يحاربوا؛ ولكن فتحها رسول الله ﷺ صلحًا وإجلاء لهم<sup>(١٣)</sup>، وأخرب أموالهم «وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» ففتحها بغير قتال «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. مَا أَفَاءَ

(١) فقال: وقال، ز، ك.

(٢) إلى: +، ز.

(٣) منزلة: بمنزله، د.

(٤) وأطفئ: وأطفئت؛ ث، ز، د، ك.

(٥) يلوكان: يتلوكان، د.

(٦) يمضغان: يسوغ، ث، ز، د، ك.

(٧) لكى: لا، ث، د، ز، ك.

(٨) وكيف: كيفية؛ ز، ك.

(٩) فما أوجفتم: -، ك.

(١٠) أي مما يرجع إليهم: أي ما رجع إليه، ك.

(١١) التي: الذي؛ ث، ز، د، ك.

(١٢) مشوا: يحبوا، ز، د.

(١٣) وإجلاء لهم: وإجلاءهم، ك.

اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى» واختلفوا في الفيء في الآيتين، فقيل: المراد بالأول ما فتح صلحاً، وبالثانية خمس الغنائم، عن أبي علي. وقيل: بل المراد بالأول الفيء، فبين في الآية الأولى أن حكم ذلك إلى الرسول يقسم كما يشاء؛ ولذلك كان ينفق على نفسه وعياله ووجوه البر والكراع وغير ذلك، ثم بَيَّنَّ في هذه الآية مصرف الفيء، ومن يجوز صرفه إليه، ومن دَفَعَهُ إليهم لا يجوز، والمراد بالآيتين ما فتحه صلحاً وصار فتح المسلمين بغير قتال، وقيل: المراد بالآية الأولى الفيء، وهو ما فَتَحَتْ صلحاً، وبالآية الثانية المراد به الغنيمة، وهو ما صار إلينا عنوة، وكانت في صدر الإسلام لهؤلاء الأصناف، ثم نسخت بالآية في سورة (الأنفال) بالخمس، والباقي للمحاربين، عن قتادة. والصحيح أن الأول هو الفيء، والثاني خمس الغنيمة على ما قاله أبو علي؛ لأن فيه تكثير الفائدة من غير نسخ «فَلِلَّهِ<sup>(١)</sup>» قيل: جميع الأشياء لله، فلا يختص بسهم. وذكر اسمه إما للتبرك والاستفتاح باسمه، أو لأن حكمها إليه يحكم فيها كما شاء، وقيل: بل السهم المضاف إليه يصرف إلى أعمال البر «وَلِلرَّسُولِ» قيل: أضاف إليه؛ لأن تدبيرها إليه، وقيل: كان له سهم سقط بموته، وقيل: بل يصرف إلى الخليفة، وقيل: إلى مصالح المسلمين «وَلِذِي الْقُرْبَى» يعني قرابة النبي ﷺ، ولا خلاف أنه كان له سهم، ثم اختلفوا، فقيل: لهم سهم ثابت استحقاقه بالفقر، عن أبي حنيفة. وقيل: كان لهم سهم في أيام الرسول لاهتمامه بشأنهم، سقط بموته، وقيل: كان استحقاقه بالنصرة في أيامه وبعده بالفقر، عن أبي بكر الرازي. وقيل: استحقاقه بالاسم يقسم كما تقسم الموارث، عن الشافعي. وقيل: يدفع إليهم، يستوي فيه الغني والفقير من كان منهم على نصرته الحق، عن الهادي عليه السلام. وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ لما أعطى بني هاشم وبني المطلب، ولم يعط بني أمية وبني نوفل، فجاء جبير بن مطعم وعثمان بن عفان، وقالوا: لا ننكر نحن فضل بني هاشم لمكانك منهم، ولكن نحن وبني المطلب كهاتين، فلم أعطيتهم وحرمتنا؟ فقال ﷺ:

(١) فله: والله، ك.

«لأنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام»، وقيل: «إنه أعطى العباس وكان غنياً»، وقيل: «أعطاه ليقسم على فقراء بني هاشم»، «وَالْيَتَامَى» وهم أهل الحاجة من المسلمين ممن لا أباً له «وَالْمَسَاكِينَ» المحتاج الذي لا شيء له، وقيل: الفقير<sup>(١)</sup> الذي له بُلْعَةٌ «وَابْنِ السَّبِيلِ» المنقطع عن ملكه<sup>(٢)</sup> من المسافرين «كَي لَا يَكُونَ» الفيء «دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» أي: تتداولها أيديهم، فيستبدوا به، ويغلبوا الفقراء عليه، كما كان في الجاهلية يأخذ الرئيس ما شاء «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ» من الغلول وغيره «فَأَنْتَهُوا»، عن الحسن. وقيل: الشرع إليه تبليغه «وَمَا آتَاكُمُ»: أَمَرُكُمْ فأطيعوه، «وَمَا نَهَاكُمْ» فانتَهُوا، وقيل: التدبير إليه فما<sup>(٣)</sup> أَمَرُكُمْ فأطيعوه، وما نهاكم عنه فانتَهُوا، وفي هذا إشارة إلى أن التدبير إلى الأئمة، ولهذا قسم رسول الله ﷺ خير، ومنَّ على أهل مكة، وميَّز<sup>(٤)</sup> عمرُ على أهل السواد<sup>(٥)</sup>، ووظف عليهم الخراج، ولم يقسمها لما رأى من المصلحة فيه، ولما علم أن التدبير إلى الأئمة، ولهذا وافقه الصحابة على ذلك، ولهذا سوى أبو بكر القسمة، وفضل عمر أهل السوابق، ومنَّ رسول الله على أهل خيبر في رقابهم، وأجلى بني النضير وبني قينقاع وأعطاهم شيئاً من المال. «وَاتَّقُوا اللَّهَ» أي: اتقوا عذابه بمخالفة أمره وأمر رسوله «إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» لمن خالف، «لِلْفُقَرَاءِ» يعني الفيء الذي يمنع أن يكون دولة بين الأغنياء إنما هو لهؤلاء المذكورين.

ثم بدأ بالمهاجرين، فقال سبحانه: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ» وهم الذين هاجروا إلى المدينة من مكة، وبَيَّنَّ ما نالهم في الدين، فقال - سبحانه -: «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» وفارقوا، فبقوا في المدينة غرباء<sup>(٦)</sup> فقراء «يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ

(١) الفقير: للفقير، د.

(٢) ملكه: ماله، ك.

(٣) فما: فيما، ز، د.

(٤) وميَّز: ومن، ك.

(٥) السواد: والسوابق، د.

(٦) غرباء: عزابا، و، ك.

وَرِضْوَانًا» أي: يطلبون بما فعلوا فضل الله ورضاه، قيل: الفضل: ما يتعلق بالدين من الطاعة، وبالدنيا من الظفر والغنيمة، وقيل: بل هو الثواب في الجنة «وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ» أي: دين الله «وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» في إيمانهم.

ثم نثى بالأنصار، فقال - سبحانه - وتعالى -: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ» قيل: فرغوا ديارهم للنبي ﷺ وأصحابه، وقيل: تمكنوا وسكنوا في الدار يعني المدينة؛ لأنهم أسلموا قبل مجيء رسول الله ﷺ إلى المدينة، فصارت المدينة دار إيمان، ودار هجرة، وأثبتوا المساجد، عن أكثر المفسرين. وقيل: المراد به المهاجرون أيضًا أي: تبوءوا دار الهجرة، وسكنوها قبل خروج النبي ﷺ إلى المدينة، عن الأصم. والأولى أنهم الأنصار لقوله: «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ»، «مِنْ قَبْلِهِمْ»<sup>(١)</sup> أي: من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقيل: قبل هجرتهم، وقيل: قبل إيمان المهاجرين، وكانوا أصحاب ليلة العقبة، وهم سبعون رجلًا بايعوا رسول الله ﷺ على حرب الأحمر والأبيض، وواسوا المهاجرين، وأسكنوهم دورهم «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» يعني لم يكن ذلك مواساة عن كره، ولكن<sup>(٢)</sup> كانوا يحبونهم «وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا» قيل: لا يجدون في قلوبهم حسدًا مما أعطي المهاجرون من الفيء، عن الحسن. وذلك أن رسول الله ﷺ قسم مال بني النضير بين المهاجرين وبين الأنصار إلا ثلاثة نفر منهم، وقيل: بما أعطوا من الغنيمة لا يطلبون<sup>(٣)</sup> زيادة؛ بل يرغبون بما يعطيهم رسول الله ﷺ، وقيل: في نفقة ما أوتوا من المال من المهاجرين حتى يظهر على حالهم، ولا يجدون في قلوبهم ضيقًا، وقيل: لا تكون لهم حاجة تمنعهم عن النفقة عليهم «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ» أي: يختارون المهاجرين على أنفسهم «وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» أي: فقر أو حاجة إلى الشيء الذي يؤثرون به؛ وذلك لأنهم قاسموا المهاجرين مالهم وديارهم «وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ» أي: بُخْلَ نفسه «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» وقيل: من يُوقِ هوى<sup>(٤)</sup> نفسه في ترك الإيمان.

(١) من قبلهم: من قبل، د.

(٢) ولكن: لكن، ك.

(٣) لا يطلبون: لا يطلبوه، ك.

(٤) هوى: هي، د.

ثم ثلث بالتابعين، فقال - سبحانه -: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ» قيل: من أسلم في أيام الرسول، وقيل: هم التابعون بإحسان إلى يوم القيامة، عن الحسن. وعليه تأوله عمر لما وضع الخراج على السواد ولم يقسمها، وقال: إذا قسمت بينكم فماذا يكون لمن بعدكم؟

ثم وصفهم، فقال - سبحانه -: «يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا» قيل: غشاً للبعض، وقيل: خيانة، سألوا الله أن يزيل ذلك بلطفه، وقيل: بل هو استعاذة من الشيطان؛ لكي لا يوسوس، فيضعف قلوبهم على السلف، كما فعل بالخوارج والروافض، «ربنا إنك رؤوف رحيم»<sup>(١)</sup>.

### ✽ الأحكام

الكلام في هذه الآية على ثلاثة أوجه:

أولها: دلالات الآية.

وثانيها: حكم الفيء والغنيمة.

وثالثها: كيف يقسم ذلك.

أما الأول: فتدل على أشياء:

منها: أن ما رجع على<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ من دون محاربة من<sup>(٣)</sup> بني نضير وغيرهم يختص به الرسول لذلك قال: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾، وقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾، والمروي عن عمر أن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله، وكانت له خاصة، ينفق منها على أهله، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح، وذكر الزهري أيضاً أن ذلك كان لرسول الله ﷺ، وذكر أن فذلك كانت خاصة له، وكان تجري على ما قدمنا، ولما ادّعت فاطمة أنها نخله، ولم يكن بينة، أجزاها أبو بكر وعمر على ما كان يجري في زمن النبي ﷺ.

(١) ربنا إنك رؤوف رحيم: +، ك.

(٢) على: +، ك.

(٣) من: +، ك.



ويدل قوله: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ﴾ على مصرف<sup>(١)</sup> الفيء، وقد روي عن عمر في ذلك بيان شاف<sup>(٢)</sup>، وهو ما روي أنه قرأ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: ٤١] وقال: هذه لهؤلاء وقرأ: ﴿إِنَّمَا الْأَصْدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠] وقال: هذه لهؤلاء، وقرأ: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾<sup>(٣)</sup> إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ قال: فاستوعبت هذه الآية الناس، فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق، فإن عشت لياتين كل مسلم حقه.

وتدل على أنه لا يجوز صرف الفيء إلى الأغنياء، لذلك قال: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾.

وتدل أن للمهاجرين والأنصار والتابعين<sup>(٤)</sup> فيها حقاً.

وتدل على عظم محل المهاجرين والأنصار من حيث مدحهم، وأثنى عليهم. وتدل على أن المؤمن لا يكون في قلبه منهم غل<sup>(٥)</sup>، فيبطل قول الرافضة والخوارج.

وتدل على أن الدعاء للصحابة مرغّب فيه، وذلك أنه كما أنعم الله علينا بالوحي والإرسال ومن الرسول بالإبلاغ والبيان والهداية، فقد أمر أصحابه بحفظ الشرع ونقله والدعاء إليه، وكذلك التابعين؛ لأنهم بذلوا الجهد في إظهار الدين والذب عنه، فساروا سادات الإسلام، والسابقين بالخيرات.

وتدل على فضل الصحابة وعظم محلهم في الإسلام، وأن الواجب موالانهم، والافتداء بهم وبطريقتهم، وأن البراءة منهم من أعظم الكبائر، وذكر الحسن قال: أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم سبعون بدرياً كلهم حدثوني أن رسول الله ﷺ قال: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه»،

(١) يصرف، ك، بدون نقاط.

(٢) بيان شاف: بياناً شافياً، د، ز، ك.

(٣) على رسوله: -، ك.

(٤) للمهاجرين والأنصار والتابعين: للمهاجرين والتابعين والأنصار، د.

(٥) غل: بخل، ك.

والجماعة ألا تسبوا الصحابة، ولا تماروا في دين الله، ولا تُكفّروا أحدًا من أهل التوحيد بذنّب، قال عبد الله بن يزيد: فلقيت أبا أمامة وأبا الدرداء ووائلّة وأنس فكلهم حدّثوني عن رسول الله ﷺ مثل حديث الحسن.

وعن عائشة أن النبي ﷺ قال: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها».

وعن مالك بن مغول عن الشعبي قال: يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود: ومن خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسئلت<sup>(١)</sup> الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم، والسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله.

أما الفصل الثاني: فقد بيّنا أن منهم من قال: الفياء هو الغنيمة، وإن بيان مصرفها في سورة (الأنفال)، ومنهم من قال: بل نسخ بآية (الأنفال)، عن قتادة.

ومنهم من قال: الفياء ما وصل إلينا من غير قتال كالخراج والجزية ونحوها، والغنيمة ما وصل بقتال، وهو أوجه، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه. ومنهم من قال: كل ما وصل إلينا من جهة الكفار فهو فيء.

واختلفوا، ف قيل: المراد بهذه الآية الأراضي، وأن للإمام أن يقسم ما افتتح بين المسلمين نحو رقاب المشركين وأموالهم، وأن له أن يقر ذلك في أيديهم بالخراج كما فعل عمر بالسواد ومصر بحضرة الصحابة من غير نكير، كما له الخيار في الرقاب: بين المنّ والرق والقتل، وفتح رسول الله ﷺ مكة فلم يقسم بين الغانمين، وقسم بعض خير، فليس لأحد أن يقول: ما فعله عمر مخالف للشرع.

ومنهم من قال: هو عام في جميع الأموال، واختلفوا كيف أقر عمر ذلك في أيديهم؟ فمنهم من قال: ملكًا، عن أبي حنيفة وأصحابه؛ ولذلك يجوز البيع

(١) وسئلت: وسئل، د.

والشراء والهبة ونحوها وتجري فيها الأرزاق، ومنهم من قال: وقفًا، عن مالك<sup>(١)</sup>، ومنهم من قال: إجازة، عن الشافعي، والصحيح هو الأول، وهو قول أبي علي، وأبي هاشم.

فأما قسمة الفيء فقد بيّنّا ما قيل في كل سهم مذكور، وأن منهم من قال: تقسم على رؤوسهم، وعند أبي حنيفة على ثلاثة أسهم، والأموال التي للإمام فيها يد ثلاثة:

[أولها]: الزكاة وحقوقها تنقسم إلى رُبْع عُشر، كزكاة الذهب والفضة وزكاة سائمة، وعشر ونصف عشر في الغلة، ومصرفُ الجميع<sup>(٢)</sup> مبيّن في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠].

وثانيها: الغنائم، وهو المأخوذ من الكفار بقتال، فأربعة أخماسه للغانمين، وخمسه مقسوم على ما ذكرنا من الخلاف فيه.

وثالثها: الفيء، وهو ما رجع إلينا من الكفار بغير قتال؛ كمالِ الصلح والجزية، والخراج والأعشار، وهذا كله في المتفق؛ لأن كله متفق عليه.

فأما الضياع والعقار فقد بيّنّا أن الإمام مخير فيه، وبيّنّا أن ما فعل عمر<sup>(٣)</sup> كان حقًا، وبيّنّا أن المتروك في يدهم، كيف حالته، ثم عند الشافعي يعتبر رضا الغانمين، وعند أبي حنيفة ومالك هو للإمام<sup>(٤)</sup>، ولا يعتبر رضا الغانمين.

(١) عن مالك: غير ملك، د.

(٢) ومصرف الجميع: وما دون الجمع، ك.

(٣) عمر: عثمان، ك.

(٤) للإمام: هو إلى الإمام، د، ك.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُم جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

### القراءة

قرأ ابن عباس ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو: «جِدَارٍ» بالالف على واحد، وعن بعض أهل مكة: «جَذَر» بفتح الجيم وسكون الدال بغير ألف، وهو لغة في الجدار، وقرأ يحيى بن وثاب: «جُذِر» بضم الجيم وسكون الدال بغير ألف، وقرأ الباقون: «جُذِر» بضم الجيم والدال على الجمع.

### اللغة

النفاق: إظهار الإسلام، وإبطان الكفر، وهو مأخوذ في الأصل من نافقاء اليربوع، وهو أن يكون له جُحُرٌ له بابان: إذا أخذ من واحد خرج من الآخر، فشبه المنافق به لأنه يدخل في الإيمان ظاهراً ويخرج باطناً، وهو اسم شرعي لم يكن يعرفه أهل اللغة، والمنافق كافر؛ لاجتماعهما على الكفر.

والرهبة: الخوف.

والبأس: الشدة في الحرب.

والوبال: ثقل الشيء المكروه، وماء وبيل وطعام وبيل: إذا كانا غير مريين، ومنه: ﴿أَخَذًا وَيَلًا﴾ [المزمل: ١٦] أي: شديداً ثقيلاً.

## الإعراب

نصب (وبال) بالذوق، و(قريبًا) نصب على الظرف.

## النزل

قيل: بعث عبد الله بن أبي جماعة<sup>(١)</sup> من المنافقين إلى بني النضير أن يحصنوا حصنهم، ويحاربوا فإننا ننصركم، فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ بذلك، وبين أنهم لا يفعلون ذلك، عن ابن عباس، ومجاهد.

## المعنى

ثم بينَ تعالى ما جرى من أسرار المنافقين مع الكفار من بني نضير، فقال - سبحانه -: «أَلَمْ تَرَ» تعجيب لرسوله من حالهم<sup>(٢)</sup> «إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعني بني النضير الذين غلبوا رسول الله ﷺ وحاربوه، وبني قريظة «لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ» من دياركم «لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ» يعني لئن أخرجكم محمد عن دياركم بالغلبة لنخرجن معكم، أروهم بذلك أنهم يوافقونهم في حرب رسول الله ﷺ «وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا» أي: لا نطيع رسول الله ولا المؤمنين إن أمرونا بخذلانكم «وَإِنْ قُوتِلْتُمْ» أي: قاتلكم محمد «لَنَنْصُرَنَّكُمْ» عليه «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ» يعني المنافقين «لَكَاذِبُونَ» في هذا «لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ. لَأَنْتُمْ» يا معشر المسلمين «أَشَدُّ رَهْبَةً» أي: خوفًا «فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ» قيل: هذا تعجيب من حالهم حيث خافوا المؤمنين، ولم يخافوا الله، وقيل: بل هو تذكير للنعمة عليهم بما ألقى في قلوبهم من الرعب من المسلمين، وقيل: لا يخافون عقاب الله ويخافون شوكة المسلمين «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ» أي: لا يعلمون عظمة الله وشدة عقابه، وقيل: لا يعلمون أنه ألقى الرعب في قلوبهم نصرة للمؤمنين «لَا يِقَاتِلُونَكُمْ» يعني اليهود لا يقاتلون المسلمين «إِلَّا فِي قُرَى

(١) جماعة: وجماعة، ك.

(٢) حالهم: حاله، ك.

مُحَصَّنَةً أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ» قيل : لاختلاف قلوبهم ، ولتشتت كلمتهم لا يجرؤون للبروز للحرب ، فيقاتلون في مواضع حصينة وخلف جُدُرٍ «بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ» قيل : عداوة بعضهم لبعض شديدة ، وقيل : شوكتهم وحربهم شديدة إذا هم في الحصون ، فإذا خرجوا فهم أجبن خلق الله «تَخَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى» أي : يحسب الناظر أنهم مجتمعون ، وقلوبهم متفرقة ، وقيل : بأسهم شديد ولكن قلوبهم متفرقة ، وقيل : أهل الكتاب لمعاداة بعضهم بعضًا لا ينصرون الرسل ، وقيل : قلوبهم شتى ، أي : قلوب المنافقين وأهل الكتاب ، عن مجاهد . وقيل : أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم ، وهم مجتمعون على عداوة أهل الحق «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» أَمَرَ الله ووعده ووعده ولا الحق «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا» قيل <sup>(١)</sup> : مشركو مكة «ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ» جزاء قتلهم يوم بدر ، عن مجاهد . وقيل : الذين من قبلهم بني قينقاع ، عن ابن عباس . وذلك أن بني قينقاع نقضوا العهد فأمرهم رسول الله ﷺ رَجَعَهُ مِنْ بَدْرٍ أَنْ يَخْرُجُوا ، وقال عبد الله بن أبيّ : لا تخرجوا إلا أدخل معكم الحصن أو آتي النبي فأكلمه فيكم ، وكان هؤلاء أيضًا في إرسال عبد الله إليهم ومخالفته وترك النصره كأولئك ، وقيل : مثل بني قريظة كمثّل بني نضير ، وكان بينهما ستتان ، وليس بصحيح ؛ لأنهم قتلوا ، وقيل : أراد لمن ملك من الأمم السوالف ، وليس بالوجه ؛ لأنه قال : «قَرِيبًا» والأقرب أنه بني قينقاع ؛ لأنه قبل بني النضير بقريب ، ولأنهم كانوا يهودًا مثلهم ، ومعنى «قَرِيبًا» أي <sup>(٢)</sup> : أنه لم يمهلهم بل أهلكهم عن قرب <sup>(٣)</sup> ، عن أبي علي . ف"ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ" أي : وخيم عاقبة فعلهم من العقاب «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» .

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على أشياء :

منها : على معجزة لرسول الله ﷺ من حيث أخبرهم عن ضمائرهم وأسرارهم .

(١) قيل : وقيل ، ث ، د ، ك .

(٢) أي : + ، ك .

(٣) قرب : قريب ، ك .

ومنها: أن المنافق والكافر خَوْفُهُمْ من الناس أكثر، وذلك لقلّة معرفتهم بالله ووعده ووعيده.

ومنها: خذلان الله لهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم.

ومنها: دلالة قوله: «وَبَالَ أَمْرِهِمْ» أن ذلك الأمر فعلهم، واستحقوا جزاءه، خلاف قول المجبرة.

قوله تعالى:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

### اللغة

المَثَلُ: كلام يشبه فيه حال الثاني بحال الأول.

والبراءة: قطع العلقه بما يقتضي العداوة.

والنسيان: ضد الحفظ، والنسيان: الترك.

والفوز: النجاة والظفر بالخير، وسميت المفازة تفاؤلاً بالسلامة والفوز، وقيل: بل أخذ من قولهم فازَ<sup>(١)</sup> إذا هلك.

(١) فاز: فوز، ث، د.

## الإعراب

(خالد بن) نصب على الحال .

## المعنى

ثم ضرب الله مثلاً للمنافق، فقال - سبحانه - : «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ» قيل : مثل المنافقين في وعدهم لبني النضير مثل الشيطان في وعده الإنسان بالغرور، فلما احتاج إليه أسلمه للهلاك، وقيل : كمثل الشيطان يوم بدر دعا إلى حرب رسول الله، فلما رأى الملائكة رجع القهقري فقال : إني أخاف الله، ولا بد من محذوف، كأنه قيل : فلما كفروا استنصره قال : إني بريء منك، وقيل : أراد بالشيطان والإنسان الجنس لا المعهود، وإنه عام، فإنه أبداً يدعوهم إلى الكفر، ثم تبرأ منه عند الحاجة، عن مجاهد . وقيل : إنه في إنسان بعينه كان من الرهبان اسمه بَرَصِيصًا، فأغواه الشيطان بأن ينجيهِ من بَلِيَّةٍ وقع فيها، فقال له : اسجد لي سجدة واحدة، ففعل، ثم لما احتاج إليه أسلمه حتى قتل، عن ابن مسعود، وابن عباس . وفيه قصة طويلة لا يصح أكثرها، فترك ذكرها؛ لأن فيه أن الشيطان غير الصور، وأزال العقل، وحمل إليه امرأة تداويه في كثير من الترهات، والذي لا يمنع من جوازه ما روي أن الراهب زنا بامرأة ثم قتلها، وظهر ذلك، فأخذوه وصلبوه . «إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ» للموحد : التوحيد<sup>(١)</sup> ليس بشيء، والنبوة مخرقة، فيقبل منه، «فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»

ومتى قيل : كيف يقول : أخاف الله، وهو يدعوهم إلى الكفر؟

قلنا : قيل : إنه يقولها تصنعاً وعلقاً لا تحقيقاً .

وقيل : يقولها يوم القيامة .

وقيل : قاله يوم بدر حين رأى الملائكة .

(١) التوحيد : فالتوحيد، ك .



«فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا» يعني عاقبة الشيطان والإنسان «أَنْهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ». يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ أَي: اتقوا عذابه بأداء الواجبات، واجتناب المعاصي «وَلَتَنْظُرَنَّهُمْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» قيل: ليوم القيامة، عن قتادة، والضحاك، وابن زيد. «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» فيجازيكم بها، وكرر الأمر بالتقوى في المستقبل، والثاني بالتوبة عما سلف في الماضي، وقيل: تأكيداً، وقيل: (اتقوا) عام لجميع المكلفين، (ولتنظر) أمر خاص بأن ينظر في أمره فيتدارك الفئات، وقيل: الأمر بالنظر: أمرٌ بمحاسبة نفسه، وما الذي قدم ليوم حشره، وقيل: لغدٍ إشارة إلى قرب القيامة وما يأتي<sup>(١)</sup> يقرب [الساعة] حتى جعلها لغد، عن قتادة. «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ» قيل: تركوا ذكر الله فأنساهم بأن خذلهم حتى صاروا كالمنسي في حال استحقاق الثواب، وقيل: نسوا الله بترك ذكره، فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذي ينسى<sup>(٢)</sup> بعضهم بعضاً لأجله، عن أبي علي. كقوله: ﴿فَسَلِمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، وقيل: لا تكونوا كالذين نسوا علوم الله حتى أنساه ذلك نفسه، فلم يتفكر في مصائره، وشر عواقبه، وإنما يتفكر في ملاذه وشهواته، وقيل: أنفسهم: حظ أنفسهم أن يقدموا لها، يعني لم يذكرهم باللطاف، بل خذلهم «أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

«لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ» أي: لا سواء حالهما، فأحدهما<sup>(٣)</sup> في النعيم، والآخر في الجحيم «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ» الظافرون بطلبتهم.

### ✽ الأحكام

تدل الآية على أن الشيطان يوسوس بالغرور، ثم يتبرأ<sup>(٤)</sup> منه، فتدل على أن تلك الوسوسة والغرور ليس بخلق الله.

وتدل على وجوب التفكير في أمره، ومحاسبة نفسه، والاستعداد ليوم حشره.

(١) يأتي: يأت، ك.

(٢) ينسى: نسي، د، ك.

(٣) فأحدهما: فإحدهما، ك.

(٤) يتبرأ: تبرأ، ث، د، ك.

وتدل على أن اسم<sup>(١)</sup> الفسق اسم ذم، ولا يجمع مع<sup>(٢)</sup> اسم الإيمان، فيصح قولنا في المنزلة بين المنزلتين.  
وتدل على أن الفوز للمتقين، وأن الفاسق ليس بفائز، فيبطل قول المرجئة.

قوله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

### اللغة

الإنزال: إرسال الشيء من علو إلى سفلى، أنزله إنزالاً ونزله تنزيلاً.  
والتصدع: التفرق بعد التلاؤم، ونظيره: التفكك، صدع يصدع صدعاً، وهو مصدوع<sup>(٣)</sup>، ومنه: الصداع في الرأس، وتصدع تصدعاً، وانصدع انصداعاً.  
القدس: الطهارة، والتقديس: التطهير، والقدوس والسبوح روي أنها من تسبيح الملائكة، وهما كلمتان لم يأت في العربية على بنائهما غيرهما، ومعنى السبوح: الذي يجب له التسبيح، والقدوس: الذي يجب له التطهير.  
والمهيمن: «مُفْنِعِلٌ» من الأمانة، وأصله: مؤتمن، قلبت الهمزة هاء وفخمت اللفظ به لتفخيم المعنى، قال أبو عبيد: (خمسة) أحرف في كلام العرب على هذا

(١) اسم: +، ك.

(٢) مع: +، ك.

(٣) مصدوع: مصدر، د.

الوزن: المهيمن، والمسيطر، والمُبَيْطِر، والمُنِيقِر<sup>(١)</sup>: الذاهب في الأرض، [المُجْتَمِر: اسم عيل]<sup>(٢)</sup>.

والحسنى: اسم تفضيل<sup>(٣)</sup>، [بمعنى أحسن الأسماء].

والجَبَّارُ: العالي الفائق الذي لا تناله الأيدي، وهو من التعظيم، وجبروت الله: عظمته، وقيل: هو من الجبر الذي هو الإصلاح، جبرت العظمَ أَجْبُرُهُ: إذا<sup>(٤)</sup> أصلحته بعد الكسر، وجبرت الأمر فانجبر، وجبرته فَجُبِرَ، وهو لازم ومتعد.

والكبر: العظمة، وكذلك الكبرياء، والكبر: معظم الشيء.

والخلق: الإبداع على تقدير لا ينقص عن مراده، ولا يزيد، وقيل: الخلق أن يفعل لا بآلة، وقيل: هو الاختراع، والبرء والخلق من النظائر، برأ الله الخلق، أي: خلقهم.

### ❁ المعنى

ثم بيّن تعالى عظم حال القرآن، وقسوة قلوب الكفار في جحدهم ذلك، فقال - سبحانه -: «لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ» مع شدته وقسوته «لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا» متشققًا «مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» قيل: معناه: لو أحيينا الجبل، وركبنا فيه العقل لرأيت خاشعًا، وقيل: لو كان الجبل يتصدع من شيء لعظمته لتصدع من هذا القرآن لعظم ذلك، وهذا هو الأوجه. وقيل: لو أنزل هذا القرآن على جبل مع صلابته لكان ينبغي أن يتصدع، فينبغي للإنسان مع ضعفه أن يكون عند تلاوته خاشعًا متصدعًا، عن أبي علي. «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» في ذلك، فيتعظون ويتركون العصيان «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»

ومتى قيل: كيف يتصل هذا بما قبله؟

(١) المنيقر: الميقن؛ ث، د، ز، ك.

(٢) انظر: الثعلبي، الكشف والبيان، ٢١٤/١٣.

(٣) تفضيل: يباض في ث، ز، د، ك: صل.

(٤) إذا: -، ك.

قلنا: قيل: افتتح السورة بالتسبيح، وختم به وبأسمائه الحسنی.

وقيل: لما بين حال الكفار والمنافقين في سوء اعتقادهم في التوحيد بَيَّنَّ ما يجب أن يعتقد فيه وفي<sup>(١)</sup> أسمائه؛ لأن هذه الأسماء فيها بيان التوحيد والعدل، والأدلة على ما نبينه.

«عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» قيل: ما شاهد العبد، وما غاب عنه، وقيل: ما لا يقع عليه الحس كالمعدومات، وما لا يرى من الموجودات، والشهادة ما تقع عليه الحواس. وقيل: ما غاب عن علم الخلق وما علموه، وقيل: معناه السر والعلانية، عن الحسن. «هُوَ الرَّحْمَنُ» المنعم على كل حي و«الرَّحِيمُ» على المؤمنين بالشواب، والرحمن الرحيم من الرحمة وهي<sup>(٢)</sup> النعمة «هُوَ اللَّهُ» الذي تحقق له العبادة «الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» لا خالق إلا هو ولا تحقق العبادة لغيره «الْمَلِكُ» قيل: المالك لجميع الأشياء، لا تخرج عن ملكه، عن أبي مسلم. وقيل: القادر على اختراع الأجسام والأعراض «الْقُدُّوسُ» الطاهر من كل ما لا يليق به، المنزه عن كل نقص من حقه ألا تضاف إليه الفحشاء، ولا يوصف<sup>(٣)</sup> بصفات الأجسام، وقيل: المتطهر<sup>(٤)</sup> عن الشريك والولد وفعل القبيح، وقيل: الْمُمَجَّدُ، عن ابن كيسان. «السَّلَامُ» قيل: الذي يسلم عباده، وقيل: المسلم من جميع الآفات والقبائح، لا صفة له توجب نقصاً، وقيل: الذي مِنْ عِنْدِهِ ترجى السلامة، عن أبي علي. «الْمُؤْمِنُ» قيل: المصدق لرسله بالمعجزات، وقيل: يصدق المؤمنين ما وعدهم من الشواب، والكافرين ما أوعدهم من العقاب، وقيل: الذي أمن الناس من ظلمه، وَأَمِنْ مَنْ آمَنَ بِهِ من عذابه، عن أبي علي. وقيل: هو من الإيمان الذي هو ضد التخويف، عن ابن عباس، ومقاتل. ومنه: ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنَ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤٤]، وقيل: الداعي إلى الإيمان، الأمر به، الموجب لأهله اسمه، عن أبي مسلم. وقيل: أَمِنْ مَنْ وَحَّدَهُ وَعَبَدَهُ، وقيل: هو المجير<sup>(٥)</sup>، عن القرظي. «الْمُهَيِّمُنْ» قيل: المأمون على خلقه لا يريد بهم سوءاً بل يريد بهم الخير، عن

(١) وفي: في، د.

(٢) وهي: وهو، ك.

(٣) ولا يوصف: ولا توصف، ك.

(٤) المتطهر: المطهر، ث، ك.

(٥) المجير: المجبر، ث، ك.

أبي مسلم، وعطاء. وقيل: هو الشاهد، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. كأنه شهيد على أمان من آمن به، وقيل: هو الأمين، عن ابن عباس، والضحاك، وأبي علي. حتى لا يضيع عنده حق، وقيل: هو اسم من أسمائه في الكتب، الله أعلم بمعناه، عن ابن كيسان. وهذا لا يصح؛ لأن أهل اللغة وأهل التفسير تكلموا في معانيه، وقيل: هو الرقيب، عن الخليل. وقيل: القاضي، عن سعيد بن المسيب. وقيل: معناه المؤمن إلا أنه أشد مبالغة «العَزِيزُ» القادر الذي لا يرام ولا يمنع<sup>(١)</sup> عليه مراد «الْجَبَّارُ» قيل: العظيم، عن ابن عباس. وقيل: العالي الذي لا تناله يد أحد، عن أبي مسلم. وقيل: القاهر، عن السدي. وقيل: الذي يجبر خلقه على ما يريد، فيصرفهم كما يشاء، عن محمد بن كعب. «الْمُتَكَبِّرُ» المتعالي<sup>(٢)</sup> عن صفات الْمُحْدَثِينَ، المستحق لصفات التعظيم، المتعظم عما لا يليق به، وأصله الامتناع، وقيل: الذي يكبر عن كل شيء، عن قتادة. «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» أي: تنزيهاً له عن إضافة الشريك والفحشاء إليه «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ» الْمُحْدِثُ لِلْأَشْيَاءِ، المبتدع لها على ما أراد، المتصرف الأحوال بالتدبير على حسب إرادته، وقيل: المقدر لأفعاله بحسب المصالح، وذلك أنه إنما يتأتى<sup>(٣)</sup> ممن يعلم تفاصيل الأشياء ولا يفعل القبيح «الْبَارِئُ» المخترع للأجسام والأعراض «الْمُصَوِّرُ» الذي يصور الخلق على ما يريد، فيجعلهم على صور يتبين بعضها<sup>(٤)</sup> من بعض «لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» أسماؤه على ضربين، وكل ذلك يتضمن معنى مفيداً؛ لأن الألقاب لا تجوز عليه، فمنها ما يفيد صفة في ذاته كقوله: قادر، وعالم، وحي، وقديم، وسميع، وبصير، ومدرك، ومالك، وقاهر ونحوها، وكل ذلك يقتضي تعظيماً، والثاني يفيد صفة ترجع إلى فعله كقولنا: خالق، ورازق، وحكيم، وعدل، ويدخل في الأول نفى صفة عنه، كقولنا: واحد، ويدخل في الثاني نفى فعل عنه كقولنا: حلیم، وغفور ونحوها. «يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي: ينزهه «وَهُوَ الْعَزِيزُ» القادر «الْحَكِيمُ» قيل: العليم، وقيل: المحكم لآياته وأفعاله.

(١) ولا يمنع: ولا يمتنع، ك.

(٢) المتعالي: العالي، د.

(٣) يتأتى: يتأد، د.

(٤) بعضها: بعضاً، ك.

### ❁ في فضل هذه الآيات

روى أنس عن النبي ﷺ : «من قرأ آخر سورة (الحشر) غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «من قرأ آخر سورة (الحشر) : «لو أنزلنا . . . إلى آخره فمات من ليلته<sup>(١)</sup> مات شهيداً» .

وعن أبي أمامة : «من قرأ خواتيم (الحشر) من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجب الجنة» .

وعن أبي هريرة قال : سألت رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم؟ فقال : «عليك بآخر سورة (الحشر) فأكثر قراءتها» .

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على عظم حال القرآن، وموقعه في الدين، ووجوب الخشوع عند قراءته، والعمل به، والتفكير فيه والاتعاظ بمواعظه .

وتدل أنه يعلم، لولاه لما صح ذلك .

وتدل على أسمائه الحسنی .

وتدل على توحيده وعدله وتنزيهه عن القبائح؛ إذ لو خَلَقَ الظلم لَوُصِفَ بأنه ظالم، ولو خلق القبائح لاشتق له منها اسم، فكان أسماؤه لا تكون حسنة، وفي ذلك بطلان قول المجبرة .

(١) ليلته : ليله، ث، د، ك .



## سُورَةُ الْمُتَحَنِّنِينَ

سورة (الممتحنة) مدنية، وهي ثلاث عشرة آية.  
وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة (الممتحنة) كان المؤمنون والمؤمنات له شفعا يوم القيامة».  
ولما كان سورة (الحشر) في ذكر الكفار والمنافقين، ابتداء هذه السورة بتحريم موالاتهم، ووجوب معاداتهم، ثم بين تعالى من يجوز برّه، ومن لا يجوز، وذكر قصة إبراهيم وأبيه.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرِوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشْفِقُوا عَلَيْكُمْ إِنْ يَقُولُوا كُنْمْ أَعْدَاءُ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُشْفِقَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفِيرُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾



## ❁ القراءة

اختلف القراء في قوله: ﴿يُفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾، فقرأ<sup>(١)</sup> عاصم ويعقوب وأبو حاتم: «يُفْصِلُ» بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد مخففاً، وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وفتح<sup>(٢)</sup> الفاء وكسر الصاد مشددة، وقرأ ابن عامر والأعرج بضم الياء وفتح الفاء والصاد مشددة، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففاً من الفصل، وقرأ النخعي وطلحة بن مصرف بالنون وضمها وفتح الفاء وكسر الصاد والتشديد من «فَصْلٌ يَفْصِلُ»، وقرأ أبو حيوة: «يُفْصِلُ» بضم الياء وسكون الفاء وكسر الصاد مخففة من «أَفْصَلُ يُفْصِلُ».

وأجمعت القراء في قوله: «بِرَاء» على وزن «فَعْلَاء» على مثال برعاج جمع بريء غير متحرك، نحو: فقيه وفقهاء، وقرأ عيسى بن عمر: «بِرَاء» على وزن «فِعَال» بالإجزاء<sup>(٣)</sup> وكسر الباء نحو: قصير وقصار، وطويل وطوال.

## ❁ اللغة

الولي: خلاف العدو، والولاية نقيض العداوة.  
والمحبة والمودة من النظائر.  
والمرضاة: الرضا، وهو خلاف الغضب.  
يثقفوكم: يصادفوكم ويجدوكم، يقال: ثَقِفْتُه أَثَقَفُهُ ثَقْفًا وأنا ثاقف، ومنه: ثقيف، ومنه: المثاقفة طلب مصادفة في المسافة.  
والأسوة: القدوة، ولي فيه أسوة، وهو أن يفعل مثل فعله متأسياً به، وتأسى به: أي اقتدى.

## ❁ الإعراب

﴿شُرُونِ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ موضعه موضع الحال، كأنه قيل: لا تتخذوهم أولياء تعلمونهم سرّاً أنكم على مودتهم.

(١) فقرأ: وقرأ، ك.  
(٢) وبفتح: وفتح، د.  
(٣) بالإجزاء: بالأمر، ك.

والباء في قوله: «بالمودة» زائدة، والواو في قوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ واو الحال.  
 وقوله: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ تقديره: يخرجون الرسول،  
 ويخرجونكم؛ لئن<sup>(١)</sup> آمنت بالله.  
 ﴿قَوْلَ﴾<sup>(٢)</sup> إِبْرَاهِيمَ ﴿نُصِبَ لِأَنَّهُ مُسْتَشْنَى مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ﴾.

### الأنزل

نزلت الآيات في حاطب بن أبي بلتعة لما كتب إلى قريش يخبرهم ببعض أمر  
 رسول الله ﷺ وقدمه مكة؛ ليتخذ عندهم يداً، وكان ممن شهد بدرًا، فاعتذر إلى  
 رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> فَصَدَّقَهُ، وَقَبِلَ عَذْرَهُ، وقال: «لا تقولوا له إلا خيرًا»، عن  
 ابن عباس، ومجاهد، وسفيان.

وقيل: المخاطب بـ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المهاجرون والمراد بقوله: «عَدُوِّي»  
 مشركو مكة، عن أبي مسلم.

وقيل: إن امرأة من مكة يقال لها سارة أتت رسول الله ﷺ تستمنحه<sup>(٤)</sup> بعد بدر  
 بسنين وكساها، وكان يجهز لفتح مكة، فكتب حاطب كتابًا إلى أهل مكة ودفع إليها،  
 وأعطاهَا عشرة دنانير، عن ابن عباس. وقيل: عشرة دراهم، عن مقاتل. وفي  
 الكتاب: (أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذرکم)، وخرجت المرأة، ونزل جبريل  
 وأخبر النبي صلى الله عليه وآله عليهما<sup>(٥)</sup>، فبعث خلفها عليًا وعمر وعمارًا ومقدادًا والزبير  
 وطلحة وأبا مرثد، وكانوا فرسانًا، وقال لهم: «انطلقوا إلى مكان كذا، فإن بها طعينة  
 معها كتاب، فخذوا الكتاب وخلوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها»،

(١) لئن: لأن، ك.

(٢) قول: -، ك.

(٣) رسول الله: النبي، ك.

(٤) تستمنحه: تستمحه، د، ك.

(٥) عليهما: عليه، ك.

فخرجوا، وأدركوها بالمكان الذي قال رسول الله ﷺ، فقالوا: أين الكتاب، فحلفت ما معها كتاب، وفتشوا متاعها فلم يجدوا، فهموا بالرجوع، فقال علي بن أبي طالب: والله ما كذبنا ولا كذبنا، وسل سيفه وقال: أخرجني الكتاب، وإلا ضربت عنقك، فأخرجت من ذؤابتها كتاباً، فخلوا سبيلها، ورجعوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا حاطباً وقال: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال: والله ما كفرت، أردت أن أتخذ عندهم يداً؛ لأن أهلي بين أظهرهم، وعلمت أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم<sup>(١)</sup>، فقيل عذره، فقام عمر، وقال: دعني أضرب عنقه فإنه قد نافق، فقال ﷺ: «ما يدريك يا عمر، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله تعالى في شأن حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

فأما ما روي من الخبر، فلا بد من تأويل؛ لأنه لو حمل على ظاهره كان إغراء بالمعصية، وكيف يغفر جميع ما يأتيه أهل بدر، وهو تعالى يقول لرسوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ﴾ [الزمر: ٦٥] فالمراد تعظيم أهل بدر، أو أراد هذا الواحد، وأخبر بذلك لعلهم أنكم لا تفعلون<sup>(٢)</sup> كبيرة، أو يحمل على أنه لو غفر جميع الذنوب لأحد لغفر لهم، أو علم من حالهم الموافقة بالتوبة على أنه خبر واحد، فإن صح فالمعنى ما ذكرنا.

#### المعنى

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» قيل: عدوي بمخالفته لأمري، وقيل: عدو أوليائي، وهذه الموالاة المنهي عنها، وهو الموالاة في الدين والتناصر إن طلبوا النصر والحيطة، عن أبي علي. «تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ» المراد: لا تحابوهم، وقيل: الباء زائدة، تقديره: تلقون إليهم المودة، كقولهم: أريد أن أذهب، وأريد بأن أذهب، وقيل: تلقون إليهم ما يريدون بالمودة «وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ» يعني القرآن والإسلام «يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ» عن مكة «وَلِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» أي:

(١) عنهم: شيئاً، د.

(٢) لا تفعلون: لا تتركبون، ك.

لأجل إيمانكم بالله<sup>(١)</sup> «لَإِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي» يعني إن كان غرضكم في خروجكم وهجرتكم للإيمان، وطلب رضا الله، فلا تتخذوهم أولياء «تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ» أي: تخفون مودتهم؛ لئلا يطلع عليها أحد «وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ» أي: سركم وعلانيتكم سواء عند الله وفي علمه «وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ» ما نهيتكم عنه «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» أي: مَنْ وَالَى أَعْدَاءَ اللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ، ذهب عن الدين المستقيم، وقيل: ضل عن الطريق المؤدي إلى ثوابه؛ لأنه ترك أمر الله وطاعته في أعداء الدين.

ثم أخبرهم عن سرائرهم، فقال - سبحانه - : «إِنْ يَتَّقُوا اللَّهَ» أي: إن يظهروا عليكم، ويمكنوا منكم، ويصادفوكم مقهورين لكم «يَكُونُوا لَكُمْ»<sup>(٢)</sup> أَعْدَاءً وَيَنْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ» قيل: أيديهم بالقتل، وألسنتهم بالشتم، يعني لا يتركون ممكناً<sup>(٣)</sup> في إلحاق السوء بكم باليد واللسان «وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ» أي: يحبون أن ترجعوا عن دينكم، فلا تناصحوهم «لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ» يعني إن واليتم أعداء الله لأجل الرحم أو لأجل الأولاد، فذلك لا ينفعكم «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ولا يغني عن عذاب الله «يُفْصِلُ بَيْنَكُمْ» قيل: يفرق بينكم، فَيُدْخِلُ الْمُطِيعِينَ الْجَنَّةَ وَالْعَاصِينَ فِي النَّارِ، وقيل: يقضي بينكم من فصل القضاء، وقيل: لا يكون فيهم شفاعاة ولا استئناس ولا تراحم كما يكون بين الأقرباء، فيكون وجودها وعدمها بمنزلة، وقيل: تبرأ كل واحد من صاحبه، فكأنه قطعه، وإلا فالقراية تكون بحالها «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أي: عليم بأعمالكم يجازيكم بها.

ثم بيّن قصة إبراهيم مع أبيه، فقال - سبحانه - : «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ» أي: قدوة «حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ» ممن آمن واتبعه، وقيل: الذين معه الأنبياء، عن ابن زيد<sup>(٤)</sup> «إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ» الكفار «إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ» أي: بقطع الأرحام والعلاقات بيننا

(١) بالله: -، ك.

(٢) لكم: لهم، ك.

(٣) ممكناً: لأنه، د.

(٤) وقيل الذين معه الأنبياء عن ابن زيد: +، ك.

في الله لَمَّا خالفتمونا في الدين «وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعني الأوثان لا تعبدوها<sup>(١)</sup> ولا تواصلوها «كَفَرْنَا بِكُمْ» أي: جحدنا دينكم وأنكرنا معبودكم «وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» أي: ظهرت العداوة بيننا إلا أن تؤمنوا فتسقط العداوة ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قيل: يعني الاستثناء «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ» في كل أموره إلا في قوله لأبيه: «لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ»، فنهوا أن يقتدوا به في هذا خاصة، عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد. وقيل: نهوا أن يستغفروا لأبائهم المشركين، وبين قصة إبراهيم، وقيل: كان أزر أبو إبراهيم ينافق إبراهيم ويُرِيه أنه مسلم، وَيَعُدُّه الجهر<sup>(٢)</sup> للإسلام، فيستغفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، عن الحسن، وأبي علي. وقيل: قوله: ﴿لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هو قوله: ﴿إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤] يعني وعد إبراهيم أباه أن يستغفر له «وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» أي: لا أقدر على دفع العذاب عنك إن عذبتك «رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكَلْنَا» في أمور ديننا ودنيانا، والتوكل تفويض الأمر إليه، والثقة بحسن تدبيره، والرضى بقضائه<sup>(٣)</sup> وأمره «وَالَيْكَ أُنَبِّئُ» أي: رجعنا إليك بالطاعة والعبادة، وقيل: تبنا من ذنوبنا «وَالَيْكَ الْمَصِيرُ» أي: إلى حكمك المرجع، وإلى الموضع الذي لا حاكم فيه سواك «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا» قيل: بإظهارهم علينا ليروا أنهم على دين<sup>(٤)</sup> فيفتتنوا بنا، عن قتادة. وقيل: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن الدين، وقيل: الطُفُّ بنا حتى نصبر على أذاهم، ولا نتبع الكفار فنصير فتنة للذين كفروا، وقيل: اصرف عنا شدائد الدنيا والأمراض والمحن؛ لئلا يظنوا أن ذلك الضيق<sup>(٥)</sup> بسوء حالنا عندك، فيستمروا على كذبهم، فإن العامة يعظمون الأغنياء، فإذا رأوا المسلمين في ضيق ومحنة اعتقدوا أنهم على

(١) لا تعبدوها: لا تعبدوا، ك.

(٢) الجهر: إظهار، د، ث.

(٣) بقضائه: بفعله، ك.

(٤) دين: حق، د، ك.

(٥) الضيق: ضيقنا، د؛ وفي هامش ك: يصيبنا.

ضلال؛ لذلك إذا كانت<sup>(١)</sup> وجوههم [مصفرة] وأيديهم مصفرة<sup>(٢)</sup> فيفتنون، والفتنة التشديد في التعبد «وَاعْفِرْ لَنَا» ما سلف من ذنوبنا «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ» القادر على ما تشاء «الْحَكِيمُ» الذي لا يفعل إلا لحكمة.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على وجوب معاداة أعداء الله وتحريم موالاتهم، وأن العلة في ذلك كفرهم.

وتدل على أنها واردة في أهل مكة؛ لذلك قال: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ﴾.

وتدل على تحريم التقرب إلى الكفار؛ لذلك قال: ﴿تَلْقَوْنَ إِيَّاهُمْ بِالْمُودَّةِ﴾ وهذا عام، ولأنه عَلَّلَ ذلك بالكفر، فيستوي فيه كل كافر.

ومتى قيل: فما فعله حاطب، هل كان كافرًا أو فسقًا؟

قلنا: فعله، وهو مخلص في الدين محاماة على أهله، وظَنُّهُ أنه لا يضر في الدين، فلم يكن كافرًا، ولذلك لم ينسبه رسول الله ﷺ، ولما ظن عمر أنه كفر نسبه إلى النفاق حيث تقرب إلى الكفار، وهم بقتله، فنهاه<sup>(٣)</sup> رسول الله ﷺ.

فأما كونه فسقًا، فيجوز أن يكون فسقًا، ويحتمل أنه وقع صغيرًا في جنب ما حصل له من الثواب في قصة بدر.

وتدل على أن طريقة إبراهيم وسائر الأنبياء معاداة الكفار؛ لذلك أمر بالاعتداء به، واستدل بعضهم بالآية على أنا متعبدون بشريعته، ومن خالفهم يقول: إنما أمرهم بذلك في شيء خاص، وهو ترك موالاته الكفار، وإظهار معاداتهم.

وتدل على أن الكفر فعلهم، وكذلك الموالات والمعاداة، وكذلك إخراج الرسول، وإسرار المودة، وبسط اليد واللسان، فيبطل مذهب المجبرة.

(١) لذلك إذا كانت: لذلك إذ كانت، د؛ لذلك كانت، ك.

(٢) مصفرة: صفرة، د، ك.

(٣) فنهاه: نهاه، د.

قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٦) عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن قُولُهُمْ مَّن يَنْهَكُم فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) ﴿

### القراءة

قرأ عاصم: «أُسْوَةٌ حسنة» بضم الألف، والباقون بكسرهما، وهما لغتان، وهو القدوة، يقال: تأسى به أي: اتبع فعله، واقتدى به، والتأسية: التعزية، وهو أن يقال: إن فلاناً قد أصابه ما أصابك فصبر<sup>(١)</sup>: فتأسَّ به واقتد.

### اللغة

البرُّ: الإحسان إلى المعسر، والبر: الصدق أيضاً، وأصل الباب: السعة، فالبر: الاتساع في الإحسان، ومنه: أبر على صاحبه في كذا، أي: زاد، ومنه: البرُّ لاتساعه، وكذلك البرَّة، والبرُّ: الحنطة لسعتها، وقيل: البرُّ اسم جامع لكل خير. المظاهرة: المعاونة.

### النزول

قيل: لما نزلت الآيات المتقدمة عادى المؤمنون أقرباءهم، وأظهروا العداوة، فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ﴾ يعني كفار مكة بأن يسلموا، فيصيروا أولياء وإخواناً لكم.

(١) فصير: قصد، د.

فأما قوله: ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ﴾ الآية:

قيل: نزلت في قوم من خزاعة عاهدوا رسول الله ﷺ ألا يقاتلوا، ولا يعينوا عليه عدوًا. وقيل: نزلت في أسماء بنت أبي بكر قدمت أمها<sup>(١)</sup> قتيلة بنت عبد العزى المدينة، وهي مشركة، ومعها هدية أهدت إلى أسماء، فأبَتْ أسماء قبولها، وأن تدخل بيتها، فسألت عائشة عن ذلك رسول الله، فأنزلت الآية، فأذنت لها في الدخول، وقبلت هديتها، عن عبد الله بن الزبير.

وقيل: نزلت في قوم من بني هاشم، منهم العباس، عن عطية العوفي.

### المعنى

ثم بيّن تعالى ما يجوز فعله بالكفار وما لا يجوز، فقال - سبحانه -: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ» أيها المسلمون «فِيهِمْ» أي: في إبراهيم والأنبياء والمؤمنين على ما تقدم «أُسُوءَةٌ» قدوة «حَسَنَةٌ» قيل: حسنة من حيث توجب الثواب، وقيل: لأنها موعظة في نهاية الصلاح.

ومتى قيل: لِمَ كرر «ذلك»؟

قلنا: في الأول أمر بالافتداء به في البراءة من الكفار، وفي الثاني أمر بالافتداء به في التوكل عليه، فلم يكن تكرارًا.

وقيل: تأكيدًا لقطع المعتاد من موالاة الأقارب.

وقيل: الأول في المعادة، والثاني في رجاء ثواب الله.

وقيل<sup>(٢)</sup>: أَمُرُّ بعد أمر في وقتين، فلا يكون تكرارًا؛ لأن التكرار ما<sup>(٣)</sup> يكون في وقت واحد، عن أبي علي.

«لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ» أي: يرجو ثوابه ورحمته، ويرجو الثواب<sup>(٤)</sup> في الدار الآخرة، وقيل: يؤمن بالله واليوم الآخر، وإنما خص هؤلاء؛ لأنهم يتحملون

(١) قدمت أمها: قد قيل بها، د.

(٢) وقيل: وهو، ك.

(٣) ما: +، ك.

(٤) الثواب: الجزء، ك.



المشاق في التكليف ويقطعون العلائق بين الأقرباء «وَمَنْ يَتَوَلَّ» أي: يعرض عن طاعة الله، وقيل: يعرض عن الله، فلا يرجوه «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» لا يحتاج إلى شيء، الحميد: المنعم على من يطيعه ويعصيه، وقيل: المحمود في جميع<sup>(١)</sup> أفعاله «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً» قيل: ليجعل، و«عسى» من الله واجب، وقيل: كونوا على رجاء من ذلك، وطمع فيه، وقيل: تلطف حتى يسلموا، وتحصل بينكم المودة أيها المؤمنون، وبين الذين عاديتهم من<sup>(٢)</sup> أهل مكة مودة بالإسلام، وكان ذلك حين<sup>(٣)</sup> أسلم كثير منهم، وقيل: صار بينه وبينهم وصلة، فتزوج رسول الله ﷺ بأم حبيبة، وصاروا مَوَالِيَّ له، عن ابن عباس. وقيل: زوجها<sup>(٤)</sup> منه النجاشي، وأمهرها أربعمئة دينار، وساق إليها مهرها «وَاللَّهُ قَدِيرٌ» أن يعاقبكم إن واليتهم، وقيل: قدير بأن يلطف حتى يظهر المودة «وَاللَّهُ غَفُورٌ» يغفر الذنوب إذا تابوا ويدخلهم الجنة.

«لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ» قيل: من أهل مكة، عن مجاهد. وقيل: هي عامة في كل من كان بهذه الصفة «أَنْ تَبْرُوهُمْ» أي: تحسنوا إليهم بالأموال والعشرة «وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ» أموالهم أي: تعدلوا فيهم، وفي معاملتهم، وقيل: القسط النصيب الذي تعطونهم قسطًا وحظًا من مالكم وطعامكم «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» قيل: العادلين، وقيل: يحب الذين يعطون جيرانهم والمحتاجين حظًا من مالهم، عن أبي علي. «إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ» أي: ينهاكم عن موالاة من قاتلكم لأجل الدين، ومخالفته إياكم في التوحيد والعدل «وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ» أي: آذوا المسلمين، وبلغوا في ذلك الغاية حتى أخرجوهم من ديارهم؛ أي: أخرجوهم من ديارهم الخروج، فخرجوا «وَوَظَّاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ» أي: عاونوا، وهم العوام والأتباع عاونوا الرؤساء على الباطل وعلى أذى المسلمين «أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ» أي: يواليهم ولا يقطع العلائق «فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» قيل:

(١) جميع: +، ك.

(٢) من: منهم، ك.

(٣) حين: حتى، ك.

(٤) زوجها: دفعها، د.

الكافرون، عن أبي مسلم. وقيل: الواضعون الولاية في غير موضعها، وقيل: الظالمون لأنفسهم؛ حيث أوجبوا لها النار.

### الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: وجوب الاقتداء بمن تقدم ذكرهم، وقد بينّا أنه في شيء خاص، فلا تعلق للقوم بذلك.

ومنها: أن في أهل مكة من يؤمن، وعلم ذلك من حالهم؛ لذلك قال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً﴾.

ومنها: على معجزة لرسول الله ﷺ، حيث أخبر عن شيء لا يعلمه إلا الله، فكان كما أخبر.

ومنها: أن الإحسان إلى الكفار يجوز إذا لم يكن حديثاً، والنهي عن ذلك في المقاتلين.

وذكر علي بن موسى القمي أنها تدل على جواز صلة الرحم في الكفار.

وتدل على أن المأخوذ من الكافر<sup>(١)</sup> الحربي لا يجوز المنّ عليه، وردّه إلى دار الحرب؛ لأنه من البر الذي نهى عنه، واستدل بالآية على جواز دفع صدقة الفطر إلى أهل الذمة.

قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُهُمْ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايَتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حَكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابِقْتُمْ فَاتَاؤُا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝﴾

(١) الكافر: الكفار، د.

## القراءة

قرأ الحسن وأبو عمرو ويعقوب وأبو حاتم «ولا تُمَسِّكُوا» بالتشديد من التمسك، يقال: مَسَّكْتُ الشيء، وتمسكت به، وقرأ الباقر بالتخفيف من الإمساك، وتكون الباء صلة، وتقديره: ولا تمسكوا عصم الكوافر.

قراءة العامة: «فَعَاقَبْتُمْ» بالالف، وقرأ إبراهيم وحמיד والأعرج: «فَعَقَبْتُمْ» مشددة بغير ألف، وقرأ مجاهد: «فَأَعَقَبْتُمْ» على وزن أفعلتم، قال: صنعتم بهم كما صنعوا بكم، وقرأ الزهري: «فَعَقَبْتُمْ» خفيفة بغير ألف، وقرأ مسروق: «فَعَقَبْتُمْ» بكسر القاف خفيفة، وكلها لغات، يعني قال: عاقب وعَقَّبَ وعَقَّبَ وأعقب وتعقب واعتقب وتعاقب: إذا غنم، والتعقيب: أن يعمل عملاً ثم يعود فيه، وإذا غزا ثم ثنى من سنته<sup>(١)</sup> فقد عَقَّبَ، وأصله أن تكون العقبي والغلبة لهم حتى يقيموا، وقيل: معنى (عاقبتهم) أمسكتموهم في القتال حتى غنمتهم، وأصل المعاقبة تصيير<sup>(٢)</sup> كل واحد من الشئيين مكان الآخر عقيب ذهابه، وأصله: العقب، وهو كون الشيء بعد الأخير، ومنه: العقاب، ومنه: العاقبة: الخاتمة.

## اللغة

الهجر: ضد الوصل وهو الأصل في الباب، قال الأزهري: المهاجرة عند العرب خروج البدوي من البادية إلى المدن: إذا أقام بها، وهاجر القوم من دار إلى دار تركوا الأولى للثانية، وَتَهَجَّرَ: إذا تشبه بالمهاجرين، وفي الحديث: «هاجروا ولا تَهَجَّرُوا» قاله عمر، والهِجْرُ: الهذيان، والهِجْرُ: الفحش في المنطق؛ لأنه هجر الصواب.

والامتحان: الاختبار، يقال: امْتَحَنْتُ الذهب والفضة: إذا أذبتها لتختبرها<sup>(٣)</sup> حتى خلصت الذهب والفضة، وأصله من المحنة.

(١) سنته: سفنه، ك.

(٢) تصيير: تصير، ك.

(٣) لتختبرها: لتخيرها، د.

والعصمة: سبب به يمنع من المكروه، وجمعه: عَصَمٌ، والاعتصام: التمسك بالشيء، واعتصم به: امتنع به، وكلما يتمسك به فهو معصم، وأصل الباب: المنع، ومنه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٤٣]، والعصمة: العقدة، يقال: عصمة<sup>(١)</sup> المرأة بيد الرجل.

الكوافر: قيل: جمع كافرة كقابلة وقوابل، وزانية وزواني<sup>(٢)</sup>، فعلى هذا كوافر: جمع النساء، وقيل: هي على تقدير: فرقة كافرة، وفرق كوافر، ويقع على الرجال والنساء، وقيل: كوافر جمع كافر، وقد يجمع «فاعل» على «فواعل»: إذا كان اسماً، كفارس وفوارس، وخالد وخوالد، قال جرير:

أَخَالِدَ قَدْ عَلِقْتُكَ بَعْدَ هِنْدٍ فَشَيَّيْنِي<sup>(٣)</sup> الْخَوَالِدُ وَالْهُنُودُ<sup>(٤)</sup>  
وقيل: «فواعل» جمع «فاعل» إذا جرى بها مجرى الاسم، وإذا جرى بها مجرى الصفة فهي جمع «فاعلة»، وكافر أجري مجرى الاسم، قال - تعالى -: ﴿فَنَكُرْ كَافِرٌ﴾ [التغابن: ٢] ولم يقل: رجل كافر.

### الإعراب

قيل: ﴿الْمُؤْمِنَتُ مُهَنْجِرَتٍ﴾ نصب على الحال، أي: في حال الهجرة.

### النزول

قيل: لما أقبل رسول الله معتمراً حتى كان بالحديبية وصدّه المشركون عن دخول مكة، وآل الأمر إلى المصالحة، واختلفوا كيف وقع الصلح، قال ابن عباس: صالحوه على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم، ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ فهو لهم، ولم يردوه عليه<sup>(٥)</sup>، وكتب بذلك كتاباً، فجاءت سبيعة بنت الحارث

(١) عصمة: عصمت، د.

(٢) زوان: زواني؛ د، ز، ك.

(٣) فشيني: فتنيني؛ د، ز، ك.

(٤) البيت قائله جرير، أنظر لسان العرب (هند)، تاج العروس (هند).

(٥) عليه: عليهم، د.

الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب، والنبى ﷺ بالحديبية، وأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وكان كافراً، عن ابن عباس، وقيل: اسمه صَيْفِي<sup>(١)</sup>، عن مقاتل، في طلبها، والتمس من رسول الله ﷺ ردها، وقال: إنك يا محمد شرطت أن تردّ علينا مَنْ أُنَاكَ مِتْنَا، وكتبت الكتاب لم يجف بعد، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾.

قال ابن عباس: امتحانهم أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج، ولا رغبة من أرض إلى أرض، ولا التماس الدنيا، ولا خرجت إلا حباً لله ورسوله، فاستحلفها ما خرجت إلا رغبة في الإسلام، فحلفت، وأعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردها، فتزوجها عمر، وكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال، ويحبس من جاءه من النساء: إذا امتحن، ويعطي أزواجهن مهورهن.

وعن عروة بن الزبير<sup>(٢)</sup> أن النبى ﷺ صالح على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليّه، فلما هاجرت النساء أبا الله أن تُردّ إلى المشركين، أمر بِرَدِّ صداقهن، فأمسك النبى ﷺ النساء، ورَدَّ الرجال.

وذكر علي بن موسى القمي عن ابن عباس أن الصلح وقع على أن من أسلم من<sup>(٣)</sup> نسائهم تتعرف، فإن خرجت رغبة في الإسلام أمسكها ورَدَّ على زوجها ما أنفق، وإن خرجت هرباً من زوجها رُدَّتْ، فعلى هذا تكون الآية ناسخة لِرَدِّ النساء.

وذكر شيخنا أبو علي - رحمه الله - إنه لم يدخل في شرط الحديبية إلا رد الرجال دون النساء، ولم يَجِزْ للنساء ذكراً، وأن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة، فجاء أخاوها إلى المدينة، وسألاً رَدَّهَا عليهما<sup>(٤)</sup>، فقال ﷺ: «إن الشرط بيننا في الرجال، لا في النساء»، فلم يردها عليهم، قال أبو علي: وإنما لم يجز هذا الشرط في النساء؛ لأنها إذا أسلمت لا تحل لزوجها الكافر، فكيف تُردّ عليه، وقد وقعت الفرقة بينهما؟

(١) صيفي: صفي، ك.

(٢) الزبير: الزينم، د.

(٣) في هامش ك: أهل مكة، فهو رد عليهم، ونزلت الآية بعد الصلح فكان من أسلم من.

(٤) عليهما: عليهم، ك.

## المعنى

لما قطع الموالاة بين المسلمين والكفار حكم بين المهاجرة وزوجها، فقال سبحانه وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ» من دار الكفر إلى دار الإسلام «فَأَمْتَحِنُوهُنَّ» أي: اختبروهن، وقيل: كان امتحانها أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، عن ابن عباس بخلاف. وقيل: امتحانها أن تحلف ما خرجت بغضاً لزوجها، ولا اختيار أرض، ولا لرغبة في الدنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام، وحباً للدين، ولله ولرسوله، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: تحلف ما جاءتك تخشى أحداً منك ولا هرباً<sup>(١)</sup> من زوجها<sup>(٢)</sup>، عن عكرمة<sup>(٣)</sup>. وقيل: يختبر أحوالهن، فيحكم فيهن بما يغلب على الظن من أحوالهن.

ومتى قيل: كيف جاز رد المسلم على الكافر مع شدة أذاه له؟ قلنا: يجوز أن يكون رده مدة القهر مصلحة ومنعه مفسدة، والله أعلم بتفاصيل المصالح.

وقيل: يجوز أن يكون تشديداً في التعبد لمن تأخر هجرته وإسلامه.

ومتى قيل: كيف يمتحن، ولا يعلم باطنه؟

قلنا: أراد على الظاهر، ولذلك قال: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ» باطنًا.

«فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ» في الظاهر لما يظهر من الشهادتين وإقامة حدود الإسلام، والعمل بموجب الشرع، مع غلبة الظن بأنها صادقة، وقيل: بأن تحلف أنها جاءت رغبة في الإسلام «فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ» أي: لا تردوهن إليهم «لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ» لوقوع الفرقة بينهما بمباينة الدين والدار، وقيل: فرق بينهما الإسلام وإن لم يطلق المشرك، عن ابن زيد، وجماعة. «وَأَتَوْهُمْ» أعطوهم «مَا أَنْفَقُوا»<sup>(٤)</sup> على الزوجات إذا جاءت مسلمة مهاجرة، و«ما أنفقوا» قيل: الصداق، عن

(١) ولا هرباً: هرب؛ ك.

(٢) زوجها: زوجك؛ ث، د، ك.

(٣) وقيل قلق ما... عكرمة: +، ك.

(٤) في هامش ك: قيل: لما كان العهد بالحديبية بترك الإضرار أمر برد المهور على الأزواج وما أنفقوا.

ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد. قال الزهري: لولا الهدنة لم نرد على المشركين صداقاً كما كان يفعل قبل، وقيل: كان يرد مهرن من الغنمة قبل القسمة، فكان ذلك من المصالح التي تتعلق بمال بيت المال «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» أي: لا حرج أيها المؤمنون «أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ» يعني تزوجوا النساء المهاجرات، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر؛ لأن الإسلام قَرَّبَ بينهما، واختلفوا في وقت التزويج، فقيل: بعد الهجرة، ولا عدة عليهن، عن إبراهيم، وهو قول أبي حنيفة، وقيل: بعد انقضاء عدتهن، وهو مذهب أبي يوسف ومحمد. «إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ» أعطيتموهن «أُجُورَهُنَّ» يعني مهورهن «وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ» أي: بعقد الكوافر، اختلفوا في معناه، وقيل: لا تمسكوا بعقدة النساء الكوافر، فمن كانت له امرأة كافرة بمكة فقد انقطعت عصمتها عنه وليست له بامرأة، وإن جاءت امرأة مسلمة، ولها بمكة زوج كافر فلا تعتد به<sup>(١)</sup> فقد انقطعت عصمتها، عن ابن عباس. كأنه بيّن حال مَنْ هاجر إلينا مِنْ نسائهم وزوجها كافر، ثم بيّن حال مَنْ هاجر من الرجال، وبقيت المرأة مشركة، فعلى هذا الكوافر يتناول الرجال والنساء، وقيل: معناه: ولا ترغبوا في نكاح النساء الكوافر، وأمرؤا بطلاق النساء الكوافر، قال الزهري: فطلق عمر امرأتين له بمكة «قريبة»<sup>(٢)</sup>، وأم كلثوم، وطلق طلحة امرأة له بمكة «أروى»، وكذلك جماعة طلقوا نساءهم، قال مجاهد: أمر الله تعالى بطلاق نسائهم الكوافر، وقيل: لا تزوجوا الكافرات، والتمسك بالعصم الأخذ بالأيدي، وذلك عبارة عن التزويج، عن أبي علي. وقيل: إذا جاءت مهاجرة، وهي كافرة، أو ارتدت، أو أسلم الزوج، وهي كافرة على حالها ردت على زوجها، وقيل: لا تعتصموا بالنكاح الذي كان في الجاهلية، ولا تأخذوهن بالعدة منهم إذا جاءت مهاجرة، فعلى هذا الكوافر يتناول الرجال، كأنه<sup>(٣)</sup> يقول: انقطع النكاح ولا عدة، وقيل: ينقطع النكاح بالتطليق، وقيل: يفرق بينهما الإسلام، وإن لم يطلق، عن ابن زيد. وقيل: إنه يتصل بما قبله يعني جاز لكم تزويج المهاجرة، وإن كان لها زوج في دار الحرب، لا تمتنعوا عن ذلك، ولا تمسكوا بعقد الرجال الكفار الكوافر؛ لأن

(١) فلا تعتد به: ولا تعتد به، ك؛ فلا يعتد به، د.

(٢) في هامش ك: أروى.

(٣) كأنه: +، هامش ك.

ذلك العقد قد انحل، وانقطعت العصمة «وَأَسْأَلُوا» خطاب للمؤمنين، أي: اسألوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم، ولحقت بالمشركين «مَا أَنْفَقْتُمْ» عليهن من الصداق من الذي بينكم وبينهم<sup>(١)</sup> عهد، وقيل: فسلوهم أن يعطوكم كما يأخذون منكم ما أعطوا نساءهم، من المهر إذا صرن إليكم، وإلا فطالبوهم<sup>(٢)</sup> رد المرأة إليكم «وَلَيْسْأَلُوا» يعني يسأل الكفار الذين هاجرت نساؤهم وتحقق لكم أنهن مؤمنات «مَا أَنْفَقُوا» ما أعطوهن من الصداق، وهذا هو العدل والمحافظة على العهد، ومن أين<sup>(٣)</sup> يُعْطَى؟ قيل: يعطى ذلك قبل القسمة من الغنيمة، وقيل: بل ممن<sup>(٤)</sup> يتزوج بها، فأما الكافر فمن يتزوج بها.

ومتى قيل: كيف خاطب الكفار بالشرائع حتى<sup>(٥)</sup> قال: «وليسألوا»؟

قلنا: هم عندنا مخاطبون بالشرائع، ومن قال: لا يخاطبون يقول: هو خطاب للمؤمنين بدفعه إليهم، ولا يعتقدون<sup>(٦)</sup> أنه لا يحل دفعه إليهم.

«ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ» يقوم بينكم وبينهم، وقيل: أي ما تقدم حكمه فلا تجاوزه «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بالمصالح «حَكِيمٌ» فيما يفعله ويأمره «وَأِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» قيل: لما بين الله تعالى الحكم الذي تقدم وأبى المشركون أن يقرؤا به، وأن يردوا الصداق أنزل الله تعالى هذه الآية، وقيل: بل هذا فيمن لحق بقوم لا عهد معهم يعني<sup>(٧)</sup> إذا لحقت امرأة منكم بالكفار الذين لا عهد بينكم وبينهم، وقيل: المراد: إذا لحقوا بقوم بينكم وبينهم عهد، وقيل: إذا ارتدت امرأة منكم من الإسلام «فَعَاقَبْتُمْ» قيل: ظفرتهم بالمرتدة، وقتلتم<sup>(٨)</sup> عقوبة، وقيل: عاقبتهم أي عزمتم وأصبتهم الغنيمة

(١) وبينهم: بين، د، ك.

(٢) فطالبوهم: فظاهرهم، د.

(٣) ومن أين يعطى، +، هامش ك.

(٤) ممن: من، ك، -، د.

(٥) حتى: حين، ك.

(٦) ولا يعتقدون: يعتقدوا؛ د، ز، ك.

(٧) يعني: +، ك.

(٨) وقتلتم: وفعلتم، ك.



«فَاتُوا» أعطوا «الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا» من المهر<sup>(١)</sup>، عن أبي مسلم، قال: لما لم يكن للمرتدة من يرد المهر بعد القتل كما كان للكافرة والمهاجرة أمر بردها من الغنيمة، وقيل: معناه فغنمتم بعد ذلك شيئاً من مال هؤلاء الكفار الذين ذهبوا أزواجكم إليهم فأعطوا الذين ذهبوا أزواجهم من تلك الغنيمة مثل مهر نسائهم، عن ابن عباس، وهو قول أبي علي. وقيل: من مال الفيء، عن الزهري. وقيل: من كلها، وقيل: «فعاقبتم» أي: خلفتم من بعدهم، وصار الأمر إليكم، قال الزهري: فكان جميع ما لحق بالمشركون من نساء المسلمين ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري، وفاطمة بنت<sup>(٢)</sup> أبي أمية أخت أم سلمة كانت تحت عمر، وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان، وعبد بن عبد العزى زوجها عمرو بن عبد ود، وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص، وأم كلثوم امرأة عمر، فأعطاهم رسول الله ﷺ مهر نسائهم من الغنيمة. «وَاتَّقُوا اللَّهَ» فلا تجاوزوا أمره<sup>(٣)</sup> «الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ».

### الأحكام

الآية تشتمل على أحكام ثابتة، وأحكام منسوخة، ودلالات يدل الظاهر عليها.

فأما الأحكام الثابتة:

فمنها: قوله: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ تدل الآية أنه لا يحل رد المؤمنات إلى دار الحرب إذا هاجرن وأسلمن.

ومنها: قوله: ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ أنه يجب الامتحان؛ لأنها ربما جاءت لمكر<sup>(٥)</sup> وغدر وتجسس لأحوال المسلمين، فيجب البحث عن حالها احتياطاً.

(١) +، في هامش ك: قيل: إذا قتلتم المرتدة فأعطوا زوجها ما أنفق من المهر.

(٢) بنت: ابنت، د.

(٣) أمره: الأمر، د.

(٤) فلا: لا، د، ك.

(٥) لمكر: لمنكر، د.

ومنها: أن المعتبر بما يعلم من ظاهر أمرها دون الباطن؛ لذلك قال تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُ بِإِيمَانِهِمْ﴾

ومنها: أنه بالهجرة قد حرمن على أزواجهن؛ لذلك قال: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾.

ومنها: جواز نكاحهن عقيب الهجرة، فتدل على وقوع التفرقة بنفس الهجرة، ولأنه لا عدة لهن، وهو قول أبي حنيفة، وقال أبو يوسف ومحمد: عليها العدة، وهو قول الهادي، وقال الشافعي: عليها العدة، وقال: لا تقع التفرقة حتى تنقضي العدة.

ومنها: جواز نكاحهن بشرط الأجر، فتدل على ثبوت المهر في النكاح.

ومنها: أن التفرقة محرمة كالخلع لا تحل له إلا بعقد جديد؛ لذلك حل الثاني.

وذكر علي بن موسى القمي أن الحربية في هذا تخالف الكتابية، فإنها إذا أسلمت، ثم أسلم الزوج فهما على نكاحهما، وروي عن علي نحوه.

وعن عمر، وعطاء، وطاووس، ومجاهد في النصرانية إذا أسلمت، ولم يسلم زوجها يفرق بينهما، وروي عن جماعة إذا أسلم في العدة فهي امرأته، عن سعيد بن المسيب وهو مذهب الشافعي، وعن إبراهيم يعرض عليه الإسلام، فإن أسلم فهما على نكاحهما، وإن أبى فَرَّقَ بينهما، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه.

وقال الهادي: إذا أسلم أحد الذميين لا تقع التفرقة إلا بانقضاء العدة، أو بعرض الإسلام على الآخر، فيأباه.

فأما الْمُسَيِّئَةُ: فإن<sup>(١)</sup> سُبِي أَحَدُهُمَا وقعت الفرقة، وإن سبيا فلا تقع الفرقة عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: تقع<sup>(٢)</sup>.

فأما الفصل الثاني وهو الأحكام المنسوخة في الآية:

(١) فإن: بأن، ك.

(٢) +، في هامش ك: فأما الردة إذا ارتد أحدهما وقعت الفرقة، فإن ارتدا معًا لا تقع، وهو قول أبي حنيفة والهادي (عليه السلام)، وقال الشافعي: تقع.

فمنها: رد المسلمة<sup>(١)</sup> على الكافر إذا وقع عليه الصلح، فإن ذلك منسوخ في الرجال والنساء، وقال أبو حنيفة: إذا جاءت امرأة مهاجرة، وجاء زوجها وقد وقع الصلح على الرد لا ترد المرأة، ولا مهرها، وهو قول الهادي، وقال الشافعي: يُردُّ مهرها.

ومنها: رد المهر كان يجب، ثم نسخ، وكذلك قوله: ﴿وَلَسْتُمْ لَهَا أَهْلًا﴾ فرد المهر من الجانبين منسوخ.

ومنها: قوله: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ﴾ كان الواجب رد الصداق على الزوج من الغنيمة على ما ذكرنا فنسخ ذلك، وقيل: ليس بشيء من ذلك نسخ<sup>(٢)</sup>؛ لأنها أحكام كانت مصلحة لهم في وقت موادة وعهد بين النبي ﷺ والمشركون إلى مدة. فأما دلالات الآيات فقد دخلت فيما ذكرناه.

قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

### اللغة

البهتان: الباطل.

والافتراء والاختلاق بمعنى، وهو الكذب.

والمعروف: ما يعرف صحته عقلاً أو شرعاً، وضده المنكر.

(١) المسلمة: المسلم، د؛ الإسلام، ك؛ وما أثبتناه من هامش ك.

(٢) نسخ: نسخاً، د، ز، ك.

والتولي: أخذ بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup> ولياً.  
والياس: ضد الرجاء، وهو قطع الطمع على اليقين.

### ✽ النزول

قيل: كان ناس من فقراء المؤمنين يخبرون اليهود بأخبار المسلمين ليصيبوا من خيرهم، فنهوا عن ذلك، ونزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا﴾ الآية.

### ✽ المعنى

ثم بيّن تعالى حال النساء في البيعة، فقال - سبحانه -: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ» قيل: إذا جاءك من تريد إظهار الإيمان، وقيل: من صدقك بالشهادتين، وقيل<sup>(٢)</sup>: إذا جاءك من تريد أن تكون مؤمنة، تشرط عليهن ذلك في المستقبل «يَبَايَعَنَّكَ».

ومتى قيل: ما وجه بيعتهن، فلسن من أهل النصرة؟

قلنا: أخذ العهد عليهن بما يصلح لشأنهن في الدين والأنفس والأزواج، وقد تكون قوة، وكل ذلك في صدر الإسلام، دليلاً يفتق بهن فتق، وهذه البيعة كانت يوم فتح مكة لما فرغ من بيعة الرجال، وهو على الصفا، وعمر أسفل منه يبايع النساء بأمره، وقيل: كان عمر بحضرته، وقيل: بل كان بايع بالكلام، ما مس يده يد امرأة إلا امرأته، وقيل: كان<sup>(٣)</sup> يبايع بيده، وعليها ثوب، عن الشعبي. وقيل: كان عنده قدح ماء غمس<sup>(٤)</sup> يده فيه، ثم غَمَسَنَ أيديهن، عن عبد الله بن عمرو بن العاص. وقيل: كان هو يشرط<sup>(٥)</sup> على النساء، وعمر يصافحهن، عن الكلبي. وقيل: حضرت مجلس رسول الله ﷺ للبيعة، وفيهن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنبهة متنكرة<sup>(٦)</sup>.

(١) بعضاً: +، ك.

(٢) إذا جاءك ما تريد إظهار . . . . . وقيل: +، هامش ك.

(٣) بحضرته وقيل . . . . . كان: +، هامش ك.

(٤) غمس: يغمس، ك.

(٥) يشرط: شرط، ك.

(٦) متنكرة: منكرة، د.

خوفًا من رسول الله ﷺ، فلما قال: «على ألا يشركن بالله شيئًا» قالت هند: إنك لتأخذ علينا أمرًا ما أخذته على الرجال، وكان يبايع الرجال على الإسلام والجهاد، فلما قال: «وعلى ألا يسرقن» قالت هند: إن أبا سفيان رجل شح، وإني أصبت من ماله، فقال أبو سفيان: جعلتك في حلٍّ، فعرفها رسول الله ﷺ وتبسم، وقال: «إنك لَهِنْدٌ<sup>(١)</sup>»، فقالت: نعم، فاعف عما سلف، فلما قال: «ولا يزنين» قالت: أتزني حرة؟ قال: فلما قال: «ولا يقتلن أولادهن» قالت: ريبناهم صغارًا وقتلتهن<sup>(٢)</sup> كبارًا فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر، فضحك عمر، وتبسم رسول الله ﷺ، فلما قال: «ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن» قالت: إن البهتان يقبح، وما أمرتنا إلا بمكارم الأخلاق. وذكر الأصم أنها قالت: أما إن لي ضرة فلا أدع البيت، فقال أبو سفيان: لا أتزوج عليها، فلما قال<sup>(٣)</sup>: «ولا يعصينك في معروف»، قالت: ما جلسنا مجلسنا هذا، وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء، فأقر النسوة بما أخذ عليهن «عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا» يعني لا يصفن الله بالشريك ولا يعبدن غيره معه «وَلَا يَسْرِقْنَ» هو أخذ مال الغير في خفية «وَلَا يَزْنِينَ» هو الوطء من غير عقد «وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ» قيل: هو ما كانت العرب عليه من دفن البنات وهي الموءودة، وقيل: لا يمنعن الرضاع والحضائن في وقت الحاجة، وقيل: هو قتل الأولاد في الأرحام «وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ» يعني لا يأتين بكذب في مولود وجد بين أيديهن وأرجلهن، قال ابن عباس: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن، وقيل: هو السُّخر، وهو السعي بالنميمة<sup>(٤)</sup>، فذلك بين أرجلهن وما يعمل باليد مما يوهن، عن أبي مسلم. وقيل: كانت المرأة تلتقط الولد، وتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المَفْتَرى، عن الفراء. وقيل: المراد لا يقذف بعضهن بعضًا، وقيل: أراد بالبهتان ما نهى عنه من جميع ما يتعلق به من إلحاق ولد بالزوج ليس منه، أو سعي بالنميمة، أو قذف المحصنات، والكذب على الناس، وقيل: الخيانة للزوج

(١) لهند: الهند، ك.

(٢) وقتلتهن: قتلناهم، د، ك؛ وكتب فوق د: قتلتهن.

(٣) أما إن لي ضرة... قال: +، هامش ك؛ قال: قالت، هامش ك.

(٤) النميمة: البغي، ك.

في المال والنفس من خلفه، والرمي بالعظائم بين يديه، وقيل: البهتان والافتراء واحد، ومعناه أن تأتي ببهتان عظيم من زنا أو غيره ثم تفتري بذلك على غيرها<sup>(١)</sup>، فتكون هي الفاعلة<sup>(٢)</sup> لذلك، وترمي به غيرها<sup>(٣)</sup> «وَلَا يَغْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ» أي: لا يعصينك في جميع ما تأمرهن؛ لأنه أمر<sup>(٤)</sup> بمعروف، وقيل: مما شرط، وقيل: مما<sup>(٥)</sup> شرط عليهن ترك النوح، عن ابن عباس. وقيل: أخذ عليهن ألا يظلمن، ولا يشققن جيباً<sup>(٦)</sup>، ولا يدعون بالويل والثبور كفعل أهل الجاهلية، عن زيد بن أسلم. وقيل: التبرج إلى غير مَحْرَم، والوجه ما ذكرنا أولاً؛ لأن جميع ذلك داخل فيه؛ لأنه من المعروف، وقيل: سئل ما ذلك المعروف فقال: «ألا تسافر المرأة سفرًا فوق ثلاث إلا مع زوج أو محرم، وألا يَتُحَنَّ، ولا يَخْمَشْنَ وجوههن، ولا ينتفن شعورهن، ويقررن في بيوتهن»، وعن النبي ﷺ: «لعن الله النائحة، والمستمعة، والحالقة، والواشمة» فالحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصائب، وجميع ذلك يرجع إلى أربعة أشياء: اعتقاد التوحيد، وحفظ اللسان، واجتناب المعاصي، وطاعة الرسول. «فَبَايِعُوهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ» بشرط قبول هذه الأشياء «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» قيل: اليهود، وقيل: الكفار أجمع، أي: لا تتخذوا كافرين أولياء «قَدْ يَيْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ» قيل: يئسوا من ثواب الآخرة «كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ» من النشأة الثانية، عن ابن عباس. وقيل: يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس منه أصحاب القبور؛ لأنهم أيقنوا بعذاب الله، عن مجاهد. وقيل: قد يئسوا من الآخرة اليهود، كما يئس كفار العرب أن يحيا أهل القبور، عن الحسن. وقيل: هم أعداء المؤمنين من قريش يئسوا من خير الآخرة كما يئس سائر<sup>(٧)</sup> الكفار «مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» من حظ الآخرة، وقيل: كما يئس الكفار أن ينال الموتى في القبور

(١) غيرها: غيره، د.

(٢) هي الفاعلة: هو الفاعل، د.

(٣) غيرها: غيره، د، ز، ك.

(٤) لأنه أمر: لا يأمر، ك.

(٥) مما: بما، د.

(٦) ولا يشققن جيباً: ولا يسفنن صبيّاً، د.

(٧) سائر: +، ك.

جزاء، وقيل: كما يئس الكفار من لقاء أقاربهم وأصدقائهم<sup>(١)</sup> الموتى بخلاف المؤمنين، وقيل: كما يئسوا أن ينالهم خير<sup>(٢)</sup> من أصحاب القبور، وختم السورة بقطع الموالاة للكفار كما افتتح به.

### ❁ الأحكام

تدل الآية على أن النبي ﷺ كان لا يقبل من النساء إسلامهن إلا بقبول هذه الأشياء<sup>(٣)</sup> لذلك بدأ به.

وتدل أن الاستغفار لا يقع<sup>(٤)</sup> إلا بهذه الشرائط، فيبطل قول المرجئة في الشفاعة. ويدل قوله: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا﴾ على النهي من موالاة الكفار على ما قدمناه.

(١) الكفار من لقاء أقاربهم وأصدقائهم: الكافر من لقاء أقاربه وأصدقائه، ك.

(٢) خير: خيرًا، ز، د.

(٣) +، هامش ك: في جميع العقليات والشرعيات تدخل فيها، وتدل أن هذه الأشياء.

(٤) لا يقع: لا يصح، ك.

## سُورَةُ الصِّفِّ

سورة (الصف)، وتسمى سورة (الحواريين)، وهي مدنية فيما نقل، وذكر بعضهم أنها مكية، وهي أربع عشرة آية.  
وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ، عن أبي بن كعب، أن النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة (الصف) استغفر له عيسى في الدنيا ويوم القيامة، وهو يكون رفيقه».  
ولما ختم السورة بقطع الموالاة، افتتح هذه السورة بأن ذلك يجب أن يكون ظاهراً وباطناً، ثم أمر بالجهاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ أَمْرًا مَرْصُوسًا ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

### اللغة

الْمَقْتُ: البغض، وهو ضد الحُبِّ، والْمَقْتُ والمَقَاتَةُ مصدران، ورجل ممقوت ومَقِيتٌ: إذا لم يحبه الناس..



والرص: إحكام البناء، رصصت البناء: أحكمته حتى لا خلل فيه، وأصله من الرصاص، ومنه: «تراصوا في الصفوف لا يتخللكم الشيطان». والزيغ: الميل عن الحق، وزاغ: مال، وأزاغه: أماله.

### الإعراب

«لم تقولون» هو «لِمَا»، أي: لأي شيء، حذفت الألف فرقاً بين الاستفهام والخبر.

«مقتاً» نصب على الحال، وقيل: على التمييز، وقيل: العامل مضمرة فيه، تقديره: كبر المقت مقتاً، وقوله: «مقتاً» تفسير له، كقولهم: نعم الرجل زيد، أي: نعم الرجل رجلاً زيداً.

«أن تقولوا» قال الكسائي: هو في موضع رفع؛ لأن «كَبُرَ» [فعل] <sup>(١)</sup> في منزلة قولك: بش رجلاً أخوك.

«صفاً» نصب على المصدر، جاء الفعل من غير لفظه، تقديره: الذين يُصَفُّون صفاً.

### النزول

قيل: نزل قوله: ﴿لَمْ تَقُولُوا﴾ في قوم قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لتسارعنا إليه، فلما نزل فرض الجهاد ثاقبوا فيه، عن ابن عباس، ومجاهد.

وقيل: بل نزل في قوم كانوا يقولون: جاهدنا، وقتلنا، وأنفقنا، وأبلىنا، وفعلنا، ولم يفعلوا، وهم كَذَبَةٌ <sup>(٢)</sup>، عن قتادة، والأصم.

وقيل: كان رجل آذى المسلمين يوم بدر فقتله صهيب، فقال رجل: أنا قتلت فلاناً، ففرح رسول الله ﷺ، فقال عمر وعبد الرحمن <sup>(٣)</sup>: يا رسول الله إنما قتله صهيب، فنزلت الآية، عن سعيد بن المسيب.

(١) فعل: +، القرطبي، الجامع لأحكام، ٧٣/١٨.

(٢) وهم كذبة: وهم أدنى كل كذبة، د.

(٣) +، هامش ك: لصهيب أخبر النبي أنك قتله، قال فلان يتحلله فقال صهيب: أنا قتلته ببدر، فقال عمر وعبد الرحمن.

وقيل: نزلت في المنافقين، وسماهم بالإيمان على ظاهر الإقرار، ومثله يجوز في التوبيخ، عن الحسن<sup>(١)</sup>.

وقيل: نزلت في المنافقين وَعَدُوا<sup>(٢)</sup> المؤمنين بالنصر<sup>(٣)</sup> وكذبوا، عن ابن زيد.

وقيل: نزلت في قوم قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لبذلنا فيها أنفسنا وأموالنا، فأمرُوا بالجهاد وابتلوا يوم أحد حتى شج وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته، ففيهم نزلت الآية، عن مقاتل، والكلبي.

وقيل: لما أخبر الله تعالى رسوله بشواب شهداء الله ببدر<sup>(٤)</sup>، قالت الصحابة: لئن<sup>(٥)</sup> لقينا بعده قتالاً لَنُفَرِّغَنَّ فيه وُسْعَنَا، ثم فروا يوم أحد، فغيرهم الله بهذه الآية، عن محمد بن كعب.

### المعنى

«سَبَّحَ لِلَّهِ» أي: نزه إما قولاً واعتقاداً، وإما دلالة «مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» يدل بجميع ذلك على وحدانيته وكونه قادراً، عالماً، حياً، سميعاً، بصيراً، حكيماً، عدلاً، فلا شيء يُنْظَرُ إليه إلا ويعرف به، عن أبي علي، وأبي مسلم. وقيل: التسبيح من<sup>(٦)</sup> المكلفين: تنزيهه عما لا يليق به، ومن الجماد على وجهين: أحدهما: الدلالة على تنزيهه.

والثاني: إذعانها لما يريد إنفاذه فيها، وخضوع كل شيء لقدرته.

ومتى قيل: التسبيح الأول حقيقة، والثاني مجاز، فكيف يراد بلفظ واحد؟

قلنا: أما عند شيخنا أبي علي والقاضي، فيجوز؛ لأنه لا تنافي بينهما، وبين

(١) عن الحسن: +، هامش ك.

(٢) وعدوا: ووعدوا، د.

(٣) بالنصر: النصر، د.

(٤) ببدر: بدر، د.

(٥) لئن: إن، د.

(٦) من: عن، ك.

إرادتهما، وأما عند أبي هاشم وأبي عبد الله فلا يجوز أن إرادتهما<sup>(١)</sup> بلفظ واحد، ولكن إذا ثبت أن كل واحد منهما مراد فلا بد أن يتكلم<sup>(٢)</sup> به مرتين، أراد في كل مرة واحدًا.

«وَهُوَ الْعَزِيزُ» القادر لا يمتنع عليه شيء «الْحَكِيمُ» قيل: العالم، وقيل: المحكم لفعله، وهو أن كله حسن. «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ» قيل: الخطاب للمنافقين تقريرًا بأنهم يظهرون الإيمان، ولا يبطنون، وقيل: الخطاب للمؤمنين وتنفير لهم أن يقولوا شيئًا لا يفعلونه، وقد بينا ما قيل فيه، والأقرب أنه في باب الجهاد، قال أبو علي: هذا على ضربين، لو قال: سأفعل، ومن عزمه ألا يفعل فهذا قبيح مذموم، وإن قال: سأفعل، ومن عزمه أن يفعل والمعلوم أنه لا يفعل، فإنه قبيح؛ لأنه لا يدري أيفعل أم لا؟ وينبغي في مثل هذا أن يقرن بلفظة: إن شاء الله «كَبُرَ مَقْتًا» أي: عظم بغضُ الله لمن يقول شيئًا لا يفعل، وهذا في الواجبات دون النفل إلا أن يكون نذره فحيثُذ يجب.

ومتى قيل: هل يدل قوله: «كَبُرَ مَقْتًا» أن ما حصل منهم كبير؟ قلنا: لا؛ لأن المقت يستحق على الكبير والصغير، ثم الصغيرة<sup>(٣)</sup> تكفرها طاعة أعظم منها، والكبيرة تكفرها<sup>(٤)</sup> التوبة.

ومتى قيل: لماذا قبح؟

قلنا: لأنه كذب، إما في الماضي، وإما<sup>(٥)</sup> في المستقبل.

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا» أي: في طريق دينه صفاً «كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ مُّحَكَّمٌ لَا خَلَلَ فِيهِ، وَلَا يُمْكِنُ نَقْضُهَا، كَأَنَّهُ رِصٌّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَشَدٌّ، وَقِيلَ: الْمَرْصُوصُ الْمَبْنِي مِنَ الرِّصَاصِ، وَالْمَرَادُ الثَّبَاتُ فِي الْحَرْبِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ صَاحِبَ نِيَّةٍ وَعَزِيمَةٍ لَا يَزُولُ فِي الْحَرْبِ، كَمَا لَا يَزُولُ الْبُنْيَانُ الْمَحْكَمُ.

(١) إرادتهما: إرادتهما، ك.

(٢) أن يتكلم: أنه تكلم، ك.

(٣) الصغيرة: الصغير، د.

(٤) تكفرها: تكفره، د.

(٥) وإما: أو؛ د، ز، ك.

ثم ذكر حديث موسى في صدق نيته وعزيمته، وتسليية للنبي ﷺ في تكذيبهم إياه، فقال - سبحانه -: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُوَدُّونَنِي» قيل: الإيذاء هو تلونهم في الأحوال، وقيل: رَمِيَهُ بِالْأَذْرَةِ، وقيل: رميه بقتل هارون «وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ»؛ لأن الإيذاء مع العلم بكونه رسولا أعظم «فَلَمَّا زَاغُوا» أي: مالوا عن الحق والاستقامة «أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» قيل: جازاهم على زيغهم بالغرق والعذاب، فسمى عقوبة الزيغ زيغا، وهذا هو الأوجه؛ لأنه حذرهم<sup>(١)</sup> عن مثل الذين نزل فيهم، وقيل: خلاهم وسوء اختيارهم، ومنعهم الألفاف التي بها يهدي قلوب المؤمنين كقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، عن أبي مسلم.

وقيل: أزاع الله قلوبهم بالحكم بأنها زائغة، عن الحسن. وقيل: أزاع قلوبهم<sup>(٢)</sup> عن ثواب الإيمان، عن أبي علي. وهذا يقرب من الأول، وقيل: قلوبهم قلوب الخوارج، عن أبي أمامة. ولا يحمل على أنه أزاع قلوبهم عن الدين؛ لأنه تعالى لا يفعل ذلك، ولأنه فعل ذلك جزاء على زيغهم، ولأنه أمر بالإيمان فلا يمنع منه «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» قيل: لا يهديهم إلى جنته ورحمته، عن أبي علي. وقيل: لا يحكم بهدايتهم<sup>(٣)</sup>، وقيل: يخليهم واختيارهم ولا يفعل بهم الألفاف، كما يفعل بالمؤمنين، عن أبي مسلم.

**الأحكام**

تدل الآيات على أشياء:

منها: ذم من يقول ولا يفعل.

ومنها: وجوب الوفاء بالنذر.

ومنها: أنه يريد جهاد الأعداء؛ لأنه يحثهم بجهادهم، فلا بد أن يجب جهادهم،

فيبطل قول المجبرة: أنه يريد من بعضهم القعود وترك الجهاد.

(۱) حذرهم: خبرهم، د، ك.

(٢) +، هَامَشْ كَ: عَنِ الْحَبُورِ إِلَى مَا يَكْرَهُونَ، وَقِيلَ: لَمَّا زَاغُوا عَنِ الْإِيمَانِ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ.

(۳) بهدایتهم: بهدایتکم، ك.

ومنها: تعليم لعباده أن يكونوا في طاعته على كلمة واحدة.

ومنها: أن أذية الرسول مع العلم بنبوته تعظم، وقد يكون كفراً.

ومنها: قوله: ﴿رَاغُوا﴾ يدل على أن الزيف فعلهم.

ومنها: أن الهداية قد تكون بمعنى الثواب<sup>(١)</sup> والكرامة، وقد روي عن الحسن أن

قوله: ﴿لَمْ تَقُولُوا﴾ خطاب للمنافقين، والأقرب أنه خطاب للمؤمنين؛ لذلك قال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ولأن ما بعده وما قبله يدل عليه.

وتدل على أن قولنا فاسق اسم ذم، فلا يجتمع مع اسم الإيمان الذي هو مدح، فيصح قولنا في المنزلة بين المنزلتين.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

### ❁ القراءة

قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي وحفص عن عاصم: «مُتِمُّ» بغير تنوين، «نُورِهِ» بالجر على الإضافة، وقرأ الباقون: «مُتِمُّ» بالتنوين «نُورَهُ» بالفتح على أنه مفعول.

قرأ حمزة والكسائي: «سَاحِرٌ» كناية عن عيسى، والباقون: «سِخْرٌ» بغير ألف يعني ما جاء به.

فتح أهل الحجاز والبصرة، وأبو بكر الياء «من بعدي اسمه»، ولم يفتحه الباقون.

(١) +، هامش ك: لأنه هدى الفاسقين بالأدلة والبيان فالمنع غير ذلك، وإنما هو الثواب.

### اللغة

السحر: حيلة توهم أمرًا ليس له حقيقة كإيهام انقلاب الحبل حية.  
والمبين: البين<sup>(١)</sup> لما التبس<sup>(٢)</sup>، قال الشاعر:  
حَمِيدَ الْبَلَاءِ مِتَيْنَ الْقَوَى<sup>(٣)</sup>      مُبِينِ الْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ دَاءٍ<sup>(٤)</sup>  
والثاني: أن يكون بَيِّنَ اللسان معربًا عن مراده، كقوله: «إن من البيان لسحرا»،  
عن أبي مسلم.

### الإعراب

الواو في قوله: «وَهُوَ يُدْعَى» قيل: واو العطف، وقيل<sup>(٥)</sup>: واو الحال، يعني لا  
ظلم أشد ممن يكذب على الله في حال ما يُدعى إلى توحيده وعدله ونبوة نبيه والعمل  
بشرائعه.  
«مُبَشِّرًا» عطف على (مُصَدِّقًا)، والكلام تم عند قوله: «رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ».

### المعنى

ثم عطف بقصة عيسى على قصة موسى ﷺ<sup>(٦)</sup> تسلياً للنبي ﷺ فيما كذبه قومه  
وإيذائهم إياه، فقال - سبحانه -: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» قيل: اذكر إذ قال عيسى  
بن مريم، وقيل: هو عطف على قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى﴾ «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ» وإنما قال «بين يدي» لأن التوراة متقدمة<sup>(٧)</sup>

- (١) في هامش ك: الظاهر ووصفهم السحر بأنه مبين يحتمل وجهين: أحدهما ظهور السحر، والخروج في ذلك الوقت عن الشك إلى.
- (٢) في د: التبيان.
- (٣) في د: القرى.
- (٤) البيت قائله المرار القعفي، أنظر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، الوحشيات وهو الحماسة الصغرى، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوني، ص ٥٥، دار المعارف، القاهرة.
- (٥) واو العطف وقيل: +، ك.
- (٦) عليهما السلام: +، ك.
- (٧) وإنما قال بين يدي... متقدمة: +، هامش ك.

«وَمُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» قيل: كان رسول الله يسمى أحمد ومحمد، قال حسان:

فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

صَلَّى إِلَهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ<sup>(٢)</sup> وَالطَّيُّونَ عَلَى الْمَبَارِكِ أَحْمَدِ<sup>(٣)</sup>  
عن أبي علي.

«فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» يعني جاء عيسى بالمعجزات والحجج الدالة على نبوته، كإحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص «قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» أي: حِيلٌ وتمويهات «مُبِينٌ» أي: ظاهر في ذلك، وقيل: فلما جاءهم أحمد بالبينات قالوا: هذا سحر. «وَمَنْ أَظْلَمُ» أي: مَنْ أَشَدُّ ظُلْمًا «مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» أي: يختلق الكذب عليه ويقول للمعجز: إنه سِحْرٌ وللرسول: إنه كاذب «وَهُوَ يُذَعَّى إِلَى الْإِسْلَامِ» الذي فيه نجاته، قيل: المراد به قوم المسيح، وقيل: بل المراد قوم رسول الله، وقيل: المراد به المجبرة؛ لأنهم يدعون إلى الإسلام والطاعة فيقولون: الله لم يرد منا الإسلام ولا خلق فينا ولا أعطانا قدرة الإسلام، ولو فعل ذلك لآمنا «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» قيل: لا يحكم بهداية من ظلم بالكذب على الله، وقيل: لا<sup>(٤)</sup> يثيبه، ولا يهديه إلى جنته، عن أبي علي. وقيل: لا يلطف لهم كما يلطف بالمؤمنين ليهدتوا

(١) البيت قائله حسان بن ثابت وتكملته:

وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ      إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذَّنُ أَشْهَرُ  
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلُهُ      فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

أنظر ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، سنة ٢٠٠٦.

(٢) في د: نحو عرشه.

(٣) جاء في هامش ك: عن أبي مسلم وجماعة. وقيل: معناه من جميع الخلق من الأنبياء وغيرهم وإن كانوا، وقيل: الأنبياء محمودون، وهو أكثر مناقب وفضائل، فقيل: الله سماه أحمد.

البيت قائله حسان بن ثابت في قصيدة: (ما بال عينك لا تنام كأنما)، أنظر ديوان حسان بن ثابت، دار صادر، ٢٠٠٦.

(٤) وقيل لا: مطموس في د.

عنده؛ لأنه لا لطف لهم، عن أبي مسلم. «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا» اللام في «لِيُطْفِئُوا» لام (كي)، أو بمعنى (أن)، تقديره: يريدون أن يطفئوا «نُورَ اللَّهِ» يعني هؤلاء الكفار يريدون أن يبطلوا أدلة الله وحججه بقولهم، ونوره: أدلته، وإطفأؤه: إبطأه، وقيل: هم كمن أراد إطفاء نور الشمس بفيه، فكما لا يتم له ذلك كذلك من أراد أن يبطل دينه، عن أبي علي. «بِأَفْوَاهِهِمْ» قيل: بما يقولون ويفترون، وقيل: يرومون ذلك، يعني حجة، فهو كلام يخرج من فيهم لا معنى له «وَاللَّهُ» عزيز لا يُغَالَبُ «مُتِمُّ نُورِهِ» أي: مظهر كلمته ومؤيد نبيه ومعلن دينه «وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» وذلك إشارة إلى (١) تكفله (٢) بنصرة الحق، فلا يصل أحد إلى نقضه «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ» قيل: الهدى: الإيمان، ودين الحق: الشرائع، وقيل: الهدى: الدلالات (٣)، ودين الحق: الإسلام، عن أبي علي. «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» قيل: ليظهر الرسول الدين وليحكم به دون سائر الأديان؛ وقيل: ليظهر الله الدين على سائر الأديان، أي: يوليه حتى يغلب الكل، وأراد جنس الأديان؛ لذلك أدخل الألف واللام، وقيل: أراد بالظهور الغلبة بالحجة، ولهذا نهض المسلمون على سائر الأديان، فأبطلوها، فأما الغلبة فقد تكون لنا، وقد تكون لهم، وقيل: أراد بالظهور للاستعلاء والغلبة، وهم وإن غلبوا أحياناً فالعاقبة للمسلمين؛ ولذلك تواتر فتوحهم وظهر دينهم، وقيل: الظهور يكون بثلاثة أشياء: بالحُجَّةِ، والغلبة، أو عند نزول عيسى عليه السلام، وقيل: الأديان المشهورة: اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وعباد الأصنام، والمسلمون غلبوا على جميعهم، وقيل: سيظهر حتى لا يبقى أحد إلا أن يسلم أو يقبل الجزية «وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» ظهور الإسلام، والمشرِك اسم عام، يقع على كل كافر.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على أن عيسى عليه السلام صَدَّقَ التوراة كما صَدَّقَ نبينا، وذلك

لوجهين:

- (١) إلى: أو، ك؛ أن، د.
- (٢) تكفله: تكلفه، د.
- (٣) في هامش ك: ودين الحق الإسلام، وقيل: الهدى القرآن، سماه هدى لأنه يدل على الحق.



أحدهما: أن يأتي كما<sup>(١)</sup> في التوراة.

والثاني: أن يصدقه بأنه حق، والمحرف ليس بتوراة، فلا يعترض به على ما قلناه.

وتدل على أنه ﷺ بَشَرٌ بَنِينَا .

ومتى قيل: فالنصارى كيف يجوز عليهم إنكار ما أعلمهم به نبهم ﷺ في أمر النبي ﷺ وكتمانه مع كثرتهم، وإذا جاز ذلك عليهم جاز إنكار النص الذي تدعيه الإمامية على أمير المؤمنين وكتمانه؟

قلنا: النصارى لا ينكرون بعثة نبي اسمه أحمد، إنما يقولون: ليس هو نبينا، ولكن يكون من بني إسرائيل، ولأنه يجوز أن يكون قاله لبعضهم ممن يجوز عليه الكتمان، فمن أين لكم أنه قاله لسائرهم، ولأن النصارى ليس لهم سلف كثير؛ لأنهم كثروا بعد عيسى بزمان.

فأما ما تدعيه الإمامية من النص الذي علموه ضرورة، فإنه لو جاز كتمان مثله لجاز لليهود ادعاء معارضة القرآن وكتموه، ولجاز في كثير من الشرائع، وفي هذا هدم للإسلام، وأيضًا فإن عندهم هذا النص كان أمرًا أعلنه وأظهره حتى اضطروا إلى معرفته، وهذا لا يجوز أن ينكتم كما لا يجوز أن يقال: بين بغداد والكوفة بلد أعظم منهما لم ينقل، وأيضًا فإن الداعي<sup>(٢)</sup> إلى نقله كان عظيمًا؛ لحاجة الناس إلى الإمام، وما جرى في موطن بعد موطن من ذكر البيعة، ثم لم ينقل أحد منهم النص، ولا قالوا عند الاختلاف أين أنتم عن هذا النص؟

وتدل أن (أحمد) كان من أسمائه ﷺ .

وتدل أنه لا ظلم أعظم من الكذب على الله، فلهذا قلنا: أعظم الذنوب التشبيه والجبر.

(١) كما: بما، ك.

(٢) الداعي: الدواعي، د.

وتدل أن الكفر لا يختص أفعال القلب على ما قاله بعضهم؛ لأن الافتراء يكون باللسان<sup>(١)</sup>.

وتدل على أنه لا ينبغي أن يقابل دعاء من يدعو إلى الله بالرد.

وتدل على عظيم ذنب من طعن في الدين، ورام إطفاء نوره.

وتدل أنه تعالى تضمن<sup>(٢)</sup> إتمام دينه، وإظهار حجته.

وتدل على معجزة لنبينا حيث أخبر بظهور الإسلام، فكان كما أخبر.

ومتى قيل: كيف قال ذلك، ودينه ظهر بعد موته؟

قلنا: وعده إظهار دينه، ولم يُوقَّتْ، وبعد وفاته [أظهره]، وأظهره في أيامه أيضًا

بالحجة، وعلى العرب.

قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ بِحْرِهِ نُجَيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ ٱلْإِلْمِ ۖ ۝١٠ تَوَمَّنْ ؕ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ  
وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ  
ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ  
ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَآخَرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
كُونُوا أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَن أَنصَارِي إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ  
أَنصَارُ ٱللَّهِ فَتَأَمَّنَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ  
فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ۝١٤﴾

### القراءة

قرأ ابن عامر: «تُجَبِّيْكُمْ» بفتح النون وتشديد الجيم من نَجَى يُنَجِّي تَنْجِيَةً، الباقون بسكون النون خفيفة الجيم من الإنجاء.

(١) وتدل أن الكفر... باللسان: +، هامش ك.

(٢) تضمن: ضمن، ك.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو: «أنصاراً» منونة «الله» باللام بغير ألف، الباقيون: «أنصار» بغير تنوين «الله» بالألف على الإضافة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، لقوله: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، ولم يقل: نحن أنصار لله، وكلاهما قراءتان صحيحتان ظاهرتان.

وفتح أبو جعفر ونافع الياء من «أنصاري»، ولم يفتحها الآخرون.

### اللغة

الدلالة: العلامة التي يعرف بها الحق من الباطل، وفاعلها دالٌّ، وقيل: الدليل هو الدلالة، وقيل: هو الدال من أصله<sup>(١)</sup> الدلالة، وقد يستعمل في الوجهين، وفي الدعاء: يا دليل المتحيرين.

والتجارة: طلب الربح بالشراء والبيع، ثم يشبه به<sup>(٢)</sup> طالب الربح بعمل الطاعة فبذلك سمي<sup>(٣)</sup> تجارة.

والفوز: النجاة من الهلاك إلى النعيم، فاز يفوز فوزاً: نال طلبته<sup>(٤)</sup>.

والتأيد: التقوية، وأصله من الأيد، وهو القوة، قال عبد المطلب:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَجَلُّ الْأَعْظَمُ      أَيَدَنَا يَوْمَ زُحُوفِ الْأَشْرَمِ

### الإعراب

«يغفر» جزم؛ لأنه جواب الاستفهام، وقيل: هو جواب الأمر، ولا يجوز أن يكون جواب (هل)؛ لأن مجرد الدلالة لا تستحق المغفرة فهو جواب (يؤمنون)؛ لأنه في معنى وآمنوا، وذكر الفراء أنه جواب (هل) وروي عن ابن عمر: «يغفر لكم» بإدغام الراء في اللام، ولا يجوز ذلك عند الخليل وسيبويه؛ لأن في الراء تكريراً.

(١) من أصله: وأصله، ك؛ وفي هامشها: واضح.

(٢) به: -، ك.

(٣) فبذلك سمي: وذلك ليس، د؛ وفي هامش ك: بذلك فيسمى.

(٤) طلبته: فالطلبة، د.

«وأخرى» قيل: في محل الكسر، على تقدير: وتجارة أخرى، قاله نحاة البصرة، وقيل: محله رفع، تقديرها: ولكم<sup>(١)</sup> أخرى في العاجل، مع ثواب الآجل، عن الكوفيين (نُصِرَ) تقديره: وأخرى تحبونها، أي: وأخرى هي نصر من الله تحبونها.

### ❁ المعنى

لما تقدم ذكر الرسول، دعا إلى قبوله والعمل بشرائعه بأحسن بيان وألطف استدعاء، فقال - سبحانه -: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» قيل: خطاب عام للمؤمنين، وقيل: خطاب لمن تقدم ذكره في أول السورة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، «هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ» تخلصكم «مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» موجه وهو عذاب النار.

ثم بيّن تلك التجارة، فقال - سبحانه -: «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ» يدخل فيه جميع أنواع الجهاد، فَجَاهَدَ مع الكفار بالحجة أولاً وبالسيف أخرى، وجهاد المبتدعة بالحجة والمنع، وجهاد النفس بالصبر على الطاعة، وتحمل مشاق التكليف، وبذل الجهد في طلب رضا الله بهذا العلم والعمل من العبد، وهي منقطعة كالمثمن<sup>(٢)</sup>، ومن الله تعالى بالجنة، وبالنجاة من النار، وهي دائمة، وهو كالثمن، فلا تجارة أعظم من هذا، وقيل: «تُؤْمِنُونَ» خبر، والمراد الأمر، وقيل: (هل) تضمير فيه، أي: هل تؤمنون، وهل تجاهدون.

ومتى قيل: كيف قال أولاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثم قال: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾.

قلنا: قيل: خطاب للمنافقين، كأنه قيل: يا من آمن ظاهراً آمنوا باطناً ليصح إيمانكم.

وقيل: إنها خطاب للمؤمنين، أي كما آمنتم في الماضي آمنوا في المستقبل، واثبتوا على الإيمان.

(١) ولكم: ولكنه، د.

(٢) كالمثمن: كالثمن، د.

وقيل: يا أيها الذين آمنوا بسائر الأنبياء آمنوا بمحمد ﷺ وعليهم، والوجه فيه أنه أمر بالثبات على الإيمان<sup>(١)</sup> والجهاد.

«خَيْرٌ» أي: أنفع «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» الخير والشر والنفع والضرر، عن أبي مسلم. وقيل: بذل الجهد في الطاعة خير لكم، عن أبي علي. وقيل: ما أمرتكم خير لكم من دفعه عنكم؛ لأنه يؤدي إلى الثواب الدائم «يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» إذا تبتم «وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أي: يجري الماء في الأنهار تحت أشجارها وأبنيتها «وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً» أي: مواضع لتسكنونها<sup>(٢)</sup> طيبة من طيبها «لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا» [الكهف: ١٠٨] عوجًا، وسأل الحسن عمران بن الحصين وأبا هريرة عن تفسير: «وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً» فقالوا: على الخير سقطت، سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «قصر من لؤلؤة في الجنة، في ذلك القصر سبعون دارًا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريرًا، على كل سرير سبعون فراشًا من كل لون، على كل فراش امرأة من الحور العين، وفي كل بيت سبعون مائدة من أنواع الطعام». «فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ» أي: إقامة لا ظعن عنها «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أي: الظفر بالمطلوب «وَأُخْرَى» أي: ولكم خصلة أخرى مع الثواب الدائم، وقيل: تجارة<sup>(٣)</sup> أخرى «تُحِبُّونَهَا» الهاء كناية عن محذوف، أي: تحبون تلك الخصلة إن تلك التجارة أو النصر<sup>(٤)</sup> أو الفتح، وفي الآجل الجنة والنعيم الدائم، وقيل: فتح قريب هو فتح مكة، وقيل: بل هو عام، وقد توالى فتوح الإسلام، ومعنى «قَرِيبٌ» قيل: قريب كونه، وقيل: دنت<sup>(٥)</sup> منكم بقرب الرجوع منها إلى الأوطان.

ثم حثهم على الجهاد، فقال - سبحانه -: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ» قيل: (أنصار الله) أي: أعوان لله<sup>(٦)</sup>، فأضاف إلى نفسه تشريفًا، كقولهم للكعبة: بيت

(١) جاء في هامش ك ما لفظه: ذلكم خير لكم، قيل: إيمانكم بالله خير لكم من تضييعه، وقيل: الإيمان.

(٢) لتسكنونها: يسكنونها؛ لتسكنونها؛ ث، ر، ز.

(٣) وتجارة: بتجارة، د.

(٤) جاء في هامش ك ما لفظه: نصر من الله على أعدائكم، وفتح قريب بفتح بلاده لكم، ويشر المؤمنين بأن لهم ذلك في العاجل النصر.

(٥) دنت: قريب، ك.

(٦) +، هامش ك: أي: أعوان دينه.

الله، ولحمزة<sup>(١)</sup>: أسد الله، وقيل: أنصارُ الله: أولياؤه<sup>(٢)</sup> ونبيه «كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ» لينصر بثباتهم، وقيل: كانوا صيادين السمك، عن ابن عباس. وقيل: كانوا قصارين، عن الضحاك. وقيل: الحواري خاصة الأنبياء<sup>(٣)</sup>؛ لأنهم خلصوا من كل عيب، عن الزجاج<sup>(٤)</sup>. «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» قيل<sup>(٥)</sup>: مع الله، عن الحسن. كأنه قيل: إلى نصر الله، كقولهم: «الذَّودُ إِلَى الذَّودِ إِبِلٌ»؛ أي مع الذود، وقيل: معناه من يضيف نصرته إلى نصره الله، وقيل: من أنصاري إلى الله على ما يبلغني إليه، وإلى مرضاته، تقديره: إلى طلب رضا الله، وقيل: (إلى) بمعنى اللام، أي<sup>(٦)</sup>: من أنصاري لوجه الله، وإعزاز دينه، وقيل: أراد أن يكونوا يدًا واحدة يتناصرون، «قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا» أي: قوينا وأعنا «الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ» وهم الكفار «فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ» أي: غالبين قاهرين، قيل: أيدنا محمدًا ومن تبعه فأصبحوا ظاهرين، وقيل: بل<sup>(٧)</sup> أيدنا من كان في زمانهم على مَنْ كَفَرَ بعيسى، عن مجاهد.

### ❁ الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: أن أهم الأمور الإيمان.

ومنها: عظم محل الجهاد.

ومنها: أن الغفران يحصل بهذه الخصال، خلاف قول المرجئة.

ومنها: أن الإيمان والجهاد فعلُ العبد، وكذلك الكفر.

ومنها: أنه يجمع للمؤمنين بين النصر والفتح والثواب الدائم، فيحصل لهم المسرة في الدارين، وفي ذلك حث على الطاعات.

(١) ولحمزة: وحمزة، ك.

(٢) أولياؤه: أوليائه، ك.

(٣) الأنبياء: للأنبياء، د.

(٤) الزجاج: معاني القرآن، ١٣٠/٥.

(٥) قيل: وقيل؛ د، ك.

(٦) أي: +، ك.

(٧) أي: +، ك.



## الفهرس

٦١٦٥ .....	سورة فصلت
٦٢١٥ .....	سورة الشورى
٦٢٧٧ .....	سورة الزخرف
٦٣٤١ .....	سورة الدخان
٦٣٦٩ .....	سورة الجاثية
٦٣٩٥ .....	سورة الأحقاف
٦٤٣٥ .....	سورة محمد
٦٤٧٥ .....	سورة الفتح
٦٥١٧ .....	سورة الحجرات
٦٥٤٥ .....	سورة ق
٦٥٧٩ .....	سورة الذاريات
٦٦٠٩ .....	سورة الطور
٦٦٣٣ .....	سورة النجم
٦٦٧٣ .....	سورة القمر



٦٧٠٧ .....	سورة الرحمن
٦٧٣٧ .....	سورة الواقعة
٦٧٧٣ .....	سورة الحديد
٦٨٠٧ .....	سورة المجادلة
٦٨٣٩ .....	سورة الحشر
٦٨٦٩ .....	سورة الممتحنة
٦٨٩٣ .....	سورة الصف



